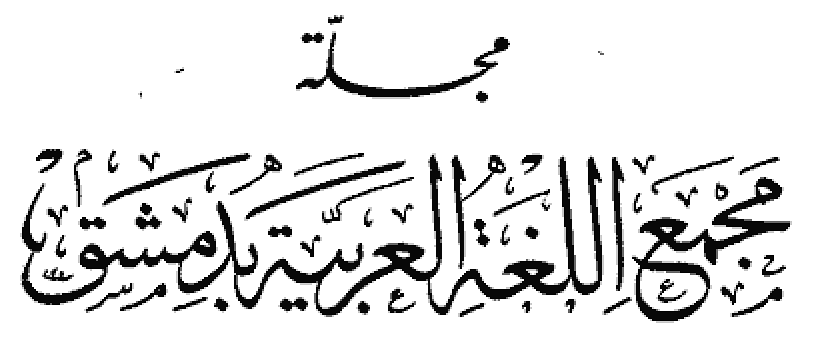


«مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً»





صفر ـ ١٣٩٩هـ

كانون الثاني (يناير) ـ ١٩٧٩ م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الدنيا أزمان

الاستاذ شفيق جبري

في صفحةٍ خالدةٍ أشرت اليها مرّة في هـذه المجلّة يقول أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا المقيم :

« وهل الدنيا الاّ أزمان ، ولكل زمان منها رجال ، وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة الاّ خطرات الأوهام ونتائج العقول ، ومن قصر الآداب على زمانٍ معلوم ، ووقفها على وقت محدود ... »

خطر ببالي هذا القول مرّة ثانيةً وأنا أطالع كتاب : أمراء البيان ، للأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، رحمه الله أوسع رحمة ، ففي ترجمته لعبد الحميد الكاتب أشار الى رسالةٍ في الفتنة لهذا الكاتب العظيم ، فقد كانت البلاد على نحو ما ذكره الأستاذ في آخر تدوينه للرسالة تموج بالفتن أواخر عهد الخليفة مروان بن محمد الأموي ، وأن عبد الحميد يريد بتأثير قلمه أن ينزع أهل الأقطار عن التردّي في مهالكها ، ولكم كتب من مثلها منذ نادى أهل خراسان بشعار العبّاسيين الى آخر ما قاله في هذا الباب ممّا يتعلّق بالإعراب عن بعد نظر عبد الحميد في السياسة وعن شدّة غيرته على سلطان بني أميّة .

لم أستشهد بما استشهدت به من كلام ابن فارس الاّ للدلالة على

أطوار الأزمان ، وقد تدخل هذه الأطوار في كل وجهٍ من وجوه الحياة ، في العلوم والسياسة والتفكير والأدب ونحو ذلك ، الاّ أن الذي يهمّنا في هذا المقال انما هو شيء من أطوار التفكير والأدب ، فقد نجد في بعض الأحيان أن التفكير في عصرٍ ماضٍ أخصب من التفكير في عصرٍ حاضرٍ ، وأن الأدب في زمنٍ متقدم أبلغ من الأدب في زمنٍ متأخر ، على أن الذي يجب أن يكون انما هو تقدم التفكير والأدب بتقدم الزمن ، فما يصحّ أن يكون تفكيرنا أقلّ خصباً من التفكير في الماضي ، وأن يكون أدبنا في عصرنا أقلّ بلاغة من الأدب في عصرٍ سابق •

فلننتقل الآن الى رسالة عبد الحميد الكاتب لعلّنا نجد فيها ما يثبت لنا أن بعض الأدب والتفكير في زمننا لم يبلغ ما بلغه في عصر عبد الحميد ، لو تكلفنا تحليل ما خاض فيه عبد الحميد في رسالته من ذكر الأمور التي تجلبها الفتنة لتبيَّن لنا أنه لم يغادر صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها ، فقد أشار في خلال رسالته الى طاعة الأئمة والمناصحة على أمورهم والتسليم لما أمروا به وما الأئمة في هذه الإشارة على ما أظن الاّ رجال الحكومة المحافظون على القانون في لغة عصرنا • لم يغفل عبد الحميد عن ذكر ما يجب على الأمة من طاعة رجال الحكومة لما يتمّ على أيديهم من مختلف النعم كما أنه لم يغفل عن ذكر ما ينشأ عن الخلاف لهم والمعصية عليهم من ذهاب هذه النعم وغير ذلك من عواقب هذا الخلاف وهذه المعصية ، ولا ريب في أن عبد الحميد لم يحضّ على طاعة الأئمة الاّ لاعتقاده أنهم يجب أن يكونوا من أهل الصلاح والاستقامة ، وبعد هذا انتقل الى بيان ما يحدث في الفتنة من مضارّ مادّية ومعنوية ، ثم فصَّل ما يراق في الفتنة من دماءٍ وما يقع من يُتم الأطفال وترميل

النساء وما يحدث من الضغائن والشحناء في قلوب رجال الأمة وما يخرب من بلاد فضلاً عن شماتة عدو أو منافق ، وفرقة أهواءٍ ، وتقطّع أرحـــام •

قد تضيع بلاغة هذه الرسالة اذا جزّأتها هذه التجزئة أو لخّصتها هذا التلخيص فلا غنى عن الرجوع اليها وملء الذهن من قراءتها والتدقيق في كل مقطع من مقاطعها •

ولكن ما الذي حملني على الاستشهاد بهذه الرسالة ، إنني لا أرمي إلى الإفصاح عن بلاغة صاحبها فهذه البلاغة لا تحتاج إلى الإفصاح عنها ، واني لا أقصد احصاء الأفكار التي وردت فيها ، فان هذه الأفكار قد حوت كل ما يحدث عادةً في الفتن ، ولكني قصدت أمرا واحدا لا غير ، فاذا كان لكل زمنٍ أدب وتفكير خاص فقد يحدث أن أدب عصرٍ متقدم أعلى من أدب عصرٍ متأخرٍ ، وان التفكير في وقت ماضٍ أفضل من التفكير في وقت حاضرٍ ، فأدب عبد الحميد في رسالة الفتنة وقد مضى عليه زمن طويل بعيد عن أن يقرب منه أدب في زمننا ، وتفكيره في توضيح عواقب الفتنة لم نألف تفكيراً مثله في فتنة من فتن أيّامنا ، فاذا قابلنا بين رسالته في أيّامه وبين خطبة أو مقال في فتنة يومنا هذا تبيَّن لنا الفرق بين زمنٍ وزمنٍ من حيث التفكير ومن حيث الأدب •

أمّا الأدب فما نظن أنّا نستطيع أن نجاري كاتباً من طبقة عبد الحميد في البلاغة ، فاذا كان الأدب يتغير من زمنٍ الى زمنٍ فهــل نستطيع أن نقول ان أدبنا في هذا العصر أبلغ من أدب عبد الحميد في عصره ، واذا أردنا أن ننبّه على عواقب الفتن في يومنا هذا فهل ينقاد الينا البيان انقياده الى عبد الحميد •

غير انني لا أهتمّ بالبيان وحده وانما أهتمّ أيضا بسعة التفكير ، فالزمان الذي عاش فيه عبد الحميد غير زماننا ، فان الحياة تختلف من عصرٍ الى عصرٍ ، فاذا كانت العقول أيّام عبد الحميد تعمل فيها هذه الأفكار المديدة التي أتى عليها في رسالته فإن العقول في أيّامنا قد تنقبض عن التبسط في التفكير ، فاذا فرضنا أن فتنة وقعت في بلدٍ من بلاد العرب، قريب أو بعيد وأراد رجال الحكومة أن ينبّهوا على عواقبها الوخيمة وأن يحثّوا الناس على الألفة ونحوها فان تفكيرهم يقتصر في بياناتهم على أمثال هذه العبارات : المصلحة الوطنية ، الضمير الوطني وغير ذلك من العبارات المألوفة في لغتهم ، أمّا العبارات التي ذكرها عبد الحميد في رسالته وأما الأفكار التي تصوّرها هذه العبارات فنكاد لا نجد لها أثراً واذا وجدنا لها أثراً فما هو مبلغ هذا الأثر ، فهل نقول في بياناتنا في فتنة من الفتن :

« وطفل قد يتّم من أبيه ، ومذلّة قد دخلت عليه ، ونعمة قد زالت عنه ، ووحشةٍ قد أحدثت ضغائن في القلوب قد نشبت ، وشحناء قد ظهرت ، وأوتارٍ قد بقيت ، وعداوة في الأنفس قد استقرّت ، وخوف قد ظهر ، وسبلٍ قد قطعت ، وامرأة قد أرملت ، وصبيّة قد يتّمت ، وبلاد عامرة قد خربت ، وعدد قد نقص ، وبلايا قد عمّت وشملت ، وعدوٌّ قد شمت .. » الى آخر ما جاء في هذه المقطع من الرسالة البليغة.

كلّ ما أحرص على ذكره في هذا المقام أن لكل زمنٍ تفكيراً وأدبا يوضّح هذا التفكير ، وقد تكثر المشاغل في زمنٍ من الأزمان وتتسع آفاق الحياة فيقتضي هذا كله ايجازاً في التعبير ، ولكن هذا الايجاز بعيد عن أن يصوّر فتنة من الفتن في حقيقة صورها وأن يحمل

الناس على تجنّب الفتن بشيء من سحر البيان ، فقد ينتقل الأدب من وجهٍ إلى وجهٍ في اختلاف العصور وقــد يتحول التفكير عن أفقٍ إلى أفقٍ . ولكن من لوازم ما نسميه : التطور ، أن يكون هذا الانتقال وهذا التحوّل أرفع شأناً ممّا كانا عليه في الماضي .

شفيق جبري

نظرة في معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات

للدكتور ا . ل . كليرفيل
نقله الى العربية الاساتذة مرشد خاطر
واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكراكبي

- ٣٩ -

الدكتور حسني سبح

11996 *Sacrum basculé* ١١٩٩٦ عَجْزٌ مُنْقَلِب ، عَجْزٌ هابِط

hiérolisthesis, sacrolisthesis

وأرجح إنزياح العَجُز أو الإنزياح الأمامي لِلْعَجُز

12006 *saignement de nez, épistaxis* ١٢٠٠٦ نَزْفٌ أنفي ، رُعاف

وأرجح إدماء الأنف ، رُعاف

12008 *Salaam (tic de), spasme nutant*

١٢٠٠٨ السَّلام (عَرَّةٌ) تَشَنُّجٌ مائِل

والصحيح السَّلام أو التحية (عَرَّة)، تشنج التَمايُل أو الإنحناء . لأن المقصود ، إتيان المريض بحركات مُكَرَّرة بجذع البدن بما يشبه الانحناء أو التمايل ، وجاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي، اضافة إلى

تشنج السلام أو التحية ، واختلاج السلام [١] هذا
وسبق للجنة ان ترجمت لفظة مائِل بـِ (*oblique*)
(اللفظة ٩٣٨٧)

12010 *Salé, ée*

١٢٠١٠ مَمْلوح ، مُمَلَّح ،
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة
(*salty water*) بماء مِلْح

12022 *salle des contagieux*

١٢٠٢٢ قَاعَة المُصابين بالأمْرَاض السارِيَة
وأرجح قَاعة العَزْل (أو المُعْدِيِن أو ذَوي
العَدْوى)

12023 *salle de dissection*

١٢٠٢٣ قَاعة السَّلخ
وأرجح التَسْليخ (التشريح)

12026 *salle de travail (clinique d'accouchement)*

١٢٠٢٦ قاعة المَخاض (مُسْتَوصف الوِلادة)
وأرجح حُجْرة المَخاض أو غُرْفَته (رَدْهة
الوِلادة) أو التوليد وغرفتهما ، وكما جاء في الترجمة
الانكليزية من المعجم الاصلي [٢] وسبق للجنة أن
ترجمت (*clinique*) بسريريات و (*dispensaire*)
بمستوصَف (اللفظتان ٢٧٥١ و ٤٣١١١)

---

(١) (*salaam nooding spasm, salaam convulsion*)

(٢) (*labour, predelivery room, bath room, labour ward, delivery room*)

١٢٠٢٨٨ داء السَّلمُونِلاّت — 12082 *Salmonellose*

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : سَلْمونة والسَلْمونيات ترجمة لِـ (*salmonelle*)

١٢٠٣٠ اِسْتِئصال النَّفير — 12030 *Salpingectomie*

١٢٠٣١ اِلْتِهاب النَّفير — 12031 *Salpingite*

١٢٠٣٢ تَصْوير النَّفير — 12032 *Salpingographie*

12033 *salpingo- ovarite, tubo-ovarite*

١٢٠٣٣ اِلْتِهاب النَّفير والمَبِيض

انظر التهاب الملحقات *oophoro-salpingite*

١٢٠٣٤ تَنْظير النَّفير — 12034 *salpingoscopie*

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة الالفاظ السابقة كما يلي : قَطْع البوُق اِلْتهاب البوُق ، تَصْوِير البوُق والمَبِيض ، وتَنْظير البوق .

١٢٠٣٧ رقْصي ، قَفْزي — 12037 *Saltatoire*

وأفضل قَفْزي فقط ، لأن اللفظة تستعمل لِوصف أحد انواع داء الرقص (دَاء الرُقَصْ أو الرَقَص القَفْزي *(chorée saltatoire*

١٢٠٤٠ شَافٍ ، مُفيد — 12040 *Salutaire*

وأرجح نافع ومُفيد (للصحة) وسبق للجنة ان ترجمت لفظة (*curatif*) بشافٍ (اللفظة ٣٦٦٥)

12041 *Sanatorium (pour tuberculeux)*

١٢٠٤١ مَصَحّ (لِلْمَسْلولين)

والشائع مَصَحَّة

12044 *sang (injecté, de)*

١٢٠٤٤ بالدَّم (مُحْتَقِن)

وأفضل بالدَّم (مُحْتَقَن) بفتح القاف

12046 *sang entier*

١٢٠٤٦ دَم تامّ ، دَم كامِل

وأفضل الدَّم بكامله

12049 *sang laqué, transparent*

١٢٠٤٩ دَم مُنْحَلّ ، شَفّاف

وأرجح دَم مَذِيق[1] شَفّاف

12050 *sang occulte*

١٢٠٥٠ دَم مُسْتَتِر

وأرجح الدَّم الخَفِي

12051 *sang opaque*

١٢٠٥١ دَم كَثيف (عادي)

وأرجح دَم ظَليل (سوي) وغير شَفّاف ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [2]

12052 *sanglant, te*

١٢٠٥٢ دامٍ

---

(١) في تاج العروس : المَذِيق كأمير اللبَن المَمْزوج بالماء ، وقد مَذَقَه يَمْذُقُه مَذْقاً فاختلطه ، الى أن قال ومَذَقَ الشراب مَزَجَه فاكثر ماءه .

(٢) *(non transparent blood)*

دَامٍ ومُدمّى ومُثير، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [١]

١٢٠٥٣ حِزام ، وَثاق — 1253 *Sangle, lien*

وحِزامة وبِطان ، كما جاء في معجم الألفاظ الزراعية

١٢٠٥٥ نَحِيب — 12055 *Sanglot*

لعل الزَّفر[٢] أفضل ، لأن ماتعنيه اللفظة كما جاء في معجم لاروس الموسوعي : التقلص التشنجي للحجاب الحاجز بتأثير الألم يتلوه خروج الهواء السريع والمصيت من الصدر،وقال أيضاً يترافق الزَفر بالبكاء وكثيرا ما يبقى بعد انتهائه

١٢٠٥٦ مُستَوطِن الدَّم — 12056 *Sanguicole*

وعائِشٌ في الدم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٣]

١٢٠٥٩ مُدَمَّى — 12059 *Sanguinolent, ente*

ودامٍ ، مَلَوّن بالدَّم، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٤]

---

(١) *(bloody, sanguineous, gory)*

(٢) في تاج العروس الزَّفير والزَفر أن يملاء الرَجلُ صَدرَه غماً ثم يزفِر به ، وقيل هو إخراج النَّفَس مع صوت ممدُود .
النَحيب رفعُ الصَوت بالبكاء، كذا بالصحاح وفي المحكم اشد البكاء كالنحيب وهو البكاء بصَوتٍ طَوِيل .

(٣) *(sanguicolous, living in blood)*

(٤) *(sanguinolent, sanguineous, tinged with blood)*

١٢٠٦٦ مُطْعِم ، ذو طَعْمٍ — 12066 *Sapide, savoureux, euse*
وأرجح ذو طَعْم ، طَيِّبٌ المذاق

١٢٠٦٧ صابُونِيَّة ، عِرْق الحلاوة — 12067 *Saponaire*
وعَصْلج ايضاً (وهي التسمية الدارجة في بلاد الشام)

١٢٠٧٠ خَلِيط صابُوني — 12070 *Saponure*
خَليط مَسْحوق الصَّابون ومادة راتنجية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (١)

١٢٠٧١ مُسَبِّب السِّلى (التفسّخ) — 12071 *Saprogène*
وأفضل مُولِّد الفَساد أو مُكوِّنه ، وللسِّلى معنى آخر (٢)

١٢٠٧٢ نَباتٌ مُبْلٍ — 12072 *saprophyte*

١٢٠٧٣ حَيَوانٌ مُبلٍ — 12073 *saprozoïte*
ويعنى في اللفظة الأولى أي نبات (كالجزائيم ــ البكتريا) يعيش على مادة بالية أو مَيتة ، وبالثانية أي حيوان يعيش كذلك (٣) . وقد أقر مجمع اللغة العربية ترجمة (*saprophytic bacteria*) بالبكتريا

---

(١) (*a mixture of soap powder and resinous substance*)

(٢) في لسان العرب : السِّلى الجلدة الرقيقة التي يكون فيها الوَلَد يكون ذلك للناس والخَيل والابل .

(٣) لفظتا (*saprozozoite* , *saprophyte*) في معجم درلَنْد الطبي (*Dorland's Illustrated Medical Dictionary*)

الرِّمَّامة • وأرجح ترجمة اللفظة الأولى بِنَبات البِّلى أو الرِمَّة ، والثانية بحَيَوان الرِمَّـة أو البَلى والفَساد [١] وقد يفهم من رمّام يُصَلِح الرَّمِيمَ

١٢٠٧٤ مُكَوَّرة رِزْمِيَّة — 12074 *Sarcine*

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (*Sarcina, Sarcinae*) بِرَزْمَة (الرِزْميّات)

12079 *sarcophagie, régime exclusivement carné*

١٢٠٧٩ قَرَم" (أكْلُ اللَّحْمِ) حِمْيَة" لَحْمِيَّةصِرفَة وأرجح الإلْحام[٢] إطعامُ اللَّحْمِ ،تَدْبِير الغذاء[٣] باللَّحْمِ وَحْدَه••والمقصود إلزام العليل بأكل اللحم ، وليس للفظة قَرَم أن تَفي بهذا الغرض [٤]

١٢٠٩٠ نُعُوظ" دائِم — 12090 *Satyriasis*

سبقت الملاحظةعلى هذه اللفظة[٥] والصحيح الإنْعلماظ كما اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وجاء في

---

(١) في لسان العرب : الرَمّ اصلاح الشيء الذي فَسَد بَعضُه من نحو حَبْل يَبْلى فتَرمّه أو دارٍ تَرِمُّ شأنها مَرَمَّة ، ورَمُّ الشيءَ إصلاحُه بعد انتشاره .

وَرَمَّ العَظْم وهو يَرِمُّ بالكسر رماً ورَميماً وارَمَّ صارِمَّة اي بَلى والرَّمِيم الخَلَق البالي من كلِّ شيء .

(٢) في لسان العرب : الحَمْتُ القَومَ بالألف اطعمتهم اللحم .

(٣) الصفحة ٥٩٦ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) القَرَم بالتَحريك شدة الشهوة الى اللحم .

(٤) الصفحة ٥٨٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

التعريف : هوس الجماع عند الرجل وسبقت ترجمة (priamisme) بالقساحة والقسوح أي النعوط المستمر (١)

١٢٠٩١ أصلاص كثيرة التوابل — 12091 Sauces relevées
وأفضل مرق متوبل (٢)

١٢٠٩٢ وشيق كبدي — 12092 saucisson au foie
وأفضل مقانق (٣) بالكبد والمقانق البيضاء ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٤)
وسبق للفظة الوشيق ان اقترحتُ استعمالها للحم المقدد (٥)

١٢٠٩٧ مملحة ، ماءُ أمّ — 12097 Saumure, eau mère
ماء أجاج ، ماء ملح شديد (٦)

12104 savon noir, savon vert, mou, de potasse

١٢١٠٤ صابونٌ أسود ، صابونٌ أخضر رِخو ، صابونُ البوتاس
وأفضل صابونٌ طري عوضاً عن رِخو

---

(١) الصفحة ٥٨٣ من المجلد السادس والثلاثين من المجلة .

(٢) في لسان العرب : توبلت القِدرَ جعلت فيه التوابلَ .

(٣) وهي المصران المحشي ، لفظة عامية دارجة في بلاد الشام وتدعى سنجق في القطر المصري وهي لفظة تركية .

(٤) (white sausage)

(٥) الصفحة ٦٢٦ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٦) (brine, salt-water) .

12110 *Scansion* ١٢١١٠ تَلَكُّؤُ الكَلام
وأرجح اللَّفظ المُقَطَّع الذي يمتاز بلفظ الكلمات مُقطَّعة شأن ما يحدث في التصلب اللويحي

12111 *scaphocéphalie* ١٢١١١ رأسٌ زَوْرَقي
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الجُمْجُمَة الزورقية ، وجاء في التعريف : شُذوذٌ في شكل الجُمْجمة يصحبه اِنْغِلاقٌ مُبكِّر للدروز .
وأرجح الرَّأس الزورقي حسب اشتقاق اللفظة من اليونانية .

12114 *scapulaire* ١٢١١٤ كَتِفِيَّة (ضَرْبٌ من الثِّياب)
والصحيح حِزام الكَتِف [1] (من أجل تَثْبيت زِنّار الكَتِف)

12115 *Scarificateur* ١٢١١٥ مِبْزَغَة

12116 *Scarification* ١٢١١٦ تَرْخ

12117 *Scarifications linéairequadrillées*
١٢١١٧ تُرُوخ خَطِّية شَطْرَجَة
وأرجح مِبْزَع [2] كمِشْرَط في اللفظة الاولى، تَرْخ في الثانية ، وتُرُوخ طولانيّة تربيعية في اللفظة الثالثة

---

(١) لفظة (*scapulary*) في معجم درلند
(*Dorland's Illustrated Medical Dictionary*)

(٢) في لسان العرب : البَزْغ والتَبْزيغ التَشْريط وقد بَزَغه واسم الآلة المِبْزَغ .

12120 *Scarlatinoïde*

١٢١٢٠ نظير القِرمِزِيّة
وقِرمِزِياني

12122 *Schistose, maladie des ardoisiers*

١٢١٢٢ دَاءُ الحِجَارَة المُنْفَلِقة ، دَاءُ عَمَلَةِ الْحَجَر المُنفَلِق
وأرجح تَغَبُّر الرئة[1] الحَجَري (أردوازي)، داءُ عَمّال الأردواز أو الحَجَر الألواحي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [2]

12123 *Schistomiase*

١٢١٢٣ دَاءُ مُنْشَقّات الجسم
سبقت الملاحظة على هذه اللفظة [3] وإن مجمع اللغة العربية في القاهرة عرّب لفظة (*schistosoma*) بشتوسوما ، كما انه ترجمها بالشِقّيات في مصطلحات الطب والتشريح

12124 *Schizoïde*

١٢١٢٤ فُصام
فُصاماني أو شِبْه الفُصام ، كما اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

12125 *Schigoidie, constituton schizoïde*

١٢١٢٥ فُصامِيَّة ، بِنْيَة تَفَكُّكية
وأرجح الحَالة الفُصامِيَّة ، والبِنْية الفُصامية

---

(١) الصفحة ٢٢٨ من المجلد الحادي والخمسين من هذه المجلة .

(٢) (*schistosis, pneuneoconiosis in slsate workers*)

(٣) الصفحة ٥٨٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

١٢١٢١٧ مُتَبدِّدُ النَّفْسيِة (مُنجَذِب) **Schizophrène** 12127

والصحيح : مُصاب بالفُصام ، مفصوم

12128 *Schizophasie,, confusion du langage*

١٢١٢٨ لَجْلَجَة ، ارْتباك التَّكلّم

وأفضل اللَّيْغ ، اللَجْلَجة [١]

١٢١٢٩ مُتَبدِّد النفْس ، تقطع النَّفَس *Schizothymie* 12129

وأفضل التأهُّب الفُصامي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [٢]

١٢١٣١ ألم النَسا أو العَصَب الوَرَكي *Sciatique* 12131

وأرجح عِرْق النسا (كما هو شائع والألم الوركي)[٣] وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (*sciatic merve*) بالنَّسا ، وجاء في الشرح : هو في التشريح الحديث العَصَب الوَرَكي وهو عصب يمتد من الورك الى الكَعب

12133 *Scille (bulbe de) oignon marin*

١٢١٣٣ العُنْصُل (بَصَلة)

في معجم الألفاظ الزِراعية للمرحوم الامير مصطفى الشهابي : عُنْصُل ، عُنْصُلان إشقيل ، بَصَل البَرّ ، بَصَلُ الفأر • وجاء في الشرح : كلها في

---

(١) في فقه اللغة للثعالبي : اللَّيَغ ان لا يُبَيِّنَ الكلامَ ، اللجلجة أن يكون فيه عِيٌّ وإدخال بعض الكلام في بعض .

(٢) (*Schizothymia, disposition to schizaphrenia*)

(٣) في فقه اللغة للثعالبي : عِرق النَّسا مَفتوح مَقصور ، وَجَعٌ يمتد من لَدن الوَرِك الى الفَخذ كلها في مكان منها بالطول وربما بلغَ الساقَ والقدمَ ممتداً .

المفردات ، والإسم العلمي من إشقيل المعربة قديماً من اليونانية جنس زهر من الفصيلة الزَنْبقية وبَصَل البحر في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

12135 *Scission, clivage, fissuration*

١٢١٣٥ اِنْشِقاق ، اِنْفِساخ ، اِنْجِزاع
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (*fission*) بانِفلاق

12136 *Scissipare, fissipar*

١٢١٣٦ مَوْلُودٌ بالاِنْشِقاق ، بالاِنْجِزاع

12137 *Scissiparité, fissiparité division scissipare*

١٢١٣٧ وِلادَة بالاِنْشقاق ، بالاِنْجِزاع
وأفضل وَلود بالاِنْشطار بالاِنْشقاق في اللفظة الأولى ، وِلادَة بالاِنْشطار بالاِنْشقاق ، بالاِنْقسام في اللفظة الثانية .

12138 *scissure calcarine* ١٢١٣٨ فُرْجَةٌ مِهْمازِيَّة

12139 *scissure calloso-marginale*

١٢١٣٩ فُرْجَةٌ ثَفَنِيَّة هامِشِيَّة

12140 *scissure interlobaire* ١٢١٤٠ فُرْجَةٌ بين الفُصوص

12141 *scissure perpendiculaire interne*

١٢١٤١ فُرْجَة عَمودِيَّة باطِنَة

12142 *scissure de Rolando* ١٢١٤٢ فُرْجَةٌ رولَنْدو

12143 *scissure de Sylvius* ١٢١٤٣ فُرْجَةٌ سِيلْفيُوس

(١) (*scilla, squill, squillis (bulb of) sea-onion*)

12144 *scissures du cerveau*

١٢١٤٤ فُرْجَاتُ الدِّماغ ، أتلامُ الدِّماغ
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (*fissure*) بشَق وهو الشائع. لذا أرجح ترجمة الألفاظ كمايلي: الشَق المِهْمازي ، الشَق الشَنَني الهامِشي ، الشَق بَيْن الفَصَّين او بَيْن الفَصوص، الشَق العَمودي الباطن ، شَق رولَنْدو ، شَ سِيلوِيوس ، شُقُوق المُخّ أتلامُ المُخّ .

12145 *Sclérème, sclérémie* ١٢١٤٥ تَصَلّبُ الجِلْد
وأقـر مجمـع اللغة العربيـة في القـاهرة ترجمـة (*Scleroderma-Sclerma adultosum*) بالجُسـود وسِكليرود ر ما مُعَرَّبة، وجاء في الشرح: وهو تغير متناظر في الأغشية مُوَلّدَة الهُلام بالغلي وبسبب تصلب الجلد [1] وأرجح تصلب الجلد .

12147 *Sclérodème* ١٢١٤٧ خَزَب مُتَصَلِّب
وأرجح وَذَمَة صُلْبَة [2]

12151 *sclérose cérébrale centrolombaire, maladie de Schilder, encéphalite pernicieuse difuse, encéphalite périaxiale diffuse*

١٢١٥١ تَصَلّبُ دِماغـي مركـزي فصـي ، دَاءُ شِلْدِر ، اِلتِهـابُ الدِمـاغِ الخبيث

---

(١) في لسان العرب : الجاسـد من كل شيء ما اشـتد ويبس. الجَسَدُ والجَسِدُ والجاسِدُ والجَسِيدُ الدَمُ اليابِس .

(٢) الصفحة ١١٤ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة .

المُنْتَشِر، الْتِهاب الدِّماغ حَوْلَ المِحْوَر المُنْتَشِر
وأفضل تَصَلُّب الدِّماغ المَرْكَزي الفَصِّي ، داء شِلْدَر ، الْتِهاب الدِّماغ الوَبِيل[1] المُنْتَشِر ،
الْتِهاب الدِّماغ حَوْلَ المِحْوَر المُنْتَشِر ،
بالاضافة إلى اعْتِلال الدِّماغ تَحتَ القِشْر
المُتَرَقِّي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [2] .

12152 *sclérose latérale amyotrophique, maladie de Charcot*

١٢١٥٣ تَصَلُّب جانِبي ضُمُوري داء شاركو
داء شَرْكُو

12155 *sclérose rénale, rein artérioscléreux,. ntphrite interstitielle*

١٢١٥٥ تَصَلُّب كُلَوي ، كُلْيَة مُتَصَلِّبة الشَرايين ، الْتِهاب الكُلْيَة الخِلالي
أو اللِّيفي
والكُلْيَة الحُبَيْبِيَّة والْتِهاب الكُلْيَة المُزْمِن المُنْتَشِر والكُلْوة المُتَكَمِّشة ، كما جاء في
الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [3] .

---

(١) لِتَخْصيص لفظة خبيث ترجمة لـ (*malin*)

(٢) (*progressive subcortical encephalopathy*)

(٣) *granular, cirrotic kidney, chronic (diffuse interstitial), nephritis, contrated kidney*

12157 *sclerotique, tunique albuginée oculaire*

١٢١٥٧ صُلْبَة (إحدى طَبَقات العَيْن)
وأرجح الصُلْبَة (إحدى طَبَقات العَيْن)

12159 *Scoliose*

١٢١٥٩ زَوَر ، جَنَف
وأفضل جَنَف وحدَها ، لأن لفظة زَوَر شاع استعمالها ترجمة لـِ (*paranoia*) كما ان لها معاني أخرى (١) .

12161 *Scorbut*

١٢١٦١ حَفَر (دَاءُ الحَفْر)
وأقرمجمع اللغة العربية تعريب اللَفْظة باسقربوط ، وأرجح دَاءُ الحَفْر ، والبَثَع (٢)

12164 *Scorsonaire*

١٢١٦٤ قِشْرَة سَوْداء (نَبات)
وفَومِي ، كما جاء في معجم الالفاظ الزراعية

12165 *Scotome*

١٢١٦٥ عُتْمَة
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ظُلْمَة

12166 *scotome scintillant*

١٢١٦٦ عُتْمَة مُتَلألِئَة ، بارِقَة
وأفضل عُتْمَة وامِضَة

12167 *scrofulide, scrofuloderme*

١٢١٦٧ سُلِّيات الجِلْد

---

(١) في لسان العرب : الزَوَرُ عِوَج الزَّور وقيل هو إشرافُ احد جانِبَيْه على الآخِر ، الى ان قال : والزَوَرُ بالتحريك المَيَل وهو مثل الصَّعَر . وعُنُقٌ أزوَر ، والزَوَر البِئْر البَعِدة القَعْر الخ .

(٢) في لسان العرب : بَثِعَتْ لِثَة الرَّجُلِ تَبْثَعُ بثوعاً اذا خرجت وارْتَفَعَتْ حتى كأن بها ورماً .

وأفضل طَفَحٌ خنازيري (١) خَنازيريةٌ الجِلْد ، وقد ترجمت اللَجْنة (*tuberculide*) بسُلِيّات أيضاً (اللفظة ١٣٨٤٠)

١٢١٧٢ دُهْنِي — 12172 *Sébacé, ée*

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (*sebaceous gland*) بالغُدّة الزُهْمِية ، وجاء في الشرح : غُدة تُفرِز مادةً شَحْمِيَّة . وأفضل ترجمة اللجنة (٢) لإلتباسِ الأمر فيها بين رائِحة الدُسُم الطبيعية والرّائِحة النَتِنَة .

١٢١٨٠ ثانويّة الوِلادَة ، ثِنْي — 12180 *Secondipare*

وأرجح ثانَوية الحَمْل أو الحَبَل ،كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٣)

١٢١٨١ غَوْثٌ ، إعانَة — 12181 *Secours*

نَجْدَةٌ ، إسْعاف

للبحث صلة

---

(١) لفظة خَنازيري وخَنازيريّة ترجمة حرفية للفظة الفرنسية من أصل لاتيني وقد وردت في كتب الطب العربية (كفقه اللغة للثعالبي) وهي شائعة الاستعمال وإن كانت تدل على الاصابة السلّيّة فعلاً ، اذ خُصّصَت لِما يُصيب منها العُقَد اللّنفِيّة في الاطفال خاصةً .

(٢) في لسان العرب : الزُهُومة ريحُ لَحْم سَمينٍ مُنْتِنٍ ولَحْمٌ زَهِمٌ ذو زُهومَة . الجوهري الزُهومة بالضم الريح المُنتِنَة والزَهَم بالتحريك مَصدر قولك زَهِمَت يَدي بالكَسْر من الزُهومة فهي زَهِمة اي دَسِمة .

(٣) (*a woman pregnant for the second time*)

تأثير ابن رشد على مرّ العصور

الدكتور محمد كامل عياد

١ ـ في العالم الاسلامي :

قال المستشرق الهولاندي (دي بور) في كتابه القيم : « تاريخ الفلسفة في الاسلام » : « يبدو كأنما قدر لفلسفة المسلمين أن تصل في شخص (ابن رشد) الى فهم (آرسطو) ثم أن تفنى بعد بلوغ هذه الغاية ... فإنه لم يكن لفلسفة (ابن رشد) ولا لشروحه على مذهب (آرسطو) سوى أثر قليل جدا في العالم الاسلامي . »[١]

ابن رشد ومحي الدين بن عربي :

يروي (محيي الدين بن عربي) / ٥٦٠ ـ ٦٣٨ هجرية ١١٦٤ ـ ١٢٤٠ ميلادية / انه شهد جنازة (ابن رشد) الذي توفي في مراكش (سنة ٥٩٥ هـ / ١١٩٨ م) ثم نقلت جثته الى مسقط رأسه قرطبة . ويقول إنه حضر تحميل الجثة على احدى الدواب ورأى كيف وضع التابوت على جانب ووضعت كتب ابن رشد على الجانب الآخر لأجل التوازن .[٢]

إن هذا المشهد المريع يبدو كأنه رمز لفاجعة الفلاسفة المسلمين

---

(١) دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام . ترجمة (أبو ريدة) القاهرة ١٩٣٨ . ص ٢٥٦ ـ ٢٦٨ .

(٢) فرح أنطون ، ابن رشد وفلسفته ، الاسكندرية ١٩٠٣ صفحة ٢٢ .

الذين ظلوا منذ عهد (الكندي) و (الفارابي) و (ابن سينا) و (ابن باجة) و (ابن طفيل) الى (ابن رشد) يناضلون في سبيل التفكير الحر وبناء العلم الآلهي الذي يطمح الى فهم الوجود وادراك الخلود •

ان موت (ابن رشد) كان خاتمة مرحلة مشرقة ازدهرت فيها الفلسفة العقلانية والنزعة العلمية فيحين أن ظهور (محيي الدين بن عربي) في ذلك الوقت بالذات كان ايذانا ببدء مرحلة أخرى سادت فيها الحركة الصوفية والنزعة الدينية ــ التقليدية •

ابن رشد وابن سبعين :

يمكن أن نلاحظ مدى الإهمال الذي أصاب (ابن رشد) في بلاده بعد موته اذا رجعنا الى ما كتبه الفيلسوف والمتصوف الاندلسي (ابن سبعين) / ٦١٤ ــ ٦٦٩ ، ١٢١٧ ــ ١٢٦٩ / الذي عاش أيضا في عهد الموحدين ونفي من البلاد ومات منتحرا في مكة والذي ألّف كتاباً في (أسرار الحكمة المشرقية) وآخر في الموسيقى وبعض الرسائل المتنوعة • وقد جاء في احدى هذه الرسائل قوله : « أما (ابن رشد) فمفتون بآرسطو ، معظّم له ويكاد أن يقلده في المحسوسات والمعقولات • وأعظم تآليفه من كلام (آرسطو) ، إما ينقله أو يلخصه • وهو قصير الباع ، قليل المعرفة ، بليد التصور • غير أنه قليل الفضول ومنصف ، وعالم بعجزه ، ولايعول عليه في اجتهاده لأنه مقلد لآرسطو • » (١)

ان التعصب والتحامل الظاهرين في هذا الكلام يكشفان عن مدى التردي والانحراف في الحياة الفكرية إذ ذاك •

---

(١) *L.Massigno Opera Minora. T.II. Beirut 1963 P.* 509 — 510

ابن رشد وابن خلدون :

يتفق مؤرخو الفلسفة على أن أعظم مفكر عبقري ظهر في العالم الاسلامي بعد (ابن رشد) هو (ابن خلدون) / ٧٣٢ ــ ٨٠٨ ، ١٣٣٢ ــ ١٤٠٦ / الذي خلد تاريخ الفكر البشري اسمه واعتبره المؤسس الحقيقي لفلسفة التاريخ وعلم الاجتماع . ويقول المؤرخ الانكليزي المشهور (توينبي) : « لا شك في أن مقدمة ابن خلدون أعظم عمل من نوعه خلقه أي عقل في أي زمان ومكان » .[1]

ولكن من الغريب أن نرى (ابن خلدون) من جهة يتبع مناهج البحث العلمي ويؤمن بقدرة العقل البشري على ادراك الحقائق المتصلة بالحس والتجربة ويسعى الى الكشف عن قوانين الظواهر الطبيعية وتعليل الحوادث التاريخية والاجتماعية بطريقة عقلانية بينما هو من جهة أخرى يدعو إلى ابطال الفلسفة ويستنكر مزاعم الفلاسفة بأنهم يستطيعون إدراك الموجودات على ما هي عليه بالبراهين العقلية ..

وفي الحقيقة فإن (ابن خلدون) قد اقتبس كثيرا من آراء الفلاسفة المتقدمين عليه ولكنه تأثر في الوقت نفسه بالحركة المعارضة للنزعة العقلية والداعية الى الأخذ بالمبادىء الصوفية والى التمسك بالعقائد الدينية الغيبية . ولا ننسى أن (ابن خلدون) قد عاش في عصر تحول وانتقال وتفكك وأن حياته كانت مضطربة وأحواله متقلبة مع تقلب أحداث زمانه . ولذلك كان هذا التناقض في آرائه .

وعلى كل حال يمكننا التأكيد على أن (ابن خلدون) قد درس في شبابه الفلسفة وأنه ألّف عدة رسائل فلسفية مثل تلخيص (المحصل

---

(١) *A. Toynbee, A study of History III 332*

في أصول الدين) لفخر الدين الرازي وتلخيص (المنطق) لابن رشد • الا أن هذه الرسائل التي أشار اليها صديقه (لسان الدين بن الخطيب) لا نجد لها ذكراً في مقدمة ابن خلدون إما لأنها كانت تافهة في نظره أو لأن موقفه من الفلسفة كان قد تبدل خوفاً من الارهاب الفكري •

والدراسات الحديثة ما زالت تسعى الى الكشف عن مدى تأثر (ابن خلدون) بفلسفة (ابن رشد) وعلى الأخص بنظريته في المعرفة •(١)

« المفاضلة » بين الغزالي وابن رشد :

ظلت الحياة الفكرية والحركة العلمية في البلاد الاسلامية خلال العصور التالية بعد موت (ابن رشد) آخذة في التقهقر والجمود مقتصرة على العناية بجمع المتون والمختصرات والشروح لكتب اللغة والفقه والتصوف • أما الأبحاث العلمية والفلسفية فقد أهملت كليا ••

وعلى الرغم من قيام الدولة العثمانية وازدياد قوتها واتساع فتوحاتها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر لم يتغير هذا الوضع •

كان من المنتظر بعد فتح القسطنطينية أن تتجه أفكار الباحثين الى تراث اليونانيين في الفلسفة والعلوم والاستعانة بتفاسير (ابن رشد) لفهم مؤلفات (آرسطو) ولكننا نستدل من الأخبار أن المؤلفات اليونانية نقلت اذ ذاك الى البلاد الاوروبية وأن النزعة الصوفية والتقاليد الدينية هي التي سادت في البلاد الاسلامية •

---

(١) انظر ابحاث المستشرقة السوفياتية (سفيتلانا باتسييفا) عن « نظريات ابن خلدون » . ترجمة رضوان ابراهيم . منشورات دار المغرب العربي . تونس ١٩٧٤ .

يروي المستشرق الالماني (ماكس هورتن) في مقدمة ترجمته لكتاب (تهافت التهافت) لابن رشد أن السلطان محمد الثاني قد أعلن بعد فتح القسطنطينية عن مسابقة للمفاضلة بين (تهافت الفلاسفة) للغزالي و (تهافت التهافت) لابن رشد [١] ، وأنه قد تقدم الى المباراة (مصلح الدين خواجة زادة) ، الذي أيد آراء الغزالي ونال الجائزة بينما هزم خصمه (الطوسي) الذي استاء من ذلك وعاد الى بلاده فيما وراء النهر .

على أن الأب (موريس بويج) (الذي نشر كتاب ابن رشد مع دراسة علمية وفهارس كاملة) لاحظ بأ نليس هناك في المصادر ما يؤيد هذه الرواية على هذا الشكل القصصي . [٢]

وفي الحقيقة اذا رجعنا الى المصدر الأساسي وهو كتاب (الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية) للعالم التركي المشهور (طاش كوبري زادة) / ٩٠١ ـــ ٩٦٨ ، ١٤٩٥ ـــ ١٥٦١ / نراه يذكر بأن خواجة زادة ألّف بأمر من السلطان محمد الفاتح كتاباً بعنوان (التهافت) . [٣]

وفي مصادر أخرى نجد أن السلطان محمد الفاتح استدعى أيضا العالم علاء الدين علي الطوسي/مات في سمرقند سنة ٨٧٧هـ ـــ ١٤٧٢م/ الى القسطنطينية وعيّنه مدرساً وكان يحضر أحياناً دروسه ثم أمره بأن

---

(١) *Max Horten. Die Hauptlehren des Averroes. Bonn 1913.*

(٢) (تهافت التهافت) لابن رشد ، تحقيق موريس بويج . بيروت ١٩٣٠ . ص *XIX*

(٣) (الشقائق النعمانية) المطبوعة على هامش كتاب (وفيات الاعيان) لابن خلكان . القاهرة سنة ١٢٩٩ . (ص ١٤١/١٥١) .

يكتب في موضوع التهافت فألّف كتـاب (الذخر) أو (الذخيرة في المحاكمة بين الغزالي والحكماء) دون الإشارة الى ابن رشد •

٢ ــ اثر (ابن رشد) في العالم الاوروبي

على العكس من العالم الاسلامي أسرعت البلاد الاوروبية منـذ أوائل القرن الثالث عشر الميلادي إلى اقتباس فلسفة ابن رشد فاندفع الكثيرون إلى ترجمة مؤلفاته وانصرف آخرون إلى دراستها والتعليق عليها سواء كان ذلك لمهاجمتها أو الدفاع عنها •

واذا كان اسم (ابن رشد) كاد أن ينسى في البلاد الاسلامية مدة سبعة قرون فقد ظل صداه يتردد في أوروبا المسيحية حتى أواخر القرن السابع عشر، واذا كان أثره فيالثقافة العربية ــ الاسلامية قد بقي ضئيلا ، بل كاد أن يكون معدوماً ، فإن تأثيره كان قوياً ، نافذاً في تطور الثقافة الغربية والفكر الاوروبي الحديث ••

ترجمة (ابن رشد) الى العبرية :

ترجمت مؤلفات (ابن رشد) في بادىء الأمر الى العبرية من قبل اليهود الذين هاجروا من الأندلس الى جنوبي فرنسا وايطاليا في أواخر القرن الثاني عشر • وقد كان للفيلسوف اليهودي المشهور (موسى بن ميمون) / ١١٣٥ ــ ١٢٠٤ / تأثير كبـير في تشجيع حركة الترجمة هذه • فهو قد نشأ في الأندلس ثم هاجر الى مصر حيث عيّن طبيباً خاصاً بنور الدين بن صلاح الدين الأيوبي • وكان معجباً بمؤلفات (ابن رشد) وظل في رسائله يدعو الكتّاب اليهود الى دراستها وترجمتها • ويدل كتابه (دلالة الحائرين) الذي ألّفه في سنة ١١٩٠ باللغة العربية على أنه كان يتفق مع (ابن رشد) في كثير من القضايا الفلسفية ويحاول مثله التوفيق بين آراء (آرسطو) والعقائد الدينية • وقد ترجم الكتاب الى

العبرية واللاتينية ونال شهرة واسعة وتأثر به كثير من المفكرين من (البرت الكبير) و (توما الآكويني) الى (سبينوزا) •

خصص العلامة الفرنسي (ارنست رينان) في كتابه عن (ابن رشد والرشدية) عدة فصول لاستعراض الكتّاب اليهود الذين اندفعوا بحماسة الى ترجمة مؤلفات ابن رشد ودراستها منذ القرن الثالث عشر حتى الخامس عشر • ولا بد هنا من الإشارة الى أن بعض مؤلفات (ابن رشد) العلمية والفلسفية قد ضاعت نصوصها العربية ، فلم ينتقل الينا منها الا ترجمتها العبرية أو اللاتينية • مثال ذلك كتاب (جوامع سياسة أفلاطون) الذي تولى فيه (ابن رشد) تلخيص آراء (أفلاطون) السياسية والأخلاقية وشرحها والتعليق عليها ثم محاولة تطبيق بعض المبادىء على الأوضاع السائدة في البلاد الاسلامية • في هذا الكتاب يؤيد (ابن رشد) آراء (أفلاطون) في المرأة مثلا فيعترف بأنها لا تختلف عن الرجل في الطبيعة والقوى ، وان كان الرجل يفوقها بالدرجة في بعض الميادين بينما هي تفوقه في ميادين أخرى وبذلك يخالف تماماً (آرسطو) الذي ادعى بأن المرأة بطبيعتها دون الرجل •••

وقد نشر مؤخراً المستشرق (ف• روزنتال) الترجمة العبرية القديمة لهذا الكتاب مع ترجمة انكليزية • (١)

الامبراطور فريدريك الثاني وانتشار كتب ابن رشد :

لدى البحث في تأثير (ابن رشد) في الغرب اللاتيني لا بد من

(١) *Franz Rosenthal, Averroes Commentary on Plato's Republic.* ***Cambridge 1963.***

الوقوف عند الدور الكبير الذي قام به الامبراطور (فريدريك الثاني) في سبيل ترجمة مؤلفات ابن رشد ونشرها .

وصف المؤرخ السويسري المشهور (بوركهاردت Burckhardt) هذا الامبراطور ، الذي كان تلميذاً للعرب ، بأنه أول أوروبي حديث وأنه سبق عصر النهضة في ايطاليا ومهد له بما اقتبسه من مظاهر الحضارة العربية ـ الاسلامية وأنظمتها الادارية والاقتصادية وبما حرص على نقله عن العرب من تراث ثقافي وانتاج علمي وفني ..

نشأ (فريدريك الثاني) / ١١٩٤ ـ ١٢٥٠ / في جزيرة صقلية التي ورث ملكها عن والدته . وعلى الرغم من أن الجزيرة كانت خرجت من أيدي العرب قبل نحو مائة عام من عهده فإن آثار الثقافة العربية ـ الاسلامية كانت لا تزال حية فيها ، وظل الكثيرون من سكانها يعتنقون الديانة الاسلامية ويتكلمون اللغة العربية ويتمسكون بتقاليدهم وعاداتهم . تعلم (فريدريك) منذ الطفولة اللغة العربية وغيرها من اللغات السائدة في الجزيرة مثل العبرية واليونانية بالاضافة الى اللاتينية والالمانية بطبيعة الحال .

يذكر المؤرخون المسلمون أن الامبراطور لما اتفق مع الملك الكامل الايوبي ودخل القدس سلماً وجاء الى زيارة المسجد الاقصى وقبة الصخرة كان رجال حاشيته جميعهم من المسلمين وبينهم أستاذه الصقلي الذي قرأ عليه المنطق [1] ويقول هؤلاء المؤرخون إن الامبراطور (فريدريك الثاني) كان عالماً ، متبحراً في مختلف العلوم وأنه بعث الى الملك الكامل بعدة مسائل في علوم الطبيعة والحكمة فعرضها الملك على

(١) المقريزي ، كتاب السلوك . القاهرة ١٩٣٤ ص ٢٣٢ .

الشيخ علم الدين قيصر المعروف (بتعاسيف) فكتب جوابها . ولعل هذه الاسئلة لا تختلف عن تلك التي أرسلها أيضا الى ملك الموحدين (عبد الواحد الرشيد) فعرضها هذا على الفيلسوف المتصوف (ابن سبعين)، الذي سبق ذكره ، والذي كتب رسالته المعروفة باسم « الأجوبة عن الأسئلة الصقلية » . (١)

يبدو أن أسئلة الامبراطور كانت تدور حول تعاليم (آرسطو) و (ابن رشد) في أزلية المادة وطبيعة النفس وخلود الروح وما شابه ذلك من قضايا فلسفية ودينية بالاضافة الى مسائل علمية مثل تصنيف النباتات وكيفية نمو أجناسها المختلفة وطرائق تلقيحها وتهجينها ، وقد تهرب (ابن سبعين) من اعطاء أجوبة صريحة عن المشاكل الفلسفية والدينية ولجأ الى السخرية وطريقة الجدال وأفاض في شرح تعاليم الفلاسفة المسلمين والمتصوفة بشكل عام وأبدى استعداده لمقابلة الامبراطور شخصياً ومناقشته وارشاده الى الطريق المستقيم . إننا لا نعرف ما اذا كانت هذه الأجوبة قد وصلت الى الامبراطور . ولكن لا شك في أن (فريدريك الثاني) كان يحرص كل الحرص على اكتساب الثقافة العربية ـ الاسلامية ويهتم على الأخص بالعلوم التجريبية من رياضيات وطبيعيات وطب وكيمياء وفلك .

من المعروف أن الامبراطور (فريدريك الثاني) كان على خلاف شديد مع الكنيسة وكان يجاهر بآراء مخالفة للعقائد الدينية . لذلك كان المؤرخون العرب يصفونه بأنه دهري وأنه إنما يتلاعب بالنصرانية . وقد غضب عليه البابا (غريغوريوس التاسع) حتى انه أعلن حرمانه من

(١) م. آماري ، المكتبة العربية ـ الصقلية . تورينو وروما ١٨٨٠ ـ ١٨٨١ . ص ٥٧٣ ـ ٥٧٧ .

الغفران في سنة ١٢٢٧ ثم نشرت الكنيسة بيانات عديدة تتهم فيها الامبراطور بالالحاد والكفر . فقام الامبراطور باصدار بيانات مضادة يكشف فيها فساد رجال الكنيسة وفضائحهم .

يتبين من ذلك أن الامبراطور (فريدريك الثاني) كان في حاجة الى الاستعانة بمؤلفات العلماء والفلاسفة في سبيل مكافحة تعاليم الكنيسة والرد عليها بالبراهين المنطقية والأدلة العلمية .

وقد استدعى (فريدريك الثاني) العالم اليهودي (يعقوب آناتولي) من (مرسيليا) لتدريس اللغة العبرية في جامعة (نابولي) التي أسسها في سنة ١٢٢٤ مستقلة عن الكنيسة . وهناك قام (آناتولي) بترجمة شروح (ابن رشد) الكبيرة . ثم استدعى (فريدريك) عالماً كبيراً آخر هو (ميخائيل سكوت) ، الذي كان ترجم (سنة ١٢١٧) كتاب الافلاك للبطروجي في طليطلة ، فعهد اليه بأن ينقل من العربية الى اللاتينية كتب آرسطو وشروح (ابن رشد) عليها ، مثل شرح كتاب الكون والفساد وكتاب (الآثار العلوية) وكتاب (القوى الطبيعية) وكتاب (عنصر الأجرام السماوية) ثم شرح الطبيعيات وشرح ما بعد الطبيعة .

كذلك كان هناك في بلاط (فريدريك الثاني) مترجم اسمه (هرمان الالماني) نقل الى اللاتينية شروح (ابن رشد) على كتب (آرسطو) في الخطابة والشعر والاخلاق والسياسة .

فلسفة (ابن رشد) في الجامعات الاوروبية :

هكذا انتشرت حوالي منتصف القرن الثالث عشر مؤلفات (ابن رشد) بين الباحثين الاوروبيين وشاعت آراؤه في أوساط المثقفين وتغلغلت فلسفته في الجامعات وبالاخص جامعة (باريس) .

[illegible] كانت أكثر الأساتذة فيها من الذين [illegible] يعتمدون في الدرجة الأولى على [illegible] (ابن رشد) الذي اشتهر باسم الشارح اطلاقاً • وقد امتازت طريقة ابن رشد في الشرح على غيرها لأنه كان يتناول النص بالايضاح فقرة، ويفسر كلام (آرسطو) تفسيراً دقيقاً ويحلل معانيه تحليلاً عميقاً • فكان يضع لهذه الغاية ثلاثة شروح: صغير ومتوسط وكبير • فهو اما يلخص أو يوضح باختصار أو يسهب في التفسير ويستطرد في التعليق • وهذه الطريقة التدريجية ملائمة لحاجات الطلاب ومفيدة في التعليم ولذلك نالت استحسان الجميع [illegible]

وعندما جاء (توما الاكويني) الى باريس في سنة ١٢٥٢ لاحظ أن (الرشدية) تتمتع بنفوذ كبير في الجامعة وتسيطر على عقول الشباب هناك كما في جامعات ايطاليا، فلما عاد الى روما وأخبر البابا (اسكندر الرابع) بذلك أسرع هذا وأوعز الى (البرت الكبير) الذي كان يدرس في جامعة باريس، بأن يؤلف رسالته «وحدة العقل ـ ضد الرشدية» • ثم تولى (توما الاكويني) بنفسه التدريس في جامعة باريس سنة ١٢٦٩ وأخذ يعمل على مكافحة الرشدية فنشر أيضاً كتاباً بعنوان «وحدة العقل أو الرد على الرشديين» إن الحملة العنيفة التي قام بها (البرت الكبير) و (توما الاكويني) تدل على أنهما اطلعا على آراء (ابن رشد) وأدركا خطرها على تعاليم الكنيسة • وتستطيع بالرجوع الى مؤلفاتهما أن نلمس مدى تأثير تلك [illegible] • ولا ننسى أن (توما الاكويني) قد [illegible] في سنة ١٣٢٣ وأن مؤلفاته ظلت المرجع الأساسي للدراسات الفلسفية الدينية في العالم المسيحي حتى هذا اليوم •

(ابن رشد) كما أخذ يتعاون في سبيل مناهضة [illegible] مع أحد
تلاميذه اليه أي (توما الاكويني) .

ولد (توما الاكويني) سنة ١٢٢٥ ودرس في جامعة (نابولي) التي كانت أسسها الامبراطور (فردريك الثاني) وأصبحت أهم مركز للثقافة اليونانية والعربية وقام فيها (ميخائيل سكوت) بترجمة شروح ابن رشد الى اللاتينية . وقد قصد (توما) في سنة ١٢٤٥ جامعة (باريس) ليتلمذ على البرت الكبير ثم انتقل معه الى (كولونيا) وظل في صحبته حتى سنة ١٢٥٢ . وبعد ذلك بدأ بالتدريس في جامعة (باريس) حيناً وفي المعهد البابوي حيناً آخر .

انصرف (توما الاكويني) الى دراسة (ارسطو) ليس حباً في هذا الفيلسوف بل خوفاً من (ابن رشد) الذي كانت شروحه

[illegible] في اسبانيه
1945 P. 453
وفرنسة وايطاليا . وقد أدرك (توما الاكويني) أن مقاومة فلسفة (ابن رشد) لا تتم بحظر تدريسها وتكفير من ينظر فيها ولعنه . واستطاع أن

يقنع رؤساء الكنيسة بأن مذهب (آرسطو) يمكن أن يصبح أساسا للفلسفة المسيحية اذا نقي من الشوائب التي أدخلتها عليه الافلاطونية الحديثة واذا فسر تفسيرا ملائما . وقد ادعى أن (ابن رشد) وأتباعه أساؤوا فهم آراء (آرسطو) وأخطأوا في تفسير أقواله . وأخذ يسعى للحصول على مؤلفات (آرسطو) مترجمة عن اليونانية مباشرة وبدأ يكتب التفاسير والشروح لهـــا . ويلاحــظ الفيلسوف الانكليزي (برتراند رسل) [١] ان دراسة كتاب (آرسطو) في (النفس) مثلا ، تبين لنا ، حسب رأيه ، أن وجهة نظر (ابن رشد) وشرحه أقرب الى الصحة من تفسير (توما الآكويني) .

ومهما كان الأمر فقد درس (توما الآكويني) مؤلفات (ابن رشد) واتبع طريقته في تفسير كتب (آرسطو) وتأثر بتعاليمه ، فكان ، كما قال (رينان) ، [٢] « أكبر تلميــذ وأخطر خصم لابن رشــد في وقت واحدة » . لقد سلك (توما الآكويني) نهج (ابن رشد) في محاولة التوفيق بين الفلسفة والدين واقتبس الكثير من آرائه إلا أنه خالفه في بعض القضايا الهامة مثل نظرية وحدة العقل الانساني والقول بأزليــة العالم واستحالة الخلق من العدم . وعلى الرغم من أن (توما الآكويني) قد هاجم (ابن رشد) وانتقد آراءه الا أنه « ظل يحترمه ويعتبره حكيما « وثنيا » جديرا بالتقدير والرحمة لا مجدفا يستحق اللعنة » . [٣]

انصار (ابن رشد) ــ سيجر دوبرابانت :

فيما كان أتباع الكنيسة يهاجمون فلسفة (ابن رشد) ويتهمونه

(١) B. Russel, *A History of Western Philosophy* New york 1945 P. 453.

(٢) ارنست رينان ، ابن رشد والرشدية ، القاهرة ١٩٥٧ ص (٢٤٨) .

(٣) المصدر نفســه ، ص ٢٥٧

بالالحاد والزندقة قام أنصاره الكثيرون يدافعون عنه ويؤيدون تعاليمه .

وكان الجدال قد احتدم على الاخص في جامعة (باريس) بين خصوم (ابن رشد) بزعامة (توما الآكويني) من جهة وبين مؤيديه بزعامة (سيجر دو برابانت) من جهة أخرى .وقد انبرى (سيجر دو برابانت) للرد على الخصوم في رسالة بعنوان : « ضد ذينك الرجلين المشهورين في الفلسفة : البرت وتوما » فقال ان هذين يفسران الفيلسوف (ويعني آرسطو) تفسيرا خاطئا وإن (ابن رشد) على العكس ، هو الذي جاء بالتفسير الصحيح . [1] وكان (سيجر دو برابانت) يدرس الفلسفة في جامعة باريس من (سنة ١٢٦٦ ــ الى ١٢٧٦) . وهو من أحرار الفكر ، وتدل الاجزاء الباقية من مؤلفاته على أنه كان عالما ، واسع الاطلاع ، يكثر من الاستشهاد بأقوال (الكندي) و (الفارابي) و (ابن سينا) و (ابن باجة) و (ابن رشد) و (ابن ميمون) . وكان يقول ان الآله هو غاية الكون وليس السبب الفاعل وإن العالم أزلي وإن القانون الطبيعي لا يتبدل كما كان ينكر الخلود الفردي ..

روجر بيكون :

نذكر كذلك بين أنصار (ابن رشد) الفيلسوف الانكليزي (روجر بيكون) / ١٢١٤ ــ ١٢٩٢ / الذي يعد من أشهر العلماء في القرون الوسطى ، بل يعتبر الباعث الأول للنهضة العلمية في أوروبا ، إذ سبق سميّه المشهور فرانسيس بيكون / ١٥٦١ ــ ١٦٢٦ / بأكثر من ثلاثة قرون في الدعوة الى الطريقة التجريبية والى اتخاذ الرياضيات أساساً لكل بحث في العلوم الطبيعية . وقد أُبعد (روجر بيكون) من

(١) *De Wulf, History of Medieval philosophy t.II. London* 1925 P. 103.

جامعة (اكسفورد) سنة ١٢٢٥ [illegible] وعاش [illegible] في (باريس) مدة من الزمن [illegible] المراقبة [illegible] ([illegible]) بين الأساتذة الذين اتهمهم أسقف (باريس) بتدريس تعاليم (ابن رشد) الالحادية . [illegible]

[illegible]

وقد زار ايطالية حيث اطلع على بعض المؤلفات الطبية العربية . وكان يطالب بتدريس اللغات العبرية واليونانية والعربية والكلدانية في الجامعات ويدعي لنفسه القدرة على الكتابة باليونانية والعبرية كما يدعي أنه درس العربية [illegible] وهو كثيراً ما يستشهد في مؤلفاته بأقوال (الفارابي) و (ابن سينا) و (ابن رشد) [illegible] وكان يميل إلى نظرية (ابن رشد) في العقل الفعال ووحدة الوجود [illegible] ومن أقواله [illegible] (ابن سينا) [illegible] على فلسفة (أرسطو) [illegible] ولكنه [illegible] شديدة من قبل [illegible] الذي هو أعظم [illegible] مناقضة لا حد لها [illegible] فلسفة (ابن رشد) [illegible] الحكماء بعد أن أهملت ونبذت وأنكرت من قبل أشهر العلماء زمناً طويلا . وترى مذهبه ، الجدير بالاحترام على العموم ، قد قدر شيئا [illegible] كثيراً من النقائص [illegible] (١) وفي مكان [illegible] (ابن رشد) [illegible] المذهب [illegible] أصلح به أقوال [illegible] والواجب أن يكمل [illegible] (٢) [illegible] ١٢٥١ ــ ١٢٦٢ [illegible]

[illegible]

---

(1) Whitt: History of Mediaeval Philosophy V.II. London 1925 P. 103.

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧٥ .

[illegible] الموسيقى [illegible] وابن رشد [illegible]

لا يقتصر تأثير (ابن رشد) في أوروبا على الساحة الفلسفية ، بل يتجلى أيضا في ميادين الطب والعلوم . ويلاحظ (سارتون) في كتابه (المدخل الى تاريخ العلم) أن شهرة (ابن رشد) في عالم الفلسفة كادت أن تحجب منجزاته الطبية ، على أن (ابن رشد) يعتبر في الحقيقة من أكبر الأطباء في عصره[1] ، فقد ألف [illegible] كتابا في الطب بعضها تلخيصات لكتب (جالينوس) وبعضها مصنفات ذاتية ، وقد ترجم أكثرها الى العبرية واللاتينية وأشهرها (كتاب الكليات في الطب) وهو موسوعة طبية في سبع مجلدات ترجمه الى اللاتينية الطبيب (بونا كوزا) من جامعة (بادوا) في سنة ١٢٥٥ وطبع مرات عديدة مضافا اليه كتاب (التيسير في المداواة والتدبير) لابن زهر . ويقول (ابن رشد) في آخر كتاب (الكليات) إنه هو الذي طلب من صديقه (ابن زهر) تأليف كتاب (التيسير) الباحث في الأمور الجزئية[2] [illegible]

وقد ظل كتاب (الكليات) يدرس في الجامعات الاوروبية ولا سيما في جامعة (بادوا) التي أصبحت معقل الرشدية [illegible] في تعليم الفلسفة (ابن رشد) حتى القرن السابع عشر [illegible]

ومما يستحق الذكر أن (ابن رشد) كان أول طبيب [illegible] وظيفة [illegible] أن الإصابة بالجدري [illegible] المناعة ضد هذا المرض [illegible]

كذلك كان (لابن رشد) فضل كبير في [illegible] في

---

(١) G. Sarton, Introduction to the History of Science, Baltimore, t. II. 305.

(٢) ارنست رينان ، (ابن رشد والرشدية) ص [illegible]

(المناظر) و (الفلك) و (الموسيقى) • فإن في شرحه الكبير والمتوسط لكتاب آرسطو (في النفس) أبحاثاً مستفيضة عن الصوت ساعدت على تطوير علم الموسيقى •

وهذا مكتشف أمريكا (كريستوف كولومبوس) يقول في كتاب أرسله من (هايتي) في (اكتوبر ١٤٩٨) إن (ابن رشد) هو أحد المؤلفين الذين جعلوه يتنبأ بوجود عالم جديد • [١]

(ابن رشد) وتطور الفكر الاوروبي :

يتضح من هذا الاستعراض التاريخي أن (ابن رشد) كان له تأثير كبير في تطور الفكر الاوروبي • ويمكن القول إن (ابن رشد) بدفاعه عن الفلسفة ودعوته الى الاعتماد على العقل والتجربة قد مهّد السبيل ، بصورة غير مباشرة ، الى الثورة العلمية الاوروبية في القرنين السادس عشر والسابع عشر • ولا شك في أن الاكتشافات والاختراعات والابحاث الجديدة التي قام بها علماء ومفكرون أمثال (كوبر نيكوس) و (كبلر) و (غاليلي) و (ديكارت) و (سبينوزا) و (لا يبنيز) و (نيوتن) قد أحدثت انقلابا عميقا وشاملا في نظرة الناس الى الكون والحياة •

وبظهور الفلسفة والعلوم الحديثة اختفى اسم (ابن رشد) حتى منتصف القرن التاسع عشر اذ نشطت الدراسات التاريخية في أوروبا وأخذ المستشرقون ينقبون عن التراث العربي ـ الاسلامي •

ابن رشد والمستشرقون :

في سنة ١٨٥٢ أقدم العلاّمة الفرنسي المشهور (ارنست رينان)

(١) المصدر نفسه ص ٣٢٤ .

على نشر كتابه عن (ابن رشد والرشدية) الذي أثار ضجة كبيرة في المحافل العلمية وأعيد طبعه مرات عديدة • وقد اتّبع (رينان) المنهج التاريخي ــ الانتقادي وتوسع في الكلام على مؤلفات (ابن رشد) وتأثير آرائه في المؤيدين والمعارضين بالغرب وركز اهتمامه على مـا امتاز به (ابن رشـد) من حرية الفكر والتسامح ••

وفي سنة ١٨٥٩ نشر الفيلسوف (سلمون مونك) كتابه : « مزيج من الفلسفة اليهودية والعربية » تضمن مباحث ضافية عن (ابن رشد) وتأثيره في الفلسفة اليهودية كما أشار الى اجتهاداته الخاصة الأصيلة والتعديلات التي أدخلها على تعاليم (آرسطو) وأبدى رأياً مشابها لرأي (رينان) في فلسفة (ابن رشد) •

أما المستشرق الالماني (جوزيف موللر) من جامعة (ميونيخ) الذي نشر في السنة نفسها كتابي « فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال » و « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » ثم ترجمهما الى الالمانية في سنة ١٨٧٥ فقد ذهب الى أن (ابن رشد) كان مؤمناً وحريصا على التوفيق بين الفلسفة والدين •

كذلك اعتقد مستشرق الماني آخر هو الفيلسوف (ماكس هورتن)، الذي سبقت الاشارة اليه ، والذي ألّف عدة كتب في الفلسفة الاسلامية وترجم كتاب (تهافت التهافت) الى الالمانية ، فقد قال في مقدمة الكتاب (إن « ابن رشد » مدافع عـن القرآن وعـن العقيدة الاسلاميـة « الارثوذكسية ») ثم أبدى استغرابه من الاسطورة التي جعلت من (ابن رشد) عدوا للدين وزنديقا حر الفكر • وقد عارض رأي (هورتن) هذا ووصفه بالمبالغة كثير من المستشرقين مثل (نالينو) و (غولد تسيهر) و (دي بور) و (لئون غوتييه) •

[illegible] ابن رشد [illegible] فرح أنطون

بعد انتشار كتاب (رينان) وطبع كتاب (تهافت التهافت) لابن رشد (القاهرة سنة ١٨٨٤ و ١٩٠١) أقدم الفيلسوف (فرح أنطون) على كتابه سلسلة مقالات عن ابن رشد في مجلته (الجامعة) بالاسكندرية (سنة ١٩٠٣) ثم جمعها مع ردود الشيخ محمد عبده ونشرها في كتاب بعنوان (ابن رشد وفلسفته) . ويبدو [illegible] أن (فرح أنطون) قد تأثر بآراء (رينان) [illegible] مثله التي [illegible] النزعة العقلانية [illegible] لدى (ابن رشد) [illegible]

٣ ـ إحياء تراث (ابن رشد) في العصر الحاضر

في هذا الوقت تابع المستشرقون اهتمامهم بنشر مؤلفات (ابن رشد) وتحقيقها وبدراسة فلسفته وتقييمها . وفي مقدمة هؤلاء الباحثين يأتي (ليون غوتييه) ، الذي كان أستاذ تاريخ الفلسفة الاسلامية في كلية الآداب بالجزائر ، فترجم كتاب « فصل المقال » الى الفرنسية واتخذ موضوعا لأطروحته في جامعة باريس سنة ١٩٠٩ « نظرية ابن رشد حول علاقات الدين بالفلسفة » ثم أصدر في سنة ١٩٤٨ ، ضمن سلسلة (الفلاسفة الكبار) كتابه (ابن رشد) الذي استقصى فيه آراء الفيلسوف الدينية والعلمية والفلسفية . وقد ذهب الى أن نظرية (ابن رشد) في التوفيق بين الدين والفلسفة تمتاز بالأصالة والابتكار وأنها قد استطاعت لأول مرة في تاريخ الفكر البشري أن تشيد على أساس عقلاني مذهبا فلسفيا كاملا نظريا وعمليا في وقت واحد . ثم انتهى الى القول بأن ابن رشد كان فيلسوفا عقلانيا بأدق ما في هذه الكلمة من معنى ولكنه كان مع ذلك مفكرا توفيقيا واسع الآفاق [illegible] على طريقته الخاصة ، حريصا كل الحرص [illegible] في (كل طبقة) من

[illegible] ظاهر
[illegible]
[illegible]
[illegible]
له الطريق بمؤلفاتهم فكان أوسع اطلاعا من (الكندي) و (الفارابي) و (ابن باجة) ، وأقوى منطقا وأكثر اتزانا من (ابن سينا) • » [1]

وقد صدرت في المدة الأخيرة في العالم العربي مؤلفات عديدة عن فلسفة (ابن رشد) ضمن الحركة الجديدة لإحياء التراث العربي — الاسلامي ، إلا أنها ما زالت في الغالب تعتمد على دراسات المستشرقين •

ويلاحظ أن الدراسات الحديثة عن (ابن رشد) تعنى قبل كل شيء بالناحية التاريخية — الانتقادية فتبحث عن العصر الذي نشأ فيه وعن مدى تأثّره بأسلافه وتستعرض آراءه التي تعكس أوضاع مجتمعه ثم تحاول هذه الدراسات تقييم فلسفة (ابن رشد) في اطار نظرة تراثية تربط الحاضر بالماضي وتسعى الى ابراز العناصر الحية ، الخصبة ، القابلة للتطور من تعاليمه • وهذه العناصر تختلف بطبيعة الحال حسب وجهة نظر الباحثين فنرى بعضهم يؤكد على النواحي الدينية وآخرين يهتمون بالنزعة العقلانية والاتجــاه التحرري وغيرهم يبرزون العناصر الماديــة والالحادية ••

والأبحاث الكثيرة التي نشرت حديثا في البلاد الاشتراكية عن (ابن رشد) تكشف عن أهمية هذه العناصر المادية في فلسفته التي تمتاز حقاً باتجاهها الواقعي وصبغتها العلمية ونزعتها التحررية •

---

(١) *Leon Cautier, ibn Rochd Paris 1948.*

وفي الختام يجدر بالباحثين العرب أن يزيدوا من عنايتهم بمؤلفات (ابن رشد) ، التي لم ينشر منها حتى الآن إلا القليل ، وأن يقوموا بتحقيقها ووضع فهارس كاملة لها ثم أن يتعمقوا في دراستها وشرحها لبيان مكانتها وتأثيرها في تطور الفكر البشري وللاستفادة منها في بناء فلسفة عربية جديدة .

وقفة
مع
ديوان بشار بن برد

الدكتور شاكر الفحام

١٧٠ ــ قال بشار يرثي صديقين له (٣ : ١٥٥) :

قد كنتُ أرجو مع الراجي إيابهما   حتى أقاما على رغمي بمخلود

كتب « بمخلود » بالخاء المعجمة تليها اللام ، والصواب « بملحود » باللام تليها الحاء المهملة . قال في اللسان : « اللحد : الشق الذي يكون في جانب القبر ، موضع الميت ، لأنه قد أُميل عن وسط الى جانبه .... والملحود : كاللحد ، صفة غالبة . قال :

حتى أغيَّبَ في أثناءِ ملْحودِ »

وقال في الأساس : « وقبروه في لحد وملحود » .

١٧١ ــ وقال في التعالي بنفسه وهجاء أعدائه (٣ : ١٥٧) :

لا تحسبنّي كمن تجري مدامعه   من الوعيد مع الحور الرعاديد

كتب « الحور » بالحاء المهملة ، وفسرها الشارح بالنسوة . وصحتها « الخور » بالخاء المعجمة ، قال في اللسان : « والخَوَرُ ، بالتحريك : الضعف ... ورجل خوّارٌ : ضعيف . ورمحٌ خوّار ، وسهمٌ خوّار .

● القسم الاخير من المقال ، وقد نشرت الاقسام الثلاثة السابقة في مجلة المجمع (مج ٥٣ ج ٢ ، ٣ ، ٤) .

وكل ما ضعف فقد خار .... قال ابن بري : وشاهدُ الخُور جمع خوّار قول الطرمّاح :

أنا ابن حماة المجد من آل مالكٍ ، إذا جعلت خُورُ الرجالِ تهيعُ »

١٧٢ ــ وقال بشار في محبوبته رحمة (٣ : ١٦١ ــ ١٦٢) :

وقلتُ لمــا رأيت الحب يتبعني ... وأنت في راحةٍ من همّي الساري

. . . .

لولا هواكِ لما أبت نفسي مقاعيها ... من كل مخطوطة المتنين معطار

. . . .

كأنني بكِ إذ تمشين راضيةً ... أمشي على جمرةٍ أو حد منشار

ورد في البيت الأول : « يتبعني » بتقديم الباء الموحدة على العين المهملة ، والصواب « يتعبني » بتقديم العين المهملة على الموحدة ، فالشاعر متعب ، ومحبوبته في راحة . وورد في البيت الثاني : « أبت » ، بالباء الموحدة ، و « مخطوطة » بالخاء المعجمة ، والصواب : « أتت » ، بالتاء المثناة من فوق ، فقد ... وأطايبها ، و « محطوطة » بالحاء المهملة . قال في اللسان : « وجارية محطوطة المتنين : ممدودتهما . وقال الأزهري : ممدودة حسنة مستويه . قال النابغة ...

محطوطة المتنين غير مفاضة ... ريّا الروادف بضّة المتجرّد

وأنشد الجوهري للقطامي :

بيضاء محطوطة المتنين بهكنة ... ريا الروادف ، لم تمغل بأولاد

وألية محطوطة : لا مأكمة لها » وورد في البيت الثالث

كأنني بكِ ، . . . . أمشي على جمرةٍ ، . . . . . .

والأبيات على هذه الرواية يجافي النحو وقواعد العربية ، فلا ترابط بين كأنه وما بعدها . وقد ورد له رواية في كتاب سرقات أبي نواس (ص ١٤) تقبلها العربية ...

كأنني يوم لا تنسيني ماضية . « كأنني على جمرة » ... فكان ما ورد في ديوان بشار محرفاً عن : « كأنني حين لا تنسين راضية » .

١٧٣ ــ وقال بشار يتحدث عن فؤاده (٣ : ١٦٦) :

وكفاك من عجب تجنب رشده وطلابه ما تهوى ، وأنت بصير

ضبط « تهوى » بتاء المضارعة الفوقية ، وصوابه : « يهوى » بالياء التحتية ، فقلب الشاعر يطلب ما يهوى ، ويعصي صاحبه .

• •

١٧٤ ــ وقال في مدح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي ولي العراق سنة ١٢٦ هـ (٣ : ١٧٢) :

لاح الهوى ، واستنار العدل والبصر فازدادت الشمس ضوءاً واستوى القمر

كتب « الهوى » بالواو ، والصواب « الهدى » بالدال المهملة .

...

هن الثلاث اللواتي لو نفحت بها أبناء عاد على علاتهم دمروا

قامت بهن المنايا في مشاربها فالحمض يأخذنا والقتل والبعر

ضبط « دمروا » في البيت الأول ... والصحيح بناؤها للمعلوم ... قال في القاموس ...

ونصر وضرب : بقي زمانا » . وضبط « دمروا » في البيت الثاني من باب ضرب ، والذي ذكرته كتب اللغة أنه من باب نصر . قال في اللسان : « دمر القومُ يدمُرون دمارا : هلكوا » وقال في التاج : « دمر ، كنصر : هلك » . وضبط « مشاربها » في البيت الثالث مضافة الى ضمير الغائبة . وصوابها « مشاربنا » ، مضافة الى ضمير المتكلمين .

١٧٦ ــ وقال في مديح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (٣ : ١٧٥ ــ ١٧٦) :

لا يحقب القطر الا فاض نائله ولا تزلزل إلا خلته يقرُ

. . . .

شقَّ المغيثَ لنا نعطى غواربه من البطائح،فيها الغارُ والعُشَرُ

ضبط « القطر » في البيت الاول منصوبا ، ولعله من خطأ الطبع ، والصواب رفعه لأنه فاعل يحقب . قال في القاموس : « وحِقبَ ، كفرح ، المطرُ وغيرهُ : احتبس » . وروى « نعطى » في البيت الثاني ، بنون وعين وطاء مهملتين ، والصواب : « تطغى غواربهُ » بمثناة فوقية وطاء مهملة وغين معجمة . فالشاعر يصف المغيث الذي شقه عبد الله بن عمر بغزارة المياه ، قد ارتفعت أمواجه ، وتدفقت تحمل معها الغار والعشر . وقول بشار : « تطغى غواربه » يعدل قول الأخطل : « جاشت غواربهُ » في كلمته التي مدح بها عبد الملك بن مروان :

وما الفراتُ اذا جاشت غواربهُ في حافتيه وفي أوساطه العشرُ

١٧٧ ــ جاء في قصيدة بشار التي قالها في مديح عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (٣ : ١٧٢ ــ ١٧٨) أربعة أبيات ورد شبيه لها في مقطوعة للفرزدق يمدح بها الحجاج بن يوسف الثقفي .

أ ــ قال بشار في مديح عبد الله :

ضمٌّ العراق وقد هزت دعائمه صماء عميــاء لا تبقي ولا تذرُ
شهم اللقــاء حليم عند قدرته سيان معروفه في الناس والمطرُ
هو الشهاب الذي يكوي العدو به والمشرفيُّ الذي تعصى به مضرُ
لا يرهب الموت ان النفس باسلة والرأي مجتمع والدين منتشرُ

ب ــ وقال الفرزدق في مديح الحجاج (الديوان ٢ : ٤٣٥) :

ان ابن يوسف محمود خلائقه سيان معروفه في الناس ِ والمطرُ
هو الشهاب الذي يرمي العدوَّ به والمشرفيُّ الذي تعصى به مضرُ
لا يرهب الموت ان النفس باسلة والرأي مجتمع والجود منتشرُ
أحيا العراق وقــد ثلت دعائمه عمياء صماء لا تبقي ولا تذرُ

١٧٨ ــ وقال بشار في مطلع أرجوزته التي مدح بها يزيد بن حاتم (٣ : ١٧٨ ــ ١٧٩) :

يا ابني جلا ، هــل بكما تنكــيرُ
ســيرا ، فــان البكــر التســييرُ

روي « تنكــير » بالنون ، في البيت الأول • ولعلهــا : « تبكــير » بالبــاء الموحدة • فالشاعر يحثُّ صاحبيه عــلى الإبكار • وروي : « التسيير » بالسين المهملة يليها ياءان ، ويبدو لي أنها : « التيسير » بسين مهملة بين الياءين ، فهو يرى أن التيسير والتسهيل يكونان في التبكير ، وهو يستوحي في ذلك الأثر : « بورك لأمتي في بكورها » (فيض القدير ٣ : ٢٠٨) • وقد ردد بشار قريباً من هذا المعنى بقوله : (٣ : ٢٠٣ ، الأغاني ٣ : ١٩٠) :

بكّرا صاحبيَّ قبل الهجــير إن ذاك النجــاح في التّبكير ِ

١٧٩ ـ وقال يتحدث عن أيامه الحلوة التي قضاها مع محبوبته سلمى قبل أن يفرق بينهما الدهر (٣ : ١٨١) :

لقد غبينا والدواهي عورُ
والدهر لا تشعبه الدهورُ
اذ نحن في غيّ الصبا تظير
واذ سليما سجن محصورُ

روى في البيت الأول : « غبينا » بالباء الموحدة ، ولا محل لها في الكلام ، وصحتها : « غنينا » بالنون بدل الباء الموحدة . قال في القاموس : « غني كرضي : أقام وعاش » وقال في اللسان : « وغنيَ به : أي عاش . وغنيَ القومُ بالدار : أقاموا . وغنيَ بالمكان : أقام ... قال الله عز وجل : (كأن لم يغنَوْا فيها) « سورة الأعراف ، آ : ٩٢ ، سورة هود ، آ : ٦٨ ، ٩٥ » أي : لم يقيموا فيها ... وقال الليث : يقال للشيء اذا فني : كأن لم يغنَ بالأمس : أي كأن لم يكن » . وقال ذو الإصبع العَدْوانيّ (المفضليات ١ : ١٥٩ ـ ١٦٠) :

فإن يكن حبّها أمسى لنا شَجَنًا وأصبح الوأيُ منها لا يؤاتيني
فقد غنينا وشملُ الدهر يجمعنا أطيعُ ريّا وريّا لا تُعاصيني

وروي في البيت الثالث : « تظير » بالظاء المعجمة ، وصوابها : « نطير » بالطاء المهملة . وكتب في البيت الرابع : « سليما » وصواب املائها : « سليمى » .

١٨٠ ـ وقال في صفة نوق تقطع فلاة (٣ : ١٨٦ ـ ١٨٨) :

ومصغيـاتٍ وقعُهـا تقـديرُ

قُـودٍ ، براهـا النصُّ والتسييرُ

قـد شفَّهـا التأويب والتهجيرُ

والوخـد حـين اخترق الهجيرُ

. . . .

في محـدب ليـس بـه حـذفورُ

. . . .

خـالي المحـوى يحتـويه القورُ

. . . .

يجبن بيـداً ، جونهـا تغـريرُ

. . . .

حتى انتهت والمـخُّ منهـا زيـرُ

جاء في البيت الثالث : « قد شفَّها » ، ونظـم البيت يوحي أن تكون : « وشفَّها » بواو العطف بدل قد ، فتعطف جملة « شفَّها » على « براها » في البيت السابق .

وورد في البيت الرابع : « اخترق » بالخاء المعجمة ، وصوابها : « احترق » بالحاء المهملة ، ولعلها من تصحيف الطبع .

وجاء في البيت الخامس : « في محدب » بالحاء المهملة ، وصوابها : « مجدب » ، فالشاعر يصف الصحراء المجدبة التي قطعها الى ممدوحه . وورد : « حذفور » بالحاء المهملة والفاء ، وصوابها : « جذمور » بالجيم والميم ، وكانت الكلمة في أصل الديوان : « حذمور » وهي أقرب إلى

الصحة . قال في اللسان: «أجدبت الأرضُ فهي مجدبة» ، « الجُذْمور: بقية كل شيء مقطوع » .

وورد في البيت السادس « يحتويه القور » بالحاء المهملة والقاف ، وصوابه : « يجتويه الفور » بالجيم والفاء . قال في اللسان : « اجتواه : كرهه » ، « والفور ، بالضم : الظباءُ ، لا واحد لها من لفظها » .

وورد في البيت السابع : « جونها » بالنون ، والصواب : « جَوْبُها » بالباء الموحدة . قال في اللسان : « وجابَ المفازةَ والظلمةَ جَوْباً ، واجتابها : قطعها . وجاب البلادَ يجوبها جَوْباً : قطعها سيراً » والتغرير : حمل النفس على الخطر ، وتعريضها للهلكة .

وورد في البيت الثامن : « زير » بالزاي في أوله ، وصحته : «رير» براءين بينهما ياء مثناة تحتية . قال في اللسان : « مخٌّ رارٌ ورَيْرٌ ورِيرٌ : ذائب فاسد من الهزال ... وأرار اللهُ مخّه : أي جعله رقيقا » وقال المبرّد (الفاضل : ٤٥) : « والرار والرير : المخ الرقيق الذائب » وقال (الكامل ١ : ٥٧) في تفسير قولهم : أو كنت مخاً كنت مخاً ريرا ، : « الرير : المخ الرقيق ، يقال : مخٌّ ريرٌ ورارٌ ، في معنى واحد » . وفي كامل ابن الأثير (٣ : ٢٢٧) : « وأصبح مخُّ الكلابيّ رارا » . وقال المرزوقي في شرح قول الشماطيط الغطفاني (شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٢٩١) :

أرار اللهُ مخَّكِ في السُّلامَى الى مَن بالحنين تشوّقينا

« قوله : أرار الله : يخاطب ناقته ووجدها تحنُّ فقال داعياً عليها : جعل اللهُ مخّكِ ريرا . والرير : الرقيق من المخ » . فوضح

مراد الشاعر الذي سلك قفراً مجدباً لا نبات فيه ولا بقايا نبات ... خالياً لا ساكن فيه ، ولا أنيس ، قد كرهته الظباء وعافته الوحش ، فجسر عليه الشاعر ، وقطعه ، متعرضاً للهلكة ، لا يبالي ما نال ابله من هزال .

١٨١ ــ وقال في مديح يزيد بن حاتم يصف له ما يعانيه من قلة (٣ : ١٩٠) :

لا تنسني ، وأنت لـي ذكـــورُ
حتى بــــدا في رأسي القتـــيرُ
وعصبت في همّهـــا قـــدورُ
وصبيـــة أكبرهـــم صغـــيرُ
إليـــك من خـــوف البـــلايا مُورُ

ورد في البيت الثاني « حتى » ، وسياق المعنى يقتضي أن تكـون : « حين » ، فهو يريد من ممدوحه ألا ينساه حين كبر ، ولاح في رأسه الشيب . (القتير : الشيب ــ لسان العرب) . وتحريف « حين » بخط الناسخ الى « حتى » معهودٌ في نسخة الديوان ، وقد نبّه اليه الشارح وأصلحه في موضعين (٢ : ١٠٦ ، ٣ : ٢٩) ، ووقع مثل هذا التحريف في قول بشار أيضا يهجو الباهلي (٣ : ٢٦١) :

أتروي عليَّ الشعر حتى تخبأت كلابُ العدا مني ورحت أوقَّرُ

وكان الصواب : « حين تخبأت » . فبشار في معرض الفخار بنفسه ، فهو يُزهى بشعره ، ويعتدُّ بسكاته ، ويثبت قدرته وقوته ، وما أنزله بالشعراء الذين تعرضوا له : أفحمهم ، وأرهبهم فتواروا منه . ويندّد بالباهلي الذي يروي عليه قصائد أعدائه ، ويخطّئه إذ تعرض له وهو في عنفوان قوته ، وذروة مجده . وهو هو معناه في قوله (٣ : ٢٦٢) :

أحين هرّت كلاب الحيّ من حرسي واحمرّ من مهج الأجواف تصديري

وورد في البيت الثالث « قدور » بالدال المهملة ، والمعروف في أسماء النساء « قذور » بالذال المعجمة ، قال في تاج العروس : « والقذور من النساء : المتنحية من الرجال ، والمتنزهة عن الأقذار » ... وقذورُ : اسم امرأة ، وأنشد أبو زياد :

واني لأكنو عن قذور بغيرها وأعرب أحياناً بها فأصارحُ »

وقد جاء الاسم على الوجه الصحيح في قول بشار (٣ : ٢٠٥) :

إن في ندوة الملوك لشغلاً عن ربابٍ وزينب وقَذورِ

وورد في البيت الخامس : « مور » بالميم ، وهو تحريف ، والصواب : « صور » بالصاد المهملة . قال في اللسان : « والصَّوَرُ ، بالتحريك : الميل ... صوِرَ يصوَرُ صَوَراً ، وهو أصور : مال . قال :

الله يعلم أنّا في تَلفُّتنا يوم الفراق الى أحبابنا صُورَ

وفي حديث عكرمة : حَمَلَةُ العرش كلهم صُورٌ . وهو جمع أصور ، وهو المائل العنق لثقل حمله ... والرجلُ يصور عنقَه إلى الشيء : اذا مال نحوه بعنقه ، والنعت : أصور » . وقال العجاج :

خُزرٍ بألبابٍ إليّ صورِ

وقال سلم الخاسر في مديح يحيى بن خالد البرمكي (طبقات ابن المعتز : ١٠٢) :

وما نزغتك للدنيا هناتٌ إليها أعينُ الوزراء صُورُ

واظر ما سبق لنا في كلمة « صور » برقم ١٦٣ .

١٨٢ ــ وقال بشار في صفة جبل تسرح فيه النحل (٣ : ٢٠٨) :

تسرح الدَّبْر في جناه ويأوي   في نعاف محفوفةٍ بالوعورِ

والبيت بهذه الرواية قد أصابه التحريف . ولعل صحته :

تسرح الدَّبْرُ في جناه ، وتأري   في لصابٍ محفوفةٍ بالوعورِ

وبذا يتضح مراد الشاعر وما رمى إليه من الغرابة ... إنه يصف النحل متنقلة بين أزاهير الجبل ، تمتص رحيقها ، ثم تمضي الى شقوق صعبة ممتنعة قد حفت بالوعور فتعمل فيها العسل . قال في اللسان : « الدَّبْرُ ، بالفتح : النحل والزنابير » ، « الأريُ : العسلُ .... وقد أرت النحلُ تأري أرياً ... : عملت العسلَ » ، « واللصبُ : شقٌ في الجبل ، أضيق من اللهب ، وأوسع من الشعب ... وكل مضيق في الجبل فهو لصب ، والجمع لصاب ولصوب » . والنحل تعسّل في اللصاب واللهاب . وقد أفاض شعراء هذيل في وصف النحل والعسل ، وكأن بشاراً يوجز في بيته ما أفاضوا فيه ويلخص ما بسطوه . (أنظر ديوان الهذليين ١ : ٧٥ ــ ٧٦ ، ١٧٧ ــ ١٧٨) .

١٨٣ ــ وقال بشار يصف نشاط ناقته (٣ : ٢١١) :

فإذا صوّت الصدى أو دعا الأخ   بلُ طارت كالخاضب المذعور

جاءت (الأخبل) بباء موحدة ، وأطال الشارح دون جدوى . والصحيح أنها : «الأخيل» بياء مثناة تحتية . قال في اللسان: « والأخيل: طائر أخضر ، وعلى جناحيه لمعة تخالف لونه ، سُمّي بذلك للخيلان » . وطريق بشار طريق العرب في وصف نشاط الناقة وتمدح سرعتها . سلكه النابغة والشماخ والحطيئة وأضرابهم . وعاد اليه بشار غير مرة . يقول بشار (٣ : ٣٣) :

فأصبحتُ أثني غَرْب روعاء أوحشت بها جنة من طائر حين غردا

ويقول (٣ : ٧٨) :

تروَّعُ من صوت الحمامة بالضحى وبالليل تنجو من غناء الجداجد

وقال الحطيئة (د : ٢٤) :

وكادت على الأطواء أطواء ضارج تساقطني والرحلَ من صوت هدهدِ

وقال الشماخ (د : ٧٠) :

كادت تساقطني والرحلَ إذ نطقت حمامة فدعت ساقاً على ساقِ

١٨٤ ـــ وقال بشار في صفة السحاب تتلعب به الرياح (٣:٢١٢) :

أعقبته القبولُ روقاً من الأر نب حتى حبا حبوَّ الأمير

جاء : (الارنب) بالراء والنون ، وصوابها : « الأزيب » بالزاي والياء المثناة التحتية . فالقبول من الرياح : الصَّبا (لسان العرب) ، والأزيب : الجنوب . قال ابن سيده في المخصص (٩ : ٨٥) : « ومن أسماء الجنوب : الأزيب . قال ابن جني : ذلك بلغة هذيل ، وهي في سائر لغة العرب النشاط ، وهي أفعل : اسم . ولم يذكر صاحب الكتاب (سيبويه) هذا البناء ، ولا تكون الهمزة أصلاً ، لأنه ليس في الكلام : فَعْيل ، فأما ضَهْيد ، اسم موضع ، فمصنوع » . وجاء في كتاب الحيوان للجاحظ (٧ : ٢٤٧) : « وقال بشار في التعاقب :

أعقبته الجنوبُ روقاً من الأز يب ، » .

والقبول الواردة في الديوان أصوب من الجنوب في الحيوان . وقال ساعدة بن جؤية الهذلي (ديوان الهذليين ١ : ١٩٠) :

واستدبروهم يكفئون عروجَهم　　مور الجهام إذا زفته الأزيبُ

قـال شارح ديوان الهذليين (١ : ١٩١) : « والأزيبُ : الجنوب ، وهي النعامى أيضا . قال أبو العباس : النعامى : ريح تهب بين الجنوب والشمال » .

١٨٥ ـ وقال في الاشادة بأسرة قتيبة بن مسلم الباهلي (٣:٢١٦) :

لعبوا في الحروب حتى استكانت　　ثم راحوا في المسك أو في العبيرِ

ضبط (لعبوا) بالعين المهملة ، ولا موضع لهـا في البيت . والصواب : « لغبوا » بالغين المعجمة . قال في اللسان: « اللـُغـُوبُ : التعب والإعياء . لـَغـَب ... أعيا أشد الاعياء ... وفي التنزيل العزيز : (وما مسَّنا من لـُغوب) « سورة ق ، آ : ٣٨ » ، ومنه قيل : فلان ساغب لاغب : أي مـُعـْيٍ » . وقال أبو العيال الهذلي (ديوان الهذليين ٢ : ٢٤٩) :

تـرى فرسانَهـم يـُرْدُو　　ن إرداءً اذا لـَغـَبـُوا

وقال الشارح : « لغـَبوا : فتروا » . وعلى هـذا يلتئم معنى بشار : لقد باشروا الحروب ولاقوا الصعاب ، وتعبوا في مقارعة الخطوب حتى هدأت الفتن ، واستكانت الثورات ، فحق لهم أن ينعموا ، وأن يروحوا ينفح عبق المسك من أردانهم .

١٨٦ ـ وقال في صفة ممدوحه سلم بن قتيبة (٣ : ٢١٦) :

مـُسلميٌّ تنجاب عن وجهه الحر　　بُ نصيراً كالهبرزيِّ النصيرِ

كتب : « نصيراً كالهبرزي النصير » بالصاد المهملة . ولعـل الصواب أن تكون : « نضيراً كالهبرزيِّ النضير » بالضاد المعجمة . قـال في اللسان : « ورجلٌ هبرزيٌّ : جميل وسيم ، وقيل : نافذ ... وكلُّ جميلٍ وسيمٍ عند العرب هبرزيٌّ ... قال ابن الأعرابي : الهبرزيُّ :

الدينار الجديد ... والذهب الخالص وهو الابريز » ، « النَّضْرةُ : النعمة ... وقيل : الحسن والرونق . وقد نَضَر الشجرُ والورقُ والوجهُ واللون ، وكل شيء ... فهو ناضر ونضير ونضِر : أي حسن ... وفي الحديث : نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ... يروى بالتخفيف والتشديد (أي نَضَر ونَضَّر) من النضارة ، وهي في الأصل : حسن الوجه والبريق ... والنضير والنضار والأنضر : اسم الذهب والفضة ، وقد غلب على الذهب » . ان ممدوح بشار يخوض المعارك ، فاذا ما انشقت وتكشفت تجلَّى وجهه وضَّاحاً يبرق بريق الدينار المتألق . وهو معنى ردده بشار ، فقال في مديح عقبة بن سَلْم (١ : ١١٠) :

مالكيٌّ تنشقُّ عن وجهه الحر بُ كما انشقت الدجا عن ضياءِ

وتشبيه الوجه المشرق بالدينار المتألق مألوف في الشعر العربي . قال الشاعر الحماسي :

كأن دنانيراً على قسماتهم وإن كان قد شفَّ الوجوهَ لقاءُ

ويقول المرزوقي في تفسيره (شرح ديوان الحماسة ٣ : ١٤٥٨) : « وقوله : كأن دنانيراً على قسماتهم ، القسمات : الوجوه ... والمعنى : ان وجوههم تُشرق في الحرب وتضيء ، اذا صارت وجوه غيرهم مشفوفةً متغيرة » . وقال مرقّش الأكبر في صفة النساء (المفضليات ٢ : ٣٨) :

النشرُ مسكٌ ، والوجوهُ دنا نيرُ ، وأطرافُ الأكفِّ عَنَمْ

١٨٧ ــ وقال بشار يصف شجاعة سلم بن قتيبة (٣ : ٢١٨) :

ثم جلَّى عن الخليفة بالسيـ ـف غداة التقت صياصي الأمورِ
صدع العسكر المنيف بدا خضـ ـرى بضربٍ أتى على المغرورِ

جاء في البيت : « دا خضرى » وهو تحريف ، لعل صوابه : « با خمرا » ، وهو موضع بين الكوفة وواسط ، وهو الى الكوفة أقرب (معجم البلدان) . وفيه وقعت الواقعة بين الزيدية يقودها ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن ، وبين العباسيين يقودهم عيسى بن موسى سنة ١٤٥ هـ ، فقُتل ابراهيم . وكان سلم بن قتيبة الباهلي مع المنصور ، استعمله على ميسرة الناس ، ولحقت به باهلةُ البصرة : عربها ومواليها . وولاه الخليفة البصرة عقب النصر مكافأة له (الطبري ٦ : ٢٥٨ـ٢٦٩). وبشار في مديحه يشير الى هذه الواقعة ويشيد بهذا الظفر .

١٨٨ ـ وقال في مديح سلم بن قتيبة (٣ : ٢١٩) :

سيدٌ ، سوقةٌ وفي الملك ، فيَّا ضٌ ، يحامي عن عرضه بالنذور

جاء في البيت : « النذور » ، والصواب : « البدور » . قال في اللسان : « البَدرةُ : كيسٌ فيه ألف ، أو عشرة آلاف ، سميت ببدرة السخلة . والجمع : البدور ، وثلاث بدرات » . وقد ترددت هذه اللفظة في الأشعار . قال الأعشى :

بأجودَ منه بما عنده فيعطي المئين ويعطي البدورا

وقال أبو نواس يمدح الأمين (د : ٤١٧) :

تبكي البدور لضحكه والسيف يضحك إن عبس

وقال مروان بن أبي حفصة (طبقات ابن المعتز : ٤٦) :

ما نالت الشعراءُ من مُستخلَفٍ ما نلتُ من جاهٍ وأخذ بُدورِ

وقال بشار في مدح داود بن حاتم (١ : ٢٩٠) :

يعطي البدور مع البدور ولو عرا حقٌ لأعطى ماله برقابه

وقال في مدح عقبة بن سلم (٣ : ٢٩٢) :

زرته يومـــاً فأدنى مجلسي وحبـاني ببـدورٍ وغُرَرْ

ومن أمثلتها في النثر قول بشـــار (الأغاني ٣ : ٢٠٧) ، « ومـــا على من جاد بما يسلك ألا يهب البُدور » ، وقول سلم (الأغاني ٢١ : ١١٦) : « ويلي على الجرّار ••• زعم أني حريص ، وقد كنز البدور » •

١٨٩ ــ وقال بشار يصف قتيبة أبا سلم (٣ : ٢٢٠) :

كان غيث الضريك في حجرة البأ سِ ، وجاراً للحارم المستجيرِ

ضبط : « الحارم » بالحـــاء المهملة ، والصواب « الجارم » بالجيم ، والجارم : الجاني • وهو مديح على طريقة العرب الجاهليين • قال زهير ابن أبي سلمى في معلقته :

كرام ، فلا ذو الضغن يدرك تبله ولا الجارم الجاني عليهم بمُسْلَمِ

١٩٠ ــ وقال بشار يتحدث عن أيام شبابه ، وتطلع الغواني من بني عقيل بن كعب إليه (٣ : ٢٣٣) :

ربمـــا سمنني عواطف أعنـــا قٍ كما ترمق العيون الصبيرا

يتعـــرضن في البـــرود لذيّا لٍ يجرّ الصبا ويرعى الستورا

جـــاء : « سمنني » بالسين المهملة ، ولعـــل الصواب : « شمنني » ، بالشين المعجمة • قال في اللسان : « شام السحاب والبرقَ شَيْماً : نظر اليــه أين يقصد ، وأين يسطر ، ••• وشمتُ البرقَ : اذا نظرت الى سحابته أين تسطر » وفي الأساس : « وان فلاناً لموسر ولا أشيمه : أي لا أنظر اليه من فقر ، يعني أنه غنيٌّ عنه » • وقال ذو الرمة :

حتى اذا الهَيْقُ أمسى شام أفرخَه وهن لا مُؤيسٌ نأياً ولا كثبُ

شام أفرخه : أي نظر الى ناحية أفرخه • وقال الأعشى :

فقلتُ للشرب في درنى وقد ثملوا شيموا،وكيف يشيم الشاربُ الثملُ

وفسَّر الشارح « الصبير » في قول بشار بالكفيل ، ولا يستقيم معناه ، ولا يلائم بقية البيت ، ومعنى « الصبير » في البيت : الغيم الأبيض البطيء البراح (ديوان الهذليين ٢ : ٦ ، ٢١٤ ، ٢٢٢) • وقد فسَّر الشارح الصبير ، في موضع آخر من الديوان ، بالسحاب الأبيض كثير المطر (٣ : ٢١٣) •

ثم فسَّر الشارح الذيَّال في بيت بشار الثاني بأنه الثور الوحشيّ ، ولا يصحّ مثل هذا المعنى في البيت ، وإنما المراد بالذيَّال هنا بشار نفسه الذي كان يختال في مشيته أيام شبابه ، متبختراً ، يجـرّ ثوبه زهواً ، ويهزّ من عطفيه فخراً ، تتعرض له النساء اعجاباً به وافتتاناً • ومثل هذا الوصف ردده بشار في شعره • قال (٢ : ١١٨) :

• • • • • • • • • • • • • يطفن بذيال السرابيل مسفاحِ

وقال (٣ : ١٨٢) :

أيام رأسي قصبٌ ديجورُ
ترنو اليَّ البقرات الحورُ
ثم ارعويت والهدى تبصيرُ

وقال يصف حاليه : أيام اللهو ، وأيام النسك على لسان حبيبته سليمى (٣ : ٢٧٤) :

رأيتك َقد شمَّرتَ تشمير ناسكٍ وقد كنتَ ذيال السرابيل والأزر

ومن مجاز العربية قولهم : لبس ثوب الصبا ، سحب ذيل الصبا ، وطيء أردية الفتوة ، إن الغنيّ طويلُ الذيل ميَّاسُ •

١٩١ ــ وقال بشار (٣ : ٢٣٤) :

هام قلبي منهن يابنــة مسؤو رٍ،وأودى صبري وكنت صبورا

جــاء : « يابنة » باليــاء المثناة التحتية ، والصواب : « بابنة » بالباء الموحدة (حرف الجر) ، ولعلها من خطأ المطبعة .

١٩٢ ــ وقال بشار يصف أفعال صاحبته خاتم الملك (٣ : ٢٣٦) :

وتأبــين الــــذي أهــوى وما تأتين مــن عســـرة

كتب : « تأتين » ، والصواب : « ومــا تأبين » بالباء الموحدة واليــاء التحتيــة .

١٩٣ ــ وقال في هجاء أبي هشام الباهلي (٣ : ٢٤٠) :

أمــا تــرى رأســـك والمناحــرا
أصبحت بعــــد الهمران حافــرا
لا تحسن الشعــر وتهجــو الشاعرا

كتب في البيت الأول : « المناحرا » بالحــاء المهملة ، ولعــل الصواب : « المناخرا » بالخاء المعجمة . إن المنخرين لهما شأن بيّن في فرق ما بين الأصيل والهجين . قال جرير (د : ٣٩٤) :

إن القــراف بمنخريك لبيّن وسواد وجهك يا ابن أم عفاقِ

وقال بشار في هجاء الباهلي يذكر أباه اللئيم (١ : ٣٦٩) :

مواريثه معروفة في وجوهكم مناخره ، والرأسُ غير كذوب

وكتب في البيت الثاني : « حــافرا » بالحاء المهملة . ويبــدو لي أن الصواب : « جافرا » بالجيم . قال في اللسان : « همر الكلامَ : أكثر فيه » ، « جفر الفحلُ : انقطع عن الضراب وقلّ ماؤه ... فهو جافر ، وقال ذو الرمة في ذلك :

وقد عارض الشعرى سهيل" كأنه قريع هجان عارض الشول جافرُ»

١٩٤ ـ وقال في هجاء حماد عجرد (٣ : ٢٤١) :

مهلاً هجائي يا ابن شخص النجّارْ
ما نفر يدعى لهم بأحرارْ
حرمت يا ابن النبطيّ الثرثارْ
لا يلحق الفارس ركض الحمّارْ

جاء في البيت الثاني : « يدعى » بياء المضارعة التحتية ، ولعل الصواب : « تُدعى » بتاء المضارعة الفوقية ، لأن بشاراً يخاطب حماد عجرد كما يقتضيه سياق الأبيات ، وجاء في البيت الثالث : « حرّمت » ، ومن المحتمل أن تكون محرفة عن : « حَمِرْتَ » بتقديم الميم على الراء . قال في التاج : « حمِرت الدابةُ تحمَرُ حمراً : صارت من السمن كالحمار بلادة » وقال في اللسان : « رجل حامر وحمّار : ذو حمار ، كما يقال فارس : لذي الفرس » . وقد تكون محرفة عن كلمة « خزيتَ » . خزي ، كرضي : وقع في بليّة وشهرة ، فذلّ بذلك (القاموس) . وما زال في النفس منها شيء .

١٩٥ ـ وقال في هجائه (٣ : ٢٤٢) :

ما ذاك يا عجردُ بيت الخمّارْ

ولا معنى لكلمة : « ما ذاك » ، والصواب : « مأواك » .

١٩٦ ـ وقال يصف يوماً متوقد الحرارة (٣ : ٢٤٩) :

ومحترق الوديقة يوم نحس من الجرزاء ظل له أُوارُ

كتب : « يوم نحس » ، وأُرجّح عليها : « يوم نَجْرٍ » . قال في اللسان : « النجْرُ : الحرّ » . وكتب : « الجرزاء » ، بالراء المهملة

تليها الزاي ، ولعل الصواب : « الجوزاء » بالواو والزاي ، لأن طلوع الجوزاء يقع زمن اشتداد الحرّ . قال جرير (د : ٢٢) :

فكلفتُ النواعج كل يوم من الجوزاء يلتهب التهابا

ويقول المرزوقي في شرح قول الحماسي (٢ : ٤٨٣) :

اذا شالت الجوزاء والنجم طالع فكلّ مخاضات الفرات معابرُ

« والجوزاء : سميت بذلك لأن وسطها أبيض ، ... والوقت الذي يشير اليه يشتدّ فيه الحر ... يقول : اذا تناهى الحرّ وارتفعت الجوزاء في أول الليل الى كبد السماء ، وطلع الثريا عند السحر فكل مخاضة من جوانب الفرات معبر لي أهرب فيه » . ومن أسجاع العرب (المخصص لابن سيده ٩ : ١٥) : « اذا طلعت الجوزاء توقدت المعزاء ، وكنست الظباء ، وعرقت العلباء ، وطاب الخباء ، وقيل : طلعت الجوزاء ووافى على عودٍ الحرباء » . وأنشد أبو علي الفارسي (المخصص ٩ : ٩٠) :

وقد علوتُ قتودَ الرحل يسفعني يوم قديدمة الجوزاء مسمومُ

١٩٧ ــ وقال بشار يصف عيون الإبل وقد غارت من التعب (٣ : ٢٥٠) :

كأن عيونهن قلات قف مخلفة الأطائط ، أو نقارُ

ضبط : « قلات » بضم القاف ، وفسّرها الشارح بأعالي الجبال ، والصواب : « قِلات » بكسر القاف ، جمع « قَلْت » . قال في اللسان : « القَلْتُ ، باسكان اللام : النقرة في الجبل تمسك الماء ، وفي التهذيب: كالنقرة تكون في الجبل ، يستنقع فيها الماء . والوَقْب : نحوٌ منه . قال أبو منصور الأزهري : وقلاتُ الصمّان : نُقر في رؤوس قفافها

يملؤها ماء السماء في الشتاء ••• » وفي ديوان الهذليين (٣ : ٨٠) : « القلات : النقر في الصخر » • وجاء في أساس البلاغة : « وأبرد من ماء القَلْت والقِلات : وهي النقرة في الصخرة » • وقد أكثر الشعراء من تشبيه عيون الإبل وحمر الوحش وأمثالها بهذه القلات • قال ذو الرمة يصف حمر الوحش :

يعاورن حد الشمس خُزْراً كأنها ... قِلاتُ الصفا عادت عليها المقادحُ

وقال يصف الإبل وغؤور عيونها :

على حميرياتٍ كأن عيونها ... قِلاتُ الصفا لم يبق إلا سُمولُها

وقال أيضا في صفة الإبل :

اليكِ بنا خوصٌ كأن عيونها ... قِلاتُ صفا أودى بجمّاتها سربي

وقال الأخطل يصف الإبل التي تقطع به الفلاة الى ممدوحه (أمالي الشريف المرتضى ١ : ٥٥٤) :

وهُنّ بنا عوجٌ ، كأن عيونها ... بقايا قِلاتٍ قلّصت لنضوبِ

وقال العجاج الراجز في صفة جمله :

كأن عينيه من الغؤورِ
قلتان في لحدي صفا منقورِ

١٩٨ ـ قال بشار في قصيدته الرائية التي يفخر فيها بمواليه من قيس عيلان وأشياعهم (٣ : ٢٥٢) :

ألم يبلغ أبا العباس أنّا ... وترناه وليس به اتئار

والقصيدة كلها في وصف وقائع قيس أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية • وكان القيسيون أنصاره وأعوانه في حروبه ، خاضوا معه المعارك ، وناصروه على اليمانين من كلب وغيرهم • وظن الشارح

أن بشاراً يقصد بأبي العباس أبا العباس السفاح ومضى في تفسير البيت والأبيات التي تليه وفق ذلك فأخطأ مراد بشار . وأبو العباس في بيت بشار هو أبو العباس الوليد بن يزيد الذي قتله ابن عمه يزيد بن الوليد سنة ١٢٦ هـ ، وتتالت الفتن بين أبناء البيت الأموي حتى قام مروان بن محمد فتولى إمرة المؤمنين وتصدى لأخذ ثأر الوليد بن يزيد من أعدائه الذين قتلوه ، تطيف به قبائل قيس تؤيده وتناصره ، وفي مقدمتهم يزيد ابن عمر بن هبيرة الفزاري . ومما قيل تشفياً بقتل الوليد بن يزيد قول خلف بن خليفة (الطبري ٩ : ٢١) :

لقد سكّنت كلبٌ وأسيافُ مذحجٍ ... صدىً كان يزقو ليلَه غير راقد

تركن أمير المؤمنين بخالدٍ ... مكبّاً على خيشومه ، غير ساجد

فإن تقطعوا منّا مناط قلادة ... قطعنا به منكم مناط قلائد

وإن تشغلونا عن ندانا فإننا ... شغلنا الوليد عن غناء الولائد

وإن سافر القسريُّ سفرة هالكٍ ... فإن أبا العباس ليس بشاهد

وأعاد بشار ذكر أبي العباس الوليد بن يزيد في قصيدته التي أنشدها ابراهيم بن عبد الله بن حسن يهجو فيها المنصور :

تقسّم كسرى رهطه بسيوفهم ... وأمسى أبو العباس أحلام نائم

قال صاحب الأغاني (٣ : ١٥٦) : « يعني الوليد بن يزيد » . وإذ كان ذلك كذلك فقد بدت لنا في بيت بشار السابق قراءة نرجو أن تكون أقرب إلى الصواب ، وهي :

ألم يبلغ أبا العباس أنّا ... ثأرناه ، وليس به اثّئارُ

قال في اللسان : « ثأرتُ القتيلَ ، وبالقتيل ثأراً وثُؤْرةً فأنا ثائرٌ ، أي قتلتُ قاتله ... ويقال : ثأرتُ فلاناً واثّأرتُ به : اذا طلبت قاتله » .

١٩٩ ـ وقال بشار (٣ : ٢٥٣) :

وقد طافت بأضبع آل كلب　　كتائبنا فصار بحيث صاروا

ضبط : « أضبع » بالضاد المعجمة والباء الموحدة والعين المهملة .
والصواب : « أصبغ » بالصاد المهملة والباء الموحدة والغين المعجمة .
وهو أصبغ بن ذؤالة الكلبي (ترجم له ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ـ انظر نسخة سليمان باشا المخطوطة في الظاهرية ، الجزء الثالث ورقة ٣٢ ، ومصورة نسخة كمبردج في الظاهرية ، الجزء الثاني لوح ٢٤).

٢٠٠ ـ وقال بشار (٣ : ٢٥٧) :

كأنهمُ غداة شرعن فيهم　　هدايا العنز هاج بها القُدارُ

جاء : « العنز » بالنون والزاي ، ولعل الصواب : « العتر » بالتاء المثناة الفوقية والراء . قال في اللسان : « والعِتْرُ (بكسر العين المهملة وسكون التاء المثناة الفوقية) : العتيرة ، وهي شاة كانوا يذبحونها في رجب لآلهتهم ، مثل : ذِبْح وذبيحة » ، « وقُدار بن سالف : الذي يقال له أحمر ثمود ، عاقر ناقة صالح عليه السلام . قال الأزهري : وقالت العربُ للجزار : قُدار ، تشبيهاً به » .

٢٠١ ـ قال بشار (٣ : ٢٦٣) :

وذبَّ عني غواة الناس معتدياً　　باب "حديد" ، وصوت "غير منزور"

كتب : « باب » ولعل الصواب : « ناب » بالنون في أوله .

٢٠٢ ـ قال بشار في التشوق الى عبدة (٣ : ٢٦٤) :

حسبي بما قد لقيتُ يا عمرُ　　لم يأتني عن حبيبتي خَبَرُ

فقال الشارح : « القصيدة من بحر السريع ، وعروضها وضربها

مخبولة مكشوفة » . والصحيح أن القصيدة من المنسرح ، عروضها وضربها مطويان .

٢٠٣ ــ وقال بشار (٣ : ٢٧٠) :

ومندلثٍ يمارينـــا بجهـــدٍ فقلتُ لـــه : تعـــلم ثم مـــارِ

كتب : « بجهـــد » بالدال المهملة ، ولعـــل الصواب : « بجهـــلٍ » بالـــلام .

٢٠٤ ــ وقال بشار في هجاء أبي هشام الباهلي (٣ : ٢٧١) :

لنعم الرب رب ابني دخـــان اذا نفض الشتاء عـــلى القتار

وعلق الشارح بقـــوله : « انظر من أراد بابني دخـــان ... ولعـــله قصد بابني دخان كنية سيدين كريمين ، ولعلهما عقال وعامر » . وابنا دخان هما قبيلتا غنيّ وباهلة . جاء في اللسان : « وابنا دخان : غنيّ وباهلة ... وقال الفرزدق :

أأجعل دارماً كابني دخـــان وكانا في الغنيمـــة كالركابِ

قال في التهذيب : والعرب تقـــول لغنيّ وباهلة بنو دخـــان . وانظر قول الفرزدق في هجاء ابني دخان (الديوان ٢ : ٧٧٣ ، ٧٧٥ ، ٨٦٥ ، ٨٧٢) .

٢٠٥ ــ وقال بشار (٣ : ٢٧٣) :

وقالت سليمى: فيك عنا تثاقلٌ محلك ناءٍ والزيارةُ عن غفرِ

ضبط : « غفر » بالغين المعجمة ، ولعـــل الصواب : « عفر » بالعـــين المهملة المضمومة . قال في اللسان : « والعُفر (بالضم) : البعد.والعُفر: قلة الزيارة ، يقال : ما تأتينا الا عن عُفر : أي بعد قلة زيارة . والعُفر : طول العهد ، يقال : ما ألقاه إلا عن عُفر أي بعد حين ... » ورواية :

« عن عفر » بالعين المهملة هي التي وردت في كتاب الأغاني (٣ : ٢١٩).

٢٠٦ ــ وقال بشار (٣ : ٢٧٤) :

رأيتك قد شمّرت تشمير باسلٍ　　وقد كنت ذيّال السرابيل والأزرِ

جاء : « باسل » باللام ، ولعل الصواب : « ناسك » ، فبشار قد شمَّر ثوبه نسكاً وعبادة ، بعد أن كان فتى غزلاً يجرّر ثوب اللهو « في ظل العذارى مرَفّلا ». وقد سبق الاستشهاد بالبيت (الرقم : ١٩٠).

٢٠٧ ــ وقال يصف سفينة (٣ : ٢٨٠) :

وعذراءَ لا تجري بلحم ولا دم　　بعيدة شكوى الأين ملحمة الدبر

كتب : « ملحمة » بالحاء المهملة ، وضبط : « الدبر » بفتح الدال . ولعل الصواب « ملجمة الدُّبْر » بالجيم ، وضم الدال . فبشار يلغز في وصف السفينة ، ويعدّد من أوصافها ما تخالف به الفرس ، فاذا كان لجام الفرس في رأسها ، فهذه العذراء الجارية ملجمة الدبر . « والدبرُ ، بالضم ، وبضمتين : نقيض القبل ، ومن كل شيء : عقبه ومؤخَّره » (القاموس المحيط) . وقد ورد البيت بهذه الرواية الصحيحة في الأغاني (٣ : ٢٤٣) . ومثل هذا المعنى قد عرض له بشار مرة أخرى حين وصف مراكب المهدي التي حملته في دجلة الى بغداد فقال (٢ : ٢٨٤) :

تُلوى الأزمّةُ في أذنابها ، وبها　　في السير يعدل إن جارت فتقتصدُ

وأتى أبو الشيص بمثله في قصيدته التي مدح بها عقبة بن الأشعث ، فقال في صفة السفينة (طبقات ابن المعتز : ٨٣) :

عريضة زَوْر الصدر ، دهماء ، رسلة　　سناد ، خليع الرأس ، مزمومة الذنَبْ

٢٠٨ ــ وقال في مديح عقبة بن سلم (٣ : ٢٩٢) :

رقّع العيشَ ، فأبشر بالغنى ،　　عقبةُ الجار من العيش النكر

جاء : « رقّع » بالعين المهملة ، ولعل الصواب : « رقّح » بالحاء

المهملة • قال في اللسان : « الترقيح » والترقح : اصلاح المعيشة • قال الحارث بن حلّزة :

يتـرك مارقّح مـن عيشـه   يعيث فيـه همـج" هامـجُ

••• « ويقال : إنه ليرقّح معيشته : أي يصلحها » •

٢٠٩ ــ وقال في مديح عقبة (٣ : ٢٩٣) :

ملـك يسهـل إذ ساهلتـه   واذا عـاسرته كان العسِـرْ

ولعـل الصواب : « إن ساهلته ، إن الشرطية بـدل إذ الظرفيـة • وبيت بشار يذكّر ببيت جرير (د : ٣٠١) :

بشـر أبو مروان إن عاسرته   عسر ، وعند يساره ميسورُ

٢١٠ ــ وقال في مديح عقبة (٣ : ٢٩٤) :

داء عاصٍ ومـداوي فتنـة   سفرت حرباً وراحت تستعِرْ

جـاء : « سفر » بالسين المهملة والفاء ، ولعـل الصواب: « شغرت » بالشين والغين المعجمتين • « الشَّغْرُ : الرفع ••• وفي حديث علي : قبل أن تشغر برجلها فتنة تطأ في خطامها ••• واشتغرت الحربُ بين الفريقين : اذا اتسعت وعظمت » (لسان العرب) ، « ومن المجاز : بلدة شاغرة برجلها : لا تمتنع من غارة ، لخلوها عمن يحميها » (الاساس والتاج) •

٢١١ ــ وقال بشار (٣ : ٢٩٥) :

الله أكبرُ والصغيرُ صغـيرُ   وتناولُ العلجِ الكرامَ كبيرُ

وعلق الشـارح بأن القصيدة مـن الكامل • وعروضهـا وضربهـا مقطوع • والحق أن القصيدة من الكامل ، عروضها صحيحة ، وضربها مقطوع ، والردف لازم له ، ومطلعها مصرّع •

٢١٢ ــ وقال بشار يفخر بنفسه (٣ : ٢٩٦ ــ ٢٩٧) :

ولي المهابة في الأحبة والعدا   وكأنني أسـد" بـه تامـورُ

عزبت خليلته وأخطأ صيده فله على لقم الطريق زئيرُ

جاء في الديوان : « خليلته » بالخاء المهجمة ، ولعل الصواب : « حليلته » بالحاء المهملة . وهي رواية الأغاني (٣ : ١٩١) ولسان العرب (لقم) .

٢١٣ ــ وقال بشار (٣ : ٣٠٢) :

وعلى المرجّم شاهد من غيبه وبحدّه يتقلّبُ العصفورُ

ضبط : « وبحدّه » بالحاء المهملة . والصواب : « وبجدّه » بالجيم . قال الجاحظ في الحيوان (٧ : ٦١ ــ ٦٢) : « وأنشدني ابن يسير :

وبالجَدّ طوراً ثم بالجِدّ تارة كذاك جميع الناس في الجَدِ والطلبْ

والجَد ، مفتوح الجيم ، يقول : الطير كالناس ، فمرة تصيد بالحظ وبما يتفق لها ، ومرة بالحيلة والطلب . وقال بشار بن برد :

. . . . وبجدّه يتقلّب العصفورُ » .

٢١٤ ــ وقال بشار يتغزل (٣ : ٣٠٥) :

لقد صمتُ عن الجور لألقاك فما أقصر

كتب « الجور » بالجيم ، والصواب « الحور » بحاء مهملة مضمومة ، ولعله من خطأ المطبعة .



ــ ٥ ــ

وبعد ، فهذه لمع اخترتها مما ضمّته رسالتي التي كنتُ أعددتها في بشار بن برد رأس الشعراء المحدثين عامي ١٩٥٨ و ١٩٥٩ ، حفزني

الى نشرها ظهور طبعة الديوان الثانية التي مشت على آثار سابقتها حذو القذة بالقذة ، لم تعرض لتصحيف أو تحريف ، ولم تخالف عن قراءة • فرجوتُ من نشر ما أنشر أن نحظى بطبعة الديوان الثالثة ، وقد نهض بأعباء تصحيحها عالم فذ ، جلا ظلماتها ، فأشرق وجهها ، وزها لونها ناضراً بهيجاً يروق الناظرين •

ولقد بدا لي من معاناتي في قراءة الديوان المطبوع أن لا بد لمن ينتدب لتحقيقه وتصحيح ما أغلق من معمياته ، من العودة الى المخطوطة أو الى صورة لها • ومن الحق أن المخطوطة تمور بالتصحيف والتحريف[1] ، ولكن غلب على ظني ، وأنا أطالع حواشي الديوان المطبوع ، أن قد غُمَّ على الشارح ، رحمه الله وأجزل مثوبته ، قراءة كثير من الكلمات ، لم يحسن قراءة خط الناسخ فجار عن القصد • ان لكل ناسخ طريقة في الكتابة والخط يحسن بالمحقق أن يطيل تأملها ، ليخرج من إلفه الى إلفها ، يعتادها ، ويقرأ طبق رسمها ، بعد أن يتعرف الى النهج الذي التزمه الناسخ في تصوير الحروف ، ووضع النقط والشكل ، وكتابة الهمزة والألف ، وما يتصل بذلك كله • فاذا فعل ذلك خطا بقدم ثابتة الخطوة الأولى في طريق التحقيق •

ولعله يحسن في هذا المقام ذكر تجربة صغيرة مرت بي منذ أيام • فقد أُتيح لي أن أطلع على ترجمة الشاعر الاندلسي أبي المخشى عاصم ابن زيد التميمي ، من أهل إلبيرة ، في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (مدريد ١٩٦١ ــ ١٩٦٢) منقولة من مخطوطة الاحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب • وقد تولى نشرها وتحقيقها الأستاذ الدكتور محمود علي مكي • والدكتور مكي ممن أوتى حظاً وافياً في التحقيق ،

---

(١) انظر مقدمة الشارح (ديوان بشار ١ : ٩٠ ــ ٩٢)

وعرف بسعة اطلاعه على تراث الأندلس وآدابها، يشهد له بذلك عندي تحقيقه لديوان ابن دراج الأندلسي ، وكتاب المقتبس لابن حيان القرطبي • ثم عدت الى صورة المخطوطة التي اعتمدها الدكتور مكي في تحقيقه فلاحت لي قراءة في بعض كلمات تخالف قراءته ، رأيت إثباتها هنا ، لتكون شاهدي ودليلي فيما تتطلبه قراءة المخطوطة من تأنٍ وتثبّت ، ومن تعوّدٍ وإلف لطريقة الناسخ ونهجه في الكتابة والرسم ، حتى يتعرف المحقق الى ما جاءت به المخطوطة حق التعرف ، لأنه الخطوة الأولى ، لا بد منها ، في طريق التحقيق •

جاء في صحيفة معهد الدراسات الاسلامية (ص : ١٤٢ ــ ١٤٣) :

١ ــ عاصم بن زيد ••• فاغتدى شاعر بني أمية المخلّف فيهم قوافي الشعر المديح الشاردة ، وقد كان في لسانه بذاء شديد يتسرع به الى من لا يوافقه من الناس ، ويقذع هجوهم ، ويقذف نسائهم •

ــ وهذا ما بدا لنا في هذه الفقرة الاولى :

أ ــ أهمل المحقق العنوان الذي صدر به لسان الدين الترجمة وهو : « ومن الكتاب والشعراء » •

ب ــ أثبت العبارة التالية دون أي اشارة : « المخلف فيهم قوافي الشعر المديح الشاردة » ، والعبارة على هذا النحو قلقة لا تستقيم عربية • وكان يكفيه أن يقول : المخلف فيهم قوافي الشعر (أو قوافي المديح) الشاردة • إن ناسخ المخطوطة قد توقف طويلاً عند هــذه العبارة ، والنساخ العرب لهم آدابهم في النسخ ، يلتزمونها ولا يحيدون عنهــا توقّياً ، وأمانة ، إذا أشكل عليهم لفظ أو عبارة لا يستبيحون لأنفسهم الحذف والتجاهل ، بل يثبتونه كما جــاء ، ولكنهم يضعون فوقه : « ضبّة » ، ليلفتوا انتباه القارىء الى ما أشكل عليهم ، فلعله يعرف من أمره ما لم يعرف الناسخ • قال القاضي عياض في كتاب الالماع (ص :

١٦٦ ــ ١٦٧) يبين الأدب الذي يجب على الناسخ التزامه : « فان كان اللفظ غير صحيح في اللسان : إما في اعرابه ، أو بيانه ، أو فيه اختلال من تصحيف أو تغيير ، أو نقصت كلمة من الجملة أخلّت بمعنى ، أو بتر من الحديث ما لا يتم إلا به .... أو بتقديم وتأخير قلب مفهومه ، ونثر منظومه ، فهذا الذي جرت عادة أهل التقييد أن يمدوا عليه خطاً أوله مثل الصاد ، ولا يلزق بالكلمة المعلم عليها لئلا يظن ضربا ، ويسمونه: ضبّة ، ويسمونه : تمريضا . وكأنها صاد التصحيح كتبت بمدّتها ، وحرّفت (حذفت) حاؤها ليفرق بينها وبين ما صح لفظاً ومعنى .... وكُتب عليه هذا علامةً على مرضه ، ولئلا يرتاب في صحة روايته .... ولعل غيره قد يخرّج له وجهاً صحيحاً ... » وقد أثبت ناسخ مخطوطة الاحاطة ضبّة فوق كلمة الشعر إشعارا بقلق موضعها ، وكان يحسن بالمحقق أن يشير اليها .

ج ــ وقع شيء من التحريف في ختـام الفقرة الاولى صحته : « يتسرع به الى من لم يوافقه من الناس ، فيقذع هجوهم ، ويقذف نساءهم » .

٢ ــ قد عرّض بك بقوله في مدح أخيك ...
ــ والذي جاء في المخطوطة : « في مديح أخيك » .

٣ ــ ان المرأة الصالحة التي هجوت ابنها فقذفتها فأفحشت فيها .
ــ والذي جاء في المخطوطة : « فقذفتها فأفحشت سبَّها » .

٤ ــ أشار اليها في فتواه بالتأني بدية اللسان طمعاً في نبتها ، وقال : يتأنى بالحكم عاماً ، فإن نبت أي شيء منه ...

أ ــ الذي في المخطوطة : « في فتواه في التأني » ، « طمعاً في مثلها » وقد وضع الناسخ فوق كلمة « مثلها » اشارة ليثبت في الحاشية

العبارة التالية : « في نبتها ، والله أعلم » • ولم يشر المحقق الى ذلك •

ب ــ الذي في المخطوطة : « فإن نبت ، أو شيء" منه » ، وبين العبارتين فرق بعيد ، فعبارة ابن الخطيب مؤداها: فإن نبت اللسان، أو نبت شيء منه عمل في دينه بحسب ذلك • أما العبارة التي أثبتها المحقق، فلا تؤدي هذا المعنى ، بل لعل أهل ذلك العصر لا يستجيزون كتابتها ، فهي من العبارات التي راجت في عصرنا أثراً من آثار النقل عن اللغات الأعجمية •

٥ ــ وبلغ الأميرَ ابنَ معاوية صنيعُ ابنه هشام بما دهم أبا المخشى فساءه •

ــ وعبارة المخطوطة : « وبلغ الأمير ابن معاوية صنيع ابنه هشام بمادحهم أبي المخشى فساءه » •

٦ ــ وأوصل أبا المخشى اليه عند استبلاله بعد حين •

أ ــ لم تتضح لي في المخطوطة كلمة استبلاله ، ولعل الأقرب أن تقرأ : « عند استئذانه بعد حين » •

ب ــ أسقط المحقق من آخر العبارة : « فاعتذر اليه ورقّ له » •

٧ ــ عادني بالغرب وهناً طرب" من حلولٍ بين لج فالحمى

ــ الذي في المخطوطة : « بين لج والحمى » •

٨ ــ واذا ركب دنوا كان لهم هوجلاً" في المهمه الخرق الصوى

ــ والذي بدا لي في المخطوطة : « في المهمه النائي الصوى » •

٩ ــ امتطيناها سمانا بدّناً فتركناها نضاء بالعنا

ــ والذي بدا لي في المخطوطة : « بالفِنا » بالفاء ، أي بفِناء الدار •

١٠ــ رشد الخليفة إذ غووا فرماهم بالموبذي بالجهم والمتأزر

ــ وعبارة المخطوطة : « بالمرتدي بالحزم والمتأزّر » •

١١ــ وغدا سليمان السماح عليهم

ــ في المخطوطة : « فغدا سليمان ... »

١٢ــ ومحا مغبة يوم وادي الأحمر

ــ في المخطوطة : « ومحا دُجُنَّةَ يوم ... »

١٣ــ فالليل فيها للذباب عرائس ونهارهــا وقــف لنبش الأنســر

ــ وصحة ما في المخطوطة :

فالليل فيها للذئاب عرائس ونهــارها وقف" لنهش الأنســر

١٤ــ أفناهم سيف مبيد" طرفه

ــ والذي في المخطوطة : « أفناهم سيف مبير" صارم" » .

١٥ــ فلتركبنك ما هربت مخافة

ــ وقد كتب الناسخ الكلمة الاولى من البيت في الهامش مرة أخرى لأنها لم تستقم له في المتن ، ولكنها في الحالين لم تكن واضحة وهي أقرب الى أن تكون « فلترهقنك » أو كلمة شبيهة بها ، منها الى : فلتركبنك .

١٦ــ وتوفي بعد ذلك قريباً من الثمانين والمائة .

ــ الذي في المخطوطة : « وتوفي بعد ذلك قريباً من تاريخ الثمانين والمائة ، ويعز عليه لحاقُ دولة الأمير عبد الرحمن لهذا التاريخ » .

لقد اخترتُ محققاً مجوّداً لأدل على ما للتدقيق في قراءة المخطوطة، والاهتداء الى نهج ناسخها في رسـم حروفه وتفويمها من أثر بالغ في حسن التحقيق ، والوصول بصاحبه الى شاطىء السلامة ، ولألحّ مرة بعد مرة على ضرورة تحقيق ديوان بشار بن برد تحقيقاً جديداً يعتمد على عودة الى المخطوطة نفسها ، لأن في هذه العودة خيراً كثيراً ، تفتح لنا أبواباً ما زالت موصدة ، وتهدينا الى تصحيفات وتحريفات لما يكشف لنا بعد مغاليقها .

من أسرار الأبجدية العربية

الدكتور عبد الكريم اليافي

توطئـة

يخيّل إلينا ان الناس اصبحوا في طوفان مادي متقحّم لا يدع لحميله نهزة للتأمل . وبدلا من ان يأتي نوح جديد يصنع الفلكَ بأعين ربّه ووحيه ويسلك فيها من كل زوجين اثنين تلوح لنا القيم الرفيعة من مروءة ونصفة وإيثار ونصرة للمظلومين ومكارم أخلاق وتراث مؤثل كأنها انزوت في فلكٍ خيالي يمخر في فلكِ المعمورة ويبحث عن جوديٍّ مكين يستوي عليه فلا يكاد يجده .

في تدفّع الاتيّ الغـامر رجعت الى ماضي التراث العربي الاسلامي المستند الى نور الحرف ، واردت أن أعرض تأمل فريق من المفكرين لهذه النورانية . ربما كان في التأمل نصيب من الانحياز ، ولكن فيه نصيبا اكبر من المحبة والسمو ، كما أن فيه قسطا من الطرافة والتلود .

وليس ما أعرضه فيما يلي إلا قطرة ندى شفافة في رياض الحروف العربيـة .

من أكبر الكشوف العلمية اللغوية قاطبة تمييز الحروف في الاصوات المنطوق بهـا والانتقال من إدراك مقـاطع الأصوات الكثيرة الزاخرة المختلطة الى إدراك الحروف المتميّزة المنفصلة وحصرها في عدد محدود

ثم الى التعبير عنها برموز هي الأبجدية • هذه الرموز هي الاساس التي يستند إليها الفكر في تقدمه علما أو فنا أو غير ذلك •

ألا إن الرموز دليل صدق على المعنى المغيّب في الفؤاد
ولولا الرمز كان القول لغواً وأدى العالمين إلى الفساد

هذا الانتقال من سديم الأصوات وعمائها الى بريق الحروف وتلمّحها والرمز لها إنما حصل لأول مرة في بلادنا العربية • وهو يتضمن الوصول الى معرفة واسعة ووعي حصيف وسمع موسيقي مرهف وحس علمي دقيق • والذين سبقوا إليه سهلوا المعرفة ، ويسروا الكتابة ، وأثلوا التراث الإنساني •

هذا وقد أدلى علماء العربية القدامى باعتباراتهم الجيدة في نشأة الأبجدية العربية • ونشأ بعد ذلك في ماضي التراث العربي الاسلامي ما يدعى بعلم الحروف وهو أقرب الى فلسفة الحروف وميتافيزيائها • وهذه بحوث واسعة تحتاج الى دراسات متفهمة توضحأواصر الاعتبارات التي تتضمنها ، وتبرز المصادرات التي تستند إليها •

نعلم جميعا أن الأبجدية العربية تتألف من ثمانيــة وعشرين حرفا موزعة على الألفاظ الثمانية التي تحصرها • وفي أصول هذه الألفاظ الثمانية ودلالاتها اختلاف كبير •

يرى بعضهم أنها أسماء ملوك ، ويرى آخرون أنها أسماء شياطين ويرى فريق ثالث يدرك مكانة النطق الانساني العربي المقدس أنها ملائكة وكلها عندنا رموز تشير الى شرف الكلمة وأثرها البالغ •

ولا يبعد اعتبار تلك الألفاظ ملائكة بالنظر الى أصل لفظ الملك الذي هو مَلأَك على وزن مفعل بمعنى الرسالة من فعل لأك ، وألكني الى فلان أبلغه عني أصله ألئكني أو من مألك بضم اللام من فعل أَلَكَ ولا مفعل غيره في اللغة بالمعنى ذاته والأَلوك الرسول والأَلوكة الرسالة .

على أن الكلم الطيب الذي تتألف عناصره من تلك الألفاظ تعرج به الملائكة من الأرض الى السماء : « إليه يصعد الكلم الطيب » كما جاء في التنزيل . « وما يعلم جنود ربك إلا هو » .

إن اللغة العربية عند المسلمين لغة مقدسة وحروفها التي ترقم بها مقدسة أيضا . وقد مضى زمن أتذكّره في صباي إذا وجد المرء في الطريق كلاما مكتوبا بالعربية رفعه ليضعه في مكان مناسب احتراما ، وهو في الحقيقة احترام للفكر وللنطق . وليس هذا ببعيد من بعض الاعتبارات الشرقية التي تكنّ احترامها للفكر . فحروف اللغة الصينية كان ينظر اليها الصينيون على أنها مقدسة يلمّها الناس قديما إن وجدوها لقىً في الطريق .

★ ★ ★

مهما يكن من شيء فان تأمل المحب ونظر العارف في الأبجدية العربية أفضيا الى نثّ أسرار واشجة وأواصر مستسرة بين تلك الحروف المقدسة وعالم الأرقام وبعض الاستشرافات الصوفية .

ونحن نريد هنا أن نقتصر على بيان هذه الأواصر الخفية والأسرار الواشجة كما جاءت في الاعتبارات القديمة .

لِنَشْرٍ أول الأمر الى أن الأبجدية العربية ربما كانت في البداية تتألف من اثنين وعشرين حرفا ثم ميّز في الأصوات ستة حروف أخرى ضمّت اليها . جاء في القاموس المحيط : « وأبجد الى قرشت ــ وكلمن رئيسهم ــ ملوك مدين ، ووضعوا الكتابة العربية على عدد حروف أسمائهم . ثم وجدوا بعدهم ثخذ وضظغ فسموها الروادف » .

ولنا على كلام الفيروزابادي أربعة تعليقات :

الأول تألفها المبدئي من اثنين وعشرين حرفا يجعلها تشبه في ذلك جدتها الفينيقية التي تتألف من اثنين وعشرين حرفا ، وكذلك الأبجدية النبطية الآرامية والأبجدية العبرية .

الثاني أن هذه الروادف جميعها حاصلة بعد تمييزها بإضافة نقطة فقط في الكتابة الى بعض الحروف السابقة .

الثالث أن علماء اللغة اختلفوا في هذه الألفاظ أعربيات هي أم أعجميات . ولئن اعتبروا بعضها عربيا فقد ذهبوا إلى أن بعضها الآخر أعجمي . وربما أراد من ذهب الى عجمتها أنها ليست من اللغة التي نزل بها القرآن الكريم لا أنها ليست من اللغة السامية التي كانت منتشرة في هذه الأرجاء أي من العربية الأم .

والعجب لبعض أولئك العلماء يرون الضاد والظاء من الخصائص التي تفردت بها العربية ثم يترددون في اعتبار «ضظغ» من الألفاظ العربية.

الرابع اعتبار الفيروزابادي « كلمن » رئيسهم لأن الذي يجمع هذه الألفاظ كلها الكلام . واشتقاقه واشتقاق الكلام من أرومة واحدة . ولقد جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس أن الكاف واللام والميم أصلان أحدهما يدل على نطق مُفْهِم والآخر على جراح .

وعندنا أن الأصل واحد وهو الجرح وذلك كأن الكلمة جرح في الصمت السائد والسكون الشامل غايته التأثير .

نعود الى الأبجدية وكونها تتألف من اثنين وعشرين حرفا ثم أضيف اليها ستة حروف . يتعلق الاعتبار الأول بالجفر الصغير الذي يستعمل ٢٢ حرفا ويتعلق الاعتبار الثاني بالجفر الكبير الذي يعطي كل حرف من الحروف الثمانية والعشرين قيمة عددية . ونستطيع بالتأمل الرياضي الفيثاغوري أن نقول : إن العدد ٢٨ متضمّن بصورة من الصور في العدد ٢٢ وذلك أن :

٨+٢=١٠

و ٢+٢=٤

ثم إن الأعداد الصحيحة الأربعة الأولى مجموعها ١٠

١+٢+٣+٤=١٠

(١)

★ ★ ★

لنعرض الآن ما ألمحنا اليه آنفا من وشائج وأواصر بين الاستشرافات الصوفية والارقام والأبجدية العربية .

لقد روي عن الإمام الشافعي أنه لما جاء الى مصر قال : دخلت جامع عمرو فتكلمت فلم يفهمني أحد فنزلت ثم نزلت ثم نزلت . ولذلك لا بد عندنا من الوصف الحسي للتقريب والايصال الى المقصود .

إن العرش الالهي يحيط بالعالمين جميعا فهو العرش المحيط ويتمثل على صورة دائرية في مركزها الروح ويمسك بالعرش ثمانية ملائكة . أربعة منهم على الجهات الأربع . والأربعة الباقون على الجهات

المتوسطة • أسماء هؤلاء الملائكة الثمانية تتألف بالترتيب العددي من جملة الأبجدية العربية على النحو الآتي :

في الشرق	أبجد	في الشمال الشرقي	سعفص
في الغرب	هوز	في الشمال الغربي	قرشت
في الشمال	حطي	في الجنوب الشرقي	ثخذ
في الجنوب	كلمن	في الجنوب الغربي	ضظغ

أما القيم العددية للحروف في حساب الجمل فهي متداولة مشهورة :

أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ي
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠

ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	ق
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠	١٠٠

ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	غ
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠	١٠٠٠

نلاحظ أن الفئة الاولى في الجهات الأربع الرئيسية (أبجد ، هوز ، حطي ، كلمن) والفئة الثانية المتوسطة (سعفص ، قرشت ، ثخذ ، ضظغ) تتألف حروف كل منهما من نصف عدد الأبجدية :

في الفئة الاولى : ٤+٣+٣+٤=١٤

في الفئة الثانية : ٤+٤+٣+٣=١٤

لنأخذ الآن القيم العددية لتلك الأسماء :

١ +٢ +٣ +٤ =١٠

٥ +٦ +٧ =١٨

٨ +٩ +١٠ =٢٧

٢٠ +٣٠ +٤٠ +٥٠ =١٤٠

٦٠ +٧٠ +٨٠ +٩٠ =٣٠٠

١٠٠+٢٠٠+٣٠٠+٤٠٠=١٠٠٠

٥٠٠+٦٠٠+٧٠٠ =١٨٠٠

٨٠٠+٩٠٠+١٠٠٠ =٢٧٠٠

إن قيم الأسماء الثلاثة الاخيرة تساوي قيم الأسماء الثلاثة الاولى مضروبة بمائة • وهذا واضح إذا لاحظنا أن الأسماء الثلاثة الاولى تحوي الأرقام الصحيحة الاولى من ١ الى ١٠ ، وأن الاسماء الثلاثة الاخيرة تحوي الأرقام من مائة الى ألف ، وأن كلاً من الاسماء الثلاثة الاخيرة والاسماء الثلاثة الأولى يتعاقب عدد حروفها على الشكل : ٤+٣+٣

إن قيمة الفئة الاولى من الابجدية هي :

١٠ +١٨ +٢٧ +١٤٠ = ١٩٥

وقيمة الفئة الثانية من الابجدية هي :

٣٠٠+١٠٠٠+١٨٠٠+٢٧٠٠=٥٨٠٠

مجموع هذه القيم كلها إذاً : ١٩٥+٥٨٠٠=٥٩٩٥ ، هذا العدد ٥٩٩٥ غريب في تناظره • قسمه الاوسط ٩٩ عدد الاسماء الالهيةالحسنى• وطرفاه ٥٥ مجموع الاعداد الصحيحة العشرة الاولى :

١+٢+٣+٤+٥+٦+٧+٨+٩+١٠=٥٥

حيث الرقم الاخير وهو العشرة نجده مقسوما قسمين متساويين •

ثم إن ٥+٥=١٠ قيمة الاسم الاول أبجد

و ٩+٩=١٨ قيمة الاسم الثاني هوز

هذا ويمكن الحصول على الرقم ٥٩٩٥ بطريق آخر . وذلك إذا وزعنا الأبجدية على ثلاث زمر ، كل زمرة تتألف من تسعة حروف ثم نلحق بها الحرف الأخير منفصلا .

مجموع قيم الحروف التسعة الاولى :

١+٢+٣+٤+٥+٦+٧+ ٨+ ٩ =٤٥

هذا العدد قيمة حروف آدم الذي يمكن أن يرمز به للنوع الانساني:

١+٤+٤٠=٤٥

الحرف الاول وهو الألف الممدودة يدل عدديا على القطب الغوث في المركز ، والدال يدل في قيمته على الأوتاد الأربعة الموزعين على الأرض في الجهات الأربع ، والميم تشير قيمته الى النجباء الذين عددهم ٤٠ في الاعتبارات الصوفية .

مراتب العشرات :

١٠+٢٠+٣٠+٤٠+٥٠+٦٠+٧٠+٨٠+٩٠= ٤٥٠
او ٤٥×١٠
ومراتب المئات ٤٥×١٠٠

مجموع المراتب آحاداً وعشرات ومئات ٤٥+٤٥٠+٤٥٠٠=٤٩٩٥ هو جداء ٤٥×١١١ . الرقم ١١١ هو الألف منشورا ثلاث مرات. ٤٥×١١١=٤٩٩٥ ويضاف اليها العدد ١٠٠٠ قيمة الحرف الاخير وهو الغين أول لفظ الغيب ، وهو أيضا الوحدة من الدرجة الرابعة تختم الابجدية كما أن الوحدة من الدرجة الاولى تبدؤها .

ثم إن مجموع الارقام في العدد ٥٩٩٥=٢٨ وهو عدد حروف الابجدية الذي يمثل بذاته قيمتها الكلية .

قال أرسطو منذ القديم : « إن الانسان ذكيّ لأن له يداً » .

اذا نظرنا الى راحة اليد اليمنى نجد الرقم ١٨ ، والى راحة اليد اليسرى نجد ٨١ مجموعهما بعدد الأسماء الحسنى (٩٩) .

حتى إن شكل الأصابع الخمس ليشفّ عن الطابع الالهي العربي إذ نجدها تؤلف لفظ الجلالة باعتبار الحرف الأخير منه وهو الهاء مكتوبا كتابة مفتوحة .

هذا الاتساق العجيب في أفق هذه الاعتبارات الفكرية وأمثاله في بقية الآفاق تجعل من تراثنا الماضي كيانا مفردا يحتاج كل جانب فيه الى التأمل العميق والتمعن المفيد . وكله ينبض بالحب والعرفان ، والتفهم والاتقان .

الى كل ذلك بل قبل كل ذلك مبدأ الحث على تعرّف كل علم حديث ، واعتبار كل علم مستجدّ فرضا على الابناء يأثمون جميعا إن تهاونوا في طلبه والحصول عليه .

---

(١) جاء في رسائل اخوان الصفا (الرسالة الأولى في العدد) ان العدد كله آحاده وعشراته ومئاته وألوفه او مازاد بالغاً ما بلغ فأصلها كلها من الواحد الى الأربعة وهي هذه (١ ٢ ٣ ٤) وذلك أن سائر الأعداد كلها من هذه يتركب ومنها ينشأ وهي أصل فيها كلها . بيان ذلك أنه إذا أضيف واحد الى اربعة كانت خمسة وان أضيف اثنان الى اربعة كانت ستة وان أضيف ثلاثة الى اربعة كانت سبعة وان أضيف واحد وثلاثة الى أربعة كانت ثمانية وان أضيف اثنان وثلاثة الى اربعة كانت تسعة وان أضيف واحد واثنان وثلاثة الى أربعة كانت عشرة .

هذا والتقسيم الرباعي شائع في الامور الطبيعية كالفصول الأربعة ، والجهات الاربع والاسابيع الاربعة في الشهر وغيرها .

من أروع الشعر :

أنجم السياسة وقصائد أخرى

ـ ٤ ـ

القصيدة الشَّقراطِسية في مدح المصطفى ﷺ

الأستاذ عبد الله كنّون

لا حظت في كتابي « أدب الفقهاء » أن مدح النبي ﷺ مما اختص به مشائخ العلم وأدباء الفقهاء ، وأنه بعد شعراء الصحابة الذين عاصروا ظهور الاسلام كحسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ، لم يتعاط أحد من شعراء العربية الكبار في العصر الأموي والعصر العباسي هذا اللون من المدح الذي يُعَد فنا من فنون الشعر العربي ، متفردا بما يسجله من صور البطولة والكفاح من أجل إثبات الوجود العربي وإعلان رسالة الإسلام التي أخرجت الناس من الظلمات الى النور ، وأحلت العرب محل الصدارة بين الأمم ذات التاريخ المشرق والمجد العريق ، وهو حري أن يصنَّف في شعر السيَر والملاحم ، ويُستظهَر به في مقابل الشعر القصصي الذي يوخذ على شعرنا القديم خُلـُوه منه ، لا سيما والكثير منه يقع في مطولات رائعة تستوعب ذكر أحداث السيرة النبوية ، بأسلوب أدبي ممتع يتخلله الانطباع النفسي للشاعر وتَجاوُبه مع هذه الأحداث ، مما جعل الناس يتغنون به ويتناشدونه في المناسبات القومية والاجتماعية .

وأن ينتشر هذا الشعر في جميع الأوساط ، ويحتفل الناس به هذا الاحتفال ، دليل على أنه يمس أوتار القلوب ، ويعكس شعور الأمة التي قيل فيها ، وأنه متميز في بابه ، فهو وإن كان مدحا ، ليس كسائر الأمداح ، لأنَّه

سجل حافل بالمفاخر والمآثر التي يدرك الجميع وكل فرد فرد أنها مفاخره ومآثره هو نفسه .

ومن أوائل مطولات هذا الشعر التي أشرت إليها هناك القصيدة الشقراطسية .

القصيدة وصاحبها

الشقراطسية قصيدة لامية من بحر البسيط في مدح الرسول ﷺ واستعراض وقائع السيرة النبوية وحياة الدعوة الاسلامية منذ انبلاج فجرها إلى أن عمّت أقطار المعمورة ، وذلك بأسلوب شعري جميل يتراوح بين التقرير والتخييل ، والتصوير والتسجيل . وهي تقع في (١٣٣) بيتاً ، وشُهرت بالنسبة إلى ناظمها أبي محمد عبد الله بن يحيى التّوزَري المعروف بالشّقْراطِسي ، نسبة إلى قلعة قديمة كانت بالقرب من قفصة في تونس تسمى شَقْراطِس ، على أنه عاش في مدينة تُوزَر ، وكان من فقهائها ونبغ في الأدب والشعر ، وله كتاب « الإعلام في معجزات خير الأنام » وغيره من الأوضاع وأخذ عنه جماعة من أهل العلم كأبي الفضل ابن النحوي ، وحج وزار وأنشد قصيدته هذه بالمدينة المنورة تجاه الروضة الشريفة ، وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ٤٦٦ هـ .

وتمتاز الشقراطسية بأنها من الملاحم المطولة التي فتحت باب نظم السيرة واقتحمت معركة الشعر التاريخي بنجاح ، فنالت بذلك شهرة كبيرة ، وتلقاها الناس بالقبول ، ولم يقلل من انتشارها إلا ظهور قصيدتي البردة والهمزية للإمام البوصيري الذي تقفّى خطوات الشقراطسي ونسج على منواله ، ولكن تاريخ الأدب نسيه أو تجاهله .

تقريظ الناس لهـا واهتمامهم بهـا

كثر الثناء على الشقراطسية والتنويه بها من جهابذة العلم وعباقرة الأدب ، وقدروا مجهود صاحبها ، سواء من ناحية السبك والصياغة ، أو من ناحية المؤدى والمضمون ، وهي في الحقيقة حرية بذلك وأجدر بما قيل فيها . فهذا الرحالة العبدري المعروف بعلو كعبه في الأدب والنقد يقول بعد ما أوردها كاملة في رحلته ما نصه : « قلت أبدع هذا الناظم رحمه الله فيما نظم ، وشرّف هذه القصيدة بقصده الجميل فيها وعظّم ، فراقت معنى ومنظراً ، وشاقت حساً ومخبراً ، فهي كما وصفها أبو عبد الله المصري حين قال (يئست عن معارضتها الأطماع ، وانعقد على تفضيلها الاجماع ، وطبقت أرجاء الأرض ، وأشرقت منها في الطول والعرض) .

وأبو عبد الله المصري الذي ورد ذكره في كلام العبدري هـو بَلَدِيُّ الشقراطسي مـن توزر ولكنه شهـر بالمصري ويعرف بابن الشبّاط ، وقد كان محتفِلا بهذه القصيدة رواها بالسند المتصل إلى ناظمها ، ورُويت من طريقه وشرَحها وخمّسها وسمى تخميسه بـ « سمط الهَدِي في الفخر المحمدي » وذكر العبدري مطلعه وهو هذا :

إبدأْ بحمد الذي أعطى ولا تسل وذُدْ به ريب رين الأين والكسل
فالحمد أحلى جنىً من طيّب العسل (الحمد لله منـا باعث الرسـل
هـدى بأحمد منـا أحمد السبـل)

وذكر العبدري أيضا ممن خمسها الفقيه القاضي أبا عمرو عثمان بن عتيق المعروف بابن عَرِبية قال عنه إنه مـن المشاهير بإفريقية (يعني تونس) وهذا أوله :

إرْبَع من العلَم الأسنى على طلل فكم ضَحِيتَ ولم تفزع إلى ظُلل
وإن عشوت إلى نار الهدى فقل (الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل)

وخمسها الشيخ العلامة أبو بكر محمد بن حَبِيش أحد أعلام تونس ممن لقيهم الرحالة الشهير ابن رُشَيْد الفهري وأخذ عنه ونوه به كثيرا وذكر أنه كان كثير العناية بهذه القصيدة وتصرف فيها على أوجه كثيرة من تخميس وغيره وكرر تخميسها ثلاث مرات وسماها القُرب الثلاث ، وهذا مطلع أحد هذه التخميسات :

عزْلُ الشباب قضي ان المشيب ولِي فما التغزل من قولي ولا عملي
حمدُ الاله ومدحُ المصطفى أملي (الحمد لله منا باعث الرسل
هدى بأحمد منا أحمد السبل)

وقد أثنى العبدري على هذا المطلع وحكم له بالإجادة وهو كذلك ، ولا يستغرب من ابن حبيش فإنه كان على تضلعه في العلوم راسخ القدم في الأدب وله شعر ينـمّ عن ذوقه وانطباعه .

وممن أثنى على الشقراطسية ثناء عاطرا ، الشيخ أحمد بن عمّار صاحب كتاب نِحْلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب ، نقل عن الرصّاع كلاما في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف . وما يستحسن إنشاده من الشعر ، ومنه هذه القصيدة ، وذكر أبياتا منها في هذا الغرض ، فعقب عليه ابن عمار بقوله فيها : « وهي من القصائد العظام ، البديعة النظام ، الرائقة المعاني ، الوثيقة المباني ، وهي من الطراز الأول ، وعليها في هذا الباب المعول ، وقد رأيت أن اثبتها هنا برُمّتها ، لانقياد البلاغة في

أزِمَّتها ، ولكونها فتحت للافتنان أبوابا ، وأحكمت من نسج البديع أثوابا ، وطار صيتها في الآفاق ، وانعقد على بركتها الاجماع والاتفاق .»
ثم أتى بها كاملة ، وأعقبها بكلام الناس فيها وما سبق ايراده من أمثلة التخميسات التي وضعت عليها وغير ذلك .

على أن من الأدباء من شطَّرها ومنهم من عشَّرها ، وتتبعُ ذلك يطول ، وأمَّا عن شُروحها من غير ما ذُكر فكثير . وهذا دليل ناصع على ما كان لها من شهرة واسعة وأنها اعتُبرت نسيجةَ وحْدِها لمَّا ظهرت ، كما ألمعنا لذلك من قبل وأشار له الشيخ ابن عمار في سَجعاته المذكورة آنفا .

نقــد العبدري لهــا

قدمنا ما قرظ به العبدري هذه القصيدة ، ونُورد أيضا ما لاحظه على بعض أبياتها ، إذ كان ناقدا قلَّما يسلم من وَخَزاته أحد . وإليك ما قاله بإثر كلامه السابق في نقدها : « على أنه رحمه الله تعالى قد أكثر فيها لأجل الصناعة التصنُّع ، وتكلف منها ما هو بعيدُ المَرام ، شديد التمنُّع ، واعترض في كل معنى عَرَض ، وربما أغرق النزع فخالف الغَرَض ، كقوله : (فويل مكة من آثار وطأته) البيت ، وقوله : (وحل بالشام شؤم غير مرتحل) وما جرى هذا المجرى من كلامه رحمه الله ولكن قصيدته بالجملة قد حلت من البلاغة في حصن مُمنَّع ، وجلَت وجْهاً زهَاهُ الحسنُ أن يتقنَّع(*) ، فإن أنكرت من وصفها قولاً ،

(*) هذا تعبير مقتبس من عمر بن ابي ربيعة في بيت من قصيدة عينية يقول فيه :

ولما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

أو سمعت في مدحها تخصيص لو°لا ، أحردت° متأملة ، وأنشدت متمثلة :

مــا سلِم البــدرُ عــلى حسنه كلاّ ولا الظبيُ الــذي يوصف
البــدر فيــه كلَــفٌ ظاهــر والظبي فيه خنَس يُعرف ... »

وهذا الذي انتقده العبدري من قول الشقراطسي لا يتوجه عليه إذ استحضرنا أنه يتكلم على مكة ، وهي في قبضــة المشركين ، فالويل منصرف إليهم وليس لها ؛ وكذا القول في الشام ، ما حل بها من الشؤم ، إنما هو لمن حل بها من الروم لا بها ، أما التصنع ويعنى به صناعة البديع فإنه كان حِلْيَة الكلام ، وحَلبَة التباري بين الأدباء في تلك العصور ؛ والناقد نفسه لم يسلم منه في كثير من كلامه ، وقد رجــع فأقر بتفوق القصيدة في مجال البلاغة ؛ والحق هو هذا الذي وقع عليه الانفصال .

نسخ القصيدة التي قابلناها عليها

بيدنا للشقراطسية ثلاث نسخ كاملة ، إحداها مخطوطة من القرن التاسع الهجري أو العاشر على الأكثر فيما يظهر ، وهي في خمس صفحات كبيرة من ستة وعشرين وسبعة وعشرين سطراً . ومِدادُها فــاتح ، وبعضُ أبياتها وهي التي تكون بمثابة الفصل بين موضوع وآخر ، مكتوبة بالأحمر وكذا بعض الاعلام واسم الجلالة بالخصوص ؛ وبعضها الآخر بالأخضر ، وهي مشكولة شكلا تاما وصحيحا وبهامشها كلمات تشير إلى اختلاف النسخ في بعض الأبيات ؛ مما يدل على أنهــا نسخة مُقابَلة بغيرها فيمكن اعتمادها باطمئنان .

والثانية والثالثة هما نسختا رحلتَي° ابن عمار والعبدري ، والأولى مطبوعة في الجزائر سنة ١٣٢٢هـ ــ ١٩٠٤م والثانية مطبوعة في الرباط سنة ١٩٦٨م بتحقيق الأستاذ الكبير محمد الفاسي .

وثَم قطع من القصيدة مخطوطة وقفنا عليها في بعض المجامع وشروح السيرة النبوية وكتب الأمداح ، ومطبوعة في بعض هذه الشروح والكتب المنشورة كشرح الزرقاني على المواهب ذُكرت على سبيل الاستشهاد ، وقد راجعناها عند المقابلة استئناسا بها كأنها نسخة رابعة • وتم بذلك إخراجُ النسخة التي نقدمها للقارىء وتصحيحُها بقدر الوسع والطاقة ، مع الإشارة في ذيول الصفحات إلى الاختلافات الواقعة بين هذه النسخ في الجملة ، وإن كان بعضها قد يُعَد من خطأ الطبع في المطبوع منها ، والكمال لله •

ـ نص القصيدة ـ

١) الحمد لله ، منًّا ، باعِثِ الرسل
هدى (بأحمد) منا ، أحمدَ السبُل

٢) خير البرية من بَدْوٍ ومن حضَر
وأكرم الخلق من حافٍ ومُنتعِل

٣) توراةُ موسى أتت عنه فصدّقَها
إنجيلُ عيسى بحقٍ غير مُفتَعَل

٤) أخبارُ أحبارِ أهل الكُتْب قد وردت
عمَّا رأَوْا أو رَوَوْا في الأعصُر الأُوَل

٥) ضاءت بمولده الآفاقُ واتصلت
بُشرى الهواتف في الإشراق والطّفَل

٦) وصَرْحُ كِسرى تداعَى من قواعده
وانقضَّ مُنكسِرَ الأرجاء ذا مَيَل

٧) ونارُ فارِسَ لم توقد وما خمدت
مذ ألف عام ونهرُ القوم لم يَسِل

٨) ومَنطِقُ الـذيب بالتصـديق معجـزةٌ
مـع الـذراع ونُطـق العـير والجَمـل
٩) خـرَّت لمبعثـه الأوثـانُ وانبعثت
ثواقـبُ الشـهب ترمي الجـن بالشُعَـل
١٠) وفي دعـائك بالأشجـار حـين أتـت
تمشي بأمـرك في أغصانهـا الذُّلُـل [١]
١١) وقـلتَ عـودِي فعـادت في منابتهـا
تلـك العـروق بـإذن الله لـم تَمِـل
١٢) والسَّرحُ بالشـام لمّـا جئتَهـا سجدت
شـمُّ الذوائب مـن أفنانهـا الخُضُـل
١٣) والجِـذْع حـنَّ لأن فارقتَـه أسفـا
حنـين ثكْلَى شجتهـا لوعـةُ الثَّـكَل
١٤) ما صبرُ من صـار من عـين إلى أثر[٢]
وحـالُ مـن حـال من حَلْيٍ[٣] إلى عَطَل
١٥) حَيِي [٤] فمات سكونا ثم مـات لـدن
حَيِي حنينـا فأضحـى غـابة المَثـل
١٦) والشاة لمـا مسحتَ الكف منـك عـلى
جَهْـد الهُـزال بأوصـال لهـا قُحُـل[٥]

---

(١) في العبدرية : « الدلل » بإهمال الذال .

(٢) في العمارية : « عـلى » .

(٣) في العمارية : حـال .

(٤) في الحمارية والعبدرية « حى » والتصحيح من نسختنا .

(٥) في العبدرية : نحل ، ومعناهما واحد .

١٧) سحَّت بدِرَّة شكرى[1] الضَّرْع حافلة
فروّت الركب بعد النهل بالعلل

١٨) وآيةُ الغار إذ وُقِيتَ في حجب
عنْ كل رِجْس لرجس الكفر منتَحِل

١٩) وقال صاحبك الصديق كيف بنا
ونحن منهم بمرأى الناظر العَجِل

٢٠) فقلت لا تحزنِ ان الله ثالثنا
وكنتَ في حجْب ستر منه مُنسدِل

٢١) حمت لديك حمامُ الوحش جاثمةً
كيْداً اكل غَوِيٍّ القلب مُختَبَل

٢٢) والعنكبوت أجادت حَوْكَ حُلتها
فما يُخال خِلال النسج من خَلل

٢٣) قالوا وجاءت إليه سرحة سترت
وجْهَ النبي بأغصان لها هُدُل

٢٤) وفي سُراقَةَ آيات مُبَيّنة
إذ ساخت الحِجر في وحْل[2] بلا وحَل

٢٥) عَرجْت تخترق السَّبعَ الطِّباقَ إلى
مَقام زُلفى كريم قمت فيه عَل

٢٦) عن قابِ قوسيْن أو أدنى هبطتَ ولم
تستكمل الليل بين المرء والقَفَل

(١) في العمارية : شكوى وفي العبدرية : شكر والتصحيح من نسختنا .
(٢) في العبدرية : رجل والحجر بكسر الحاء : انثى الخيل .

٢٧) دعوتَ للخلق عام المَحْل مبتهلاً
أفديك بالخلق[1] من داعٍ ومُبتهِل

٢٨) صعّدتَ كفّيْك إذ كفّ الغمامُ فما
صوّبتَ إلا بصَوْب الواكِف الهَطِل

٢٩) أراق بالأرض ثَجّاً صَوْبُ ريّقِه
فَحلّ بالروضِ نسْجاً رائِق الحُلَل

٣٠) زُهْرٌ من النَّور حلّت روضَ أرضِهم
زَهْراً من النَّوْر ضافِي النَّبْت مُكتَهِل

٣١) من كل غصن نضِيرٍ مُورقٍ خَضِر
وكلِّ نَوْر نَضِيدٍ مُونِق خَضِل

٣٢) تحيةٌ أحيت الأحياءَ من مُضَر
بعد المَضرّة تروى السُّبْل بالسَّبَل

٣٣) دامت على الأرض سبعاً غيرَ مُقْلِعة[2]
لولا دُعاؤُك بالإقلاع لم تَزُل

٣٤) ويومَ زَوْرِك بالزّوراء[3] إذ صَعُروا
من يُمْن كفّك عن أُعجوبةٍ مَثَل

---

(١) في نسختنا : للخلق .

(٢) في العبدرية : مغلقة .

(٣) في العبدرية : فلا نهر . والزوراء المذكورة في هذه الابيات موضع بالمدينة وهو حديث انس عن هذه المعجزة كما في الصحيحين : رايت رسول الله ﷺ وهو بالزوراء وحانت العصر ، الحديث .

٣٥) والمـاءُ ينبُـع جَـوْداً من أنامِلِهـا
وَسْطَ الإنـاء بـلا نَهْـرٍ[١] ولا وَشَل

٣٦) حتى توضـأ منـه القـومُ واغترفـوا
وهـم ثـلاثُ مئـين جَمْـعُ محتَفِـل

٣٧) أشبعتَ بِالصّـاع ألفـاً مُرمِلين كما
روَيْتَ ألفـاً ونصف الألف مـن سَمَل[٢]

٣٨) وعـاد مـا شبعَ الألفُ الجِياعُ بـه
كمـا بـدَوْا فيـه لـم ينقُص ولـم يَحُل

□ □ □

٣٩) أعجزتَ بالـوحي أربـابَ البلاغـة في
عصـر البيـان فضَلَّتْ أوْجُـهُ الحِيَـل

٤٠) سألتهـم سـورةً في مثـل حكمتـه
فَتَلَّهـم عنـه حَيْنُ العَجْـز حـين تلي

٤١) فـرامَ رِجْسٌ كذوبٌ أن يُعارضـه
بسُخْفِ إفْكٍ فلم[٣] يُحْسِنْ ولم يُكِل

٤٢) مُثَبَّج بِركيـك الإفـك مُلْتَبِس
مُلَجْلَـج بِزَري[٤] الـزُّور والخَطَـل

---

(١) في العبدرية : فلا نهر .
(٢) السمل بقية المـاء في الإناء .
(٣) في العمارية : لم . وهو كذلك لا يتزن .
(٤) في العبدرية : بردي .

٤٣) يمُجُّ أولَ حرف سمعُ سامعه
ويعتريه كَلالُ العجز والمَلَل

٤٤) كأنه منطِقُ الوَرْهاء شذَّ به
لَبْسٌ من الخَبْل[1] أو مَسٌّ من الخَبَل

٤٥) أمرَّت البِيرُ بل غارتْ لِسَجَّتِه
فيها وأعمَى بصيرَ العين بالثَّفَل

٤٦) وأَيْبَس الضَّرعَ منه شؤمُ راحتِه
من بعد إرسال رِسْلٍ منه مُنهمِل

٤٧) برِئْتَ من دين قوم لا قَوام لهم[2]
عقُولهم من وَثاق الغيِّ في عُقُل

٤٨) يَستخبرون خَفِيَّ الغيب من حجَر
صَلْد، ويرجُون غَوْث النصرِ من هُبَل

٤٩) نالوا أذًى منك لولا حِلمُ خالقهم
وحجةُ الله بالإعذار لم تُنَل

٥٠) واستضعفوا أهل دين الله فاصطبروا
لكل مُعضِل خطبٍ فادح جلَل

٥١) لاقَى بِلالٌ بَلاءً من أمَيَّة قد
أحلَّه الصبرُ فيه أكرَمَ النُّزُل

٥٢) إذ أجهدوه بِضَنْك الأسْر وهو على
شدائد الإِزْل[3] ثَبْتُ الأزْر لم يَزل

---

(١) في نسختنا: الحبل بالمهملة. والخبل بالسكون الفساد وبالفتح الجن
(٢) في طرة نسختنا إشارة الى نسخة أخرى فيها: له. وهي أنسب.
(٣) الداهية والأمر الشديد.

٥٣) أَلقَوْه بَطْحاً بِرَمْضاءِ البِطاح وقد
عَالَوْا عليه صُخُوراً جمَّة الثِّقَل

٥٧) يُوحِّدُ اللهَ إخلاصاً وقد ظهرت
بِظَهْرِه كَنُدوبِ الطّل في الطَّلَل

٥٥) إن قُدَّ ظهرُ وَلِيِّ اللهِ من دُبُر
قد قُدَّ قلبُ عدو اللهِ[1] من قُبُل

□ □ □

٥٦) نَفرْتَ في نَفرٍ لم ترض أنفسُهم
إذ نافروا الرِّجسَ إلا القُدس من نَفل

٥٧) بِأنفُس بَدَّلتْ في الخُلد إذ بَذلتْ
عن صِدْق بَذْل ببدرٍ ، أكرَمَ البَدَل

٥٨) مِن كل مُهتَصِر ، لله منتصِر
بالبِيض مختَصِر ، بالسُّمر معتقِل

٥٩) يمشي إلى الموت[2] عالي الكعب معتقلاً
أظْمَى الكُعوب كمشْي الكاعِب الفُضُل

٦٠) قد قاتَلُوا دونك الأقيالَ عن جلَد
وجالَدُوا بجِلاد البِيض والجَدل

---

(١) يريد به أمية بن خلف الذي كان يعذب بلالا بمكة فقتله بلال في بدر .
(٢) في طرة نسختنا : إشارة الى نسخة فيها : الى الحرب .

٦١) وصَلْتَهم وقطعتَ الأقربين معاً
في الله لولاهُ لم تقطع ولم تَصِلِ

٦٢) وجاء جبريلُ في جُنْدٍ له عُدَدٌ
لم تَبتَذِلْها أكُفُّ الخلق بالعَسَل

٦٣) بِيض من العُون لم تُستَلَّ من غُمُدٍ
خَيْل من الكَوْن لم تَستَنَّ في طِيَل

٦٤) أحبب بخيلٍ من التكْوين قد جُنبت[1]
لجانبٍ عن جَناب الحق مُعتزِل

٦٥) أعميتَ جيْشاً بكف من حصى فَجثَوا
وعُقِّلوا عن حَراكِ النَّقْل بالنَقَل

٦٦) ودعوة بِفِناء البيت صادقة
غدا أمَيةُ منها شرَّ مُنْخذِل[2]

٦٧) غادرتَ جهْلَ أبي جهل بمَجْهَلة
وشاب شيبةُ قبل الوقْت[3] من وجَل

٦٨) وعُتْبةُ الشر لم يُعتِب فتَعْطِفَه
منك العواطِفُ قبل الحَيْن في مَهَل

٦٩) وعُقْبَةُ الغُمر عُقباه لِشقْوته
أن ظلَّ[4] من غَمرات الخِزْي في ظُلَل

(١) في العبدرية : حبيت .
(٢) في العمارية : منخزل ، والدعوة المشار اليها يعني ما جاء في الصحيح من قوله ﷺ : اللهم عليك الملأ من قريش وسمّى نفرا منهم : ابا جهل وامية بن خلف وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة واخاه الوليد فصرعوا كلهم في بدر .
(٣) في العمارية : الموت .
(٤) في العمارية : طال ، والمراد بعقبة : ابن ابي مُعَيط وهو الذيالقى سلا الجزور على النبي عند سجوده فدعا عليه وعلى رفاقه .

٧٠) وكلِّ أشْوسَ عاتي القلب مُنقلِبِ
جعلتَه بقَليب البئر كالجُعَلِ

٧١) وجائمٍ بمثار النقع مُشتَغِلٍ
بجاحمٍ من أوار الشكل مُشتعِل

٧٢) عقدتَ بالخزي في عِطفيَ مُقلّدهِ
طوقَ الحمامة باقٍ غيرَ منتقِل

٧٣) أمسى خليلَ صَغار بعد نَخْوته
بالأمس في خُيَلاء الخيْل والخَول

٧٤) دامٍ يُديم زفيراً في جَوانحه
جُنْحٌ من الشك لم يَجْنح ولم يَمِل

٧٥) يُقاد في القِدِّ خَنْقاً مُشرَبا حَنَقاً
يمشي به الذُعرُ مشي الشارِب الثمِل

٧٦) أوصاله من صَليل الغُلِّ في عِلَل
وقلبُه من غليل الغِل في غُلَل

٧٧) يظَلُّ يحجُلُ ساجِي الطَرف خافِضَه
لِمَسْكة الحِجْل لا من مُسْكة الخَجل

٧٨) أرحتَ بالسيف ظهر الأرض من نَفَر
أزحتَ بالصِّدق منهم كاذِبَ العِلَل

٧٩) تركتَ بالكفر صدْعاً غيرَ ملتئم
وآب عنك بقُرْح غير مُندمِل

٨٠) وأفلتَ السيفُ منهم كلَّ ذي أسف
على الحِسَام حماه آجلُ الأَجل

٨١) قد أعْتقَتْه عِتاقُ الخيل وهو يرى
به إلى رِقّ موتٍ رِقّةَ الغَزل

٨٢) فكم ببَكّة من باكٍ وباكِيَةٍ
بفيض سَجْل من الآماق مُنْسَجِل

٨٣) وكاسف البال بالي الصبْر جُدْتَ له
بوابِل من وَبَال الخزي مُتَّصل

٨٤) فؤاده من سعير الغيظ في غُلل
وعينُه من غزير الدمع في غَلَل

٨٥) قد أسعرتْ منه صدراً غير مصطبر
وحملت منه صبرا غير مُحتَمَل

□ □ □

٨٦) ويومَ مكة إذ أشرفْتَ في أُمم
يضيقُ منها فِجاجُ الوعث والسهَل

٨٧) خوافقٌ ضاق ذَرْعُ الخافِقَين بها
في قاتِم من عَجاج الخيل والإبِل

٨٨) وجحفل قَذِف الارجاء ذي[1] لجب
عَرَمْرَم كزُهاء السيْل[2] مُنسجل

٨٩) وأنت صلى عليك اللهُ تقدُمُهم
في بَهْو إشراق نُور منك مكتمِل

٩٠) يُنير فوق أغَرّ الوجه مُنتجبٍ[3]
مُتَوَّج بعزيز النصر مُقتبَل

٩١) يسمو أمامَ جنود الله مرتدياً
ثوبَ الوقار لأمر الله مُمتثِل

٩٢) خشَعْتَ تحت بهاء العز حين سمتْ
بكَ المهابَةُ فِعلَ الخاضع الوجِل

٩٣) وقد تباشر أملاكُ السماء بما
ملكتَ إذ نلتَ منه غايةَ الأمل

٩٤) والأرض تَرجُف من زَهْوٍ ومن فَرَق
والجو يُزهر إشراقاً من الجَذَل

٩٥) والخيلُ تختال زهْواً في أعِنَّتها
والعِيس تنثالُ رَهْواً في ثُنَى الجُدُل

٩٦) لولا الذي خطَّت الأقلامُ من قَدر
وسابقٍ من قضاء غير ذِي حِوَل

---

(١) في العبدرية : « في لجب » .
(٢) في العمارية : « الليل » ، وفي العبدرية : « النسيل المنسحل » ، وهو تصحيف .
(٣) في العبدرية : « منتخبٍ » .

٩٧) أهلَّ ثهلانُ بالتَّهليل من طرب
وذاب يذْبُلُ تهليلاً من الذبُل

٩٨) الملك لله هذا عِزُّ من عُقِدت
له النبوةُ فوق العرش في الأزَل

٩٩) شعَبْتَ صدْعَ قُريش بعدما قذفت
بهم شَعوبُ شِعاب السهْل والقلَل

١٠٠)قالوا محمدُ قد زارت كتائبُه
كالأُسد تزأرُ في أنيابها العُصُل

١٠١)فويْلَ مكةَ من آثار وطْأته
وويْلَ أمِّ قُريش من جَوى الهبَل

١٠٢) فجُدتَ عفواً بفضْل العفو منك ولم
تلمِم ْ ولا بأليم اللوْم والعذَل

١٠٣)أضربتَ بالصفْح صفحاً عن طوائلهم
طوْلاً أطال مَقيل النوم في المُقل

١٠٤)رحِمتَ واشِجَ أرْحامٍ أُتيح لها
تحتَ الوشِيج نشيج الروْع والوجَل[١]

١٠٥)عاذوا بظِل كريم العفو ذي لَطَفٍ
مُبارك الوَجْه بالتوفيق مشتَمِل[٢]

١٠٦)أزكى الخليقة أخلاقاً وأطهرها
وأكرم الناس صفْحاً عن ذوي الزلل

(١) في العبدرية : والخجل . والتصحيح من نسختنا .

١٠٧) ذان الخشوعَ وقارٌ منه في خفَرٍ
أرقَّ من خَفَرِ العذراء في الكِلَلِ

١٠٨) وطُفتَ بالبيت محبُوراً وطاف به
مَن كان عنه قُبَيْلَ الفتح في شُغُلِ

١٠٩) والكفر في ظلُمات الخزي مُرتكِسٌ
ثاوٍ بمنزلة البهْموتِ من زُحَلِ

١١٠) حجَزْت بالأمن أقطار الحجاز معاً
وملت بالخوف عن خَيْفٍ وعن ملل

١١١) وحلَّ أمنٌ ويُمْنٌ منك في يَمَن
لمَّا أجابت إلى الإيمان عن عَجَلِ

١١٢) وأصبح الدين قد حُفَّت جوانبُه
بِعِزَّة النصر واستولى على المِلَلِ

١١٣) قد طاع مُنحرِفٌ منهم لمُعتَرِف
وانقاد مُنعَدِلٌ منهم لمُعتَدِلِ

١١٤) أحبِبْ بِخُلة أهل الحق في الخُلل(١)
وعِزٌّ دولته الغراء في الدوَلِ

١١٥) أمَّ اليمامةَ يومٌ منه مُصطلِم
وحلَّ بالشام شؤْمٌ غير مرتحِلِ

---

(١) في العبدرية « خلل » .

١١٦)تَعَرَّقَتْ منه أعراقُ العراق ولم
يُترك من الترك عظمٌ غيرُ مُنْتَشَلِ[1]

١١٧)لم يبق للفُرْس ليثٌ غيرَ مفترَسٍ
ولا من الحُبش جيْشٌ غيرَ مُنجَفِل

١١٨)ولا من الصِّين صَوْنٌ غير مُبتذَل
ولا من الرُّوم مرْمى غيرَ مُنتضَل

١١٩)ولا من النُّوب جِذمٌ[2] غير مُنجذِمٍ[3]
ولا من الزَّنج جِذْل غير مُنجَذِل

١٢٠)ونيلَ بالسَّيف سيفُ النِّيل واتصلت
دعوى الجنود فكُلٌّ بالجِلاد صُلي

١٢١)وسُلَّ بالغربِ غَرْبُ السيفإذ شَرِقت
بالشَّرق قَبْلُ صُدورِ البيض والأَسل

١٢٢)وعاد كلُّ عدُوّ عزَّ جانِبُه
قد عاذَ منك بِبَذْلٍ غيرِ مُبتذَل[4]

١٢٣)بذِمة الله والإيمان مُتَّصل
أو من شَبا النَّصل بالأموال مُنتَصل

□ □ □

١٢٤)يا صفو ةالخلق قد أصفَيْتُ فيك صفا
صفْو الوداد بلا شَوْب ولا دَخَل

---

(١) في العبدرية : منشثل .
(٢) في العبدرية : جزم وهو تصحيف .
(٣) في العبدرية : منجرم .
(٤) في العبدرية : ببكل منه مبتذل . ولا يظهر لها معنى .

١٢٥) ألستَ أكرمَ من يَمْشِي على قدم
من البرية فوق السهل والجبل

١٢٦)وأزْلَفَ الخلقِ عند الله منزلةً
إذ قيل في مشهد الأشهاد والرُّسل

١٢٧)قم يا محمدُ فاشفعْ في العباد وقل
تُسْمَع وسَلْ تُعطَ واشفع عائداً وسَلِ

١٢٨)والكوثرُ الحوضُ يروِي الناس من ظمأٍ
بَرْح ويُنقَع منه لافِحُ الغُلل

١٢٩)أصفى من الثلج إشراقاً مَذاقتُه
أحلَى من اللَّبنِ المضْرُوب بالعَسل

١٣٠نَحلتُك الودَّ علّي إذ تحلتُكَه
أُحْبى بحبِّك منه أفضَل النُّحَل

١٣١)فَما بجِلْدي لنُضْج النار من جَلَدٍ
ولا لقلبي بهوْل الحشر من قِبَل

١٣٢)يا خالِقَ الخلق لا تُخْلِقْ بما اجترمتْ
يداي وجْهيَ من حُوب ومن زَلل

١٣٣)واصْحَب وصَلِّ وواصِلْ كلَّ صالحة
على صَفيِّك في الإصباح والأُصُل

طيجة : عبد الله كنون

رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين وغيرهم

للإمام

مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري

تحقيق الاستاذة سكينة الشهابي

مقدمة المحققة :

كنـوز لا حصر لهـا من التراث تحتـاج الى مـن ينقب عنهـا في المجـاميع الحديثية المكدسـة على رفوف قـاعة المخطوطـات في المكتبة الظاهرية يكـاد يخترم بعضها البلى بفعـل الأرضة وتطـاول الزمن • إن هذه المجاميع الحديثية لاتضم كتب الحديث فقط بل تحتوي على أشتات متنوعة من الموضوعات يمكن أن تنضوي تحت العناوين التاليـة : الأدب والحديث والتاريخ، وكثير منها يمكن أن يعتبر مـن المخطوطات النادرة النفيسة • ومن هذه المخطوطات التي لايمكن أن تقدر بثمن كتيب صغير في الرجال كان يرقد مطمئناً في المجموع (٥٥) هو « رجال عروة بن الزبير وجماعة من التابعين وغيرهم » •

مؤلف الكتاب مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صاحب الصحيح وصاحب الكنى•ومن منا يجهل هذا الرجل الكبير الذي عاش في النصف الأول من القرن الثالث الهجري وتجاوز هذا النصف بقليل (توفي سنة

٢٦١) ومن منا لايعرف صحيحه ولا يعود إليه في كثير من أمور دينه ومعاشه ، هذا الأثر الضخم الذي لايساويه في مؤلفات الحديث سوى صحيح البخاري . جمع مسلم في صحيحه هذا الحديث النبوي من الطرق الصحيحة ، واستبعد ببصيرته النافذة وحسن درايته تلك الأحاديث الضعيفة المعلولة سواء كانت علتها في المتن أو في الاسناد . هذا الرجل الخبير في علم الرجال انتقى عدداً من التابعين وغيرهم ونظمهم في حلقات نجد أنفسنا بأمسّ الحاجة لمعرفتها ونحن نتساءل : عمن روى فلان ومن روى عنه ، إنه يفيدنا في مجالات خاصة أكثر بكثير من المصنفات الضخمة التي اعتمدت الترتيب الهجائي في عرض أسماء الرجال مع تراجم لهم لأنها لا تستوفي رواية هؤلاء الرجال .

قلت : إن هذا الكتيب في الرجال ، ولكن عرض مسلم لمادته يخالف مانعرفه من كتب في هذا الموضوع : فهو من جهة يكتفي بسرد أسماء الرجال ، ومن جهة ثانية لايعتمد في هذا السرد على الترتيب الهجائي . ولو فعل لفقد الكتاب كثيراًمن أهميته،ولما توخينا منه هذه الفائدة التي نتوخاها الآن .

ولو شئنا أن نلخص موضوع الكتاب لقلنا : إنه خاص برواية بعض الرجال من كبار التابعين وغيرهم : من روى عنهم ومن رووا عنه،وهؤلاء الرجال هم : عروة بن الزبير ــ علي بن الحسين ــ سليمان بن يسار ــ عمرو بن دينار ــ الشعبي ــ ابن شهاب الزهري ــ شعبة ــ قيس بن أبي حازم ــ أبو عثمان النهدي ــ مطرف بن عبد الله ــ حضين بن المنذر الرّقاشي ــ سعيد بن المسيب ــ قيس بن عباد . وبين هؤلاء صحابيان ذكر مسلم أسماء من رووا عنهما وهما : أبو بكر الصديق وأبو سعيد الخدري .

وتكاد تكون فكرة عرض هؤلاء الرجال هي نظمهم في حلقات كل حلقة تضم رجلاً كبيراً من الذين عرفوا برواية الحديث وحوله رجاله ، أي شيوخه وتلامذته يوزعون بحسب الصحبة والقرابة والمدن . ونأخذ نموذجاً لهؤلاء الرجال عروة بن الزبير[1]،فالمصنف يسرد رجاله كمايلي : الذين روى عنهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ـ الذين روى عنهم من سائر الناس ـ من روى عن عروة بن الزبير من ولده ومواليه ـ من روى عن عروة بن الزبير من أهل المدينة ـ من روى عن عروة بن الزبير من أهل مكة ـ من روى عن عروة بن الزبير من أهل البصرة ـ من روى عن عروة بن الزبير من أهل الكوفة ـ من روى عن عروة بن الزبير من سائر البلدان .

وقد يكتفي المصنف بالذين روى عنهم التابعي، وهذا نجده في رجال الشعبي ، فهو يعرض علينا أسماء الذين روى عنهم الشعبي من الصحابة ومن التابعين ، ولا يذكر أسماء الذين رووا عن الشعبي وعلى العكس من ذلك يفعل في رجال شعبة إذ يكتفي بالذين رووا عنه ويقسمهم الى عشر طبقات ، والذين رووا عنه من الغرباء ويقسمهم إلى أربع طبقات .

قلت : إن لهذا الكتاب على صغره أهمية كبيرةلأهمية موضوعه ومكانة مؤلفه ، وأضيف أشياء أخرى ، ولعلها الأهم وهي : قِدم النسخة وصحة سماعها ووضوح خطها وجودة إعجامها وضبطها ، إنها بخط الخطيب البغدادي أحمد بن علي بن ثابت الحافظ المحدث الثبت ، هذا العلم الكبير الذي عاش في القرن الخامس الهجري (توفي سنة ٤٦٣)

---

(١) عروة بن الزبير بن العوام ، عالم المدينة ابو عبد الله القرشي الأسدي . احد الفقهاء السبعة ، امه اسماء بنت ابي بكر ، واخوه عبد الله ابن الزبير وخالته أم المؤمنين عائشة . التابعي الكبير وابن الصحابي واخو الصحابي وقف حياته للعلم ولم يجد امنية يتمناها على الله حين تمنى افضل من ان يؤخذ عنه العلم . سير اعلام النبلاء ١٤٥/٤ .

والذي يُعتبر أكبر أعلام هذا القرن في نقد الحديث والتأليف في علومه وفنونه المتنوعة ، وهو أيضاً صاحب تاريخ بغداد أضخم مصنف وأقدم مصنف ألّفَ في تاريخ المدن قبل تاريخ دمشق . ولم يقتصر الخطيب على التأليف في الحديث ثم التأريخ لرجال بغداد فقط ، بل زاد على ذلك العناية بالمتشابه من الأسماء : ألف « المتفق والمفترق » ، و « تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ماأشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم»[١]، وهو أضخم كتاب ألف في موضوعه قبل « الاكمال » لابن ماكولا ويعتبر أصلاً مباشراً للاكمال ، فابن ماكولا ينقل عبارته بلفظها تارة وبمعناها تارة أخرى ، فكأن صاحب الإكمال بنى كتابه عليه في ضبط الأسماء المتشابهة وحمايتها من التصحيف والتحريف .

ولاشك أن من عاش عمره للحديث ولضبط أسماء رجاله سيكتب أسماء الرجال بدقةٍ لاتعد لها دقة وسنلفظ ماكتبه ونحن واثقون مطمئنون وكيف لانثق ونطمئن ونحن نجد الخطيب البغدادي يزين خطه الجميل بالاعجام والشكل .

إنني أقدم هذا الكتاب للقراء قطعة أثرية نفيسة غنية عن التحقيق والتدقيق ، وكل الذي أرجوه أن أكون استطعت أن أحافظ على سلامة الضبط وصحة الاعجام ، وان أعرض هذا الكتاب كما نطق به مسلم وكما كتبه الخطيب ، وهذه أولى مهام التحقيق وأصعبها ، كما أرجو أن تكون الحواشي التي أضفتها مجديةً في إغناء الأسماء وتوضيح الكنى واتمام الضبط ، فما وجدته مشكولاً في الأصل من الاسماء عدت إلى المظان لأتثبت من شكله ، ولم أذكر تلك المظان في الحواشي لاتفاق ضبطها مع ضبط الأصل،وما وجدته من غير ضبط ضبطته وأحلت القارىء على مصادري في هذا الضبط . وما أورده مسلم بكنيته ذكرت في الحاشية

(١) تعمل كاتبة هذه السطور على تحقيق الكتاب .

اسمه الصريح إن كان معروفاً وفسرت ماكان غريباً من الأنساب وأحلت على مصادري في ذلك •

وأنا في عملي هذا لاأكمل نقصاً وإنما أحس بحاجتنا (نحن) إلى مزيد من الضبط مما لم يكن يحتاج إليه أبناء القرن الخامس الهجري ، وأوضح مالم يكن يخفى عليهم ، ولكن الأمر يتعلق بتطور الزمن وبتقصيرنا نحو تراثنا ووسيلتنا الى هذا التراث •

ولم أشأ أن أضع فهارس للكتاب لأن ماتتوخاه منه من فائدة نستطيع الحصول عليه بوضعه الراهن ، فاكتفيت بترتيب أصحاب الرواية في الكتاب ترتيباً أبجدياً وأحلت كل اسم من هذه الاسماء على الصفحة التي يوجد فيها من المطبوع ، فمن أسماء هؤلاء الرجال نصل الى الرواية التي تهمنا سواء كانوا هم المتلقين أو الذين أخذ عنهم •

وكل الذي أرجوه أن يكون في عملي إرضاء الله وخدمة للعاملين في إحياء التراث والله من وراء القصد •

وصف المخطوطة : يتألف الكتاب من ثماني ورقات (١٤٠ ــ ١٤٧) في المجموع ٥٥ ــ حديث • مسطرة الورقة ٢٨ سطراً بخط قديم نفيس صحيح الإعجام والشكل • وعلى الوجه الأول من الورقة الأولى [١] بالاضافة الى العنوان :

« وقف مؤبد أوقفه ابن الحاجب •• بقاسيون ظاهر دمشق » ثم : « رواية أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الأُرْموي عن أبي بكر الجوزقي عن مكي بن عبدان عنه سماع أحمد بن علي بن ثابت الخطيب نفعه الله به » • وإلى الأسفل من ناحية اليمين بخط آخر : « خطه الإمام الحافظ

(١) انظر ص ١١٢ •

الوجه الأول من الورقة الأولى

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قدس الله روحه ونور ضريحه » ثم بخط آخر : « وقفه أبو الفتح عمر بن محمد بن الحاجب الأميني رحمه الله تعالى » . وبعد ذلك السماع التالي : « قرأت جميع هذا الجزء على الشيخ الامام العالم الأصيل أبي القاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ ابن صصرى الربعي أثابه الله الجنة باجازته من الفضل بن سهل الاسفرايني والطرائفي قالا : أنبا الخطيب اجازة فسمعه الشيخ أبو محمد عبد الرحمن ابن ابراهيم التّونسي . وكتب عمر بن محمد الأميني بخطه في العشر الأول من شهر رمضان سنة أربع وعشرين وستمائة بالكلاسة من جامع دمشق عمره الله » .

ومما تقدم يتضح أن الخطيب سمع هذه النسخة وكتبها ورواها .

وقد بدأ الكتاب بالطريق ذاته المثبت على الوجه الأول من الورقة الأولى [1] .

وحواشي المخطوط حافلة بتعليقات بخط واحد مخالف لخط الأصل ، وهي تضيف بعض الأسماء التي كان من الممكن أن تذكر في المتن منوهة بالكتب التي أوردتها في طبقتها ، ويرافق هذه الأسماء تعليقات على صحة وضعها في مواضعها وعدم صحته[2] . ومن أصحاب المصنفات الذين ورد ذكرهم في الهوامش النسائي والخرائطي وابن منده . وصرح باسم كتاب الخرائطي « مساوىء الأخلاق » . وهذه التعليقات ليست من نوع الاستدراكات التي يمكن أن تضاف الى المتن لأنها ليست من أصل المؤلف ولكنها تعليقات قراء قدماء للنسخة ، وقد أثبت ما استطعت قراءته منها في مظانها من الحواشي .

---

(١) انظر صورة الوجه الأول والثاني من الورقة الاولى من الاصل ص ١١٢ ، ١١٤ .

(٢) انظر صورة الوجه الأول من الورقة ٦ من الأصل ص ١١٥ .

الوجه الثاني من الورقة الأولى

صورة الوجه الاول من الورقة ٦

أسماء أصحاب الرواية في الكتاب منسوقة على حروف المعجم

١ ب

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفقيه الأُرْموي[2] بنيسابور في ذي الحجة من سنة خمس ...[3] مائة قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله ابن زكريا الجوزقي[4] ...[3] قال : قرىء على أبي حاتم مكي بن عبدان بن محمد بن بكر بن مسلم سمعت أبا الحسين مسلم بن الحجاج يقول :

---

(١) في هامش الورقة الايمن سماع اصاب بعضه بلل أو رطوبة اثبت فيما يلي ما استطعت قراءته منه : « سمعت ... العالية الضراب بقراءة ... ومحمد بن ابراهيم بن عبدان الكرماني ومحمد بن محمد الكرابيسي واحمد بن محمد البناذاني وعبد الواحد بن علي ... الاسداباذي وابراهيم بن أبي العباس الحبلي »

(٢) نسبة الى ارمية ــ بالضم ثم السكون ــ ولم اعثر له على ترجمة

(٣) كلمة لم تتضح بسبب بلل او رطوبة .

(٤) هو ابو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا المعدل الجوزقي ، صاحب الصحيح المخرج على كتاب مسلم ، سمع مكي بن عبدان ، توفي سنة ٣٨٨ ، اللباب ٢٥١/١ ، وسير اعلام النبلاء ٥٤٢/١٠ ، وطبقات الشافعي للسبكي ١٦٩/٢ ، والنجوم الزاهرة ١٩٩/٤ ، والوافي بالوفيات ٣١٦/٣ ، والشذرات ١٢٩/٣ .

رجال عروة بن الزبير
الذين روى عنهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

الزبير بن العوام ، وأبو حميد الساعدي [١] ، وأبو أيوب الانصاري [٢] ، وحكيم بن حِزام [٣] الاسدي ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، والنعمان بن بشير الانصاري ، وزيد بن ثابت ، وأبو هريرة ، وعبد الرحمن بن أبي بكر الصديق ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمر بن أبي سلمة ، وعبد الله بن جعفر ، وسفيان بن عبد الله الثقفي ، وعبد الله بن الزبير ، وكرز بن علقمة الخزاعي ، وعثمان بن طلحة ، وناجية بن جُنْدَب الاسلمي ، والمِسْور بن مَخْرمة وقيس بن سعد ابن عُبادة .

ومن النساء من روى عنهن : عائشة زوج النبي صلى الله عليه ، وأسماء بنت أبي بكر ، وزينب بنت أم سلمة ، وعميرة بنت عبد الرحمن .

(ومن روى عنهم من سائر الناس)

عُبَيْد الله بن عدي بن الخِيار [٤] بن نوفل ، وعبد الرحمن بن عبد القاريّ ، وبشير بن أبي مسعود الأنصاري ، وعمر بن عبد العزيز بن مروان ، والأحنف بن قيس ، وسليمان بن يسار ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، ومروان بن الحكم ، ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، وأبو مروان الليثي ، وجُمْهان [٥] الأسلمي ، وعاصم بن عمر بن الخطاب ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن سعد بن المنذر . انظر كنى مسلم ل٢٩ (٢) اسمه خالد بن زيد بن كليب ، انظر تاريخ هارون بن حاتم ٣٦ ، وكنى مسلم ل ٥ (٣) الضبط من الاكمال ٢/٤١٥ ، (٤) الضبط من التقريب ٢٥٢ (٥) الضبط من التقريب ٦٩ .

وحُمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ، وزُيَيْد بن الصّلت، والحجاج ابن الحجاج بن مالك الأسلمي .

ومن روى عن عروة بن الزبير من ولده ومواليه

محمد بن عروة بن الزبير ، ويحيى بن عروة بن الزبير ، وعثمان بن عروة ، وهشام بن عروة بن الزبير ، وعبد الله بن عروة بن الزبير ، وعمر بن عبد الله بن الزبير ، وهاشم بن حمزة بن عبد الله ، وعاصم بن المنذر بن الزبير ، وحبيب مولى عروة بن الزبير .

ومن روى عن عروة بن الزبير من أهل المدينة

سليمان بن يسار ، وعمر بن عبد العزيز بن مروان ، وابو سلمة بن عبد الرحمن ، ومحمد بن مسلم بن شهاب ، وسعد بن ابراهيم ، وصفوان بن سُليم ، وعراك بن مالك ، ومحمد بن كعب القُرظي ، ويزيد بن خُصيفة ، ومحمد بن المنكدر بن الهُدير ، ويزيد بن رومان ، وسالم أبو النضْر ، وعبد الله بن دينار ، وعبد الله بن هند بن اسلم ، ومحمد بن عبد الرحمن أبو الاسود ، ووهب بن كيسان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وأبو الزّناد عبد الله بن/ذكوان ، وبُكيْر بن عبد الله بن الأشج ، وابراهيم بن عقبة ، وربيعة بن أبي عبدالرحمن ، وسعيد بن أبي سعيد المَقبُري، ومخلد بن خُفاف [1] بن إيماء ، وعثمان بن الوليد والوليد بن أبي الوليد ، وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان ، وعمر بن مسلم ، ومحمد بن جعفر بن الزبير القرظي ، وسليمان بن عويمر ، ومحمد ابن ابراهيم التيمي ، وعثمان بن محمد بن الأخنس ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، واسمعيل بن محمد بن زيد بن ثابت ، ونَدبة ، والضحاك بن

٢ب

(١) الضبط من التقريب ٢٤٨

عثمان الأسدي ، والزبرقان بن عمرو الضمري ، وداود بن مدرك ، وعبد الله بن عُبَيدة [١] بن نشيط ، ويزيد بن عبد الله بن سعد .

ومن روى عن عروة بن الزبير من اهل مكة

عطاء بن أبي رباح ، وطاوس بن كيسان اليماني ، وعبد الله بن أبي ملكية ، وعمرو بن دينار ، وعمرو بن شعيب ، وعثمان بن أبي سليمان ، وعبد الله بن أبي نجيح .

ومن أهل البصرة ممن روى عن عروة

علي بن نافع الحريثي ، وعثمان بن عثمان شيخ من أهل البصرة ، وعبد الرحمن بن المخارق .

ومن روى عن عروة من أهل الكوفة

هلال بن أبي حُمَيْد الوزّان ، ومجاهد بن وردان ، وحبيب بن أبي ثابت ، وطلحة بن يحيى بن طلحة ، ومعاوية بن إسحاق بن طلحة ، وعبد الله البهيّ مولى مصعب .

ومن روى عن عروة من سائر البلدان

حفص بن أبي الفرافصة ، ويحيى بن يحيى الغساني .

رجال علي بن الحسين الذين روى عنهم

حسين بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، والمِسْور بن مخرمة ، وصفية بنت حيي ، وزينب بنت أم سلمة ، وعبيد الله بن أبي رافع ، ومروان بن الحكم ، وعمرو بن عثمان ابن عفان ، وذكوان أبو عمرو ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جارية .

---

(١) كذا ضبطه الخطيب في تلخيص المتشابه ت/٤٠ .

ومن روى عن علي بن حسين من ولده

محمد بن علي بن حسين أبو جعفر ، وعبد الله بن علي بن حسين ، وزيد بن علي بن حسين بن علي ، والحسين بن علي بن حسين ، وعبيد الله بن حسن بن حسن •

ومن روى عن علي بن حسين من اهل المدينة

محمد بن مسلم بن شهاب ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وابراهيم ابن عبد الله بن مَعْبَد ، ومحمد بن عمرو بن عثمان ، ويحيى بن سعيد ابن قيس ، وعبد الله بن محمد بن عَقيل ، ويعقوب بن عتبة الأخنسي ، وزيد بن أسلم مولى عمر ، وأبو سهيل نافع بن مالك ، / وسعيد بن مرجانة ، وعبد الله بن عروة بن الزبير ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وعبد الله بن ذكوان أبو الزناد ، وأبو الحويرث [1] ، وعبد الله بن دينار ، ومسلم بن أبي مريم ، ورفاعة بن الزبير ، وعبد الله بن زيد ، وعبد الله ابن سعيد بن أبي هند • ٢ب-

ومن روى عن علي بن حسين من أهل الكوفة

الحكم بن عتيبة ، ومسلم بن أبي عمران البطين ، وطارق بن عبد الرحمن ، وعَباية بن رفاعة بن رافع ، وسليمان بن المغيرة ، والقاسم ابن عوف ، وعدي بن ثابت ، ومسعود بن مالك ، ونُسَيْر بن ذُعْلُوق [2] ، وعبد الملك بن أبي سليمان العَرْزمي [3] ، وشيبة بن نعامة ، ومعاوية بن إسحاق بن طلحة ، ونصر بن أوس الطائي ، وعقبة بن

---

(١) اسمه خالد ، انظر كنى مسلم ل ٥٧

(٢) نسير : بمهملة مصغرا ، ذعلوق بضم المعجمة واللام بينهما مهملة ساكنة ، انظر التقريب ٣٧٢

(٣) العَرْزَمي : بفتح المهملة وسكون الراء وبالزاي المفتوحة ، انظر التقريب ٢٤٥

قيس ، وسليمن بن عبيد الله الكندي ، وحكم بن جُبير ، وحبيب بن أبي ثابت ، وعثمان بن حكيم الأنصاري ، ويزيد بن أبي زياد مولى بني هاشم •

ومن روى عن علي بن حسين من أهل مكة

عمرو بن دينار •

ومن روى عنه من أهل البصرة

علي بن زيد بن جُدعان ، ويزيد بن حازم •

رجال سليمان بن يسار من اصحاب النبي صلى الله عليه

عائشة زوج النبي صلى لله عليه ، وأم سلَمة زوج النبي صلى الله عليه ، وميمونة بنت الحارث ، وأبو أُسيد الساعدي [١] ، وأبو رافع [٢] مولى النبي صلى الله عليه ، وعبد الله بن حُذافة ، وزيد بن ثابت ، وأبو واقد الليثي [٣] ، وثابت بن الضحاك ، وعبد الله ابن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبد الله، وابو سعيد الخُدري ، وابو هريرة الدوسي ، وحسان بن ثابت، والشريد بن سُويد ، والمِسْوَرُ بن مخرمة ، وهبّار بن الأسود •

ومن روى عنه من التابعين

عبد الله بن عبد الله بن أبي أمية ، وعبد الله بن عيّاش المخزومي، وعبد الله بن عتبة بن مسعود ، ومحمد بن الأشعث ، وعبد الله بن الحارث ابن نوفل ، وعروة بن الزبير ، والسائب بن أبي حبيش ، وجعفر بن

---

(١) مالك بن ربيعة شهد بدراً • كنى مسلم ٤٨ ب

(٢) اسمه أسلم ويقال : « هرمز » . كنى مسلم ٦٠ ب

(٣) اسمه الحارث بن عوف . كنى مسلم ١٠٠

عمرو ، وكريب مولى ابن عباس، ونُفيع مولى أم سلمة ، وعقيل مولى ابن عباس •

ومن روى عن سليمان بن يسار من أهل المدينة

عروة بن الزبير ، وابن شهاب ، ومحمد بن المنكدر ، وأبو الزناد عبد لله بن ذكوان ، ويزيد بن عبد الله بن قُسَيْط ، وسالم ابو النضْر، وعبد الله بن دينار ، وزيد بن أسلم ، وصالح بن كيسان ، وبكير بن عبد الله بن الأشج ، ويزيد بن خصيفة ، وعبد الله بن الفضل الهاشمي ، وسعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن أبي سلمة ، ويونس بن يوسف ، وعبد الله بن محمد بن عقيل ، وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم ، وإسماعيل بن محمد بن سعد ، وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، / ومحمد بن يوسف مولى عمرو بن عثمان، ويعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، ومحمد بن أبي حرمله ، وابن سليمان بن يسار ، ويعقوب بن خالد ، والحارث بن عبد الرحمن بن أبي ذباب ، وعبد الله بن يزيد بن قسيط ، ويحيى بن سعيد الأنصاري ، وأسامة بن زيد التيمي ، وعبيد الله بن عبد الرحمن بن موهب ، وجعفر ابن عبد الله بن الحكم ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وإسماعيل بن أبي حكيم ، وموسى بن عُبَيدة الربَذِي • ٣ـ

ومن روى عنه من أهل مكة

عمرو بن دينار ، وعمرو بن شعيب ، وعبد الله بن كثير الداري •

ومن روى عنه من أهل البصرة

ايوب بن أبي تميمة السختياني ، وابو الخليل صالح بن أبي مريم، ويحيى بن أبي كثير ويعلى بن حكيم ، ويحيى بن ابي اسحاق، وعبد الله

ابن فيروز ، الدَّانَاج(١) ، وحاضر بن مهاجر البَجلي ، ويزيد بن حازم.

رجال عمرو بن دينـــار الذين روى عنهم

عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وجابر بن عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة .

ومن أهل المدينة

سعيد بن المسيب بن حَزْن ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، والحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وأبان بن عثمان بن عفان ، وسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وسليمان بن يسار ، ومحمد بن جبير بن مُطْعِم بن عدي ، وأبو صالح السمان ، ومحمد بن علي بن حسين / ويزيد بن هرمُز ، وعبـــد الرحمن بن هُرمز الأعـــرج ، وعبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وصالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وسلمة بن عمر بن أبي سلمة ، ومحمد بن عمرو بن حسن بن علي ابن أبي طالب ، ومحمد بن عمرو بن عطاء العامري ، ويزيد بن جُعْدبة الليثي ، وعبد الله بن أبي سلمة ، وكريب مولى ابن عباس ، وعروة بن الزبير بن العوام ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعبد الرحمن ابن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ، وثابت بن عيـــاض الاعرج مولى زيد بن الخطاب ، ومحمد بن مسلم بن شهاب ، ومحمد بن المنكدر ، وعلي بن رفاعة الانصاري .

٣ب-

من روى عن أبي سعيد الخدري

جابر بن عبد الله الأنصاري ، وعبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ،

---

(١) الداناج : العالم وهو فارسي معرب « دَانَا » عرب بزيادة الجيم ، ومنه لقب عبد الله بن فيروز البصري . انظر التقريب ٢١١ ، والتهذيب ٣٥٩ ، والتاج « دنج » .

وعبيد الله بن عبد الله ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعطاء بن يسار ، وأبو امامة بن سهل بن حُنَيْف ، وسليمان بن يسار ، وأبو صالح السمان [١] ، وبُسر بن سعيد ، وعبد الرحمن بن هُرمز الاعرج ، وحميد ابن عبد الرحمن ، ومحمود بن لبيد الأنصاري ، وعبد الرحمن بن أبي عمرة ، وعمرو بن سُلَيْم الزُرقي وعُبيد بن حنين ، وعكرمة مولى ابن عبّاس ، وعبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدري ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ، وأبو سعيد المَقْبُري ، وعبد الرحمن بن مهران ، ونهار العبدي ، وعبد الرحمن بن سعد مولى الأسود بن سفيان، وحمزة بن أبي سعيد ، وعبد الله بن خبّاب مولى [٢] ، وإسحاق مولى زائدة ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وعمرو بن اثبت العُتْوَاري [٣] ، وأيوب بن بشير الأنصاري ، وسمعان أبو يحيى الاسلمي ، وعياض ابن عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وأبو إبراهيم الأشهلي [٤]، وعبد الله ابن عبد الرحمن بن رافع الأنصاري ، وأبو رفاعة [٥] ، وأبو أمامة [٦] ابن سهل بن حُنيف ، ورافع بن إسحاق مولى الشفاء ، وأبو السائب

---

(١) اسمه ذكوان . كنى مسلم ٦٩ .

(٢) كذا في الاصل وبعدها ضبّة ، وهو : عبد الله بن خباب مولى بني عدي النجاري الانصاري، يعد في اهل المدينة، روى عن ابي سعيد الخدري، انظر الجرح والتعديل حـ ٢ ق ٤٣/٢ ، والتاريخ الكبير ٧٩/٥ ، والتهذيب ١٩٧/٥ ، وفيه : « ويقال إنه اخو مسلم بن خباب، وليس بصحيح » ، والتقريب ١٩٧ .

(٣) بضم العين وسكون التاء وفتح الواو وبعدها الف — كذا ضبطه السمعاني وقال : « هذه النسبة الى « عتوارة » وظني انه بطن من الأزد » ، واعاد قوله ابن الاثير . انظر الانساب واللباب «العَتْواري»

(٤) كنى مسلم ل٥ ولم يذكر اسمه .

(٥) كنى مسلم ل ٦١ ، ولم يذكر اسمه .

(٦) هو اسعد بن سهل بن حنيف . انظر كنى مسلم ل ٧ ب وقد تقدم في السطر الثاني من هذه الصفحة واعيد هنا سهواً .

٤- مولى بني زهرة / ، وسعيد بن الحارث ، بن أبي سعيد، وعبد الرحمن بن يعقوب مولى الحُرَقة، وأبو المثنّي الجُهني[١] ، ويُحَنَّس[٢] أبو موسى مولى مصعب بن الزبير ، ويحيى بن عُمارة بن أبي حسن المازني ، والنعمان بن أبي عياش الزُرَقي .

رجال الشعبي الذين روى عنهم من أصحاب النبي صلى الله عليه

علي بن أبي طالب ، والحسن بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وعدي بن حاتم ، وعبد الله بن عمرو ، وأنس بن مالك ، وجابر بن سمرة ، والأشعث بن قيس ، والمغيرة بن شعبة ، والنعمان بن بشير ، وجرير بن عبد الله ، وأبو جُحَيفة وَهْب بن عبد الله السُّوائي ، والبراء بن عازب ، وعامر بن شهر ، ومحمد بن صيفي الأنصاري ، ومحمد بن صفوان ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وفروة بن مُسَيْك[٣] ، وعروة بن أبي الجعد ، وعروة بن مضرس ، وفاطمة بنت قيس ، وزياد بن عياض ، وحبشي بن جُنَادة السلولي ، وأبو هريرة ، وعمرو بن حريث ، وعبد الله بن جعفر ، وقرظة ابن كعب ، وعبد الرحمن بن أبْزى ، وابن أبي أوفى ، وأسامة بن زيد ، وعبد الله بن الزبير ، والمقدام أبو كريمة .

ومن روى عنه الشعبي من التابعين

علقمة بن قيس ، والأسود بن يزيد بن قيس ، ومسروق بن الأجدع ، وعمرو بن شرحبيل ، وعمرو بن ميمون الأودي ، وعَبيدة بن قيس ، وشريح بن الحارث القاضي ، وعبد الرحمن بن أبي ليلى ، وزِرّ

---

(١) لم يسمه مسلم في الكنى أيضا . انظر ل ٩٥
(٢) وكذا سماه في الكنى . انظر ل ٩٤
(٣) مُسيك : بمهملة مصغراً . انظر التقريب ٢٩٩

ابن حُبَيْش ، والحارث الهَمْداني ، وأبو عبيد الله الجَدَلي [١] ، وأبو كَنف ، وعامر بن مطر ، وقبيصة بن جابر ، وأبو الهيّاج [٢] الأسدي ، ومالك بن صُحَار المشرقي ، ويزيد بن شراحيل الأنصاري ، وعمرو بن يزيد ويحيى بن طلحة ، وثابت بن قطبة ، / وصلة بن زفر ، وزياد بن حُدير ،ووهب بن الأجدع ، وشريح بن هانيء ،والحارث بن الأزمع ، وعبد الله بن الخليل ،وزياد بن النضر الحارثي ،وسُوَيد بن غَفَلَة ،وأبو بردة ابن أبي موسى ، وعبد الله بن مَعْقِل ، وخارِجَة بن الصلت ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن [٣] ،وسعد مولى الحسن بن علي ،وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، وزحر بن قيس ، وعبد الله بن الحارث بن نوفل ، وعبد الرحمن بن عبد رب الكعبة ، وفروة بن نوفل الأشجعي ، وعروة بن المُغيرة بن شعبة ، ورِبعي بن حِراش ، وسعيد بن ذي لَعْوَة [٤] ، وقبيصة بن ذؤيب ، والضحاك بن قيس ، وعاصم العدوي ، المُحَرّر [٥] بن أبي هريرة ، وعبد الله بن شداد ، والرائش بن عدي الطائي ، وعكرمة مولى ابن عباس ، ووراد كاتب المغيرة ، وعوف بن حصين ، وأبو جُمعة [٦] ، والحسن ، وأبو ثور [٧] .

---

(١) سماه مسلم في الكنى : « عَبْد بن عبد » ، وكذا ضبطت نسبته . انظر ل ٧٢

(٢) هو حَيّان بن حصين الاسدي . انظر كنى مسلم ل ١٠٢

(٣) في كنى مسلم ل ٦٥ ب : ابو سلمة عبد الله ـ وقيل اسمه اسماعيل حكاه الجعابي ـ بن عبد الرحمن بن عوف

(٤) الضبط من القاموس : « لعو »

(٥) كذا في الاصل ، وفوقها ضبة ، وفي المؤتلف ١١٩ ،والاكمال ٧/٢١٧ ، والتقريب ٣٤٧ « محرّر » ، من غير « الـ » التعريف ، بن أبي هريرة ، فلعل الضبة في الاصل لموطن الالف واللام ، وفي المشتبه ٤٦٧ ، والتبصير ١٢٦٠ « المحرر » .

(٦) هو حبيب ابن سباع ويقال حبيب بن وهب . انظر كنى مسلم ٥٢ ب وفيه : له صحبة .

(٧) هو ابو ثور الازدي ، روى عنه الشعبي . كذا قال مسلم في الكنى ل ٥٠ ب ، ولم يسمه

رجال ابن شهاب الزهري من أصحاب النبي صلى الله عليه
من رآه وأدركه

وهو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري :

عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وأنس بن مالك ، وسهل بن سعد الساعدي ، وعبد الرحمن بن أزهر ، والسائب بن يزيد ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، وعبد الله بن عامر بن ربيعة ، ومحمود بن الربيع ، وعبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْر العُذري ، ومالك بن اوس بن الحدثان النصري .

ومن ابناء العشرة أصحاب حراء [1]

علي بن حسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه . ومن ولد أبي بكر الصديق : القاسم بن محمد . ومن ولد عمر بن الخطاب: سالم بن عبد الله بن عمر ، وحمزة بن عبد الله بن عمر ، وعُبَيْد الله بن عبد الله بن عمر ، وأبو بكر بن عُبَيْد الله بن عبد الله ، وعبد الله بن عبد الله ، / وواقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . ومن ولد عثمان بن عفان: أبان بن عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن أبان ، وسعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان — ٥

(١) أخرج الترمذي في السنن ٣٢٣/٩ (مناقب ــ ٣٧٥٨)عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال : « اشهد على التسعة انهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم آثم ، قيل : وكيف ذاك ؟ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء (جبل بمكة) ، فقال : اثبت حراء فانه ليس عليك الا نبي او صديق أو شهيد ، قيل : ومن هم قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف ، قيل : فمن العاشر ؟ قال: انا» . واخرجه ايضا أبو داود ٤ / ٢١١ (كتاب السنة ٨) عن سعيد بن زيد ، ومسلم ٤ / ١٨٨٠ (فضائل الصحابة ٥٠ ــ ٥١) عن أبي هريرة ولم يذكر فيهم سعيد بن زيد وعبد الرحمن بن عوف ، وانظر تسمية من يروى عنه من أبناء العشرة (مخطوط الظاهرية ٦٩ ب ــ ٧٣ ب) .

ابن عفان، ومحمد بن حسين مولى آل عباس بن عبد المطلب. ومن ولد علي بن أبي طالب : الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، وعبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب. ومن ولد الزبير بن العوام : عروة بن الزبير بن العوام ، ويحيى بن عروة بن الزبير ، ومحمد بن عروة بن الزبير . ومن ولد طلحة ابن عبيد الله: عيسى بن طلحة بن عبيد الله . ومن ولد عبد الرحمن بن عوف : ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، وحميد بن عبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف . ومن ولد سعد بن مالك : عامر بن سعد بن أبي وقاص ، وإسماعيل بن محمد بن سعد. ومن ولد العباس بن عبد المطلب : كثير بن عباس بن عبد المطلب ، وعلي بن عبد الله بن عباس ابن عبد المطلب. ومن ولد جعفر بن أبي طالب: معاوية بن عبد الله بن جعفر. ومن أبناء المهاجرين : عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب بن نُفَيل ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، وسلمة بن عمر ابن أبي سلمة .

ومن أبناء أصحاب رسول الله من قريش

محمد بن جبير بن مُطْعِم ، ونافع بن جبير بن مُطْعِم ، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعمرو بن شعيب بن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسعيد بن المسيّب بن حزن ، وخالد ابن المهاجر بن خالد بن الوليد، وصفوان بن عبد الله بن صفوان بن أمية، وأبو عَبيدة بن عبد الله بن زَمْعة[1] بن الاسود ، وعبدالملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام .

(١) له ذكر في ترجمة ابيه. انظر التهذيب ٥/٢١٨، ولم اعثر له على ترجمة.

ومن أبناء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار

أبو أمامة بن سهل بن حنيف ، وعبد الله بن عبد الرحمن بن كعب ابن مالك ، / وخارجة بن زيد بن ثابت ، واسماعيل بن محمد بن ثابت بن قيس بن شماس ، وابن أبي نملة الأنصاري روى عن أبيه ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعُمارة بن خزيمة بن ثابت ، ويحيى بن عُمارة بن أبي حسن المازني ، والربيع بن سبرة الجُهني ، وجعفر بن عمرو بن أمية الضمري ، وابن أبي خزامة أخو سعد بن هذيم[1] ، وعوف بن الحارث بن الطفيل بن سَخْبَرَة الأزدي[2] ، وحسن بن أبي سفيان ، ومحمد بن أبي سفيان ابن حارثة .

٥ب

ومن قريش ممن ليس لآبائه صحبة

عمر بن عبد العزيز بن مروان ، ويحيى بن سعيد بن العاص ، وعمر ابن محمد بن جبير بن مُطعم ، وطلحة بن عبد الله بن عوف الزُهري ، وعبد الرحمن بن المِسْور بن مَخْرَمة ، ونوفل بن مساحق بن عبد الله ابن مخرمة ، وعياض بن عقبة الفهري ، وعبد الله بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، ومحمد بن عبد الله بن نوفل ، وعبنسة بن سعيد بن العاص[3] .

ومن روى عنه الزهري من أفناء القبائل

عبد الله بن عبد الله بن ثعلبة ، وعطاء بن يزيد الليثي ، وسنان بن أبي سنان الديلي ، وأبو بكر بن سليمان بن أبي حَثمة ، وحنظلة بن

(١) كذا في الأصل . وفي أسد الغابة ٢/٣٠٠ : « سعد بن هذيل وقيل هذيم » .

(٢) سخبرة : بفتح المهملة وسكون المعجمة بعدها موحدة مفتوحة ، انظر التقريب ٢٩٢ ، والتهذيب ٨ / ١٦٨

(٣) في الهامش بخط مغاير : « بهز بن حكيم روى عنه الزهري ..... ابن المتيم »

علي الأسلمي ، ومسعود بن الحكم الأنصاري ، وعبَّاد بن تميم المازني ، ويزيد بن الاصم ، وعبد الرحمن بن مالك بن جُعْشُم [١] المُدْلجي ، وثعلبة بن أبي مالك القُرَظي ، وعبَّاد بن خليفة الخُزاعي ، وعياض بن صيفي الكلبي ، وأبو إدريس الخولاني عايذ الله بن عبد الله ، وأبو الأحوص الليثي ، وعبد الله بن عُبَيْد بن عُمَيْر الليثي ، وعمر بن أَسِيد[٢] بن جارية الثقفي ، ومحمود بن لبيد ، وعلقمة بن وقاص الليثي ، وعبد الملك بن المغيرة بن نوفل ، وابن أُكَيْمة الليثي، وعُبيد الله ابن عبد الله بن أبي ثور ، وعبيد الله بن موهب ، وهزيل الأودي ، ومعاذ ابن عبد الرحمن التيمي ، وطارق بن مخاشن ، وقد قالوا طارق بن مخادش [٣]، ومسافع بن شيبة الحَجَبي / [٤]، وأبو عثمان بن سَنَّة[٥] ـ٦ الخزاعي ، وعبَّاد بن زياد ، والهيثم بن أبي سنان ، وأبو سنان [٦] ، ورجاء بن حيوة ، وعبد الرحمن بن خالد ، وشدّاد رجل من أهل دمشق ، وفرافصة بن عُمير ، وعبد الله بن مُحَيرِيز ،

---

(١) الضبط من التقريب ٢٣٦، ففيه : جُعْشُم : بضم الجيم والشين بينهما مهملة ساكنة

(٢) الضبط من الاكمال ١ / ٥٣

(٣) كذا في الاصل وليس فيمابين يدي من مصادر من قال بها ، ففي الاكمال ٧/٢٢٥ طارق بن مخاشن روى عنه الزهري ، واختلف عنه، فقيل عن طارق بن مخاشن ، وقيل عن ابي المخاشن . والصحيح : مخاشن وفي المشتبه ٤٦٦ ، والتبصير ١٢٥٩ طارق بن مخاشن ، وفي التهذيب ٥/٧ : طارق بن محاسن ، ويقال ابن ابي مخاشن ، وفي التقريب ١٨١ طارق بن محاسن ، بمهملتين ، وقيل بمعجمتين وضم اول

(٤) الضبط من الانساب واللباب « الحجبي »

(٥) الضبط من التبصير ٢ / ٧٧١

(٦) اسمه يزيد بن امية . كنى مسلم ٦٧ .

وداود بن أبي عاصم ، وعبد الله بن شرحبيل بن حسنة ، ومحمد بن عبد الرحمن بن ماعز العامري [١] .

ومن روى عنه الزهري من الموالي

عبد الله بن أبي رافع مولى رسول الله صلى اللّه عليه ، وكريب مولى ابن عباس ، وحرملة مولى أسامة بن زيد بن حارثة ، وعبد الرحمن ابن هرمز مولى ربيعة بن الحارث، وأبو الحسن مولى نوفل بن الحارث، وعبد الرحمن مولى هنيدة رضيع عبد الملك ، وابراهيم بن عبد الله بن حُنَيْن ، وسحيم مولى بني نوفل بن معاوية،وابو عُبَيْد [٢] مولى أزهر ابن عوف ، ونافع مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وحبيب مولى عروة ابن الزبير ، وأنس بن أبي أنس [٣] وهو عم مالك بني تيم،ونبهان مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه ، ونافع مولى أبي قتادة الحارث بن ربعي [٤] ، وكثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري ، وسليمان بن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه ، وطاوس بن كيسان مولى خولان[٥] ، وعطاء بن أبي رباح مولى حبيبة بنت ميسرة ، وأبو صالح

---

(١) في الهامش كلام غم علي بعضه واثبت ما استطعت تبينه : « المعلى بن روبة في الخامس من مساويء الاخلاق للخرائطي .... بن ابان في نسخة الشهاب .... »

(٢) في كنى مسلم ل ٨٢ : « ابو عبيد : سعد مولى ابن ازهر ، روى عنه الزهري

(٣) فيالهامش بخط مغاير : «هكذا وقع في النسائي اويس بن ابي اويس عن عم بني تيم عن أنس بن مالك وعنه الزهري وليس بمحفوظ انما المحفوظ في الصحيحين : الزهري عن ابن ابي انس ، وهو ابو سهيل نافع بن مالك بن ابي عامر عم مالك بن انس عن ابيه عن ابي هريرة»

(٤) في الهامش : « سعيد بن مرجانة »

(٥) استدركت : « مولى خولان » في الهامش

السمان مولى [١] ، وعطاء بن يعقوب مولى بني سباع ، ومحمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، ويزيد بن هرمز ، وأبو عبد الرحمن الخزاعي أراه ابانسطاس ، وجرير بن أبي عطاء مولى بني زهرة •

تسمية من يروي عنه عن أبيه عن جده وجده له صحبة

سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعبيد الله بن عاصم بن عمر ابن الخطاب ، وعبد الرحمن بن أبان بن عثمان ، وعلي بن حسين بن علي بن أبي طالب ، عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، / وعامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام ، وعمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، وبلال ابن يحيى بن طلحة بن عبيد الله ، وسعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف ، وداود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص ، واسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ، ونفيل بن هشام بن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وعلي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، وصالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف •

٦ب-

ومن أهل المدينة من المهاجرين

أبو عُبَيدة بن محمد بن عمار بن ياسر [٢] ، وسعيد بن المسيب بن حَزْن ، وكثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، وعمرو بن عثمان بن سعيد بن يربوع ، وعمرو بن قيظي بن عامر ابن شداد بن أسيد السلمي ، وعمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ، وجُبير بن محمد بن جبير بن مُطعم بن عدي ، وعروة ابن محمد بن عطية بن عروة السعدي ، ومحمد بن معن بن نضلة بن عمرو

---

(١) كذا في الاصل وفوقها ضبة ، وفي التهذيب ٣ / ٢١٩ : « مولى جويرية بنت الاحمس الغطفاني

(٢) ترجمه ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل حـ ٤ ق ٢ / ٤٠٥ وقال : « سمعت أبي يقول : لا يسمى »

الغفاري ، وعبد الملك بن الربيع بن سَبْرة الجهني ، وحفص بن عمر بن سعد القرظ المؤذن ، واسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي ، وعبد الله بن السائب بن يزيد بن أخت نمِر ، وأبو بكر بن سالم ابن عبد الله بن عمر ، وعبد الحميد بن صيفي بن صُهَيب ، واسماعيل ابن أبي إياس بن عقبة الكندي ، والمطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة [1] .

ومن الأنصار من أهل المدينة من أهل بدر

اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ، وزيد بن سهل الأنصاري ، ومحمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، وسعيد بن عمرو بن عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة ، وعبادة بن الوليد بن عبادة بن الصّامت ، وخبيب بن عبد الرحمن بن خُبيب بن يساف ، واسماعيل بن عُبَيد بن رفاعة بن رافع الزُرَقي ، وأبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، وربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري [2] / ٧ وسعيد بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخُدري ، وأبيّ بن العباس بن سهل بن سعد الساعدي ، وعبد الخبير بن قيس بن ثابت بن قيس بن شمّاس ، واسماعيل بن ثابت بن قيس بن شمّاس .

ومن أهل مكة

كثير بن كثير بن المطلب بن أبي وداعة .

---

(١) في الهامش : « محمد بن اسحاق بن يسار » روى ابن منده حديثه عن ابيه عن جده في معرفة الصحابة . محمد بن ابراهيم بن عَنَمة الجهني ذكر حديثه ابن منده

(٢) في الهامش : المعارك بن بشير بن عياذ بن عبد عمرو الازدي ذكره ابن منده وغيره

ومـن أهـل البصـرة

محمد بن نُجَيْد[١] بن عمران بن حُصين الخُزاعي ، وبهز بن حكيم بن معاوية بن حَيْدَة القرشي[٢] وبَحْر بن مَرّار[٣] بن عبد الرحمن ابن أبي بكرة ، وموسى بن زياد بن حِذْيَم بن عمرو السعدي ، وغالب ابن حجرة، وشعيث بن عمير[٤] بن زُبيب بن ثعلبة العنبري ، وزرارة بن كريم بن الحارث بن عمرو السهمي •

ومـن أهـل الكـوفة

القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود ، وسعيد بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وعَبَاية بن رفاعة بن رافع ابن خَديج، وطلحة بن مصرّف بن كعب بن عمرو، وبُريد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى ، وعبد الله بن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، ومخلد بن عقبة بن عبد الرحمن بن شرحبيل الجعفي •

---

(١) الضبط من الاكمال ١ / ١٨٨

(٢) فوقها في الاصل ضبة وفي الهامش بخط مغاير : « قال العباسي : الصواب القشيري والقرشي خطأ » قلت : هو القشيري أيضاً في التهذيب ١/٤٩٨ — وفي ذات الموضع من الهامش باتجاه مقابل : عثيم بن كليب عن ابيه عن جده ، ذكر الامام أحمد حديثه في الاول من مسند المكيين والمدنيين ، قال الدار قطني: عثيم بن كثير بن كليب» وفي الهامش المقابل : « موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن جده ، والاسناد فيه نظر » وفوق الاسناد «حاشية » و « عمر بن نائل بن القعقاع بن الهرماس بن زياد عن ابيه عن جده الهرماس . روى محمد ابن يونس عن عبد الله بن حرب الليثي عنه »

(٣) بحر : بفتح اوله وسكون المهملة ، ومَرّار : بفتح الميم وتشديد الراء التقريب ٤٨

(٤) كذا في الاصل ، ولعله تحريف « عبيد » ، ففي هامش الأصل «عبيد الله»، وهو في التهذيب ٤/٣٥٩ «شعيث بن عبيد الله » ، وفي التاريخ الكبير ٤/٢٦٢ ، والجرح والتعديل حـ٢ ق١/٣٨٥ ، والاكمال ٤/١٦٣ « شعيث بن عبد الله » ، وسماه التقريب « شعيث بن عبيد » .

ومــن أفنـــاء النـــاس

هوذة بن علي بن طلق •

أصحاب شعبة الذين رووا عنه طبقةً طبقةً :

الطبقة الأولى

يحيى بن سعيد القطان ، وسفيان بن حبيب ، وعبد الله بن عثمان ، وخالد بن الحارث ، ومعاذ بن معاذ ، وعمر الأخرم الرّقاشي، وسعيد بن عروة ، ويزيد بن زرَيع وإسماعيل بن ابراهيم ، وبشر بن المفضل ، وعبد الوارث بن سعيد ، وخالد بن إياس •

والطبقـــة الثانيـــة

علي بن سحيم ، وسهل[1] بن صبرة ، ويحيى بن سعيد الأنماطي •

والطبقة الثالثة

محمد بن جعفر ، ومحمد بن أبي عدي ، وســهل بن يوســف ، وعلي بن نصر ، وعمرو الأغضف ، وعثمان بن عمر بن فارس ، ومحمد العطّار ، وعمرو العماني ، وعبد الله بن إياس •

والطبقـــة الرابعـــة

حسين بن عربي ، وعبد الرحمن بن مهدي ، وأبو داود الطيالسي ، ومطر [2] ، وبشر بن السري ، وابن مُبشّر بن مُكسر •

الطبقة الخامسة والسادسة

هشام بن عبد الملك الطيالسي ، وبهز بن أسد ، وعفان بن مسلم ،

---

(١) كذا في الاصل . وفي التاريخ الكبير ٤ / ١٠٦ والجرح والتعديل حـ٢ ق٢٤٨/١ : سهيل بن صبرة العجلي توفي سنة ١٨١ .

(٢) كذا في الاصل ، وفوقها ضبة ، وهو مطر الوراق . انظر سير اعلام النبلاء ٦ / ٦٦.

وحَبّان بن هلال ، ووهب بن جرير بن حازم ، وأبو عامر العَقَدي ، وحرمي بن عُمارة ، وسَلْم[١] بن قتيبة ، وعبد الصمد بن عبد الوارث، وبشر بن عمر الزهراني ، وأميّة بن خالد الأزدي وبكر بن عيسى ، وعبّاد بن آدم ، وبحر الاسود ويحيى بن حماد ، وعبد الرحمن بن عبد الله مولى بني هاشم ، ويحيى بن عباد ٠

والطبقة السابعة

أحمد أبو [٢] الأسود ، وسعيد بن عامر الضُبَعي، وأبو عاصم [٣] ومحمد بن سواء، ومحمد بن بكر البُرْساني[٤]، وعبد الواحد بن واصل ابو عُبيدة الحداد ، والوليد بن خالد[٥] ٠

والطبقة الثامنة

المعتمر بن سليمان التيمي ، وعبد الاعلى بن عبد الاعلى السّامي ٠

والطبقة التاسعة

سعيد بن ربيع أبو زيد ، والنعمان العجلي ، ويحيى بن كثير أبو غسان ، / ويوسف بن يعقوب ، وسهل بن حماد أبو عتاب ، ومسلم بن إبراهيم ، وعمرو بن أبي رزين ٠

٧ـ

---

(١) كذا ، بفتح اوله وسكون اللام ، انظر التقريب ١٥٢

(٢) فوقها في الأصل ضبة

(٣) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك ، ابو عاصم النبيل . انظر التهذيب ٤ / ٤٥٠

(٤) بضم الموحدة وسكون الراء ثم مهملة ، هذه النسبة الى بُرْسان قبيلة من الازد ، انظر الانساب واللباب « البُرْساني » ، والتقريب ٣١٤

(٥) هو الوليد بن خالد اليشكري . انظر الجرح والتعديل جـ ٤ق٢/٤

الطبقة العاشرة

الحجاج بن منهال، وحفص بن عمر النَّمَري،وأبو علي الحنفي[١]، وأبو شِبْل[٢]، ويعقوب بن اسحاق الحضرمي ، وزيد ابو الحسين الانماطي ، وبدل بن المُحَبَّر[٣] ، وعمرو بن عاصم الكلابي .

ومن الغرباء الثقات :

الطبقة الأولى

عبد الله بن المبارك ، وعبد الله بن ادريس ، ويحيى بن أبي زائدة .

والطبقة الثانية من الغرباء

حجاج بن محمد الأعور ، وأبو خالد الأحمر[٤] ، والنضر بن شميل .

والطبقة الثالثة من الغرباء

وكيع ، وابو نعيم[٥] ، ويزيد بن هارون ، وابو قَطَن[٦] ، وأبو كامل[٧] ، وأبو النضر ، والاسود بن عامر ، وحسن الأشيب .

والطبقة الرابعة من الغرباء

---

(١) في كنى مسلم ل ٧٩ ب « أبو علي طلق بن علي الحنفي اليمامي له صحبة » .

(٢) لعله مهنا البصري ، انظر كنى مسلم ٦٩ ، والتهذيب ١٠ / ٣٣٠

(٣) الضبط من الاكمال ٧/٢٠٩

(٤) هو سليمان بن حيان . انظر كنى مسلم ل ٥٨

(٥) هو الفضل بن دكين . انظر كنى مسلم ل ٩٨ ب

(٦) هو عمرو بن الهيثم بن قطن بن كعب القطعي . انظر كنى مسلم ل٨٩ب

(٧) هو مُظَفَّر بن مدرك . انظر كنى مسلم ل ٨٩ ب

شَبابة بن سوّار ، وعلي بن حفص ، ويحيى بن أبي بكير ، وأبو الحسين العُكْلي[1] .

ومن روى عن شعبة فذهب حديثه

عباس الانصاري ، وعبد الرحمن بن عثمان البكراوي ، وعبد الرحمن [2] بن سلمة الأفطس،وسهل الاسود،وعمرو بن مرزوق ، وعمرو ابن حكام ، وعبّاد بن صهيب ، وسعيد بن واصل وحجاج بن نصير ، وسعيد بن سفيان ، وفهد بن حيّان ، وعلي بن الجعد ، ومحمد بن حجاج .

رجال قيس بن ابي حازم الذين روى عنهم

ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي ابن أبي طالب ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عُبيد اللهوسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، وخبّاب بن الأرَت ، وعبد الله بن مسعود ، وجرير بن عبد الله البجلي ، والمغيرة بن شعبة، والصنابح ابن الأعسر، ودُكين بن سعيد المزني، ومرداس بن مالك الاسلمي ،وعقبة ابن عمر وأبو مسعود الانصاري،وعقبة بن عامر الجهني ، والمستورد بن شداد الفهري ، وابو هريرة ، وابو سفيان بن حرب ، ومعاوية بن أبي

---

(١) هو زيد بن حباب العكلي . انظر كنى مسلم ل ٥٦

(٢) كذا في الاصل ، وفوقها ضبة ، والمعروف عبد الله بن سلمة ابو عبد الرحمن الحضرمي الافطس روى عن الاعمش وهشام بن عروة ، انظر تلخيص المتشابه ل ٦ ب والانساب واللباب « الافطس » ، ونزهة الالباب ل ٧ .وميزان الاعتدال ٢ / ٤٣١ ، ولسان الميزان ٣ /٢٩٢، وقال ابن حجر: « ذهب حديثه »

سفيان ، وقيس بن فهد ، وابو قيس ابو حازم[١] ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو موسى [٢] الاشعري ، وأبو شهم بن سِيْلان ، وابو كبشة [٣] ، وشريح ، وابو سهلة [٤] ، ورافع بن عمرو الطائي ، وخالد بن الوليد .

رجال ابي عثمان النهدي الذين روى عنهم

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، وسلمان الفارسي ، وابيّ بن كعب ، وابو موسى الاشعري ، وابو سعيد الخدري [٥] ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وابو برزة الاسلمي [٦] ، وابو بكرة [٧] ، وسعد بن مالك ، وحذيفة بن اليمان ، وابو هريرة ، وعبد الرحمن بن ابي بكر ، واسامة بن زيد ، وعبد الله بن مسعود ، وابو بردة بن ابي موسى [٨] ، وانس بن جندل ، وزياد ، وجندب بن كعب .

رجال مطرف بن عبد الله الذين روى عنهم

عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، والزبير بن العوام ، و حذيفة ابن اليمان ، وابو مسعود [٩] ، وعمار بن ياسر ، وعياض بن حمار ، وعمران

---

(١) اي والد قيس بن ابي حازم واسمه عبد عوف بن الحارث البجلي انظر الكنى لمسلم ٥٥
(٢) اسمه عبد الله بن قيس . انظر الكنى لمسلم ٩٤
(٣) هو عمر بن سعد الانماري . انظر كنى مسلم ل ٨٩ ب
(٤) هو السائب بن خلاد بن السائب . انظر كنى مسلم ل ٦٨
(٥) اسمه سعد بن مالك بن سنان . انظر كنى مسلم ل٦٢
(٦) اسمه نضلة بن عبيد الاسلمي . انظر كنى مسلم ل ٥٠
(٧) اسمه نفيع بن الحارث الثقفي . انظر كنى مسلم ب ٥٠
(٨) اسمه عامر بن عبد الله بن قيس . انظر كنى مسلم ل ٤٩ ب
(٩) هو عقبة بن عمرو الانصاري . انظر كنى مسم ل ٩٥

٨ ابن حُصَين ، وعبد الله ابن الشخّير ، / وأبو الدّرداء ، وعبد الله بن معقل ، وابن‌عباس ، وعثمان بن ابي العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان، وسمرة بن جندب ، وعنبسة بن عمرو بن العاص ، وعائشة أم المؤمنين ، ورافع بن خَديج ، والحارث بن أبي ربيعة ، والاحنف بن قيس ، وأبو مسلم الجَذْمي [١] ، وحكيم بن قيس بن عاصم، وزيد بن‌صُوحَان [٢].

رجال قيس بن عباد الذين روى عنهم

عمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب ، وعمار بن ياسر ، ومعقل ابن يسار ، وابو ذر ، وأبو سعيد الخدري ، وابن عباس ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وأبيّ بن كعب ، وعبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار .

رجال حُضَيْن بن المنذر الرّقاشي

عثمان بن عفان ، وعلي بن ابي طالب ، والحسن بن علي ، وعبد الله بن جعفر ، والمهاجر بن قنفذ بن عميرة ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وعمرو ابن العاص ، وابو موسى الاشعري .

من روى عنه أبو وائل [٣] من اصحاب النبي صلى الله عليه

---

(١) بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة ، انظر الاكمال ٣/١٠٤ ، والاستدراك ٩٨ ، وقال ابن نقطة : « قيل انه من جذيمة عبد قيس » ، وفي التوضيح ١ / ١٣٧ ب : « قالوا بفتح الجيم وسكون الذال المعجمة ، والقياس فتحهما معا ، ابو مسلم هذا من جذيمة بطن من عبد القيس »

(٢) بنو صُوحَان من بني عبد القيس ، وزيد بن صوحا بن حَجَر أبو سليمان ، اسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وشهد الجمل مع علي ، انظر : الاستيعاب ٢ / ٥٥٥ ، وأسد الغابة ٢ / ٢٣٣ ، والاصابة ١ / ٥٦٨ ، والتاج : « صوح »

(٣) اسمه شقيق بن سلمة . انظر كنى مسلم ١٠٠

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، وحذيفة ابن اليمان ، وابـو مسعود عقبـة بن عمرو ، وخَبّاب بن الأرَت ، وأسامة بن زيـد بن حارثة ، وعبـد الله بن مسـعود ، وابو موسـى الاشعري وعمار بن ياسر ، وجرير بن عبد الله ، والاشعث بـن قيس ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وقيس بن أبي غرزة ، والحارث ابن حسان البكري ، وأبو نُحَيْلة[١] .

ومن روى عنه ابو وائل من التابعين

عَبيدة السلمـاني ، ومسروق بن الأجـدع ، علقمـة بن قيس ، والاسود بن يزيد ، وأبو ميسرة[٢] ، وسلمان بن ربيعة الباهلي ، وزيد ابن صوحان ، وسلمة بن سبرة ، والحارث بن حُبيش ، وكردوس بـن هانىء ، والربيع بن خُثيم[٣] ، وخالد بن الربيع العبسي ، والصُّبَيّ ابن معبد ، وعَزْرة[٤] بن قيس ، وأبو جرير[٥] وسمرة بن سهـم ، وابن مُعَيْز[٦] السعدي .

رجال سعيد بن المسيب الذين روى عنهم
من أصحاب النبي صلى الله عليـه

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وطلحة

---

(١) الضبط من المشتبه ٥٢٢ ، والتبصير ١٤١٢
(٢) هو عمرو بن شرحبيل الهَمْداني ، روى عنه أبو وائل ، انظر كنى مسلم ٩٧
(٣) خُثَيم : بضم المعجمة وفتح المثلثة ، وانظر التقريب ١٢١ ، والتهذيب ٣/٢٤٢
(٤) الضبط من الاكمال ٦/ ٢٠٠
(٥) فوقها في الاصل ضبة .
(٦) فوق اللفظة في الاصل ضبة ، وهو عبد الله بن معيز السعـدي ، انظر الاكمال ٧/٢٦٧

ابن عبيد الله ، وسعد بن أبي وقاص ، وصهيب بن سنان ، والمقداد بن الاسود ، وأسامة بن زيد بن حارثة ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، وأبو سعيد الخُدْري ، وجابر بن عبد الله الانصاري ، وعبد الله بن عمرو بن العاص ، وعثمان بن أبي العاص الثقفي ، وابو هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وحكيم بن حزام ، ورافع بن خَديج ، وجبير بن مُطعِم ، وزيد بن خالد الجهني ، وعقبة ابن عامر الجهني ، ومعمر بن عبدالله بن نضلة العدوي ، ومعاوية بن ابي سفيان ، وعبد الرحمن بن عثمان التيمي ، وزيد بن ثابت ، والمسيب بن حَزْن أبوه ، وحسان بن ثابت الانصاري ، •

ومن روى عنه من النساء

٨ب- / عائشة زوج النبي صلى الله عليه ، وام سلمة ، وأسماء بنت عميس ، وام شريك •

ومن روى عنه من التابعين

عثمان بن أبي أمية أخو أم سلمة ، وكعب ، ومروان بن الحكم، ونفيع مولى أم سلمة •

من روى عن ابي بكر الصديق من أصحاب النبي صلى الله عليه

عمر بن الخطاب ، وعثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله ابن عمرو بن العاص ، وجابر بن عبد الله ، وأنس بن مالك ، وأبو سعيد الخُدْري ، وعمران بن حُصَين ، وأبو موسى الأشعري ،

وحذيفة بن أَسِيد[١] الغِفاري ، وطارق بن أَشْيَم[٢] الأشجعي [٣] ، وسالم بن عبيد الأشجعي ، وعبد الله بن الزبير ،ورفاعةبن رافع الزرقي ، وسلمة بن الاكوع ، والبراء بن عازب ، وعائشة أم المؤمنين ، وجبير ابن مُطعم ، وحذيفة بن اليمان ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، والسائب ابن يزيد ، وعبد الرحمن بن أَبزى ، والمغيرة بن شعبة ، وأبو هريرة .

ومن روى عن أبي بكر الصديق من التابعين

جبير بن الحُويرث ، وزُيَيْد[٤] بن الصلت ، وأسلم مولى عمر ، وأبو قرّة ومسروق بن الأجدع ، والاسود بن يزيد ، وسُويد بن غَفَلة ، وقيس بن أبي حازم الأحمسي ، وزهرة بن حميضة ، ورافع بن عمرو الطائي ، وسعيد بن نمران ، وعبد الرحمن بن عُسَيلة الصُنابحي[٥] ، وأوسط بن عمرو البجلي ، وزياد مولى الدراج، وحَبّة ابن أبي حَبّة ، وزينب بنت ابي حازم الأحمسية .

آخر الكتاب

بلغت والجميع من أوله

والحمد لله حق حمده وصلواته على محمد النبي وآله وسلم تسليماً [٦]

---

(١) الضبط من الاكمال ١ / ٥٨

(٢) أشيَم وزن أحمر . انظر التقريب ١٨٠ .

(٣) فوقها في الاصل ضبة

(٤) الضبط من الاكمال ٤ / ١٧١

(٥) الضبط من الانساب واللباب : « الصُنابحي » والتقريب ٢٣٤

(٦) بعده في الأصل ما يلي : « واخبرنا أبو حازم العبدوي قال سمعت محمد بن أبي إسماعيل العلوي يقول سمعت محمد بن علي الاطروش يقول سمعت خالي أحمد بن عبد الرحمن وكان احد العارفين يقول هجس بسرّي أن الله تعالى قد قبلني مع زهدي قال فخرجت من مسجدي فإذا عجوز فقالت يا أحمد بن عبد الرحمن لا يغرّك فإن النّاقد بصير لو ضربوك على المحك لم يخرج الا احمر » .

المصادر والمراجع

- الاستيعاب لابن عبد البر . تح علي محمد البجاوي . مصر .
- أسد الغابة لابن الأثير ط . طهران .
- الاصابة لابن حجر ط . مصر ١٣٢٨ هـ .
- الانساب للسمعاني ط . ليدن ١٩١٢ م .
- الاكمال لابن ماكولا ط . حيدر اباد الدكن . الهند ١٣٨١ هـ ١٩٦٢م
- التاريخ الكبير للبخاري . المكتبة الاسلامية . تركيا .
- التبصير لابن حجر العسقلاني . تحقيق علي محمد البجاوي
- تسمية من روي عنه من ابناء العشرة . مخطوط في الظاهرية .
- تقريب التهذيب لابن حجر .
- تلخيص المتشابه في الرسم . مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية
- تهذيب التهذيب لابن حجر . ط . حيدر آباد الدكن . الهند ١٣٢٦
- الجرح والتعديل . لعبد الرحمن بن أبي حاتم . ط . حيدر آباد الدكن ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م
- الشذرات لابن العماد الحنبلي . ط القاهرة ١٣٥٠ هـ
- طبقات الشافعية للسبكي تح محمود محمد الطناحي . ط عيسى البابي الحلبي .
- القاموس المحيط للفيروز آبادي .
- الكنى والاسماء لمسلم بن الحجاج مخطوط دار الكتب الظاهرية . مجموع ١ .
- اللباب في تهذيب الانساب لابن الاثير ط . القاهرة ١٣٥٧ هـ
- لسان الميزان لابن حجر ط ٢ . الهند حيدر آباد الدكن ١٣٩٠ هـ ١٩٧١ م .
- المؤتلف والمختلف لعبد الغني بين سعيد ط . الهند .
- المشتبه في اسماء الرجال للذهبي ط ليدن بريل ١٨٦٣ م .
- معجم البلدان لياقوت الحموي ط ليبزك ١٨٧ .
- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ط دار الكتب ١٣٤٩ هـ ١٩٣٠ م
- الوافي بالوفيات للصفدي .

ذكريات وآراء
عن الأستاذ أحمد الصافي النجفي

الدكتور فيصل دبدوب

عرفت الأستاذَ أحمدَ الصافي النجفي في العراقِ في أواخر الثلاثينات ، ثم تعرّفت عليه في الشام في أوائل الأربعينات ، عَرفتُه في العراق من تِلاوتي دواوينه ثم تعرَّفتُ عليه في دمشق بعد التحاقي بكليةِ الطبِّ في جامعتها ، ثم تحوّلَ التعارفُ الى علاقةِ تلميذٍ بأستاذه ، ثم أصبحنا من الاصدقاء ، ولم أرَ من فارقٍ كبيرٍ بين حياةِ الأستاذِ وشعرِه ــ بعد أن عاينت حياته عن كثب ــ فقد عاشَ شعْرُه ، والمؤمن إيماناً تاماً بشعره ليس أقلَّ من أن يسير على ما فيه هو نفسه • أمّا أن يكون شعرُه في جانب وسيرتُه في جانب ، فإن دلَّ على شيء فانما يَدُل على عدم الاخلاص في أحدهما •

كثيراً ما كنتُ أُشاهدُ وأنا ذاهبٌ الى الجامعةِ أو عائدٌ منها ــ قبل أن أتعرَّفَ على الأستاذِ الصافي ــ رجلاً أسمرَ اللونِ نحيفَ البنيةِ ، يختلفُ في زِيّه عن الناسِ ، يسير الهوينى في شارع الصالحيةِ أو ساحة المرجة ، يضعُ على رأسهِ الكوفيةَ والعقالَ ، وعلى كتفهِ العباءةَ يلتفُّ بها ، وينتعل الخُفَّ ، وبيده أو تحت ابطه الكتاب ، متجهاً نحو مقهى مالك أو هافانا أو البرازيل ، يمشي الى وجهته دون أن

يلتفتَ يُمنةً أو يُسرةً كأنه الرمح السمهري ، فسألت عنه فقالوا إنّه الشاعرُ أحمدُ الصافيُ النجفيُّ ، فتقتُ الى التعرف عليه ، وبعد أن عَرفته قلت لنفسي إن هذا الشاعرَ إن تناساه الجيلُ العربيُّ الحاضرُ ، فلسوف تعرفُ الاجيالُ العربيةُ المتصاعدةُ قدرهُ وترفع ذكرَهُ .

كان جلوسي الى الصافي في المقهى ، وكان يُفضّلُ العزْلَة فيه إن لم يجد صديقاً يأنسُ بالتحدث اليه ، تماماً كما كان يفعلُ عندما يأوي الى غرفته في مدرسة الخياطين قربَ الجامع الأموي ، لولا قطّة" كانت تؤنسه بمُوائِها وبالعطفِ عليها في عزلته في مأواه . أمّا إن جلس الى الأستاذ سمج" من الناسِ فسرعان ما يتركُهُ ــ لقضاءِ حاجةٍ ــ على أن يعودَ اليه بعد قليل ، فَيذهبُ ولا يعودُ ، وقد يتركُ المقهى مطلقاً إذا ما أعاد ذلك الثقيلُ زيارتَه ، وقد وصف الزائرَ الثقيلَ بقصيدةٍ مَطلَعُها :

لقد بلّدت إحساسي فقم يامزعج الناس

ووصف عزْلَتَه بقوله :

أقضّي حياتي مستلذاً بعُزلة
أُمتع فيها النفسَ بالأدب الجمّ
فلست لشخصٍ بالكلام مُقيَّداً
ولا لكلامٍ شذَّ مني بمغتمّ
فيجري خيالي كيف شاءَ منظماً
وفي الناس يجري دون قصد ولا نظم

أما إذا بقي الصافي منفرداً بنفسه فسرعانَ ما يُخرجُ سُبْحتَه من جيبه يداعبُ حبّاتِها بأنامِله ويحمّلُها شطراً من همومه .

ومسبحةٍ حمّلتُها الهمَّ مُجهداً
فسارت به حباتُها وهي لا تدري

وأرهقها العبءُ الثقيلُ فمثّلت
لعيني أطفالاً محدّبةَ الظهرِ

لئن ساعدك الحظُ وجلستَ الى الصافي في مجلس من مجالسه الأدبيّةِ ـ واطمأن اليك ـ إذاً لقد جلستَ الى مَعينٍ لا يَنْضبُ من القريض والمُلَحِ والنُّكَتِ والمفارقات ، يرسل النُّكتةَ فيضحكُ لها قبل أن يضحكَ لها الحاضرون ، وإن آنس منهم تجاوباً أرسل الثانيةَ والثالثةَ وهكذا حتى ليكادُ المرءُ من بينهم أن ينفزِرَ من الضَّحِك . وللأستاذِ ذوقُه العاليُ في التنكيتِ وفي اختيار النُّكتَةِ وتصيُّدِها .

كثيراً ما كنتُ أُشاهدُ الأستاذَ أحمدَ في المقهى وقد استوفز في جلسته ، والتفَّ بعباءَته ، وأرسل ذؤابتي كوفيَّتهِ على عاتقيه ، ووضع نَظّارتَه على أرنبةِ أنفهِ ، وأصابعهُ تُداعب حبَّاتِ سُبْحَتهِ ، فيخالُه الناظرُ اليه أنّه يتطلعُ الى المارّةِ ، في حين أنّه ساهٍ عن المقهى ومن فيه ، والشارعِ وما فيه ، فكأنّهُ يتطلعُ الى خارطةٍ للعالمِ العربيِّ المُمزّق الأوصالِ آنذاكَ ، بنظراتٍ حادةٍ قلقةٍ تمرقُ من نظّارتِه تماماً كما كان يتطلعُ غاندي الى واقعِ الهندِ ، مفكراً في مصيرِ بلدهِ وقومهِ ، ولا عَجَبَ أن وضعتُ صورتي الصافي وغاندي في إطارٍ واحدٍ معاً ، ذلك للتشابهِ الكائنِ بينهما في السيرةِ والصورةِ ، فغاندي إن مثّل روحَ الهندِ وأمانيَّ الهنودِ ، فالصافي مثّلَ روحَ الشاعرِ العربيِّ الأصيلِ وأمانيَ العرب . كلاهما زَهِد في الحياةِ من أَجلِ غايةٍ أسمى من بهارجِ الحياةِ هي سعادةُ الانسانِ في وطنه ، وسعادةُ الوطنِ بوحدَتهِ ووحدة أبنائهِ وحرّيتهم ، وكلاهما فارق الحياةَ من طلقٍ ناريٍّ من فردٍ من أبناءِ وطنهِ وقومهِ الذين كرّس لهم حياتَه(١) .

---

(١) المعروف أن الصافي مات مريضاً على فراشه « لجنة المجلة » .

صَحبتُ الأستاذَ مرّةً الى حفلٍ أقيم بدمشقَ لإعانةِ ميتمٍ ، ووقفَ الشاعرُ الزركليُّ يُلقي قصيدةً بالمناسبةِ إستهلَّها بآيةٍ من الذِّكرِ الحكيمِ ، فصفَّقَ له الحاضرون ، وما أن انتهى الشاعرُ من قصيدته حتى التفتَ الأستاذُ الصافيُّ اليَّ وقال : « لا تصدقْ ، إن التَّصفيقَ لم يكنْ إعجاباً بالقصيدةِ بل بالآيةِ الكريمةِ ؛ فالتصفيق لله وليس للشاعر » • وألقى الأستاذ قصيدتَه ومَطْلَعُها :

أودى الرَّدى بأبيه قبل فِطامه   فحسا المذلّة في حليبِ المُرضعِ

وقد استهلها بقوله : « اليُتمُ من أسبابِ العظمةِ ، فالرَّسولُ كانَ يتيماً وأنا وُلدتُ يتيماً وما أزالُ يتيما » ، ثم بكى وهو يتطلعُ إلى الأيتامِ الصِّغارِ وقد اصطفوا أمامَهُ ، وبعد أن انتهى من إنشاده قال وهو يفتتح بابَ التبرعِ : « إن اليتيمَ الكبيرَ يتبرَّعُ بكلِّ ما يمْلكُ للأيتامِ الصغارِ » ، وكان ما يَمْلكُه الصافي خمسَ ليراتٍ سوريةٍ ، أي ما يعادلُ نصفَ دينارٍ عراقي ، ثم انهالت التبرعات بعده بغزارةٍ • وقد ذكر لي الأستاذ بعدئذ أنّه بكى آلامه حين كان صغيراً لما بكى على الأيتام ، فانهلّت العبرات منه بعاملِ الشعورِ الانسانيِّ الصادقِ المُنْبثقِ من معينِ التماثلِ بالمعاناةِ ، وقال : من ذكرياتي عن اليتم أني أُجبرتُ وأنا ما أزالُ في مقتبلِ العُمرِ على الاشتغالِ عاملاً في البناءِ ، فرفضتُ ثم أُجبرتُ ثم فررتُ من العملِ في منتصفِ النهارِ وما زالَ صاحبُ العملِ مَديناً لي بأجرِ نصفِ نهارٍ ، أقول : إن الصافي أحسنَ الى الشعرِ والأدبِ ، والفردِ والمجتمعِ في هذا الفرار ، إذ لولا ذلك لكانت خسارتُنا لا تعوَّض •

كان يتحلقُ حولَ الأستاذِ الصافيِّ في مجالسه الأدبيةِ نُخبةٌ من الأُدباءِ والمفكرينَ ، وكانوا يجتمعون عصراً ــ غالبَ الأحيانِ ــ

في مقهى البرازيل اذ كان يفضِّله لخلوِّها من ازعاج النَّردِ وصخبِ اللاَّعبين :

ومقهى موجعٍ بالنردِ رأسي
يطيرُ مدى الحياةِ له نُعاسي

تعالى القرعُ من كلِّ النواحي
كأني منه في سوقِ النُّحاسِ

ومن جلسائِه بل من أصفيائِه الدكتور عبد الوهاب حومد ، والكاتب الناقد رئيف خوري وغَيرُهُم من الاساتذةِ الذين أتذكرُ من بينهم أحمدَ الجندي وفؤادَ الشايبَ ونسيبَ الاختيارِ والاستاذ الشاعرَ عمرَ أبو ريشةَ كلما أمَّ دمشقَ من حلب حيثُ يُقيم . وكان للاستاذِ رئيف خوري لقاءات" أُخر مع الاستاذ الصافي ظهراً حيناً ومساءً أحيانا في مطعمٍ صغيرٍ يقعُ في بدايةِ شارعِ بغدادَ قُربَ البرلمانِ يدعى مطعمَ السنيورِ الحاج عبدالغني ، وكان تَناوُله الطعامَ فيهِ من قبيلِ التشجيعِ والمساعدةِ لصاحبه الذي قد بلغ من الفقر والعُمُرِ عِتيا ، ومن ذكرياتي أني شاهدتُ الصافيَّ في إحدى الأماسي يطلبُ من صاحبِ المطعمِ أن يضْرِبَ له على العودِ ، فأجابه بأنه مقطوعُ الوترِ ، ثم ألحَّ عليه فعزفَ وغنى ، وبعد أن انتهى ارتجل الاستاذُ قصيدةً سمعناها منه صاحب المطعم ورئيف الخوري وأنا . وهذه بعض أبياتها :

ومغنٍ بالغٍ سنَّ الكِبرْ
ترعش الرجلان منه إن خطر

قلتُ أسمعنا على العودِ غنىً
قال إنَّ العودَ مقطوعُ الوتر

قــلتُ غَـنِّ فكلانــا مثــلُه
قطّعــت أوتارَنــا كــفُّ القــدر

فغــدا يُنشــد لــي أُغنيــةً
قطعــت في عــالمِ اللّحــن عُمــر

ومن الذّكريات التي لن أنساها حضورُ الاستاذِ أحمدَ مصَح ضهرِ الباشقِ بلبنان قرب مصيف بيتِ مري بدعوة من الدكتورِ وجيه الصبّاغ في ٢٥ كانون الأول عام ١٩٥٠ م لالقاءِ قصائدَ ترفيهيةٍ على المرضى المصدورين ، وكان أن جلسنا على مائدةِ الغداءِ : الاستاذُ النجفيُّ والدكتورُ الصبّاغُ والآنسةُ « ليــديا » مديرةُ المصحِّ ومحاميةٌ من بيروتَ وأنا ، وكانت الآنسةُ ليديا شابةً في مقتبلِ العُمُر ذاتَ ثقافةٍ فرنسيةٍ عاليةٍ ، وجمالٍ انثويٍّ عالٍ ، تَنْظِمُ الشعرَ بالفرنسيةِ ، وتتذوقُ الشعرَ العربيَّ ، وبعد أن انتهينا من الغداءِ والحديثِ ، طلب الاستاذُ من الآنسةِ ليــديا أن يُلقيَ قصيدةً في وصفِها حيثُ شاهدها ذاتَ مرةٍ في بيروتَ تسوقُ سيارةً ، فرحّبت ثم صفّقت ثم ارتجل الاستاذُ فأصغتْ ثم بدأت بنقلها الى الفرنسية شعراً ، وها إني أقتطفُ منها هذه الأبيات :

غانيــةٌ فاقت عــلى جيلهــا وحــقِ قُرآني وانجيلهــا

ساقت أُتُمبيلاً رفيقاً لهــا يجري رُخاءً وفــق مأمولها

ولمــا سألها الاستاذُ السّماحَ له بالقائها على المرضى أجابتــه بالايجابِ شريطةَ أن يُستَثنَى من القصيدةِ هذا البيت :

تعلّق القلب بهــا فاغتدى يحــومُ كالطيرِ لتقبيلهــا

ذلك حفظاً لسلامتها ولصحة المرضى معاً حسبما ادّعت •

وألقى الاستاذُ قصائدَ ترفيهيةً على المرضى عصرَ ذلك اليومِ ، وقبيلَ الغروبِ خرجنا الى نزهةٍ على رُبى لبنان المطلةِ على البحرِ نرصُدُ الغروبَ : الدكتور الصبَّاغ والاستاذ وأنا . وبعد أن ودّعنا الشمسَ في رحلتها ، طلب الاستاذُ التوجهَ الى قريةٍ قُربَ مصيفِ بيتِ مري ليُهَنِّىء عائلةً هناكَ بمناسبةِ عيدِ الميلادِ ، وكانَ رَبُّها قد أحسنَ اليه في السجنِ الذي أُودع فيه ـ بأمر من الاستعمارِ ـ بعد مشاركته جماهيرَ بيروتَ المتظاهرةَ تأييداً للعراقِ في ثورتهِ على الاستعمارِ عام ١٩٤١ م وقد ذكرت ربّةُ البيتِ بأنهم كانوا يتلون قصائدَ للصافي قبيل زيارتِنا لهـم ، وقالت للاستاذِ : أنت ابن عمي رغمَ اختلافِنا في الدين ، فأنا قُرشيةٌ صحيحةُ النَّسبِ ، ثم قالت : إن الدمَ العربيَّ هو الذي يَدفَعُها إلى حثِ زوجها بالحاحٍ علـى العنايةِ بالاستاذِ والترفيهِ عنه في سِجنه اذ كان مديراً للسجن آنذاك .

لئن اتفقت أنت والصافي على موعدٍ فيه تلتقيان في مكانٍ مـا بدمشق ، فقد يأخُذُكَ العجبُ حينما تقرأُ في صحيفةٍ أو مجلّةٍ أن الصافيّ في بيروتَ أو حلبَ أو حماةَ ، في نفس التاريخِ المتفقِ عليه ، وأنّه ألقى قصيدةً في حفلٍ مـا أُقيم هناك ، ولكن سيزولُ عنكَ العجبُ فيما لو علمتَ بأنّ الاستاذ كانَ يؤمنُ بأنّ الانسانَ مسيَّرٌ لامخيَّرٌ في كلِّ الأُمورِ أو في أمرِ المواعيدِ على أقلِّ تقديرٍ ، ولا أدري لعل إيمانَه هذا كان لتبريرِ شطحاتهِ في المواعيد .

لو تصفّحت دواوينَ الصافي لوجدت فيها من اللّوحاتِ الفنيةِ الشيءَ الكثيرَ ، صوّر لنا فيهـا نفْسَه فنَجح ، وصوّر الطبيعةَ فنجحَ ، وصوّرَ والمجمعَ العربيَّ بتناقُضاته فنجحَ كذلك : كوخٌ حقيرٌ وقصرٌ منيفٌ ، وغنيٌ فاحشٌ وفقرٌ مُدقِعٌ ، وفلاحٌ واقطاعٌ ،

وحاكمٌ ظالمٌ واستعمارٌ غاشمٌ ، وشعبٌ مريضٌ وغافلٌ وجاهلٌ •
لقد وفّر الصافي بلوحاته الفنية هذه ، الشيءَ الكثيرَ من الجهدِ والعناءِ للباحثِ والمؤرخِ في القرن الواحد والعشرين أو ما بعده من عصور ؛ إذا ما أرادَ أن يكتبَ عن المجتمعِ العربيِّ في هذا القرن ، واليك ما قاله :

كلٌّ بشعري واجدٌ نفسَه ففيه أسرارُ الورى مودعه

تأثّر الصافي بثلاثةِ أفكارٍ ثوريةٍ ، تأثّر بثورةِ المعري على التفاوت الطبقي والظلمِ الاجتماعي ، وثورةِ الخيّامِ الشبيهةِ بها ، والأفكارِ الثوريةِ الحديثةِ التي هبّت على الشرق العربي من الشرق بعد الحربِ العظمى الأولى ، وقد كان بثورته في شعره أقربَ إلى المعري منه الى الخيامِ ، لأن من طبيعةِ المفكّرِ العربي المتصوّف الثائرِ الزهدَ ، وهكذا زَهِدَ الصافيُ كما زَهِدَ المَعريُ ، وما هكذا كان الخيامُ ، وقد أشار الصافيُ في مقدّمته لرباعيات الخيامِ الى هذا بقوله :

أخيامُ قد أرسلت روحَك هادياً
لروحيَ في إتقانِ هذي التراجمِ

فانيَ تلميذٌ لروحِك في الأسى
أُمارِسُه من قبلِ حلِّ التمائمِ

لئن نِلتَ من بعدِ التشاؤم لذّةً
فما نِلتُ من دنيايَ غيرَ التشاؤمِ

قلتُ إن الاستاذَ أحمدَ تأثر بثلاثِ فلسفاتٍ ثوريةٍ ، الأولى فلسفةُ المَعري والثانيةُ فلسفةُ الخيامِ ، والثالثةُ الفلسفةُ المادية الحديثة ، وقد استطاعَ أن يَمْزُجَ هذه الأفكارَ الثوريةَ الفلسفيةَ معاً ، يُخمِّرها بأفكاره الذاتيةِ وعبقريته الشعريةِ ، فيُخرِجُها لنا

شعراً ثائراً خالداً على الدّهر . ففي قصيدته « الفلاح » التي مطلعها :

رفقاً بنفسك أيّها الفلاح تسعى وسعيك ليس فيه رَباحُ

وختامها :

ياريفُ مالكشِربُ أهلِك آجنٌ رَنِق وشِربُ ولاة أمرِك راحُ

أقول : إن في هذه القصيدةِ من ريحِ الثورةِ ما يكادُ أن يقتلعَ صروحَ الظلم من القواعدِ ، وغبنٌ أني اجتزأت لك هذين البيتين من القصيدة فان من حقها أن تقرأ كاملةً ثم تعاد قراءتُها مرة ومرة ليتهيّأ هذا الجوُّ الصحيحُ من عُمقِ التجاربِ بينك وبينها ، هذا الجو الذي يستحيلُ من دونهِ أن يُنصِفَ القارىءُ شعراً أو شاعراً .

واليك قصيدةً أخرى أشبهَ بريحٍ صَرْصَرٍ عاتيةٍ تقتلعُ الفسادَ من الجذورِ وتوري الهشيمَ :

قد كثّر الفقراءَ ظُلمُ ذوي الغنى
لم يُكثرِ الفقراء ظلمُ الباري
كم عاش قومٌ من طوى قومٍ وكم
عَمَرت ديارٌ من خرابِ ديار

الى أن يقول :

عَجَز الفقير عن استعادة حقّه
فأحال ذنبَ الفقرِ للاقدارِ
أغنيٌّ لا تسخر بزفرة بائس
كم من دخان منذر بالنار

وللاستاذ قصائدُ ثوريةٌ عديدةٌ غيرُ هذه وتلكَ ، منها قصائده « أين الحرس » و « خادع الشعب » و « الهواجس الثائرة » وغيرُها .

ذكرت أن الصافي تأثر بثورةِ المَعري على الظُّلمِ الاجتماعي ، وهاك ما قاله أبو العلاء في هذا الخصوص :

طـال الثَّـواءُ وقـد أنى لمفـاصلي
أن تستبـدَّ بضمِّهـا صحراؤهـا

فَتَرَت ولـم تَفْتُرْ لشـرب مُدامة
بـل للخطـوبِ يغولُهـا إسراؤهـا

مَـلَّ المُقـام فكـم أُعـاشر مِلَّـةً
أمـرتْ بغـير صلاحهـا أُمراؤهـا

وأقول إنه تأثر بأبي العَلاء في الثورةِ على التفاوتِ الطبقي حينما قال المَعري : غنى زيدٍ يكونُ لفقرِ عمرٍ وأحكامُ الحوادثِ لا يُقسنَهْ فالمَعري كان اشتراكياً لولا أنَّه صاحبُ قناعةٍ وزهدٍ ، وهكذا كان الصافيُّ اشتراكيَّ الفكرِ ، فلسفيَّ السيرةِ ، ولم يكن ماركسياً كما لم يكن المعري بطبيعة الحال .

أمّا ثورة الخيامِ التي نجد قبساً من نارها عند الاستاذ أحمد فإليك صوراً منها ، قال الخيام :

لا يورثُ الدهـرُ إلا الهمـمَّ والكمدا
واليـومُ إن يعطِ شيئاً يستلبـه غـدا
مـن لـم يجيئوا لهذا الدهرِ لـو علموا
مـاذا نُكابـد منـه مـا أتوا أبـدا

وقال كذلك :

المـال إن لـم يغـدُ ذُخر ذوي النهى
فالفاقـدون لـه بعيـشٍ أنكـد

أضحى البنفسجُ مطرقاً من فقرِه
والوردُ يضحكُ لاقتناءِ العسجدِ

أمّا لو سألتني عن شعرِ الصافي لقلت بأنه كان شاعرَ الفكرِ والعاطفةِ والحسِّ والخيالِ ، ومن أراد الدليلَ فليتصفح دواوينَه العديدةَ ، ومن وجد عكس هذا فليقدم الدليلَ . قال الصافيُّ :

قد درست الحياةَ ما اسطاع فكري
فوجدتُ العلياءَ أفضلَ درس

قد دعاني الى المخاطرِ عزمي
وهداني الى العواطفِ حسي

ولا بد لي قبل أن أختِمَ حديثي عن أُستاذي أن أتطرقَ الى جانبٍ آخرَ من سيرةِ الاستاذِ ، هي عقيدتهُ الدينيةُ ، فأقولُ نقلاً عنه واستشهاداً بِنَظمهِ إنه كان مسلماً مؤمناً بالتقليدِ في صِباه حيث نشأ في بيت أفراده كلهم متديّنون ، ثم وَصَل بعدئذٍ في مسيرتهِ العقائدية الى حافة الشكِّ والجحودِ . اسمعه يقول في « الحيرة » :

تَعبتْ في مفاوزِ الشكِّ نفسي
هل يقينٌ في ظلهِ تستريحُ

ما أرى هذه الطبيعةَ إلاّ
أخرساً كلُّ نُطقِه تلميحُ

إلى أن يقول :

كلميني ثم اصعقيني كموسى
أنا حسبي منك البيانُ الفصيحُ

وقال في « المحيط الخادع » :

مـــا في محيطيَ جـــاذبٌ يقتـــادُني
فـاذا مَشَيتُ فمِشْيَتي عـن دافـع
لــي مـــانعٌ عــن ذكــر آرائي كمــا
لي مـانعٌ عــن ذكــرِ ذاك المـــانِع
صارعْتُ جبـارَ الأنـامِ وكيـف بي
إنْ كانَ جَبَـارُ الزّمـان مُصـارعي

ثم عاد في آخر المطاف في كهولته الى حظيرة الايمان ٠
قال في « الله » :

كهـــــولتي بالله قـــــد آمنـــت
ضَـــــل شبـــــابي ودعـــاواه
فـــإن تجـــد ذا شيبـة جاحـــداً
فقـــــل الــى المـــوتِ أحلنـــاه
روحُ « المعـري » فيّ قـــد آمنـت
فأبصـــرت في المـــوت عينــــاه
عاشـــت بروحـــي روحُـــه ترتقـي
فمــــذ سَمــت لاح لهــــا الله
بــدأت تلميــــذاً عـــلى عقـــله
ثـــم اعتـــلى عقـــلي فأعــــلاه

إلى أن قـال :

رسالــــة الغفــران لــــم تغتفــر
للشعـــرا كفــراً بـــه فاهـــوا

وجئــت في شعــري مستغفــراً
عــن (المعــري) وخطــاياه

وبعد : فقد عَرفت الاستاذَ في أواخر الثلاثينات ، ثم تعرّفتُ عليه في مطلع الأربعينات ، ثم كتبت عنه عــام (١٩٤٧ م) في مجلّة الجزيرةِ الموصليةِ ، ثم زوّدني في صيف عام (١٩٧٣) في آخر لقاء كان بيننا وكان ببيروت ، أقول زوّدني بقصيدتين هما « طفولتي » و « الطفل الشيخ » . وقد ذكر لي الاستاذ انهما لم تنشرا حتى ذلك التأريخ ، وها إني أوردهما :

« طفولتي »

تعــودُ بي الذكــرى لعهــد طفــولتي
فأُبصــر طفــلاً في التلاميــذ وادعــا
كأني أَراه الآن مــن خَــلف دُرجــه
هَزيــلاً حييــا خافض الطــرف خاشعا
بــه وحشــةٌ مستغــرقٌ في خيــاله
يُخــال إذا كلّمتَــه ليــس سامعــا
اذا انصرفــوا للّعــب شاركهــم بــه
قليــلاً وولــى للزّويــة قابعــا
يُفكّــر في أَلعابهــم متفرجــا
ويســرع في حقــلِ التفكــرِ راتعــا
فأغــدوا أقــول الآن هــل ذلكم أنــا
ويُبــدع ربِّي مُبْدعــاً وبدائعــا
وأغــدو أكادُ الآنَ أُنكــر مــا أرى
وأُصبحُ في بحرٍ مــن الشّــك واقعــا

رفـــاقي في الكتّـاب حـين يرونني
يَرون عَجيبا يَصْدِمَ النَّفسَ رائعـا
يقولـون هــذا كيف كان وكيف قـد
غـدا فامتلَوْا غيظـاً وعضّوا الأصابعا
وقالـوا إذا ميرُ أحمدَ هـكذا غـدا
ومنّـا لـه قـد غـدا الكل تابعـا[1]
لقـد أبصروا بي آيـة لإلاههـم
تصـير كـُـلّا مؤمـن النفس طائعـا

« الطفـل الشيخ »

مـا قُلت شِعراً في الصِّبـا وعليـه أنـدمُ في الكهوله
مـا قُلتـه إلاّ وقـد كَمُلت لدى النفس الرّجوله
أنا في قيـاسِ السنّ أكبـرُ كنت مـن عهـد الطفـوله
كـم جُـزت حـدَّ السن بحثـاً في أمـور مستحيلـه
قـد كنت أنطِـق يافعـاً حينـاً بأفـكار جليلـه
بـين الرّجـال تكلّمـي ومداركي ليسـتْ كليلـه
ولكم نهـاني الأهلُ لكـن ليس لي في الصّمـت حيـله
كم قـلت فكراً في الصِّبـا واليـومَ أعجِـزُ أن أقوله
فنظمتـه فأثـار إعجـابا لـدى أهـل الكهولـه
أمـن المسيـح أخـذتُ روحـاً شـاء في روحي حـلوله
أنا في الصِّبـا بالعقل شيخٌ لـم أجـد شيخـاً مَثيله
واليـومَ شيخُ السنِّ لكن روحـهُ روحُ الطفـوله

فسلام على الصافي يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً .

الموصل : فيصل دبدوب
عضو مجمع اللغة العربية

---

(١) كذا في نص المقال « لجنة المجلة » .

التعريف والنقد

اهم مائة شخصية في تاريخ البشرية(١)

تاليف الدكتور مايكل هارت

نيويورك ١٩٧٨

سعر النسخة : ٥ر١٢ دولار

مراجعة الدكتور صفاء خلوصي

هذه أول محاولة جادّة في تاريخ البشرية ومحاولة تصنيف شخصياته حسب أهميتها ومدى تأثيرها في تطور الحضارة والتمدن البشري ، والدكتور هارت — مؤلف الكتاب — قد أحرز عدة شهادات جامعية فقد ظفر بالبكالوريوس في الرياضيات من جامعة كورنيل *Cornell* بأمريكا سنة ١٩٥٢ ونال البكالوريوس في القانون من كلية القانون بنيويورك سنة ١٩٥٨ ودرجة الماجستير في الفيزياء من جامعة أديلفي *Adelphi University* سنة ١٩٦٩ والدكتوراه في الفلك من جامعة برنستون *Princeton* سنة ١٩٧٢ وقد عمل في مراكز الفضاء بماريلاند

The 100 A Ranking of The Most Influential Persons In History

(١) العنوان الكامل للكتاب في الأصل الانكليزي :
« المائة » : تصنيف لأعظم الاشخاص
نفوذاً في التاريخ وقد قامت بطبعه
شركة هارت *Hart* وهي شركة نشر بنيويورك يديرها والد المؤلف هربرت هارت .

وبولدر بكثلورادو وفي مركز الاطلاع الفلكي بكاليفورنيا ، وهو عضو الجمعية الفلكية الامريكية .

هذا تعريف موجز بالرجل ، أما الكتاب فيضم ٥٧٢ صفحة غنيّ بالصور الضوئية والفهارس والجداول ، وهذه الاخيرة ثلاثة :

الجدول آ ـ موطن المائة الأوائل
الجدول ب ـ زمن ازدهارهم
الجدول جـ ـ ماذا قدموا للبشرية

وقد جعلها ملاحق للكتاب ، في حين انه استهله بمخطط تاريخي لأهم الحوادث والتطورات مبتدئاً من سنة ٣٥٠٠ ق.م ومنتهيا بسنة ١٩٧٠ .

وها هي الجداول الثلاثة فهي تلقي ضوءاً مكثفاً على الكتاب برمته:

الجدول آ

موطن المائة الأوائل

المنطقة	عدد الشخصيات	
بريطانيا العظمى	١٨	
المانيا والنمسا	١٥	
فرنسا	١٠	
ايطاليا	٨	مجموع الاوروبيين :
اليونان	٥	٧١
اسبانيا	٤	
روسيا	٣	
مختلف أقطار أوروبا الأخرى	٨	

الولايات المتحدة الامريكية	٧	مجموع الامريكيين :
أمريكا الجنوبية	١	٨
افريقيا	٣	مجموع الافريقيين :
الصين	٧	٣
الهند	٣	مجموع الآسيويين :
منغوليا	١	١٨
آسيا الغربية	٧	
المجموع	١٠٠	

وهكذا نجد أن هناك تحيزاً صريحاً لأوروبا وأمريكا ازاء افريقيا وآسيا !.

الجدول ب

زمن ازدهار المائة الأوائل

الفترة	عدد الشخصيات
ما قبل ٦٠٠ ق.م	٣
٦٠٠ ق.م ــ ٢٠١ ق.م	١٣
٢٠٠ ق.م ــ ١٤٠٠ م	١٦
القرن الخامس عشر	٤
القرن السادس عشر	٨
القرن السابع عشر	١٠
القرن الثامن عشر	١٢
القرن التاسع عشر	١٩
القرن العشرون	١٥
المجموع	١٠٠

وقد اعتبر شسكبير من شخصيات القرن السابع عشر وجيفرسون من القرن الثامن عشر وبلانك من القرن التاسع عشر ، وماركوني وفرويد من القرن العشرين •

ويلاحظ أن أعلى نسبة هي في القرن التاسع عشر ، وأن الأكثرية الساحقة هي بعد الميلاد مما يدل على أحد أمور ثلاثة إما أن الدكتور هارت لم يدرس العصور القديمة دراسة كافية أو لعدم توفر المعلومات بسبب عدم استكمال الحفريات الآثارية والبحوث ، أوأن العقل البشري لم ينضج إلا فيالعصور الحديثة ولم تتوفر مستلزمات البحثوالاستقصاء على أتم وجه ممكن إلا في القرن التاسع عشر ، غير أنه من الظلم الحكم على القرن العشرين وهو بعد لم يكمل شيخوخته المئوية ، فمن يدري من سيظهر خلال الاحدى والعشرين سنة المتبقية من أَجَلِهِ ، ثم ان المؤلف قد اقتصر على الاموات دون الاحياء وبين الاخيرين من يستحق أن يكون في عداد المائة ولا سيما الجرّاح كريستيان برنارد زارع القلوب واستَبْتُوا أول من نجح في تحقيق فكرة طفل الأنبوب التي يتوقع لها مستقبل عظيم باهر •

الجدول « ج » ما قدمه المائة الأوائل للبشرية :

حقل الجهود	العدد
علماء ومخترعون	٣٧
زعماء سياسيون وقادة عسكريون	٣٠
فلاسفة	١٤
زعماء دينيون	١١

فنانون وشخصيات أدبيـــة	٦
رحالـــــون وروّاد	٢
المجمــــوع	١٠٠

وقد اعتُبر بيزارو وكرتيز قادةً عسكريين أكثر منهم روّاداً ورحّالين، ونُظِم فرويد في ســلك العلماء لا الفلاسفة ، وعُــدَّ كونفوشيوس ولاوتسو وديكارت وأرسطو فلاسفة دنيويين ، واذا كان معيار الاهمية التاريخية في رأي المؤلف مدى تأثير الشخص الدائم في بني جنسه فلا أرى مكاناً في مجموعته لجنكيز خان ، ففتوحاته كانت همجية وحشيّة لم تؤد الى نتيجة حضارية ، وانتهت من غير أن تترك شيئاً سوى الدمار الذي تلافته البشرية تدريجياً فيما بعد ، وما ينطبق عليه ينطبق الى حد ما على سالتين فهل ان تاريخ أوروبا كان يتغير لو لم يظهر جوزيف سالتين ، أو بعبارة أخرى هل كانت هناك حتمية تاريخية لظهوره ولا بديل لمجرى التاريخ بدونه ؟ لا أعتقد ذلك ! فهناك العديدون ممن قضى عليهم ستالين بالنفي والتشريد، بله القتل والاعدام، وكان بوسعهم أن يلعبوا دوراً مماثلاً أو أقل قسوة منه ، وربما كان تروتسكي يكون البديل المفضل . على كل حال من الخطأ ادراج اسم ستالين بين المائة الاولى .

ولا بدع اذا ما أحدث الكتاب ضجة عالمية فكاتبه رجل موسوعي يقرأ بنهم كتباً في شتى صنوف المعرفة ، فقد وضع نُصب عينيه مقولة السر فرانسز بيكن المشهورة : « المطالعة تخلق الرجل الكامل » فجعل العلوم والآداب مجال دراساته وتتبعاته وهو في الاصل ـ كما قلنا ـ عالم فلكي نشر الكثير في مجال اختصاصه في المجـلات العلمية ذات الانتشار الواسع وهو الى ذلك لاعب شطرنج ما هو يأتي في الرعيل الاول من خبراء هذه اللعبة فهو أشبه بعلماء المسلمين في القرن الرابع

الهجري أو برجال عصر النهضة الاوروبية في القرن الخامس عشر الميلادي.

ويبدو أنه استوحى فكرة اخراج كتابه من كتاب « رسائل عن الانكليز » Letters ON Tne Enclish People لفولتير قال فيه انه خلال اقامته في انكلترة سمع بعض الفضلاء يتساءلون « أيهم أعظم : يوليوس قيصر أم الاسكندر الكبير أم تيمورلنك أم كروموبل ؟ » فرد أحد الحاضرين قائلاً : « انه اسحق نيوتن فهو أعظم هؤلاء جميعاً بلا أدنى ريب أو شك » ، فوافقه فولتير على ذلك قائلاً : « اننا مدينون بالاحترام والتقدير لاولئك الذين يسيطرون على عقولنا بقوة الصدق والمنطق ، وليس لاولئك الذين يستعبدوننا بالبطش والعنف » .

وسواء أكان فوليتير يحاول أن يتفلسف في الموضوع أم أنه كان يتحدث عن ايمان عميق بفكرته هذه فان مايكل هارت تلقفها على عجل وحوّرها ، وجعل « النفوذ » لا « العظمة » موضع اهتمامه ، وراح يتساءل : « من هم المائة الاوائل الذين يمكن أن نعدهم أعظم رجال البشرية نفوذاً بين البلايين التي عاشت على وجه البسيطة ؟ »

والظاهر أن الدكتور هارت قد تأثر حتى بالاسماء التي أوردها فولتير في كتابه « رسائل عن الانكليز » فأوردها[1] مضيفاً اليها اسم فولتير نفسه ، وتأثر كذلك بفكرة ان العالم الطبيعي نيوتن هو أعظم رجل في العالم فحوّرها جزئياً ومنحه المرتبة الثانية بعد أن جعل مكان الصدارة لسيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) بكل جدارة واستحقاق ، ولعله كان في صراع بين أن يجعل نيوتن أو المسيح في المرتبة الثانية وفضل

(١) باستثناء تيمورلنك . وكان بوسعه أن يستثني اسم « كروموبل » أيضاً لأن تأثيره كان وقتياً في الجزر البريطانية وإسرعان ما عادت الملكية إليها بعد وفاته بعامين .

أن يجعل فاصلة بين النبيين لئلا يُتهم بالتحيّز العلميّ ، وقد اختار « النفوذ » لا « العظمة » معياراً ليتسع له المجال على حد قوله لاضافة بعض المتنفذين الاشرار من غير العظماء من أمثال ستالين وهتلر وجنكيز خان الى قائمة الذين غيّروا مجرى تطور الحياة البشرية وكان لهم أعظم تأثير في التاريخ ، وقد وضع الاسماء حسب تسلسل أهميتها من حيث النفوذ عامة والحياة اليومية خاصة وبينهم النبيل والشرير والشهير والنكرة والمتعجرف والمتواضع ، فجاءت القائمة على الوجه التالي وعلى رأسها محمد (صلى الله عليه وسلم) :

١ ــ محمد (صلى الله عليه وسلم) ٢ ــ نيوتن ٣ ــ المسيح ٤ ــ بوذا ٥ ــ كونفوشيوس ٦ ــ القديس بولص ٧ ــ تساي لون (مخترع الورق) ٨ ــ يوحنا غوتنبرغ (مخترع الطباعة) ٩ ــ كولومبس ١٠ ــ اينشتاين (صاحب النظرية النسبية) ١١ ــ كارل ماركس ١٢ ــ باستور ١٣ ــ غاليليو ١٤ ــ ارسطو ١٥ ــ لينين ١٦ ــ النبي موسى ١٧ ــ دارون ١٨ ــ شي هوانغ تي (الامبراطور الذي وحّد الصين في القرن الثالث ق•م) ١٩ ــ اغسطس (قيصر الروماني) ٢٠ ــ ماوتسي‌تونغ ٢١ ــ جنكيز خان ٢٢ ــ اقليدس ٢٣ ــ مارتن‌لوثر ٢٤ ــ كوبر نيكس (الفلكي البولندي) ٢٥ ــ جيمس واط (مخترع المكائن البخارية الاسكتلندي) ٢٦ ــ قسطنطين العظيم (أول امبراطور روماني اعتنق المسيحية في القرن الرابع للميلاد فانتشرت في أوروبا برمتها) ٢٧ ــ واشنطن ٢٨ ــ فارادي ٢٩ ــ ماكسويل (الفيزيائي) ٣٠ ــ الاخوان اورفيل وويلبور رايت (مخترعا الطائرة) ٣١ لافوازيه ٣٢ ــ فرويد ٣٣ ــ الاسكندر المقدوني ٣٤ ــ نابوليون ٣٥ ــ هتلر ٣٦ ــ شكسبير ٣٧ ــ آدم سمث ٣٨ ــ توماس اديسون ٣٩ ــ انطوني فان لويفينهوك ٤٠ ــ افلاطون ٤١ ــ ماركوني ٤٢ ــ بيتهوفن ٤٣ فيرنر هايزنبرغ (الفيزيائي الالماني) ٤٤ ــ

اليكساندر غراهام بيل (مخترع التليفون) ٤٥ ــ اليكساندر فليمنغ (مكتشف البنسلين) ٤٦ ــ سيمون بوليفار (محرر أمريكا الجنوبية من النير الاسباني) ٤٧ ــ كرومويل ٤٨ ــ جون لــوك ٤٩ ــ ميخائيل انجيلو ٥٠ ــ البابا اوربان الثاني (مؤرّث نيران الحروب الصليبية) ٥١ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ٥٢ اسوكا (مؤسس أول امبراطورية هندية عظيمة في القرن الثالث ق٠م) ٥٣ ــ القديس اوغسطين (الفقيه المسيحي الذي عاش في القرن الرابع أي في دور انحطاط الامبراطورية الرومانية) ٥٤ ــ ماكس بلانك (الفيزيائي الالماني) ٥٥ ــ جون كالفن ٥٦ ــ وليم مورتن (أول من استخدم التخدير في الجراحة ١٨١٩ــ١٨٦٨) وليم هارفي (مكتشف الدورة الدموية الكبرى) ٥٨ ــ انطوان هنري بيكويريل (مكتشف الاشعاعات الذرية) ٥٩ ــ غريغور ميندل ٦٠ ــ جوزيف ليستر (الجراح البريطاني الــذي أدخــل وسائل التعقيم في الجراحة) ٦١ ــ نيكولاس اوغست أوتو (المخترع الالماني) ٦٢ ــ لويس داغير (مخترع التصوير الفوتوغرافي) ٦٣ ــ ستالين ٦٤ ــ ديكارت ٦٥ ــ يوليوس قيصر ٦٦ ــ بيزارو (المغامر الاسباني الذي انتصر على امبراطورية الانكا في بيرو) ٦٧ ــ كورتيز (فاتح المكسيك) ٦٨ ــ المملكة ايزابيلا الاولى (التي استولت مع زوجها فرديناند على دولة بني الاحمر) ٦٩ ــ وليم الفاتح ٧٠ ــ توماس جيفرسون (الرئيس الثالث للولايات المتحدة) ٧١ ــ جان جاك روسو ٧٢ ــ ايدوارد جينر (الطبيب الانكليزي صاحب لقاح الجدري) ٧٣ ــ رونتكن (مكتشف الاشعة السينية) ٧٤ ــ باخ (الموسيقار) ٧٥ ــ لاونزو (الفيلسوف الصيني الذي عاش في القرن الرابع ق٠م) ٧٦ ــ فيري (مصسم المفاعل الذري) ٧٧ ــ توماس مالثوس (صاحب النظرية السكانية) ٧٨ ــ فرانسز بيكون ٧٩ ــ فولتير ٨٠ ــ جون كينيدي ٨١ ــ غريغوري

بنكس (مكتشف حبوب منع الحمل) ٨٢ ــ سوي وين تي (الامبراطور الذي وحّد الصين في القرن السادس الميلادي) ٨٣ ــ ماني (نبي المانوية في القرن الثالث للميلاد وقد دامت ألف عام أو يزيد ممتدة الى المحيطين الاطلسي والباسفيكي) ٨٤ ــ فاسكودا غاما (الرحالة البرتغالي مكتشف طريق الهند حول رأس الرجاء الصالح) ٨٥ ــ شارلمان ٨٦ ــ كوروش (مؤسس الامبراطورية الايرانية في القرن السادس ق٠م) ٨٧ ــ ليونارد أولر (الرياضي والفيزيائي السويسري) ٨٨ ــ ماكيافيللي (الفيلسوف السياسي الايطالي) ٨٩ ــ زرادشت (٦٢٨ ــ ٥٥١ ق٠م) ٩٠ ــ مينيس أوميناء (حوالي ٣١٠٠ ق٠م ، الفرعون موحد مصر وهو من الاسرة الاولى) ٩١ ــ بطرس الكبير ٩٢ ــ مينشيس (الفيلسوف الصيني خليفة كونفشيوس) ٩٣ ــ جون دالتون ٩٤ ــ هوميروس ٩٥ ــ اليصابات الاولى ٩٦ ــ جستنيان الاول (الامبراطور الروماني) ٩٧ ــ يوهان كيلر (الفلكي الالماني) ٩٨ ــ بابلو بيكاسو (١٨٨١ــ١٩٧٣) ٩٩ ــ ماهافيرا (بطل عظيم ومؤسس ديانة هندية ٥٩٩ ــ ٥٢٧ ق٠م) ١٠٠ ــ نيلز بوهر (١٨٨٥ ــ ١٩٦٢ ، صاحب نظرية التركيب الذري) ٠

وهكذا نجد أن هناك ثلاثة عوامل هي : (١) النفوذ (٢) العظمة (٣) الشهرة ٠ وقد تجتمع على صعيد واحد في نفس الشخص وقد لا تجتمع ، فبين المائة الذين أدرجهم هارت في كتابه شخصيات لم ترزق نعمة الشهرة ، مثل تشاي لون الصيني مخترع الورق ، وغريغوري بنكس ، مكتشف حبوب منع الحمل ٠

على أن الشيء المؤسف هو أن اطلاعه على الحضارة العربية ــ الاسلامية دون اطلاعه على الحضارة الاوروبية ولو لم يكن الامر كذلك لما نسب فضل اكتشاف الدورة الدموية الى وليم هارفي وحده في حين

أن ابن النفيس الدمشقي (١٢١٢ ــ ١٢٨٨ م) سبقه الى ذلك بثلثمائة عام ، ولكان على الاقل يجعل الفضل مشتركاً بين ابن النفيس وهارفي على نحو ما فعل في فضل اختراع الطائرة اذ جعله مشتركاً بين الاخوين من آل رايت : أورفيل وولبور

ويبدو أنه شعر بغمط حقوق بعض العظماء فأضاف قائمتين ملحقتين الاولى بعشرة أسماء هي :

(١) توماس اكواناس (١٢٢٥ ــ ١٢٧٤) •

(٢) ارخميدس (٢٨٧ ق٠م ــ ٢١٢ ق٠م) •

(٣) شارلس بابج (١٧٩٢ ــ ١٨٧١) •
وهو مخترع انكليزي وضع مبادىء أدّت بعده بقرن الى اختراع العقول الالكترونية الحديثة •

(٤) شيوبس (عاش حوالي القرن الساس والعشرين قبل الميلاد) ، وهو في الحقيقة الملك خوفو المصري وقد منحه الدكتور هارت اسمه الاغريقي •

(٥) ماري كيوري (١٨٦٧ ــ ١٩٣٤) ولكن أهميتها في نظر المؤلف ليست فيما أنجزته بل في كونها امرأة قامت ببحوث وتتبعات علمية •

(٦) بنيامين فرانكلن (١٧٠٦ ــ ١٧٩٠)
وهو عبقري متعدد الجوانب أكثر تعداداً في اتجاهاته من ليوناردو دافنشي ، فقد برع في التجارة والعلوم والآداب والسياسة على حد سواء •

(٧) المهاتما غاندي (١٨٦٩ ـ ١٩٤٨) .

(٨) ابراهام لنكولن (١٨٠٩ ـ ١٨٦٥)
محرر العبيد في الولايات المتحدة .

(٩) فرديناند ماجلاّن (حوالي ١٤٨٠ ـ
١٥٢١) الرحالة البرتغالي .

(١٠) ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ـ ١٥١٩) .

وفيما كان المؤلف يضع كتابه تقدم اليه أصدقاؤه والمشاركون له في العمل بقوائم بأسماء أخرى رأى من الضروري الإشارة اليها ، وكان من بينها قائمة العشرة التي ذكرناها آنفاً بالاضافة الى نيل ارمسترونغ (أول انسان هبط على القمر) وبسمارك وروبرت بويل وتشرشل ودانتي ودارا العظيم وهنري فورد وفردريك العظيم وجالينوس وحمورابي وهيجل وهنري الثامن وابقراط واخناتون وجان دارك وكانت ومارتن لوثر كنج والفريد كينسي وقبلاي خان ولايبنتز (الفيلسوف) ولويس الرابع عشر ومريم العذراء والسلطان محمد الثاني (فاتح القسطنطينية) وموتسكيو وماري موتسوري وموتزارت ومعاوية بن أبي سفيان وباسكال وبافلوف وماركو بولو وبطليموس وفيثاغوراس ورامبرانديت وفرانكلن روزفلت وسرجون الاكدي وجوزيف سمث (نبي المورمون الامريكي) وسقراط وسوفوكليس وصان يات صن ، وتيمورلنك وتولستوي ، وهاري ترومان وجيمس وطسون وماري وولستون كرافت (زوجة الشاعر شيلي) الخ .... ولكنه لم يوافق عليها رغم ذكره لها (ص ٥١٧ـ٥١٨) مؤكداً أنها لا تؤلف المائة الثانية في الأهمية .

وكنا نودّ لو أن الفصل الحادي والخمسين (ص ٢٧١ ـ ٢٧٥)

الذي كتبه عن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٨٦ — ٦٤٤ م) كان أكثر عمقاً وتفصيلاً ، فهو كما يقول أعظم خلفاء المسلمين جميعاً ويشبهه في اعتناقه الاسلام بالقديس بولص في اعتناقه المسيحية ويمتدح أبا بكر قائلاً : لقد كان زعيماً موفقاً ناجحاً رغم قصر أمد خلافته التي لم تتجاوز العامين ، إلا أن أهم الانتصارات العربية — الاسلامية أحرزت في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، فقد افتتحت الشام وفلسطين اللتان كانتا جزءاً من الامبراطورية البيزنطية في اعقاب معركة اليرموك (سنة ٦٣٦ م) التي تعتبر من المعارك الحاسمة في التاريخ ، وافتتحت دمشق في السنة ذاتها ، والقدس بعدها بعامين ، وبحلول سنة ٦٤١ كان العرب سادة فلسطين وسوريا وهم في طريق الزحف على ما نسميه اليوم بالجمهورية التركية ، وكانت الجيوش العربية سنة ٦٣٩ قد اجتاحت مصر التي كانت ترزح تحت النير البيزنطي وتم فتح مصر في ثلاثة أعوام فحسب ، وكان فتح العراق قد بدأ قبل أن يتسنم عمر مقاليد الخلافة ، وكانت المعركة الحاسمة هناك القادسية ، في خلافة ابن الخطاب (رضي الله عنه) وانتزع العراق كله من سيطرة الساسانيين عام ٦٤١ ، ولم يقف الامر عند هذا الحد فقد اكتسحت بلاد فارس ذاتها ، وفي سنة ٦٤٢ جرت موقعة نهاوند وكانت فيها خاتمة آخر الأكاسرة الساسانيين ولم يتوقف زخم الجيوش الاسلامية المتقدمة بمقتل عمر (رضي الله عنه) فقد أكمل فتح شرقي ايران ، أما في افريقيا فقد كانت الجيوش التي فرغت من فتح مصر مندفعة لاكمال فتح الشمال الافريقي برمته •

ويعتبر الدكتور هارت فتوح العرب حروباً وطنية أكثر منها دينية مقدسة ولو أنها لم تكن لتخلو من نزعة دينية ، ولولا همة عمر في سرعة انقاذ الجيوش الفاتحة لما قيّض للاسلام أن ينتشر هذا الانتشار الهائل ،

ولكن شخصية عمر بن الخطاب رغم عظمتها تكاد تكون غير معروفة في الغرب ولو أنه في الحقيقة أعظم من شارلمان ويوليوس قيصر ، ففتوحات عمر من حيث السعة والدوام أعظم من فتوحات شارلمان أو قيصر من دون أدنى ريب أو شك .

هذه بعض اللمح من كتاب « المائة » للدكتور مايكل هارت الذي نرجو أن يُكتَبَ ما يضارعه بالعربية بمزيد من الانصاص للعبقرية العربيـــة .

اكسفورد **د. صفاء خلوصي**

□ □ □

المعجم الوسيط وقوله في تصويب الخطأ

الأستاذ صبحي البصام

تصويب الخطأ بمعنى تصحيحه خطأ :

من الألفاظ التي بات أهل الأدب والعلم في عصرنا هذا يستعملونها في غير معناها « التصويب » ، فهم يعدلون عن معناه الى ضدّه ، كقولهم « صوّب الخطأ » بمعنى أصلحه أو صحَّحه ، مع أن صوّبه حكم له بالصواب ، ومثله استصوبه ، وذلك نظير قولهم صغّره واستصغره ، وضعّفه واستضعفه ، وسخّفه واستسخفه ، وحمّقه واستحمقه . وليس التصويب من الأضداد ليجوز استعماله معكوس المعنى . ثم إن العربية فيها « الإصلاح » و « التصحيح » ، وكلاهما يؤدي ذلك المعنى المراد ، وكلاهما نصّت عليه معجمات اللغة ، واستعمل قديماً في نصوص يعوّل عليها ، وكلاهما يستعمل في عصرنا هذا ، ولا سيما التصحيح ، وتصحيح دفاتر الانشاء وأوراق الامتحان[1] من العبارات التي اعتاد معلمو المدارس وطلبتها أن ينطقوا بها . على أن استعمال الاصلاح والتصحيح في أواخر الكتب المطبوعة ، كقولهم « إصلاح الخطأ المطبعي » أو

---

(١) الأصل فيه تصحيح خطأ الدفاتر أو الأوراق ثم حذف المضاف وأبقي المضاف اليه .

« تصحيح الخطأ المطبعي » أمسى قليلاً ، لأنه مزحوم بقولهم « تصويب الأخطاء المطبعية » وهو تعبير غير صحيح .

وممن أجحف بمعنى التصويب مؤلفو « المعجم الوسيط[١] » ، وكلهم ذو يدٍ باسطة في اللغة ، فإنهم استعملوه وكأنه من أصل اللغة ، فقالوا في معجمهم « وصوّب الخطأ صحَّحه » ، وهو قول حقه أن يحذف وأن يثبت مكانه « وقولهم : صوب الخطأ بمعنى صحَّحه خطأ » ، لأنه لم يقل به معجم معتمد ، ولم يرد في نصٍّ أدبي قديم . وكنت أظن أن هذا الخطأ جاءنا من المستشرقين ، ثم وجدت ما يمنع من تحقيق هذا الظن ، ففي معجم جورج بيرسي باجر[٢] جاء من معاني *Correction* تصحيح وإصلاح ، وكذلك جاء معناه في معجم يوحنا أبكاريوس[٣] ، وكلا المعجمين أُلِّف قبل نحو من مئة سنة ، ثم تابعهما في ذلك بعض المؤلفين العرب[٤] . وغير بعيد أن يكون بعض التراجمة العرب ، ممن يحسن الانكليزية ويجهل أسرار العربية ، رأى الألفاظ الانكليزية *Correct, to Correct, Correction* من أصل واحد ، واختار لِـ *Correct* المعنى « صائب أو صواب » ثم شاء أن يجعل معاني الألفاظ الانكليزية

---

(١) هم ابراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار ، وطبع المعجم بمطبعة مصر بالقاهرة ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦٠م واشرف على الطبع عبد السلام هارون .

(٢) طبع في لندن سنة ١٨٨١ بواسطة شركة *Kegan Pall*
وعنوانه : *An Eglish Arabe Lexicon*

(٣) طبع في بيروت سنة ١٨٨٢ وعنوانه « قاموس انكليزي ـ عربي » .

(٤) كإلياس انطون إلياس في معجمه « القاموس العصري » المطبوع في القاهرة طبعته الأولى سنة ١٩٠٩م ، ومنير بعلبكي في معجمه «المورد» المطبوع في بيروت طبعته الأولى سنة ١٩٦٧م .

الثلاثة بالعربية من أصل واحد ، فتجاوز حدّه من صائب أو صواب إلى يصوّب وتصويب ، فدبّ خطؤه في أوصال لغتنا ، ثم دبّ في « المعجم الوسيط » ليرفع رأسه وكأنه أصيل •

التصويب في المعجمات اللغوية القديمة :

وهذه نصوص من المعجمات اللغوية القديمة توضح معنى التصويب •

قال في الصحاح « والصواب نقيض الخطأ ، وصوّبه قال له أصبت ، واستصوب فعله واستصاب فعله بمعنى ، وصوّب رأسه أي خفضه » •

وقال في أساس البلاغة « ومن المجاز أصاب في رأيه ، ورأي مصيب وصائب ، وأصاب الصواب ، وصوّبت رأيه ، واستصوب قوله واستصابه ، ويقال : إن أخطأتُ فخطئني وإن أصبتُ فصوِّبني » •

وقال في لسان العرب « والصواب ضد الخطأ ، وصوّبه قال له أصبت ، وأصاب جاء بالصواب » •

وقال في تاج العروس « ومن المجاز استصابه أي الرأي بمعنى استصوبه • وقال ثعلب استصبته قياس ، والعرب تقول استصوبت رأيك وصوّبه قال له أصبت وتقول : إن أخطأت فخطئني وإن أصبت فصوّبني » •

فهذه المعجمات متفقة على أن « صوّبه » قال له أصبت ، وليس أصلحه أو صحّحه ، ولكنه اتفاق مع صوابه فيه يبوسة ، ولو كانوا قالوا : حكم له بالصواب لكان أولى ، ليجوز أن يدل الضمير على المخاطب أو الغائب ، وأن يكون المصوَّب بشراً أو غيره •

التصويب في نصوص الأدب القديم :

إن نصوص الأدب القديم تبصّرنا بمعاني الكَلِم أكثر من نصوص

المعجمات ، وهـذه نصوص منه أرجو أن تزيـد معنى « التصويب » وضوحـاً :

١ ــ جاء في « كليلة ودمنة » في قصة « إيلاذ وبلاذ وإيراخت » : « فلستُ قاتلها حتى أنظر رأي الملك فيها ثانية ، فان رأيته نادماً حزيناً على[1] ما صنع جئت بها حية ، وكنت قد عملت عملاً عظيماً ، وأنجيت إيراخت من القتل ••• وان رأيته فرحاً مستريحاً مصوّباً رأيه في الذي قتله[2] وأمر به فقتلها لا يفوت »[3] .

٢ ــ وجاء في « الحيوان » للجاحظ كلام منه « اعترضتَ بالتعنّت والتعجّب وسطّرت الكلام وأطلت الخطب ، من غير أن يكون صوّب رأيك أديب ، وشايعك حكيم »[4] .

---

(١) قلتُ : لو كان النص « حزيناً نادماً على .. » لكان ابلغ ، ليختص « على » ب « نادماً » دون غيره .

(٢) كذا جاء في النسخة التي اعتمدتها ، والسياق يدل على أن الأصل « فَعَلَه » .

(٣) ص ٣١١ و ٣١٢ من طبعة دمشق المصوّرة بتحقيق الـدرع ، ثم اطلعت على النسخة التي حققها الدكتور عبد الوهاب عزام ، طبعة دار الشرق ببيروت ١٩٧٣م فلم أجد « مصوّباً » ، ووجدت النص مختلفاً ، وهو : « فلست بقاتلها حتى انظر راي الملك فيها ، فان ندم على قتلها وحزن جئته بها حية ، وكنت قد عملت ثلاثة أعمال ، انجيت ايراخت من القتل ، وفرّجت على الملك حزنه ، وافتخرت بذلك على سائر الناس ، وان لم يذكرها ولا اشتاق اليها أمضيت امره فيها » ص ٢١٤ .

(٤) ج ١ ص ١٣٣ من طبعة بيروت . تقديم فوزي عطوي . وليس بين يديّ غير هذه الطبعة .

٣ ــ وجاء في « البيان والتبيين » في استحسان النبي صلى الله عليه وسلم كلام قس بن ساعدة : « هو الذي رواه لقريش والعرب ، وهو الذي عجَّب من حسنه ، وأظهر من تصويبه »[١] .

٤ ــ وجاء في « الكامل » للمبرد « إنّ بشاراً كان يتعصب للنار على الأرض ويصوّب رأي إبليس لعنه الله في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام »[٢] .

٥ ــ وجاء فيه أن الأزارقة قالوا لعبد الله بن الزبير : « وإن أبيت الاّ نصر رأيك الأول ، وتصويب أبيك وصاحبه والتحقيق بعثمان خذلك الله ، وانتصر منك بأيدينا »[٣] .

٦ ــ وجاء في « العقد الفريد » أن بعضهم روى خبراً في المأمون جاء فيه : « ثم لم يزل يردّ كل واحد منا مقالته ، ويخطىء بعضنا ، ويصوّب بعضنا ، حتى أتى على آخرنا »[٤] .

٧ ــ وجاء في « الأغاني » في أخبار متمم بن نويرة وأخيه مالك خبر جَذيمة والزبّاء وفيه « ... وإنها لم تجد كفئاً غيره ، وتسأله الاقبال عليها وجمع ملكها الى ملكه ، فلما وصل ذلك اليه استخفه

---

(١) ج ١ ص ٥٢ تحقيق عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٣٦٧هـ ــ ١٩٤٨م .

(٢) ج ٣ ص ٩٢٢ تحقيق احمد محمد شاكر ، طبعة القاهرة ، والخبر أيضا في البيان والتبيين ج ١ ص ١٦ وفي وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٤٧ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، طبعة القاهرة ١٩٤٨ ، مع ورود « يصوّب » فيهما .

(٣) ج ٣ ص ١٠٢٤ « سكوتي عن تحقيق الكتاب وطبعه معناه ان ذلك مذكور في تذييل مضى » .

(٤) ج ٥ ص ٩٣ من طبعة مديرية التأليف والترجمة والنشر .

وطمع فيه ، فشاور أصحابه ، فكلٌّ صوّب رأيه في قصدها وإجابتها إلاّ قصيرَ بن سعد ... فقال : هذا رأي فاتر ، وغـدر حاضر ، فإن كانت صادقة فلتقبل اليك »[١] .

٨ ــ وجاء فيه ، في أخبار دنانير وعقيد أن يحيى بن خـالد قال لابراهيم الموصلي في لحن دنانير : « وأكره أن أقول لك لا يعجبني وقد بلغ من قلبي مبلغاً محموداً ، وانما يتم السرور به اذا صادف ذلك منك استجادة وتصويباً »[٢] .

٩ ــ وجاء فيه ، في أخبار عروة بن حزام « وعلم أنه لا ينفعه قرابة ولا غيرُها إلاّ بالمال الذي يطلبونه ، فعمل[٣] على قصد ابن عم له موسر كان مقيماً باليمن ، فجاء الى عمه وامرأته فأخبرهما بعزمه ، فصوّباه ووعداه ألاّ يحدثا حدثاً حتى يعود »[٤] .

١٠ ــ وجاء في « نهج البلاغة » : « ترد على أحدهم القضية في حكم من الأحكام فيحكم فيها برأيه ، ثم ترد تلك القضية بعينها عـلى غيره فيحكم فيها بخلافه ، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامـام الذي استقضاهم فيصوّب آراءهم جميعاً ، وإلههم واحد ، ونبيُّهم واحد »[٥] .

---

(١) ج ١٥ ص ٣١٦ و ٣١٧ من طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) ج ١٨ ص ٦٥ و ٦٦ نشر الهيئة المصرية العامة للنشر والتأليف ١٣٩٠هـ ــ ١٩٧٠م .

(٣) قلت : لعلّ الأصل في « عمل » أن يكون « عزم » لأنه اصح معنى ، ويتفق مع « فأخبرهما بعزمه » التي وردت بعدُ .

(٤) ج ٢٤ ص ١٤٨ من الطبعة المذكورة في التذييل ١٥ .

(٥) ج ١ ص ٦٢ شرح الشيخ محمد عبده ، طبعة دار الأندلس ببيروت .

١١ ــ وفي « معجم الأدباء » في ترجمة بكر بن حبيب السهمي : « وإنما ظن يونس بن حبيب النحوي أنه قد لحن ، وأنه كان يجب أن يقول : عاصباً فاه ، فلما تبيَّن أنه أراد عَصَبَ الفم صوّبه »[1] .

١٢ ــ وفي ترجمة أبي بكر بن محمد المازني النحوي من الكتاب المذكور أن مخارقاً غنى الواثق في قول الشاعر :

أظليم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظُلْمُ

وورد في الخبر « فلحنه قول ، وصوّبه آخرون »[2] .

١٣ ــ وفي ترجمة عيسى بن يزيد الليثي منه أن الهادي قال « قد عرفتم موضع لبانة بنت جعفر بن أبي جعفر مني وأثَرَتها عندي ، وأنها أغلظت لي بادلالها في شيء فلم أجد صبراً ، فنلتها بيدي فندمت عليه وقال ناقل القول « فسكتنا خوفاً من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلـك »[3] .

١٤ ــ وفي ترجمة محمد بن جرير الطبري منه « فخلا في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار اليهم ... وقرأ الكتاب عليهم ، وفضَّل أحمد ابن حنبل وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده »[4] .

١٥ ــ وفي (وفيات الأعيان) ورد في ترجمة أحمد بن أبي دواد أنه أنجى أبا دُلف القاسم بن عيسى العجلي من الموت بعد أن عزم الإفشين على قتله ، وذلك بحيلة احتالها ، ثم صار الى المعتصم من وقته ، وورد في آخر الخبر : « ... فصوّب رأيه ووجَّه من أحضر القاسم فأطلقه ، ووهب له ، وعنَّف الإفشين فيما عزم عليه »[5] .

---

(١) ج ٧ ص ٨٩ الطبعة التي باشراف الدكتور محمد فريد رفاعي ، القاهرة ١٩٣٣ .

(٢) ج ٧ ص ١١٢ ورواية البيت المشهورة « أظلوم ... »

(٣) ج ١٦ ص ١٦٢

(٤) ج ١٨ ص ٥٩

(٥) ج ١ ص ٦٤ و ٦٥ (يراجع التذييل : ١١)

١٦ ــ وفي ترجمة الحسين بن صالح الشافعي من الكتاب المذكور أن أبا العلاء بن العسكري قال إنه توفي سنة عشرين وثلاثمائة ، وورد بعدُ « وقال الحافظ أبو الحسن الدارقطني : توفي في حدود سنة عشر وثلاثمائة ، وصوّبه الحافظ أبو بكر الخطيب ، وقال : وهم أبو العلاء رحمه الله »[١] .

١٧ ــ وفيه ، لعبد الرحمن بن اسماعيل الخشاب يرثي عبد الرحمن ابن محمد الصدفي :

أبا سعيدٍ وما نألوك أن نشرت عنك الدواوين تصديقاً وتصويبا[٢]

١٨ ــ وفي « خزانة الأدب » أن الدماميني قال في شرح التسهيل : « وقد أجريت ذلك لبعض مشايخنا فصوّب رأي ابن مالك فيما فعله »[٣] .

عود الى تخطئة « تصويب الخطأ » بمعنى تصحيحه :

ففي هذه النصوص ، ورد تصويب الرجل[٤] ، وتصويب رأيه[٥] ، وتصويب عزمه[٦] ، وتصويب اعتقاده[٧] ، وتصويب كلامه[٨] ، وتصويب لحنه[٩] ، أي ورد الحكم لأولئك جميعاً بالصواب ، فكيف

---

(١) ج ١ ص ٤٠٠

(٢) ج ٢ ص ٣١٩

(٣) ج ١ ص ٢٧ تحقيق احمد تيمور باشا وعبدالعزيز الميمني الراجكوتي ، المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٨هـ .

(٤) في النصوص التي ارقامها : ٥ و ٦ و ١١ و ١٢ و ١٦ و ١٧

(٥) في النصوص التي أرقامها : ١ و ٢ و ٤ و ٧ و ١٣ و ١٥ و ١٨

(٦) في النص الذي رقمه : ٩

(٧) في النص الذي رقمه : ١٤

(٨) في النص الذي رقمه : ٢

(٩) في النص الذي رقمه : ٨

يكون « صوّب خطأه » بمعنى أصلحه أو صحّحه ؟ إن تصويب الخطأ لا يكون معناه الا ّ الحكم له بالصواب ، فلو رمى رامٍ أرنباً فأخطأها فأصاب ظبياً بدلاً منها لجاز لقائل أن يقول : إني أصوّب خطأه ، أي أحكم له بالصواب ، لأن صيد الظبي أعود على الرامي من صيد الأرنب • ولو أراد مريد أن يعين فقيراً بعينه ، فأعان فقيراً غيره خطأً ، لحقّ للفقير المعان أن يقول : إني أصوّب خطأه ، وذلك لما أصاب به من خير •

وتصويب الخطأ لا يتجه الا ّ على تأول من هذا النحو ، ولفائدة بلاغية ، ولا يدل إلا ّ على الحكم بالصواب • وأعترف بأني لم أعثر على شاهد قديم له ، وظاهر أنه من الندور بمكان ، لفساد معناه أصلاً ، لأنه كعدّ الماء الفرات ملحاً أجاجا ، ورؤية الظلام نوراً وهّاجا ، على أن القيـاس يجيزه ، والذوق البـلاغي يسيغه ، وفي المَثَلين اللذين افتعلتهما ما يُجزئ★ •

إصلاح الخطأ وتصحيحه :

والإصلاح والتصحيح لا يسد مسدّهما التصويب ولا غـيره ، فيقال مثلاً : إصلاح الخطأ أو تصحيح الخطأ ، وقد ورد اللفظان في نص واحد من لسان العرب وهو : « وصحّحت الكتاب والحساب تصحيحاً اذا كان سقيماً فأصلحت خطأه » •

وسمّى ابن السكيت كتاباً له « اصلاح المنطق »[1] ، وسمّى ابن قتيبة الدينوري كتاباً له « إصلاح غلط أبي عبيد في غريب الحديث »[2]،

★ ورد لي مثل آخر اتفاقاً في أثناء كلامي ، بلا تعمل ولا تكلف ، انتبهت اليه عند عزمي على تبييض هذه المقالة ، وهو ما يشير اليه التذييل ذو الرقم ٤٢ •

(١) طبع دار المعارف بمصر ١٩٤٩م •

(٢) الفهرست لابن النديم ص ١١٦ طبعة المكتبة التجارية بمصر ١٣٤٨هـ

وسمَّى أحمد بن محمد الخطَّابي كتاباً له « إصلاح الغلط »[١] . ونُقل عن ثعلب أنه قال « كان محمد بن عبد الله يكتب ألف درهم واحدةٍ فاذا مرّ به ألف درهم واحد أصلحه واحدة ، فكان كتَّابه ينكرون ذلك »[٢].

وقيل في اسحاق بن ابراهيم الموصلي « وهو الذي صحَّح أجناس الغناء وطرائقه »[٣] ، وقال مخارق لأحمد بن عبد الله بن العلاء وقد أخطأ في لحن « صِرْ اليّ غداً حتى أصحّحه لك »[٤] ، وقال عبد الرحمن بن كيسان « استعمال القلم أجدر أن يحضّ الذهن على تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام »[٥] .

اعتراض محتمل :

فان قيل : الأصل في تصويب الشيء في اللغة تخفيضه ، كقوله :

وظلّ للأعيس المزجي نواهضه في نفنف الجوّ تصويب وتصعيد[٦]

فلا يضير أن يُقال « صوّب الخطأ » بمعنى خفضه ، ليرتفع الصالح أو الصحيح الى مكانه ، وذلك من باب التوسع في اللغة . قلت : هذا تبعيد للمعنى ، وتلصّق بالاجتهاد ، وتركاض في العناد ، لا يراد منه إلاّ الاعتياض من الزُبد بالزَبَد . وكيف يُفتح باب التوسع في اللغة للفظ خطأ لا يُحتاج اليه ليهتضم جانب لفظ أصيل ، ويغصب عليه حقه ، ثم

(١) معجم الأدباء ج ٤ ص ٢٥٣

(٢) معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٦٩

(٣) الأغاني ج ٥ ص ٢٦٩ من طبعة دار الكتب المصرية .

(٤) الاغاني ج ٥ ص ٣٠٥

(٥) البيان والتبيين ج ١ ص ٨٠

(٦) الجمهرة لابن دريد ج ١ باب (ج و و) .

يكلّح في وجه النصّ الأدبيّ الذي يرد فيه « التصويب » ويلبّس علينا معناه ؟ فقولنا « صوّبتُ كتابه » معناه في الكلام الفصيح « حكمت لكتابه بالصواب » لا غير ، على حين يجوز أن يكون معناه في لغة المعجم الوسيط : « صحّحتُ خطأ كتابه » ، بتأول حذف المضاف وهو «خطأ»، لدلالة المضاف إليه عليه ، وإغنائه عنه ، وهو « الكتاب » .

وإن قيل : إنّ مؤلفي المعجم الوسيط مهّدوا لأنفسهم العذر بقولهم في المقدّمة « وأدخلت اللجنة في متن المعجم ما دعت الضرورة الى إدخاله من الألفاظ المولّدة أو المحدثة أو المعربة أو الدخيلة التي أقرّها المجمع وارتضاها الأدباء فتحركت بها ألسنتهم وجرت بها أقلامهم »[1] . قلت : هذا قول حسن ، والعمل به من شأنه أن يساير ارتقاءنا الحضاري ، ويسهّل نماء لغتنا ، ويعينها على قضاء حاجاتنا ، ولكنّ الخطأ الذي تتحرك به ألسنة الأدباء وتجري به أقلامهم لا ضرورة تدعو الى تصويبه[2] ، لا من قبل مجمع اللغة ، ولا مؤلفي المعجم ، وإنما هو خطأ ، حقّه أن يُنبّه عليه ، وأن يذكر وجه صوابه ، وذلك في المجلات والجرائد ، ويحسن أن يُستفاد من وسائل الاعلام اليومية لهذا الغرض كالمذياع ونحوه ، فإن اجتُنب ، وإلاّ نُبّه عليه في المعجمات الحديثة ، أمّا أن يثبت في معجم حديث ، وكأنه من كلام العرب الأصيل، فأمر لا يُرتضى .

---

(١) ص ١١

(٢) « تصويبه » اي تصويب الخطأ استعملته ههنا بمعناه الصحيح ، وهو « الحكم له بالصواب » ، ومعناه في المعجم الوسيط « تصحيحه » .

لقد غبرتُ زماناً طويلاً أبحث عن « التصويب » إبّان قراءتي كتب الأدب القديم ، إرادةَ أن أجده بمعنى الإصلاح أو التصحيح ، ولكنّ التصويب كان يأبى إلاّ أن يفصح لي عن معناه الصحيح ، فمن وجد نصاً قديماً من شأنه أن يؤيد استعمال التصويب بمعناه الذي جعل يفشو ، ويعضّد عبارة المعجم الوسيط القائلة « وصوّب الخطأ صحّحه » ، فليأتنا به ، اعلاناً للحق ، وإحساناً باللغة ، وتفضّلاً عليّ ، وعلي غيري ممن يعنيه الأمر .

درم ـ انكلترا **صبحي البصام**



كتاب الازهية في علم الحروف
تاليف : علي بن محمد النحوي الهروي
تحقيق الاستاذ عبد المعين الملوحي

الاستاذ سبيع حاكمي

من الكتب اللغوية التي نشرها مجمع اللغة العربية كتاب الأزهية في علم الحروف . وقام بتحقيقه الاستاذ عبد المعين الملوحي ، وقد بذل الأستاذ جهداً غير قليل في عمله .

إلا أن الكتاب لا يزال فيه بعض الأخطاء وعلى الخصوص في الآيات القرآنية نسبةً وضبطاً . ثم بعض الهنات هنا وهنالك .

وإليكم بعض هذه الأخطاء :

قال الأستاذ في مقدمته ص ١٠ سطر ١٧ : « وهكذا نجد عيسى ابن عمر وأبا عمرو بن العلاء ويونس بن حبيب والخليل وسيبويه والأخفش وقطرباً والمبرد والزجاج من مدرسة الكوفة . إلى جانب الكسائي والفراء وثعلب من مدرسة البصرة » .

وواضح أن الأمر معكوس : فأبو عمرو وأصحابه بصريون ، والكسائي وصاحباه كوفيون .

قال المؤلف ص ٢٠ « ثم تلين الهمزة الثانية وتترك نبرتها ، وتشم حركتها بلا نبرة » . وعلق المحقق على كلمة تشم بقوله « يعني أن ينطق

بحركتها مختلسة اختلاساً شديداً وهو ما قد يعبر عنه بالروم • والتعبير عن ذلك بالاشمام من مصطلح الكوفيين • وأمّا الاشمام في مصطلح أهل البصرة ــ وهو المأخوذ به اليوم فلا يكون إلا في الضم خاصة ••• الخ » •

وهذا الكلام الذي علّق به الأستاذ المحقق على كلمة الإشمام لا علاقة له فيما قصده المؤلف ، بل هو خاص بالوقف فقط ، وبأواخر الكلمات لا بأوائلها (انظر النشر ١/٤٦٣ وشرح الشاطبية لأبي شامة : باب وقف حمزة وهشام) •

والذي قصدهُ المؤلف هو باب الهمزتين من كلمة ومذاهب القراء في ذلك (في المد والادخال والتسهيل وبين بين ••• الخ) •

ــ ص ٢١ قال المؤلف في الباب نفسه : « فقد قُرىء كل ذلك على هذه الوجوه كلها » • وعلّق المحقق على ذلك بقوله : « فيه شيء من التجوز » • ونقل عن التيسير (٣١ ــ ٣٢) ما ظن أنه يخالف المؤلف مع أنه يؤيده فالآيات التي أوردها قرئت على الوجوه التي ذكرها كلها ، وليس في الأمر تجوز (انظر شرح الطيبة لابن الناظم ص ٨٧ و ٩٢) •

ــ ص ٤٤ الآية «(إن تقولُ إلا اعتراكَ)» تقولُ : كُتبتْ بالتاء وهي بالنون نقولُ •

ــ ص ٦٠ قال جرير: زعَم الفرزدقُ أن سيقتلُ مَربعاً•••يا مَربع (مَربع) ضبطها المحقق بفتح الميم وهي بكسرها كما في (تبصير المنتبه ١٢٧٢) •

ــ ص ٦٧ الآية : «(ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبَروا)» أي من أجل أن يكبَروا • ضبط المحقق عين الفعل يكبروا بالضم في الموضعين ظناً منه أنه من الباب الخامس • بينما هو في الآية وشرحها من الباب الرابع •

ـ ص ٦٧ أيضا : «(فرجل" وامرأتان ممّن تَرضَوْن من الشهداء)» كتب المحقق (٥) : إنها من سورة النساء الآية ٢٨٢ • والصحيح انها من سورة البقرة لأن عدد آيات سورة النساء ١٧٦ • وليس فيها الآية المذكورة •

ـ ص ٦٩ في تخريج بيت جميل : أحبكَ أن سكنت جبال حسمى• أشار المحقق إلى وجوده في معجم البلدان مادة (بثن) • وليس في معجم البلدان مادة (بثن) وإنما هناك : (البثنة) و (البثنيّة) و (بُثينة) وليس في أي واحدة منها البيت المذكور •

ـ ص ٧٥ قوله تعالى : «(ما هذا بشراً)» أشار المحقق أنها من سورة يوسف : ٣١ ومن سورة المائدة : ١٣ • والصحيح أنها من سورة يوسف فقط •

ـ ص ٧٦ قوله تعالى : «(فإمّا تخافنّ •••)» والصواب : «(وإمّا تخافنّ)» •

ـ ص ٩٦ قوله تعالى : «(كلّما أضاءَ لهم مشَوا فيه)» ، أشار المحقق إلى أنها الآية رقم ٢ من سورة البقرة • والصحيح (٢٠) •

وقال الشاعر :

ورجّ الفتى للخير •••• عن السنِّ •••••••••

الصواب على السنِّ كما ورد ص ٤٢ •

ـ ص ١٣٢ قوله تعالى : «(وسواءٌ علينا أَجزعنا أَم صَبَرْنا)» من سورة ابراهيم • الصواب بدون الواو قبل سواء[1] •

---

(١) قلت : اصلحتها في نسختي من الكتاب : و (سواءٌ •••) ـ لجنة المجلة ـ هـ •

ـ ص ١٥١ قوله تعالى : «(وإمّا تَثقفنّهم ....)» والصواب «(فإمّا ...)» .

ـ ص ١٦٩ قوله تعالى : «(إنها بقرةٌ لا فارضٍ ولا بكْرٍ)» ضبط كلمتي فارض وبكر بالكسر وهما مرفوعتان «(لا فارضٌ ولا بكرٌ عوانٌ بين ذلك)» وليس في القراءات العشر المتواترة قراءةٌ بكسرِ فارض ولا بكر .

ـ ص ١٧١ قال المؤلف : « واعلم أنه قبيح أن تقول : مررتُ برجلٍ لا فارسٍ[1] حتى تكرر » فظن المحقق أن « لا » عاملة جارة . فضبط الجملة التي جاءت بعدها وهي قول المؤلف : « لا يحسُن أن تقول زيدٌ لا فارسٍ ... » ضبط كلمة فارس بالكسر وهذا خطأ لأن كلام المؤلف عن اسمية « لا » وليس عن إعمالها بأن تجر ما بعدها . والصواب أن تضبط « زيدٌ لا فارسٌ ولا شجاعٌ » .

ووقع المحقق في الخطأ مرةً ثانية في قول الشاعر :

وأنت امرؤٌ منـا ..... حيـاتك لا نفـعٌٍ ....

فضبط كلمة نفعٌٍ بالضم والكسر معاً متوهماً أن قول المؤلف : « وقد يجوز على ضعفه في الشعر » مقصودٌ به الكسر والضم . بينما أراد المؤلف تكرير الصفات المسبوقة بلا .

---

(١) قلت : قد ورد مثل ذلك في ص ١٧٠ سطر ٧ ولكن يحسن قراءة الباب من أوله ص ١٦٩ سطر ٥ ثم سطر ٧ : و (لا) هاهنا اسم لدخول حرف الخفض عليها فالتصحيح فيما يخيّل اليّ مخالف لنظرية المؤلف من حيث اعتباره (لا) اسماً يخفض المضاف اليه . والله أعلم ـ لجنة المجلة ـ هـ .

ـ ص ١٧٥ سطر ٤ قوله تعالى : «(لولا أُنزِلَ إليه ملك ليكونَ)» ، والصواب فيكونَ .

ـ ص ١٩٣ سطر ٨[1] قوله تعالى : «(وأن كان ذو عسرةٍ)» وردت بفتح الهمزة والصواب بكسرها (وإنْ) .

ـ ص ١٩٥ هامش «٦» من الآية ٢٨٢ سورة البقرة بدلاً من ١٨٢

ـ ص ٢١٧ سطر ٨ قوله تعالى : «(والليل إذا يسري)» في الرسم القرآني «(يسْرِ[2])» بدون ياء وتكرر الخطأ في ص ٣٦٣ سطر ٩ .

ـ ص ٢٢٣ سطر ٥ قوله تعالى : «(وليَسجُننَّه حتى حين)» ، الصواب بدون الواو .

ـ ص ٢٢٧ السطر قبل الأخير قوله تعالى : «(وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّها المؤمنون لعلّكم تفلحون)» ، الرسم القرآني «(أيهَ المؤمنون)» ، والآية من سورة النور ٣١ وليست من سورة «المؤمنون» كما أشار المحقق بالهامش ٣ من الصحيفة نفسها .

ـ ص ٢٣٠ سطر ٢ قوله تعالى : «(بل جاءَهم الحقُّ)» والصواب «(جاءَهم بالحقّ)» ـ المؤمنون آية ٧٠ وتكرر الخطأ في ص ٣٥١ سطر ٢ .

ـ ص ٢٣٦ سطر ٨ قوله تعالى : «(ما يَودُّ الذينَ كفروا مِن أهلِ الكتابِ والمشركين)» ، والصواب : «(ولا المشركين)» . البقرة : ١٠٥ . وتكرر الخطأ نفسه ص ٣٤١ سطر ١٥ في فهرس سورة البقرة .

---

(١) قلت : الصحيح سطر ١٠ وهو خطأ مصحح في جدول الخطأ والصواب ص ٣٩٥ ـ لجنة المجلة .

(٢) قلت : هي بياء صغيرة في المصاحف ـ هـ المزبورة على قراءة نافع ـ لجنة المجلة ـ هـ .

ــ ص ٢٤٠ سطر ٤ قوله تعالى : «(ليبيّنَ لكم ونُقِرُّ في الأرحام)» ، والصواب : «(لنُبيّنَ)» باسناد الفعل للمتكلم لا للغائب.

ــ ص ٢٤٨ هامش (٢) سورة الشعراء : الآية ١٠٨ والصواب ٢٠٨

ــ ص ٢٥٠ السطر الأخير قوله تعالى : «(عالمُ الغيبِ ....)» والصواب «(عالمِ)» بالجر[1] . وتكرر الخطأ في ص ٣٥١ سطر ٥ .

ــ ص ٢٦٠ سطر ١ قوله تعالى : «(كأنّهم جمالَةٌ صفر)» ، والصواب «(كأنّهُ)» .

ــ ص ٢٧٨ هامش (٥) و (٦) الخطأ متبادل بينهما . فالآية التي أشار إلى أنها من سورة النمل هي من الأحقاف . والآية التي قال إنها من الأحقاف هي من النمل .

ولا شك أن الخطأ في الآيات القرآنية شيء يدعو إلى الأسف ، وقد امتد هذا الخطأ إلى الفهرس الخاص بالآيات القرآنية ، فتكرر كثير من الخطأ السابق ذكره ، وزيد عليه أخطاء ، ففي :

ــ ص ٣٤٠ سورة البقرة «(كلّما أضاء ...)» جعل رقم الآية(٢) وهو (٢٠) كما سبق .

السطر الأخير «(أوَلو كان آباؤكم)» ، والصواب «(آباؤهم)» .

ــ ص ٣٤٢ السطر الأخير : «(أن يكبُروا)» بضم الباء ، والصواب بفتحها لأن الفعل في الآية من الباب الرابع كما سبق .

ــ ص ٣٤٣ السطر الأول من فهرس سورة النساء : «(فرجلٌ وامرأتان ...)» ، والصواب أن الآية من سورة البقرة وهي آية الدَّيْن.

---

(١) قلت : هي (عالمُ) بالرفع في قراءة نافع . ــ لجنة المجلة ــ هـ .

من فهرس سورة المائدة سطر ٢٠ : ((ما هذا بشرا)) ، أشار الى أنها من الآية (١٣) من سورة المائدة ، والصحيح أنها ليست من المائدة .

ـ ص ٣٤٥ فهرس سورة الأنفال سطر ١٧ : ((فإمّا تخافنّ)) ، الصواب ((وإمّا)) . سطر ١٨ : ((وإمّا تثقفنّهم)) ، الصواب : ((فإمّـا)) .

ـ ص ٣٤٦ فهرس سورة يونس سطر ١١ : ((فلولا كانت قرية)) هي الآية ٩٨ وليس ٩١ .

ـ ص ٣٢٧ فهرس سورة يوسف سطر ١٦ : ((وليسجننّه)) ، الصواب بدون الواو .

ص ٣٤٨ فهرس سورة الحجر سطر ٤ : ((وإن كنا لفي ضلال مبين)) ، الآية ليست من سورة الحجر بل هي من سورة الشعراء ٩٧ ، والآية بدون واو لأنها جواب قسم: ((تالله إن كنّا لَفي ضلالٍ مبين))

فهرس سورة الاسراء سطر ٢٠ : ((وإن كان وعدُ ربنا مفعولا))، الصواب : ((إن كان وعدُ ربِّنا لَمَفعولا)) ، بدون واو ثم بزيادة (لام) قبل ((مفعولا)) .

ـ ص ٣٥٠ فهرس سورة الحج سطر ١٤ : ((ليبيِّن لكم)) ، والصواب ((لنبيِّنَ)) .

ـ ص ٣٥٢ فهرس سورة النمل سطر ١٠ : ((وألقى في الأرض رواسيَ)) ، هذه الآية ليست من سورة النمل وإنما هي من سورة النحل فموضعها في فهرس سورة النحل .

سطر ١٢ : ((بل ادّارك علمُهم ...)) ، رقم الآية ٦٦ لا ١٦ .

سطر ١٥ : ((أولئك الذين حقّ ...)) ، هذه الآية من سورة الأحقاف لا من سورة النمل .

ـ ص ٣٥٤ فهرس سورة يس : «(آأسلمتم)» ، هذه الآية ليست من سورة يس وانما هي من آل عمران .

ـ ص ٣٥٥ فهرس سورة الصافّات سطر ٤ : «(وإن كدت لتردين)» ، الصواب بدون الواو .

ـ ص ٣٥٦ فهرس سورة ص سطر ٤ : «(بل لما يذوقوا العذابَ)» والصواب : «(بل لمّا يذوقوا عذابِ)» بكسر الباء وبدون (الـ) .

ـ ص ٣٥٧ فهرس سورة الشورى سطر ٧ : «(وما يَنطِقُ عَن الهوى)» ، والآية ليست من الشورى وإنّما هي من سورة النجم فموضعها هنـاك .

ـ ص ٣٥٩ فهرس سورة النجم سطر ٩ : «(وهو الذي يقبل التوبة عنْ عِبادِه)» ، الآية ليست من سورة النجم بل هي من الشورى .

وقد كنا نتمنى لو أن الأستاذ الملوحي أعطى عناية أكبر للآيات القرآنية ، فضبطها على وجهها وأشار إلى مواطنها الصحيحة فهذا أمر ميسورٌ لا يحتاج فيـه الانسان إلى الرجوع إلى مطولات التاريخ أو الأدب أو اللغة .

والله الموفق للصواب «(وفوقَ كلِّ ذي علمٍ عليم)» .

حمص **سبيع حاكمي**

كتـــاب

البرصـــان والعرجـــان والعميـــان والحـــولان

لأبي عثمـان عمرو بن بحر الجاحظ

تحقيق : محمد مرسي الخولي

دار الاعتصام ــ القاهرة ــ بيروت

١٩٧٢

الأستاذ ابراهيم صالح

كتاب البرصان معجم كامل لأصحاب العاهات وهو يعتبر نموذجاً فريداً في فن التأليف لا يقوم به غير الجاحظ ، ذلك العبقري الذي بذّ المؤلفين الى آفاق لا ينالها سواه . فقد ذكر في هذا الكتاب نماذج طريفة من أدب أصحاب العاهات لا نجدها في مصدر آخر . فمنهم البرصان والعرجان والحدبان والأُدران والعسران والقرعان والمفاليج وصغـار الرؤوس ...

ولقـد بذل المحقق الفاضل جهـداً مشكوراً في تقـويم النص وتحقيقه واعادته الى الصورة التي جف عنها قلم الجاحظ ، ولكن تحقيق المخطوطة الوحيدة من الوعورة بحيث يتجنبه حتى كبار المحققين ، ولقد كان شيخ العربية المرحوم الأستاذ أحمد زكي يقول : « فنحن نجاهر بأن الاعتماد على نسخة واحدة لا يمكن مطلقاً أن يفي بالغاية التي يتطلبها في هذا العصر أهل البراعة والمحبون للتدقيق في طبع أمهـات الكتب العربية » (مقدمة نكت الهميان للصفدي ص : ج) .

ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله .

ولقد أثار الكتاب في نفسي شكاً يستند الى النقاط التالية :

١ ــ قال الجاحظ في ص ٣٥ : « وقد ذكرنا شأن عمرو بن هدّاب والذي حضرنا من مناقبه في كتاب العميان فلذلك لم نذكره في هذا الباب » .

قلت : إذا كان كتاب العميان باباً مفرداً ضمن كتاب البرصان فمعنى ذلك أن المخطوطة ينقصها قسم العميان بكامله ، أما إذا كان كتاب العميان كتاباً مستقلاً فما معنى ذكر العميان والحولان في عنوان الكتاب؟ ثم إن الجاحظ لم يذكر من العميان غير بشار بن برد ص ٢٠ والعكوّك ص ٨٦ وابن مكتوم ص ١١٢ وأبي راشد الضبي ص ١٢٨ .

٢ــ قال الجاحظ في ص ٢٧٨ : « ومن المفاليج عبيد الله بن زياد ... ولعبيد الله أماكن في هذا الكتاب لأنه يذكر في المسمومين وفي المفاليج وفي ضروب سنذكرها إن شاء الله » .

قلت : ولكن الجاحظ لم يذكره ثانيةً وليس في الكتاب باب خاص بالمسمومين .

٣ ــ نقل محمد الغزالي في هداية المريد المطبوع ضمن نوادر المخطوطات ١ : ٤٠٧ نصاً عن الجاحظ قال : « قال الجاحظ : أجمع الناس على أن ليس في الدنيا أثقل من أعمى ولا أبغض من أعور ولا أخف روحاً من أحول ولا أقود من أجدب (= أحدب) » .

قلت : وهذا النص يشبه أن يكون من هذا الكتاب وليس فيه . أقولُ هذا استناداً على العنوان الكامل للكتاب .

فهل معنى هــذا أن النسخة ناقصة ؟

ــ ذكر المحقق الفاضل في مقدمته ص : (ج ، د) المصادر التي نقلت مباشرة عن الجاحظ ، وها أنا أذكر ما وقفت عليه ممن نقلوا عن

هذا الكتاب دون تصريح باسم الكتاب ولكنهم اكتفوا بقولهم : قال الجاحظ •

في ترجمة علي بن جبلة العكوّك ص ٨٦ وردت هذه العبارة :

« وكان أحسن خلق الله إنساناً (= إنشاداً) ما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً » •

هذا النص نقله ابن الجراح في الورقة ص ٦١ بنصه ـ ط ٢ ـ ونقله ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣ : ٣٥٠ بتحقيق الدكتور إحسان عباس • ونقله الصلاح الصفدي في نكت الهميان ص ٢٠٩ بتحقيق المرحوم أحمد زكي •

ثم ان ابن الجراح نقل بيتين من الشعر في الورقة ص ١١٣ عن الجاحظ وهما في ص ١٠٥ من البرصان بتحريف شديد •

ونقل الثعالبي أربعة أبيات من الشعر في ثمار القلوب ص ٨٠ ط ١٩٠٨ عن الجاحظ وهي في البرصان ص ٨٥ ، ثم عاد فنقل نصاً مطوّلاً بحروفه في الثمار ص ٦٩ يقابله ص ٢٠٢ من البرصان وقد أشار اليهما المحقق ولم يذكر الثعالبيّ ضمن من نقلوا عن البرصان •

وأورد أبو الفرج في أغانيه ٢٠ : ٣٦ ط الهيئة المصرية بعضاً من ترجمة العكوّك في البرصان بتصرّف ثم قال : حدثني بذلك عمرو بن بحر الجاحظ •

فهؤلاء هم جملة مَن وُفقت الى معرفتهم ممن نقلوا عن كتاب البرصان •

وثمة في الكتاب أشياء فاتت المحقق واهتديت لها أنا ذاكرها فيما يلي وكلها لا تخرج عن كونها استدراكات أو تخريجات أو تصحيح أخطاء مطبعية •

بقي عليَّ أن أقول : إن أخطاء الضبط في الكتاب كثيرة وكذلك هي في الكتب التي حققها الأستاذ الخولي . فهل معنى هذا أن الأستاذ المحقق لا يقف بنفسه على طبع كتبه ؟

وهذه هي الاستدراكات في صلب الكتاب :

ص ٢ س ١٥ : هذا هو البيت الثالث من أبيات الرجز وكان من حقه أن يُكتب في منتصف السطر .

ص ٨ س ١٥ : وكذلك حكمُ عن (مَن) ....

ص ١٠ س ١٦ : أقاتل حتى لا أرى (لي) مقاتلاً . « عن الأغاني والمرزباني » .

ص ١٧ س ١٤ : الرَّجل (= الرِّجل) بكسر الراء المشددة . س ١٥ : .... لكنا سواء (أ) ولمال به حملي . والتصحيح نفسه يقال في ص ٢٢٧ .

ص ١٨ س ٩ : الشطر الثاني من البيت الثاني من أبيات أبي طالب مكسور وزناً ولم أهتدِ الى تقويمه .

ص ٢٠ س ١٣ : إنا (= إذا) .

ص ٢٢ س ٢٠ وص ١٨٥ ح ٣ وص ٢١٦ ح ٥ : قال المحقق : وقد ورد البيت في ديوان أبي النجم ضمن الطرائف الأدبية للميمني .

قلت : ليس لأبي النجم ديوان ضمن الطرائف الأدبية وإنما هي أرجوزته اللامية فحسب .

ص ٢٨ س ٨ : بيت ذي الرمة في ديوانه ٣ : ١٩٠٨ ط مجمع اللغة العربية بدمشق نقلاً عن أنساب الأشراف .

ص ٣٢ س ٥ : .... زيّن الطّرفَ تحاسين القُزَح
قلت : البيت في الأوائل لأبي هلال العسكري ١ : ١٠٠ دمشق .

برواية : القرح ، بالراء المهملة والقرح : بياض في وجه الفرس • ولعله أصــوب •

ص ٤٢ س ٣ : وداويتها حتى مشت (شنت) حبشية •

ص ٤٧ س ٨ : الشطر الثاني مكسور الوزن ولعل صوابه : لم يتلبث ولم يهمم •

ص ٥٥ س ١٩ : رهط أبو (أبي) نخيلة الراجز •

ص ٦٤ س ١ : وكان (من) المشهرين بالبرص •

ص ٦٩ س ٨ : وسأله رجل عن بعض المثالب (يقول) :

ص ٧٠ س ١١ : ابن يزيــد الأبرص • والسياق يقتضي : ابن يزيد الأرقط •

ص ٧٨ س ١ : البيت غير واضح فلعل فيه تصحيفاً ووزنه مكسور •

س ٢٣ : ليتقاف (= ليقتاف) •

ص ٨٤ س ١ : الشطر الأول مكسور الوزن ولعل صوابه : أو لبيبٍ استوت حنكتُه •

ص ٨٦ س ٦ : « وكان أحسن خلق الله إنساناً (إنشاداً) ما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً » •

قلت : هذا النص نقله ابن الجراح في الورقة ١١٣ وابن خلكان في الوفيات ٣/ ٣٥٠ والصفدي في نَكْت الهِمْيان ٢٠٩ وكلهم صدره بقوله: قال الجاحظ • فلعلهم نقلوا مباشرة عن هذا الكتاب •

ص ٩٢ س ١١ : فقال عبد الله (= عبيد الله) •

ص ٩٩ س ١٢ : ألصفرة (= أللصفرة) •

ص ١٠٥ س ٤ : جاء في كتاب الورقة لابن الجراح ص ٦١ ما يلي : « قال الجاحظ : كان عمرو الخاركي يذكر أم المخلخل :

وقـد طوّلت الإسبَ فصارَ الإسبُ قاريّه
علاها رمصُ الصدعِ فصارت بَرَدانيّه

رمص (= برص) .

ص ١٠٩ س ١ : « وكان يضرب بالعسراء من (غير) أن يغيّر الأوتار . عن ص ٣٣٧ .

ص ١١٢ س ١ : « وكان الحسن الأول الذي سمي الثاني (باسمه).

ص ١١٨ س ٢ : والأقرع أعرج وآسره أعرج » وكان في الأصل : « والأقرع أعرج وأسير أعرج » فغيره المحقق والأصل صحيح .

ص ١١٩ س ١ : ومَنّ عليه (ولكنّ) قيسَ بن عاصم طعنه في وركه حفره (= حفزه) بها ...

ص ١٢٣ س ١٠ : لقد زادك الرحمن فضلَ مزيدٍ (= تزَيُّدٍ أو زيادةٍ) ليصح الوزن .

ص ١٢٣ س ١٩ : عتبت على سلم فلما هجوه (= هجرته) عن المعارف .

ص ١٤١ س ١١ : وقال في ذلك عمر (= عمرو) بن الإطنابة .

ص ١٤٢ س ١ : بيت سويد هو الأخير من مفضليته المشهورة . المفضليات ص ٢٠٢ .

ص ١٥١ س ٧ : كنا متى ما نشأْ منه نغترف . السطر مكسور وزناً ولعل صوابه : كنا متى نشاء منه نغترف .

ص ١٥١ س ١٠ : فاستجداها (= فاستجادها) .

ص ١٧٣ : البيت الثالث من أبيات القحيف العقيلي ضمن قصيدة له في طبقات ابن سلام ٢/٧٩٣ ومنها البيت الذي نقله المحقق في الحاشية عن المرزباني .

ص ١٨٣ س ٥ : ولا بد أن من (من أن) تعمى قبل ذلك •

ص ١٨٤ س ٥ : أرزم عشواء يستحر (يحرُّ) صَعْدُهُ • ليصح الــوزن •

ص ١٩٦ س ٢ : مألولة الأذنين كحلا (= كحلاء) العين •

ص ٢٠٦ س ١ : قول الأحنف : « إن ركبوا ••• » في كتاب البغال ضمن رسائل الجاحظ ٢/٢٢٨ برواية أخرى •

ص ٢١٥ س ٤ : ولا يسك أبوه (= إبرةً) بيده •

ص ٢٢٠ س ١٤ : رواية البيت في كتاب من نسب الى أمــه من الشعراء ضمن نوادر المخطوطات ١/٨٨ : ما إن رأينا مثلك ابن الخطاب •

ص ٢٢٨ س ١٤ : الأبيات في ثمار القلوب ٣٥٢ وإنباه الرواة ٣ : ١٢٠ وطبقات الزبيدي ومعجم الأدباء ج ١٨ ومجالس العلماء •

ص ٢٢٩ س ١ : على كل جارٍ (= حالٍ) من غنىً وفقير •

ص ٢٣٥ س ٨ : بيتا ابن الدمينة ليسا في ديوانه بتحقيق الأستاذ النفاخ • وأنا في شكٍّ من كلمتي : إنما ••• لنفسكَ ولعل صوابهما :

إذا كنت مرتاداً لنجلك أمــه   بنفسك فانظر من أبوها وخالها

ص ٢٣٦ س ٢ : البيت في البيان والتبيين ٢/١٩ وفصل المقال ١٩٦ بلا نسبة ونسبه محققهما الى كثير وهو في ديوانه ق ٩٧ وهو في ثمار القلوب ٢٩٧ لابن أحمر وهو في ديوانه ١٣٢ ط المجمع نقلاً عن الثمار •

ص ٢٤٦ س ٧ : ومن الحدب : سيار بن رافع قُطعت يده في بعض قــلاع فارس •

قلت : لا يقال لمن قطعت يده : هو أحدب • بل يقال : أخدج أو أجذم • ولعل صواب العبارة : ومن الخدج أو : ومن الجذم • قال في

أساس البلاغة (خدج) ص ١٠٤ ط محمد نديم : خدج الرجل فهو خادج : إذا نقص عضو منه .

ص ٢٤٩ س ١٠ : (ما) للكواعب يادهماء قد جعلت ... عن ص ١٣٣

ص ٢٧٢ س ١٥ : ... والشمس كالمرآة في وجه الأشل . المشهور: في كف الأشل .

ص ٢٧٩ س ٨ : بيت أبي الأسود في ديوانه ص ١١٩ ط بغداد بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين .

ص ٢٨٨ س ٣ : البيت الثالث مكسور وزناً عند كلمة: وماسوس. ولم أهتدِ الى تقويمه .

ص ٢٩٣ س ٢ : تخال أفواهم (= أفواههم) .

ص ٢٩٤ س ٩ : ... شمٌ العرانين لا ميلٌ ولا غرل (= عُزُلُ).

ص ٣١١ س ٢ : يقول (لي) الأمير بغير نصحٍ ...

ص ٣١٢ س ٦ : البيت في عيون الأخبار ١/٢٢٤ بلا نسبة برواية : وكفاً ككف الضب أو هي أحقر . والشطر الثاني في ثمار القلوب ٣٣٠ بلا نسبة برواية : وكفٌ ككف الضب بل هي أقصر .

ص ٣١٤ س ١ : ورأس كقبر المرء من آل تُبَّعٍ

هذا صدر بيت لذي الرمة وعجزه : غلاظٍ أعاليه سهولٍ أسافله . ديوان ذي الرمة ٢/١٢٥٦ ط المجمع بتحقيق الدكتور عبد القدوس أبو صالح .

ص ٣٢٥ س ١٢ : ... لقد قال (رسول) الله ..

ص ٣٢٦ س ٢ : القزعان والقزعان . الكلمة الثانية بالراء المهملة .

ص ٣٣٦ س ١٠ : حذف المحقق من هنا كلمة : وكذلك . وإثباتها أصح وأوضح .

ص ٣٤٤ س ١٥ : تعني بالسيف اليد (= باليد السيف) •

ص ٣٤٥ س ١ : قول حسان في : الكامل للمبرد ٢/٢٥٦ وعيون الأخبار ١/٣٢١ وثمار القلوب ٤٨٧ •

س ٥ : « وقال يزيد بن أسيد لغلام له وقد أتوه بأسير لضربٍ (= : اضرب) ولم يزده على ذلك •

ص ٣٤٦ س ٢ : وكان عينية (= عتيبة) •

ص ٣٤٧ س ٤ : وإذا صنعتُ صنيعة أتمتها (= أتممتها) •

ص ٣٥٣ س ٢١ : ليلة الجرير (= ليلة الهرير) •

ص ٣٥٦ س ١٠ : •••جذلاً (=جذلاء)كالوطبِ لحاهُ الماخضُ •

دمشق　　　　ابراهيم صالح

موجز

وقائع (*) مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة

في دورته الرابعة والاربعين (**)

للدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الرابعة والاربعين ، في المدة الواقعة من تاريخ ١٣ من آذار حتى تاريخ ٢٧ منه سنة ١٩٧٨ م ، وعقد خلالها تسع جلسات علنية بالاضافة الى جلستي الافتتاح والختام .

لقد كانت أبحاث المؤتمر وقراراته على جانب كبير من الاهمية ،

(*) يخطىء بعض علماء العربية كلمة « وقائع » على اساس ان مفردها « وقيعة » فلا تؤدي معنى « الاخبار والحوادث تقع فتسجل » الذي تساق فيه ، وقد عرض مؤتمر مجمع اللغة العربية لهذا الامر في دورته الحادية والأربعين ، وانتهى إلى إقرار تصحيح لفظه « وقائع » على أن مفردها « وقعة » حملا على نظائرها من مثل : رَخْصَة وحَلْبَة وكَنَّة .

(**) نشر الزميل الدكتور عدنان الخطيب وقائع هذه الدورة في زميلتنا مجلة مجمع اللغة العربية الاردني في عددها الثاني ، وحرصا على متابعة نشر وقائع المؤتمر في مختلف دوراته في مجمع دمشق ، طلبنا من الزميل إعداد موجز لما نشره في الزميلة فوافانا بهذا الموجز
(المجلة)

وفيما يلي عرض موجز لتلك الأبحاث مع تسجيل كامل للتوصيات والقرارات التي اتخذها المؤتمر في جلسته الختامية :

اولا ــ جلسة الافتتاح

عقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، واستمع المؤتمرون والمدعوّون من رجال الفكر والأدب إلى كل من :

١ ــ الاستاذ عبد المنعم الصاوي ، وزير الثقافة والاعلام ، وقد رحّب بكلمته بالمؤتمرين ، وأشاد بالعمل العظيم الذي يقوم به مجمع اللغة العربية للحفاظ على سلامتها متطورة تلاحق العصر ، وتستوعب كلّ جديد أو طريف أو مستحدَث •

٢ ــ الدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس المجمع ، الذي اوضح في كلمته أن أبحاث المؤتمر ستدور حول « العامية والفصحى » في عدد من الاقطار ، مشيرا إلى دعوات خبيثة ظهرت في أوائل هذا القرن تزعم بأن العامية تصلح أن تكون لغة قومية ، وبعد أن بيّن انحسار تلك الدعوات في العقد الثالث من القرن ، أعلن أسفه لاسترداد هذه الدعوات في أوائل العقد السادس شيئا مما فقدته ، تشجِّعها في ذلك بعض وسائل الاعلام ، وتشجّعها لغة بعض القادة والرؤساء ثم أهاب بالمؤتمر ان يواصل الجهود التي يبذلها في المساعدة على سيادة الفصحى •

٣ ــ الدكتور محمد مهدي علاّم ، أمين المجمع ، وقد عرض في كلمته لأعمال المؤتمر السابق والتوصيات التي اتخذها ، ثم عرض اعمال مجلس المجمع خلال السنة الماضية وانجازاته التي ستناقَش في هذا المؤتمر •

٤ ــ الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ، عضو المجمع من تونس ، ممثلاً أعضاء المؤتمر الوافدين من سائر الأقطار العربية ، وقد شكر في كلمته رعاية مصر لهذا المؤتمر ، مشيدا بميزات لغة الضاد ودقّتها ومرونتها وعظيم استيعابها ، في العصور الاسلامية الاولى ، لحضارة فارس ومدنية اليونان وحكمة الهند .

ثانيا ــ المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش ، خلال جلساته اليومية ، المصطلحات العلمية والفنيّة التي رفعتها اليه اللجان المختصة عن طريق مجلس المجمع في القاهرة ، وقد أقر المؤتمرون، بالاجماع حينا وبالاكثرية أحيانا ، أكثرها، كما جرى تعديل بعض منها أو اعادته الى اللجان المختصة لاستيفاء دراسته .

وبلغ عدد المصطلحات التي نظر فيها المؤتمرون (١١٤٥) موزّعة بين مختلف العلوم والفنون .

ثالثا ــ البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون الى بحوث ودراسات ألقاها الاعضاء ، فناقشوهم فيما ارتأوه ، أو علّقوا على ماجاؤوا به ، مقرّين نشرها ونشر البحوث الأخرى التي قدّمها أعضاء لم يستطيعوا الاشتراك في المؤتمر والقاءها ، محيلين بعضها على اللجان المختصة لابداء الرأي فيها .

كانت البحوث والدراسات التي استمع المؤتمرون في هذه الدورة إليها هي التالية ، مع أهم ما دار حولها من مناقشات :

١ ــ « من قصة العامية في الشام » بحث ألقاه الاستاذ سعيد الافغاني ، عضو المجمع المراسل من سورية ، تحدّث فيه عن حال العربية

في بلاد الشام في العقدين الأولين من القرن العشرين ، وأفاض في ذكر ما صنعه الروّاد الشاميّون في أوائل النهضة العربية الحديثة احياء للفصحى لغةً تخاطب ، ودفعاً لطلاب المدارس الى الالتزام بهـا ، بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى •

٢ ـ « تقريب العامية من الفصحى » بحث ألقاه الدكتور حسين علي محفوظ ، عضو المجمع المراسل من العراق ، تحدّث فيه عمّا تزخر به لغة العامة في العراق من كلمات يمكن ردّها الى الفصيح ، واغنـاء الفصحى بها ، مشيراً الى اتجاه عدد من العراقيين نحو تدوين العـامية العراقية للافادة منها • وأعقب الحديث نقاش حارّ سَبَّبَه التوهّمُ بأن غاية المتحدث الدفاع عن عامية أهل العراق، فأنكر الأستاذ عباس حسن (مصر) الدعوة الى التقريب بين الفصحى والعامية محتجّاً بأن كل كلمة إمّـا أن تكون فصيحة أو غير عربية ، مؤكداً رفض مجمع اللغة العربية فكرة تدوين العاميات لان في ذلك احياء لها ، والعرب اليوم في أمسّ الحـاجة الى التوحيد بالفصحى ونبذ العاميات •

وعلق الدكتور إسحاق موسى الحسيني (فلسطين) قائلاً : ان كانت غاية البحث استخلاص الكلمات الفصيحة التي تنتشر على ألسنة العامة ، فهذا عمل جيد ، أمّا إن كانت غاية « التقريب » الاستعانـة بمفردات عامية في الفصحى ، فهذه فكرة جانَبَها التوفيق •

وختمت المناقشات بتأكيد صاحب البحث أنه لم يرد في بحثه أن يتجاوز مجرد الاشارة الى ان العامية العراقية قريبة من الفصحى !

٣ ـ « الفصحى المعاصرة » بحث القاه الدكتور شوقي ضيف ، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه تطور العربية في مختلف العصور متأثرة بتطور العلوم والفنون ، كما عرض ظروف نشوء العاميات ومـدى

ارتباطها بالفصحى على مـر الزمن ، مؤكدا على ازدهار فصحى هـذا العصر ، وعلى أن عاميته آخـذة في الاقتراب منها ، ممّا يبشر بخـير عميم • وأثار البحث تعليقات جمة ، أهمها كان استغراب الدكتور ابراهيم السامرائي (العراق)هذا التفاؤل العريض في البحث بينما تناقضه حقائق ملموسة •

٤ ــ « العـامية في العراق » بحث ألقـاه الدكتـور ابراهيـم السامرائي ، عضو المجمع المراسل من العراق ، عرض فيه نشأة العامية في العراق ، ومدى تأثير الفارسية وغيرها من اللغات فيها ، داعيا الى ضرورة العمل على تنقية الفصحى مما تَسَرَّب إليهـا من شوائب عامية ، وإلى عدم التساهل مع ما يغزو الفصحى اليوم من التراكيب والاستعمالات والالفاظ العامية ، وبخاصة السياسية منها •

٥ ــ « خواطر حول الترجمة الذاتية في العصور الاسلامية »بحث ألقاه المستشرق الالماني الاستاذ رودلف زلهايم ، استاذ العربية بجامعة فرانكفورت وعضو المجمع المراسل ، عرض فيه الطابع المميّز لفن الترجمة عند المسلمين وارتباطه موضوعيا بالعلم ، ولا سيما الديني ، بخلاف ما عند الامم الاخرى ، اذ ينتحي لديهـا المنحى الشخصي معتمـدا على التحليل والتصوير ، ومع كلّ هذا فلم تَخْلُ العصور الاسلامية مـن ظاهرة الخُيَلاء عند بعض المؤلفين ، وحبّ التحدث عن النفس ، ممّا أوجد الترجمة الذاتية•وأتى المحاضر بأمثلة توضح الخواطر التي أَحَبَّ تسجيلها •

وتحدَّثَ إِثْر انتهاء المحاضرة الدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس المجمع ، عن موضوعية الترجمة عند علماء المسلمين ، وبُعد هؤلاء عن الترجمة الذاتية حياءً وتواضعاً •

٦ ــ « موسوعة تراجم رجال القرن الثاني عشر الهجري » بحث ألقاه الدكتور إسحاق موسى الحسيني ، عضو المجمع من فلسطين ، استهلّه باسترعاء الانظار الى سعة الموضوع المتّصل بتراجم الرجال ، والى انفراد العقلية العربية بمزايا في فن الترجمة ، مؤكدا على فضل المؤرخ الشامي خليل المرادي ، مفتي دمشق ، صاحب « سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر » بمراسلة عدد من علماء الاقطار العربية يحثّهم على جمع تراجم أعيان اقطارهم ، مما زوّدنا بموسوعة ضخمة في تراجم رجال القرن الثاني عشر • ثم عرض وصفا لمخطوط في تراجم أعيان فلسطين لحسن الحسيني يُعْتَبَر جزءا مهما من تلك الموسوعة •

واعقب المحاضرة عدد من التعليقات المفيدة ، فقد نَوَّه الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع بهذه الدراسة الشاملة المقارنة قائلا : « وأعتقد أنه آن الاوان لأمّتنا العربية كي تستعرض تراثها عصرا عصرا » ، كما أفاض الاستاذ محمد عبد الغني حسن (مصر) في ذكر الخط التاريخي الذي اتبعه المرادي ، وكان ابن خلكان قد بدأه في « وفيات الاعيان » ، وقد ترجم فيه للرجال من أقدم العصور حتى القرن السابع ، ثم جاء بعده ابن حجر العسقلاني صاحب « الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة » ، وأعقبه السخاوي صاحب « الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع » ، ومن بعده الغزّي صاحب « الكواكب السائر في أعيان المئة العاشرة » ، ثم المحبي صاحب « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » •

وذكر اعضاء آخرون مؤرّخين وكُتُباً اتَّبَعَت الخطّ التاريخي نفسه ، ممّا يفيد الدارس ومن يحب المتابعة •

٧ ــ « اللغة والواقع » بحث ألقاه الدكتور محمد عزيز الحبابي،

عضو المجمع المراسِل من المغرب ، عرض فيه لواقع العربية بالنسبة للتقدم السريع في العلوم والفنون الذي يدفع الدول الغربية الى أن تضيف كل يوم إلى لغاتها أشكالا ومفاهيم جديدة ، وأنه يدعو إلى صنع معاجم جديدة تقوم على تفريغ كلمات كثيرة تمتلىء بها المعجمات القديمة من معانيها اللغوية الميتة ، وتحميلها معاني جديدة أو المعاني التي تحملها في العامية ، كما أنه يدعو الى وضع الحركات على الحروف ، والعناية بعلامات ضبط القراءة ، وايجاد لون جديد من الحروف للتفريق بين مختلف المعاني وظلالها ، واستعمال الأرقام الغبارية ، وكلّ هذا لاعانة الطلاب على فهم النصوص ، وبه تستطيع العربية مسايرة لغات العالم المتقدم .

وأثارت أفكار الدكتور الحبابي تعليقات حارة ، فلفت الدكتور ابراهيم مدكور الانظار الى خطورة وضع معاجم باجتهادات فردية ، وأشار الاستاذ عباس حسن الى أن المجمع سبق أن رفض بعض الافكار التي يدعو إليها المحاضر ، منكراً عليه الدعوة الى شكل الحروف حيث لا ضرورة إليه .

٨ ـ « العربية في تونس بين الفصحى والعامية » بحث ألقاه الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ، عضو المجمع من تونس ، عرض فيه الواقع اللغوي في افريقية يوم فتحها المسلمون ووحدوا نواحيها بفصحاهم ، وكيف غدا أهل اللهجات المختلفة عربا بلغتهم ، كما بَيَّن أثر اللهجات البربرية ورسابات كل من : الفارسية والتركية والاسبانية والطليانية والفرنسية في العاميات المنتشرة اليوم ، وكيف أن الناس يَصِفُون ، حتى الآن ، من يستخدم العامية في حديثه بأنه (يبربر) بينما ينعتون المتكلم بالفصحى بالـ (متفقّه) .

وقد أجمع المؤتمرون على تقدير هذا البحث ، وأمثاله من البحوث في دعم الفصحى في تونس وسائر المغرب العربي •

٩ — « من أسرار الزيادة في القرآن الكريم » بحث ألقاه الأستاذ على النجدي ناصف ، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه موضوعا نحويا هاما ، معللا نزول (أن) بعد (لما) و (ما) بعد (اذا) في بعض آيات القرآن الكريم ، مفيداً أن هذه الزيادة من ضرورات المعنى المراد في تلك الآيات •

وعلق بعض الأعضاء مقدرين البحث •

١٠ — « كتاب مخطوط لابن عسكر ولابن خميس » ألقاه الأستاذ محمد الفاسي ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه مخطوطا نادرا ضَمّ نُبَذاً من أخبار وتراجم رجال مالقة في الاندلس • والكتاب حلقة في سلسلة من كتب تاريخ المغرب والاندلس يعمل الاستاذ المحاضر على نشرها مشكورا •

١١ — « العربية أمس واليوم » بحث ألقاه الاستاذ عبد الله كَنّون ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه للعربية بين أمسها وحاضرها بعد ان غدت أحدى اللغات الكبرى ولغةً رسمية في المحافل الدولية حاثاً العلماء المهتمين بمستقبلها على التضافر وبذل الجهود في العناية بمشكلاتها • ولقي البحث تقديراً من المؤتمرين كافة •

١٢ — « اللغات العامية واللسان المدون » بحث ألقاه الاستاذ الشاذلي القليبي ، عضو المجمع من تونس،عرض فيه واقع الفرد في العالم العربي ، اذ لكلّ واحد لغتان مختلفتان ، يستخدم الاولى في البيت والمصنع والسوق ، ثم يقرأ ويكتب بالأخرى ، وكل جهد يبذل لتوحيد هاتين اللغتين عقيم ، وبينما تختلف اللغة الاولى بين بلد وبلد ، نجد الثانية توحّد بين أبناء مختلف الأقطار ، لذلك فهي السبيل الوحيد

للتقارب والتفاهم ، ومع هذا الواقع لا بد من إجماع العرب على رفع مستوى اللغة التي لا سبيل للتفاهم فيما بينهم إلاّ بها ، وسلوك الدروب المؤدية الى الغاية المرجوّة . وأكد الأستاذ القليبي على مسؤولية وسائل الاعلام بأنواعها ، ووجوب الزامها بفصحى ميسَّرة يرتفع معها مستوى العاميات ، حتى ينتهي الأمر بنا الى لغة قومية مشتركة توحّد بين الاقطار المتباعدة .

ولقي البحث صداه المستحب، وعقب عليه كثيرون بالثناء والتقدير .

١٣ ــ « الجغرافيا عند العرب » بحث ألقاه الدكتور محمد محمود الصياد ، عضو المجمع من مصر ، رسم فيه صورة واضحة المعالم تبيّن الفضل الكبير للعرب على علم الجغرافية ، وكيف نشأت معلوماتهم الجغرافية مروية ممتزجة باللغة والأدب ، ثم استكملوها بالبحث والدراسة ، مندفعين في ذلك بحسّهم الجغرافي المرهف وبشعورهم الديني العارم ، منذ كانوا بُداةً رُحَّلا ، مضطرّين الى معرفة الارض وَجِهاتها المختلفة ، الى أن أصبحوا أصحاب دولة وحضارة ، مضطرّين بحكم دينهم وسلطانهم الى معرفة كل ما يعينهم على أداء فروضهم ومناسكهم الدينية ، والحفاظ على دولتهم وحضارتهم .

١٤ ــ هذا وكان المؤتمرون على موعد مع الدكتور ناصر الدين الأسد ، عضو المجمع من الاردن ، للاستماع إلى بحثه « شواهد على صحة الشعر الجاهلي من شعر صدر الاسلام والشعر الاموي » ، وهو حلقة من سلسلة يحاول الدكتور الأسد معها تقويض مزاعم المشككين بالشعر الجاهلي ، ولكن غيابه بمهمة رسمية جعل المؤتمرين يقررون الانتظار حتى يُنْشَر البحث فيقرؤوه .

رابعا : المعجم الكبير (*)

عرضت على المؤتمر المواد التي انهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير ، وهي :

١ ـ المواد المبتدئة من أول حرف الثاء والميم وما يثلثهما ، حتى نهاية مواد هذا الحرف .

٢ ـ المواد من أول حرف الجيم إلى آخر الجيم والتاء وما يثلثهما .

وقد أقر المؤتمرون أكثرها بعد سماع ملاحظات الاعضاء وتعديل بعضها ، كما انهم أعادوا بعض المواد الى اللجنة لاعادة النظر فيها في ضوء ما تقدم به الاعضاء من اقتراحات .

خامسا : اعمال لجنة اللهجات

عرض الاستاذ شوقي أمين على المؤتمرين أعمال لجنة اللهجات وتتضمن قرارات انتهت اليها في المسائل الآتية :

المسألة الاولى : ظاهرة الاسكان في الفصحى

انتهت لجنة اللهجات ، في دراستها ظاهرةالاسكان في اللغة العربية، الى أن :

« اسكان الحركة الإعرابية ليس بمنكور في الفصحى ، وهي ترى امكان الاستناد الى ذلك في اجازة الوقوف بالسكون على الأعلام المتتابعة ».

(*) اتم المجمع طبع الجزء الاول من هذا المعجم في مطبعة دار الكتب سنة ١٩٧٠ م في ٧٠٠ صفحة من القطع الكبير ، متضمنا مواد حرف الهمزة ، وأما الجزء الثاني المتضمن مواد حرف الباء فما زال قيد الطبع .

واعترض بعض الأعضاء منكرين هذا القرار،غير ان غالبية المؤتمرين احجموا عن الاعتراض عليه،فأعتُبِر بمثابة فتوى يمكن اللجوء اليها عند الضرورة •

المسألة الثانية : المصطلحات اللغوية

قامت لجنة اللهجات بجمع اللهجات القديمة في لسان العرب ، وصَنّفت المادّة المجموعة بطريقة تُيَسّر على الباحثين الانتفاع بها • وكان التصنيف وفقا لمستويات اللغة بالترتيب الآتي :

« ما يتّصل بعلم الاصوات ، وما يتّصل بعلم الصرف ، ثم ما يتّصل بعلم النحو ، وفي النهاية ما يتّصل بعلم المعجم » •

وقد بدأت اللجنة بالجانب الصوتي ، وراعت ما يأتي :

١ ــ التعريف بالمصطلح من الناحية اللغوية ما دعت الفائدة الى ذلك •

٢ ــ التعريف بالمصطلح من الناحية الاصطلاحية كما عرّفه اللغويون القدامى •

٣ ــ إسناد الظاهرة الى القبائل التي توجد فيها •

٤ ــ مناقشة الآراء المختلفة التي قدّمها اللغويون للظواهر المدروسة •

٥ ــ الاهتمام بما يشابه الظاهرة في اللغات الساميّة القديمة •

٦ ــ التعريف على ما يتّصل بهذه الظاهرة في اللهجات العربية المعاصرة •

٧ ــ تقديم التفسير اللغوي الحديث •

وكان سَبَقَ لِلجْنة أن عرضت على مجلس المجمع ومؤتمره في الدورة الحادية والاربعين ، مجموعة من المصطلحات اللغوية في اللهجات العربية القديمة ، فوافق على ستّة منها وأقرّها وهي :

ا ـ التلتلة (١) ب ـ الشنشنة (٢) ج ـ الطمطانية (٣) د ـ الفحفحة (٤) . هـ ـ العنعنة (٥) . و ـ العجعجة (٦) .

وفي هذه الدورة عرضت اللجنة المصطلحات الآتية :

ا ـ الكَسْكَسَة : ويراد بها زيادة السين بعد كاف المؤنث ، وابدال السين من كاف الخطاب مثل (مِنْكَسْ) و (أَبوس) في منك وأبوك .

ب ـ الكَشْكَشة : ـ ويراد بها لحوق الشين كاف الخطاب ، أو ظهورها بدلا منها . مثل (مِنْكَش) أو (مِنْش) في منك .

حـ ـ اللخلخانية : ـ ويراد بها ظاهرة اسقاط بعض الحروف في الكلمات التي يكثر دورانها على الألسنة ، مثل (انشا الله) في ان شاء الله.

د ـ الاستنطاء : ـ ويراد بها ايراد النون في موضع العين الساكنة قبل طاء (أنطى بدل أعطى) .

هـ ـ الوَتْم : ـ ويراد به قلب السين تاء ، نحو (النات) في الناس .

---

(١) التلتلة في الاصطلاح : كسر حروف المضارعة أو أحدها .
(٢) الشنشنة في الاصطلاح : جعل الكاف شينا .
(٣) الطمطمانية في الاصطلاح : ابدال لام التعريف ميما .
(٤) العجعجة في الاصطلاح : ابدال الياء جيما .
(٥) العنعنة في الاصطلاح : ابدال العين من الهمزة المفتوحة .
(٦) الفحفحة في الاصطلاح : جعل الحاء عينا .

و ــ الوَكْم : ــ ويراد به كسر كاف جماعة المخاطبين اذا كان قبلها ياء أو كسرة ، نحو : السلام (عليكِم) •

ز ــ الوهم : ــ ويراد به كسر هاء جماعة الغائبين في الضمير المتصل (هِم) مطلقا مثل : فيهِم وعَنهِم •

المسألة الثالثة : حرف الضاد واللغة العربية

كانت لجنة اللهجات درست السؤال المحال اليها حول سبب تسمية العربية بلغة الضاد ، ومثل هذا الحرف يُسمع في بعض اللغات ، بينما حرف الظاء لا يُسمع ابدا في غير العربية •

وانتهت دراسة اللجنة الى القرار الآتي :

« للضاد ــ في العربية ــ صور شتى ، غير ان مخرج الفصحى منها بالاستناد الى أقوال الائمة واللغويين يُعتبر من أصعب الاصوات نطقا على أبناء العربية ، بَلْه الاعاجم ، ومن ثم قد ساد وصف العربية بأنها (لغة الضاد) أو اللسان الضاديّ ، كما جاء في شعر المتنبي :

وَهُمو فخر كل من نطق الضا د وعوذ الجاني وغوث الطريد

وجاء أيضا في استعمالات اللغويين ، ومن بينهم الفيروزبادي صاحب القاموس •

أما الصور الاخرى للضاد ، كنطقها في لسان أهل مصر (مطبق الدال) أو نطقها في لسان أهل العراق (ظاء) أو قريبا منها ــ فلها ما يناظرها في بعض اللغات غير العربية » •

وجرت مناقشات مطوّلة وحادّة ، انتهت بموافقة الأغلبية على القرار ، وبخاصة لأن تسمية العربية بلغة الضاد ، وإن تأخرت عن القرنين الاول والثاني ، قديمة مشهورة ، وليس تعليل الأسماء ضربة لازب •

المسالة الرابعة : الافادة من المقطعية في تدريس العربية

كان المؤتمر ، في دورته السابقة ، أحال الى لجنة اللهجات بحث الدكتور إسحاق موسى الحيني المعنون : « الافادة من المقطعية في تدريس العربية » •

وقد ناقشت اللجنة البحث المذكور ، واستمعت الى آراء بعض الخبراء وانتهت الى :

« أن اعتماد المقطع (الوحدة الصوتية) في تعليم القراءة العربية يحتاج الى تجربة ميدانية ، وتطبيق تربوي في مختلف المستويات ، لمعرفة أثره في تقويم القراءة الصحيحة ، وكذلك اعتماد ذلك في وزن العروض • وفي تعليل اللهجات يحتاج الى متابعة للبحث ومزيد من الدراسة لاستخلاص ما يترتب على ذلك للاستفادة والتيسير » •

وأقرّ المؤتمرون ما انتهت اليه اللجنة ، مقدرين الجهود التي بذلتها في دراساتها المعروضة على المؤتمر •

سادسا : اعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمرون في أربع مسائل أَقَرَّتها لجنة الاصول ورُفِعَت اليهم بموافقة مجلس المجمع ، وجرت مناقشات حادّة حول أولاها انتهت برفض قرار اللجنة فيها ، وقُبِلَ قرار اللجنة في المسألة الثانية ، وفي الثالثة بعد تعديل طفيف فيه ، أما موضوع المسألة الرابعة فتقرّر تأجيله الى مؤتمر العام القادم • وفيما يلي موجز عن المسائل التي عُرِضت :

المسألة الاولى : جواز وصف المراة دون علامة التانيث في القاب المناصب والاعمال :

اتخذت لجنة الاصول ، بعد دراسة طويلة ، قراراً هذا نصه :

« يجوز في ألقاب المناصب والاعمال ، اسماءاً كانت أم صفات ، أن يوصف المؤنث بالتذكير ، بشرط ذكر الموصوف منعا للّبس ، فيقال : فلانة أستاذ أو عضو أو رئيس أو مدير ، استناداً الى ما نقله ابن السكيت عن العرب وما أورده من أمثلة » .

وقد اعتمدت اللجنة في قرارها هذا على ما نقله صاحب المصباح عن ابن السكيت عن الفراء : « تقول العرب : عاملنا امرأة ، وأميرنا امرأة ، وفلانة وصيّ ، وفلانة وكيل فلان ، وإنما ذُكّر لأنه انما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء ، فلما احتاجوا اليه في النساء أجروه على الأكثر في موضعه ، وانت قائل : مؤذّنُ بني فلان امرأة ، وفلانة شاهد بكذا ، لأن هذا يكثر في الرجال ويقل في النساء ، وقال تعالى : « إنها لاحدى الكبر نذيرا للبشر » فذَكّر « نذيرا » وهو لإحدى ، وليس بخطأ أن تقول : « وصية ووكيلة ، بالتأنيث ، لانها صفة للمرأة اذا كان لها فيه حظ ، وعلى هذا لا يمتنع ان يقال : امرأة إمامة ، لأن في الامام معنى الصفة » .

فلما عُرض قرار اللجنة على المؤتمر ، كان محلّ نقدِ الاكثرية ، فلا قَوْلُ ابن السكيت اقنعهم ، ولا وجدوا ذوقَ مَن يحذف علامة التأنيث من المترجمين او ممن لا تهمّهم قواعد اللغة مقبولا ، كما أنهم لم يقنعوا بوجود ضرورة مُلحّة للخروج على قواعد اللغة ، وبخاصة حيث تكثر الاسماء المشتركة بين الرجال والنساء ، وفازت الاغلبية بالتصويت معلنة ضرورة التفرقة بين الذكر والانثى في ألقاب المناصب والاعمال .

المسألة الثانية : جواز مجيء فَعْل مصدرا لفَعَل اللازم

انتهت لجنة الاصول ، بعد دراسةِ مذكراتٍ وأبحاثٍ قدّمت اليها ، إلى القرار الآتي :

« المشهور في قواعد اللغة أنّ فَعَلَ اللازم مصدره فُعُول" كسَجَدَ سُجودا ، وذلك ما ذهب اليه المجمع في قراره الخاص بتكملة فروع مادة لغوية لم تذكر بقيتها (*) ونظراً لما رواه الفرّاء من أنه : « اذا جاء فعل لم يسمع مصدره فاجعله فَعْلا للحجاز وفُعولا لنجد ، ونظراً لورود أفعال كثيرة لازمة مصدرها على فَعْل ، كهمَسَ هَمْساً، ترى اللجنة اجازة ما يجيء من المصادر على فَعْل وفِعْله لازماً وان كان المسموع على فُعول » •

وبعد مناقشات هادئة وافق المؤتمرون على القرار •

المسألة الثالثة : جواز تسكين الأعلام المتتابعة مع حذف ابن

هذه المسألة من الموضوعات المزمنة في مجمع اللغة العربية ، فقد عُرِضَت عليه أكثر من مرة دون أن يتّخذ قراراً فيها ، واستطاعت لجنة الاصول أخيرا أن تتّخذ القرار الآتي :

« بعد مناقشة الموضوع وما قُدّم فيه من مذكرات ، انتهت اللجنة الـى :

ترى اللجنة إجازة ما يجري على الالسنة من حذف ابن في الاعلام المتتابعة في مثل : سافر محمد علي حسن ، وتضبط هذه الاعلام على أحد الوجوه الآتية :

(*) من المصطلحات العلمية التي نظر فيها المؤتمر في دورته السابقة مصطلح (الطميّ) بمعنى : الغرين يحمله السيل او النهر فيستقر في الارض . ولما كان مصدر فعل طما النهر بمعنى : ارتفع وامتلأ وغَزُر ، في المعجم العربي (طُموّاً) ، وليس فيه (طما ، طمْياً) فقد اقرّ المجمع احالة هذا الامر على لجنة الاصول ، لتنظر في جواز تكملة مادة (طمي) في المعجم .

١ — يُعْرَب العَلَم الاول بحسب موقعه ، ويُجَرّ ما يليه بالاضافة •

٢ — يُسَكَّن العَلَمان الأولان ويُعربُ الاخير بما يستحقه الأول من اعراب •

٣ — تُسَكَّن الأعلام كلها إجراء للوصل مجرى الوقت » •

وبعد مناقشة هادئة ، واعتراض الاستاذ عبد الله كَنونّ على الوجه الثاني الوارد في قرار اللجنة بقوله : « لا يصحّ الإعراب بعد القطع » ، قرر المؤتمرون الموافقة على قرار اللجنة بعد حذف الوجه الثاني المشار اليه •

المسألة الرابعة : تنسيق ابواب النحو

عرض الاستاذ شوقي أمين على المؤتمرين فكرة موجزة عن موضوع تنسيق النحو ، قائلا بأن الدكتور شوقي ضيف قَدّم بحثا يصوغ النحوَ صياغةَ تيسير ويتألف من قسمين ، أنهت لجنة الاصول دراسة القسم الأول منه ، ورأى مجلس المجمع تأجيل النظر فيه الى ان تستكمل دراسة الموضوع كله •

ووافق المؤتمر على ارجاء بحثه الى العام القادم لتستكمل اللجنة دراستها •

سابعا : اعمال لجنة الالفاظ والاساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الالفاظ والاساليب المحالة الى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، فأقر المؤتمرون أكثرها ، بينما دار بينهم نقاش شديد حول بعضها انتهى الى رفضه او اعادته الى اللجنة لدراسته في ضوء ملاحظات الاعضاء •

وفيما يلي عرض موجز لما طرح على المؤتمر من مسائل وما انتهى اليه في شأنها :

١ ـ أبَداً في معنى النفي

تقول لجنة الالفاظ والاساليب : « يجري في الاستعمال العصري مثل قولهم (لم أفعل هذا أبدا) ويأخذ النقاد النحاة على هذا الاستعمال أن (أبداً) تُستعمل ظَرْفاً منكَّراً لتأكيد الاثبات أو النفي في المستقبل، والفصيح أن يقال : لم أفعل هذا قَطّ ، ولا أفعله أو لن أفعله أبداً ، واللجنة ترى جواز الاستعمال العصري ، فقد أثبتت اللغة من معاني الابد الدهر مطلقاً ، أو الدهر القديم أو الطويل ، وورد الأبد في الشعر المستَشهَد به بمعنى الزمن الماضي،وورده بهذا المعنى في المثل السائر: (طال الأبد على لُبَد) وكذلك ورد (الابد) ظرفا منكَّراً لتأكيد الماضي المنفي في قول المتنبي :

« لم يَخلُق الرحمن مثل محمد   أبداً ، وظني أنه لا يَخلُق »

وجرت مناقشة بين الاعضاء ، أيَّدَ خلالها الدكتور شوقي ضيف قرار اللجنة مستشهدا بقوله تعالى في سورة النور : (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكا منكم من أحدٍ أبدا) ولكن هذا النص القرآني غير مقصود به الماضي فحسب بل الحاضر والمستقبل • وانتهى المؤتمرون الى الموافقة على قرار اللجنة •

٢ ـ القيد بمعنى التقييد

تقول اللجنة : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : « أحضر فلان القيد » ، وقد يُظَنّ أن اللفظة مخالفة للأصول اللغوية ، غير أنه ذُكِر في معيار اللغة (باب الدال فصل القاف) ما يأتي : « •• قاده يقيده قيدا

كباع : جعل في رجله القيد كقيَّده تقييدا » . واذن فكلمة القيد تحلّ محلّ كلمة التقييد ، وهي شائعة الاستخدام في الكتابات الديوانية والقانونية . وواضح انها صحيحة » .

واقرّ المؤتمرون ما انتهت اليه اللجنة .

٣ ـ المديونية

جاء في قرار اللجنة : « يشيع استعمال مصطلح « المديونية » في لغة القضاء المدني ، مُراداً به حالة كون الانسان مَديناً ، وفي رأي بعض النقاد أنه خطأ ، على أساس أن القياس في اسم المفعول من (دان) هو « مدين » فيجب أن يكون « مدينيَّة » لا مديونية .

وبدراسة المسألة وَجَدت اللجنة ان بعض قبائل العرب تجري في لغتها على التصحيح في صيغة اسم المفعول من الثلاثي المعتل العين بالياء، وقد نَصَّت المعجمات على صيغة (مديون) بالتصحيح ، وعلى هذا تكون المديونية مصدرا صناعيا .

واقر المؤتمرون قرار اللجنة .

٤ ـ سواء كذا او كذا ـ لا خلاف بين هذا أو ذاك

عُرِض على المؤتمر قرار اللجنة الذي تقول فيه : « يَشيع في اللغة المعاصرة قولهم : سواء كذا أو كذا ، وقولهم : سيان كذا أو كذا ، وقولهم : لا خلاف بين هذا أو ذاك ، وقد يرى بعض نُقّاد اللغة ان استعمال (أو) في هذه العبارات على غير صواب ، اذ الصواب أن تُستَعْمَل (الواو) هنا مكان (أو) ، فالمقام مقام جمع يستدعي العطف بأداته وهي (الواو) . وقد درست اللجنةُ هذه الاستعمالات العصرية ، وانتهت الى اجازتها استنادا الى أنّ جمهرةً كبيرةً من النحاة

يَنُصّون على أن من معاني (أو) مطلق الجمع ، يضاف الى ذلك المروي من الشواهد على ذلك شعرا ونثرا » •

واحتدم جدال عنيف بين مؤيدي القرار ومخالفيه ، وبرّأ خلاله الاستاذ سعيد الافغاني اللغة من كل شواهد البحث الذي استندت اليه اللجنة في قرارها • وحسم الرئيسُ الامر بأن اقترح اعادة القرار الى اللجنة لدراسته مجددا ، فأقر المؤتمرون الإقتراح •

هـ ــ هذا منزل آيل للسقوط ــ فلان آيب من سفر

جاء في قرار اللجنة : « يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : هذا المنزل آيل للسقوط ، كما يشيع قولهم : فلان آيب من سفره ، بتسهيل الهمزة في كل من آيل وآيب • وقد يبدو للناقد اللغوي في مثل ذلك خروج على القاعدة الصرفية ، اذ الاصل ان يقال آئل وآئب ، بهمزتين محقّقتين • واللجنة ترى ان استعمال الكلمتين على هذه الصورة صحيح استناداً الى أن :

ا ــ أهل الحجاز يستثقلون تحقيق الهمزة الواحدة •

ب ــ ورد تسهيل الهمزة في اسم الفاعل الأجوف في بعض القراءات القرآنية السبع والعشر » •

وأقر المؤتمرون هذا القرار •

٦ ــ لعب دورا

يشيع في هذه الايام القول : (لعب دورا) وهو من لغة التمثيل المسرحي ، نُقِل الى العربية مترجما من لغات أجنبية ، ودخل الى لغة الكتابة والحديث وفيهما عمّ وانتشر ، وقد تناولت لجنة الالفاظ

والاساليب هذا التعبير البعيد عن العربية ، بالمناقشة والبحث ، وانتهت فيه إلى القرار التالي :

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم (لعب دورا) يريدون به أداء مهمة من المهمات في أي عمل من أعمال الحياة ، وربما يسبق الى الخاطر أن العبارة غير صحيحة ، على أساس ان الفعل (لعب) لازم . ولكن اللجنة لا ترى مانعا من استعماله ، ويمكن تخريج صحته من وجهين :

أولهما — ان يُجْعَل (دوراً) مفعولا مطلقا مباشرا ، ومعلوم ان المفعول المطلق يصف الفعل من أي وجه كان وكلمة دور في اللغة العربية المعاصرة تعني : مهمّة أو نصيبا ، وهي وصف للفعل ، فلعب دورا أي نصيبا ، ولذلك تصبح كلمة (دور) مفعولا مطلقا .

ثانيهما — إن قائل هذه العبارة وما يشبهها لا يريد بالفعل (لعب) معناه الحقيقي الذي يدل لفظه عليه ، بل يريد معنى : أدّى ونحوه ، أما لفظ (دور) فمصدر (دار) ويراد به في العبارة معنى : المهمة أو القدر أو النصيب ، واذاً يكون الفعل (لعب) فيما يعنيه الاستعمال المعاصر في العبارة مضمّناً معنى : أدّى ، مثلا ، وهو متعدٍّ ، واذاً يكون (دور) مفعولاً به للعب .

ويتضح مما سبق أن صيغة « لعب دوراً » صحيحة لغوياً ، إما على أن كلمة (دوراً) مفعول مطلق ، وإما على أنها مفعول به لفعل لعب المضمن معنى : أدى .

وأدى عرض قرار اللجنة على المؤتمر الى انقسام شديد في الرأي ، فمن رافضٍ له الى مدافع عنه مؤيد لضرورة اقراره . وأكد الاستاذ الشاذلي القليبي ، عضو المجمع من تونس ، ان العربية في غنى عن هذا التعبير المترجم ، وتساءل الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، عضو المجمع في مصر : لماذا نضيق بهذه اللفظة ونحن مهتمون بإثراء اللغة العربية ؟

مؤكِّداً أن أمثال هذه التعبيرات المستحدثة ضرورة حتمية للنموّ والتطور اللغوي. وقال الدكتور حامد عبد الفتاح جوهر، عضو المجمع من مصر : إن من أكبر الخطأ أن يُصدِر مجمع اللغة العربية رخصة لا سند لها من ضوابط اللغة ، ولسوف يقال هذا رأي المجمع ، وأخشى أن ننشر العامية بمثل هذه الرخص . وقال الدكتور اسحاق موسى الحسيني ، عضو المجمع من فلسطين ، إن اللعب على المسرح هو البراعة في الأداء ، وما دام في الكلمة ظلال من المعاني فلا بأس من قبولها . وقال الدكتور محمد محمود الصياد ، عضو المجمع من مصر ، إن اللعب في المعجم العربي يقتصر على معنى اللهو ، وتساءل الاستاذ حمد الجاسر ، عضو المجمع من العربية السعودية ، واذا ما أجيز التعبير ، هل يجوز لواحد أن يقول : لعب القرآن دورا في تخليد اللغة العربية ؟

واقترح البعض اعادة الموضوع الى اللجنة للاستزادة من الدراسة، وعرض الامر على التصويت فرجحت كفة الرافضين لقرار اللجنة .

٧ ـ يلعب الكرة

تقول لجنة الالفاظ والاساليب في قرارها : «يشيع في اللغة المعاصرة قولهم (يلعب الكرة) ويريدون به ممارسة اللعب بالكرة ، وربما يسبق إلى الخاطر أن العبارة غير صحيحة ، على أساس أن الفعل لازم والكرة أداة فيجب وصلها بالباء ليقال : يلعب بالكرة ، كما هو وارد في اللغة .

وبدراسة المسألة انتهت اللجنة الى أن قول المعاصرين : « يلعب الكرة » يمكن توجيهه بأحد وجهين :

الاول ــ ان تكون الكرة (مفعولا مطلقا) اذ هي أداة الفعل ، والادوات تنوب عن المصدر في الانتصاب على المفعولية المطلقة ، على حدّ (ضربته سوطا أو عصا) والاصل كما قال النحاة : ضربته ضربا بسوط أو عصا ، ثم حذف المصدر وأقيمت الآلة مقامه .

الثاني — ان يكون الكلام من قبيل الحذف والايصال : حذف حرف الجر ، ثم وصل الفعل بالاداة فقيل : (يلعب الكرة) • ولهذا ترى اللجنة ان قولهم (يلعب الكرة) صحيح لا بأس في استعماله ، أما اذا كان المراد نوعا معينا من اللعب لكرة القدم أو كرة السلة ، فترى اللجنة : ان التعبير صحيح أيضا على أنه مفعول مطلق » •

وعند التصويت : وافق المؤتمرون على القرار •

٨ — تراوح الشيء بين كذا وكذا

تلي قرار لجنة الالفاظ والاساليب المتضمن : « يستعمل الكُتّاب المعاصرون مثل قولهم : (السعر يتراوح بين الارتفاع والانخفاض) أو (الجو يتراوح بين الحرارةوالبرودة) • وقد يُعْتَرَضُ علىهذا التعبير بأن الصواب : راوح بدلا من تراوح ، كما هو مأثور في اللغة ، وترى اللجنة اجازة التعبير على أساس :

١ — أنّ تراوح في معنى راوح ، تنظيراً بينه وبين ماورد في اللغة من صيغ الزوائد المتعاقبة •

٢ — ان تراوح من باب المطاوعة ، لأنّ قولهم : راوح بين الامرين ، وإن كان لازما في الظاهر ، هو مُتَعدٍّ في المعنى » •

وعند التصويت على هذا الموضوع ، أقرّ المؤتمرون قرار اللجنة •

٩ — غَشّ في الامتحان

جاء في القرار الذي عُرض على المؤتمر : « يجري على أقلام الكُتّاب المعاصرين قولهم : غَشَّ الطالب في الامتحان ، أو غَشّ الاجابة عن الاسئلة ، أو غَشَّ عن زميله ، أو ورقَتُه مغشوشة ، يراد بذلك كلّه النقل عن آخر ، ونسبة المنقولِ إلى غير صاحبه في غفلة من الرقيب •

وتجيز اللجنة هذه الاستعمالات على أساس ان مدلول الغش في اللغة اظهار غير الصحيح ، ومجانبة الامانة في الأداء ، ومنه الغش بمعنى الخلط والشَّوْب ، ولا بأس بالاتساع في هذا المدلول ، بحيث يَسْتَوْعِب ما تحمله الاستعمالات العصرية من معنى مجانبة الخلوص، وذلك في اظهار الممتحن خلاف ما هو له » .

وأقرّ المؤتمرون اللجنة على قرارها .

١٠ ـ عزف لحنا

تلي قرار لجنة الالفاظ والاساليب المتضمن : « يَستَعمِل الكُتّاب المعاصرون مثل قولهم : عَزَف لحنا ، وهذه معزوفة من معزوفاته ، وعَزَف على العود ؛ على حين أن فعل عزف بمعنى صوَّتَ لازم في اللغة .

واللجنة تجيز الاستعمالات العصرية : إمّا على أن فعل عزف المتعدي مأخوذ من المعزف اسما للآلة [1] ، وإمّا على إعراب (لحنا) في قولهم (عزف لحنا) مفعولا مطلقا ، وإمّا على أن (عزف) مضمَّن معنى: أدّى » .

وأقر المؤتمرون قرار اللجنة .

١١ ـ ادانت المحكمة فلانا ، او حكمت المحكمة بالادانة .

تضمن قرار لجنة الالفاظ والاساليب ما يلي : «يَشيع في لغة ـــ

---

(١) كان مجمع القاهرة اقر في دورته الاولى جواز الاشتقاق من اسماء الاعيان . وفي دورات لاحقة وضع قواعد لهذا الاشتقاق . وفي منشورات المجمع ابحاث كثيرة حول هذا الموضوع . انظر كتاب (مجموعة القرارات العلمية) القاهرة ١٩٦٢ . وكتاب « في اصول اللغة » القاهرة ١٩٦٩ م .

القانون ـ قولهم : أدانت المحكمة فلانا أو حكمت المحكمة بادانتــه ، بمعنى أثبتت الجريمة عليه ، وهو معنى يبدو في ظاهره مخالفا لما نَصَّت عليه المعجمات في معاني (أدان) التي تأتي في الاصل بمعنى أقرض •

درست اللجنة هذا ، وانتهت الى أن (دان) الثلاثي المتعدي يشترك مع الرباعي في معنى الاقــراض ، وينفرد بمعنى المجازاة ، كما جــاء في اللسان ، وليس ببعيد في رأي اللغة أن يُحْمَل الرباعيّ على الثلاثيّ في دلالة المجازاة ، ليكون أدانه بمعنى جازاه ، وتكون الإدانة بمعنــى المجازاة • وثمةَ توجيه" آخر : ان قولهم (دان شخصا) معناه في اللغة أيضا : حمله على ما يكره ، ومن الممكن أن (أدانه) محمول على هذا المعنى ، اذ الحكم بالادانة أساسه الحمل على غير المحبوب » •

وعند التصويت على قرار اللجنة هذا ، أقرّه المؤتمرون •

١٢ ـ امعن النظر وأنعم النظر

تقول اللجنة في قرارهــا : « يشيع في استعمال المعاصرين مثــل قولهم : أمعن النظر في الامر متعديا بنفسه • والمثبت في المعجمــات : أن أمعن فعل لازم يتعدى بالحرف • واللجنة تجيز ذلك الاستعمال لوروده في نصين من الشعر الجاهلي ، إمّا على أن الاسم مفعول به ، وإمّا على أن الاسم منصوب على نزع الخافض ، يضاف الى ذلك ان من المثبت في المعجمات : أنعم النظــر في معنى أمعن النظر ، ومن المحتمل أن يكون بين الفعلين قَلْب مكانيّ » •

وقد أقر المؤتمرون هذا القرار •

ثامنا : ختام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية صباح يوم الاثنين في الســابع والعشرين من آذار (مارس) سنة ١٩٧٨ م ، عرض فيها الدكتور مهدي

علام ، أمين المجمع ، ما أنجزه المؤتمر خلال هذه الـدورة ، ثم أبـدى الأعضاء ملاحظاتهم ، وقدموا الاقتراحات التي يرونها : وبعد مناقشتها اتخذوا التوصيات والمقررات التالية :

١ ــ تعريب التعليم الجامعي هدف يُسْعَى اليه في العالم العربي بأسره ، وسبيله الحق تزويد مكتباتنا بمراجع عربية حديثة وافية ، وقيام الاستاذ بواجبه قياما حقّاً نحو مادته ولغته ، وتَمَكّن الطالب من لغته القومية ومن لغة أخرى أجنبية تربطه بسير العلم وتقدّمه .

٢ ــ تتقارب اللهجات الدارجة في العالم العربي في العشرين سنة الماضية تقاربا ملحوظا ، وللمدرسة والمدرّس شأن في ذلك ، ولوسائل الاعلام من صحافة واذاعة ، ومسرح وسينما شأن أوضح . وما أجدرنا أن تتعهد ذلك ونرعاه كي ينتهي بنا الى الهدف المنشود .

٣ ــ توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفنّي هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض الهيئات والافراد يعمد الى اصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون.والمؤتمر يوصي : بأن يُتْرَك أمر المصطلحات للمجامع العربية ، على ان يُنَسَّق ذلك في اطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

٤ ــ يأسف المؤتمر لما يبدو من تحريفٍ في نطق بعض الحروف على السنة العاملين في الاذاعات : المسموعة والمرئية . لذلـك يوصي المؤتمر : بأن تعنى وزارات الاعلام بتدريبهم على نطق الحروف العربية من مخارجها الصحيحة ، مستعينة في ذلك بالاساتذة المتخصصين في هذا الميدان .

٥ ــ ما زال الكتاب المدرسي العربي في حاجة الى اخراجه بصورة

تجتذب الطلاب وتحببه اليهم ، كنظائره في كثير من البلاد الاجنبية .
والمؤتمر يوصي وزارات التربية والتعليم بأن تحرص على تحقيق ذلك في الكتاب المدرسي، كحرصها على اختيار موضوعاته ، وضبط كلماته .

٦ ـ يُشَجِّع المؤتمر ما بدأته وزارة الثقافة والاعلام في مصر من إقامة أمسيات شعرية ، لأعلام الشعراء ، ويَستَحِثّها على المضي في هذا السبيل ، ويأمل ان تأخذ بذلك وزارات الثقافة والاعلام في وطننا العربي، ففيه إحياء لتراثنا الشعري لدى أبناء هذا الجيل ، وترغيب لهم فيه ليُقبلوا عليه ، ويفيدوا منه .

٧ ـ تبلّغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع اللغوية والعلمية ، واتحاد المجامع ، والجامعات ، وجامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم ، والثقافة والاعلام ، في العالم العربي جميعه .

وبعد اتخاذ هذه القرارات والتوصيات استمع المؤتمرون الى قصيدة لشاعر الاهرام ، عضو المجمع ، الاستاذ محمد عبد الغني حسن بمناسبة انتهاء أعمال المؤتمر ، كما استمعوا الى تحيّة منظومة من الدكتور حسين علي محفوظ ، عضو المجمع المراسل من العراق .

ثم أعلن الدكتور ابراهيم مدكور ، رئيس المجمع ، ختام دورة المؤتمر ، متمنيا للأعضاء الوافدين عودا حميدا ، آملا لقاء الجميع في المؤتمر القادم الذي سيُعقَد في الاسبوع الاخير من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٧٩ ، ان شاء الله .

ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية★

عمان ، الاردن ـ ١٩٧٨/١٠/٣١ ـ ١٩٧٨/١١/٣ م ـ

الموافق ١ ـ ٤ / ذي الحجــة / ١٣٩٨ هـ

ابدى اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية رغبته في عقــد ندوته الرابعة في المملكة الاردنية الهاشمية ، بمناسبة قيام مجمع اللغة العربية

★ كان مجمع اللغة العربية الاردني عقد ندوة موضوعها أسباب الضعف في اللغة العربية ، ثم انتوى عقد مؤتمر في الموضوع نفسه ضمن العناوين التالية :

١ ـ سياسة التعليم عامة وتعليم اللغة العربية خاصة .

٢ ـ المنهاج .

٣ ـ اساليب تدريس العربية .

٤ ـ المعلم غير الكفء .

٥ ـ الازدواجية في تدريس مختلف المواد المدرسية .

٦ ـ وسائل الاتصال الجماهيرية وعدم العناية بسلامة اللغة .

وكان اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية على نية عقد ندوته الرابعــة في المملكة الاردنية الهاشمية ، فارتأى ، ضماً للجهود وتكثيفا لها،ان يجمع بين ما انتواه وبين ما كان ينوي مجمع اللغــة العربية الاردني ، في ندوة واحدة موضوعها : تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير .. وتم ذلك وانتهى الى التوصيات التي نثبتها هنا :

الأردني فيها • وقد شاء أن يكون موضوع الندوة : « تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير » توصّلا الى معرفة أسباب ضعف العرب في لغتهم القومية ، ومعالجة هذا الضعف •

وبالاتفاق مع المجمع الأردني عقدت الندوة في عمّان من صباح الثلاثاء غرة ذي الحجة ١٣٩٨ هـ ٣١ من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٨م• وقد تفضل جلالة الملك الحسين برعاية الندوة،وألقى في حفلتها الافتتاحية كلمة سامية ، أشاد فيها بمنزلة اللغة العربية تاريخيا وثقافيا ، ودعا الى مضاعفة الجهد في الحفاظ عليها ، وصيانة تراثها القومي •

وعقدت الجلسات بعد ذلك من بعد ظهر يوم الثلاثاء ٣١/١٠/١٩٧٨ م حتى مساء الخميس ١٢/١١/١٩٧٨ م • وشارك فيها عشرة من الخبراء الباحثين من مختلف الاقطار العربية • وفيما يلي التوصيات والمقررات التي أسفرت عنها الندوة :

١ ـ ان تقوم المجامع اللغوية العلمية ، متعاونة فيما بينها ، بالاسراع في اخراج المعاجم المتخصصة في مختلف الموضوعات العلمية والفنية ، وبالعمل ، عن طريق اتحاد المجامع ، على وحدة المصطلح العربي في مختلف الاقطار العربية •

٢ ـ ترحب الندوة بما قام به مجمع القاهرة من وضع معجم مدرسي باسم (المعجم الوجيز) وترجو سرعة نشره وتعميمه •

٣ ـ توصي الندوة بتنشيط التعاون في خدمة اللغة العربية بين بين مختلف الهيآت الرسمية والخاصة ، ولا سيما منظمات جامعة الدول العربية ، والجامعات ، والمجامع اللغوية العلمية ، ووزارات التعليم العالي، والتربية والتعليم ، والثقافة ، والاعلام ، في مختلف البلدان العربية •

٤ ـ التوسع في ترجمة كتب المعارف الانسانية المختلفة ، وتنسيق

العمل فيها توفيرا للجهد بعدم التكرار ، وضمانا لسلامةمستوى الترجمة.

٥ ـ التوسع في ترجمة الكتب العلمية المختلفة ، ولا سيما ما كان منها ذا صلة مباشرة بمناهج الدراسات الجامعية ، والتنسيق في هـذا العمل بين جميع الهيئات والجهات المعنية به ، وذلك لتيسير التعليم العلمي في الجامعات باللغة العربية .

٦ ـ ترحب الندوة بما قام به المجمع الاردني من ترجمة اربعـة كتب علمية : في الرياضيات ، والكيمياء ، والبيولوجيا ، والجيولوجيا . وترجو سرعة نشر هذه الكتب وتعميمها لخدمة التعليم الجامعي .

٧ ـ دعوة الوزارات والهيئات المعنية الى تشجيع المسابقـات الأدبية والعلمية ، ومنح الجوائز المجدية للفائزين .

٨ ـ ترى الندوة أن من واجبها التنبيه على ظاهرة كتابة أسماء المحالّ العامة باسماء أجنبية وبحروف عربية ، لما في ذلك من إساءة الى اللغة العربية والروح القومية .

٩ ـ وفي ما يتعلق بوسائل الإعلام ، توصي الندوة بالعمل علـى تقديم البرامج والمسلسلات فيالاذاعات المسموعة والمرئية باللغة الفصيحة في كل مجال يمكن استخدام هذه اللغة فيها .

١٠ ـ وتوصي الندوة كذلك بإعداد المذيعين إعداداً لغويا ، لتجنب الأخطاء الإذاعية ، كما توصي أن تضبط المواد المقدمةفيالإذاعة المسموعة والمرئية بالشكل ضبطاً كافياً ، تجنباً للاخطاء اللغوية .

١١ ـ تقديراً لمنزلة الصحافة العربية في نهضتنا الثقافية ، توصي الندوة بأن تعنى الصحف والمجلات بسلامة لغتها وأسلوبها في ما تنشره من مقالات وأخبار .

وفيما يتعلق برفع مستوى اللغـة العربية في المدارس والمعاهـد توصي الندوة بما يلي :

١٢ ــ العمل على التوسع في اعداد المعلمين اعداد علميا وفنيا لتدريس اللغة العربية تحقيقا للنهضة التي نسعى إليها •

١٣ ــ الإشراف على لغة الكتاب المدرسي في جميع المواد ضمانا لسلامة لغته •

١٤ ــ تخيّر النصوص الأدبية التي تمثل روح الامة وقيمها في جميع مراحل التعليم العام •

١٥ ــ انسجاما مع قواعد التربية السليمة ، توصي الندوة توصية خاصة بعدم ازدواجية اللغة في مرحلة التعليم الابتدائي منعاً لمزاحمة اللغة الاجنبية للغة القومية في هذه السن •

١٦ ــ العناية باعداد معلمين ذوي كفاية لتدريس الخط العربي ، ومنح الخط العربي الزمن الكافي في خطة الدراسة • والعناية كذلك برسم الحروف (الإملاء) •

١٧ ــ الحث على أن تكون الأناشيد والأغاني المدرسية بالعربية الفصيحة •

١٨ ــ حث جميع الإدارات المدرسية والمدرسين على التقيد باللغة الفصيحة في تدريس مختلف المواد ، وفي الحوار مع التلاميذ •

١٩ ــ تقدم الندوة خالص شكرها وتقديرها لمجمع اللغة العربية الاردني لضيافته الكريمة ، كما تقدم خالص الثناء والاعتراف بالجميل للجامعة الاردنية ، بجميع أجهزتها ، على ما تفضلت بتقديمه للندوة من المساعدات المتنوعة ، التي أتاحت للندوة نجاحها العظيم •

٢٠ ــ ترفع الندوة برقية شكر وعرفان بالجميل الى جلالة الملك الحسين المعظم ، بمناسبة انتهاء الندوة التي تفضل جلالته فشملها برعايته السامية •

وفاة بعض اعضاء المجمع المراسلين

فقد المجمع خلال العام الماضي ١٩٧٨ عدداً من أعضائه المراسلين الذي يعتز بهم ويقدر أعمالهم .. كان منهم المرحوم الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي « الباكستان » ، وقد تولّى التنويه به والتعريف بفضله والترجمة الدقيقة لحياته الأستاذ الدكتور شاكر الفحام في مقال نشر في هذا العدد .

وكان منهم كذلك المرحوم الأستاذ محمد جميل بيهم « لبنـــان » انتقل الى رحمته تعالى في بيروت في العاشر من أيار ١٩٧٨ .

والأستاذ بيهم باحث معروف في بلاد الشام وقد اختير عضواً مراسلاً في المجمع منذ عام ١٩٦٤ كما كان عضواً مؤازراً في المجمع العلمي العراقي وفي المجمع الامريكي للعلوم السياسية والاجتماعية وفي أكاديمية التاريخ العالمي في باريس . ورأس في لبنان جمعية اخوان الثقافة منذ ١٩٤٢ .

وتتميز شخصيته بجوانبها المتعددة .. الجانب الثقافي ، والجانب السياسي والجانب الاجتماعي .

وهو محمد جميل بن محمد بن مصطفى بن حسين بيهم ويرجّح ان يكون أصل أسرته من مهاجرة المغرب . ولد في بيروت ١٨٨٧ وتلقى دراسته الأولى في مدرسة الشيخ أحمد عباس ، ثم تابع ذلك في مدرسة « أوليفيا » الفرنسية التي كانت نواة لمدرسة اللاييك . وسافر بعدها

الى فرنسا حيث قدم رسالة الدكتوراه الى معهد الآداب في جامعة باريس وكان موضوعها عن الانتدابات .

وحين عاد الى بيروت باشر نشاطه الثقافي والاجتماعي والسياسي وكان من أبرز ذلك رئاسته للمجمع العلمي اللبناني سنة ١٩٢٩ وهو ثاني المجامع العربية ، بعد مجمع دمشق ، ولكن الحكومة اللبنانية لم تلبث أن أعلنت عن حلّه بدعوى التوفير في النفقات .

وقد مثل بيروت في المؤتمر السوري الأول سنة ١٩١٩ الذي عقد في دمشق ونادى بفيصل ملكا على سوريا المستقلة .

وتتابع نشاطه في الحقل العربي فأختير رئيسا للوفد العربي الفلسطيني الى الولايات المتحدة وكوبا والمكسيك سنة ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ .

وحين جاءت القاهرة اللجنةُ الامريكية ـ الانجليزية « لجنة موريسون » للتحقيق في القضية الفلسطينية سنة ١٩٤٦ كان « بيهم » ممثلاً للحكومة اللبنانية أمام هذه اللجنة .

ونشاط الأستاذ بيهم في التأليف في قضايا التاريخ والسياسة والاجتماع نشاط عريض فقد خلّف جملة من المؤلفات منها في مجال التاريخ كتابه : فلسفة التاريخ العثماني في جزئين « الأول سنة ١٩٢٥ والثاني سنة ١٩٥٤ » وكتاب : الانتدابان في العراق وسورية « ١٩٣١ » وقوافل العروبة ومواكبها خلال العصور « الاول سنة ١٩٤٨ والثاني ١٩٥٠ » . والحلقة المفقودة في تاريخ العرب « ١٩٥٠ » والعهد المخضرم في سوريا ولبنان « سنة ١٩٦٨ » ، وفلسفة تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم « ١٩٦٢ » .

وتناولت مؤلفاته في المجال الاجتماعي : المرأة في التاريخ والشرائع

« ١٩٢١ » ، والمرأة في التمدن الحديث ١٩٢٧ ، وفتاة الشرق في حضارة الغرب « ١٩٥٢ » وَالمرأة في حضـارة العرب ، والعرب في تاريخ المرأة « ١٩٦٢ »

وقد كان الأستاذ بيهم من أوائل الذين كتبوا منبهين إلى الخطـر الصهيوني وفي ذلك أصدر كتابه : فلسطين اندلس الشرق سنة ١٩٤٦ •

وفي السنوات الاخيرة استبد به الاهتمام بالأوضاع في البلادالعربية وفي لبنان بخاصة فنشر عددا من الكتب منها : عالم جديـد في آسيـا وأفريقيا والوطن العربي سنة ١٩٦٨ ، وعروبة لبنان ، « سنة ١٩٦٩ » وَ « لبنان بين مشرق ومغرب » في السنة ذاتها ، والوحدة العربية بين المد والجزر ١٩٧٣ • ودراسة وتحليل للعهد العربي الاصيـل « ١٩٧٤ » ، والنزعات السياسية بلبنان عهد الانتداب والاحتلال سنة ١٩٧٧ •

ونذكر له فيما عدا ذلك كتبه التالية :

- واشنطن تعبد الطريق لموسكو في أرض العرب المسلمين ١٩٥٤ •
- العروبة والشعوبيات الحديثة « ١٩٥٧ » •
- العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ١٩٥٧ •
- أسرار ما وراء الستار في الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية كأنك تراهما ١٩٥٨ •

وخلف بعض المخطوطات الأخرى التي لم تنشر بعد •

تغمد الله الفقيد برحمته وعوض العرب والمسلمين خيرا •

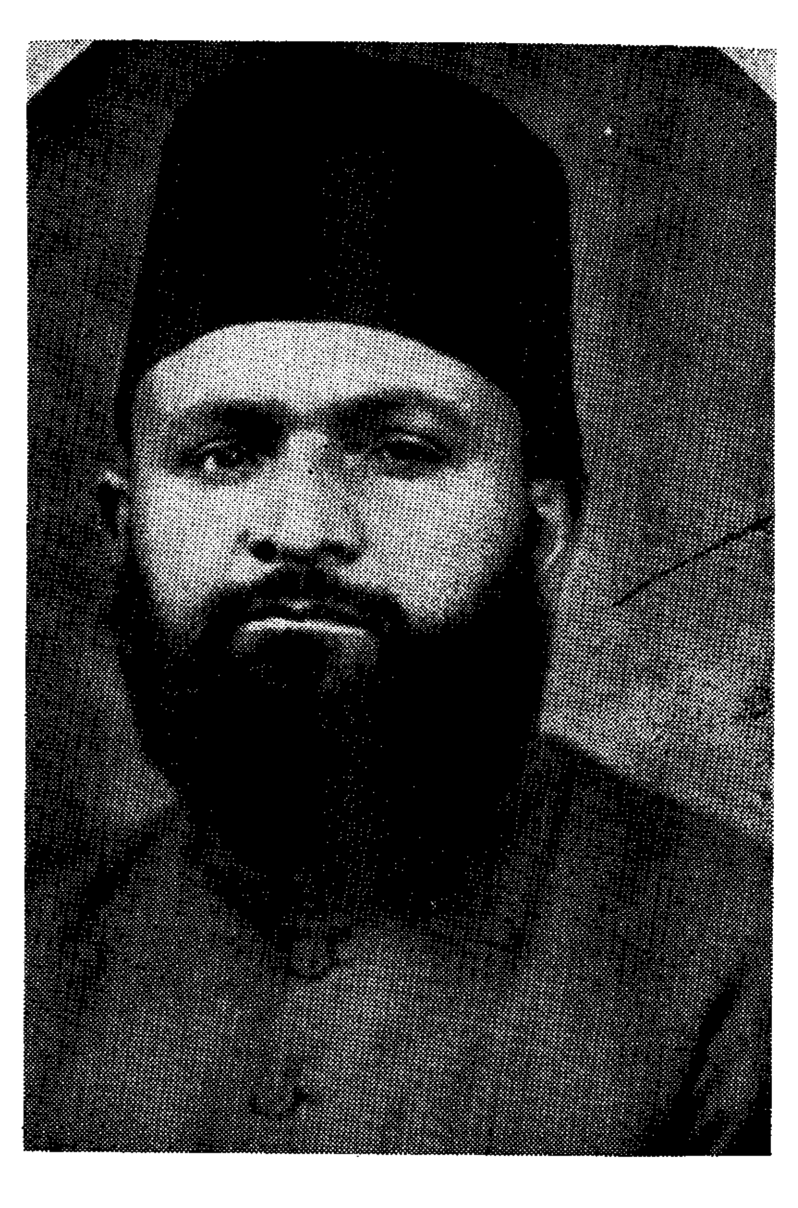
هذا وسننشر في العدد المقبل إن شاء الله كلمة عن الاستاذ فيليب حتي عضو المجمع المراسـل الـذي توفي في برنستون وكان أستاذاً في جامعتهـا •

« ش • ف »

عبد العزيز الميمني الراجكوتي

(١٣٠٦ - ١٣٩٨هـ)
(١٨٨٨ - ١٩٧٨م)

كان الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، رحمه الله وأغدق عليه صوب رضوانه ، من أفذاذ العلماء الأعلام في التمكن من العربية وأدبها وعلومها . أحبها حباً ملك عليه نفسه ، وتغلغل في السواد من قلبه ، ونبغ فيها نبوغ عابـد متأله ، قد تبتّل في محـاريبها ، وأراح في جنباتها ، فتعوف الى بيانها ، وتذوق سحرها وإعجازها ، ووقف على أسرارها ودقائقها ، وأحاط خُبراً بأدبائها وشعرائها وعلمائها ورجالها ، وقضى حياته يدرُسُ تراثها العظيم ويدّرسه ، ويسعى لتحقيقه ونشره السعي الحثيث ، ويرشد من يتوسّم فيه الخير الى نفائسه وذخائره ، ويذود عن حماه بالكلمة الصادقة الخالصة ، تخرصات ذوي الأهـواء والأغراض ، دائب العمل فيما نصب نفسه له ، يبذل أقصى ما في وسعه ، ويوالي نصحه لايني ولا يفتر . وبلغ به حب العربية والهيام بها أن كان يحسُّ نفسه غريباً بين أهله « والله المسؤول أن يجعل سعيي مشكوراً بين أدباء البلاد العربية ، فهم غرضي من إنشائها في العربية ، وأنـا بين أهالي ووطني كأجنبي عنهم



الأستاذ عبد العزيز الميمني في الأربعين من عمره

(١٣٠٦ - ١٣٩٨هـ)
(١٨٨٨ - ١٩٧٨م)



في كتاب طبقات الشعراء قال أبو زيد(١): للشعر والشعراء أوّلٌ لا يُوقَفُ عليه، وقد اختلف في ذلك العلماء وادّعت القبائلُ كلُّ قبيلة لشاعرها أنه السابق ولم يدّعوا ذلك لقائلِ البيتين والثلاثة لأن أولئك لا يُسمَّون شعراء حتى يقول أحدهم الشعر بعد الشعر فادّعت بنو أسد لعَبيد بن الأبرص وتغلبُ لمهلهل وبكرٌ لعمرو بن قميئة والمرقّش الأكبر وإيادٌ لأبي دُواد واليمانيّةُ لامرئ القيس واحتجّوا في تقدّم بعض هؤلاء بعضاً بأشعار للسيد والحارثة بن بدر وللفرزدق

الثلاثة

فأما السيد فقال في قصيدة: طويلة

عَلَتْ(×) الليالي خَلْفَ آلِ مُحَرِّقٍ وكما فعلن بتُبَّعٍ وبهرقلِ

والشاعرونَ الأوّلونَ أراهُمُ سَلَكوا سبيلَ مرقِّشٍ ومهلهلِ

٣/٧ ب ١٩٦

أراد أنهم ماتوا كما ماتوا لأنهم سلكوا سبيلهم في الشعر ورووا الحارثة بن بدر قولاً لا يُشبه شعره:

قبح الإلهُ الأنفَ(+) إلا ما مضى والشعرَ بعد مرقِّشٍ ومهلهلِ

وأبي دُواد أو عَبيدٍ كلّما نطقوا أصابوا فيه نصَّ المَفصِلِ

فإن كان هذان البيتان للحارثة فهما من أحسن شعره وهما بالمصنوع أشبه. وأما الفرزدق فإنه فخر على جرير بأن شعراء أسلافهم أورثوه أشعارهم فقال: (٢)

وهب القصائد لي النوابغُ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرولُ

قال أبو زيد وليس في هذه الأشعار ما يدلّ على الأقدم فالأقدم منهم. وقد قال الشعر مع مهلهل في حرب البسوس غير واحد منهم جسّاس بن مرّة بن ذهل بن شيبان قال لأبيه:

(١) انظر المزهر ٢/٤٧٧

(×) الأصل "علب" (+) الأصل "الالف"

(٢) النقائض ٢٠٠ . نموذج من خط الميمني

الصفحة السادسة من الجزء الثالث من كتاب التصحيف والتحريف للعسكري .

منتصف صفر الخير سنة ١٣٨٠هـ

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد فقد لقيت الطالب الراغب والشادي الأديب أحمد راتب النفاخ بالقاهرة المحروسة وبمدينة دمشق الفيحاء مرتين، وقرأ عليّ في رحلتي هذه باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجامع الصحيح للبخاري، وطلب مني الإجازة فأسعفته بمطلوبه تحقيقاً لظنه ومرغوبه وإن لم أكن أهلاً لما هنالك ولا ممن يخوض هذه المسالك.

فأقول وبه أصول وأجول: إني أجزت له أن يروي عني الكتب الستة الأمهات وموطأ مالك وسنن الدارمي المشهور بالمسند وإن لم يكن من المسانيد وسنن الدارقطني وبلوغ المرام كما أخذت أو قرأت وأجازني به شيخي الراوية الرحلة حسين بن محسن الأنصاري الخزرجي اليماني بمدينة دهلي لعشر بقين من صفر سنة ١٣٢٦هـ (1326) كما قرأ وأجاز له مشايخه الأعلام ومن أجلهم الشريف محمد بن ناصر الحازمي والقاضي أحمد بن الإمام الشوكاني كلاهما عن والد هذا الثاني عن شيخه السيد عبد القادر بن أحمد الكوكباني عن خاتمة المحدثين سليمان بن عمر بن مقبول الأهدل رحمه الله ح وبرواية شيخنا المذكور أيضاً عالياً بدرجة عن شيخنا حسن بن عبد الباري الأهدل عن شيخه أحمد بن محمد الشريف الأهدل عن شيخيه الحافظين عبد الله بن سالم البصري المكي وأحمد بن محمد النخلي كلاهما عن الإمام إبراهيم بن حسن الكردي المدني عن ولي الله أحمد بن محمد القشاشي (بالضم) المدني عن الشمس محمد بن أحمد الرملي المصري عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري ح وبرواية البصري والنخلي أيضاً عن الشمس محمد بن علاء الدين البابلي (بكسر الثانية) المصري عن سالم بن محمد السنهوري عن النجم الغيطي عن زكريا الأنصاري عن شيخ الإسلام وخاتمة المحدثين الأعلام الإمام أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني. وسائر الإسناد موجود في الكتب المؤلفة فيه.

وكتب العاجز عبد العزيز بن الحاج عبد الكريم الميمني نزيل كراتشي
بعد منصرفه من رحلة دمشق في التاريخ المذكور أعلاه يوم
الاثنين. بخط يد الفانية بعد ٥٤ عاماً والحمد أولاً وآخراً

نموذج آخر من خط الميمني

اجازة الميمني للاستاذ احمد راتب النفاخ

نزلوا بمكة في قبائل نوفل ونزلتُ بالبيداء ِأبعد منزل ِ[(١)]»

فكان دائم الحنين الى العرب وبلاد العرب ، يعدّ نفسه واحداً منهم ، ومن أحقّ منه بذلك ، وهو الذي رفع للعربية مناراً عاليا ، وجعل طريقها ذلولاً ركوباً ، ألّف فأحسن ما شاء ، وحقّق فبلغ الغاية التي لاتدرك ، فشأى بعمله وتفوّق ، وحاز قصبات السبق ، وكشف عن لآلىء ودرر ، ودلّ من ذخائر العرب على معادن جوهر ، فكم كتاب طمس بالتصحيف والتحريف جلا عن وجهه حتى أضاء وأزهر ، وكم عوراء قذف بها متهجم حاقد يريد بالعربية شراً فردّها وأفحم صاحبها، وكم ضلّة تقحّمَ فيها جاهل غمر ، لم يستبن له وجه الحق ، فأوضح نهجها ، وبيّن هداها ، وأخذ بيد قائلها يستقيم به على الجادّة . جاهد عن العربية فأبلى في جهاده ، ورمى أهداف أعدائها فقرطس في رميه . وظلّ كالشمس البازغة ينشر أنوار معرفته ، وسلخ في خدمة العربية مفيداً نافعاً عمره كله ، لم يتلبث ولم يتوقف ، حتى وافاه أجله في التسعين من أعوامه، أعزّ ماكان شأنا، وأرفع ماكان مقاما . رحمه الله الرحمة الواسعة ، ولينعم بجوار ربه قرير العين ، آمن السرب ، مطمئن النفس ، راضيا ، مرضيا .

---

(١) يتحدث الأستاذ الميمني عن مقالته في : ابن رشيق ، وكانت محاضرة القاها باللغة الاوردية ، ثم نقلها الى اللغة العربية (ابن رشيق : ٣– ٤) ، وكان الميمني ، رحمه الله ، يحسّ غربته ، فوصف نفسه بالغريب (ثلاث رسائل، أبو العلاء وما إليه)، والنازح الدار (رسالته الى الأستاذ محمد كرد علي في كانون الأول ١٩٢٨ م) .

٢

ولد العلامة الميمني في نحو سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨ م) ببلدة راجكوت في اقليم كاتهيا دار (سوراشترا الحالية) على الساحل الغربي للهند ، وكان من بيت عريق في التجارة . وأسلم الأبُ الحاج عبد الكريم الميمني ابنه الى الكتّاب ، يتعلم القراءة والكتابة ، فعل أهل ذلك الزمان . وأحبَّ الصبيُّ الناشيء العلم وألفه ، فاندفع في طلبه، وآثر الأب أن يشجع ابنه ليمضي في سبيله، ويتخلى عن التجارة، حرفة آبائه المتوارثة . وبدأ الميمني رحلته الى مراكز العلم يستكمل دراساته العالية ، وقرأ على الاساتذة الكبار في لكنوء ورامبور ودهلي. وكان من شيوخه العالم المسند الراوية الرحلة حسين بن محسن الانصاري الخزرجي السعدي اليماني[1] ، الذي أجازه برواية الحديث عنه بسنده سنة ١٣٢٦ هـ بمدينة دهلي . وكان منهم أستاذه الكبير نذير أحمد الدهلوي الذي كان الميمني يذكره بالرضا والتقدير[2] .ومن أساتذته الشيخ محمد طيب المكّي نزيل رامبور [3] . وينبئنا الأستاذ الميمني أنه في غيسات شبيبته قد درس الفارسية برامبور في كتاب ، المعجم في آثار ملوك العجم[4] .

(١) ثلاث رسائل : ١٨

(٢) مجلة البعث الاسلامي (الهند، صفر ١٣٩٩ هـ) : ٧٥ ، مجلة الاديب (بيروت ، تشرين الأول ١٩٦٠ م) : ٥٤

(٣) سمط اللآلي ١ : ن (المقدمة)

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٩ : ١٢٩ (١٩٢٩ م) وغيسان الشباب، وغيساته (بالمثناة فوق) : اوله وحدته ونعمته (القاموس المحيط) قال المعري في رسالة الملائكة (ط . دمشق) : ٢ ، « وكنتُ في غيسان الشبيبة أود انني من أهل العلم ... ».

واتكأ الفتى الناشىء على نفسه ، ولـم يكتف بالمألوف المـوروث في تلقي العلم ، ولم يقبل به ، واختط طريقاً جديداً لدراسته ، يلبي رغبته ، ويرضي طموحه • آثر الاطلاع على كتب القدماء من المؤلفين العرب ، وتعمق في علوم اللغة والأدب ، وحفظ من الشعر العربي القديم مايزيد على سبعين الف بيت ، وحظي بذخيرة لغوية وأدبية لا تضاهى • وأعانه على ذلك ذاكرة قوية مسعفة ، وذكاء حادّ ، وصبر ودأب لايمل معهما العمل والمذاكرة والبحث • ويتحدث الأستاذ الميمني في احدى مقالاته انه حفظ في صباه : المعلقات العشر ، وديوان الحماسة ، والمتنبـي ، والجمهرة ، والمفضليات، والكامل للمبرد ، والنوادر لأبي زيد، والبيان والتبيين ، وأدب الكاتب ، والاقتضاب [1] •

ولم يكن الميمني في سعة من الرزق تمكنّه من اقتناء ما يـودّ اقتناءه من الكتب ، فكان ينسخ بيده الكتب الأصول المطبوعة ليشفي ظمأ نفسه الى المعرفة •

آثر الميمني في صدر شبابه أن يكتني بأبي البركات ، ثم عدل عنها بأخرة الى أبي عمر ، وكانت النسبة التي التزمها طوال حياته : الميمني الراجكوتي ، يضيف اليهما احيانا كلمة الهندي ، تذكيراً ببلده (الهند)• وكان يضمّ الى نسبتيه : الميمني الراجكوتي ، كلمة السلفي او الأثري ، يشير بذلك الى العقيدة التي ارتضاها وسكن اليها • وكان يصف نفسه بالعاجز تارة ، وبخادم العلم تارة ، وقد يجمعهما معاً ، تواضعاً منـه ، وتقليلاً لشأنـه ، وتعبيراً عما يكنه للعلم وأهله من تقدير واحترام •

---

(١) مجلة البعث الاسلامي (صفر ١٣٩٩ هـ) : ٧٦

٣

بدأ الميمني حياة التعليم والتدريس حين التحق بالكلية الاسلامية ببشاور ليدرّس اللغة العربية والفارسية . ثم انتقل الى الكلية الشرقية بمدينة لاهور (عاصمة بنجاب) . وفي خلال إقامته بلاهور أصدر كتابه : ابن رشيق (المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤ — ١٩٢٥ م) [١] . وهو محاضرة كان قد ألقاها الأستاذ الميمني بالأوردية في جمعية الشرقيين بمدينة لاهور (آذار ١٩٢٣ م) ، ثم نقلها الى العربية . وقد طبع أصلها الأردي في مجلة المعارف التي تصدر في (أعظم كره — الهند)، وهي من أشهر مجلات الهند (آذار — أيار ١٩٢٤م)[٢]، ويعدّ كتاب ابن رشيق دراسة ممهدة موطئة لكتاب الميمني الثاني : النتف من شعر ابن رشيق وزميله ابن شرف (المطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٣ هـ)[٣] ، الذي جمع فيه أشعار أبي علي الحسن بن رشيق ، وزميله أبي عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي ، وضم اليهما لمعاً من شعر أبي الفضل جعفر بن محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي . ودلّ عمله على سعة اطلاعه ، ودقة فهمه ، ووثيق معرفته بالكتب والمصادر .

---

(١) وانظر مجلة الزهراء ١ : ٨٦ — ٩٥ ، ١٨٢ — ١٨٥ ، ٢٠٢ — ٢١١ ، ٢٥٤ — ٢٦٣ ، ٣٢٩ — ٣٣٧ ، ٣٩٢ — ٣٩٦ ، ٥١٠ — ٥٢٠ ، ٥٩٢ — ٥٩٧ ، ٦٢٢ — ٦٢٩ (١٣٤٣ هـ) ، ٢ : ٣١٢ (١٣٤٤ هـ) ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج٧ : ٤٣١ — ٤٣٢ (١٩٢٧ م) .

(٢) ابن رشيق : ٣

(٣) وانظر مجلة الزهراء ٢ : ٣١١ (١٣٤٤) هـ ، ومجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٧ : ٢٧٥ — ٢٧٨

ولم تطل إقامة الميمني في الكلية الشرقية بلاهور • انتقل منها الى الجامعة الاسلامية في عليكره (علي كره) ، ولعله غادر الكلية الشرقية مغاضباً • وفي المهرجان الكبير الذي أقامته جامعة عليكره الاسلامية بتمام سنة ١٩٢٥ م احتفاءً بمرور خمسين عاماً على تأسيسها ألقى الأستاذ الميمني الراجكوتي قصيدة عربية ، ولم يكتم الشاعر اغتباطه بمقامه في عليكره ، وراحته مما كان قد عاناه في لاهور ذات الأزقة الضيقة • وفي الحق أن الميمني كان قد تأذى بهيمنة الإنكليز على الكلية الشرقية في ثياب المستشرقين وفي ثياب أتباعهم

فربيَ من ضنك البلاد أراحني وأصبحت لايبدو لعيني مرآها[1]

وقضى الأستاذ الميمني في جامعة عليكره الوقت الطويل ، استقر به المقام فيها ، واطمأنت اليها نفسه ، وأخذ يتدرج في المناصب العلمية الرسمية من مقرىء الى أستاذ مساعد فأستاذ فرئيس قسم اللغة العربية• ولقد زيَّن هذه المناصب ولم تزنه ، وشرفَّها فشرفت به • ومضى الميمني على سننه يعلّم ويرشد ويوجه ، وصدر عنه في هذه الحقبة أجمل مؤلفاته ، وأغلى تحقيقاته •

ــ نشر : ثلاث رسائل (المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ ــ ١٩٢٦ م) [2] • وكانت من نوادر المخطوطات ، عثر عليها في لكنؤ وجامع بومباي :

---

(١) مجلة الزهراء ٢ : ٤١٦ ــ ٤١٨ (١٣٤٤ هـ) •

(٢) مجلة الزهراء ٣ : ٢٠٠ ، ٤٠٧ (١٣٤٥ هـ) ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، مج ٦ : ٥٢٧ ــ ٥٢٨، مج ١٤ : ١٦٧، ثلاث رسائل: ٣ ــ ٤ ، وقد ارخ الميمني المقدمة في ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هـ •

الأولى ــ مقالة كلا ، وما جــاء منها في كتاب الله • لأبي الحسين أحمد بن فارس •

الثانية ــ كتاب ما تلحن فيه العوام • لعلي بن حمزة الكسائي •

الثالثة ــ رسالة محيي الدين بن عربي الى الامام الفخر الرازي •

ــ وأصدر كتابه الشهير : « أبو العلاء ومــا إليه » ، (المطبعــة السلفية بالقاهرة ، ١٣٤٤ هـ) [١] • وقد عرّف الميمني في مطلعه بجمعية « دار المصنفين » التي أسسها في مدينة « أعظم كره » بالهند المصلــح الكبير الشيخ شبلي النعماني ، والتي ألّفت عشرات من الكتب النافعة الاصلاحية والدينية بالاوردية ، لسان مسلمي الهند ، وتولت اصدار مجلة « المعارف » أشهر مجلات مسلمي الهند • ومن المطبوعات العربية التي أصدرتها الجمعية : نقد كتاب تاريخ التمدن الاسلامي ،وقد ألفه الشيخ شبلي يقّوم به ماجاء في كتاب جورجــي زيدان من أخطــاء • وكان كتاب الميمني « أبو العلاء وما إليه » الكتاب التاسع والعشرين في سلسلة : « دار المصنفين »[٢] •

كان الميمني حين عزم على دراسة المعري وتأليف كتابه في عنفوان الشباب ، في نحو الخامسة والثلاثين من عمره ، قد بلغ أشده واستوى، واكتملت له أدوات العلم ، وزانه النضج والحـُكْم • فأقدم على عمله إقدام واثق، قد أعدّ له عدته ، وهيأ له أهبته • ويعدُّ كتابه «أبو العلاء وما إليه » محاولة جادة لدراسة الشاعر الفيلسوف ابي العلاء المعري ، والتعرف الى سيرته ، وفهم شعره ومراميــه دون الوقــوع في شباك

---

(١) وانظر مجلــة الزهراء ٣ : ٨ ــ ١٤ ، ٣٩١ ــ ٣٩٣ ، ٤٨١ ــ ٤٩٤ (١٣٤٥ هـ) . ومجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٨ : ٣٠٨ ــ ٣٠٩

(٢) أبو العلاء وما اليه : ١ ، ٥ ــ ٦

التغرب . إنه الدراسة التي تستمدّ معينها من أصدق الأخبار ، ومن تصور وقائع العصر وأحواله ومذاهبه وحياته الفكرية تصوراً صحيحاً يعتمد الحسّ التاريخي الدقيق ، ومن معاناة آثار المؤلف معاناة قريبة ، عميقة ، متفهمة ، دون رواسب حاجزة ، ومسلمات سابقة .

لقد راع الميمني ماوقع فيهدارسو المعري من المستشرقين وأضرابهم من المتأدبين العرب ، ورأى أن الحاجة ماسة الى من « يتعرف بأبي العلاء تعرف الانسان بصاحب له ذي أرب » ، وتوخى في كتابه تصحيح ماجاء به مرغليوث الانكليزي في مقدمة ترجمة رسائل المعري ، وما وقع في كتاب الدكتور طه حسين : ذكرى أبي العلاء ، من الجنف ومجانبة الحق[1] .

كان الميمني قد بدأ تأليف كتابه قبل أن يغادر مدينة لاهور[2] ، وكتب له أن يجوده ، ويخرجه للناس عام ١٣٤٤ هـ ، بعد أن محّص فيه أخبار أبي العلاء وأحواله ، وردّ كثيراً من الحقائق الى نصابها بعد أن غلّفها الشكّ وحاطتها الأوهام . فجاء كتاباً جامعاً لا يستغني عنه مَنْ يودّ دراسة حكيم المعرة . واذا عددنا هذا الكتاب رأس مؤلفات الميمني وتاجها فاننا لا نعدو الصواب[3] .

---

(١) ابو العلاء وما اليه : ٣ ـ ٤

(٢) مجلة الزهراء ٢ : ٣٩ ـ ٤١ (١٣٤٤ هـ) . وقد بيّن الاستاذ الميمني في مقدمة كتابه « ابو العلاء وما اليه » انه كتبها بمدينة لاهور ، وارّخها في منتصف شعبان سنة ١٣٤٣ هـ ، ثم اتبعها بكلمة عرّف فيها بجمعية المصنفين ، ارّخها في غرة شعبان سنة ١٣٤٤ هـ (ابو العلاء وما اليه : ٣ ـ ٦) .

(٣) مجلة الزهراء ٤ : ٢٤٤ (١٣٤٦ هـ) ، وانظرماجاء في ختام كتاب : « ابو العلاء وما اليه » ، من اقوال العلماء الكبار في تقريظ الكتاب بعنوان : « كلمات في الكتاب ومؤلفه » ، ص : (أ ـ ح) .

ولعل معرفة الميمني باللغات الاوردية والفارسية والعربية قد هيأت له أن يعود بنفسه الى مناهل تسعفه في تصحيح ما أخطأ فيه سواه ، من مثل عودته الى رحلة ناصر خسرو الحكيم باللغة الفارسية ، ليصحح ما وقع فيه صاحب ذكرى ابي العلاء[1] . وكان يعرف من أنباء الثقافة وأخبار العلماء والأدباء والشعراء في بلاد الهند وفارس وما يجاورهما مالا يعرفه سواه من أبناء البلاد العربية . وأتاح له اطلاعه على خزائن الهند ، وخبرته ، وفطنته ، ومعاناته أن يتهدى الى الفرائد النوادر من المخطوطات العربية في الهند ، وأن يتحف المكتبة العربية بما تيسر له طبعه منها .

ـ وفتح كتاب : « أبو العلاء وما إليه » الأبواب للأستاذ الميمني . وأغراه بالمضيّ في طريق المعري . فحقق : « رسالة الملائكة » للمعري (المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ م) عن نسخة مطبوعة كانت « من التحريف والتشويه ، بحيث يمجها طبع كل خامل ونبيه ... وقد بقي مع ما عانيته عدة أغلاط ، مطوية الرباط ، حرتُ في أمرها ، فوكلتها الى اعرف مني بخبرها وخبرها . وبخزانة ليدن (هولاندة) منها نسخة ، فيا حبذا لو تولّى بعض المستعربين عراض هذه عليها » . ويرى الميمني أن رسالة الملائكة للمعري أخت رسالتي الغفران والطير في التمثيل ، الذي لم يسبقه فيه عديل له أو مثيل[2] . وجمع : «فائت

---

(١) ابو العلاء وما إليه : ٢٤٤

(٢) رسالة الملائكة : ٢ ، وقد ظهر بعدُ أن ما طبعه الأستاذ الميمني ليس الا مقدمة الرسالة . وطبعت « رسالة الملائكة » تامة لأول مرة بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي عضو المجمع العلمي العربي بدمشق عن النسخة الخطية الوحيدة التامة في العالم ، والمحفوظة بدار الكتب الظاهرية (مطبعة الترقي بدمشق ، ١٣٦٣ هـ/١٩٤٤م) .

شعر أبي العلاء » (المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٤٥ هـ)[١] •«وبعد،فهذا « فائت شعر أبي العلاء » ، مما لا يوجد في كتبه المعروفة ، جمعته أثناء تأليفي كتابي « أبو العلاء وما إليه » وفيه بعض شعر نُحل له ، حتى يتمّ فائدة تأليفي المذكور • ثم رأيت أن الحقه بآخر « رسالة الملائكة » لأبي العلاء المعري ، حتى يكونا كتيّبين ، وأثرين من آثار أبي العلاء حيَّين »[٢] •

ـ وأسلمه المعري الى شاعر العربية الأكبر أبي الطيب المتنبي فأصدر كتابه : « زيادات ديوان شعر المتنبي » (المطبعة السلفية بالقاهرة، ١٣٤٥ هـ/١٩٢٦ ـ ١٩٢٧ م) [٣] • فقد مرّ الميمني في رحلاته الأخيرة في ذي الحجة الحرام سنة ١٣٤٣ هـ بقرية « حبيب كنج » من أعمال عليكره ، واطلع على خزانة صاحبها الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني، فرآها حافلة بالأعلاق النفيسة : الفارسية والعربية ، منها نسخة من ديوان المتنبي ، وكتاب المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي صاحب النشوار ، والفرج بعد الشدة • وقد وصف جملة هذه المخطوطات النوادر في مقالة له نشرها بمجلة المعارف (أعظم كره ـ الهند) •وتفرغ الميمني لنسخة ديوان المتنبي ، وعلق منها ما ظفر به من

---

(١) مجلة الزهراء ٤ : ٢٤٧ (١٣٤٦ هـ) •

(٢) فائت شعر أبي العلاء : ٢ ، وقد سطر الميمني مقدمة كتابه ببلد راجكوت ، كاتهيادار (الهند) في غرة شوال ، سنة ١٣٤٣ هـ •

(٣) ثبت على غلاف الكتاب الداخلي تاريخ الطبع : ١٣٤٥ هـ ، وعلى الغلاف الخارجي : ١٣٤٦ هـ ، وحمل الغلافان تاريخ تحقيق الميمني (شعبان سنة ١٣٤٤ هـ / شباط سنة ١٩٢٦م) ، أما مقدمة المحقق الميمني فقد ارخها : (غرة ربيع الآخر سنة ١٣٤٤ هـ /تشرين الأول سنة ١٩٢٥ م) ، وانظر مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ١٠ : ٦٤٠ •

زيادات بلغت ٢٥ قطعة ، وعارضها على ثلاث نسخ من الديوان ، الى جانب معارضتها بطبعتين من الديوان قديمتين ، وبكثير من دواوين الأدب ، ثم ضمّ اليها ما تجمع لديه من مقطوعات استخرجها من مطاوي المجاميع الأدبية [١] . وقد رأى الميمني أن يسم كتيّبه باسم الشيخ حبيب الرحمن خان الشرواني ، تنويهاً بأياديه على العربية وفضله[٢] .

ــ وفي هذه الاثناء صدر كتاب الميمني : « اقليد الخزانة » (لاهور، ١٩٢٧ م / ١٣٤٥ ــ ١٣٤٦ هـ) [٣] ، وقد قدم له بالانكليزية الأستاذ محمد شفيع ، وأضيف اليه فهرس بالانكليزية لأسماء المؤلفين ، سطره السيد محمد اقبال . ويعدُّ الاقليدُ فهرساً دقيقاً للكتب التي أشار اليها عبد القادر البغدادي في كتابه : خزانة الأدب ،ومما زادفي قدر الاقليدأن الميمني قدأشار فيهوامشه الىمايوجد منمخطوطات هذهالكتبفيخرائن الهند العامة او الخاصة ، أو في غيرها مما وصل اليه علمه ، والى ماطبع حديثاً من هذه الكتب . وقد ورد بعض أسماء الكتب محرفة في خزانة الأدب المطبوعة فعُني بتصحيحها ، فأصبح اقليده بذلك مجمع فوائد ، وملتقى فرائد . وكان كتاب الميمني يكمل «مفتاح الخزانة » الذي صنعه الاستاذ العلامة أحمد تيمور[٤] . وفي خزانة دار الكتب الظاهرية نسخة

---

(١) زيادات ديوان شعر المتنبي : ١ ، ٣ ــ ٤

(٢) زيادات ديوان شعر المتنبي : ٢ ، وقد اشار شيخ العربية وبقية السلف استاذنا محمود محمد شاكر الى صنيع الاستاذ الميمني في كتابه الشهير : « المتنبي » ، السفر الأول : ٥٠ ، ٧١ من المقدمة التي بلغت عدة صفحاتها ١٦٥ صفحة .

(٣) يذكر الأستاذ الميمني ان الاقليد قد نشر في شباط ١٩٢٨ (مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٨ : ٥٢١) .

(٤) مجلة الزهراء ٤ : ٥٦٧ ــ ٥٦٨

من اقليد الخزانة قدمها الاستاذ الميمني بالكلمة التالية : (إقليد الخزانة ، هدية لخزانة مجمعنا العلمي العربي بدمشق ، من خادم أعضائه ، العاجز عبد العزيز الميمني المؤلف ، جامعة عليكره (بالهند) ، رمضان سنة ١٣٤٦ هـ) • وتعمد الأستاذ الميمني ذكر اسم الكتاب بالعربية لأن طابعي الكتاب بلا هور قد أثبتوا اسم الكتاب بالإنكليزية ، وتناسوه بالعربية ، وأسقطوا مقدمة الكتاب التي حبَّرها الميمني ، مما أثار غضبه، وهاجه ، الى ما كان به من غيظ وأسف ، فلقد كان لهذا الكتاب قصة ، أذاقت الاستاذ الميمني طعم الحنظل ، وجرّعته نغب التهمام • لقدأنجز الميمني كتاب : « اقليد الخزانة » في بلدة لاهور عاصمة بنجاب الهند، غرة شوال من شهور سنة ١٣٤٠ هـ / ٢٩ أيار ١٩٢٢ م [١]• ولكن ما أحاط بالكتاب من ملابسات أرجأت نشره ، وسوّفت في إظهاره ، أساءت ظن الاستاذ بمن وكل اليهم العمل • وظلّ الميمني على مثل حسك السعدان برهة من الدهر غير قليلة ، حتى خرج الكتاب بعد هياط ومياط ، على حد قول المعري • ويتحدث الاستاذ الميمني عن عمل الاستاذ شفيع والمستر وولنر بقلم الغضب ، ويكتب لأصحابه ومحبيه بما ناله من اذى [٢]• ومقالته التي سطرها في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق بعنوان : «المكاره التي حُف بها إقليد الخزانة »[٣] تنطق ببعض ما كان يعتلج في صدر الأستاذ الكبير من صنيع الذين أساءوا عهده وتهضموه حقه ، وفي الرسالة التي وجهها الميمني الى صديقه الاستاذ محمد كرد علي (والمؤرخة

---

(١) اقليد الخزانة : ١٣٠

(٢) مجلة الزهراء ٤ : ٥٦٧ ــ ٥٦٨ (ذو القعدة ١٣٤٦ هـ) •

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٨ : ٥٢٠ ــ ٥٣٦ (ايلول ١٩٢٨ م)، وانظر ايضا ، مج ٨ : ٥٧٤

في ١٢/٣/١٩٢٨ م ــ ١٨ رمضان ١٣٤٦ هـ) يقول والأسى يملأ قلبه لما أصاب الاقليد على يد المسيئين : « وهاتان نسختان من الإقليد ، الرجاء اتحافهما للخزانتين وحفظهما . وإن كان بعض الورّاقين يتعهد بطبعه ثانية، مع مقدمتي ، فياحبذا لو تعهد بالتصحيح اللازم وطبعه، ولستُ أريد منه بدلاً غير خمسين نسخة ... (يالله! ماأقسى الزمان) ... وهذه مقالة ومقدمة أحب نشرهما بالمجلة (مجلة المجمع العلمي العربي) [1] والزهراء أيضاً، لئلا يقع أغرار الشداة في مثل ماوقعتُ فيه ، فضلاً عن فائدتهما . وهاأنا ارسل منهما نسخة الى (الاستاذ محب الدين) الخطيب ايضا . والرجاء أن يتكلف صديقي الكريم نشر ما ينشر بمجلة أخرى ، وان كان في ذلك اخلال بالعادة وتكرار ، فاني ــ علم الله ــ لم أشف فيها نفسي ، بل تقدمت بالإنذار الى إخواني من المؤلفين فحسب » . سامحهم الله ، لقد خشنّوا صدر أبي البركات بفعلتهم المسيئة في إقليده الذي صاغه بنور عينيه ودم قلبه ، فتأنق في صوغه .

ــ وكان الميمني يشارك ، الى جانب تدريسه وتأليفه ، في النشاط اللغوي والأدبي ، بمحاضراته ومقالاته وتحقيقاته التي ينشرها، أو يلقيها في المؤتمرات [2] ، من ذلك مقالته حول القصيدة اليتيمة :

هل بالطلولِ لسائلٍ ردٌّ ام هل لها بتكلمٍ عهدُ

---

(١) نشرت المقالة والمقدمة في مجلة المجمع ، مج ٨ : ٥٢٠ ــ ٥٣٦

(٢) يؤسفني اني عاجز عن عرض ما قام به الاستاذ الميمني من وجوه النشاط في اللغتين الاوردية والفارسية ، وما نشره في المجلات بهاتين اللغتين ، من مثل مجلة المعارف في مدينة أعظم كره . ولعل الاخوة الزملاء في الهند والباكستان من اصدقاء الفقيد وعارفيه ودارسيه

ومَنْ صاحبها[١]؟ ومقالته حول اعلام الكلام[٢]، وان الامالي والنوادر للقالي هما شيء واحد[٣]، وملاحظ على كتاب الاغاني[٤] ،وان جراب الدولة رجل [٥] ، وكلمته حــول طبقات الشعراء ومناقب بغداد [٦] . ويزفّ الى قراء العربية أنباء لمخطوطات نادرة اطلع عليهاوأفاد منها [٧]، وقد يعرّف ببعضها ، وينقل منها النقول[٨]. ومن ذلك حديثه عن خزانة بانكي بور (بتنه) التي أسسها خدابخش خان ، وجلب اليها النســخ العتيقة ، ووقفها ، وأنها خير مكتبة في بلاد الهند[٩] . كان دائب البحث والتنقير عن المخطوطات ، يريد أن يعلم علمها ، ينقب عنها بعين فاحصة ، فكشفت له الخزائن عن كنوزها ، يتخير منها ــ وهو الخبــير الكيّس

←

يوفّون هذا الجانب حقه . كذلك فانه لم يتح لي الوقت المسعف لاطلع على ما نشره الفقيد الغالي من مقالات ومباحث باللغة العربية فيمختلف المجلات فقصرت القول على مجلتي الزهراء ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهذا أمر ارجو ان اوفق في قابلات الأيام للعودة اليه وتجليته .

(١) مجلة الزهراء ٣ : ٢٢٤ ــ ٢٢٦ ، ٤ : ٣٤٤ ــ ٣٤٩

(٢) مجلة الزهراء ٣ : ٥٢٥ ــ ٥٢٦

(٣) مجلة الزهراء ٣ : ٥٩٢ ــ ٥٩٦

(٤) مجلة الزهراء ٤ : ٦٠ ــ ٦٥

(٥) مجلة الزهراء ٥ : ٣٢٨ ــ ٣٣٠

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، مج ٨ : ٣٦٨

(٧) مجلة الزهراء ١ : ٤٧٤ ، ٢ : ١٤٤ ، ٣ : ٣٠٠ ــ ٣٠٥ ، مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٨ : ٣٦٧ ــ ٣٦٨

(٨) مجلة الزهراء ، ٤ : ٢٣٤ ــ ٢٤٢ .

(٩) مجلة الزهراء ٤ : ١٦٦ ــ ١٦٧ ، ابو العلاء وما إليه : ٣١٣ ــ ٣١٩

الفطِن ـ ماشاء • عرف النوادر والأعلاق ، ونشر ما تهيأ له نشره منها ، وأرشد آخرين توسم فيهم الفضل والخير [١] • ولكنه كان يضن أن يفضي بما يعلم من أمر المخطوطات لمن لايراه أهلاً لها ، ولقد توفي رحمه الله ، وفي صدره أسرار كبيرة لما عرف من نفائس المخطوطات ، لم يطلع طلعها أحدا ، كان يراها من المضنون به على غير أهله •

٤

وتم انتخاب الأستاذ الميمني عضوا مراسلاً في المجمع العلمي العربي بدمشق في ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٨ م ، كان الميمني آنذاك في الأربعين من عمره • وطلب الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع ان يكتب اليه الميمني بترجمته ، وان يوافيه بصورة له، وان يهيىء أطروحة• وأجاب الميمني في رسالته المؤرخة في ١٢/٣/١٩٢٨م ــ ٢٨ رمضان سنة ١٣٤٦ هـ : « وأما أمر ارسال صورة هذا العاجز وترجمة حياته وتنميق اطروحة فاني أعده بها ان شاء الله في نحو الثلاثة أشهر لتراكم الأشغال ••••الا أن الاطروحة أحب أن تكون رسالة لي في نقد « ديوان النعمان بن بشير الأنصاري وبكر الدلفي » ، التي صنعتها قبل أعوام، ولم أوفّق لتبييضها ونشرها » • ولكن الميمني قدم بعد ذلك كتاب « المداخل » لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز غلام ثعلب ، أطروحة للمجمع • حققهعن نسخة فريدة بخزانة إيالة رامبور الاسلامية بالهند ، ثم ترجم لأبي عمر الزاهد ترجمة مبسوطة • وقد انجز الاستاذ الميمني تحقيق المداخل سلخ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٤٦ هـ (أيار ١٩٢٨ م) بعليكره (الهند) وما يزال المجمع يحتفظ بهذه المخطوطة برقم ٧٩٨٨

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٢٦ : ١٩٨

(عام)، وقد اتيح له نشرها على صفحات مجلته[١]. ويسوقنا هذا للتحدث عن طاقة الميمني الخارقة ، كان يفكر في أشياء كثيرة ، ويعدّ موضوعات لاحصر لها ، ثم تأتي عوائق مختلفة ، تحول بينه وبين إنفاذ كل ما عـزم عليه وهيأ له، لعل من أهونها شأنا، وما هو بالهين، الطباعة التي كان للميمني معها حديث ذو شجون ، فقد كان يعاني في طباعة كتبه ما يعاني ، يجاهد في تذليل مصاعبها جهاد العلماء الصابرين ، ولطالما شكا مأساته ، حتـى أصبح وكأن شعاره : « وكان في النية نشره اذ ذاك ، الا أن المقاديـر والمعاذير حالت دون ذلـك »[٢] . واذا عدنا الى رسالتـه الى الاستاذ محمد كرد علي المذكورة آنفا نجده يقول : « وليعلمني سيدي : هـل يمكنه طبع كتاب « المستجاد من فعلات الأجـواد » للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي ، (وهو في ١٠٠ صفحة من قطع المجلة) ، فقد نسخته وصححته ، ودللت في الحواشي ، فضلاً عن التصحيحات ، على المظانّ التي توجد فيها الحكايات ، والكتاب معدّ عندي للطبع منذ أشهر[٣]... وهذه مقالة ومقدمة أحب نشرهما بالمجلة وبالزهـراء ايضا[٤] ...» . ثم يتحدث الميمني عن نسخ « تتمة اليتيمة » المخطوطة ، ليقول بعد ذلك:

---

(١) مـج ٩ : ٤٤٩ ـ ٤٦٠ ، ٥٣٢ ـ ٥٤٤ ، ٦٠١ ـ ٦١٦ (١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م) . وقد أعيد نشر ترجمة ابي عمر الزاهد في العدد الأول من مجلة المجمع العلمي الهندي (حزيران ، ١٩٧٦ م) : ١ ـ ١٩

(٢) المنقوص والممدود للفراء : ٥

(٣) العجب ان الميمني لم يقدّر له أن يصدر المستجاد بتحقيقه ، وطبع بعد ذلك بالمانيا سنة ١٩٣٩ ، ثم اعيد طبعه بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي (مطبعة الترقي بدمشق ، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) .

(٤) يشير الى مقالته : «المكاره التي حُفّت بها اقليد الخزانة» وقد نشرت في مجلة المجمع ، مج ٨ : ٥٢٠ ـ ٥٣٦

« يوجد هنا بالهند نسخة عتيقة من اختيار رسائل الجاحظ ، اختيار حمزة ابن الحسن الاصفهاني ، استحسنتها ، ولعلي أصححها واكتب عليها شيئاً في الصيف المقبل ان شاء الله ، وأمر طبعها اليكم ... » . لقد كانت الطباعة احدى المشكلات التي طالما أقضت مضجع الميمني ، ومن هنا فقد كان يحرص على أن يذكر في ختام مقدماته للكتب غالباً زمن التحقيق وانجاز الكتاب للطبع ، لتطاول فترة الطبع بعد ذلك . يقول في ختام مقدمة المنقوص والممدود للفراء : « عليكره الهند ، ربيع النبوي سنة ١٣٥٤ هـ ، أول يوليه (تموز) سنة ١٩٣٥ م ، ثم سنة ١٩٣٧ ثم ٧سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٣٨ م ، ثمّ وثمّ الى أن أنجز طبعه سنة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م » [1] .

ويبدو ان الاستاذ الميمني تلكأ في ارسال صورته وترجمته ، فذكره الاستاذ كرد علي بهما ، وأجابه الاستاذ الميمني برسالته المؤرخة في كانون الأول ١٩٢٨ م ، يقول فيها : « هذه صورة الحقير أخذتها جلباً لرضاكم ، وان كنت بمعزل عن مثل هذه الاشياء ... وقد بقي عليّ ترجمة حياة الحقير ، وموعدي بها الصيف القادم إن شاء الله . وليعلم أنـي في هذه الأيام مشغول بنسخ اللآلي في شرح أمالي ابي علي القالي للوزير أبي عبيد البكري ، وتصحيحه ... وهل في وُسْع المجمع أن يطبعه على نفقته ، وهو زهاء ثمانمائة صفحة مع الفهارس والحواشي » . وما تزال اضبارة الاستاذ الميمني في المجمع تحتفظ بصورته التي أرسل [2] ، ولكني لم أجد

(١) المنقوص والممدود للفراء : ٨

(٢) نشرت صورة الاستاذ الميمني ، وصور السادة أعضاء المجمع ، في ختام الجزء الثاني (شباط ، ١٩٢٩ م) من المجلد التاسع من مجلة المجمع العلمي العربي .

ترجمة له. ولست أدري : هل فقدت تلك الترجمة أم أنَّ الاستاذ الميمني لم يرسل بها ، واني لأحسُّ عظم الخسارة بفقدها .

ظل الميمني عضواً في المجمع العلمي العربي خمسين عاماً أو يزيد ، أحبه المجمعيون وأحبهم ، وكان قلبه يخفق بحب دمشق وأهلها ، زارها أكثر من مرة ، وخلف في قلوب عارفيه أجمل الذكريات . كان في رسائله يهدي تحياته الى ساكني الغوطة (جنـة الدنيا) (رسالته الى الأستاذ محمد كرد علي المؤرخة في ١٢/٣/١٩٢٨) أويقول : « والسلام عليكم سادتي واخواني ، وساكني جنة الدنيا التي انقلبـت جهنم ، خفف الله وطأة الأجانب عنكم ، وجمعنى معكم » . (رسالته المؤرخـة في كانون الأول ١٩٢٨) . لقد كان الاستعمار قذى في عيني الميمني ، وكان يؤذيه أن يراه منيخاً بكلكله على الأرض العربية التي أحب ، حتى لقد انقلبت جنة الدنيا (دمشق) في عينيه الى جهنم لوجود المستعمر الظالم .

ثم أصبح الميمني بعد ذلك عضواً مراسلاً في مجمع القاهرة . وعلت منزلته بين أقرانه ، ومنح الميمني دمشق ومجمعها العلمي وعلماءها ودَّه ومحبته ، ووالى المجمعَ ببرِّه وعونه ، وبادلته دمشق ومجمعُها المودة والوفاء ، وحفظت له أنضر الذكريات ، وكرَّمته وأشادت بعلمه وفضله . ويبلـغ التكريم ذروته يوم يمنـح السيد الرئيس حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية الأستاذ الكبير عبد العزيز الميمني الراجكوتي عضو مجمع اللغة العربية بدمشق وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى (المرسوم رقم ١١٨٠ تاريخ ٢٣/٧/١٣٩٧ هـ و٩/٧/١٩٧٧م) تقديراً لعظيم جهوده في تحقيق التراث العربي ونشر العربية [١] .

٥

وعقد مؤتمر مستشرقي الهند الخامس بمدينة لاهور عاصمة بنجاب (٢٧ جمادى الاولى ـ ٩ جمادى الثانيـة ١٣٤٧ هـ / تشرين الثانـي

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٢ : ٩٢٦

١٩٢٨ م) ، وشارك الأستاذ الميمني في هذا المؤتمر ، وألقى في ٢٢/ ١١/ ١٩٢٨ بحثاً بعنوان : « أقدم كتاب في العالم:جاويذانخرد » .
وفي رسالة الميمني الى الأستاذ كرد علي المؤرخة في كانون الأول ١٩٢٨م، يقول له : « وهذه رسالة أخرى قرأت عليها مقالة بمؤتمر مستشرقي الهند في لاهور ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م ، أرسلها لتطبع بمجلة المجمع »[١] .

ــ ويعزم الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلة الزهراء أن يطبع كتاب : خزانة الأدب ، للبغدادي طبعة جديدة ، وتصدر عن المطبعة السلفية بالقاهرة الأجزاء الأربعة الاولى منها (١٣٤٧ هـ ــ ١٣٥١ هـ) ، فيقدم الأستاذ الميمني إقليده (اقليد الخزانة) ، بعد أن عني بتصحيحه ، وتحسينه ، ليلحق بهذه الطبعة ، ويشارك في التعليق[٢] ، حتى أصبحت الاجزاء المطبوعة،ماعدا الجزءالاول،تحمل على صفحتها الاولى:«وحليناها بتصحيحات العلامةالجليل الاستاذأحمدتيمورباشا،وبتصحيحات وتعليقات المحقق الكبير الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي » . ويأسى المرء أن هذه الطبعة المحققة لم يقدر لها التمام وتوقفت عن الصدور بعد الأجزاء الاربعة الأولى .

ــ وجاءت سنة ١٣٥٠ هـ (١٩٣١ ــ ١٩٣٢ م) ليطلع الأستاذ الميمني على الناس بتحقيق رسالتين أو كتابين صغيرين :

الأول : أبواب مختارة منكتاب ابي يوسف يعقوب بن اسحاق الاصبهاني (المطبعة السلفية) .

والثاني : كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد لابي

(١) نشر بحث الميمني في مجلة المجمع ، مج ٩ : ١٢٩ ــ ١٣٩ ، ١٩٣ ــ ٢٠٢ (١٩٢٩ م) ، وانظر مجلة الزهراء ٥ : ٢٦٩

(٢) خزانة الأدب (المطبعة السلفية) ١ : ٥ ، ٦ ، ٧

العباس محمد بن يزيد المبرد النحوي المتوفى سنة٢٨٥ هـ (المطبعة السلفية بالقاهرة ، ١٣٥٠ هـ) .

وقد استخرج الاستاذ الميمني الكتابين من كنوز الخزانة الشرقية العمومية في بانكي بور (بتنه ــ الهند)[١] ولم يسعدني الحظ بالاطلاع على كتاب : ابواب مختارة ، أما كتاب المبرد المطبوع فصغير يقع في نحو أربعين صفحة « نسخه العاجز عبد العزيز الميمني من خزانة بانكي بور (بتنه) في المحرم سنة ١٣٤٦ هـ »[٢] وأشهد أن عمل الميمني في الكتاب كان كما تعودناه منه كفاية ودراية . فالمخطوط قد كتب « بخط رديء ، كثير الخطأ والتصحيف » فردّ الميمني الخطأ والتصحيف ببصيرته الى الصواب ، وخرّج الشواهد ، ودل على المراجع ، وقرن الشبيه بالشبيه ، فاذا أنت تتمشى في روض نضير تتملى بمحاسنه ما شئت ، « فجزى الله الاستاذ الميمني أحسن الجزاء ، على عنايته بالآداب العربية ، وقيامه على خدمتها قياماً قصّر عن شأوه فيه الناطقون بالضاد »[٣] .

ــ ثم بدأ الميمني رحلته الشهيرة الى البلاد العربية وتركيا ، فحلّ مصر سنة ١٣٥٤هـ وأفاد من خزائن مخطوطاتها ، قرأ ونسخ ، وخالط العلماء والأدباء ، وقدّم كتابه : سمط اللآلي ، الى مطبعة لجنة التأليف

---

(١) وصف الأستاذ الميمني هذه المكتبة ذات النفائس في كلمة له الى مجلة الزهراء (٤ : ١٦٦ ــ ١٦٧) . وانظر ، ابو العلاء وما اليه : ٣١٣ ، وقد عرض الدكتور فؤاد سزكين في كتابه : تاريخ التراث العربي ، لهذه المكتبة (تاريخ التراث العربي ــ الترجمة العربية ١/١ : ٨٢ ــ ٨٣) ، وانظر كذلك ما كتبه الأستاذ كوركيس عواد بصدد هذه المكتبة (مجلة المورد مج ٥ : ٢٣٥ ــ ٢٣٦) .

(٢) كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد : ٣٩

(٣) من كلمة للأستاذ محب الدين الخطيب (كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه : ٤٠ ــ ٤١) .

والترجمة والنشر (١٣٥٤ هـ/ ١٩٣٦ م) ، ويتضمن السمط تحقيقات الميمني وتعليقاته التي حلّى بها جيد كتاب اللآلي في شرح أمالي القالي الذي أعدّه للنشر ، بعد أن تهيأ له منه مخطوطتان : مكية ومغربية . وبيَّن الميمني في ختام مقدمته للسمط أنه حبرها في القاهرة (٨ شعبان سنة ١٣٥٤ هـ / ٥ تشرين الثاني ١٩٣٥ م) .

واذا كان كتاب : « ابو العلاء وما إليه » تاج أعمال الميمني التي ألفها ، فان سمط اللآلي دون مرية ، تاج أعماله في التحقيق . احتفل له الميمني وروّى ، وتأنّى في عمله وتأنق ، كان يعنيه الكمال فمشى على رود يتمهل ، فأتى بالعجائب . ونثر في كتابه الفوائد الفرائد ، وأبان عن درر مكنونة فيما سطّر من حواشٍ وطرر . ومن الحق أن الميمني كان يؤثر الايجاز والاقتضاب في تعليقاته، ويتوخى في كتابته الخاصة المثقفة ، ويقدّم نفائسه بعد مطاولة ، يريد من مطالعي كتبه أن يتجشموا العناء ليظفروا ببغيتهم ، ويضن ببنات أفكاره أن ينالها الآخرون دون ان يبذلوا ما يكافئها من الجهد ، ولكنك متى اعتدت طريقته ظفرت بالجمّ الكثير ، وتفتحت لك كنوز المصادر تختار منها ما تشاء . ولم يغفل الميمني ان يقص علينا قصة عمله في اللآلي والسمط . يقول في انتساخ اللآلي : « وقد فرغ من نسخ هذه النسخة (المكية) العاجز عبد العزيز الميمني بمنزله في جامعة عليكره(الهند) لـ ٨ كانون الثاني ١٩٢٩ م، وكان أخذي فيه في أول تشرين الثاني ١٩٢٨ م، فكانت مدة الكتابة نحو ٦٨ يوماً ، ولله الحمد . ثم عارضت نسختي بالأصل مع الصديق عبد الرحمن الكاشغري ، في ستة أيام ، آخرها ٢٨ حزيران ١٩٢٩ » ثم يضيف في ذكر السمط مزهوا « وقد فاح مسك ختامه ، ولاح بدر تمامه ، ونجز ما نويت تعليقه من فرائد الفوائد ، وتقييده من شوارد الاوابد ، بمنزلي في جامعة عليكره (الهند)، لأربع مضين من شوال سنة١٣٤٨ هـ (٦ آذار

سنة١٩٣٠م)•••»[1] •ثم يذكر معارضة نسخته بالنسخة المغربية (٢١صفر الخيرسنة ١٣٥١هـ/٢٦حزيران سنة ١٩٣٢م) •وأعجب الميمني بما صنع ، وحق له ذلك، فسطر في القاهرة بتاريخ ١٩٣٦/١/٣١ : فجاء الكتاب على ما يروق كل اديب ظريف جماله و بهاؤه ••• وهذا كله ثمرة وقوف المؤلف على الطبع ••• فاني ، ولا خفاء بالحق ، لم أخلد الى الراحة ، ولا ركنت الى الدعة ••• حتى يأتي الكتاب حسب ما أردت ••• وذلك كله في مائة يوم (٢٠ تشرين الاول ــ ٣١ كانون الثاني)[2] •

وصنع الميمني في ذيل اللآلي مثل صنيعه الأول في اللآلي ، تخريجاً ، وتقصياً ، وتصحيحاً ، ليختمه بقوله : « وكان أخذي فيه غرة رجب الفرد سنة ١٣٤٩ هـ ، ونجز منتصف شوال من السنة المذكورة(٤أيار١٩٣١م)• وقد تكلفت محاكاة البكري على ضعف مُنَّتي وقلة حيلتي••• »[3] • ثم صحح أغلاط طبعة الأمالي التي أصدرتها دار الكتب •

وأعجلته الرحلة الى البلاد العربية وتركيا عن وضع فهارس السمط ، فلما عاد الى عليكره من رحلته ، أنجز هذه الفهارس (١٩٣٧/١/٢٤ م ــ عليكره الهند)[4] • وصدرت على غرار مبتكر مفيد (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٦ هـ/١٩٣٧ م) •

وأصبح سمط اللآلي مورداً عذباً سائغاً شرابه ، يرده المحققون ، ويفيدون من تعليقاته ، واطلاع صاحبه الواسع • وأكبر علماء اللغة وأدباؤها هذا الصنيع العظيم ، وأشادوا بالأستاذ الميمني، حتى إنهم ما

---

(١) سمط اللآلي ٢ : ٩٧١ ــ ٩٧٢
(٢) سمط اللآلي ٢ : ٩٧٤
(٣) ذيل اللآلي : ١٠٦
(٤) فهارس سمط اللآلي : ١٣١

يكادون يذكرون عمله في السمط آنذاك إلا بنعتٍ فيه تفخيم، من مثل قولهم : « وجاء في سمط اللآلي المتمع للعلامة الميمني » [(١)] • وان يكن حاك في صدر الميمني شيء" بعد ، فهو عتبه على بعض من هؤلاء المحققين الذين كانوا يئلون الى كتابه يستمدون منه ، دون ان يذكروه او يشيروا اليه ، فكان يرى فيهم النهابين يختلسون جهده ، بدل أن يوفوه حقه ، ولطالما أرمضه ذلك وعذّبه •

وكان الميمني ، الى ذلك ، يضيق بناقديه الذين يخالفون عن رأيه ، ولا يباليهم •« غير أني لم أنبه من أغلاط الأصل الا على شيء نزر ••• رغماً لأنف من يستنكره عليّ من نابتة العصر المتبجحين • فاني أرى ولا كفران لله انه :

اذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضباناً عليّ لئامُها [(٢)]

كذلك فانه كان ينال من المحققين او المؤلفين الذين يقعون في الخطأ والوهم بنقدٍ فيه شيء من اللوم والاستخفاف قد يصل الى اللذع • وهذا ما جعل بعض الناس يتهيبون جانبه ، ولايضمرون له الود •

ــ ثم قدّم الميمني تحقيقه لكتاب : « نسب عدنان وقحطان »، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م) • وهو رسالة صغيرة جعلتها لجنة التأليف الرسالة الاولى في سلسلة الرسائل النادرة التي أزمعت اخراجها • وتحدث الميمني عن أصلها المخطوط الذي يمور بالتصحيف والخطأ ، وما كابد من مشقة في سبيل تصحيحها ، وكان يتمنى لو حصل على نسخة أخرى لها خطية بخزانة دير الاسكوريال بإسبانيا ، ولكن أهبة السفر أعجلته أن

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ١٥ : ١٠٥

(٢) سمط اللآلي ١ : ن ــ س (المقدمة) .

ينتظرها (مقدمة الكتاب : ج ـ هـ) وذكر الأستاذ الميمني أنه أنجز تحقيق النسخة في (١٣ صفر ١٣٥٤هـ/١٦ ايار ١٩٣٥ م) ثم عارضها بالأصل للطبع في ثغر الاسكندرية على البحر طريقه الى استنبول (في ٢١ شباط سنة ١٩٣٦ م)[١] . ويقول الميمني : «وقد تقدم لي نشر ما اتفق لفظه للمبرد، وهذا أثر ثانٍ له يحيا حياة طيبة »[٢] .

واطلع الميمني في استنبول على كنوز المخطوطات العربية ، وتزود منها بزادٍ لاكفاء له ، وعاد منها الى البلاد العربية فمرَّ بحلب ودمشق والعراق ، ولقي كبار علماء اللغة وصفوة أدبائها ولقوه،وربط بينه وبينهم أوثق الصلات ، وأفادوا منه ، وعبُّوا من بحره الطامي . يقابله الشيخ راغب الطباخ حين مروره بحلب عائداً من الآستانة سنة ١٣٥٥ هـ ليسأله عن مخطوطات كتاب : بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ، فيجد عنده طلبته [٣] . ويمر الميمني بدمشق فيصطحبه الأستاذ عز الدين التنوخي لزيارة الشاعر أحمد الصافي النجفي ليطلعا على النسخة المخطوطة التي بحوزته من كتاب الورقة لمحمد بن داود بن الجراح « فألفيناها بخط جميل ، على ورق صقيل،وتشتمل على ترجمة خمسة وستين شاعراً »[٤]. وفي هذه الزيارة اطلع الميمني على مخطوطة السفر الثاني من كتاب غريب حديث رسول الله ... تأليف القاسم بن ثابت ، (رقم المخطوطة :١٥٧٩ عام، بدار الكتب الظاهرية)، ثم كتب على الورقة الاولى : «هذا الكتاب يعرف بالدلائل ، لقاسم بن ثابت . كتبه عبد العزيز الميمني بخطه سنة

---

(١) نسب عدنان وقحطان : و (المقدمة) .
(٢) نسب عدنان وقحطان : هـ (المقدمة) .
(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٢٣ : ٢٥١ ــ ٢٥٨
(٤) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ١٥ : ٣٣٧

١٩٣٦ م » •وأصبح الميمني علماً في بابه ، وعرف له علماء اللغة العربية وادباؤها منزلته وفضله• أمامكاناته في بلده فلايكاد المتحدثون يتحدثون عن اللغة العربية وشأنها في الهند الا ويعرجون على ذكره ، والتحدث عن مؤلفاتـه [١] •

وتتوثق الصلات بين الميمني والاستاذ أحمد أمين ، فتخرج له لجنة التأليف والترجمة والنشر ، كتاب : الطرائف الأدبية (لجنة التأليف ••• ، ١٩٣٧ م) وكتاب الطرائف الادبية مجموعة من الشعر تتألف من قسمين :

القسم الأول : يشتمـل على ديوان الأفـوه الأودي ، وديـوان الشنفرى الأزدي ، وتسع قصائد نادرة •

والقسم الثاني : يشتمل على ديوان ابراهيم بن العباس الصولي ، والمختار من‌شعر المتنبي والبحتري وأبي تمام‌للإمام عبدالقاهر الجرجاني•

وتتجلى في هذا الكتاب إحدى ثمرات رحلـة الميمني الى البـلاد العربية وتركيا • فديوان الافوه الاودي الذي أتمه الميمني في أقل مـن عشرة أيام (آخرها ١٩ ربيع الآخر سنـة ١٣٥٥ هـ / ٨ تموز سنـة ١٩٣٦ م) بُعيد رجوعه من رحلته العلمية ، اطلع على نسخته الخطية بدار الكتب المصريةوهي‌بخط الشنقيطي [٢]•وديوان الشنفرى‌الأزدي (أنجزه في ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٣٥٥ هـ/ ١٨ تموز سنة ١٩٣٦ م) وجد نسخته المخطوطة في كتبخانة خسرو باشا بجوار جامع أبي أيوب (في ٢١ محرم ١٣٥٥ هـ /١٣ نيسان ١٩٣٦ م) ووجد معظم رائية الشنفرى في مجموع بدار الكتب المصرية [٣] • وكذلك الشأن في القصائد التسع النـادرة •

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ١٠ : ١٨ ، ٢٢ : ٢٠٨ – ٢٠٩
(٢) الطرائف الأدبية : ٤
(٣) الطرائف الأدبية : ٣٠

وكان نشر ديوان ابراهيم بن العباس الصولي عن النسخة الفريدة بخزانة وهبي افندي بغدادلي باستنبول [١] . أما المختار من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام فهو من مخطوطة اطلع عليها في خزانة الأستاذ حبيب الرحمن خان الشرواني حين مرَّ بقرية (حبيب كنج) من أعمال عليكره الهند سنة ١٣٥٣هـ / ايلول ١٩٣٤م [٢]، وكان الميمني قد زار هذه الخزانة قبلا (سنة ١٣٤٣ هـ) وتحدث عنها في مقدمة كتابه زيادات ديوان شعر المتنبي [٣] . وقد ذكر الميمني في أكثر هذه الطرائف تاريخ نسخه لها ، وتاريخ عرضها للطبع . وكأنه يريد أن يؤرخ لأعماله وما أنجزه في كل فترة من فترات حياته .

ومن تأمل عمل الميمني تبين له أنه كان يتنازعه أمران ، أولهما : حب التراث العربي ، والغيرة عليه ، والاعتزاز به ، والحفاظ عليه . ومضى ذلك به صعدا ، حتى كان يضنُّ بمعارفه على من لا يراه أهلاً لها ، ويبالغ في التأنق بعبارته ، والاحتفال لها ، حتى إنه ليصطنع الغريب من الالفاظ احياناً إدلالاً واعتدادا . والثاني : اندفاعه في نشر التراث ، وتعريف الناشئة به ، وتحبيبه اليهم ، وما يتطلبه ذلك من التيسير ،« فدونكم ، أيها الشداة والنشأ ، اختياراً كله أمثال سائرة ، وآداب نافقة عامرة... حرى بأن تكتب بماء اللجين والعسجد ، على خدود الخرَّد ، وأن يُكب عليه روّاد الأدب من كل ساحة وباب ، قراءة ودراسة ... »[٤] .

ـ وذكر الاستاذ العلامة الشيخ حمد الجاسر أن الاستاذ الميمني قد نشر رسالة عرام بن الأصبغ السلمي الأعرابي في : « اسماء جبال تهامة وسكانها وما فيها من القرى ... » سنة ١٣٥٧ هـ (١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ م)

(١) الطرائف الادبية : ١١٧ ، ١٢٥
(٢) الطرائف الادبية : ١٩٦
(٣) زيادات ديوان شعر المتنبي : ٢ ـ ٤
(٤) الطرائف الأدبية : ٢٠٠

في مجلة :« اورينتال كوليج مغازين » التي تصدر في مدينة لاهور بالباكستان ، عن نسخة خطية محفوظة في الخزانة السعيدية بمدينة حيدر اباد ، ولم يسعدني الحظ بالاطلاع على هذه الرسالة في طبعتها الميمنية . وقد أعاد نشرها الأستاذ عبد السلام هارون مرتين (١٣٧٢ هـ،١٣٧٥هـ)، ولكنه أغفل في طبعته الاولى ذكر الأستاذ الميمني ، ونهوضه بالنشر الأول، حتى نبه على فعلته[١] .

٦

واستميح قارئي العذر لأقف قليلا ، استمطر شآبيب الرحمة لأستاذي الجليل أبي قيس عز الدين التنوخي ، الذي قرأنا عليه طلاباً في الثانوية بمدينة حمص ثلاث سنوات مدرسية(كانون الأول ١٩٣٧ ـ أيار ١٩٣٩م) ، كانت متعة القلب والنفس ، وما تزال ذكراها غضة ناضرة ، فقد شحذ منا العزم ، وحرك الهمم ، وابتعث فينا الحمية ، وأخذ بيدنا يفتح لنا مغاليق التراث ، ويدور بنا في رياض الكتب ، يدلنا على ما فيها من النفائس والتحف . وكان الفرنسيون قد حرموا مدينة حمص من مكتبة عامة نأنس اليها ، ونقطف من أزاهيرها ،ولم يكن لنا الا المكتبة الصغيرة في الثانوية (تجهيز حمص) ، فكنا نعبّ من معينها ، وتتفيأ ظلالها نحتمي بها من هجير الجهل ،ولفحة الحرمان . وما أنس لا أنس تلك التعليقات المفيدة التي كان يزين بها أستاذنا التنوخي حواشي الكتب ،

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٢٧ : ٥٢٢ ـ ٥٢٣ ، مج ٢٨ : ٣٩٦ ـ ٤٠٠

يصحح بها التحريف والتصحيف في تلك الطبعات السقيمة المحرفة كطبعة الحيوان للجاحظ ، أو ينبه الى فوائد ولآل لا يعرفها الا الدليل الخرّيت. ومما اذكره منها أني كنت أطالع في الطبعة القديمة لوفيات الأعيان، وأتأمل تعليقات أستاذنا ، ثم قلبت فهارسها ، اريد ان أقرأ ترجمة عبد الله بن المقفع . وما أشدّ فرحتي حين وجدت في الفهرس حاشية لأستاذنا التنوخي في المكان المتوقع لورود اسم عبد الله بن المقفع، يذكر فيها أن ابن خلكان لم يفرد ترجمة لابن المقفع خاصة،وانما أورد ترجمة له في ختام ترجمة الحلاج أبي مغيث الحسين بن منصور،فخفف عني عناء البحث دون طائل، وما يصاحبه من تخبط الحيرة ، واستقام بي على الطريق دون مشقة .

وكان استاذنا ، رحمه الله ، وأجزل مثوبته ، لايني يحدثنا حديث العلماء والكتاب والأدباء ، ومنه سمعت أول ما سمعت أخبار صديقه الأستاذ العلامة عبد العزيز الميمني ، وما أوتي من المقدرة في العلم والبسطة في التحقيق . ولقد حبب الينا بكلماته الحلوة ، وإعجابه الذي لاينتهي ، الأستاذ الميمني وكتابه الفذ : ابو العلاء وما إليه ، وتحقيقاته الغالية في سمط اللآلي ، حتى أصبحنا وكأننا نعرف الميمني من قرب ، ونتوق للاستزادة عنه .

ـ ثم نشر الأستاذ الميمني ، وقد أصبح رئيس قسم اللغة العربية بجامعة عليكره بالهند ، ديوان سحيم عبد بني الحسحاس (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٦٩ هـ/١٩٥٠ م) وكان الديوان قد هجع طويلاً في دار الكتب قبل ظهوره . إنها مأساة الاستاذ الميمني مع المطابع ، لاتكاد تفارقه . وكانت نسخة الديوان الأصل مما جناه الميمني من الكتبخانة العمومية باستنبول في رحلته اليها (آذار ونيسان ، ١٩٣٦ م) ، وضم اليه روايات وتحقيقات ترقى بالديوان وتضاعف من قيمته العلمية[1] .

---

(١) ديوان سحيم : ٧ ــ ٨

ــ وتلاه تحقيق ديوان حميد بن ثور الهلالي ، وفيه بائية أبي دُواد الإيادي (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م) . لقد صنع الميمني ديوان حميد، وكانت نواته مخطوطة مصحفة محرّفة نسخت للاستاذ أحمد تيمور عن مخطوط بعنوان : منتخبات من كتاب المنتخب في محاسن اشعار العرب . فصحح الأستاذ الميمني قصائد حميد الثلاث التي وردت فيها ، ثم ضمّ اليها كل ماوجده من شعر حميد في الدواوين. وقد انجز الميمني عمله في الديوان بمدينة عليكره ــ الهند ، وأرخ له (في ذي الحجة الحرام سنة ١٣٥٥ و ٥٦هـ/ شباط سنة ١٩٣٧ و ٣٨ م) [١]

وقد لفت نظري ، وأنا أقلب ما خلفته يراعة الاستاذ الميمني ، أنه يستخدم أحياناً حروف الأبجدية للدلالة على الأرقام ، ويسلك في ذلك أحد طريقين :

الأول : أن يسردها متتابعة كما جاءت على نسقها في تركيب (أبجد هوز...) ، دون النظر الى قيمة الحرف العددية في حساب الجمَّل . تجد ذلك في مقدمته لسمط اللآلي التي تتالت حروفها من الألف فالباء.. حتى التاء ، وهي آخر صفحات المقدمة ، وتدلّ عند الميمني على الصفحة (٢٢) ، بينما تدلّ التاء ، في حساب الجمل على الرقم (٤٠٠) .

الثاني : أن يتقيد بحساب الجمل ، ويسلسل حروف الأبجدية طبقاً لقيمتها الرقمية ، فعل ذلك في كتاب : الطرائف الأدبية ، لتعداد القصائد والمقطوعات (شعر الأفوه الأودي ، شعر الشنفرى الأزدي) ، وفي ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ، وفي ديوان حميد بن ثور الهلالي . ولكني رأيته في هذا الباب لا ينهج نهج الأقدمين ممن عرفت . كان الأقدمون

---

(١) ديوان حميد بن ثور الهلالي : ١٣٦ ، وانظر مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٧ : ١٠١

عندما يجاوزون العشرة الى ما بعدها حتى الرقم ١٩٩٩ ، يبدؤون بذكر الحرف الدال على العدد الأكبر ، يليه الحرف الدال على العدد الأصغر منه ، وتتصل الحروف أو تنفصل طبقاً لقاعدة الخط العربي • مثال ذلك: يب = ١٢ ، كد = ٢٤ ، لو = ٣٦ ، سح = ٦٨ ، فط = ٨٩ ،صا= ٩١ ، قكح = ١٢٨ ، رنو = ٢٥٦ [١]، ولكن الأستاذ الميمني في ترقيمه بالحروف سلك الطريق المضاد لذلك ، إذ قدّم الحرف الدال على العدد الأصغر ، ولستُ أعرف له إماماً في مسلكه •

٧

ويحال الأستاذ الميمني على التقاعد [٢]، ويغادر عليكره (الهند) الى باكستان ليقيم في كراتشي ، ويسند اليه رئاسة القسم العربي بجامعة كراتشي ، ثم تسند اليه مناصب علميه أخرى ، مثل مدير معهد الدراسات الاسلامية لمعارف باكستان ، ولكنه يظل أبداً يتابع رسالته وعمله في نشر العربية والتبشير بها •

ــ وفي هذه الآونة يطبع الميمني كتابه : « الفاضل » لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧٥ هـ/١٩٥٦ م) ، وكان الميمني قداجتلب نسخته المصورةمن استنبول،وتم له نسخها بمنزله في عليكرة (في خامس ذي القعدة الحرام سنة ١٣٥٦ هـ / ٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٨ م ، وأكمل التعليق في ٣١ كانون الثاني ١٩٣٨ م) • ووصف الميمني النسخة المخطوطة ثم قال : « والكتاب كما ترى للمبرد حقا ، يشبه

(١) رسائل اخوان الصفاء ١ : ٢٥ ــ ٣٧ (الرسالة الاولى في العدد) ، وانظر : كتاب الآثار الباقية للبيروني •
(٢) التنبيهات : ٣٥٤

« الكامل » من جميع الجهات ، كأنه كامل صغير ، يصلح لأن يدخل في مناهج الدروس ، فيتدارسه النشء ، وهو أثر ثالث للمبرد[١] ، يبعث من مرقده على يدي العاجز (عبد العزيز الميمني) ، لثمان بقين من ذي القعدة الحرام سنة ١٣٥٦ هـ / ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٨ م »[٢] .

ـ وفي اضبارة الميمني بمجمع اللغة العربية بدمشق كلمة له تشير الى زيارته دمشق عام ١٩٥٦ ، وقد ذيلها بقوله : « من العاجز عبد العزيز الميمني العضو ، أستاذ العربية ورئيس فرعها بجامعة كراتشي ، ومدير معهد الدراسات الاسلامية لمعارف باكستان ، ٥٦/١٠/٣١ م ، بدمشق الفيحاء » . لعله يحسن هنا أن نشير الى الجو الحماسي الرائع الذي كان يسود البلاد العربية ، والى تعالي روح النضال والمقاومة لدى الجماهير العربية في هذه الفترة التي أعقبت قيام الرئيس جمال عبد الناصر بتأميم قناة السويس ، احدى الضربات القاصمة للاستعمار ، وكان من جرائها أن بيّت الاستعمار عدوانه الثلاثي الغادر على مصر (٢٩ تشرين الأول ـ ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ م) ، ومكروا مكرهم ، « ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله » .

ويستأنف الأستاذ الميمني نشاطه في مجلة المجمع ، وتصدر له مقالة بعنوان : « جلاء العروس »[٣] ، يورد فيها فوائد تجمعت له تتصل بقصيدة « العروس » احدى القصائد التسع النادرة التي كان نشرها في كتاب : « الطرائف الأدبية » (١٩٣٧ م) ، ويردّ فيها على مقالة نشرها

---

(١) بعد (ما اتفق لفظه واختلف معناه) ، و (نسب عدنان) . « التعليق للأستاذ الميمني في كتاب الفاضل : ١٢٦ » .
(٢) كتاب الفاضل : ١٢٦
(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٢ : ٦٩٢ ـ ٦٩٧ (١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م) . وانظر مج ٣٣ : ٦٨٦ ـ ٦٩١

الأستاذ المعصومي، ثم يعقب بذكر ضبط اسم الشاعر «ابن ابي حصينة» • وقد بعث الميمني بمقالته من مدينة كراتشي •

ويزور الميمني دمشق بعيد ذلك (١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م) ، ويلتقي بخلصانه وأصدقائه • وقد سطّر الأستاذ عز الدين التنوخي مقالة ذكر فيها أطرافاً من حديث الأستاذ عبد العزيز الميمني بشأن المخطوطات المغربية [١] • كان الميمني آنذاك في السبعين من عمره ، وما زال حيّ الذاكرة ، متوقدها • ثم ينشر الميمني بعد ذلك مقالة في المجلة[٢] ، أرسل بها من كراتشي (١٩٥٨/٩/٢٦ م) ، يصحح فيها نسبة كتاب الإفصاح عن أبيات مشكلة الايضاح ، للفارقي •

ـ وكان المجمع العلمي العربي بدمشق قد أصدر ديوان ابن عنين، محمد بن نصر الأنصاري الدمشقي (٥٤٩ ــ ٦٣٠ هـ) ، بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك (مطبعة دمشق ، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م) • وأتيح للأستاذ الميمني أن يطلع على نسخة مخطوطة تاسعة من ديوان ابن عنين ، أعاره اياها السيد مظفر حسين بكراتشي (شعبان ١٣٧٨ هـ) ، فوجد فيها نحو (٣٤) ما بين مقطوعة وقصيدة ، فاتت النسخ الثمان التي اطلع عليها الأستاذ خليل مردم ، واستعان بها في تحقيق الديوان • وبعد أن وصف الأستاذ الميمني النسخة الخطية علّق هذه الزيادات ، وضمّ اليها مافي النسخة من فوائد وأخبار وروايات ، ونشرها في مجلة المجمع [٣] • ثم أصدرها المجمع بعد ذلك في نسيلة على حدة •

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٣ : ٦٨٣ ــ ٦٨٦ (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م) •

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٤ : ١٩٢ ــ ١٩٥ (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م) •

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٤ : ٥٦٨ ــ ٦٠١ ، مج ٣٥ : ٤٦ ــ ٦٠ ، ٢٢٧ ــ ٢٣٣ (١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ ــ ١٩٦٠ م) وانظر مج ٣٥ : ١٥٤ ــ ١٥٩ ، ٣٢٨ ــ ٣٣١ •

ويزور الميمني دمشق زيارته الاخيرة سنة ١٩٦٠ م ، قدم اليها بدعوة من وزارة الثقافة والارشاد القومي ، في القطر العربي السوري • فقد رأت الوزارة أن تستأنس برأيه، وأن تفيد من خبرته في معرفة المخطوطات العربية، وأي المخطوطات أولى بالنشر • وكانت إقامة الميمني بدمشق فرصة طيبة ليوثق العلماء والأدباء في دمشق صلاتهم بالعالم الكبير ، يحضرون مجلسه ، ويفيدون من علمه الغزير • وقد نشر الاستاذ الميمني مقالات في مجلة المجمع تحدث فيها عن نوادر المخطوطات ، فذكر مخطوطة : تحفة المجد الصريح في شرح الكتاب الفصيح ، التي كان قد نسخها سنة ١٩٣٥ م عن مخطوطة الشنقيطي بدار الكتب المصرية،وساق الكلام على مخطوطة العباب الزاخر للصغاني المخطوطة بدار الكتب المصرية ، ونقل مقدمة العباب ، ثم علّق على كتاب الابدال لأبي الطيب اللغوي الذي حققه الأستاذ عز الدين التنوخي ، وقد ذكر في ختام مقالاته الثلاث أنه حبّرها بدمشق الفيحاء في (١٩ ــ ٧ ــ ١٩٦٠م و١٧ ــ ٧ ــ ١٩٦٠م و٢٩ ــ ٧ ــ ١٩٦٠م) [1]
ويعود الاستاذ الميمني فيحضّ على نشر : العباب الزاخر، ويوضح طريقة نشره المثلى [2] • ثم ينشر مقالة له، بعنوان : « طرر على معجم الأدباء » ، يقوّم فيها الغلط الذي تورط فيه مرغليوث محقق كتاب : معجم الأدباء (سنة ١٩٠٧ م) ، أو يعلّق على ما يحتاج الى فضل ايضاح وبيان [3] •

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٥ : ٥٤١ ــ ٥٤٥ ، ٥٤٦ ــ ٥٦٦، ٦٧٣ ــ ٦٨٠ ، وانظر ايضا ، مج ٣٧ : ١٩٩ ــ ٢٠٦ ، ٥١٧ ــ ٥٢١، ٥٢٢ ــ ٥٢٤ ، ٦٩٢ ــ ٦٩٥

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٦ : ٤٧ ــ ٤٩ ، وانظر ،مج ٣٦ : ٦٦٩ ــ ٦٧١ ، وقد أخرج الأستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين من العباب الزاخر ، حرف الهمزة (بغداد ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .

(٣) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٤٠ : ٦٤٤ ــ ٦٥٩ ، ٨٦٠ ــ ٨٦٣،

ولم يُقدَّر للطور أن تبلغ تمامها [١] .

وكان الميمني لا يبخل بمشورته على من استشاره ، ومما اطلعتُ عليه في هذا الصدد رسالة له صادرة في بهادر آبـاد (كراجي ـ ٥) ، ومؤرخة في ٢٢/١١/١٩٦٠ ، يجيب فيها السيد الأمين العـام بوزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق : « وأما الاجابة عما سأله ، فانـي لا أعرف من شعر ديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي نسخة بأي بلاد الله .وليعلم الأستاذ أن أهل الهند في سالف الأزمان لحدّ الآن لم يجنحوا الى علوم اللغة والآداب والأشعار إلا كلا ولا ، وأمثال الصاغاني ، والسيد مرتضى الزبيدي البلكرامي الأصل ، لم يميلوا اليها ، ولا ألّفوا فيهـا شيئاً إلا بعد خروجهم عن الهند الى البلاد العربية ... » . ثم يتحدث عن المخطوطات العربية وتشتتها في الهند ، وماتمّ جمعه منها ليقول : «وهي زينة المتحف البريطاني ، وخزانة ديوان الهند . وبعض ما بقي تجمع شمله في رامبور ، وبانكي بور ، وحيدر آباد ، والجمعية الآسيوية بكلكتـه ، وبعضه ببومباي ، الى ... ، وأما باكستان فلم يوجد فيها شيء من هذا الباب ، إلا أقل من القليل ، لا قديمـاً ولا حديثاً .... وأمـا مكاتب كراجي ، وميربور ، فليس فيها إلا نسخة من ديوان ابن الساعاتي ، فيما بلغني ، بميربور . وبودي أن لو كنت عنيت به بدلاً من نسخة تاسعة من ديوان ابن عنين لو وجدته ... » . لقد أصبح الميمني حجة في معرفة المخطوطات العربية ، بالهند خاصـة ، وكان مثار العجب أن تندّ عنـه مخطوطة ذات شأن . يقول الأستاذ حمد الجاسر وهو يتحدث عن جزء

←« مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٤١ : ١٥٠ ـ ١٥٥ ، ٢٩٠ ـ ٣٠١ ، ٤٧٠ ـ ٤٨٦ ، ٦٣١ ـ ٦٤١ ،مج ٤٢ : ٩٢ ـ ٩٩

(١) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مـج ٥٢ : ٥٨٢ (١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م) .

مخطوط من كتاب : « نوادر الهجري » ، في مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكته : « وكيف خفي هذا الجزء عن أنظار الباحثين في الهند ، كالعلامة الميمني ، والأستاذ سالم الكرنكوى (ف • كرينكو) الذي طبع قطعة من شعر مزاحم العقيلي » [١] •

٨

ــ قام الميمني بتحقيق كتاب : « الوحشيات » ، وهو الحماسة الصغرى ، لأبي تمام الطائي ، وأصدرته دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٣م، في سلسة ذخائر العرب ، فكان الكتاب الثالث والثلاثين في هذه السلسلة • وأصل المخطوط بكتبخانة السلطان أحمد الثالث في (توب قبو سراي) باستنبول ، وله مصورة بدار الكتب المصرية • وقد أنجز الميمني تحقيقه في عليكره ــ الهند (٣ أيار سنة ١٩٤٠ م) [٢] • وكان من حظ هذا الكتاب أن راجعه وزاد في حواشيه أستاذنا محمود محمد شاكر ، ثم ختم باستدراك (ص : ٣٠٧ ــ ٣٢٦) يمور بالفوائد •

ــ ثم قام بتحقيق كتابين آخرين هما : المنقوص والممدود ، للفراء ، والتنبيهات ، لعلي بن حمزة البصري ، وقد صدرا في جزء واحد ، عن دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٧ ، في سلسلة : ذخائر العرب ، وهو الكتاب الحادي والأربعون في هذه السلسلة •

بيّن الأستاذ الميمني أن مخطوطة كتاب المنقوص والممدود، للفراء، تقع في مجموعة بخزانة جامع بومباي بالهند ، وقد تسنّى له أن ينشر من هذه المجموعة كتاب : ما تلحن فيه العوام للكسائي (المطبعة السلفية ،

---

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٧ : ١٠١

(٢) كتاب الوحشيات : ٥ ــ ٨ (المقدمة) ، وانظر مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٣٦ : ٤٣ ــ ٤٦ ، ٥٣٩ ــ ٥٤٦

١٣٤٤ هـ) [١] . وكان في النية نشر كتاب الفراء ، « إلا أن المقادير والمعاذير حالت دون ذلك »[٢] . وفي الكلمات التي ختم بها الميمني مقدمة الكتاب ، ثم في الكلمات التي ختم بها تحقيق الكتاب إشارة إلى الأسى الذي كان يملأ نفسه ، وهو يرى تحكم الطباعة في إرجاء أعماله وتأخيرها [٣] . لعله وجد في سرد هذه التواريخ الكثيرة المتوالية لعمله أفصح معبر عن غيظه لما يعاني من أمر الطباعة . ويذكر الأستاذ الميمني أن المخطوطة « رديئة بالمرة ، مشحونة بالاغلاط والتصحيفات » [٤] ، ولم يصرفه ذلك عنها . كان الميمني شديد التعلق بالتراث ، ضنيناً بآثار السلف أن يصيبها الضياع ، وقد فطر على الصبر في عمله ، لا يتهيب المشاق بل يتجشمها ، ويواجه العقبات ليذللها ، كأنه المعنيُّ بقول الشاعر :

لا رآني الله أرعى روضة سهلة الأكناف ، من شاء رعاها

فوطن نفسه على تحقيق المخطوطة ، وأخذها بذلك أخذاً غير رفيق ، «ولولا حرصي على ألا تضيع آثارُ بلادي سدى ، ولولا إشفاقي عليها من الضياع ، لم أشدَّ لها حجزتي ، ولا بذلتُ لها من الوكد والكدّ ما كان يفي بتأليفٍ ضخم ، وقد ذكرتُ في الطرر طرفاً منها يدلك على سائرها .... » [٤] .

أما كتاب التنبيهات على أغاليط الرواة ، فقد اعتمد الاستاذ الميمني

---

(١) انظر ماسبق ، ص : ٢٤٢ — ٢٤٣
(٢) المنقوص والممدود للفراء : ٥
(٣) المنقوص والممدود : ٨ ، ٥٠
(٤) المنقوص والممدود : ٦

مخطوطة دار الكتب المصرية [١] ووجد الميمني ، في موضوعات الكتاب ، ما أتاح له القول ، فأطلق لنفسه العنان ، ودخل الحلبة مُعلماً ، يجاري فرسان اللغة والأدب الأقدمين ، يبادلهم الرأي ، ويفاوضهم الحديث ، ويرجح ويوازن ، وتتراءى في تعليقاته صورة الميمني العالم الشيخ المتمكن ، الذي أحاط بالكتب الأصول ، واطلع على مخطوطات التراث ، فهو يعزو الأقوال الى أصحابها ، ويردّها الى مظانها ، ويتألف النافر البعيد ليدنو به اليك . تذكر وأنت تسايره في حواشيه وتعليقاته قولهم : على الخبير سقطت . وختم الميمني كتاب التنبيهات بفهرس غريب اللغة ، ومظانّ مآخذ أبي القاسم على بن حمزة البصري [٢] . وقد تم نسخ التنبيهات وتصحيحه يوم الثلاثاء ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٥١ هـ / ٧شباط سنة ١٩٣٩ م ثم جهزه للطبع وأنفذه بعد ١٤ عاماً ، في صفر الخير سنة ١٣٧٢ هـ/تشرين الثاني ١٩٥٢ ، ثم لم يقدر طبعه حتى عام ١٩٦٧ م [٣].

كان هذا الكتاب يمثل في رأي الميمني « القمة التي بلغها جهده، لا في تحقيق واحياء النصوص القديمة فحسب ، بل في مباراة العلماء الاعلام في آرائهم ، والاحتجاج لهم وعليهم على طريقتهم هم ، كما يتضح ذلك لمن يتعمق في حواشي الكتاب المركزة الوجيزة » [٤] .

ــ وتعدُّ مقالة : « من نسب الى أمه من الشعراء » من أواخر ما نشر الاستاذ الميمني [٥] . وهي مقالة حررها الدكتور السيد محمد

---

(١) التنبيهات : ٦٩ ــ ٧٠

(٢) التنبيهات : ٣٥٥ ــ ٣٧١

(٣) التنبيهات : ٣٥٤

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٢ : ٥٨١

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٢ : ٥٨١ ــ ٦١٢ ، ٧٥٥ ــ ٧٨٣ (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م) .

يوسف [١] ، استخرجها من بطاقات أهداها اليه أستاذه وشيخه الأستاذ الميمني [٢] •

وظل الميمني يتابع مسيرته على قدر وسعه وطاقته ، وكانت صلته بمجمع اللغة العربية بدمشق الصلة الحميمة • وأهدى المجمع ما يرمز الى هذا الحب المقيم ، يملأ قلب الميمني ، أصفاه به • ولبّى أبو عمر نـداء ربه في نحو الساعة الثالثة من صباح يوم الجمعة السادس والعشرين من ذي القعدة ١٣٩٨ هـ (٢٧/١٠/١٩٧٨ م) في منزل ابنته بعد مرضٍ عانى منه ماعانى • وقد بلغ التسعين من عمره •

وان امرأ قد سار تسعين حجـة　　الى منهلٍ ، من ورده لقريبُ

خرج أبو عمر الميمني من هذه الدنيا مخفاً ، نقيّ القلب ، « فـلا تعلم نفس" ما أخفي لهم من قرة أعـين » •

★ ★ ★

لم يقدر لي أن ألقى الأستاذ الميمني في حياته ، فأصف مشاعري بمشهده ، وحديثه • عرفته من كتبه ومقالاته • ووصفه اخوان لي عرفوه من كثب ، وصحبوه حين قدم دمشق والقاهرة ، وقد تجمع لي مما قالوا أنه كان مهيب الطلعة ، فارع الطـول ، ودوداً لمن يأنس بـه ، متقـللاً في طعامه ، متخففاً في لباسه ، يؤثر الزي الهندي لبساطته ، وكان يحب المباسطة ويستملح الفكاهة والنكتة • يحب المشي ، ولطالما مشى الـى الربوة وكان يضمر لها حباً خاصاً ، بله حبه دمشـق • ويذكر الذاكرون أنه ما كان يذكر لفظ الربوة مجرداً ، بل مقروناً بالصفة التي أحبها لها :

---

(١) بلغني بأخرة ان الدكتور السيد محمد يوسف قد وافته منيته منذ اشهر ، وكان في رحلة بلندن ، تغمده الله بفضله ورحمته

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، مج ٥٢ : ٥٨١

« ربوة ذات قرار ومعين » . فاذا جلس مع أصحابه في مقهى من مقاهيها يستمتع بالمنظر الجميل ، أخذ يترنم بقول حميدة مع تغيير يسير في الفاظه ليلائم معناه :

شيوخُ دمشق وشبانها أحبُّ اليَّ من الغاليه

وكان ضنيناً بعلمه على من لا يستحقه ، فقد عانى من اولئك الذين أغاروا على كتبه ، وأخذوا عنه ، دون ان يشيروا اليه بكلمة ، فأصبح حـذراً شديد الحذر ، يوزع فوائده ونوادره في حواشي كتبه فاذا أنت مكره أن تتابع ما كتب لتصل الى هذه الفوائد ، وهو يكتم بعض ما يعلم ، يجمجم فيه ، لايكاد يفصح عنه ، حتى كأن ذلك أصبح له خلقا ، يقول في مقدمة رسالة الملائكة : « والرسالة ، وان كان سبق لها نشر ، الا أنـه لم يتنبه لهفيما أظن إلا شرذمة نزر ،على ان الطبعة كانت من التحريف والتشويه ، بحيث يمجها طبع كل خامل ونبيه ، ......ولا أدعي أنني برأتها من كل عيب ، ... وكيف ولم تصل يدي الى نسخة منها اخرى ... وقد بقي مع ما عانيته عدة أغلاط مطوية الرياط ، ... وبخزانة ليدن (هولاندة) منها نسخة ، فياحبذا لو تولى بعض المستعربين عِراض هذه عليها . ثم قدّر الله مقابلتها على نسخة خطية سدّت بعض الخلل ، وأنعشت مـن الزلل » (١) . فانت تراه لايذكر حتى النسخة المطبوعة التياعتمدها في طبعته ، ثم ينهي كلامه باطلاعه على نسخة خطية قابل مطبوعته بها ، ولكنه يكتم أمر هذه النسخة ، خشية اولئك النهابين ، المختلسين . ولازمـه الحذر في حياته كلها ، لايفارقـه الااذا ركن الـى صديق يثق بوفائـه واخلاصه . وقليل ما هم . ولعله عبّر عن كل ما يخالج صدره بكلمة له

---

(١) رسالة الملائكة : ٢

ختم بها مقالة يتحدث فيهـا عن مخطوطة نادرة ، قال : « أنا مزمع على بث سره ، ونشر خبيئة أمره ، لكل من استوثق منه بنشره واحيائه ، ان شاء الله » [١] .

ولعلك واجد في الكلمة التي سطرها الاستاذ السيد محمد يوسف بعنوان : « عبد العزيز الميمني كما عرفتـه » [٢] ما يكمل صورتـه في نفسك . لقد بذل ، رحمه الله ، ما بـذل ، في سبيل العربية ورفعتها ، ونشرها ، واحياء تراثها ، وحين ناداه الأجل

مضى طاهر الأثواب ، لم تبق روضة غداة ثوى الا اشتهت انها قبرُ

* * *

(١) مجلة المجمع العلمي العربي ، مج ٣٧ : ٥٢١

(٢) مجلة الأديب (اكتوبر ١٩٦٠) : ٥٣ — ٥٤

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الرابع من عام ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
فهرس الكتب العربية (الجزء الرابع)	جامعة البصرة	البصرة	١٩٧٨
أحكام الوقف في الشريعة الاسلامية (١ ــ ٢)	د . محمد عبيد الكبيسي	بغداد	١٩٧٧
ابن حجر ودراسة مصنفاته وموارده (الجزء الأول)	د . شاكر محمود عبد المنعم	»	١٩٧٨
الأشربة	الامام أحمد بن حنبل . تحقيق صبحي جاسم	»	١٩٧٦
اعتقاد أهل السنة والجماعة	عدي بن مسافر . تحقيق محمد علي العدواني ، ابراهيم النعمة	»	١٩٧٥

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
بديعيات الآثاري	نظم شعبان بن محمد القرشي الآثاري • تحقيق هلال ناجي	بغداد	١٩٧٧
البرهان الكاشف عن اعجاز القرآن	كمال الدين الزملكاني• تحقيق د • خديجة الحديثي، د • أحمد مطلوب	»	١٩٧٤
تاريخ مساجد بغداد الحديثة	يونس السامرائي	»	١٩٧٧
تصحيح الفصيح (الجزء الأول)	عبد الله بن جعفر بن درستويه • تحقيق عبد الله الجبوري	»	١٩٧٥
التحبير في المعجم الكبير (١ — ٢)	عبد الكريم السمعاني• تحقيق منيرة سالم	»	١٩٧٥
التعارض والترجيح بين الأدلة الشرعية (الجزء الأول)	عبد الله البرزنجي	»	١٩٧٧
تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب	ابن حيان الأندلسي• تحقيق د • أحمد مطلوب د • خديجة الحديثي	»	١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
التقفية في اللغة	اليمان البندينجي • تحقيق خليل العطيه	بغداد	١٩٧٦
ديوان العشاري	تحقيق عماد عبد السلام رؤوف ووليد الأعظمي	»	١٩٧٧
ربيع الأبرار (الجزء الأول)	الامام الزمخشري • تحقيق الدكتور سليم النعيمي	»	١٩٧٦
سوانح	د• محمد مهدي البصير	»	١٩٧٧
شرح أدب القاضي للخصاف (١ ـ ٣)	عمر بن عبد العزيز المعروف بالصدر الشهيد• تحقيق محيي هلال السرحان	»	١٩٧٨
شرح علل الترمذي	الحافظ عبد الرحمن ابن رجب الحنبلي • تحقيق صبحي جاسم الحميد	»	١٩٧٦
شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ •	ابن مالك • تحقيق عدنان الدوري	»	١٩٧٧
عقد المضاربة	ابراهيم الدبو	»	١٩٧٣
الفرائد الجديدة(١ـ٢)	عبد الرحمن السيوطي• تحقيق عبد الكريم المدرس	»	١٩٧٧

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
فصوص الحكم	أبو نصر الفارابي • تحقيق محمد حسن آل ياسين	بغداد	١٩٧٧
فقه الامام الأوزاعي (١ ــ ٢)	د• عبد الله الجبوري	«	١٩٧٧
فقه الامام سعيد بن المسيب (١ ــ ٤)	د • هاشم جميل عبد الله	«	١٩٧٥
فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل (١ ــ ٨)	سالم عبد الرزاق أحمد	«	١٩٧٨
الكشاف التحليلي لمجلة الرسالة الاسلامية القسم الأول للسنوات (١ ــ ٧)	جاسم محمد الجبوري	«	١٩٧٧
مشايخ بلخ من الحنفية	د • محمد محروس المدرس	«	١٩٧٨
المعجم الكبير (١ــ٢)	الحافظ أبو القاسم سليمان الطبراني • تحقيق حمدي السلفي	«	١٩٧٨
المعرفة والتاريخ (١ــ٣)	للفسوي • تحقيق الدكتور أكرم العمري	«	١٩٧٦

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر	مكان الطبع وتاريخه	
المقرب (الجزء الأول)	ابن عصفور • تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبد الله الجبوري	بغداد	١٩٧١
ملاحظات على الموسوعة الميسرة	د• علي جواد الطاهر	»	١٩٧٠
منهج البحث الأدبي	د• علي جواد الطاهر	»	١٩٧٦
وراء الأفق الأدبي	د• علي جواد الطاهر	»	١٩٧٧
الأصول العربية للدراسات السودانية	يوسف داغر	بيروت	١٩٦٨
أنساب الأشراف (القسم الثالث)	البلاذري• تحقيق د• عبد العزيز الدوري	»	١٩٧٨
تخميس مقصودة ابن دريد للأزدي	عبد الله الأنصاري • تحقيق عبد الصاحب الدجيلي	»	١٩٧٧
الرسم الهندسي (الجزء الأول)	محمد مفيد الخيمي	»	١٩٦٨
قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨ ــ ١٩٧٤	يوسف داغر	»	١٩٧٨
قلب ونار (قصص مؤلفة ومترجمة)	عبد الغني العطري	»	١٩٧٣

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر		
المرأة في عالمي العرب والاسلام	عمر رضا كحالة	بيروت	١٩٧٨
ملاحظات على وفيات الأعيان	علي جواد الطاهر	«	١٩٧٧
يوسف أسعد داغر : مراحل حياته وآثاره	يوسف داغر	«	١٩٧٨
المصطلحات المستخدمة في معامل الاسمنت	سي • اف • كلاوسين تعريب حسين رشدي ابراهيم باشا	«	١٩٧٨
الآيات البينات	نعمان الألوسي • تحقيق محمد ناصر الدين الألباني	«	١٩٧٨
وصف افريقيا	الحسن الوزان الزياتي	الرياض	١٩٧٨
الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي	فالح حسين	عمان	١٩٧٨
ادارة المحفوظات	أحمد الشامي	القاهرة	١٩٧٨
ببليوجرافيا مختارة عن بيت المقدس	د • عبد الرحمن زكي	«	١٩٧٨
تحليل سلوك المستهلك	محمد عبد الرحمن	«	١٩٧٨
تزويد المكتبات بالمطبوعات	د • شعبان خليفة	«	١٩٧٥
دور الاستشاريين في التنظيم	محمد عبد الرحمن	«	١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف أو الناشر		
ديوان البحتري (المجلد الخامس)	تحقيق حسن كامل الصيرفي	القاهرة	١٩٧٨
صورة العرب والاسرائيليين في الولايات المتحدة	د • ناديا سالم	»	١٩٧٨
عوائق تدريب وتنمية العاملين بشكل فعال	ساطع رسلان	»	١٩٧٨
فاعلية المنظمة	د • حنفي سليمان	»	١٩٧٨
قواعد وأساليب الخدمة المدنية	صلاح الدين محمد	»	١٩٧٨
معهد البحوث والدراسات العربية في عامين	معهد البحوث	»	١٩٧٧
المكتبات المتخصصة	د • أحمد بدر وحشمت قاسم	»	١٩٧٣
الموازنة والتخطيط للتنمية	د • محمد سعيد أحمد	»	١٩٧٨
الندوة العلمية عن المضمون السياسي للحوار العربي الأوربي	د • حامد ربيع	»	١٩٧٨
نظم المحاسبة والتمويل	يوسف سعادة	»	١٩٧٨

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في سنة ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

الأعضاء العاملون

الاسم	تاريخ دخول المجمع	الاسم	تاريخ دخول المجمع
الدكتور حسني سبح « رئيس المجمع »	١٩٤٦	الدكتور أمجد الطرابلسي	١٩٦١
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٢٣	الأستاذ وجيه السمان	١٩٦٨
الأستاذ شفيق جبري	١٩٢٦	الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٦٨
الدكتور حكمة هاشم	١٩٥٢	الدكتور ميشيل الخوري	١٩٧١
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٥٨	الدكتور شاكر الفحام « نائب الرئيس »	١٩٧١
الدكتور عدنان الخطيب	١٩٦٠	الدكتور هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور شكري فيصل	١٩٦١	الدكتور عبد الكريم اليافي	١٩٧٧
الأستاذ محمد المبارك	١٩٦١	الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٧٧

الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (١)

المملكة الأردنية الهاشمية		جمهورية تونس	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩	الأستاذ محمد مزالي	١٩٧٨

---

(١) ذكرت الأقطار حسب الترتيب الهجائي، والأسماء حسب الترتيب الزمني .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة ١٩٧٢
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي ١٩٧٢

المملكة العربية السعودية

الأستاذ حمد الجاسر ١٩٥١

الجمهورية العربية السورية

الأستاذ محمد سليمان الأحمد ١٩٤٥
الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٤٨
الدكتور قسطنطين زريق ١٩٥٤

الجمهورية العراقية

الشيخ محمد بهجة الأثري ١٩٣١
الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٤٨
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٤٨
البطريرك أغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٦٩
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٦٩
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٦٩
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ١٩٧٣
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ١٩٧٣
الدكتور إبراهيم شوكة ١٩٧٣
الدكتور عبد اللطيف البدري ١٩٧٣
الدكتور جميل الملائكة ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣
الدكتور محمود الجليلي ١٩٧٣
الدكتور فاضل الطائي ١٩٧٣
الدكتور جميل سعيد ١٩٧٣
الدكتور سليم النعيمي ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز البسام ١٩٧٣
الدكتور صالح أحمد العلي ١٩٧٣
الدكتور يوسف عز الدين ١٩٧٣
الأستاذ محمد تقي الحكيم ١٩٧٣
الأستاذ طه باقر ١٩٧٣
االدكتور صالح مهدي حنتوش ١٩٧٣

فلسطين

الدكتور إحسان عباس ١٩٧٢

الجمهورية اللبنانية

الدكتور صبحي المحمصاني ١٩٤٨
الدكتور عمر فروخ ١٩٤٨
الدكتور فريد الحداد ١٩٧٢

الجمهورية العربية الليبية

الأستاذ علي الفقيه حسن ١٩٥٧

جمهورية مصر العربية

الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٧٢
الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٩٧٢

المملكة المغربية

الأستاذ عبد الله كنون ١٩٥٦
الأستاذ الأخضر غزال ١٩٧٨

الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

إسبانية

الأستاذ غومز (إميليوغارسيا) ١٩٤٨

إيران

الدكتور علي أصغر حكمة ١٩٥٧
الدكتور محمد جواد مشكور ١٩٧٧

إيطالية

الأستاذ جبريلي (فرانشيسكو) ١٩٤٨

باكستان

الأستاذ يوسف البنوري ١٩٥٥
الأستاذ محمد صغير حسن معصومي ١٩٦٦

البرازيل

الأستاذ رشيد سليم الخوري ١٩٥٧
(الشاعر القروي)

الدانيمرك

الأستاذ بدرسن (جون) ١٩٢١

السويد

الأستاذ ديدرنغ (س) ١٩٥٦

فرنسة

الأستاذ كولان (جورج) ١٩٣١
الأستاذ لاوست (هنري) ١٩٤٢

فنلاندة

الأستاذ كرسيكو (اهتنن) ١٩٢٣

المجر

الدكتور عبدالكريم جرمانوس ١٩٦٦

النمسا

الدكتور موجيك (هانز) ١٩٢٨
الدكتور أشتولز كارل ١٩٥٤

الهند

الأستاذ آصف علي أصغر فيضي ١٩٥٦
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي ١٩٥٧

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق الراحلون

آ ـ الأعضاء العاملون

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٤
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
السيد محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي « رئيس المجمع »	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي « نائب الرئيس »	١٩٥٦
الأستاذ عيسى اسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك « رئيس المجمع »	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي « نائب الرئيس »	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي « رئيس المجمع »	١٩٦٨
الأستاذ الأمير جعفر الحسني « أمين المجمع »	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

ب ـ الأعضاء المراسلون الراحلون

من الأقطار العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل بن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الابراهيمي	١٩٦٥

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن	

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨
الأب جرجس منش	١٩٢٧
الأستاذ جميل العظم	١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي	١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط	١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال	١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي	١٩٤١
الشيخ سليمان الأحمد	١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني	١٩٤٣
الأستاذ ادوار مرقص	١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري	١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي	١٩٥٦
الشيخ محمد زين العابدين	
الشيخ محمد سعيد العرفي	١٩٥٦
المطران ميخائيل بخاش	١٩٥٨
البطريرك ماراغناطيوس افرام	١٩٥٧
الأستاذ نظير زيتون	١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي	١٩٦٩

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي ١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي ١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي ١٩٤٦
الأب أنسطاس ماري الكرملي ١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي ١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي ١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي ١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري ١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي ١٩٦٩
الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي ١٩٧١
الشيخ كاظم الدجيلي ١٩٧٢
الأستاذ كمال ابراهيم ١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف ١٩٧٧

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق
الشيخ خليل الخالدي ١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص ١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني ١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر ١٩٥٧
الأب ا.س مرمرجي الدومنيكي ١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان ١٩٧١

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم ١٩٢٥
الأب لويس شيخو ١٩٢٧
الأستاذ عباس الازهري ١٩٢٧
الشيخ عبد الله البستاني ١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط ١٩٣٠
الأستاذ عبد الباسط فتح الله ١٩٢٩
الشيخ مصطفى الغلاييني ١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري ١٩٤٦
الأستاذ بولص الخولي
الأستاذ أمين الريحاني ١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني ١٩٤١
الأمير شكيب أرسلان ١٩٤٦
الشيخ إبراهيم المنذر ١٩٥١
الشيخ أحمد رضا العاملي ١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرازي ١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب ١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض ١٩٥٨
الشيخ سليمان ضاهر ١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود ١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري ١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة ١٩٧٦
الأستاذ انيس المقدسي ١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم ١٩٧٨

جمهورية مصر العربية			
الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤	الأستاذ خليل مطران	١٩٤٩
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥	الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	١٩٤٩
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧	الأستاذ محمد لطفي جمعة	١٩٥٣
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠	الدكتور أحمد أمين	١٩٥٤
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢	الأستاذ عبدالحميد العبادي	١٩٥٦
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤	الشيخ محمد الخضر حسين	١٩٥٨
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢	الدكتور عبد الوهاب عزام	١٩٥٩
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢	الدكتور منصور فهمي	١٩٥٩
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥	الأستاذ أحمد لطفي السيد	١٩٦٣
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥	الأستاذ عباس محمود العقاد	١٩٦٤
الأستاذ أحمد الاسكندري	١٩٣٨	الأستاذ خليل ثابت	١٩٦٤
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣	الأمير يوسف كمال	١٩٦٦
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧	الأستاذ أحمد حسن الزيات	١٩٦٨
الدكتور أمين المعلوف	١٩٤٣	الدكتور طه حسين	١٩٧٣
الشيخ عبد العزيز البشري	١٩٤٣	الدكتور أحمد زكي	١٩٧٥
الأمير عمر طوسون	١٩٤٤	**المملكة المغربية**	
الدكتور أحمد عيسى	١٩٤٦	الأستاذ محمد الحجوي	١٩٥٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق	١٩٤٧	الأستاذ عبد الحي الكتاني	١٩٦٢
الأستاذ أنطون الجميل	١٩٤٨	الأستاذ علال الفاسي	١٩٧٣

جـ ـ الاعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الاخرى

الاتحاد السوفييتي

الأستاذ كراتشكوفسكي (أ)	١٩٥١	الأستاذ برتلز (ايفيكين)	١٩٥٧

اسبانية

الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) ١٩٤٤

المانيـة

الأستاذ هارتمان (مارتين) ١٩١٨
الأستاذ ساخاو (ادوارد) ١٩٣٠
الأستاذ هورو فيتز (يوسف) ١٩٣١
الأستاذ هوميل (فريتز) ١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (اوجين) ١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
الأستاذ فيشر (اوغست) ١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل) ١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريشارد) ١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت) ١٩٧١

إيران

الشيخ أبو عبد الله الزنجاني ١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال ١٩٥٥

إيطالية

الأستاذ غريفيني (اوجينيو) ١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون) ١٩٢٦
الأستاذ جويدي (اغنازيو) ١٩٣٥
الأستاذ نالينو (كارلو) ١٩٣٨

باكستان

الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي ١٩٧٨

البرازيل

الأستاذ سعيد أبو جمرة ١٩٥٤

البرتغال

الأستاذ لوبس (دافيد) ١٩٤٢

بريطانية

الأستاذ ادوارد (براون) ١٩٢٦
الأستاذ بفن (انطوني) ١٩٣٣
الأستاذ مرجليوث(د٠س٠) ١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز) ١٩٥٣
الأستاذ غليوم (الفريد) ١٩٦٥
الأستاذ اربري (ا٠ج) ١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون ا٠ر) ١٩٧١

بولونية

الأستاذ كوفالسكي ١٩٤٨

تركية

الأستاذ أحمد أتش
الأستاذ زكي مغامز ١٩٣٢

تشيكوسلوفاكية

الأستاذ موزل (ألوا) ١٩٤٤

الدنيمرك

الأستاذ بوهل (ف٠م٠ب٠) ١٩٣٢
الأستاذ استروب (ج) ١٩٣٨

السويد

الأستاذ سترستين (ك٠ف) ١٩٥٣

سويسرة

الأستاذ مونته (ادوارد) ١٩٢٧
الأستاذ هس (ح٠ح) ١٩٤٩

فرنسة

الأستاذ باسيه (رينه) ١٩٢٤
الأستاذ مالنجو ١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان) ١٩٢٧
الأستاذ كي (ارتور) ١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلّير) ١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان) ١٩٤٢
الأستاذ فران (جبرائيل) ١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم) ١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه) ١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس) ١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري) ١٩٧٠
الدكتور بلاشير (ريجيس) ١٩٧٣

المجر

الأستاذ غولدصهير(اغناطيوس)١٩٢١
الأستاذ ماهلر (ادوارد)

الهند

الحكيم محمد أجمل خان

هولندة

الأستاذ غور غرينه (سنوك) ١٩٣٦
الأستاذ اوراندوك (ك٠)
الأستاذ هوتسما (م٠ت) ١٩٤٣
الأستاذ شخت (يوسف) ١٩٧٠

الولايات المتحدة الامريكية

الأستاذ ماكدونالد (د٠ب) ١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست) ١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج) ١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد) ١٩٧١
الدكتور فيليب حتي ١٩٧٨

ع٠خ٠

فهرست الجزء الاول من المجلد الرابـــع والخمسين

المقــالات

ص

التعريف والنقـــد

آراء وانبـــاء

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

((مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً))



جمادى الأولى ــ ١٣٩٩هـ

نيسان « ابريل » ــ ١٩٧٩م


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بقايا الفصاح

الأستاذ شفيق جبري

قد تلجأ العامّة إلى لفظة ٍ فصيحة فتقلب معناها من وجه ٍ إلى وجه ٍ ، وتقبّح هذا الوجه أشدّ تقبيح ، من ذلك لفظة : فطس ، لاحاجة بنا إلى الإتيان على معاني هذه اللفظة بمجامعها ، ولكنّا نقف على معنى واحد منها ، يقال : فطس يفطس بكسر عين المضارع أي مات الّا أن العامّة لا تقتصر على الموت وحده ولكنها تجعل لهذا الموت أقبح صورة ، فإذا عُرف رجل بسوء خلقه أو بشدّة أذاه أو بما يقرب من هذا كله ومات هذا الرجل فإنهم لا يقولون : مات وإنما يقولون : فطس ، وفي قولهم هذا شيء كثير من الشماتة أو من الفرح أو من أشباه هذه الأمور ، فكأنهم يعبرّون باستعمالهم فعل : فطس عن سلامتهم من شرّه ، أما إذا مات رجل صاحب أخلاق حسنة فإنهم لا يقولون فيه : فطس ، وإنما يقولون مات ويطلبون له الرحمة ، وقد اشتقوا من لفظة : فطس ، لفظة ثانية وهي الفطيسة ، فكأنهم يريدون بهذا الاشتقاق الدابّة الميتة ، الملقاة على الأرض ولها الرائحة الكريهة ، أفرأينا الصلة بين قولهم : فطس وبين الفطيسة ، فكأن الرجل الذي يكرهونه يصبح في نظرهم كالفطيسة وقد ورد في اللغة : الفطّيسة بتشديد الطاء : أنف الخنزير أو أنفه وما والاه ، غير أن العامة لا تشدّد الطاء في هذه اللفظة .

لننتقل الآن إلى مادة ٍ ليس فيها شيء من القبح ، فمن الألفاظ المستفيضة في لغة العامّة لفظة : الفرجة وهم يريدون بها كلّ مشهد ٍ تقرّ به العين وينشرح به الصدر ويدخل السرور على القلب ، فلنرجع إلى أصل هذه

المادّة ، نجد في اللغة فرّج الله الغمّ كشفه ، والفرجة التقصّي من الهمّ أي التخلّص منه ، وعلى هذا الوجه نجد أن الفرجة العامية والفرجة الفصيحة متقاربتان وإن كانت الفرجة العامية لم تطلق في القديم على المعنى الواسع الذي أطلقت عليه في أيامنا ، وكيف كان الأمر فإن التخلّص من الهمّ إنما هو قرّة العين وانشراح الصدر .

ومن الألفاظ الحيّة في لغة العامّة لفظة : التهريج ، ماذا نجد في اللغة ؟ يقال : هرج الرجل في الحديث أفاض وأكثر وخلّط فيه ، والمرَج بفتح الراء الاختلاط والاضطراب وإذا قالوا : الهرج والمرج سكّنوا راء المرج وهذا التسكين أخفّ على الأذن من أن تبقى راء المرج مفتوحة وراء الهرج ساكنة ، فالهرج والمرج فصيحتان ومعناهما العامي مطابق لمعناهما الفصيح في القديم فإذا كان الهرج والمرج يراد بهما كثرة الكلام والتخليط فيه فالعامّة تريد بالتهريج هذا النوع من الكثرة والتخليط وقد تتوسّع في معنى التهريج فتريد به الكلام الذي لا جدّ فيه ولا صواب رأي ، إلّا أن التهريج في البعير على نحو ما جاء في اللغة الفصيحة إنما هو حمله على السير في الهاجرة حتى يسدر ، أي يتحيّر ، من شدّة الحرّ كالاهراج ، وزجر السبع والصياح به إلى آخر ما جاء في تفسير هذه اللفظة . وإذا كانت العامّة تطلق على المضحك من الناس و المكثر من الكلام لفظة : المهرّج فاللغة الفصيحة وضعت الهرّاج على وزن شدّاد لما يقرب ممّا تقصده العامّة ، والهراجة الجماعة يهرجون في الحديث .

قد تشيع على ألسن العامّة في بعض الأوقات ألفاظ لها معنى يختلف عن المعنى الذي جاء في اللغة الفصيحة ، ولست أدري هل من السهل تعليل هذا الأمر ، من ذلك مثلاً قول العامّة : نُدفّش أيامنا تدفيشاً ،

وهم على ما يظهر يريدون بذلك أنهم يقضون أيامهم دون شيء من اللذّة والسرور ، ماذا نجد في اللغة ، نجد أن الدفشة بالفتح دويبة رقطاء أصغر من القطاة أو طائر أرقش ، والدفش كالنفش ، والنفش إنما هو تشعيث الشيء بأصابعك حتى ينتشر ، كالتنفيش ، ولها معانٍ ثانية لا حاجة بنا إلى ذكرها في هذا المقام ، فإذا كان معنى الدفش مثل معنى النفش أي تشعيث الشيء بالأصابع حتى ينتشر فهل يجوز لنا أن نتوسّع في التعليل على سبيل المجاز ، فإذا قلنا : ندّفش أيامنا تدفيشاً حتى تمر فكأنّا نشعث الأشياء بأصابعنا حتى تنتشر ، وفي كل حال هذا رأي لا أقطع به ولكنّا نستطيع أن نقول : إن الدفش فصيحة وإن لم يكن لها في لغة العامّة المعنى الذي جاء في اللغة الفصيحة .

وقد نجد في لغة العامّة في كثيرٍ من الأحوال ألفاظاً فصيحة في أصلها ولكن العامّة جعلت لها معنى يختلف عن معناها الفصيح القديم ومهما نتوسع في التعليل فقد يصعب علينا في بعض الحالات الاهتداء إلى السبب في هذا الاختلاف ، فمن أقوال العامّة : اسمع وسطّح ، بتشديد الطاء . وهم يريدون بذلك إذا سمعت حديثاً لا يعجبك أو فيه شيء من البعد عن الصواب أو ما شابه ذلك فلا تبالِ بهذا الحديث فاطرحه وأهمله ولا تشغل به فكرك ، فإذا رجعنا إلى مادة السطح في اللغة فإنا نجد أن السطح إنما هو ظهر البيت وأعلى كل شيء ونجد أن : سطحه معناها : بسطه وصرعه ، وأضجعه ، وسطح سطوحه بالتشديد : سوّاها إلى آخر ما جاء في تفسير هذه المادة ، فالذي يهمنا من كل ذلك إنما هو : التسطيح ، فأي صلةٍ بين تسطيح السطوح أي تسويتها وبين التسطيح الذي تريده العامة وهو إهمال ما نسمعه من كلامٍ لا يقع منّا موقعاً ، فكل ما نستطيع أن نقطع به في هذا

الباب أن مادّة التسطيح فصيحة وأن معناها في الحديث يختلف عن معناها في القـديم ، وإذا أردنا أن نتوسع بعض التوسع في التعليل ونقول : إذا كان تسطيح السطوح إنمـا هو تسويتها فقد يجوز أن يكون تسطيح الحديث الذي نسمعه إنمـا هو تسويته أي ردّه الى الحقيقة ، وقد يكون في هذا التوسّع شيء من الغلوّ فلنكتف بقولنا إن لفظة التسطيح إنما هي فصيحة لاغير .

وأخيراً فإن من كلام العامّة : فلان كلامه نتر ، أي كلامه شديد غليظ . وفي اللغة : النتر تغليظ الكلام وتشديده .

شفيق جبري

نظرة في
معجم المصطلحات الطبية
الكثير اللغات

للدكتور أ . ل . كليرفيل
نقله الى العربية الاساتذة مرشد خاطر
واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكراكبي

– ٤٠ –

الدكتور حسني سبح

12210 Segmentaire

١٢٢١٠ قِسْمي ، قِطَعي

وأفضل شُدْفِي

12212 Segmentation (cavité de) (embr.)

١٢٢١٢ التَّجَزُّء (جوف) (مُضْغَة)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة التَّشدف وهي الفضلى

12215 Séjonction (Wernicke)

١٢٢١٥ فَصْلٌ

وأرجح إنفِصال (فَرنيكه)

12225 Sel - tampon

١٢٢٣٥ مِلْح – وِقاء

وأفضل مِلْح رادِيء

12226 Sélection, élection

١٢٢٣٦ إنتِخابٌ ، إصْطِفاء

12237 Sélection naturelle

١٢٢٣٧ إنتِخابٌ طَبيعيٌ

12238 Sélectivité

١٢٢٣٨ خاصَّة الإنتِخاب ، انتِخابيَّة

وأفضل إصطِفاء في اللفظة الأولى ، والإصطفاء الطبيعي في الثانية ،وإصطِفائِيَّة وخاصة الإصُطِفاءفي الثالثة .

وسبـق للجنـة أن ترجمت (électif) بمُنْتَخَب (اللفظة ٣١٣٧)

12242 Selles décolorées

١٢٢٤٢ بِرازٌ زائِلٌ لونُه

وأرجح بِراز فاقِد اللّون أوبلَوْن الغَضار ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

12223 selles foncées, selles noires

١٢٢٤٣ بِرازٌ مُشْبَعُ اللّون ، براز أسود

وأفضـل برازداكِن [٢] بِراز قاتِم أو أسْوَد ، وبِراز القَطْران ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٣]

12244 selles d'inanition, fèces d'inanition

١٢٢٤٤ بِراز خَواءٍ

وأرجح بِرازٌ المَخْمَصَة ، غائِط المَخْمَصَة [٤]

12246 selles moulées

١٢٢٤٦ بِرازٌ مَصْبُوب (مَسْبوكٌ)

وأرجح بِرازٌ ذو شَكْلٍ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٥]

---

(١) (clay _ coloured stools)

(٢) في القاموس المحيط : الدكنة كظلمة لون الى السواد .

(٣) (tar - like stools)

(٤) الصفحة ٦٥٠ من المجلد الخامس والثلاثين من هذه المجلة .

(٥) (formed stools)

12247 selles pâteuses. v. selles mastic

١٢٢٤٧ بِرازٌ عجيني ، أنظر بِراز مُصطكي

وبِرازٌ لَزِج ،وبِرازٌ مُخاطي ولاصق ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

12248 selles en purée de poids

١٢٢٤٨ بِرازٌ كَهَرِيسة الحِمَّص

وأرجع بِراز كهريسة البِسِلَّة أو البِسّلى ،وبِرازٌ كَحِساء البِسِلّة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢]

12249 selles riches en hydrate de carbone

١٢٢٤٩ بِرازٌ غَنيٌ بماءات الفَحْم

وأفضل بِرازٌ كثيرُ ماءاتالكَرْبون [٣] ، طحيني أو نَشَوي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٤]

12250 selles riziformes

١٢٢٥٠ بِرازٌ كَحِساء الأرز

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة [٥] وأني ارى ترجمتها بِرازٌ كماء الرز أو كمنقوعه، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٦] وأرى ترك لفظة الأرز ترجمة لـ Cèdre)

---

(١) (viscous stools, mucous and adhesive stools)

(٢) (pea - soup stools)

(٣) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة .

(٤) (farinaceous stools)

(٥) الصفحة ٥٨٥ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٦) (rice - water stools)

12254 Semelle orthopédique

١٢٢٥٤ نَعْل تَجْبيري

والصحيح نَعْلٌ مُقوِّمَة [١]. والتَجْبير خاصٌ بكَسْر العَظْم [٢]

12261 Séminifère

١٢٢٦١ حامِل منِي

وأفضل نَاقِل المَني

12262 Séminipare

١٢٢٦٢ مُمْني ، مُوجِد المَني

وأرجحُ مُكَوِّن المَني [٣] أو مُولِّده

12264 Sémiperméable

١٢٢٦٤ رَغاب ، نِصْف نَفوذٍ .

وأفضل قَليلُ النُّفوذ أو نَفُوذ جُزْئياً

12265 Semis

١٢٢٦٥ بَذْر ، زُرْعَة ، نَتَش

بَذر ، وبادِرة في مجمع الالفاظ الزراعية .وسبق للجنة أن ترجمت (germination) بِنَتَش (اللفظة ٦٢٩٢)

12266 Semoule

١٢٢٦٦ بُرْبور ، بُرْغل دَقيق ، سَميذ

وأرجح سَميذ أو سميد

12267 Séné (feuilles de)

١٢٢٦٧ السَّنا (أوراق)

12268 Séné (follicules de)

١٢٢٦٨ السَّنا (أُجرِبَة)

وأفضل سَنا دون تعريف ، كما جـاء في معجم الالفـاظ الزراعية ، وثمارُ جرابية في اللفظة الثانية

---

(١) في القاموس المحيط: النَّعل ما أُوقيتَ به القدَم من الأرض كالنعلة مؤنثة

(٢) في تاج العروس : وجَبَر العَظْمَ من الكَسْر وجَبَّرهُ المُجَبِّر تجبيراً فجَبُرَ العَظْمُ

(٣) في لسان العرب : مَنَى الرَّجلُ وأمنى من المَني بمَعْنى ، واسْتَمْنى أي استَدْعى خروجه

12274 sense des attitudes

١٢٢٧٤ حاسّة الأوضاع

وأفضل حاسّة الوَضْعات. كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

12284 sensation fantômatique

١٢٢٨٤ حِسٌّ خَيالي

وأرجح حِسٌّ تَوَهُّمي

12286 sensation de l'intensité lumineuse

١٢٢٨٦ حِسُّ الحِدّة الضِيائيّة

وأفضل الشعور بالضوء أو إدراكه، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٢)

12288 sensation transférée

١٢٢٨٨ حِسٌّ مُتَحَوِّلٌ

وأفضل حِسٌّ مُنْتَقِل والحِسُّ المُنْعَكِس او الإنعِكاسي، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٣)

12290 sensations externes

١٢٢٩٠ حِسّيات خارجيّة

وأفضل مَشاعِر بادِية ومَشاعر خارجية واقِعيّة، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٤)

12291 sensations internes

١٢٢٩١ حِسّيات باطنة

وأرجح مَشاعر باطِنَة وشَخصيّة كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٥)

---

(١) (postural sense)

(٢) (sensation, sense of light, perception of light)

(٣) (referred, transferred, reflex, sensation)

(٤) (external objective sensations)

(٥) (internal subjective sensations)

12293 Sensibilisatrice (subtsance)
ambocepteur, corps immunisant, desmon, fixateur, immunisine, philocytase

١٢٢٩٣ مُحَسِّسَةَ (مادة) ،جامِعَة ، جِسْم مُحَصِّن ، مادّة مُحَصِّنة ، رابطة ، ضابِطة ، مُحَصِّنة ، خميرة خَلَوية
وأفضل المُحَسِّسة (المادة) في اللفظة الثانية ، ويضاف الى ما تقدم الجسم الوَسِيط و الجسم المُقاوم للحرارة ، كما جاء في الترجمـــة الانـكليزية من المعجم الأصلي [1]

12295 sensibilité cutanée

١٢٢٩٥ حَسّاسِية الجلد ، حَسُوسِيّة الجِلْد
وأفضل حَسُوسِيّة الجِلْد فقط

12296 sensibilité à la douleur

١٢٢٩٦ حِسّ بالألَم
وأفضل الشُعور بالألَم ، والتألم ، كما جاء في الترجمة الانـكليزية من المعجم الأصلي [2]

12297 sensibilité épicritique

١٢٢٩٧ حَسّاسِيّة ما بَعْد البُحْران
والصحيح الإحساس الرَّهِيف ، لأن ما تعنيه اللفظة إمكان الشعور ، وتحديد المكان الأدنى درجة من المثير من اللَمْس الخَفيف او الألم والحَرارة [3]

---

(١) (intermediary body, thermostable body)

(٢) (sensitiveness to pain, tenderness)

(٣) لفظة (epicritic sensitivity) في معجم بلاكستون Blackiston's New Gould Medical Dictionary

هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة بإحساس دَقيق ، وجاء في التعريف : وبه تدرك ادنى درجات الحس بأنواعها من ألم وحرارة وضغط وتعيين المكان

١٢٢٩٩ حِسّ بالضَغط ، رَزْن — sensibilité à la pression — 12299

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة[1] يضاف حِس الكَبْس والوَزْن ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [2]

١٢٣٠٠ تَحَسُّس عَميق — sensibilité profonde — 12300

١٢٣٠١ تَحَسُّس ذاتي أو خاص — sensibilité proprioceptive — 12301

وأرجح إحساس أو حِسّ عميق وإحساس ذاتي او خاص ، ولا أرى للفظة تَحَسُّس أن تكون لها الدلالة المطلوبة [3]

١٢٣٠٢ تَحَسُّس بَدء المَرض — sensibilité protopathique — 12302

والصحيح إحساس بدائي مَرضي وهو نقيض الإحساس الرَّهيف (sensibilité épicritique)الذي تقدم . وما تعنيه اللفظة هو النقص الطارىء على الحس بحيث يصبح الشعور بالمُنَبه أو المثير أو المُحرض للحس أو الحرارة ، بأدنى درجة ،ويتعذر معه تعيين مكانه ، وهو ما يبدو في الجلد وفي بعض الأحشاء ويعتبر عاملاً دِفاعياً ضد

---

(١) الصفحة ٥٨٦ من المجلد السادس والثلاثون من هذه المجلة

(٢) (baresthesia, pressure sense, sensibility for weight or pressure)

(٣) في لسان العرب تحسس الخبر تطلبه وبحثه

التَغيرات الطارئة على النُسُج [١]
هذا وأقر بجمــــع اللغة العربية في القاهرة ترجمة اللفظة
بإحساس أولي واكتفى في التعريف : لايكون مميزا .

12306 sensible

١٢٣٠٦ مَحّسوس ، حَسّاس
وحسي ، كمــــا جاء في الترجمة الانــكليزية من المعجم
الأَصلي [٢]

12307 sensible à la pression, à la compression

١٢٣٠٧ حسّاس بالضَغْط ، بالعَصْر
وأرجح حَسَّاس بالضغط ، وبالانضغاط وبالكبس

12310 Sensorium

١٢٣١٠ مركز الاِحتِساسات
وأفضل مركز الحس ، مركز العَصَب الحسي

12311 Sensualité

١٢٣١١ تَلذُّذ ، حُبُّ الشَّهَوات
وأفضل الشَهْوانِيَّة

12315 sentiment désagréable

١٢٣١٥ عاطِفة مُستَنْكَرة ، مكروهة
وافضل شُعور مُنْكَر

12316 sentiment d'évolution

١٢٣١٦ شُعور النـّشْوء
وارجح الشُّعور بالتَطَّور

21317 sentiment d'infamie, d'être un reprouvé

١٢٣١٧ شُعور بالاِفتضاح ، بالرَّذالة

---

(١) لفظة (protopathic sensibility) في معجمي درلند ـ بلاكستون
(٢) (sensitive)

وافضل الشعور بالعار ، الخوف من الفضيحة

12318 sentiment d'infériorité, complexe d'in fériorité

١٢٣١٨ شعور بالدناءة بالحقارة تصاغر ، تحاقر
وافضل الشعور بالصغار ، عقدة النقص او مركب النقص او الدونية |

12320 sentiment vital

١٢٣٢٠ عاطفة حيوية
والصحيح الشعور بالحيوية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [1]

12321 sentiment d'aversion

١٢٣٢١ عواطف مقت
والصحيح مشاعر المقت والكراهية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [2]

12332 Septivalent, ente

١٠٣٣٢ سباعي القيمة
سباعي التكافؤ ، كما اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة

12334 Septum crural

١٢٣٣٤ حاجز فخذى
وحاجز كلوكه ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [3]

12340 Sericine

١٢٣٤٠ سريسين
وغراء الحرير ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [4]

---

(١) (feeling of vitality)

(٢) (feeling of dislike, of disinclination, of aversion

(٣) (Cloquet's septum)

(٤) (sericin, silk-glue, silk-gelatin)

12342 série (en) ١٢٣٤٢ مَصفوفٌ ، على التَّسلسُل
وأفضل مُتَتَابِـع ، مُتَتَالٍ

12343 série grasse, acyclique ١٢٣٤٣ سِلْسَلة دَسِمَة ، ولا دَوْريَّة
وأرجح سِلْسِلة دُهْنِيَّة لاحَلْقيَّة ، كما اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة ، وأَلِيفَاتِيَّة كمـا جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (١)

12345 seringue intra-utérine ١٢٣٤٥ مِحقَنَة لِباطن الرَّحم
وأفضل محقَنة رحِمية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٢)

12350 Sérologie ١٢٣٥٠ عِلمُ المُصُول ، مبحث المصل
والمَصليات أيضاً

١٢٣٥١ ذو عَلاقة بعلمْ المَصْل
متعلق بالمصليات

12352 Séro-négatif, ve ١٢٣٥٢ سَلْبي مَصلِيّا ، مَصْلِيّا سَلبي

12353 séro-positif, ve ١٢٣٥٣ إيجابي مَصْلِيّا ، مَصْلِيّا إيجابي
وأفضل سَلْبي المَصْل في اللفظة الأولى وإيجابي المَصْل في الثانية

12354 séro-prophylaxie ١٢٣٥٤ وِقائية مَصْلية
وأفضل وِقاية بالمَصل (أي بالركون الى المصل)

12355 séro-réaction, réaction sérique
١٢٣٥٥ إنفعال مَصلي ، تَفَاعُلٌ مَصلي

---

(١) (aliphatic, fatty series)

(٢) (uterine syringe)

12356 séro-résistant, te ١٢٣٥٦ مُقاوِم المَصْل ، صَامِد للمصْل
وأرجح مُقاوِم المَصْل لاغير

12357 Sérosité ١٢٣٥٧ مُصالَة

12357 sérosité purulente ١٢٣٥٧ مُصَالةٍ قيحية
والسَّائل المصلي ومَصْل القيح ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

12358 sérosité obtenue par frottement (de la surface d'une plaie, d'un ulcère p. ex .)

١٢٣٥٨ مُصالَة مُستَحصْلَة بِدَلك (سَطْح جُرْح او قَرحة مثلاً)
مُصالة او سائل مَصْلي مأخوذ بَحْك (سطح الجروح او القرحة مثلاً)

12362 sérovaccination ١٢٣٦٢ إستِلقاح مَصْلي
والصَّحيح تَحصِين مَصلي لُقاحي ، لأن ما يقصد من هذا المصطلح هو حقن المرء بالمصل المَمَزوج باللُقَاح الجُرثومي،لإحداث المناعَتَين في البدن: المنفعلة بالأول والفاعلة بالثاني (٣)

---

(١) الصفحة ٧٣٧ من الجلد الثاني والخمسين من هذه المجلة
(٢) (seropus)
(٣) لفظة (serovaccination) في معجم درلند الطبي
Dorland's Illustrated Medical Dictionary

وأرجح إرتِكاس مَصْلي ، والإرتِكاس المَصلي [١]

12363 serpentin chauffé par la vapeur

١٢٣٦٣ مُتَحوٍ مُسَخّنٌ بالبُخار

وأرجح لَفيفَة بُخارِية ولَفيفة تَسْخِين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [١]

12365 Serrefine

١٢٣٦٥ مِكْرَبَة دَقيقَة

وأفضل مِمْسَك جَراحي او مِلْقط نابِض صغير ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [٢]

12366 Serre-nœd, anse froide

١٢٣٦٦ مِشَدّ العُقْدة

وأفضل مِمْسَك العُقْدة ، العُرْوَة الباردة، وسبق للجنة ان ترجمت لفظة (corset) بمشد (اللفظة ٣٣٢٨)

12367 Serum-albumin

١٢٣٦٧ آحِين المَصْل ، مَصْلين

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (albumin) بزلال [٣]

12370 serum antitoxique

١٢٣٧٠ مَصْل تِرْياق

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة لفظة تِرْياق ترجمة لـ (antidote) وجاء في الشرح : دَواء نافع من لَدْغ الهَوام والسُّموم . وأرجح مَصْل تِرياقي .

---

(١) (steam coil, heating coil)

(٢) (serrefine, surgical clamp, small spring forceps)

(٣) الصفحة ٦٤٨ من المجلد السابع والثلاثين من هذه المجلة

12375 sérum mélangé, provenant de plusieurs sujets

١٢٣٧٥ مَصْلٌ مَزِيجٌ حاصِلٌ من أناسي كثيرين
وأفضل مَصْل خَلِيط صادرٍ عن عدة أشخاص

12376 sérum polyvalent ١٢٣٧٦ مَصْل كَثِير القِيَم
وأفضل مَصْل كَثِير التكافؤ

12376 sérum prophylactique ١٢٣٧٦ مَصْل وِقائي
او مَصل واقٍ

12378 sérum thérapeutique ١٢٣٧٨ مَصْل دَوائي او عِلاجي
وشافٍ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [1]

12378 Service hospitalier ١٢٣٧٨ مَصْلَحة الإسْتِشْفاء

(1) (١) والصَّحيح أحد أقسام المستشفى ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [2]

12386 seuil rénal ١٢٣٨٦ عَتَبة كُلْوِيَّة
وأفضل عَتَبة الكُلْوة أو عَتَبة الكُلى وحدّ تسريب الكُلْوة، كما جاء الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [3]

12388 Sevrer ١٢٣٨٨ فَطَم ، فَصَل
وأرجح فَطَم ، أقلع عن (العادة) مَنَعَه عن عادة

---

(١) (therapeutic, curative serum)

(٢) (departement of a hospital)

(٣) (renal threshold, leak point of kidney)

كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

12390 Sexe — ١٢٣٩٠ شِق ، زَوْج

12391 sexe (du même) — ١٢٣٩١ الشِق (من ذات)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الجِنْس وهو الشائع، لذا ارجع الجِنْس في اللفظة الأولى والجِنْس (من — نفسه) في الثانية، لأن للشق معنى آخـر[١] .

12392 Sexivalent, ente — ١٢٣٩٢ مُسَدَّس القيمة

وافضل سُداسي التكافؤ

12393 Sexualité — ١٢٣٩٣ زَوْجية ، شِقيَّة ، تَناسُلية

12394 Sexué, ée — ١٢٣٩٤ تناسلي ، إزدواجي، شقيّ

12395 Sexuel, elle — ١٢٣٠٥ شِقي ، زَوْجي ، تناسُلي

وارجح جِنْسية ، تَناسلية ، وزَوْجية ، في اللفظة الأولى ، وجِنْسي وتناسلي في الثانية، وجِنْسي وتَناسلي في الثالثة[٢] .

12396 Sialogogue — ١٢٣٩٦ مُلعِّب ، مُسيل اللُّعاب

وارجح مُسيل اللُّعاب او مُفْرِز اللُّعاب

12397 Sialogogues — ١٢٣٩٧ مُلعِّبات ، مَلْحَزات

(١) (to wean from, to alter a habit, to forego the habit of)

(٢) في لسان العرب : الشِق بالكسر نصْف الشيء . أقول وتستعمل لفظة شِقي للدلالة على ما هو بادٍ في النصف الطولاني من البدن كالفالج الشِقي والخَدَر الشِقي والرَقَص الشِقي الخ .

وافضـــل مُفْرِزات اللُّعاب او مُسِيلاته ، وللتلحز معانٍ اخرى [١] .

12399 Sialorrhée, ptyalisme, flux salivaire,

١٢٣٩٩ سَيَلانُ اللُّعاب ، تَلَعُّب ، سَيَالة . لُعابِيَّة ، إلْعاب .

واقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الرُّوالِيَّة ، وجاء في التعريف: فرط إفراز اللُّعاب. وارجح سَيَلان اللُّعاب، الإلعاب ، وللرُّوال دلالات اخرى [٢] .

12400 Sibilenee

١٢٤٠٠ صغير

12401 Sibilant, ante

١٢٤٠١ صَافِر وصَفيري

(١) في لسان العرب : وتَلاحَز القَوْم تعارضوا الكلام بينهم ويقال رَجلٌ لِحْز بكسر اللام وإسكان الحاء ولَحِز بفتح اللام وكسر الحاء أي بَخيل . وتلاحز القوم في القول إذا تعارضوا ، إلى أن قال :والتَلاحُز تحاب فيك من أكل رمانة أو اجاصة شهوة لك .

(٢) في لسان العرب : الرُوال على فُعال بالضمّ اللعاب يقال فلان يَسيل رُوالهُ . ابن سيده، الرُوال والرَاؤول لُعابُ الدّواب وقيل الرُوال زَبَد الفَرَس خاصة إلى أن قال : والرائل والراؤول كل سن زائد لا تنبت على نبتة الأضراس. وذكر بعد ذلك ورَوَّلَ الفرسُ : ادلى ايبول وقيل إذا أخرج قضيبه ليبول والترويل أن يبول بولاً متقطعاً مضطرباً والمروّل الذي يسترخي ذكرُه ،وقال بعد ذلك الترول انعاظ فيه استرخاء وهو ان يمتد ولا يشتد .

وأرجح مُكاء في اللفظة الأولى وماكية في الثانية[١]

١٢٤٠٢ جَفُوف — 12402 Siccatif, ive

١٢٤٠٣ جَفوفيّات — 12403 Siccatifs

وافضل مُجَـفِـف في اللفظة الأولى و مُجفِـفّات في الثانية[٢]

١٢٤٠٤ صُعقَة ، عُطبَة — 12404 Sidération

١٢٤٠٥ عُطبَة ظُفرِية — 12405 sidération unguéale

وهما لفظتان مهجورتان بطل استعمالها كما جاء في اكثر المعجمات الطبية . وما تعنيه اللفظة الأولى هي :"[١] الغشي او الصُعاق والتلاشي المفاجىء لقوى الحياة ،وهذا المعنى مأخوذ من الزعم الباطل بتأثر هذه القوى بالنجوم او البروج السماوية ،[٢] المعالجة بالشرارات الكهربائية ،[٣]. اما اللفظة الثانية فتعني الضمور المباغت للأظافر ، كما جاء في معجم مانويلا [٤] لذا ارجح ترجمة للفظــة الأولى بالصُعاق والثانية بتوقف نمو الأظفار .

---

(١) وذلك لتخصيص لفظة صفير ترجمــة لـ (Siflement) كما فعلت اللجنة (اللفظة ١٢٤٠٩) وما يليها
في لسان العرب : المكاء التصفير مكاء الانسان يمكو مكواً ومكاء صفر بفية

(٢) من المتفق عليــه في المصطلحات الطبيــة تخصيص صيغة فعول الالفاظ المنتهية بـ (able) ولفظة جَفوف يعني ما يمكن تجفيفه

(٣) لفظة (sideration) في معجم درلند

(٤) Manuila. Dictionaire Français de M édecine et de Biologie

مدخل إلى فنون القول عند العرب القدماء

الدكتور عبد المجيد عابدين

مبادىء عامة في فنون القول عند العرب

أولاً – فنون القول وعلاقتها بفنون الايصال وبالفنون الصوتية والحركية ثم بقيادة المجتمع

تمهيد – ماذا نعني بفنون القول ؟

يبدو أن واضعي هذه التسمية أو هذا المصطلح ،آثروا أن يكون مطابقاً ما أمكن – للمصطلح الأوربي الذي يقابله وهو Art of diction ولفظ Diction بالانجليزية أو Diction بالفرنسية ، كلاهما مشتق من أصل لاتيني بمعنى «القول» . وكلاهما يدل في الانجليزية والفرنسية على معان تدخل في صميم الموضوع

الذي نحن بصدده ، فاللفظ يدل على معنى الالقاء والأداء وكيفية اختيار اللفظ واستعماله ، ولهـذا نرى أن وضع مصطلح (فنون القـول) على هذه الصورة في العربية ، له مايبرره ، هذا بالاضافة الى أنه أسهل تناولاً وأبسط تعبيراً من قولنـا مثلاً : فنون الأداء اللفظي ، أو الأداء القولي ، أو الإيصال الصوتي ، إلى غير ذلك من التسميات .

ففنون القول ، كما هو واضح مما سبق ، تـدل على الكيفيات والانظمة والانمـاط ذات الضوابط المختلفة التي يؤديها ويمارسها الانسان بصوتـه ، سواء أكان الكلام المؤدّى كلاما منثوراً أم منظوماً . وعلى هذا فان فنون إلقـاء الكلام في الحديث العادي ، في القراءة من مكتوب ، وفنون تـلاوة القرآن الكريم ، وفنون التسبيح والدعاء ، وفنون الأداء التمثيلي ، وفنون الإلقاء الخطابي ، وفنون الإنشاد ، وفنون الغناء ، هذه الفنون ، وهي ثماني مجموعات أو طوائف ، تندرج كلها تحت فنون القول ، وكل مجموعة أو طائفة منها تتمايز عن الأخرى في أنظمتها وأنماطها وضوابطها .

ا - علاقة فنون القول بفنون الايصال :

ماذا نعني بفنون الإيصال؟ ومانوع العلاقة أو الصلة بينها وبين فنون القول؟

عقدت مارجريت شـلاوخ أول فصل في كتابها : « هبـة الألسن » (٦٧ ص ١ - ١٨) لتتحدث فيه عن اللغـة من حيث هي دلالة على الافهام وإيصال المعاني (ص ١ - ١٨) وكذلك صنع الباحث اللغوي مـاريو باي Pei في كتابه « قصة اللغة The Story of Language » (ص ٩-٢٠)، إذ تحدث في الصفحات الأولى عن دلالات الإفهام غـير اللغوية وأنظمتهـا المؤدية الى ايصال المعاني الى الآخرين .

ومن هذين الكتابين نستخلص أن معرفة الدلالات التي تشير الى حالات نفسيةوأفكار لدى أصحابها تعتبر مدخلاًرئيسياً الى الدراسة اللغوية الحديثة، وذلك لان اللغة من أهم هذه الدلالات التي تكشف عن حالات الناطقين بها وافكارهم؛ولان اللغة من ناحية اخرى ، تستعين بدلالات غير لغوية ، كالحركة والاشارة وملامح الوجه ، وغير ذلك مما يضيف الى دلالة اللغة دلالات اخرى تكشف عن حالة الناطق وفكره . والدلالات غير اللغوية أنواع أو اصناف ، فمنها حركة اعضاء البدن كالرقص ونحوه ، ومنها ما يصدره الانسان من اصوات غير لغوية في حالات الفرح أو الحزن ، كالأنين والصياح والصفير ، وما يستعين بهوهو يعزف على آلةموسيقية او يضرب عليها . ومنها الاشارات التي يؤديها المرء برأسه أو عينيه أو لسانه أو يده مما يمكن أن يستدل به على حالة خفية في نفسه ، ومنها تغيير ملامح الانسان في بعض المواقف ، كأن يبتسم مثلا ، فيعبر بابتسامته عن حالة من الرضا او الحب او التملق أو السخرية أو الاحتقار أو الدهشة .

وهناك دلالات غير لغوية لا تستعين بها اللغة عادة . ومع ذلك ، فإن استقلالها عن التعبير اللغوي وبعدها عنه ، لا يقلل من أهميتها الذاتية في قدرتها على الكشف عن الحالات والافكار ، مثال ذلك العلامات الضوئية التي توضع عند مواقفمرور العربات ، إذ تقوم مقام اللغة في إفهام أصحاب العربات متى يواصلون السير ومتى يتوقفون . وكذلك العلامات التخطيطية أو التصويرية التي توضع في مفارق الطرق أو في ساحات اللعب ، فانها كفيلة بارشاد المسافر الى الطريق ، أو تحذيره من الوقوع في منحنى خطر أو توجيهه الى المناطق التي لا يتجاوزها.ومن الدلالات غير اللغوية ، من هذا النوع ، مخلفات الآثار الماديةالتي تركها الانسان منذ آلاف السنين ، كالرسو

الساذجة وأدوات القتال ، وأدوات الصيد والرعي ونحوهما ، والملابس والحلي والعقود ونحوها ، فهذه وأمثالها خير معين لعلماء الآثار اذ يستدلون بها على معرفة مستويات الحضارة وتقاليد المجتمعات ونظمها وعاداتها .

هذه لمحات سريعة مما أورده الكتابان في معالجة فنون الايصال ونظمها ودلائلها .

وليس الكلام في هذا الصدد بأمر جديد أو غريب على ما قاله بعض العرب القدماء ولعل أبا عثمان الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) من أسبق من نبه الأذهان الى هذه الفنون التي سماها (البيان) في كتابه البيان والتبيين (٩) إذ عرض لاصناف البيان ودلالاتها على المعاني ، وكلامه في هذا الشأن يكاد يتفق وما قاله اللغويون الاوربيون في فنون الايصال . وعندما وضع الجاحظ (البيان والتبيين) عنواناً لكتابه ،قصد من غير شك الى التفرقة بين اصطلاحيه ، على الرغم من صدورهما من مادة لغوية واحدة (ب ي ن) فجعل البيان اسماً لما يسميه المحدثون فن الايصال Art of communication وجعل التبيين للدلالة على شرحه وتوضيح طرقه ودلالاته. وفي الجزء الأول (ص ٧٦ نشرة ع. هارون) أورد تعريفا للبيان ورتب اصنافه حيث قال :« والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصوله كائناً ما كان ذلك البيان ، ومن أي جنس كان ذلك الدليل ، لان مدار الأمر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع ، انما هو الفهم والإفهام . فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع ..... »

«وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء

لا تنقص ولا تزيد : « أولها اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخطّ ، ثم الحال التي تسمى نصبة » .

« والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الاصناف ، ولا تقصر عن تلك الدلالات » .

« ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها ، وحلية مخالفة لحلية اختها ، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة ، ثم عن حقائقها في التفسير : وعن اجناسها واقدارها ، وعن خاصها وعامها ، وعن طبقاتها في السارّ والضارّ ، وعما يكون منها لغواً بهرجا ، وساقطا مُطَّرَحا » ا . هـ .

فالجاحظ بهذه العبارات المركزة ، يضع أساساً لدلائل (البيان) او الايصال كما يسميه الاوربيون ، اذ يقدم لهذه الدلائل تصنيفاً محكما ، يتضمن خمسة اشياء ، ويجعل أولاها : اللفظ ، و« اللفظ » هو مصدر في الاصل ، ولا يقتصر في مدلوله اللغوي على الكلام وحده ، بل كل ما يلفظه المرء من فيه ، فهو لفظ ، كالصيحة والتأوه والصفير ونحوه . « والعقد » ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد . وقد ورد في الحديث أنه « عقد عقد تسعين » (انظر تعليق ع . هارون ناشر البيان ١/٧٦) . « والخط » يتضمن خط الكتابة ، وكل ما يرسم المرء بيده من علامات وحدود . « والحال » التي تسمى نصبة « وتسمى » أي تمين ، بالبناء للمعلوم) ، أراد الحال التي تظهر للرائي في علامات معينة . « والنصبة » ما ينصبونه لمعرفة الطريق ونحوه ، فمن هذه العلامات يستدل الرائي على حالة المرء ، ونفسيته .

ومن الواضح،عند موازنة قول الجاحظ بما قاله المحدثون اللغويون،أن هناك تشابهاً بينهما من حيث المبادىء العامة لهذا العلم ، كالتي تتعلق بأنواع ودلائل الإفهام أو الإيصال وتحديد بعض ضوابطها وأحكامها .

ولعل موضوعنا «فنون القول »يمثل قطاعا هاما من فنون ايصال المعنى، عن طريق الصوت اللغوي، وما أحوج الدارسين الى بحث هذا الموضوع من مختلف جوانبه ، فقلما وجه اليه الباحثون العرب عنايتهم ، إذ كان أكبر همهم منصرفا الى الكلمة المكتوبة سواءأكانت مروية أم مؤلفة ، شعراً كانت أم نثراً . وليس في المصادر القديمة مايدل على اهتمام المؤلفين والعلماء القدامى بفنون الأداء إلا ما قام به أهل الاداء والتجويد للقران الكريم من جهود قيمة في هذا الصدد : فقد تلقّى القراء القراءات القرآنية مشافهة عن مشايخهم خلفاً عن سلف ، ومارسوا قراءتها جيلا بعد جيل الى يومنا هذا . ولا جدال في أن هذا الجهد القيم الذي قاموا به قد حفظ جانباً هاماً من هذه الفنون من الضياع . وفيما عدا هذا لا نكاد نجد في مصادر تراثنا إلا إشارات خاطفة وشذرات قليلة عن فنون القول ، وكم كنا نود لو أن علماءنا القدماء ، الى جانب الجهود العظيمة التي بذلوها في خدمة الكلمة المكتوبة والخبر المدون،تنبهوا فيما كتبوه أو روَوْه الى تصوير طرق أداء الكلام المنثور والمنظوم في عصرهم ،ولو كانوا فعلوا ذلك لأبْقَوْا على جوانب هامة من تراثنا القيم ، وحفظوا لنا كيف كانوا يؤدون هذه الذخائر المدونة في كتبهم وكيف كانوا يلقون الكلام في محافلهم ، كيف كان الشاعر ينشد شعره ؟ وكيف كان الحادي يحدو إبله ، وكيف كان نساء المدينة مثلًا يتغنين أبيات الشعر عندما قدم عليهم الرسول ﷺ . لقدظلت هذه الرموز الكثيرة التي أوردها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الاغاني سراً

مغلقا الى عهد قريب ، حتى أتيح للمشتغلين بالموسيقى العربية ان يطلعوا على بعض آثار المدرسة العربية القديمة للغناء ، فكشفوا بعض غوامضها وحلّوا بعض رموزها .

ومع هذا ، فان مالايدرك كلــه لا يترك جله ، ودراسة فنون القــول عند العرب أمر تمسّ اليه الحاجة الى حد بعيد،حتى نبعث منها الآن مايمكن بعثه ، وإلا كان عرضة للضياع في متاهات الاهمال ، ومع هــذا كله ،فإن فنون القول ، هى فنون تقوم أولاً وقبل كل شيء على السماع المباشر . ولا سبيل الى فهم أصولها وقواعدها على وجههـــا الصحيح الا بالاستماع اليها ، فليس في مقدور مؤلف أو كاتب وقف على هذه الفنون ، وتبين انظمتها وطرق أدائها ، أن ينقل دقائق الاداء الصوتي الى المستمع ، وكـــل ما يمكن أن يحرزه الكاتب من نجــاح ، هو أن يقدم للقارىء مبادىء عامة تمهد لــــه الطريق وتهيئه للاستماع بنفسه الى هذه الفنون . هذا إذا كانت هذه الفنون ما ثلة بين أيدينا ، أو مسجلة نستطيـع أن نحصل عليهـا أو نستمع اليها ، أما إذا كانت في ذمة التاريـخ ، فإن الامر يزداد صعوبة ، ولا سبيل الى حلها إلا إذا حاولنا ، جهد المستطاع ، أن نسلك طريق المقارنات ، فنقارن الماضي المجهول بالحــاضر الذي نعيشه ، أو نقارن ماضياً غــير معروف بماضٍ معروف إلينا.

ولقد أدرك مؤلفو الموسيقى أهمية الاستماع في فهم الموسيقى ، والإحاطة بدقائق هذا الفن . وفي هذا يقول آرون كوبلاند Aaron Copland في كتابه « كيف تتذوق الموسيقى » (٤٠ ص ١١) (إن جميـع كتب فهم الموسيقى قد اتفقت على أنــه لا يمكن للانسان تنمية تذوقه لهــذا الفن بمجرد قراءته كتاباً عنــه ، فاذا أردت أن تزيد من فهمك للموسيقى فلا شيء يفوق في

الأهميــة استماعك اليها ولن تستطيع أن تجـد عن الاستماع بديلاً . وكل مـا تناولته في هــذا الكتاب وليــد تجربة ، إن أردت تحصيلها فلن يتيسر ذلك إلّا خارج نطاق قراءة هــذا الكتاب . بل إن قراءته قـــد تكون مضيعة لوقتك إن لم تعقد النيــة على المزيد من استماعك الى الموسيقى أكثر ممـا فعلت في المـاضي) .

ولاشك أن كلام كوبلاند هنا يصدق تمـاما على سائر فنون القول ، وليس على فن الاداء الموسيقي وحده .

ب ـ فنون القول والفنون الصوتية والحركية :

(١) الفنون الصوتية :

نقصد بالفنون الصوتية ما يؤدى عادة بالصوت البشري أو الصوت الآلي (الموسيقي) أو بهما معاً . فهي تعتمد اساساً على الصوت ، باعتباره المادة التي تستخدمها الفنون الصوتية . ومن الواضح ان فنون القول تعد فرعـــا من الفنون الصوتية او نوعا منها، والصوت البشري قد يكون لغويا ، كالمقاطع اللغوية التي تتألف من الحروف (الصوامت) والحركات (الصوائت)، وقد يكون صوتاً غير لغوي كالصيحات التي تصدر عن حالة انفعال او استرواح او نوم او نحو ذلك . اما الصوت الموسيقي فهو صوت ذو نغمات منتظمة ومنه الطبيعي ومنه الآلي : فالطبيعي قد يكون مبعثه الانسان او الحيوان أو الطبيعة ، فإذا صفق الانسان بيديه أو أحدث صفيراً بفمه ، او انطلقت اصوات النساء بزغاريدهن ، او سارت سيراً منتظما ناشئا من وقع اخفافها على الارض ، او اخذ العصفور يزقزق بصوت رتيب ، او تساقطت قطرات الماء منتظمة على جسم صلب، او تمايلت اغصان الشجر وقـــد هبت عليها

نسمات فأحدثت حفيفاً في اصوات هامسة رتيبة ، أو ترددت مطرقة الحداد على السندان على نحو منتظم ، فهذه وامثالها اصوات موسيقة طبيعية ، اما الصوت الآلي او الصناعي ، فهو الذي يصدر عن آلة موسيقية او عدد من الآلات . والموسيقى الآلية اربعة اصناف .

الصنف الاول :

الآلات الوترية ، ومنها العود والربابة والمزهر :

(انظر صورها في المصدر رقم ١٤)والعرب يقولون : ضرب فلان العود او المزهر او البربط او ضرب عليها ، ولا يستعملون الفعل ضرب مع الربابة والكمنجة ، وانما يقولون جرّ الربابة ، وجر الكمنجة ، لأن الربابة والكمنجة – وهما من جنس واحد – يجر عليهما بوتر القوس لتوليد النغم منها ، اما العود والمزهر والبربط – وكلها من جنس واحد – فهي يُضرب عليها بيد الضارب واصابعه . وللربابة والكمنجة انواع ، كما ان العود والمزهر والبربط انواع تندرج تحت جنس واحد . ويقال إن انواع الربابة والكمنجة هي اقرب الآلات الوترية الى الصوت البشري . وللدكتور محمود احمد الحفني مقال في مجلة الفنون الشعبية (٤٦)أثبت فيه ان الربابة اصل الآلات الوترية، وأوضح فيه ان العرب هم اصحاب الفضل في إحياء آلات القوس منذ عصور الجاهلية البعيدة ، كما فصل القول في انواع الرباب وطريقة استعماله في مختلف الاقطار العربية والاسلامية . اما مجموعة العود والمزهر والبربط ، فقد عرفها العرب في الجاهلية من جيرانهم ، من بلاد فارس غالبا ، اخذوها من الحيرة

في العراق ، وصار العود متداولا بين المغنين منذ الجاهلية ، حتى العصور الاسلامية .

اعتمد الموسيقيون في تأليفهم على العود وحده ، فاستمدوا منه الامثلة التي ساقوها في شرح نظرياتهم في تأليف النغم وعلم الايقاع . وكل ما نعرفه في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني من مصطلحات في وصف اصوات المغنين والحانهم ، مثل النغم الثقيل والنغم الخفيف ومجاري البنصر وغيرها، فهو انما يتعلق بالعود العربي ، وهذه الآلة تمد عليها اربعة اوتار ، اغلظها (البم) بحيث يكون غلظه مثل (المثلث) الذي يليه مرة وثلثا ،(والمثلث) إلى(المثنى) كذلك ، و (المثنى) الى (الزير) كذلك .

وهناك فوارق طفيفة بين العود والمزهر والبربط ، وكان نساء العرب يعزفن عليها ، فكان اذا نبغ منهم شاعر عزفوا المزاهر ابتهاجاً به وتهنئة لنبوغه . والبربط كما يقول العرب لفظ فارسي او مركب من (بر) الفارسية بمعنى صدر و(بط) وهو اللفظ العربي للطائر المعروف ، ومعناه صدر البط لأن الآلة تشبهه (اللسان : بربط) .

الصنف الثاني :

آلات النفخ :

كالناي والبوق واليراعة والشيّاع والشبابة والمزمار . . ولفظ المزمار هو اسم جنس يدخل تحته الناي واليراعة والشياع فهذه كلها انواع من المزامير،وان اختلفت فيمابينها في الشكل والحجم والاستعمال ونوعالصوت. والناي فارسي الاصل ، يطلق على الناي المنفرد والناي المزدوج ، وهو من الخشب او المعدن . ويستعمل الناي في مناسبات الحرب والسلم ، وفي

حالات الحزن والابتهاج . اما اليراعة وجمعها يراع فهي من قصب الغاب ، لها ثقوب ، وينفخ فيها من الثقب وليس من ملتقمها - اي من فمها - بخلاف الناي الذي ينفخ فيه من ملتقمه . وتستعمل اليراعة في مناسبات السـلم فقط ، لان لصوتها حنينا ورقة تثير في القلوب رقة الهوى والوجد والأسى. ولذلك لم يكن العرب يستعملونها في مناسبات الحرب والقتال حتى لا يرقق صوتها القلوب . وقد يطلق العرب على اليراعة اسماً فارسي الاصل ، وهـو الشاهين ، وربمـا استعملها رعاة الماشية وحداة الابل ، وكانت الابل في زعمهم تحن الى صوتها . واقدم منها في الاستعمال : الشّياع وهو مزمار الراعي وحادي الابل ، وهو يشبه اليراعة في رقة الصوت وحنانه . الا ان العرب يؤثرون الشّياع على اليراع . وللشّياع اثر ديني قديم ، يرتبـط باله القوافل عند الساميين القدماء وهو (شيـع القوم) وسنشير الى ذلك في موضعه . اما الشبابة ، بتشديد الباء الاولى ، فلم تكن معروفة عند العرب الاوائل ، وانما استعملت في عصور متأخرة ، ولهذا اعتبروا الكلمة مولدة بدأ استعمالها بعد القرن الرابـع الهجري ، واشار المؤرخون الى انها كانت تستعمل في المحافل والاعراس والمناسبات الدينية ، واستعملها الصوفية في مجالسهم وأذكارهم .

اما البوق فهو آلة معقوفة تصنع عادة من قرون بعض الحيوان ، او من مادة معدنية ، وكثيراً ما استخدمت الشعوب هذه الالة في غـير الاغراض الموسيقية ، كالنفير ونحوه ، فقد استخدمت للتنبيه على حدث هام ، او الاشارة الى اعلان الحرب ، او التجمع والتأهب لعمل خطير . والى جانب هـذا استخدم البوق في الأداء الموسيقي ، وصوته ذو ضجيـج وضوضاء ، ولهذا يستعين به الموسيقي احيـاناً ، اذا اراد ان يكسب الصوت الموسيقي

مزيداً من القوة والجهارة، او احتاج الى صوت مميز يدل على بدايات الكلام وفواصله، أو أراد تحسين بعض نغمات صوته، بتمويجها وتجسيم ما فيها من اهتزازات .

والصنف الثالث :

آلات النقر ذات الاغشية المتذبذبة، كالدفوف بأنواعها . والدفوف من اقدم الآلات التي استعملها العرب في جاهليتهم، استعملها نساؤهم في مناسبات الحرب والسلم . وكثيرا ما يصحبها بعض أنواع المزامير التي تلائم المناسبة . والدّف عندهم اسم جنس يقع على انواع كثيرة وأسماء متنوعة . ويسّمون صوت الدّف عزفا : وضاربها الدفّاف، والدّفدَفة عندهم هي الاسراع في ضربات الدف، والاستعجال بها . ومن الدفوف كبار وصغار، وكلها مستديرة الصفحة التي يضرب عليها، الا ان أشكالها تختلف . وقد ظهرت في العصور المتأخرة دفوف كبار يسمونها الدرادك وهي خاصة بالمناحات، اما الدفوف الصغار فتستخدم عادة في مواكب الاعراس والمحافل العامة التي تشيع فيها البهجة والاستبشار . غير انها تتفق جميعاً في الوظيفة الصوتية، اذ أنها تساعد بنقراتها على تقوية النغم وضبط الايقاع .

ومن الدفوف ما يسمى بالطار، وهو إطار من الخشب أو المعدن، يشدُّ عليه غشاء من الجلد، ومنه طارات صغار وطارات كبار وقد يعلّق في حوافي الطارات أقراص صغيرة من المعدن تحدث في استعمالها أصواتاً من الصلصلة، وتسمى هذه الاقراص صلاصل، أو صراصر، بالراء أو اللام . وفي عصور متأخرة، استخدم المغنون وبعض الطرق الصوفية طارات كباراً من الخشب، غير أن طارات الصوفية لم تكن مصلصلة .

ومن الدفوف الغربال والطبلة . وكلاهما قديم عند العرب، وفي اللغة

الغِرْبال هو الدف ، شبّه به في استدارته . وفي الحديث النبوي (أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغِرْبال) . وكذلك الطبول ، عرف العرب منها أنوعاً فمنها الكبار والصغار ، فإذا كانت الطبلة ذات وجهين سميت الكَبَرَ وتجمع على أكبار ، وإذا كانت مخصّرة أي لها خصر دقيق ، سميت الكوبة . وأظن اللفظين الكَبَر والكوبة جاءا إلى العرب من بعض اللغات المجاورة لهم .

أما الصنف الرابع :

فهو آلات الدق ذات المادة الرنانة، كالنواقيس بأنواعها والقضبان .

و النواقيس كالأبواق تستخدم في أغراض غير موسيقية ، وأغراض موسيقية . فمنها ما يستخدم للتنبيه والاشارة ، كتلك التي يستخدمهاالنصارى في كنائسهم للدعوة الى الصلاة ، أو التي تستخدم في الوقت الحاضر في المدارس ومكاتب الأعمال ونحوها .

والعرب قديماً استخدموا منها أجراساً صغيرة كانوا يعلقونها في اعناق إبلهم فتحدث جلجلةً في أثناء تحركها أو سيرها . ويسمون هذهالاجراس (الجَلاجِل) . والجَلجَلة في اللغةصوت الرعد ، وقد شبه الشعراء القدماء صهيل الخيل بصوت الجلاجل .

أما القضبان فهي عيدان تتخذ من النَّبْع وهو شجر تصنع منه القِسيُّ والسهام ، ينبت في ذرى الجبال ، معروف بالمتانة واللين ، بعضها يشذب ويُراش ويُنْصَل ، ويصنع منه السهام والنبال ، وبعضها يشذب دون ان يُراش أو يُنْصَل ، ومن هذا الشجر تصنع أيضاً قِداح الميسر ، ومنه ايضاً تصنع هذه القضبان التي يضرب بها على مادةرنانة،

ويوصف القضيب بالحنين إذا ضرب به على قرص أو إناء من نحاس أو حديد.

وفي عصور متأخرة وردت العبارة « الطـّقـْطـَقة بالقضيب والمخـــدّة » والمخدّة كلمة مولدة معناها الوسادة التي يضطجع عليها النــائم ، ولكن يبدو أنها استعملت للدلالة على هذه المـــادة الرنانة التي يضرب عليها بهـذا العود ، فتحدث هذه الطـّقـْطـَقة .

وبالجملة فإن فنون القول عند العرب ، منذ القدم ،قد استعانت بسائر فنون الصوت ، بالموسيقى الطبيعية ، والآلية ؛ وبالصيحات المبهمة ؛ وكان من عادة العرب في الجاهلية ؛ واخوانهم الساميين من قبلهم ؛ إذا دخلوا معابدهم ان ينطلقوا بالضجيج والصياح ؛ وقد أشار القرآن الكريم إلى ما كان يصنعه العرب الأوائل ، حين كانوا يحجون الى البيت ، فيجعلون صلاتهم ودعاءهم ضجيجاً من الصفير والتصفيق « وما كان َصلاتـُهُم ِعندَ البيت إلا ُمكاءً وَتصْدِيَةً » (الانفال :٣٥) ولعل تأثير الصوت الموسيقي في نفوس العرب كان تأثيراً بالغ القوة والعمق ، حتى اعتقدوا ان الصوت الموسيقي الرخيم ، يجتذب اليـــه الجِنّ ويستدعيها ، وكان الغريض المغني ، في العصر الاموي ، يزعم أنه أخذ بعض ألحانه عن صوت من الجن . فكان يقول (سمعت البارحةَ صوتاً من الجن بترجيع وتقطيع ، وقد بنيت عليه صوت كذا لشعر فلان) (اغاني ط الساسي ٢٠ / ٣٠٥) وقد سمّى العرب الصوت الذي زعموا أنـه صـادر عن الجن عزيفاً فكان العرب يسمعونه فيعزفونه . وربما كان لتسمية الآلات الموسيقية التي كانوا يضربون عليها (معــازف)ارتباط بما تصوروه من عزيف الجن،ولهذا اعتقدوا في تأثـير أنغام هذه الآلات، وقدرتها السحرية على اجتذاب الجن اليها واستدعائها . وعندما جاء فلاسفة الإسلام، كالكندي والفـارابي وابن سينا ، وبحثوا في علوم الموسيقى ، اكـّدوا تأثـــير الصوت

الموسيقي في النفس الإنسانية ، ونوهوا بأهميته في التعبير عن أحوال النفس ، وكان منهم من استخدم الموسيقى في علاج بعض الامراض .

ولم يقتصر اهتمام العرب بفنون الصوت والعلاقات التي ربطت بينها ، على اهل الفن والفلاسفة وحدهم ، بل نجد من ائمة اللغة عالماً كأبي الفتح ابن جني يشارك – في حدود تخصصه – في اثبات العلاقة بين الصوت اللغوي والصوت الموسيقي من حيث صدور الصوت وتكوينه .

فقد اورد ابوالفتح ابن جني في كتابه (سر صناعة الاعراب) كلاما مسهبا أراد به ان يقرب الى اذهان المتعلمين كيف تصدر اصوات اللغة ، يعني الحروف والحركات ، من اعضاء النطق ، فشبه جهاز النطق بالناي ووتر العود قال (في ٣٠ ص٩) «شبه بعضهم الحلق والفم بالناي ، فان الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا . كما يجري الصوت في الانف غفلا بغير صنعة ، فاذا وضع الزامر ،أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين انامله ، اختلفت الأصوات ، وسُمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك اذا قطع الصوت في الحلق والفم ، باعتماد على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الاصوات المختلفة . ونظير ذلك – ايضاً – وتر العود ، فان الضارب اذا ضربه وهو مرسل ، سمعت له صوتاً . فإن حصر آخر الوتر ببعض اصابع يسراه ، أدّى صوتاً آخر ، فان أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ، ثم كذلك كلما أدنى اصبعه من أول الوتر تشكلت لك اصداء مختلفة إلا ان الصوت الذي يؤديه الوتر غفلاً غير محصور تجده ، بالاضافة الى ما اداه وهو مضغوط محصور ، أملس مهتزا . ويختلف ذلك بقدر قوة الوتر وصلابته وضعفه ورخاوته . فالوتر في هذا التمثيل كالحلق ، والخفقة بالمضراب عليه كأول الصوت من اقصى الحلق ، وجريان الصوت فيه غير محصور كجريان الصوت في الانف الساكنة ، وما يعترضه من الضغط والحصر بالاصابع كالذي يعرض

للصوت في مخارج الحروف من المقاطع . واختلاف الاصوات هناك كاختلافها هنا . وانما أردنا بهذا التمثيل الإجابة والتقريب ..

١٢ـــ الفنون الحركية

فنون القول هي فنون صوتية ، وللعرب عناية خاصة بهـــذه الفنون ، وعلى العكس من ذلك الفنون التشكيلية كالنحت والرسم والزخرفة وما إليها . فهذه لم تصادف من العرب الاوائل شيئاً من العناية . والسبب ، في رأيي ، يتلخص فيما يمكن ان نسميه بالباعث الحركي او الحيوي في إنشاء العمل الفني عند العرب الاوائل .

فالعربي لاتثير نزعته الفنية الا الكلمة التي تقترن بالحركة أو تواكبها، أو مشاهد الطبيعة الثائرة او التي تحرك في نفسه كوامن الشجن والذكرى . ومن ثمّ تفوّق العرب في الفنون التي اقترنت اوامتزجت فيها الحركة بالصوت حتى بلغوا بها درجة عظيمة من الحيوية الموسيقية والتصويرية . فبينما نجد فنون الصوت والحركة تزدهر على أيديهم ، نجد الفنون التشكيلية لم تنشط في تاريخهم القديم . ولم يكن ذلك عن نقص طبيعي أو ضعف في حاسة التمييز بـــين الالوان والاشـــكال والحجوم ، وانما هو في نظري فرط التعلق بالحركة الموقعة التي سيطرت على نزعة العربي القديم ، ووجهت حياته ، وتحكمت في سلوكه ومزاجه ، حتى صار إنتاجه الفني مرتبطاً بمقدار ما تثيره الحركة في حسه ونفسه ، وما يحتويه العمل او المشهد من حيوية ونشاط . ولا جدال في ان حياته في البادية كان لها الاثر البالغ في تنمية هذه النزعة وتقويتها ، فالاستقرار عنده جمود ، والصمت عنـــده عجز ، والسكون عنده موت ، وهو دائب الحركة ، كثير التنقل من مكان الى مكان . لا يروقه من اعمال المعاش الا

ما كان مصحوبا بالحركة ، حركة السير وحركة التنقل وحركة الاخذ والعطاء .
ومن أجل هذا زهد العربي القديم في انواع الممارسات التي تقيده بالمكان وقتا طويلا ، وتقيده بالاشكال الجامدة او الساكنة التي لاتتيح لعنصر الحركة — ولو من طريق الخيال والتصور — ان يعمل عمله فيها .

وقد انعكس هذا على لغته ، فكانت حصيلتها من التعبير عن الصوت والحركة اكثر واغنى وادق من حصيلتها المعبرة عن الالوان والاشكال والحجوم . ومعاجم اللغة شاهد على ذلك : فما اكثر ماورد منها من الفاظ تدل على الحركة فهناك فيض من الاسماء التي تعبر عن الفوارق الدقيقة بين انواع السير وطرقه على اختلافها ، وحركات الاجسام والاشارات ونحوها ، وما اكثر الالفاظ الدالة على دقائق الاصوات في مختلف درجاتها وانواعها ، فهناك ما يدل على الاصوات الناشئة من حركات الاجسام في الطبيعة ، وفي الحيوان والانسان ، وما يدل على الاصوات الناجمة عن الاحوال النفسية للأفراد والجماعات في اوقات الرضا او الغضب ، والامن او الخوف ، والصحة او المرض ، والفرح او الحزن . وما يعبّر عن الاصوات التي تصدر عن فرد أو جماعة من الناس وهم يزاولون اعمالهم ، او يتنازعون ، او يجهرون بالدعاء والنداء ، أو غير ذلك مما يعرض للمرء في معاشه ومعاملاته ومخاطباته (راجع مثلاً فقه اللغة للثعالبي -٣٦-٧٧-٨٠-١٧٢-٢٠٤) .

وعلى العكس من ذلك الألفاظ الدالة على الألوان والأحجام والأشكال الهندسية والزخرفية ، فهذه ليس لها من الوضوح والدقة والشمول ما للألفاظ الدالة على الصوت والحركة (بتصرف من مقال نشأة الوزن المقفى لعبد المجيد عابدين ص ٤٣ من مجلة جامعة أم درمان الاسلامية -٤٥ »

وإذا كان العربي لاتثير نزعته الفنية إلا الصورة الصوتية المصحوبة بالحركة ،

كما قلنا،فان لدينا هنا ، في فنون القول وأنظمتها ، شواهد كثيرة على الصلة الوثيقة التي ربطت بين القول والحركة . والواقع ان هذه الظاهرة ، وإن كانت موغلة في أعماق الحس العربي والنزعة الفنية عنده فانها لا تقتصر على العرب وحدهم ، ولا يكاد يخلو شعب من الشعوب من اصطناعها ، وللحركة المقرونة بالصوت اغراض شتى ، فهي تعطي العامل فسحة من الاسترواح من متاعب عمله الشاق ، وتبعث في الجندي نشاطا وهو يتقدم في المعركة على أصوات النشيد والغناء ، وتروي ظمأ العابد وهو يؤدي صلاته بين التكبير والترتيل والدعاء ، او يطوف حول الكعبة بالتلبية ويرفع يديه بالتضرع والابتهال .

والحركة – فضلا عن هـــذا كله – ذات وظيفة فنية ، مكملة للأداء الصوتي ، فهي تساعد على تعزيز الاداء وضبطه ،فاشارة الخطيب او الراوي بيديه ، والحركة الراقصة على انغام الموسيقى ، واطلاق اليدين بالتصفيق مع انغامها ، والضرب بالأرجل احياناً ، كل ذلك وسائل مساعدة لضبـــط الايقاع ، وتعزيز الاداء .

بل يكاد يتفق الباحثون اليوم على ان اقدم أوزان الكلام المنظوم عند العرب الاوائل ، وهو الرجز ، كان ثمرة تجارب استوحاها العرب من الحركة الموقعة او من عمل مركب تضافرت فيه فنون الصوت والحركة ، وقامت فيه الحركة الموقعة بدور رئيسي الى جانب الصوت . فالحركة الموقعة الناشئة من وقع أخفاف الابل في اثناء سيرها ، هي التي أوحت الى العرب الاوائل بوزن الرجز (نشأة الوزن المقفى ص ٤٢ ، ٤٨) .

غير ان تقاليد العرب التي توارثوها في الجاهلية عن اسلافهم اهل البادية، قد تحكمت في ممارسة هذه الفنون ، الصوتية والحركية ، وفرضت عليها شيئاً

من التقيد والتخصيص . فكان العربي الاصيل يمارس التعبير الحركي والصوتي في حدود ما سمحت به تقاليده ، فمارس الحداء والرّكبانية ، وأقبل على المفاخرة والمنافرة وانشاد الشعر ،ونحو ذلك مما ارتبط في حياته البدوية بمهنته ورحلاته ودفاعه عن قبيلته ، واظهار تفوقه في الكلمة المنطوقة . وفيما عدا هذه الفنون وامثالها مما لم تسمح به تقاليده ، كالغناء في محافل الافراح ومجالس اللهوّ ، والنياحة في المنادب والمآتم ، والرقص والزّفْن – والزّفْن نوع من الرقص يمتاز بالسرعة وتوالي الحركات – فقد تركها العربي الاصيل، وتخلّى عن مزاولتها حفاظاً على ما ورثه عن اسلافه من تقاليد ، تاركا للموالي والجواري ونساء القبيلة والصبية تلك الفنون التي تاباها عليه تقاليده . لقد كان للشاعر ان ينظم في الرثاء وان ينشد شعره ولكنه لا ينوح به في المنادب والمناحات ، وانما كانت النياحة من عمل النساء وكذلك كان الغناء من عملهن في الجاهلية ، وكان الرقص للعبيد والإماء .

م - فنون القول ومكانتها في قيادة المجتمع :

ومن الطبيعي ان نجد لميلهم الشديد الى التعبير اللغوي الذي يواكب الحركة او يمازجها ، اصداء عميقة وروابط وثيقة تربطه بالنُظُم والقيم الاجتماعية التي تميزهم ،حيث اخذت فنون القول تتبوأ مكانة رفيعة عند المستويات القيادية لمجتمعاتهم . فصار التفوق في ممارسة فنون القول ، او بعضها ، مؤهلاً ممتازاً لأصحابها يرشحهم لمراكز الرئاسة والقيادة في قبائلهم واقوامهم . وقد اشار المستشرق كارْلُو نلينُو في كتابه (تاريخ الآداب العربية ط ١٩٥٤ ص ٨١) الى شيء من ذلك حين قال (ومن الحَرِيّ بالذكر ان الالفاظ التي كان العرب يعبّرون بها عن [illegible] قوم من اقوامهم ، اعني السيد ،

والامير عند عرب نجد والحجاز، والقيل في انحاء اليمن ،اذا بحثنا عن اشتقاقها بمقارنة سائر اللغات السامية ، وجدنا أن معناها الاصلي انما كان : القائل ، او المتكلم) اهـ . ونضيف الى ما قاله نلـّينو ، ان لفظ (السيد) الذي أشار اليـــه يدل في اصل معناه على المحاورة وابداء الرأي ، ففي العبرية הִתְסַוֵּד (تسوّد) بمعنى ناقش، وفي السريانية (سود) أي أسرّ اليه بالقول ، وفي النقوش العربية الجنوبية، كالسبئية وغيرها ، كثيراً ما ورد لفظ مسود (م س و د) ، بمعنى مِنْبر الخطيب او المكان الذي يتكلم من فوقه ، وفي العربية الفصحى ذاتها يقال ساوَدَ فلان فلانا إذا غالبه في القول ومن المعروف في علم دلالة اللفظ أن المعنى في تغـيّر مستمر، وأن العوامل الاجتماعية من أهم المؤثرات التي تعمل على تغيـــير الدلالة ونقلها من حال الى حال ، وكان العربي القديم إذا ظهرت مقدرته على محاورة قومه ومساورتهم ، اعترفوا له بالسؤدد والسيادة وسوّدوه ، اي جعلوه سيدا . والامير ، من امر يأمر أمراً وفي العبرية אָמַר (بمعنى قال) . فالأمر في الاصل هو القول ، ثم تطورت دلالته في العربية ، الى الامر الذى هو ضد النهى فقالوا الأمير وهو الآمر او كثير الأمر.

والقَيْلُ عند اهل اليمن وجمعه أقيال ، معناه (القائل) او كثير القول، ويسمى ايضاً المِقْوَل . أضف الى هذه الالفاظ كلمـــة زعيم ، وهي من الزعم وهو القول، يكون حقاً ويكون باطلا، ثم اخذ الزعم معنى الكلمة التي ينطق بها المرء فيتحمل تبعاتها في ثقة لنفسه وكفالة لغيره ، ومن معانيهـا الوعد بالكفالة والضمان، وبهذا المعنى قد ينسب الزعم الى الله تعالى بمعنى انه صاحب الوعد الحق الذي يكفله ويضمنه وذلك كقول الشاعر يصف نوحاً :

نودِيَ قُمْ واركبَنْ بأهلك ا.. نّ . . الله موفٍ للناس ما زعما

وقول عمرو بن شأس :

تقول: هلكنا إن هلكتَ وانما على الله أرزاق العباد كما زعم

ومنه جاء قولهم الزعيم الكفيل ، وقال تعالى (وأنا به زعيم)[1] وزعيم القوم رئيسهم وسيدهم (اللسان : زعم) وقال التبريزى في شرحه على حماسة ابي تمام (ط بولاق ٧٧/٤) : (وسّمي الرئيس زعيما لانه يزعم عنهم اي يقول) . أضفْ الى هذا قولهم (الحاكم) و (الحكم)و (الحكيم)وكلها يرتبط اشتقاقيا بالحُكْمْ والحِكمة : وكلاهما من القول والكلام. وقالوا رجل أمثل، وطريقة مثلى، وسموا القدوة مثلاً ، وكلها مأخوذ من المثل الذي يقال ، وتطور الدلالة هنا يشبه تطورها في اللفظ المقابل لها في العبرية، وهو מָשַׁל ، بل ان العبرية صاغت اسم الفاعل منه מֹשֵׁל لتدل على الحاكم او الرئيس . وكذلك العرب في الجاهلية كانوا يسمون بعض آلهتهم بأسماء مشتقة من معنى القول والكلام ففي السبئية كان معبودهم (ألمقاه) يسمونه (ثهوان) ومعناها : القائــل او المتكلم . وبالجملة فان المقدرة الكلامية كانت عند العرب الأوائل أهم صفة تؤهل صاحبها لمراكز الرئاسة والقيادة . ويذكرنا هذا بكلمة قالها هتلر في العصر الحديث في كتابه (كفاحي) وهي تتضمن هذا المعنى .قال : (ان من يملك السيطرة على الكلمة المنطوقة هو القادر حقا على تملك زمام الحكم) (نقلا عن مقدمة ابراهيم انيس لكتاب م.م. لويس (اللغة والمجتمع) ترجمة تمام حسان (ط ١٩٥٩ ص ١١) .

---

(١) سورة يوسف ٧٢

ثانياً ـ أقسام فنون القول

والقول ، بمعناه الاصطلاحي الذي يقابـــل Diction يمكن تقسيمه باعتبارات شتى :

١ ـ ينقسم باعتبار أجناسه الى ثمانية اجناس :

(١) فالكلام العادي الذي يجري بـــين الناس مشافهة في حياتهم اليومية ، هــو أبسط اجناس هذه الفنون وأيسرها تناولاً . وتتفرع عنه انواع،منها المحادثة الجارية ، والحكايةالشعبية كـ(الحدوتة)ونحوها ، وضرب الامثال ، واستخدام الألغاز والاحاجي ، والتنكيت ، ولغة التسويق الحرفي والمهني ، ونداء الباعة ، وندب النوح،وعبارات التهنئة في الافراح والاعياد الى آخر هذه الأنواعالتي يمكن انسمح لنا الوقت دراستها مع سائر اجناسها تحت عنوان (فنون القول الشعبي) .

(٢) يلي هذا فنون القراءة أعني قراءة الشـــيء المكتوب ، وهي جنس تندرج تحته انواع . فمنها القراءة الجهيرة التي يرفعالقارىء فيها صوتهفيَسمع نفسه ويُسمِع الناس من حوله ،ومنها القراءة الخفيضة التي يَسمع فيها نفسه، ثم القراءة الصامتة التي يحرك فيها لسانه وشفتيه ولا يسمع نفسه (قارن بما ورد في حديث ابن عباس في مادة : قرأ في النهاية لابن الأثير) .

وضوابط القراءة تختلف عن ضوابط القول الشعبي ونظمه ، وقد يعرض للقارىء من عيوب الاداء ، كالتصحيف والتحريف ، مالا يعرض لمن يؤدي كلاماً عادياً في حياته اليومية .

وربما كان من حق (القراءة) ان تأخذ مكانها في دراستنا هــذه ، الا ّ

اننا آثرنا ان نقصر حديثنا على الأجناس الستة التالية اعني فنون التــلاوة والتسبيــح، وفنون الأداء التمثيلي ، والالقاء، والانشاد ، والغناء .

(٣) وفنون التلاوة – في اصطلاح قراء القرآن الكريم – جنس من القول قائم بذاته يضم انواعاً يجمعها التجويد .

والتجويد مراتب او كيفيات ، أهمها : الترتيل والتدوير والحدر .

وقد ابتدع القراء فنونا من التلاوة اختلف حولها الفقهاء ، كالغنــاء بالألحان ، والتلاوة الجمعية. وسنتناول هذا كله بشيء من التفصيل عندما نأتي الى موضعه .

(٤) – والتسبيـح ان يقول المرء : سبحان الله ، ومعناه تنزيه الله تعالى عن كل مـــا لا ينبغي له ان يوصف به . ويقال في اللغة سبّحت الله تسبيحا وسبحانا بمعنى واحد (التهذيب للأزهري واللسان مادة: سبح) . فقولنا : سبحان الله عبارة عن العبادة والإقرار بأن الله واحد منزه عن كل سوء . والتسبيح قد يكون بمعنى الصلاة والذكر ، ويقال في اللغة قضيت سُبْحَتي اي صلاتي ودعائي . وفسروا قوله تعالى (فسبحان اللهِ حين تُمْسُون وحِينَ تُصْبِحون) بأمرهم بالصلاة في هذين الوقتين. وقوله تعالى (وسَبِّحْ بالعشيّ والإبكار) أي : وصلِّ . والسُّبْحَة الدعاء وصلاة التطوّع والنافلة . وقال ابن الأثير (النهاية : سبح) وقد يطلق التسبيـح على غيره من انواع الذكر مجازاً كالتحميد والتمجيد وغيرهما. فمن الواضح أن اللغة توسعت في معنى التسبيح فجعلت من معناه الدعاء والأذكار والصلوات والنوافل والفرائض ونحو ذلك . وعلى هذا المفهوم الواسع للكلمة ، تنـدرج تحت التسبيـح فنون كثيرة ومتنوعـة كالعبارات والادعية التي يناجي بها المرء ربه في صلاته ، أو يدعو بها غيره الى الصلاة ، وتلك الصيغ والعبارات التي ينطق بها المرء في حلقات الذكر ،

وفي الاعمال اليومية التي يمارسها في الصباح والمساء ، في أداء عمله ، وعند تناول طعامه ، وعندمايأوي الى فراشه ، وفي المحافل والمواسم وسائر المناسبات العامة .

(٥) ومن أجناس فنون القول ، جنس يتميز عن سائر الأجناس باعتماده في الأداء على التقمّص والمحاكاة ، وهو يذكّرنا ببعض العناصر التي يتألف منها الاداءالمسرحي أو التمثيلي . والواقع أن الأدب المسرحي ، من حيث هو فن متطور متكامل ، لم يكن معروفاً لدى العرب القدامى ، غير أن هناك عناصر وأنماطاً ساذجة من الأداء المسرحي أو التمثيلي ، وجدت عند العرب في عصور الجاهلية والاسلام .

ومن هذه الزاوية ، يمكن أن نقسم فنون القول الى قسمين عند العرب : قسم من الفنون يعبر فيها القائل عن ذات نفسه مباشرة وبغير واسطة ، ومن هذا الصنف ما نجده في الإلقاء الخطابي والإنشاد والغناء والأدعية فهذه فنون من القول يؤديها المرء ليعبر بها عن حقيقة ما في نفسه ، ويؤديها بالطريقة التي تمثل شخصيته هو وليس شخصية أحد سواه .

والقسم الثاني هو ما نسميه بفنون الأداء التمثيلي ، وهو أداء يقوم على المحاكاة والتقمّص كما قلنا ، فالمؤدّي في مقدوره ان يحاكي أصوات الآخرين محاكاةً دقيقة ، عن دربةٍ وممارسة ، وعن هواية أو احتراف . أو أن يتقمّص هيئة شخص آخر وحركاته ولهجته وطريقته في القول ، او يتقمّص شخصية أخرى فينتحلها انتحالاً ، أو يتنكر في زيها ، أو يحتجب خلفها ويحاكي صوتها ، أو يتقمّص المواقف والاحداث وينتحلها انتحالاً ، كأن يدعي أنه صاحب نعمة ويسار ثم نزلت به كارثة أدت الى فقره وحرمانه ، ويوضح موقفه هذا للناس ويطلب مساعدتهم بالمال ، كما كان يصنع أهل

الكُدْية الذين عرفوا في العصور القديمة ، وكانوا يحتالون للحصول على المال بشتى الحيل والوسائل . أو كالمرأة التي تحترف النـدب والنياحة ، فتمثل دور الحزينة فتندب وتنوح وتلطّخ وجهها بالسواد وتحلق شعرهـا وتشق ثيابها .وسوف نجد لهـذا أمثلة من فنون مارسها القدماء في إنشاد الشعر والمسامرة وفي حيل المكدين وفي الندبة والنياحة ، وفي المحاورات وحكاية النوادر والقصص ، ثم خيال الظل الذي عرفه العرب في القرن الثامن الهجري .

(٦) ثم فنون الالقاء الخطابي .والالقاء في اللغة مصدر للفعل (ألقى) ، وألقى فعـل مـاض مزيد بالهمزة في أوله ، ومادته الأصلية في اللغة اللام والقـاف وحرف العلّة . ومعنى الالقاء في اللغـة ـ كما يقول الراغب في مفرداته هو « طرح الشيء حيث تلقاه» أي تراه . ثم صار في التعارف اسما لكل طرح » .

ومعنى قوله أننا اذا قلنا مثلاً : ألقيت اليك قولاً ، فالمراد أنني ألقيت كلاماً ، اي وعيته وأدركته ، فألقيته اليك أي أديته اليك . ووردت صيغة الفعل (ألقى) في القرآن الكريم اكثر من خمس وسبعين مرة ، منها آيتان فقط وردتا في إلقاء القول هما الآية الخامسة من سورة المزّمل (إنّا سَنُلْقي عَليك قولاً ثقيلا) اشارة الى ما حمله النبي (ﷺ) من النبوةوالوحي . والآية الأخرى هي السادسة والثمانون في سورة النحل (فألقَوْا إليهِمُ القَوْلَ) . ولعل المعنى المراد من الصيغة الواردة في القرآن الكريم ، هو طرح الشيء حسيّا كان أو معنوياً . وارتباط لفظ (الطرح) بالكلام معروف عند القدماء ، فمـن كلامهم : تطارحوا الكلام أو الغناء ، أي طارح فيـه بعضهم بعضاً .

وظلّ الالقاء بمدلوله اللغوي العام ، وهـو الطرح ، يستخدمه العرب في عصورهم السابقة ، للكلام وغيره ، الاّ انه في العصور الحديثة اخذ استعمال الكلمة يتجه الى نوع من الاصطلاح ، يتضمن سمات خاصة تميزه عـن سائر اجناس القول . وهي سمات تظهر ، بصورة او باخرى ، في فنون من الأداء مثل الخطابة والوعظ والرواية والحكاية . حتى اصبحنا الآن لا نقول ألقى فلان خطبة او موعظة او حكاية ، بـل نقول القى فلان شعراً ، اذا كان اداؤه القاء ، ولا يجوز في استعمالنا العام ان نقول مثلا انشد فلان خطبة او انشد حكاية لأن الإلقاء في مفهومنا المصطلح عليه ، تضمن سمات معينة تميزه عـن الانشاد وغيره . وفي ضوء هذا المفهوم ، نستطيـع ان نجعل من انواع الالقاء الخطابة والموعظة والرواية ونحوها مما نؤديه بطريقة تتوافر فيهـا السمات المميزة للالقاء . والالقاء يتخذ – بصفة عامة – طريقاً وسطا في الأداء . ولعل الطابـع الخطابي فيه هو ابرز سماته ولهذا اسميناه بالإلقاء الخطابي يؤديه الملقي في صوت اقرب الى الجهارة ، يضبـط مخارج الحروف ، ويفرّق في النطق بين الحركة الطويلة والحركة القصيرة ، ويحسن معرفة احوال الوقف والوصل والابتداء والانتهاء ، ويقيم الاعراب ويجيد مواقع الاشارة في اثناء أدائه . وقد يكون الكلام الذي يلقيه مرتجلا او مستظهراً ، وربما استعان بقراءة شيء مكتوب ، وكل ذلك جائز ، بشرط ألاّ يشغله استدعاء الكلام عن متابعة ضوابط الإلقاء ، وتحقيقها على الوجه الأفضل .

(٧) و (٨) اما الانشاد في اللغة فأصله الاشتقاقي هو الحروف الثلاثة (ن ش د) ومعناه العام تعريف الشيء وطلبه علانية . يقال نشد ضالتـه أي طلبها وعرّفها وسأل عنها : ونشدتُ الرجلَ اذا ذكّرته بما وعدني وعاهدني به وطلبته منه ، وتنشّدوا الاخبار ارادوا إعلانها على الناس ليعرفوها ،

وانشد فلان بالقوم هجاهم وعرّف بمساوئهم ، وأنشدت الرجل عرفته بما طلب وأجبته . ونشدته فأنشدني: سألته فأجابني . وانشد الشعر عرفه وأعلنه ، والاعلان يقتضي رفع الصوت ، ومن ثم جاء الإنشاد بمعنى رفع الصوت ، فقالوا أنشد فلان الشعر اذا رفع به صوته .

ويلتقي الانشاد والالقاء – اصطلاحاً – في المسحة الخطابية الا ان الإنشاد أكثر تنغيماً . وقد وصفه محمد مندور بأنه « إلقاء منغّم » ، كما وصف الغناء بأنه إنشاد ملحن . (مجلة كلية الأداب جامعة فاروق الأول المجلد الأول – مايو ١٩٤٣ ص ١٣٥).

غير ان التنغيم في الانشاد يتفاوت ، فقد يزداد ويكثر حتى يقترب من الغناء وقد يضعف ويقلّ حتى يدنو من الإلقاء . ومن هنا كان الإنشاد على مراتب فمنه المعتدل أو المرسل ، ومنه الانشاد الغنائي الذي يدخله كثير من الترجيع والترنم .

وقد عقد سيبويه في كتابه باباً سماه (باب في وجوه القوافي في الانشاد) (٢٩٨/٢) أوضح فيه نوعين من الانشاد في أداء القافية ، وتختلف وجوه أدائها باختلافها ، فنوعاً يسميه الانشاد ، ونوعاً يسميه الانشاد مع الترنم .

اما النوع الأول فهو ما نسميه الانشاد المعتدل أو المرسل ، ويقول بعض القدماء في وصف نوع من انشاد الشعر : « ينشد الرجل شعراً مرسلاً » أراد بالانشاد المرسل ان يكون طليقاً غير مقيد بطريقة الغناء ، ولا آخذ منها ، وانما هو إنشاد جرى على مألوف الكلام ونسقه ، والعرب يقولون لمن ألقى الكلام على مألوفه دون ان يتفنن في أدائه ويبالغ في تحسينه وتجويده : « القى الكلام على رسيلاته (انظر اللسان :رسل) .

اما النوع الثاني فهو انشادٌ يأخذ من الغناء بنصيب ما ، فيرّجع شيئاً من الكلام ويردّده ، ويقف عند بعض حروفه وحركاته مترنماً ، وهذا هو الانشاد مع الترنم كما سماه سيبويه ، او الانشاد الغنائي كما نسميه .

والانشاد الغنائي لا يسمى في اصطلاحنا غناء ، فالغناء له خصائصه ، وأهمها التلحين . ولم يسّمه سيبويه غناءً ، ولا أظنه قصد اليه حين سماه الانشاد مع الترنم . ولا جدال في ان سيبويه يعرف ما هو الغناء معرفة جيدة ، وقد عاش في العصر العباسي الأول ، حين بلغ الغناء القديم أوجه وذروته ، ولم يذكر سيبويه اسم الغناء صريحاً في هذا الباب من كتابه الا عندما استطرد ليقرر أن (الشعر وضع للغناء والترنم) ، ونحن نعلم حرص سيبويه على دقة التعبير : فقوله (الانشاد مع الترنم) لم يكن يقصد به الغناء ، ولو قصد الغناء لذكر اسمه صريحاً . ومع هذا فلو تجاوزنا سيبويه وامثاله من العلماء القدامى ، من أهل الدقة والاحاطة ، لجاز أن يقع اللبس بين الغناء والانشاد عند كثير من الناس ، فكثيراً ما تتساهل اللغة في استعمال كلمة ما ، ثم يأتي الاصطلاح فيحدد مدلولها وهذا ما حدث في لفظي الغناء والانشاد . فقد نجد لفظ (الغناء) في بعض أخبار القدماء ، يستعمل للانشاد حيناً ، وللغناء حيناً آخر . وهذا راجع كما قلنا إلى أن الانشاد في بعض فنونه يأخذ من الغناء بعض خصائصه ، وقد لاحظ أحد فقهاء المالكية شيئاً من هذا ، فأراد ن يزيل اللبس ، فوضع حدوداً بين اللغة والاصطلاح في استعمال لفظ الغناء .

والفقهاء كان يهمّهم هذا التحديد لما يستلزمه الإفتاء بالرأي الفقهي في مسألة الغناء والإنشاد ، يقول ابن الحاج في المدخل (٣ / ١٠٩) (للفظ الغناء معنيان : لغوي وعرفيّ ... فقول أبي بكر (رضي الله عنه) عندي

جاريتان من جواري الانصار تغنيان . . . أي ترفعان أصواتها بإنشاد الشعر . ونحن لا نذم إنشاد الشاعر ولا نحرّمه ، وإنما يصير الشعر مذموماً إذا لحن وصنع صنعةً تورث الطرب وتزعج القلب وتثير الشهوة والطبيعة).

وبعد فإن للشعر مع الغناء قضية خاصة ، أثارها القدماء والمحدثون . فإذا فرضنا أن فنون القول قد سلكت طريقها – خلالَ العصور – في تطور صاعد من البساطة إلى التركيب ، ومن السهولة إلى التعقيد ، فمن أين بدأ هذا التطور والى أي صورة انتهى الينا ؟ أكانت المحادثات الجارية اليومية بين الناس هي نقطة البداية ، ثم انتهى الامر الى الغناء ؟ أم إن العكس هو الأصح ؟ بمعنى أن الناس بدؤوا يتفاهمون بالغناء ، يتغنَّوْن كلامهم الجاري بينهم ، نثراً كان او شعراً ، ام كانت بواكير فنون القول وبدايتها معروفة في المجتمعات البدائية ، يمارسها الناس في مجتمع واحد ، وفي زمان واحد ، بحسب احوالهم ومطالبهم وملابسات حياتهم ، يستخدمون الغناء في مناسبات اعيادهم ومحافلهم ، ثم يعودون الى القول الجاري في حياتهم ومعاملاتهم اليومية ؟

تلك قضية لا سبيل الى الكشف عن حقائقها ، فهي ترجع بنا الى متاهات ما قبل التاريخ . ولكن اذا نظرنا في العصور التاريخية ، وجدنا ان الشعر يرتبط منذ البداية بالغناء ، ويستوقفنا قول سيبويه (والشعر وضع للغناء والترنم) ، فهو يعني ان الأصل في الشعر غناؤه . ومن هذا نفهم ضمناً أن الشعر لم يثبت على الطريقة التي كان يؤدى بها في الأصل ، بل كان في بعض الأحيان ينحدر درجة فينشد ، ثم ينحدر درجة ثانية فيلقى ، ثم ينحدر آخر الأمر فيقرأ من كتاب . ومما يزيد كلام سيبويه ويؤكد فكرة « التطور المنحدر » الذي آل اليه قول الشعر ، ما أورده صاحب

العقد الفريد في فصل عقده في اختلاف الناس في الغناء قال فيه (إن الشعر أحوج الى الألحان لاقامة الوزن وإخراجه عن حدّ الخبر ، وما الفرق بين أن ينشد الرجل شعراً مرسلاً ، أو يرفع صوته مرتجلاً ؟ وانما جعلت العرب الشعرموزوناً لمد الصوت فيه والدندنة ، ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور) (تحقيق العريان ط ١٩٥٣/٧/٦) وهذا يتفق أيضاً وماقاله محمد مندور (الشعر عند العرب كالشعر عند اليونان لم يخلق منذ نشأته الا ليتغنى به : ثم تطور الغناء الى الانشاد ، والانشاد الى القول ، والقول الى القراءة الصامتة على نحو ما نفعل اليوم (مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول المجلد الأول ص ١٣٤) .

وعلى هذا يمكن أن يقال إن أداء الشعر قد سلك في تطوره طريقاً مخالفاً لما سلكه الكلام المنثور . فالكلام المنثور بدأ بين الناطقين باللغة في أحاديثهم الجارية بينهم في حياتهم اليومية ، ثم تصاعد بعضه حتى بلغ الغناء . أما الشعر فقد وضع للغناء ثم انتهى به الحال إلى القراءة الصامتة كما نفعل اليوم .

ب — وقد تنقسم فنون القول باعتبار (القائل) وتعدده الى قسمين :

احدهما : يشمل فنون القول الفردي وهي التي يقوم فيها شخص واحد بأداء فنه بصوته .

والقسم الثاني : يضم فنون القول المشترك التي يقوم فيها شخصان او اكثر ، بالمشاركة في اداء الفن بأصواتهم ، سواء اجتمعوا في ادائه على صوت واحد ، أوتناوبوه فيما بينهم .

وفي معظم الاجناس التي ذكرناها لفنون القول أنواع تؤدّى بالقول الفرديّ كما تؤدّى بقول مشترك. وفي اللغة كثير من الصيغ الدالة على المشاركة في القول، كالمحادثة والمقارأة والمسامرة والمجادلة والمحاضرة والتناشد والمناظرة. هذا بالاضافة الى المصطلحات التي وضعها القدماء وما وصفوه في اخبارهم، فكل ذلك يدل على ان معظم فنون القول كانوا يؤدونها، مفردة حينا ومشتركة حينا آخر.

فالقراءة عمل فردي، والمقارأة عمل يشترك فيه عدد من القارئين. وتلاوة القرآن الكريم يؤديها فرد واحد، وقد تكون مشتركة. وقد اتفق أهل الاداء والتجويد على وضع ضوابط للتلاوة وكيفياتها. والتلاوة المأثورة عن اوائل القراء وأئمة القراءات، هي التلاوة الفردية. ولكن بعض القراء منذ العصر العباسي، ابتدعوا طرقاً من الاداء، لم تكن موضع اتفاق وقبول لدى الفقهاء وأهل الاداء، ومن هذه الطرق، ما اسموه (بالإدارة) وهي تلاوة مشتركة يتناوبها جماعة القراء فيما بينهم. وقد قرئ بهذه الطريقة في بعض الاقطار الإسلامية. وسنتحدث عنها فيما بعد.

ومن الواضح ايضاً ان الدعاء والتسبيح، قد يصدر عن الفرد وقد تؤديه الجماعة بالتناوب او على صوت واحد. فهناك الدعاء الفردي، والدعاء الجمعي، وهناك التسبيح الفردي والتسبيح الجمعي. واذكار الصوفية منها الفردي والجمعي، وهي دعاء وتسبيح. وعندما يناجي المرء ربه، فيقول سبحان الله، والحمد لله، ولا إله الا الله، والله اكبر، فهذه صيغة تتألف من اربع عبارات وتسمى على سبيل التعميم تسبيحاً فاذا ارادوا المعنى الخاص لكل عبارة منها فإن العبارة الاولى تسبيح، والثانية تحميد، والثالثة تهليل، والرابعة تكبير، فاذا اجتمع الناس في مسجد او في مجلس في إحدى

المناسبات الدينية في تلاوة دعاء معروف ، فهذا دعاء جمعي اذ يقوم احدهم بادائه عبارة عبارة ، فيردد الحاضرون كل عبارة منها على صوت واحد . وفنون التسبيح والدعاء كسائر فنون القول بعضها بسيط في مظهره وتكوينه حين يكون الدعاء صيغة بسيطة ، يتلوها فرد او جماعة تلاوة عادية مألوفة . ولكن هناك أدعية تقال في المحافل ، ويستعان في أدائها بالموسيقى الآلية ، وتقترن احياناً بفنون الحركة وغيرها . فهذه وامثالها فنون مركبة تجمع بين عناصر مختلفة من فنون الأداء والإيصال .

وكذلك في فنون الاداء التمثيلي ، فمنها الفردي كانشاد الشاعر وبكاء النادب ومحاكاة صوت شخص آخر ، ومنها المشترك كالتناوح الذي تنوح فيه النوائح متقابلات بعضهن يقابل بعضا ، وكالمحاورة والمسامرة ونحوها

وكذلك الشأن في الالقاء الخطابي والانشاد والغناء ، ففي الإلقاء الخطابي فنون لاتكون إلاّ مفردة ، مثل الخطابة والوعظ ورواية الحديث النبوي ، وإلقاء الدرس ، وإعلان الخبر على الملأ . ولكن هناك الى جانب هذه الفنون فنون اخرى من الإلقاء يشترك فيها أكثر من شخص ، وكثير من هذه الفنون يسمى بصيغ المشاركة . كالمناظرة ، والمطارحة الخ ... والمشاركة هنا تكون في العادة تعاقباً على القول ، وليست أداءً للكلام المقول على صوت واحد . ففي المناظرة - مثلاً - يلقي احد المتناظرين كلامه وغيره يستمع اليه ، حتى اذا فرغ ذلك من كلامه اخذ المستمع دوره في الرد أو التعقيب على ما سمع . فالإلقاء المشترك هنا هو نوع من الالقا الدوري كما يمكن أن نسميه .

أما الانشاد فمنه الدوري الذي يكون بين فردين او فريقين او بين عدد

من الأفراد أو الفرقاء. ومنه الجمعي الذي تؤديه الجماعة على صوت واحد .
والانشاد الدوري قديم جداً في تاريخ الشعوب السامية ، وفي اللغة العربية
يسمونه (النشيد) ويعرفونه بأنه (الشعر المتناشد بين القوم ينشد بعضهم
بعضا) (اللسان / نشد) وفي العبرانيــة يسمونه بلفــظٍ يقابل
(السيرة) في العربية . ومن اقدم اسفار العهد القديم سفر نشيد الانشاد
(شير هشيريم) ويرى كثير من الباحثين (EBI ٦٨٨/١) أنه يمثل نمطاً
عريقاً في القدم، من الانشاد الدوري ، عند العبرانيين كانوا يتناشدونه في
حفلات الزواج حيث ينشده العروسان في مواكب الحفل الذي يستمر سبعة
ايام . ولا تزال هذه العادة جارية في بعض القرى اللبنانية الى اليوم .
وكانت مزامير داود تنشد في معابدهم على هذه الطريقة ، ثم انتشرت طريقة
الانشاد الدوري في الكنائس والمعابد القديمة ، وانتقلت الى اوربا ، فكانوا
يرتلون اناشيدهم الدينية على الطريقة الشرقية ، حيث يدور النشيد بــين
فريقين. واطلق الاوربيون على هذا النمط من الانشاد الدوري Antiphon أو
Antiphonal song. (راجع ERE ٣٧٤/١ ، ٩/٧ ، ٧٧٠/١٢) .

ويظهر الانشاد الجمعي (الذي يؤدى من الجماعة بصوت واحد) عند
العرب منذ العصر الاسلامي الاول . فالمعروف ان الرسول (ﷺ) عند
قدومه الى المدينة تلقاه نساء المدينة وصبيانها بهذا النشيد الغنائي

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعاه لله داعِ الخ ...

بل يظهر نمط من الإنشاد يجمع بين الدوري والجمعي في ما روته السيرة
النبوية في خبر غزوة الخندق، من ان المسلمين في حفر الخندق ، كانوا يرتجزون
برجل منهم يقال له (جعيل) سماه رسول الله (ﷺ) (عمراً) ، فقالوا :

سماه من بعد جعيل عمرا وكان للبائس يوماً ظهراً

فكانوا اذا مرو (بعمرو) قال رسول الله (ﷺ) : عمـــرا . واذا مروا (بظهر) قال رسول الله (ﷺ) ظهرا (السيرة : ابن هشام تحقيق السقا وزميله ط ١٩٥٥ ٢١٧/٣) .

فهذا الرجز كان المسلمون ينشدونه انشاداً جمعيا بصوت واحد ، وكان الرسول (ﷺ) يراسلهم أو يجاوبهم بترديد اللفـظ الاخير من الشطرتين. وهذا نمط من الانشاد الدوري .

والغناء ، عند العرب القدماء ، كان منه الغناء المنفرد ، والغناء الثنائي ، والثلاثي ، والجمعي . والامثلة على ذلك كثيرة في كتاب الاغاني . فمن الغناء الدوري قول ثمامة بن أشرس ، وهو أحد أئمة المعتزلة في العصر العباسي الأول : مررت بابراهيم الموصلي ويزيد حورا . وهما مصطبحان ، وقد أخذا بينهما صوتاً يغنيانه ، هذا بيتا ، وهذا بيتا ، وهو :

أيا جبلي نعمان بالله خلّيـــا سبيل الصّبا يخلص إليّ نسيمها
فإن الصبا ريحٌ اذاما تنسمت على نفس مهموم تجلّت همومها

قال ثمامة : فوالله ما خلت أنّ شيئاً بقي من لذات الدنيا بعد مـا كانا فيه (الاغاني ط الدار ٢٣١/٥) .

ومن الغناء الجمعي ما رواه الاغاني (ط . الدار ٢٤٣/٥) من أن ابن جامع زار ابراهيم الموصلي فأخرج اليه ثلاثين جارية فضربن جميعاً طريقة واحـدة وغَنَّيْن الخ ... ويكون الغنا منفرداً ، سواء أكان المغني يتغنى وهو يضرب على عوده أم كان يتغنى ويضرب عليه غيره . ومن هذا النوع الأخير ما يسمى بالمسايرة ، وفيه يكون العازف او الزامر اكثر شهرة من المغني ، فاذا عزف او زمر كان بجواره مغنٍ يسايره . مثال ذلك زامر اندلسي من قرطبة ،

كان يزمر للأمير عبد الرحمن الناصر ، واشتهر بين الناس ، وقد دعي يوماً إلى عرس ، فقعد في وسط الحفل وفي رأسه قلنسوة موشاة ، وعليه ثوب من الخزّ ، واخذ يوقع بزماره لحن أبيات من الغزل ، وبجواره مغنٍّ محسنٌ يسايره في لحنه (بغية الملتمس ط مجريط ١٨٨٤ ص ١٩٠) .

وظهرت المسايرة وشاعت في أمكنة اللهو والمجون ، بين مرتادي هذه الامكنة ، حيث كان الموسيقي يعزف على العود او يزمر في البوق ، فحينئذ يقوم مغن بمسايرة العازف او الزامر في لحنه . وقد انتشرت هذه العادة في عصور المماليك والاتراك ، وكانوا يسمون المغني باسم تركي الأصل ، وهو (خيناكر) ، ويصفون غناءه بالخنكرة .

ويقول أحمد تيمور (الموسوعة ص ١٩٧) ان الخيناكرين هم الطبقة الدنيا من المغنين ، واللفظ لا يزال يستخدمه العوام ، بابدال الخاء هاء ، فيقولون الهنكرة ، وصاحبها هنكار ، كما ابدلوا الخاء هاء في كلمة (هانم) والأصل فيها (خانم) وكلتاهما من اصل تركي (راجع معجم تيمور الكبير ص ٥٠) . غير ان الهنكرة تحمل الآن دلالة خاصة في لهجاتنا ، اذ تدل على إظهار النشاط والحركة في المحافل والأفراح في غير ضرورة ملحة ، ودون أن يؤدي عملاً مثمراً أو مجدياً .

ومن الغناء الدوري ما يسمى عند العرب بالتراسل ، فاذا اجتمع المغنون ، يبدأ أحدهم بمدّ صوته ، فيضيق عن اتمام المسافة الزمنية المطلوبة للايقاع ، فيسكت ، ويأخذ غيره في مدّ الصوت لاتمامها ، ثم يعود الاول الى غنائه وهكذا دواليك (تيمور : الموسيقى والغناء ص ٧٤) .

م — ومن الممكن ان ننظر الى فنون القول باعتبار اصولها ومنابتها :

فتنقسم الى مجموعتين رئيسيتين :

احداهما : — فنون نبتت بواكيرها الأولى في عصور ما قبـل الاسلام ، ومنها فنُّ الأداء التمثيلي ، وفنون الإنشاد وفن الغناء وفن الإلقاء الخطابي . وقد استمرت اشكال هذه الفنون ، فيما بعد الاسلام ، واتخذت صوراً شتى من التطور .

والمجموعة الثانية : — فنون نبتت في ظـــل الاسلام وتحت رايته ، واستمرت تحمل طابعاً دينياً إسلامياً ، يمتاز بخصائصه عـن الفنون ذات الأصول الجاهلية .

وفي قمة تلك الفنون الاسلامية : فن تلاوة القرآن الكريم ، يليه فـن رواية الحدث النبوي ثم فنون التسبيح والأدعية الدينية .

وسوف نتناول هذا التصنيف عند تناول فنون القول عند العرب ، في مباحث تالية ان شاء الله .

الاسكندرية (الشاطبي) عبد المجيد عابدين
جامعة الاسكندرية — كلية الآداب استاذ الدراسات اللغوية بجامعة الاسكندرية

من مراجع « فنون القول عند العرب القدماء »

١ ـ ادب الاملاء والاستملاء لعبد الكريم السمعاني (ط .ليدن ١٩٥٢)
٢ ـ الاصوات اللغوية د. ابراهيم أنيس (ط . ٤ ـ ١٩٧١)
٣ ـ اعلام الساجد بأحكام المساجد لبدر الدين محمد الزركشي ـ تحقيق ابو الوفا المراغي ط . ١٣٨٤ .
٤ ـ الاغاني لأبي الفرج الاصفهاني (ط الدار) .
٥ ـ الامثال في النثر الرعبي القديم د . عبد المجيد عابدين (ط القاهرة) سنة
٦ ـ البخلاء لأبي عثمان الجاحظ تحقيق د . طه الحاجري ١٩٤٨ م
٧ ـ البرهان في علوم القرآن لبدر الدين محمد الزركشي.تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم الطبعة الاولى .
٨ ـ بلوغ الارب في معرفة احوال العرب لمحمود شكري الألوسي (ط ٣ دار الكتاب العربي) .
٩ ـ البيان والتبيين للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠ .
١٠ ـ تاج العروس لمحمد مرتضى الزبيدي .
١١ـ تاج الآداب العربية لكارلونلينو (ط ١٩٥٤) .
١٢ـ تاريخ الحياة الموسيقية لمصطفى الصواف (ط دمشق) سنة
١٣ـ تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري ط . القاهرة ١٩٦١ م لنجيب محمد البهبيتي .
١٤ـ تاريخ العرب قبل الاسلام د جوادعلى.ط بغداد (ثمانية اجزاء) سنة
١٥ـ تاريخ الموسيقى العربية لهنري فارمر ترجمة د . حسين نصار .
١٦ـ تاريخ اليعقوبي (جزآن ط بيروت) .
١٧ ـ التطور النحوي للغة العربية لبرجشتراسر (ط ١٩٢٩) .
١٨ـ تلبيس ابليس لأبي الفرج ابن الجوزي (ادارة الطباعة المنيرية)
١٩ـ تهذيب اللغة لأبي منصور الآزهري (١٥ جزءا) .
٢٠ـ الجامع لأحكام القرآن (المقدمة) للقرطبي .
٢١ـ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع لآدم متر ترجمة د. محمدعبد الهادي ابو ريده (جزآن) .

٢٣ــ الحيوان لأبي عثمان الجاحظ (٧ أجزاء ، تحقيق عبد السلام هارون .
٢٤ــ خيال الظل لاحمد تيمور (دار الكتاب العربي ١٩٥٧) .
٢٥ــ خيال الظل د . عبد الحميد يونس (ط الدار المصرية ــ اغسطس ١٩٦٥) .
٢٦ــ خيال الظل وتمثيليات ابن دانيال (ط القاهرة ١٩٦٣) د . فؤاد حسنين .
٢٧ــ رحله ابن جبير . تحقيق د . حسين نصار ط ١٩٥٥ .
٢٨ــ رساله نصير الدين الطوسى في علم الموسيقى ، تحقيق زكريا يوسف (ط ١٩٦٤) .
٢٩ــ رساله يحيى بن المنجم في الموسيقى . تحقيق زكريا يوسف ط ١٩٦٤ .
٣٠ــ سر صناعة الارعراب لابي الفتح ابن جنى (ط ١٩٥٤) .
٣١ــ الشعراء وانشاد الشعر لعلى الجندي (ط ١٩٦٧) .
٣٢ــ الشعر العربي : غناؤه ــ اناده ــ وزنه د . محمد مندور .
(مقال بمجلة كلية الاداب ــ جامعة فاروق الاول المجلد الاول مايو ١٩٤٣) .
٣٣ــ صفة الصفو لابيالفرج ابن الجوزي (ط حيدر آباد بالهند ٣٥٥هـ
٣٤ــ الظرف والشحاذون لصلاح الدين المنجد الرسالة بمصر .
٣٥ــ العقد الفريد لابن عبد ربه تحقيق محمد سعيد العريان ط١٩٥٣
٣٦ــ فقه اللغة للثعالبي ط مصر ١٩٥٤ .
٣٧ــ قصصنا الشعبي د. فؤاد حسنين علي. ط ١٩٤٧ .
٣٨ــ الكافي في الموسيقى للحسين بن زيله تحقيق زكريا يوسف ط ١٩٦٤ .
٣٩ــ الكتاب لسيبويه (ط بولاق ١٣١٦ هـ) .
٤٠ــ كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي تحقيق د . لطفي عبد البديع وعبد النعيم حسنين .
٤١ــ كيف تتذوق الموسيقى تاليف آرون كوبلاند وترجمة محمد رشاد بدران (ط ٢ ١٩٦١)
٤٢ــ لسان العرب لابن منظور (ط بيروت) .
٤٣ــ اللطائف والطب الروحاني لابي الفرج ابن الجوزي تحقيق عبد القادر احمد عطا (ط القاهرة) .
٤٤ــ لمحات من تاريخ الحيا الفكرية المصرية د. عبد المجيد عابدين .

٤٥ـ مجلة جامعة أم درمان الاسلاميـة العدد الاول سنة ١٩٦٨ .
٤٦ـ مجلة الفنون الشعبية (عدد ٣ يوليه ١٩٦٥) .
٤٧ـ مجمع الامثال للميداني (ط ١٢٨٤ هـ).
٤٨ـ المحاسن والمساوىء لابراهيم بن محمد البهيقي ط ١٩٠٦ م .
٤٩ـ المحبر لمحمدبن حبيب ت ٢٤٥ هـ (ط حيدر آباد بالهندط ١٩٤٢).
٥٠ـ المدل لابن الحاج العبدري ط ١٩٦٠ (٤ اجزاء) .
٥١ـ مراتب النحويين لابي الطيب اللغوي (ط ١٩٧٤) .
٥٢ـ المعارف لابن قتيبة ط القاهرة ١٩٣٤ م .
٥٣ـ المفضليات تحقيق محمد احمد شاكر وعبدالسلام هارون ط ١٩٦١.
٥٤ـ مقامات بديع الزمان الهمذاني .
٥٥ـ مقامات الحـريري .
٥٦ـ المنتظم لابي الفرج ابن الجوزي ط حيدر آباد ١٣٩٠ هـ .
٥٧ـ الموسوعة التيمورية لاحمد تيمور ط القاهرة ١٩٦١ م .
٥٨ـ الموسيقى والغنـاء في الف ليلة وليلـة لهنري فارمر ترجمـة د. حسين نصار .
٦٠ـ نشأة الوزن المقفى عند العرب الاوائل د. عبد المجيد عابدين (مقال بمجلة كلية الآدب بجامعة أم درمان ـ العدد الاول ١٩٦٨) .
٦١ـ نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري ط دار الكتب المصرية .
٦٢ـ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير « مجد الدين » ـ تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (ط الحلبي) .
٦٣ـ يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي .

رسائل نادرة

الاستاذ محمد احمد دهمان

منذ أربعين سنة زرت مكتبة العلامة المرحوم أحمد تيمور باشا بالقاهرة فانتقيت منها أسماء بعض كتب ورسائل وكان مما انتقيته من المجاميع هذه الاسماء التي يراها القارىء أمامه وهي :

مجموع رقم ٣٩

ضمنه الرسالة الخامسة : شعر من الدوبيت على حروف المعجم من نظم الملك الامجد ، من الملوك الايوبيين .

مجموع رقم ٩٢

ضمنه رسالة اسمها : موقد الاذهان في علم النحو ، لابن هشام النحوي .

مجموع رقم ٧٩

مجموع ضمنه ١٤ رسالة من تأليف محمد بن علي بن طولون الحنفي المتوفى سنة ٩٥٣ وجميعها بخط مؤلفها .

(١) فرائد الفوائد في احكام المساجد
(٢) الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام
(٣) الاشراق في أحكام الترياق
(٤) اتحاف الكرام بحياة الانبياء عليهم السلام

(٥) البرق السامي في تعداد منازل الحج الشامي
(٦) قطف الزهرات فيما قيل في الغزالات
(٧) مفتاح الترويج لصفات النساء الحاملة للخاطب على التزويج
(٨) الذهب الصامت في مسائل الساكت
(٩) سل الصارم في ترجمة الحاكم ــ بأمر الله
(١٠) تبيين المطالب في ذكر المختلف نسبته من المذاهب
(١١) هدية السالك الى ترجمة ابن مالك
(١٢) الدر المختوم في أحكام المجزوم
(١٣) إفادة النقل في الكلام على العقل
(١٤) دلالة الشكل على كمية الاكل

مجموع رقم ٨١

ضمن هذا المجموع : الالمام بشرح حقيقة الاستفهام للشيخ محمد ابن طولون •

مجموع رقم ١٢٢

أوله: المعين في معرفة الرجال المذكورين في كتاب الاربعين «النووية»

مجموع رقم ١٣٤

ضمنه الرسالة (٣) : الازهار المتناثرة في الاخبار المتواترة للسيوطي

مجموع رقم ١٣٩

ضمنه الرسالة :
(٢٢) التعريف بآداب التأليف للسيوطي
(٢٣) بذل المجهود في خزانة محمود للسيوطي
(٢٤) الفافوش في أحكام قراقوش للسيوطي أيضا

(٢٨) النجمة الزاهرة والنزهة الفاخرة في نظام السلطنة وسلوك طريق الآخرة ، ويلقب بالجواهر المعقودة في اشارات النحلة والدودة للشيخ محمد بن علي المعروف بابن حميدة المتوفى سنة ٨٥٥

(٢٩) تحفة النظار في انشاء العيار

(٣٠) نظم تدبير التسفير في صناعة الكتب

(٣١) دفع الوهم والهم في الرد على من قال (ان النحل يكتفي من قوته بالشم

(٣٢) لمحة المختطف في صناعة الخط الصلف

(٣٣) شرح ابن وحيد على منظومة ابن البواب علي بن هلال الكاتب المتوفى سنة ٤١٣

(٣٤) قصيدة ابن الدريهم في حل رموز الأقلام المكتوبة على البرابي

(٣٥) جزء في اعارة الكتب للحافظ أبي بكر أحمد بن محمد بن جعفر اليزيدي

مجموع رقم ١٦٧

فيه من الرسائل :

(١١) كتاب الاحاديث المشتهرة على ألسنة الناس وبيان مراتبها لعلي القاري المتوفى سنة ١٠١٤

(١٧) طبقات العلماء المجتهدين لابن كمال باشا

مجموع رقم ١٧٣

منه :

(١١) رسالة في ترتيب العلوم لساجقلي

مجموع رقم ١٧٥

فيه الرسالة (٣) نقلت من خط الحافظ الذهبي في آداب حملة العلم من قراء ومحدثين وما ينبغي لهم معرفته وتدريسه وذكر ما عليه علماء زمانه

(٤) مدح الشذا بمسألة كذا لابن هشام

(٨) المقالة الحادية والتسعون من مقابسات أبي حيان التوحيدي وهي في التعريفات والحدود

مجموع رقم ١٩٠

وفيه من الرسائل

(١) مقدمة في صناعة الخط لأبي علي بن مقلة ناقصة من آخرها

مجموع رقم ١٩٥

(٣) رسالة في معرفة خطوط فضل الدائرة بالهندسة

مجموع رقم ٢٠٠

هو لابن سينا . منه :

(١٢) رسالة في اسرار الحروف التي في أوائل السور القرآنية

(١٧) كتاب سلطان المشايخ ابي سعيد للرئيس ابن سينا وجوابه عليه

مجموع رقم ٢٠١ للسيوطي

منه :

(٢٥) طبقات المفسرين

مجموع رقم ٢٠٣

فيه تسع رسائل لمحمد بن علي بن طولون وهي :

(١) تيسير الإعلام بمذهب الائمة الاعلام
(٢) مظهر الكياسة في علم الفراسة
(٣) خلاصة البيان في أيْمان القرآن
(٤) رسالة في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)
(٥) النجم الفلك في امكان رؤية النبي والملك
(٦) تحذير العباد من الحلول والاتحاد
(٧) افادة الشيوخ بطهارة الجوخ
(٨) ميمون التصريح بمضمون الذبيح
(٩) الحلاوة المامونية في الاسئلة البعلية وهي أجوبة عن ٦١ سؤالا في عدة فنون

مجموع رقم ٢٠٤

منـــه :

(٢) رسالة الامام ابن تيمية سنة « ٧٢٢ » الى ملك قبرص بسبب خلاص الاسرى
(٦) تكسير الاحجار التي افتتن بها أهل الجور والاغترار قام بكسرها ابن تيمية بدمشق • ونهيه في مصر عن زيارة المشاهد وحالته مع الشيخ نصر • تأليف برهان الدين
(١٠) رسالة في الرد على القصاص الناقلين قصص الانبياء وزيادتهم في ذلك ، لابن تيمية ، وفي آخرها خطه
(١٢) الحجة والبرهان على فتيان هذا الزمان • وهي رسالة في الفتوة لصفي الدين التركماني وعليها تقريظ ابن تيمية

مجموع رقم ١٠٦

به كتابان وهما :

(١) كشف الاسرار عن الطيور والازهار للشيخ عز الدين بن عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي كتب سنة ٨٥١

(٢) كتاب السيرة النبوية والشمائل للشيخ الحافظ عبد الغني المقدسي

مجموع رقم ٢٠٧

منه :

(٣) رسالة ابن تيمية الى بني عدي بن مسافر

مجموع رقم ٢٢٥

منه :

(٢) كتاب في صناعة الخط الصلف نظما ونثرا ، وهو لمحة المختطف المتقدم .

(٣) ارجوزة لمحمد السنجاري في صناعة الخط

مجموع رقم ٢٣٨

منه :

(٧) تحرير المقال في آداب وأحكام يحتاج اليها مؤدب الاطفال للعلامة ابن حجر الهيتمي سنة ٩٧٢ كتبت سنة ١٠٩٥

مجموع رقم ٢٤٧

منه :

(٣) رسائل ملك المغرب الاقصى سليمان الى الامير سعود الوهابي يناقشه فيها في مذهبه كتبت سنة ١٣١٨

مجموع رقم ٢٥٠

منــه :

(٩) رسالة في معرفة وزن الدوبيت

(١٢) المهذب فيما في القرآن من المعرّب ، للسيوطي كتب سنة ١١٢١

(١٤) عين الحياه في علم استنباط المياه للعلامة أحمد الدمنهوري ١١٩٢

مجموع رقم ٢٦٦

منــه :

(١١) كتاب نصارى الشام لسيدنا عمر بن الخطاب يسألونه فيه الامان

(٢٣) صورة وقفية العمارة السليمانيــة بدمشق انشاء محمد چلبي المنشي .

(٣٢) نبذة في فضائل الشام نقلت من خط بدر الدين البشتكي

مجموع رقم ٢٩٧

منــه :

(٣) رسالة في الصاع والمد والرطل والاستار والدرهم والدينار والمثقال والقيراط ومقدار مايجب من صدقة الفطر بمثاقيل زماننا .

مجموع رقم ٣٠٢

منــه :

(٦) الكاوي في تاريخ السخاوي

مجموع رقم ٣٠٥

منـــه :

(٣) الاقتصاد في النطق بالضاد للشيخ عبد الغني النابلسي

مجموع رقم ٣١٥

فيـــه :

احدى عشرة رسالة من مؤلفات محمد بن طولون الحنفي المتوفى سنة ٩٥٣ •

(١) العقود الدرية في الامراء المصرية من الفتح الى استيلاء السلطان سليم

(٢) نفحات الزهر في ذوق أهل العصر

(٣) التعريف لفن التصحيف

(٤) ارج النسمات في اعمار المخلوقات •

(٥) الملحة فيما ورد في اصل السبحة

(٦) النحلة فيما ورد في النخلة

(٧) ابتسام الثغور في نفع الزهور

(٩) رسالة في الفيل • ناقصة من أولها

(١٠) شرح الصدور فيما روي في الفخ والعصفور

(١١) تحفة الاحباب في منطق الطير والدواب

مجموع رقم ٣٣٨

فيـــه :

(١) عقائد أهل السنة والجماعة لامير محمود ابن السكاكي يذكر آراء الفرق غالبـــا

مجموع رقم ٣٤٢

فيــه :

(١) معرفة المساحة للعلامة يعقوب بن محمد السجستاني
(٢) نبذة لابي الريحان البيروني في استخراج الكعاب واضلاع ما وراءه من مراتب الحساب

مجموع رقم ٣٤٤

فيه ١٩ رسالة طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٣٥ وقد ذكر طابع جامع البدائع أسماءها

مجموع رقم ٣٥١

نقل عن نسخة بخزانة آل الجوهري بنابلس فيه رسائل لابن طولون وهو نفس المجموع الموجود بالمجمع العلمي بدمشق

مجموع رقم ٣٦٢

منــه :

(٦) قلائد الفوائد وشرائد الفرائد في نظم ضوابط علمية

(٢١) غرس الانشاب في الرمي بالنشاب للسيوطي أيضا

(٢٣) فائدة في رسم المصحف

مجموع رقم ٣٦٣

منــه :

(٧) كتاب الجواهر وصفاتها وصفة الغواصين والتجــار ليحيى بن ماسويــه

مجموع رقم ٣٦٩

طبع السلفية سنة ١٣٤٤ بتحقيق الراجكوتي
(١) مقالة في (كلا) لابن فارس
(٢) ما تلحن فيه العامة للكسائي علي بن حمزة
(٣) رسالة ابن عربي للفخر الرازي

مجموع رقم ٣٧١

منــه :
(٣) حسن المقصد في عمل المولد للسيوطي

مجموع رقم ٣٧٢

منــه :

(٣) قصيدة في محاسن دمشق

مجموع رقم ٣٧٣

من خط ابن طولون الحنفي فيه ١٦ رسالة من تأليفه وهي :
(١) تبيين القدر لليلة القدر
(٢) مستند الرحمن لصلاة الضحى
(٣) تقوية الراغب لصلاة الرغائب
(٤) التوشيح لبيان صلاة التسبيح
(٥) مظهر التبجيل لقول : حسبي الله ونعم الوكيل
(٦) الدر المنظم في بيان اهداء القرب للنبي صلى الله عليه وسلم
(٧) جواب السؤال عن حكم الرجال • ينقص من أوله قليلا
(٨) بغية السول فيما ورد في الغول

(٩) زبدة الانموذج فيما ورد في الفالوذج
(١٠) هضم الطبيخ فيما ورد في البطيخ
(١١) تسييد الاختيار لتحريم الطبل والمزمار
(١٢) عدة الحرابة لتحريم الطبل والشبّابة
(١٣) تبييض الطرس بما ورد في السمر ليالي العرس
(١٤) قضاء حوائج الانسان في ارسال اصحاب الوجوه الحسان •
ينقص من آخره
(١٥) النفحة المسكية في الاسئلة الطبية
(١٦) ارسال القضاء على من وليّ القضاء

مجموع رقم ٣٧٤

مجموع من خط ابن طولون الحنفي فيه سبع رسائل من تأليفه وهي :
(١) اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين
(٢) وبل الغمام فيمن زوجه النبي عليه السلام
(٣) ملجأ الخائفين في ترجمة سيدي ابي الرجال وسيدي جندل بمنين
(٤) المقصد الجليل في كهف جبريل
(٥) الشمعة المضيّة في اخبار القلعة الدمشقية
(٦) المعزة فميا قيل في المزة
(٧) اللمعات البرقية في النكت التاريخية

مجموع رقم ٣٧٥

فيه ١٢ رسالة من تأليف ابن طولون بخطه وهي :
(١) تمرين الرائض في حساب القيراط في علم الفرائض
(٢) كمال المرّوة في جمال الفتوة

(٣) تحفة الكرام بترجمة سيدي ابي بكر بن قوام
(٤) حسن الحال فيما قيل في الخال
(٥) الاجوبة المعللة في المسائل المجهلة
(٦) مظهر السرور في الجواب عن قول السيد ابي الحسن الشاذلي في حزبه حزب النور اورد فيه ستة أجوبة
(٧) نشأة العقار فيما قيل في العذار (لعلها نشوة)
(٨) طي اللسان في أحاديث الطيلسان
(٩) تحفة الطالبين في اعراب قوله تعالى (ان رحمة الله قريب من المحسنين)
(١٠) بسط مسامع المسافر في اخبار مجنون بني عامر
(١١) جزء في حديث وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس
(١٢) الاحاديث الاربعين في فضل الرحمة والراحمين

مجموع رقم ٣٨٦

مجموع يمني منه :

(١) كتاب للغزالي كتب به الى احد وزراء بغداد وقد طلب منه الشخوص اليها لاحياء العلم وتعذر عليه ذلك فجعل هذا المكتوب بدل شخوصه وضمّنه نصيحته

مجموع رقم ٣٩٧

مجموع مصور لابن طولون فيه ثلاث رسائل هي :

(١) دفع الباس في ترك مصاحبة الناس

(٢) افادة الرائم لسائل النائم

(٣) دور الفلك في حكم الماء المستعمل في البرك

وابن طولون عالم دمشقي وبعض رسائله مطبوع ، وانما اردنا التنبيه الى اماكن أصولها الخطية ، وقد لا تلفت اسماء بعض كتبه نظر القارىء ولكن اكثرها لا يخلو من فوائد تاريخية قل أن توجد عند غيره .

دمشق **محمد أحمد دهمان**

تخطئة الأوائل

الأستاذ : صلاح الدين الزعبلاوي

اجتمعت كلمة الأئمة على الاحتجاج بأشعار الجاهليين ، كما تلاقت أقوالهم على الاستشهاد بأشعار المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام • وقد أسموا الجاهليين أصحاب الطبقة الاولى ، والمخضرمين اصحاب الطبقة الثانية •

أما الاسلاميون المتقدمون كجرير والفرزدق ، فالاكثرون على صحة الاستدلال بأشعارهم أيضا ، وهم أصحاب الطبقة الثالثة • ولو ان من الأئمة من لحّن الفرزدق وخطّأ الكميت وذا الرمة كأبي عمرو ابن العلاء وابن أبي اسحاق الحضرمي والحسن البصري •

وأما المولدون والمحدثون كبشار وأبي نواس ، وهم اصحاب الطبقة الرابعة ، فقد أخذ الأكثرون بعدم الاعتداد بأشعارهم ، قالوا : إنما استشهد سيبويه والأخفش بشعر بشار اتقاء لهجوه • وقد اتسع جار الله الزمخشري فرأى الاستشهاد بكلام من يوثق بعربيته كأبي تمام ، وترخّص الرضيّ الأسترابادي فحذا حذوه واستن بسننه ، كما فصّله البغدادي في خزانته (٦/١ ــ ٧) ونهج نهجهما أحمد شهاب الدين الخفاجي • بل تسمح السيد البطليوسي في (الاقتضاب) فاستشهد على صحة اضافة (آل) الى الضمير بقول المتنبي :

والله يسعد كلّ يوم جدّه ويزيد من أعدائه في آله

وليس استشهاده هذا على أن أبا الطيب ممن يحتج بشعره ، بل على ان سكوت أكابر النحويين واللغويين عن تفنيد هذا البيت ونقده، وهم قد تعقبوا الشاعر وتسقّطوه فعرضوا لأقواله بالنظر والبحث

الدقيق ، ذلك دليل على صحته • قال البطليوسي : (ولا أعلم لأحد منهم اعتراضا على هذا البيت) •

وليس غرضنا هاهنا ان نبسط الرأي فيمن يحتجّ بأقوالهم ، وإنما وطأنا بهذا لنكشف عن موضع طريف يتفق للناقد كثير من نظائره، ويقع له مستفيض من امثاله • ذلك انه اذا اجتمعت كلمة الأئمة على الاحتجاج بالشعر الجاهلي، فهل يمنع هذا ان يتفق منه مايباين الصواب فيكون محلّ انتقاد الناقدين أو موضع نظر المخطئين القادحين ؟

قال احمد بن فارس صاحب المقاييس : (ما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الغلط • فما صحّ من شعرهم فمقبول ، وما أبَتْهُ العربية واصولها فمردود) • وقال ابو الحسن القاضي الجرجاني في كتابه (الوساطة بين المتنبي وخصومه /١٢) : (ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية ، فانظر : هل تجد قصيدة تسلم من بيت أو اكثر لا يمكن لعائب القدح فيه ؟) •

ولا خفاء بصحة ما ذهب اليه ابن فارس ، واستقامة ما انتحاه القاضي الجرجاني ، ولكن إذا ثبت جواز الخطأ على الجاهليين فكيف يصحّ ان نأخذهم بقواعد قد قننت بعد زمانهم ، واصول قد أصّلت ، اعتمادا على شواهد من أشعارهم ؟

أقول لا بد أن نجعل قواعد اللغة ، ولو تأخرت ، معياراً للحكم بخطأ قول الجاهلي أو صوابه لان هذه الحدود والقوانين انما اتخذت بعد استقراءِ أقوال من يحتج بكلامهم ، والوقوف على ما شذ منها وندر فلم ينقد لمثال مألوف ، او شاع واشتهر فطبع على قياس معروف •

ذلك ان النحاة حين عمدوا الى اتخاذ القواعد والاصول قد عرضوا لما انتهى اليهم من كلام العرب ، فتأمّلوه وتدبروه ، وتتبعوه واستقروه ، فاستشفوا نظام صياغته وكشفوا عن طرائق تأليفه ،

واستنبطوا احكامه وضوابطه • قال عبد اللطيف البغدادي على ما رواه السيوطي في المزهر (١ / ٣٧) : (اعلم ان اللغوي شأنه ان ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه • واما النحوي فشأنه ان يتصرّف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه) • وجاء في طبقات النحويين لابي بكر الزبيدي ان ابن نوفل روى عن ابيه انه سأل ابا عمرو بن العلاء (أخبرني عما وضعت مما سميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ، فقال : لا • فقلت : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ فقال أحمل على الاكثر وأسمي ما خالفني لغات) •

فإذا خرج الجاهلي عن مألوف كلام العرب وحاد عن الجادّة التي تعرّف النحاة معالمها بتتبع اقوالهم واستقراء مأثور لغتهم ، فقد أخطأ ولحن •

قال الاستاذ احمد عبد الغفور العطار في مقدمة معجم الصحاح : (من الخطأ ان يفهم احدنا ان الجاهليين كانوا في نجوة من الخطأ وفي عصمة من اللحن ، بل كان فيهم من يلحن ويخطىء • وقد جاء في الشعر الجاهلي ابيات لا تجيزها قواعد النحو والصرف ، وبعضها لا تجيزه القواعد إلا بعد تأويل مُسفّ وعلل مصطنعة واعتذار مفتعل)• وقد علق الاستاذ عباس محمود العقاد على هذا فقال : (ان الباحث الفاضل قد اصاب في هذه الملاحظة • وانما الخطأ ان يُظن ان القاعدة سابقة لصواب المصوبين وخطأ المخطئين من اصحاب الشواهد التي يسوقها النحاة ، فانما عرفت القواعد بعد حصر الشواهد وتغليب الكثرة منها على القلة والراجح على المرجوح ، ويدخل في ذلك تقدير مكان القبيلة من أصالة اللغة ، والبعد من منافذ الدخيل) •

ولاشك أن النحاة قد أخذوا بما اطّرد سماعه عن العرب فجعلوه قياسا، وعللوا هذا القياس وسبّبوه • فإذا اتفق عن العرب مطّرد في القياس

والاستعمال فلا خلاف في إيثاره ، قال ابن جني في الخصائص (١/١٣٢) (وإذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك ما لا غاية وراءه) • لكن المسموع لم يجر على حدّ أو يستقم على وجه ، على ما هو معروف • فما خرج منه عن سمت القياس واطرد استعماله اتبعوا السماع فيه ولم يتجاوزوه الى القياس عليه • على ان منهم من اخذ بالقياس فيه الى جانب السماع • وما انقاد للقياس وشذ استعماله تركوه ولم يتعدوه في الترك الى نظائره • على ان منهم من لم يمنع منه حملاً له على أمثاله• وأما ما جاء شاذا في القياس نادرا في الاستعمال فالاكثرون على اغفاله وعدم الاعتداد به •

ولا شك أن الأخذ بالقياس والتعويل عليه إلزام الناس اتباع الاكثر الاغلب وهدر الشاذ واغفال القياس عليه ، انما هو مذهب البصريين • قال الزبيدي في كلامه على الخليل في (مختصر كتاب العين) : (فهو الذي بسط النحو ومدّ اطنابه وسبّب علله وفتق معانيه واوضح الحجاج فيه ، حتى بلغ أقصى حدوده • ثم لم يرض أن يؤلّف فيه حرفا أو يرسم فيه رسما •• واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه من علمه ، ولقنه من دقائق نظره ونتائج فكره ولطائف حكمته • فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده وألّف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدّم ، كما امتنع على من تأخر بعده) •

ومضى البصريون يعولون على القياس حتى بلغوا الغاية في ارساء أطنابه واستيعاب أصوله • واعتمد الكوفيون على السماع والقياس كما فعل البصريون ، وكان اوائلهم أدنى الى الاخذ بالسماع منهم الى اجراء القياس ، واحرص على الوصف منهم على التعليل ، كما كان أوائل البصريين ، وكل ما في الامر ان البصريين رجحوا الكوفيين في

القياس وفضلوهم في التعليل غالبا ، على ان استرسالهم في هذين ، لم يكن من طبيعة اللغة وخصوصها دوما . اذ لا شك ان المستحب من القياس هو الذي أفاد في تهذيب اللغة وتشذيبها ، وفي ضبط أحكامها وتعليمها ، وفي اتساعها واطراد نموها ، ذلك القياس الذي ابتغى العلة التعليمية والعلة القياسية فلاءم طبيعة اللغة وجانسها واستن بطرائقها ، دون القياس الذي اعتمد العلة الجدلية والحجة النظرية ، ونحا نحو الفلسفة وشاكلها واتسم بسمتها . وبين القياسين من التفاوت والتغاير ما لا خفاء به ولا لبس .

ولا شك ، الى ذلك ، ان المعوّل عليه من التعليل ما ارتبط فيه صحة الحكم النحوي بسلامة المعنى وتحرّي المراد منه . اما الاعتداد بما توحي به الصناعة ويقتاد إليه الكلف بطرائقها والافتنان بأساليبها ، والاغراق في التأويل ، والتكلّف في التخريج ، وقصر العناية على ضبط أواخر الكلم ، والانصراف عن تدبر أوجه التعبير لاستجلاء ما تقود اليه من دقائق المعاني ، فانه لا يسلكك الى المطلوب من علم النحو . وقد عرض الزجاجي في ايضاحه لهذا فجعل الاعراب دليلا على المعنى فقال : (إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا اليها ، ولم يكن في صورها وابنيتها أدلّة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جُعلت حركات الاعراب تنبيء عن هذه المعاني .. ليتسعوا في كلامهم ويقدموا الفاعل ، ان أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة الى تقديمه ، وتكون الحركات دالّة على المعاني) .

هذا وإذا صحّ جواز الخطأ على الجاهليين واستقرّ أخذهم بما قُعّد من الأصول ، وكان للمعترض أن يصوّب مايصوّب بالدليل ،

ويسوّيء مايرى فيه مطعنا وبه مغمزا بالحجّة، فلا مناص من أن يكون في مجال النظر لأقوال هؤلاء المتقدّمين ثابت البرهان ، وفي موضع النقد لآرائهم وثيق الحجة . وان يستظهر بأدلة واضحة وبينات ناهضة ملزمة . وألاّ يخفّ الى التخطئة وادعاء الوهم او النقص ، قبل أن يستوفي البحث ويقلّب النظر وينعم الفكر، فيسلك، فيما اتتجاه، الجَدَد ويأمن العثار .

ومن قبيل ما نحن بصدده ، تخطئة اللغوي المعروف الشيخ ابراهيم اليازجي للشاعر الجاهلي الحارث بن حلّزة اليشكري . فقد أخذ عليه انه أنّثَ (الضوضاء) وهي مذكّرة ، وقد قطع في رسالته (لغة الجرائد) بأن ضوضاء مذكر أبدا ، وان من أنّثه فقد توهّم انه من باب (شحناء وبغضاء) كما فعل الحارث بن حلّزة اليشكري ، اذ قال :

أجمعوا أمرهم بليل فلمّا　　　اصبحوا اصبحت لهم ضوضاء

قال اليازجي (١٧) : (على ان مثل هذا الوهم قد جاء في كلام بعض الجاهليين ، لأنه من المواضع التي تلتبس على غير اللغوي ، قال الحارث بن حلّزة، أجمعوا أمرهم.. فأنث الضوضاء على توهّم انه من باب شحناء وبغضاء . والذي يلزم عن هذا أن يكون اشتقاقه من ضاض يضوض ، وهي مادّة لم ينطقوا بها أيضا . والصحيح أن الضوضاء وزنه فعلال على حدّ بلبال وزلزال ، واشتقاقه من الضوّة ، وهي الصياح والجلبة ، وأصله ضوضاو بالواو ، ثم قلبت الواو همزة لتطرّفها) .

ونحن لا نذهب في الردّ على اليازجي الى ما ذهب إليه عبد الرحمن بن سلام البيروتي حين قال : (ان ابن حلّزة من الجاهليين، وإن

نسبة الوهم إليه أمر غير مسلّم) . وانما نرى ما رآه ابن فارس وأبو الحسن الجرجاني فيما تقدّم من قولهما . فلا ننكر لأحد أن يُخطىءَ أو يضلَّ مهما عظمت منزلته في العلم ، وليس امرؤ بفوق أن يهفو او يزلّ وإن كان راسخ القدم فسيح الخطوة طويل الباع . وانما ملاك الأمر أن يُعترف بالحق ويُنقاد بزمامه ، وأن تصدق النيّة في تحرّي الصواب ويُستعان فيه بالصبر . فلا يفتر عزم عن التماس الحق من وجهه ، أو يقصر سعي عن ابتغائه من مأتاه ووِرده .

ومن ثمّ لا بد أن يُستوفى ، فيما نحن فيه ،البحثُ ويُستقصى النظر وأن يُردّ الدليل بالدليل ، وتُدفع الحجة بالحجة . ويعنّ لنا أن نسأل : ألم يعرض العلماء لشعر الحارث بن حلزة ويتدبروه فكيف لم يستدركوا عليه مثل هذا السقط او يأخذوا عليه مثل هذا الوهم ؟

وإذا صحّ أن موضع الخطأ من الخفاء والإشكال بحيث يذهب على شاعر كالحارث ، كما يقول اليازجي ، فكيف يجوز على العلماء المحققين ، ويلبس وجهه على الجهابذة الراسخين ، وهم أبصر بمواطن اللحن ، فيما يعرضون له ، واعلم بصحيح القول من فاسده ؟

والذي عندي أن الشاعر لم يعثر ، وان ضوضاء في كلامه من باب (شحناء وبغضاء) بلا توهّم . خلافاً لما اعتقد اليازجي .

قال ابن سيده في سفره الكبير المخصص (١٦ / ١٦) في باب ما يُمدّ ويُقصر : (والضوضاء الأصوات المرتفعة ، والضوضاء جمع ضوضاءة ، وهي فعلال في لغة من مَدّ وصَرَف ، وفي لغة من مدّ ولم يصرف : فعلاء) . وقد حكى السيوطي في مزهره (٢ / ١٥٠) عن ابن سيده ، ما جاء على فعلاء من الأسماء فقال :

(البأساء الشدة ، والبغضاء العداوة .. والضوضاء الجلبة والصياح في لغة من لا يصرفها .. والغوغاء صغار الجراد وسفلة الناس ... والشحناء العداوة ..) . وقال ابن منظور في اللسان بعد حكاية بيت الشاعر : (وقال ابن سيده ، وعندي أن ضوضاء ها هنا فعلاء) . فما الذي يعنيه هذا كله ؟ الذي يتبين مما أوردنا ان في (ضوضاء) لغتين : الأولى أنها مذكرة على فعلال لأنها مصدر من (ضوضى يضوضي) الرباعي ، والهمزة في الآخر مقلوبة من الواو . وهذه لغة من صرفها . والثانية : أنها مؤنثة على فعلاء ، فلا بد أن تكون من (ضاض يضوض) الثلاثي ، والهمزة في فعلاء للتأنيث ، كما هي في بأساء وشحناء وبغضاء ، وهذه لغة من لم يصرف . وألف التأنيث تمنع من الصرف كل اسم سواء أكان مفردا أم جمعا ، مقصورا أم ممدودا ، نكرة أم معرفة .

هذا وأحق مَنْ يُستفتى في المسألة ويعوّل على رأيه ، وأحجى أن يُحكّم ، ابو زكريا الخطيب التبريزي ، فإنه مفزع الرأي والمشورة . وهو عالم من علماء العربية المتقدّمين ، توفر على شرح كثير من دواوين الشعر كديوان الحماسة وديوان المتنبي وسقط الزند ، وعُني بتهذيب بعض كتب من تقدّموه كابن السكيّت ، وعكف على إعراب القرآن . قال التبريزي في صدد الكلام على بيت الحارث في كتابه (شرح القصائد العشر) : (والضوضاء الجلبة والاختلاط .. ومن العرب من يصرف ضوضاء في المعرفة والنكرة ، وهو الاختيار عند أبي إسحاق لأنه عنده بمنزلة قلقال . ومن العرب من لا يصرفه في معرفة ولا نكرة ، ويجعله بمنزلة صحراء وما أشبهها) .

أفرأيت كيف حكي في الضوضاء التذكير والتأنيث على أنهما

لغتان مسموعتان من لغات العرب •

ولنتدبر كلاً من اللغتين ، لغة من يصرف ضوضاء ويذكّره ،ولغة من يمنعه ويؤنثه • فقد عرض سيبويه لـ (ضوضاء) مذكّراً ، في كلامه علــى فعل (ضوضى) الرباعي (٢ / ٣٨٦) ، فأورد (ضوضيت في باب ما يلزم الواو فيه بدل الياء ، وجعله بمنزلة (ضعضعت) ، كما أورده في باب ما يضعّف من بنات الواو •

وعرض ابن جني للفعل الرباعي أيضا في الخصائص (ج١، وج٣) فذكر ضوضيت وقال ان الواو لا تكون أصلاً في ذوات الاربعة إلاّ مع التكرير •

وطبيعي أن مجيء الفعل رباعياً في الكتاب والخصائص لا يمنع أن يتفق له حال أخرى في لغة اخرى ، كمــا نصّ عليه ابن سيده في غير موضع ، وأشار إليه السيوطي ، وابن منظور ، والتبريزي وغيرهم •

وليست ضوضاء فريدة فيما تداخل أصلاه الثلاثي والرباعي من الممدود • فقد حكى سيبويه (٢ / ٣٨٦) وابن جني (١ / ٤٥٠) وابن سيده (١٦ / ٧٢) من ذلك غوغاء • قال سيبويه : (أما الغوغاء ففيه قولان• أما من قال غوغاءُ فأنث ولم يصرف فهي عنده مثل عوراء •وأما من قال غوغاءٌ فذكّر وصرف فإنمــا هي عنــده بمنزلة القمقام ، وضاعفتَ العين والواو ، كما ضاعفتَ القاف والميم) • وقال نحواً من ذلك ابن جني وابن سيده • وقــال الهمذاني في الألفــاظ الكتابية (وغوغاء يُصرف ولا يُصرف ، فمن صرفه جعله فعلالا ، ومن لم يصرف جعله فعلاء) •

وقال الرضي في شــرح الشافيــة (٢ / ٣٧١ : ومــن صــرف

الغوغاء فهو مثل القمقام ، ومن لم يصرفه فالألف للتأنيث كما في العذراء) • وسبق الى ذلك الزجّاج في كتابه ما ينصرف وما لا ينصرف(٢٤) وقد ورد غوغاء بمعنى ضوضاء أيضا كما ذكره اللسان ، وأشار اليه التاج •

ولنعرض لضوضاء مؤنثا • قال ابن سيده في المخصص : (والضوضاء الاصوات المرتفعة ، والضوضاء جمع ضوضاءة ، وهي فعلال في لغة من مدّ وصرف • وفي لغة من مدّ ولم يصرف فعلاء) • فضوضاء المؤنثة غير المصروفة ، على (فعلاء) ، وهي اسم على معنى الجمع ، واحده ضوضاءة ، قال ابن الأنباري (وقوله ضوضاء معناه جلبة وهو جمع واحدته ضوضاءة ، وهو ممدود • وربما قُصر فيكون جمع ضوضاة) ، كما جاء في تحقيق كتاب القصائد العشر للتبريزي • وهذا يعني ان ضوضاء واحدته ضوضاءة ، وأن ضوضى واحدته ضوضاة • فهل جاء (فعلاء) جمعا او مرادا به معنى الجمع ، وكان له واحد على (فعلاءة) في غير ضوضاء وضوضاءة ؟

جاء في الكافية (٢/١٦٨) : (ومن الاوزان التي لا تكون ألفها الممدودة إلاّ للتأنيث فعلاء • وهو قياس في مؤنث أفعل الصفة نحو أحمر وحمراء • وقد يجيء صفة وليس مذكّره أفعل كامرأة حسناء وديمة هطلاء وحلة شوكاء وداهية دهياء والعرب العرباء • ويجيء مصدرا كالسّراء والضراء واللأواء ، واسما مفردا غير مصدر كالصحراء والهيجاء ، واسم جمع كالطرفاء) • فيبدو ان ضوضاء المؤنثة من قبيل اسم الجمع ومثاله الطرفاء •

قال ابن منظور في اللسان : (والقصباء جماعة القصَب واحدتها قَصَبَة وقصباءة) • وقال أيضا : (قال سيبويه : الطرفاء واحد وجمع ،

والطرفاء اسم للجمع ، وقيل واحدتها طرفاءة) ، وأردف (وقال ابن جنّي من قال طرفاء فالهمزة عنده للتأنيث ، ومن قال طرفاءة فالتـاء عنده للتأنيث) •

وليس كل ما جاء على فعلاء دالا على الجمع جاء واحده على فعلاءة كضوضاء وقصباء وطرفاء ، فقد قالوا في واحد حلفاء (حَلِفَة وحلَفَة وحلفاء وحلفاة) ولم يقولوا (حلفاءة) ، وقالوا في طرفاء (طَرَفة وطرفاء وطرفاءة) • كما قالوا في قصباء (قَصَبة وقصباء وقصباءة) • وفي هذا كلام طويل نجده في شرح الشافية (٢ / ١٩٩) ، والمزهر (٢ / ٧٤) •

ولنعد الى كلام اليازجي ، فقد قال : (على ان مثل هذا الوهم قد جاء حتى في كلام بعض الجاهليين ، لانه من المواضع التي تلتبس على غير اللغوي) • فأيّ موضع أشكل على ابن حلّزة واستبهم فلم يفطن لوجه الصحة في تذكيره أو تأنيثه ؟ أو لا يعلم شاعر جاهلي كالحارث بن حلّزة قد أوتي من نفاذ البصيرة وقوة السليقة ، ومن دربة الفكر في تصريف الكلام ما هو معروف غير منكور ، ألا يعرف انه اذا قيل (ضوضى يضوضي) قيل (ضوضاء) وأن هذا من حقه التذكير ؟

وقال اليازجي : (والصحيح أن الضوضاء وزنه فعلال على حدّ بلبال وزلزال ، واشتقاقه من الضّوة وهي الصياح والجلبة) • فكيف يكون اشتقاق ضوضاء إذا كان من باب شحناء أي فعلاء ثلاثيا من ضاض يضوض ، ويكون اشتقاقه اذا كان على حد فعلال رباعيا من (الضوّة) ؟ فانظر الى ما أشار إليه ابن جني في سر الصناعة (١٩٧/١) فيما تداخل أصلاه الثلاثي والرباعي • قال : ليس ثرّة

عند النحويين من لفظ ثرثارة وإن كانت من معناها) • وهو يريد أن ثرّ من مضاعف الثلاثي ، وثرثر من مضاعف الرباعي • وقد مثل ابن جني لذلك ايضا بـ (رقّ ورقرق وصرّ وصرصر) • كما مثل في الخصائص (٤٥٠/١) بـ (سلس وسلسل ، وقلق وقلقل وحث وحثحث) • قال أبو علي المرزوقي في شرح الحماسة (١٦٤٥) : (والصرّ والصرصر بمعنى ، وليسا من بناء واحد ، لان صرصرَ رباعي وذلك ثلاثي) •

فالواضح اذاً أن (ضوضاء) اذا كان على فعلال فهو من (ضوضى يضوضي) الرباعي ، واذا كان على فعلاء فهو من (ضاض يضوض) الثلاثي ، هذا إذا أريد الزنة والصيغة • أما اذا أريد أصل المعنى فقد كان ينبغي أن يشار اليه ، ويفصّل القول فيه ، والمحلّ محلّ بحث الزنة والصيغة ،لا محل الكشف عما توارد من الالفاظ على معنى وليس يُصحّح كلام اليازجي هنا الاّ على طريقة ابن فارس في المقاييس في اشتقاق الكلام وتوليد بعضه من بعض ، اذ قال : (وأما الضاد والحرف المعتل ، فهو يدلّ على صياح وجلبة ، من ذلك الضوّة والضوضاة او الضوضاء : أصوات الناس وجلبتهم) • فالضوضاء والضوة قد توارد على (الضاد والواو) ودلا على معنى •

وقال اليازجي : (والذي يلزم من هذا ، أي حمل ضوضاء على شحناء أو فعلاء ، ان يكون اشتقاقه من ضاض يضوض ، وهي مادّة لم ينطقوا بها أيضا) • أقول ليس يلزم من عدم النطق بـ (ضاض يضوض) اذا ثبت وصحّ ، ألاّ يكون منه إسم على (فعلاء) • وقد رأيت ان ابن سيده قد اثبت (فعلاء) زنة لضوضاء ونصّ عليه نصا صريحا • وربما بنوا من (فعلاء) اسما ولم يذكروا له فعلا ، أو

كان له فعل أماتوه لاستغنائهم عنه بسواه ، فبقي الاسم • فهذه غوغاء قد نصوا على أنها مؤنثة على زنة فعلاء في لغة من يسنعها من الصرف ، ولم يذكروا لها فعلا على (غوغ) • وهل في اللغة ما يوجب ان يبنى كل اسم على فعل يشتق منه ؟ هذا وقد ردّ على اليازجي غير ناقد • من هؤلاء الأستاذ سليم الجندي في رسالته (إصلاح الفاسد من لغة الجرائد) فاستظهر بالنصوص على ان الضوضاء رباعي لا وجه لاشتقاقه من (الضوّة) لان هذا ثلاثي • وأورد ما حكاه ابو العباس في كتابه (المقصور والممدود) ، قال أبو العباس : (والضوضاءة الأصوات المرتفعة ، ممدودة في قول الفراء ، ومقصورة عند الاصمعي) • ثم حكى عن ابن احمر قوله :

ثم تنادوا بعد تلك الضوضا منهم بهاب وهلا ويابا

كما ذكر بيت الحارث ، وقال (قال سيبويه فمن قصرها جعلها جمع ضوضاة ، ومن مدها جعلها مصدرا كالزلزال ، إذ قالوا : زلزلت الارض زلزالا وزلزلة ، وضوضيت ضوضاء وضوضاة) •

قال الجندي : (فقد اتضح من مجموع هذه النصوص الصريحة أن هذه الكلمة رباعية ، وأنها مثل الضوة لا مشتقة منها •• أما تأنيث الضوضاء فلم أر من صرّح به ، ولكنها وردت مؤنثة في البيتين المتقدّمين ، وفي كلام أبي العباس وسيبويه وفي كلام صاحب التاج ، والعرب قد تؤنث اللفظ باعتبار معناه ، كما قالوا ثلاث أشخص في النساء • ومعنى الضوضاء الجلبة كما رأيت) •

أقول ان النصوص قد اطردت بتأنيث الضوضاء ، كما رأيت فيما أسلفنا • اما تأنيث الضوضاء في كلام أبي العباس وسيبويه وصاحب

التاج ، فلا يُعدّ حجة على ثبوت تأنيثه عند هؤلاء في الاصل • فقد يؤنث اللفظ المذكر في الحديث عنه ، ويراد بتأنيثه (الكلمة) ، فإذا قال سيبويه (ومن مدّها جعلها مصدرا ••) فقد قاله على حدّ قول القائل (ومن مدّ هذه الكلمة جعلها مصدرا) • والا فكيف يجعل الضوضاء مؤنثا وهو مصدر ضوضى ، فانظر الى قوله مثلا (١/٨) : (فانهم يقولون يَدَع ولا يقولون وَدَع ، استغنوا عنها بترك) • فانه على تقدير (استغنوا عن هذه الكلمة) • وهكذا قوله (٢/٣٨٦) (وأما من قال غوغاء مذكر وصرف فإنما هي عنده بمنزلة القمقام) • فهو قد اتى بـ (غوغاء) مصروفا مذكرا ثم قال (فانما هي عنده) ، وتقديره (فانما هذه الكلمة عنده ••) •

أما تعليله تأنيث الضوضاء باعتبار معناه وهو الجلبة فهو تعليل لابأس به ، لولا أمران : الاول اشتهار تأنيث الضوضاء اشتهارا يبعث على حملها على أصل مقطوع به • والثاني ان أحدا لم يشر الى مخالفة الحارث الأصل، في تأنيث الضوضاء • وقد جعل الأئمة تأنيث المذكر فيَ مثل هذا الموضع ضرورة • واذا كان ابن جني قد استجاز هذا وردّ نظائره الى باب ما حُمل على المعنى ، في الخصائص (٢/٤١١ ــ ٤٣٥) فانه اعتدّ هذا الموضع في سر الصناعة (١/١٤) ضرورة قبيحة ، إذ قال : (فإنما أنثه أي الصوت لأنه أراد الاستغاثة ، وهذا من قبيح الضرورة ، أعني تأنيث المذكر ، لانه خروج عن أصل الى فرع • وانما المستجاز من ذلك ردّ التأنيث الى التذكير ، لان التذكير هو الاصل) • وقال في الخصائص : (وتذكير المؤنث واسع جدا لانه ردّ فرع الى الاصل ، ولكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والاغراب) ولو اتفق لاستاذنا الجندي من النصّ ما يؤكد تأنيث

الضوضاء كما وقع لنا ، لاستغنى به عما أورده من التأويل •

هذا وقد بقي أن نقول شيئا في ردّ الاستاذ العدناني على اليازجي في معجمه (الأخطاء الشائعة) • قال العدناني : (قال اللسان الضوضاة والضوضاء أصوات الناس وجلبتهم ••، ولم يذكر كلمة ــ مذكّرة • وهو الذي حرص صاحبه على ايراد كل شاردة وواردة) • أقول اذا كان (اللسان) قد أتى بكل شاردة وواردة فلم يغفل عن صغيرة أو يذهل عن دقيقة ، حتى عُدّ سكوته عن أمر دليلا على انتفاء هذا الامر ، فما بال الاستاذ نفسه لم يستغن بنصوصه ويجتزىء بنقوله فيكفي نفسه مؤونة ابتغاء ما جاءت به بقية المعاجم في هذه المادة أو غيرها ؟ واني لاذكر أن الاستاذ قد استفرغ في معجمه نصوصا من مظان معجمية كان بعضها يُغني عن بعض • وكأنه كان يحاول ألاّ يَدَعَ وراء سعيه في استقصاء النصّ مذهبا لطالب ، أو يترك بعد جهده في استيفائه مرادا لباحث !

أما إغفال الاشارة الى التذكير فيما هو مذكر ، فمردّه الى أن العادة قد جرت غالبا على أن يقصر النص على التأنيث ، فاذا سُكت عنه فقد أُريد بذلك التذكير ، ذلك أنهم اعتدّوا التذكير هو الأصل وهو الأكثر ، فلا حاجة الى أن يشيروا اليه ، والتأنيث فرع ، وهو الأقلّ ، فلا بد من الكشف عنه ، والدلالة عليه • قال سيبويه في الكتاب (٢/٢٢) : (وانما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد • فكل مؤنث شيء والشيء مذكّر ، فالتذكير أوّل ، وهو أشدّ تمكنا) ، وقال الاستاذ العدناني : (ولم أجد معجما واحدا يذكّر كلمة ضوضاء) • وقوله هذا غريب حقا • وذلك أن كل نصٍ

قد تضمّن أن ضوضاء مصدر ضوضى يضوضي ، فقد عنى أنه مذكّر • أوليس في كتب اللغة أن المصدر هو اسم الحدث الجاري على الفعل، أو أنه اسم الحدث الذي يشتق منه (شرح الكافية ٢/١٩١) ، وأن من حقه التذكير لأن به العموم والجنس ، ما لم تلحق به علامة من علامات التأنيث كالعبادة والطلاقة والرشاقة ، فانه يؤنث بلفظه دون معناه ؟ فانظر الى ما جاء في الخصائص (٢/٢٠٢ ــ ٢٠٨) بصدد الكلام على الوصف بالمصدر : (فإن قيل لمَ أنث المصدر أصلا ، وما الذي سوّغ التأنيث فيه ، مع معنى العموم والجنس ، وكلاهما الى التذكير •• قيل علة جواز تأنيث المصدر ، مع ما ذكرته من وجوب تذكيره ، أن المصادر أجناس للمعاني ، كما غيرها أجناس للأعيان نحو رجل وفرس •• فكما أن أجناس الأعيان قد تأتي مؤنثة بالألفاظ ، ولا حقيقة تأنيث في معناها نحو غرفة ومشرقة •• وكذلك جاءت أيضا أجناس المعاني مؤنثا بعضها لفظا دون معنى ، وذلك نحو المحمدة والموجدة) • وقال أبو البقاء في الكليات (٣٢٩) : (أما الأفعال فإنها مذكرة لأن مدلولها الحدث ، والحدث جنس ، والجنس ذكر) •

وتأمل ما جاء في أمالي المرتضى (١/٧٢) : (قال زياد الأعجم :

إن الشجاعة والسماحة ضمّنا ... قبرا بمروَ على الطريق الواضح

فقال ضمّنا ولم يقل ضمّنتنا • قال الفراء لأنه ذهب الى أن السماحة والشجاعة مصدران ، والعرب تقول : قِصارة الثوب يعجبني) •

ومما جاء من المصدر مؤنثا لانتهائه بألف التأنيث ما ذكره سيبويه إذ قال في الكتاب (٢/٢٢٧) : (هذ باب ما جاء من المصادر وفيه ألف

التأنيث ، ذلك قولك رجعته رُجعى وبشرته بُشرى وذكرته ذِكرى واشتكيت شكوى وأفتيته فُتيا ••• وأما الدّعوى فهو ما ادعيت • فدخلت الألف كدخول الهاء في المصادر • وقالوا : الكبرياء للكبر)• وقال ابن سيده في المخصص (١٥/١٠١) : (وأما الألف التي للتأنيث نحو التي في بُشرى وذِكرى والدّعوى ، فهذا الضرب لا يلحقه التنوين في حال) •

وقال صاحب المصباح : (ورأى في منامه رؤيا على فُعلى غير منصرف لألف التأنيث) •

وقال جواس الكلبي :

فلا تكفروا حُسنى مضت من بلائنا ولا تمنحونا بعد لينٍ تجبرا

قال المرزوقي في شرح ديوان الحماسة (١٤٩٣) : (وقوله حُسنى مضت ، مصدر في معنى الاحسان ، وليس بتأنيث الأحسن ، لأن تلك تلزمه الألف والتاء) •

وذكر الرضيّ (السرّاء والضرّاء) في المصادر فأنث لأنهما على فعلاء ، فقال (٢/١٦٨) : (ومن الأوزان التي لا تكون ألفها الممدودة إلا للتأنيث فعلاء ، وهو قياس في مؤنث أفعل •• ويجيء مصدرا كالسرّاء والضرّاء ••) • وقال ابن سيده في المخصص (١٦/٩٠) : (إعلم أن أبنية الأسماء التي تلحقها هذه العلامة ـ أي ألف التأنيث ـ على ضروب ، فمنها فعلاء التي لاتكون أبدا إلا للتأنيث ، ولا تكون همزتها إلا منقلبة عن ألف •• فاذا كانت اسما كان على ثلاثة أضرب اسم غير مصدر ، واسم مصدر ، واسم يراد به الجمع ••) ، ثم قال : (قال الفارسي عند تحليل القسمة الثانية في هذا الباب : وأما ما جاء

من هذا المثال مصدرا فنحو السرّاء والضرّاء والبأساء والنعماء ، وفي التنزيل : ولئن أذقناه نعماء بعد ضرّاء مسّته) . فاستبان بهذا أن المصدر مذكر ما لم تكن به علامة من علامات التأنيث ، الألف أو الهاء .

ولكن قد جاء (السُّرى) وزان (الهُدى) ، على فُعَل ، فقيل إنه مصدر وقد أنث ، فما وجه ذلك ؟

جاء في المزهر (٢/٤٠) : (المصادر على فُعَل قليلة . قد جاء من ذلك الهُدى ، ولقيته لقىً ، وزاد المرزوقي : السُّرى) . وجاء فيه أيضا حول ما ورد من الأسماء المؤنثة التي لا علامة فيها للتأنيث (٢/١٤٤) : (وفي المقصور للقالي ، قال أبو حاتم : السُّرى مؤنثة ، يقال طالت سُراهم ، وهو سير الليل خاصة دون النهار) . وقد أشار الى ذلك أيضا صاحب البلغة أبو البركات بن الأنباري .

وفي اللسان والتاج أن من العرب من أنّث السُّرى ، ومنهم من ذكّر ، ومنهم من جمع بينهما ، فما توجيه تأنيث السُّرى إذا كان مصدرا ، وليس ألفه ألف تأنيث ، وهل لهذا نظير في اللغة ؟

كشف عن ذلك الجوهري ، وهو أنحى اللغويين ، كما قال ابن برّي ، فقال في صحاحه (ذلك أن بعض العرب تؤنث السُّرى والهُدى ، وهم بنو أسد ، توهماً أنه جمع لسُرية وهُدية) . وقد أسس الزمخشري على هذا فجعل المؤنث جمعا لسُرية ، والمذكر مصدرا للفعل فقال في الأساس : (وطال بهم السُّرى ، وطالت ، يكون مصدرا كالهُدى ، وجمع سُرية) أي يكون مصدرا فيذكّر ، وجمع سُرية فيؤنث ، فلا يقع ثمة شذوذ .

وقد جاء في المخصص (١٥/١٧٩) : (الدُّجى جمع دُجية ، وهي الظلمة ••• وقال الفارسي : الدّجى مصدر وليس بجمع) ! وفي شرح الشافية للرضي (٥٦) : (قالوا ليس في المصادر ما هو على فُعَل إلا الهُدى والسُّرى • ولندرته في المصدر يؤنثهما بنو أسد ، على توهم أنهما جمع هُدية وسُرية وإن لم تُسمعا لكثرة فُعَل في جمع فُعلة) •

هذا وقال العدناني (يخطىء الشيخ ابراهيم اليازجي من يؤنث كلمة ضوضاء ، ويرى أنها يجب أن تذكّر ، والحقيقة هي أن ضوضاء مؤنثة) • وأنت لا تسلك إلاّ استغراب هذا ، وقضاء العجب منه ، فكيف يُنكر الأستاذ العدناني تذكير الضوضاء ، وقد استشهد بما حكاه أبو العباس في كتاب المقصور والممدود : (قال سيبويه فمن قصرها جعلها جمع ضوضاة ، ومن مدّها جعلها مصدرا كالزلزال) • أوليس يشهد قول سيبويه (ومن مدّها جعلها مصدرا كالزلزال) أنه مذكّر؟ بل كيف يأبى التذكير على اليازجي ، وقد علله هذا فأوضح أن همزته واو لأنه من ضوضى يضوضي ؟

فالحق كما رأيت أن الضوضاء مذكر على فعلال كزلزال ، ومؤنث على فعلاء كعذراء •

هذا وما دمنا بسبيل تخطئة الأوائل فهذا مثال آخر ، ذلك أن الدكتور مصطفى جواد عضو مجمع اللغة العربية العراقي قد عاب على ابن جني قوله في الخصائص (١/١٧) : (وإن عريت بقية حروف المضارعة •• من اجتماع همزتين) • قال الدكتور جواد في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف واللغة والرسم /٥٦) : (قلنا الصواب : سائر حروف المضارعة ، لأن الثلاثة بالنسبة الى واحد سائر لا بقية) • ولم يزد على ذلك !

وكان كلام ابن جني على أن الهمزة الثانية في (أُؤكرم) قد حذفت حين اقترنت بهمزة المضارعة لاستثقالهم اجتماع همزتين ، فقيل (أُكرم) • على أنها حذفت كذلك مع بقية حروف المضارعة ، غير الهمزة ، وهي النون والياء والتاء ، طردا للباب • فقيل (نكرم ويُكرم وتكرم) ، وليس في هذه اجتماع همزتين •

والذي أراده الدكتور جواد باعتراضه المذكور أنه مادام المقصود بـ (بقية حروف المضارعة) الحروف الثلاثة المتقدّمة ، غير الهمزة ، وهي معظم حروف المضارعة ، وكانت (بقية) للباقي الأقل ، و (سائر) للباقي الأكثر ، فصواب التعبير ، على ما يراه، (سائر حروف المضارعة) لا (بقية حروف المضارعة) •

أقول إن معنى (سائر) في اللغة هو (الباقي) ، ولا نزاع في ذلك عند الأكثرين ، وأن اشتقاقه من (السؤر) وهو البقية قلّت أو كثرت • وقال جماعة إنه يطلق على (الجميع) كما ذهب اليه الجوهري وأبو علي الفارسي والجواليقي وابن برّي وغيرهم (التاج) فهل قصروا (السائر) على الباقي الأكثر ، كما رآه الأستاذ جواد ، وخصوا (البقية) بالأقل ؟

قال الحريري في درة الغواص (يستعملون سائرا بمعنى الجميع وهو في كلام العرب بمعنى الباقي ، ومنه قيل لما يبقى في الاناء سؤر)• وقد استدلّ على ذلك بقول الرسول (ص) لغيلان حين أسلم وعنده عشر نسوة (اختر أربعا منهن وفارق سائرهن) أي من بقي بعد الأربعة قال الحريري (ولما وقع سائر في هذا الموطن بمعنى الباقي الأكثر منع بعضهم من استعماله بمعنى الباقي الأقل ، والصحيح أنه يُستعمل في كلّ باق قلّ أو كثر) • وأيده الخفاجي في شرحه فقال (ظن قوم

أنه يختصّ بالأكثر استدلالاً بما وقع في حديث غيلان ، حين أسلم .. وارتضاه أبو علي وابن دريد وقالا : سائر الشيء معظمه .. والصحيح أنه يستعمل في كل باق قلّ أو كثر) . وأكدّ ذلك الآلوسي في شرحه أيضا فأبى قول من خصّ (سائرا) بالأكثر ، وقال : (ورُدَّ بسماع استعماله في الأقل كالأكثر) :

فأنت ترى أن (سائرا) بمعنى (الباقي) قلّ أو كثر . وقد أكده الأكثرون حين نَفَوْا أن يكون له معنى (الجميع) أو حين أفصحوا عن أن أصله (السؤر) وهو البقية .

فقد قال صاحب التاج (والسائر الباقي) ثم استشهد بأقوال الأئمة ، وما ذكره ابن الأثير في تفسير الحديث (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) ، إذ قال في النهاية (أي باقيه، والسائر مهموز الباقي ، والناس يستعملونه في معنى الجميع ، وليس بصحيح . وقد تكررت هذه اللفظة في الحديث وكلها بمعنى باقي الشيء) .

وقال المرزوقي في شرح الحماسة (٤٩٠) : (والسائر الباقي من الشيء ، وهو من السؤر) . وقال أيضا (١١٥٣) : (وقوله من سائر الناس ، أي من باقي الناس ، هو من السؤر . ومن وضعه موضع الجميع فقد أخطأ) .

وقال الفيومي في المصباح : (واتفق أهل اللغة أن سائر الشيء باقيه ، قليلا كان أو كثيرا) .

وقال أبو منصور في التهذيب : (وأما قوله : وسائر الناس همج،

فإن أهل اللغة اتفقوا على أن معنى سائر في أمثال هذا الموضع ، الباقي) •

أما عن أصله فقد جاء في (الجاسوس على القاموس) لأحمد فارس الشدياق: (إن تفسير السائر بمعنى الجميع أو الباقي على اختلاف الرواية لا يصح من سأر فإنه متعدّ بمعنى أبقى ، فلا يصح استعماله هكذا إلا من فعل لازم ، كما أشار اليه الأزهري بقوله : والسائر الباقي وكأنه من سئر يسأر فهو سائر أي فضل) •

أقول إن الأزهري لم يَحكِ عن العرب (سئر يسأر سُؤْرا) وإنما قدر هذا حين حاول أن يكمل مادة (السؤر والسائر) ويتوخى صيغة الفعل اللازم الذي يكون السؤر مصدرا له ، ويأتي الوصف منه على سائر •

فيمكن أن يكون الفعل على (فَعَل)لازما ، كما رواه ابن منظور في اللسان حكاية عن الأزهري إذ قال : (وفي التهذيب ••• وكأنه من سأر يسأر فهو سائر) ، ويؤنس هذا أن اسم الفاعل انما يُصاغ من (فَعَل) بفتحتين ، أياً كان ، ولا يطّرد من (فَعِل) بفتح فكسر ، إلاّ اذا كان متعديا • ولكن يُبعد ذلك أن مصدر (فَعَل) المقيس ، اذا كان لازما هو (الفُعول) ما لم تعتل عينه أو يدل على امتناع أو تقلب أو داء ••

ويمكن أن يكون الفعل (سئر يسأر فهو سائر) كما نصّت عليه نسخة التهذيب ، وحكاه صاحب الجاسوس ، إذ اتفق لـ (فَعِل يفعَل) اللازم أن يكون المصدر أو الاسم منه على (فُعْل) كسؤر ، والوصف على (فاعل) كسائر ، في كثير من الأفعال • وذلك (زَهِد زُهدا فهو زاهد ، وهَزِيء هُزءاً فهو هازيء ، وسَخِر سُخرا فهو

ساخر . وعَرِيَ عُرياً فهو عارٍ ، وبَخل بُخلا فهو باخل ، ونضج نُضجا فهو ناضج ٠٠) ٠

وجـاء الوصف على (فاعـل) من (فَعِل) اللازم ها هنـا ، حملا على الأفعال المتعدّية كما صرّحوا بذلك حين وجّهوا (سَخِط يسخَط سُخطا فهو ساخط) ٠ قال أبو علي الفارسي فيما حكاه ابن سيده في المخصص (١٢/١٤٠) : (إعلم أن فَعِل يفعَل اذا كان اسم الفاعل منه على فاعل ، فهو يجري مجرى ما يتعدّى وان كان لا يتعدى كقولك سَخط يسخط فهو ساخط وخشي يخشى فهو خاشٍ ٠٠) ٠ وجاء في الكتاب (٢/٢١٥) ما يؤيده ٠ ولا شك أن اسم الفاعل في هذا كله وصف على الثبوت دون الحدوث ٠

فتبين بما بسطنا أن (سائرا) و (البقية) بمعنى الباقي ، سواء عند الأكثرين ٠ وأن قول ابن جني (بقية حروف المضارعة) مستقيم لا سبيل فيه لعائب ، وأن اعتراض الأستاذ جواد ، مدفوع لا يثبت على نقـد ٠

وهذا سيبويه يوقع (البقية) في كلامه موقعها في كلام ابـن جني ، حين يتحدث عـن الترخيـم في الشعر ، فيقول (٢/٣٤٣) : (وجعلت البقية بمنزلة اسم يتصرف من الكلام على ثلاثة أحرف ، وذلك حين قلت يا حارُ) ٠ فقد عبّر سيبويه عن الحروف الثلاثة الباقية من (حارث) بعد حذف (الثاء) بالبقية ، كما عبّر ابن جني عما بقي من حروف المضارعة ، غير الهمزة ، ببقية حروف المضارعة ٠

هذا ولعل ما بعث الأستاذ جوادا على إنكار تعبير ابن جني مـا جاء في شرح درة الغواص للآلوسي حول كلام أبي علي على (سائر)٠ قال أبو علي (ورُدّ كونه من السؤر بوجهين أحدهما أن السؤر بمعنى

البقية ، والبقية تقتضي الأقل ، والسائر يقتضي الأكثر) . وعلّق الآلوسي فقال : (وردّ بسماع استعماله في الأقل كالأكثر) ، كما ردّه كثيرون على ما قدّمنا .

ولكن إذا صحّ أن في المسألة قولين ، وقد تساويا في القوّة ، وأخذ ابن جني بما استرجح أو استصوب منهما ، وهو الامام المجتهد البصير بمذاهب الكلام ، العليم بمواضع النقد ، أفيسوغ أن نقطع بالتخطئة لما أخذ به ونستبد بالرأي فيما اعتقد ، ونكفي أنفسنا كدّ النظر والتدبر ونسقط عنها كلفة البحث والتأمل ، ونقول (الصواب سائر حروف المضارعة ، لأن الثلاثة بالنسبة الى واحد سائر لا بقية) ولا نزيد على ذلك حرفا ؟

أقول لا شك أن على العالم أن يكشف عما يقع من هنوات العلماء وينفق من زلاتهم . ولكن قد صح بما ذكرنا أن عليه أن يكون حسن التحقيق والتثبت فيما يعيب ، طويل النَفَس فيما يتخذ من البحث والتنقير فلا يتجّه من نقده انتهاك أو إجحاف لمن صدقت نياتهم في تحرّي الصواب وابتغاء الحق .

تاريخ الخلفاء
لأبي عبد الله محمد بن يزيد
رواية
أبي بكر السدوسي عنه

يجد الباحث في التراث العربي آلافاً من المخطوطات القيّمة ماتزال محفوظة في مكتبات العالم • والمكتبة الظاهرية تزخر بمخطوطاتها التي جُمعت من كبرى المكتبات في مدارس دمشق القديمة . وعليها خطوط كثير من مؤلفيها وسماعاتهم . وكذلك بمجاميعها التي تضم أنفس الكتب موضوعاً وأصالة وقدماً •

ومن خلال عملي المتواضع في لجنة تاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر استبانت لي أهمية هذا الكتاب وقيمته الكبيرة في التراث الاسلامي إذ يمثل مكتبة ضخمة جمع فيه مؤلفه أصولاً لكثير من الكتب التاريخية والتي ضاع كثير منها ، وهذا ما دفعني للتعرف على بعض هذه الأصول التي استمد ابن عساكر منها مادة كتابه •

ومن بين هذه المخطوطات النادرة كتاب تاريخ الخلفاء لأبي عبدالله محمد بن يزيد (بن ماجه) وهو بخط الحافظ ابن عساكر ضمن مجموعة من مجموعات الحديث في المكتبة الظاهرية •

وترجع أهمية هذا الكتاب الى عدة أمور منها :

١ ـ أنه من مصادر[1] ابن عساكر في تاريخه الكبير تاريخ دمشق،

---

(١) انظر تاريخ دمشق لابن عساكر نسخة س في الظاهرية م١/١٩٦ ب ـ ١٩٧ آ ، م٢ / ٢٨٠ ب ، ٥/٤٤ ب ؛ ٩/١٤٥ ب ـ ١٤٦ آ ـ ٣٨٣ ب ، ١٠/٢٥٦ ب ـ ٢٥٧ آ • ١١/٢١٣ ب ، ١٢/٢١٤ ب ١٣/٩٧ ب ، ١٦٤ ب ؛ ١٦/١٧٧ آ ؛ ١٩٣ ب ، ٣٦٠ ب ، ٣٨٢ ب ١٧/٥٠ ب ، ٤٢٦ آ • ٤٦٤ آ ، ١٨ ؛ ١٧٣ آ •

وقد جاءت روايات ابن عساكر من هذا الكتاب متوجة بالإسناد التالي:

أنبأنا أبو علي بن نبهان ، ثم أخبرنا أبو القاسم السمرقندي ، أنا محمد بن أحمد بن محمد المحاملي الفقيه .

ح وأخبرنا أبو عبد الله البلخي ، أنا أبو الفضل بن خيرون ، قالوا : أنا أبو علي بن شاذان .

ح وأخبرنا أبو عبد الله أيضاً ، أنا طراد بن محمد ورزق الله بن عبد الوهاب ، قالا : أنا أبو بكر بن وصيف قالا : أنا أبو بكر الشافعي .

نا عمر بن حفص السدوسي ، نا محمد بن يزيد .

٢ ــ والكتاب أيضاً من موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، وقد جاءت روايات الخطيب من هذا الكتاب بالسند الى محمد[١] بن يزيد على النحو التالي :

أنبأنا الحسن بن أبي بكر (بن شاذان) حدثنا محمدبن عبد الله بن إبراهيم (المعروف بالشافعي) حدثنا أبو بكر عمر بن حفص السدوسي، حدثنا محمد بن يزيد .

وبالسند إلى[٢] أبي بكر السدوسي
وبالسند إلى[٣] أبي بكر الشافعي
وبالسند إلى[٤] ابن شاذان

(١) انظر تاريخ بغداد : ٣٣٧/٣ ــ ٣٣٨ ، ٣٤٢ ، ٤٠١/٥ ، ٤٧/١٠ ، ١٨٣ ــ ١٨٤ ، ١٩٢ ، ٢٢/١٣ ، ١٣/١٤ ، ١٦ .

(٢) تاريخ بغداد ١٢٣/٢ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ٣٤٨/٣ ، ٣٥١ ، ٦١/٤ ، ٤٠٦ ــ ٤٠٧ ، ٨٤/٥ ، ٣١٧/١١ .

(٣) تاريخ بغداد : ٢١٣/٧

(٤) تاريخ بغداد : ٣٣٩/١ ، ١٤٢/٢ .

٣ ــ وتاريخ الخلفاء من أوائل الكتب التي ألفت في التاريخ فمحمد بن يزيد الذي توفي في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري قريب عهد بخليفة بن خياط المتوفى سنة ٢٤٠ هـ وبالطبري المتوفى سنة ٣١٠ هـ ٠

٤ ــ والكتاب بخط حافظ ومؤرخ كبير هو الحافظ ابن عساكر ٠

٥ ــ وقد كان التأليف في الكتاب ينهج منهجاً خاصاً ، فهو يؤرخ للخليفة : نسبه من أبيه ، نسبه من أمه ، مولده ، مدة خلافته ، كنيته ، كما أنه يذكر تفاصيل يومية لا نجدها عند غيره من المؤرخين وبخاصة في الصفحات الأخيرة من الكتاب ٠

نسبة الكتاب :

ينتهي إسناد الكتاب الى أبي عبد الله محمد بن يزيد ، وأثبت ابن عساكر في الصفحة الأولى عنوان الكتاب على النحو التالي :

تاريخ الخلفاء لأبي عبد الله محمد بن يزيد

فكان علينا أن نتعرف على محمد بن يزيد ، وذلك بتحديد الفترة التي عاش فيها فالذي روى الكتاب عنه هو أبو بكر عمر بن حفص السدوسي (توفي سنة ٢٩٣هـ) ، وآخر من ترجم له هو جعفر المتوكل (قتل سنة ٢٤٧هـ) ، فلا بد إذن من البحث في هذه الفترة بالذات أي ما بين سنتي (٢٤٧ ــ ٢٩٣ هـ) ، غير أني لم أجد في كتب التراجم من له هذا الاسم وهذه الكنية ممن عاش في هذه الفترة ، ويصح أن ينسب إليه هذا الكتاب غير ابن ماجه الإمام المعروف المتوفى سنة ٢٧٣هـ ٠

ثم إن ابن كثير في البداية والنهاية ج١١/٥٢ ذكر أن لابن ماجه «تاريخاً كاملاً من لدن الصحابة إلى عصره» .

ونقل الذهبي في سير أعلام النبلاء ٩/٦٣ (مصورة المخطوطة) عن محمد بن طاهر قوله : رأيت لابن ماجه بمدينة قزوين تاريخاً على الرجال والأمصار الى عصره .

كل ذلك يجعلنا نذهب مذهب الدكتور أكرم العمري[1] أن مصدر هذا التاريخ راجع الى ابن ماجه .

ويحسن التنبه هنا الى أن الكتاب موضوع البحث ليس الكتاب الأصلي للامام ابن ماجه ، إنما هو رواية السدوسي عنه ، لانعرف مبلغ أدائها للأصل المنقول عنه إذ لم نظفر بالأصل نفسه ، ولا بطرق أخرى توقفنا على مادته الأصلية وعلى ذلك فنحن أمام فرع من أصل ابن ماجه ، مع إضافات للراوي السدوسي ومن بعده .

أما المالكي فقد ذكر في « تسمية ما ورد به الخطيب البغدادي » أنه لأبي بكر عمر بن حفص السدوسي راوية الكتاب[2] .

منهج الكتاب :

يبدأ الكتاب :

١ ــ بتاريخ الوحي وتواريخ فتح مكة وحج أبي بكر رضي الله عنه سنة ٩ للهجرة ، وحجة الوداع وغزوة تبوك ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نسبه من أبيه ونسبه من أمه .

٢ ــ تاريخ الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وينتهي بخلافة

(١) انظر كتابه موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ص ١٦٣ــ١٦٤

(٢) انظر نسخة الظاهرية المجموع ١٦ الورقة ١٢٧ وقد نشر الكتاب الدكتور يوسف العش ضمن كتابه « الخطيب البغدادي » ص ٩٢ ــ ١١٢ .

المستكفي • فذكر كل خليفة وتاريخ استخلافه ونسبه لأبيه وأمه، وكنيته ومدة خلافته وعمره ومن صلى عليه وربما ذكر مكان وفاته وبعض أخبـاره •

٣ ــ نجد من خلافة المستعين حتى نهاية ما وصلنا من الكتاب تفصيلات في الحوادث اليومية قد لانجدها في تاريخ آخر •

التسلسل في تأليف الكتـاب :

اشترك أربعة علماء في مادة الكتاب :

فالرواية الأولى للكتاب عن أبي عبد الله محمد بن يزيد تبدأ من بداية الكتاب إلى ترجمة جعفر المتوكل • وفي آخرها يقول السدوسي: إلى ههنا سمعنا من الشيخ وما بقي فزيادة مني •

وهكذا يصل السدوسي الـى نهايـة ترجمة المكتفي وهنا يقول أبو بكر الشافعي الراوي عن السدوسي : إلى ههنا سمعت من أبي بكر السدوسي •

ثم يتابع التاريخ حتى يصل الشافعي الى نهاية خلافة المقتدر والمعتز حيث نجد العبارة التالية : آخر كلام الشافعي •

ويتابع من بعده أبو علي بن شاذان فيبتدىء بترجمة القاهر وهكذا حتى خلافة المستكفي ولا ندري أين توقف بعد ذلك •

مؤلفو الكتاب :

١) أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه :

هو أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني، الربعي بالولاء، المحدث الحجة ، حافظ قزوين في عصره ، مصنف السنن والتاريخ والتفسير • ولد سنة ٢٠٩ هـ وسمع من علي بن محمد الطنافسي ومصعب بن عبد الله الزبيري وسويد بن سعيد وعثمان بن أبي شيبة وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم •

وقد روى عنه الكبار : ابن سيبويه ومحمد بن عيسى الصفار وإسحاق القطان وغيرهم •

قال الذهبي في وصفه : كان ابن ماجه حافظاً ناقداً صادقاً واسع العلم • وقال أبو يعلى الخليلي : هو ثقة كبير متفق عليه له معرفة بالحديث وحفظ ، وارتحل إلى العراقين ومكة والشام ومصر والري لكتب الحديث • وقال الحافظ محمد بن طاهر : رأيت لابن ماجه بمدينة قزوين تاريخاً على الرجال والأمصار إلى عصره • وقال ابن كثير : ولابن ماجه تفسير حافل وتاريخ كامل من لدن الصحابة إلى عصره •

توفي رحمه الله يوم الاثنين ودفن يوم الثلاثاء لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٣ هـ عن أربع وستين سنة •

مصادر هذه الترجمة :

وفيات الأعيان ٦١٣ ، تذكرة الحفاظ ١٨٩/٢ – ١٩٠ ، تهذيب التهذيب ٥٣٠/٩ – ٥٣٢ ، البداية والنهاية ٥٢/١١ ، النجوم الزاهرة ٧٠/٣ ، مرآة الجنان ١٨٨/٢ ، الكامل في التاريخ ١٤٢/٧ ، شذرات الذهب ١٦٤/٢ ، الأعلام ١٥/٨ ، معجم المؤلفين ١١٥/١٢ ، سير أعلام النبلاء للذهبي مخطوط مصور في مكتبة مجمع اللغة العربية .

٢) السدوسي :

أبو بكر عمر بن حفص بن عمر بن يزيد السّدوسي: سمع عاصم بن علي وكامل بن طلحة وأبا بلال الأشعري وسالم بن المغيرة الأزدي •

روى عنه أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد وأبو عمرو بن السماك وجعفر الخلدي وأبو بكر الشافعي وحبيب القزاز وغيرهم •

وكان ثقة ، مات رحمه الله في صفر سنة ٢٩٣ هـ •

المصادر : تاريخ بغداد ٢١٦/١١ ، المنتظم ٥٨/٦ •

٣) أبو بكر الشافعي :

أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبدويه البزاز المعروف بالشافعي ، مسند العراق •

ولد بجَبُّل سنة ٢٦٠ هـ وسكن بغداد ، سمع من موسى بن سهل الوشاء ومحمد بن شداد المسمعي ومحمد بن مسلمة الواسطي وأبي بكر بن أبي الدنيا وغيرهم •

روى عنه الدارقطني وأبو حفص بن شاهين وأبو عبد الله بن منده وأبو علي بن شاذان وأحمد بن عبد الله المحاملي •

وسمع بمصر والشام والجزيرة وغير ذلك • قال الخطيب: كان ثقة ثبتاً حسن التصنيف كثير الحديث جمع أبواباً وشيوخاً •

له كتاب الفوائد المعروفة بالغيلانيات نسبة إلى أبي طالب بن غيلان التي جمعها •

قال الدارقطني : أبو بكر جَبُّلي ثقة مأمون ، ما كان في ذلك الزمان أوثق منه ، رأيت له أصولاً صحيحة متقنة قد ضبط سماعه فيها أحسن الضبط •

توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ٠ودفن قريباً من قبر الإمام أحمد في بغداد ٠

المصادر : تاريخ بغداد ٤٥٦/٥ ، المنتظم ٣٢/٧ ، تذكرة الحفاظ ٩١/٣ ، العبر ٣٠١/٢ ، سير أعلام النبلاء ١٥٣/١٠ ، طبقات الشافعية للأسنوي ٢٥٠/٢ .

٤) أبو علي بن شاذان :

أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان البزاز البغدادي الأصولي مسند العراق ٠

ولد في ربيع الأول سنة ٣٣٩ هـ ، وبكر به والده فأسمعه وله خمس سنين أو نحوها وسمع من خلق كثيرين ، وله مشيخة كبرى هي عواليه عن الكبار ، ومشيخة صغرى عن كل شيخ حديث ٠

حدث عنه الخطيب والبيهقي وأبو إسحاق الشيرازي وأبو الفضل ابن خيرون وأبو علي بن نبهان ٠

قال الخطيب : كان صدوقاً صحيح الكتاب ، وكان يفهم الكلام على مذهب الأشعري ٠ وعن ابن رزقويه قال : أبو علي بن شاذان ثقة ٠

توفي في ليلة السبت مستهل المحرم من سنة ست وعشرين وأربعمائة بعد صلاة العتمة ودفن من الغد وهو يوم السبت وقت صلاة العصر في مقبرة باب الدير ، وحضر الخطيب البغدادي الصلاة عليه ٠

المصادر : تاريخ بغداد ٢٧٩/٧ ، وسير أعلام النبلاء ٩٢/١١ .
وفي مخطوطات الظاهرية : مجالسه ورواياته وأحاديثه ومشيخته الصغرى والمنتقى من مشيخته الكبرى .

وصف المخطوطة :

تاريخ الخلفاء ثالث ثلاثة كتب في مجلد صغير بخط الحافظ المؤرخ (ابن عساكر) علي بن الحسن بن هبة الله المتوفى سنة ٥٧١ هـ وهذه الكتب هي :

١ ـ مسائل أبي جعفر محمد بن عثمان بن أبي شيبة شيوخه[١]
٢ ـ تاريخ أبي بشر هارون بن حاتم التميمي[٢]
٣ ـ تاريخ الخلفاء لأبي عبد الله محمد بن يزيد .

وتاريخ الخلفاء في ١٣ صفحة من الحجم المتوسط من الورقة ٢١٩ ـ ٢٢٥ ، عدد سطور كل صفحة ٢٠ سطراً ، وخطها نسخ معتاد نصف منقوط وخال من الشكل .

وفي هذا المجموع قراءة ابن عساكر لكتاب أبي جعفر سنة ٥٢٠ هـ على الشيخ أبي القاسم إسماعيل السمرقندي وحضر السماع أيضاً جم من الشيوخ منهم العلامة أبو الفرج بن الجوزي، وعليه أيضاً سماع ابن عساكر لكتاب تاريخ هارون بن حاتم سنة ٥٢١ هـ .

أما كتابنا تاريخ الخلفاء فلا نجد قراءة ولاسماعاً في نهايته ،والذي يبدو أن في الكتاب خرماً في نهايته . ويعتقد أن كتاب تاريخ الخلفاء قد تلقاه ابن عساكر في فترة قريبة من الفترة آلتي تلقى فيها الكتابين السابقين .

وقد بدأ تاريخ الخلفاء بالبسملة، وذكر ابن عساكر أربع طرق تلقى بها الكتاب عن شيوخه :

---

(١) نسختة واقوم الآن بتحقيقه .
(٢) قامت الأستاذة سكينة الشهابي بتحقيقه ونشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج١م/٥٣ .

١ ــ طريق المكاتبة : وذلك بمكاتبة شيخه أبي علي بن نبهان مــن بغــداد •

٢ ــ طريق أبي عبد الله البلخي •

٣ ــ طريق آخر لأبي عبد الله البلخي •

٤ ــ طريق أبي القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندي •

وهذا المجموع الذي يضم كتاب تاريخ الخلفاء هــو من مجاميع الظاهرية بدمشق برقم ٤٠ •

النهــج في تحقيــق الكتــاب :

كان لا بد بعد نسخ الكتاب من تحقيق نصه فاعتمدت في ذلك على مراجع ذكرتها في الهامش إن كان الأمر يحتاج الى ذلك • ثم عرضته على تاريخي خليفة بن خياط والطبري وأثبت في الحواشي ما ورد في هذين الكتابين مخالفاً لتاريخ الخلفاء ، واعتمدت على مراجع أخرى عند توقف خليفــة والطبري ، فكتاب خليفة ينتهي بسنة ٢٣٢ هـ ، وينتهي تاريخ الطبري بسنة ٣٠٢هـ ، فاعتمدت كتاب الكامل لابن الأثير وكتاب بلغة الظرفاء لعلي الروحي من علماء القرن السادس الهجري •

وكذلك قمت بتفسير وضبط الألفاظ والأسماء التي لا بد من ضبطها وتفسيرها وقــد وضعت بين معقوفتين كل ما كان زائــداً عن الأصل وذلك زيادة في الايضاح ، أو نقصاً استدركته من تاريخ دمشق لابن عساكر أو تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، وأشرت أحياناً الى مصدر الزيادة حين تكون مستمدة من أحد المراجع •

صفحة عنوان الكتاب

الورقة الاولى من الكتاب

الورقة الأخيرة من المخطوط

تاريـــخ الخلفـــاء

لأبي عبد الله محمد بن يزيد

رواية أبي الفضل محمد بن أحمد بن المحاملي عـن أبي علي بن شاذان عن أبي بكر الشافعي عن أبي بكر عمر بن حفص السدوسي عن أبي عبد الله [زيا][1] دة أبي بكر السدوسي وأبي بكر الشافعي وأبي علي بن شاذان رضي الله عنهم [رواية][1] أبي عبد الله البلخي عن أبي الفضل بن خيرون عن ابن شاذان وعن أبي الفوارس طراد بن محمـد الزينبي وأبي سعد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي عن أبي بكر بن وصيف الصياد عن أبي بكر الشافعي •

أخبرنا بجميع ذلك الشيخ أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر ابن السمرقندي المقرىء أيده الله ، سماع منهما لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي أيده الله •

---

(١) ما بين قوسين ساقط من الأصل الذي هو بخط ابن عساكر بسبب خرم فأثبته استناداً الى ما ورد في بداية الكتاب ونصه .



(آ) أخبرنا الرئيس أبو علي بن نبهان[1] في كتابه إلينا من بغداد ، قال : أنا علي بن شاذان[2] قراءة عليه وأنا أسمع .

ثم أنا أبو عبد الله البلخي[3] ، أنا أبو الفضل بن خيرون[4] ، أنا ابن شاذان[2] .

(آ ــ آ) ما بينهما جاء في أعلى الصفحة من الأصل ، ويبدو أنه طريق للكتاب حصل عليه ابن عساكر مناولة .

(١) أبو علي محمد بن سعيد بن إبراهيم بن سعيد بن نبهان ، البغدادي، الكرخي الكاتب، مسند وقته ولد سنة ٤١١هـ وتوفي سنة ٥١١هـ .

انظر مشيخة ابن عساكر ١٨٧ب، المنتظم ١٩٥/٩، سيرأعلام النبلاء ٥٨/١٢ ، مرآة الجنان ٢٠٣/٣ .

(٢) انظر ترجمته في المقدمة .

(٣) أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خسرو البلخي ثم البغدادي الحنفي جامع مسند أبي حنيفة حدث عنه ابن الجوزي وغيره . توفي سنة ٥٢٦هـ . انظر مشيخة ابن عساكر ٥٤ آ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ١٣٦ ، لسان الميزان ٣١٢/٢ ، الوافي بالوفيات ١٣/١٥ آ .

(٤) أبو الفضل أحمد بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادي: الحافظ المسند الحجة ولد سنة ٤٠٤ وتفرد بأشياء وباجازات . قال السمعاني : ثقة عدل متقن واسع الرواية ، كتب بخطه الكثير وكان له معرفة بالحديث . مات في رجب سنة ٤٨٨ . سير أعلام النبلاء ٢٣/١٢ ، غاية النهاية ٤٦/١ .

وأنا البلخي ، أنــا طراد[١] ، وابن التميمي[٢] قالا : أنا ابــن وصيف الصياد[٣] ، أنا أبو بكر الشافعي[٤] بجميعه • (آ)

وقرأت على الشيخ الامــام أبي القاسم إسماعيل[٥] بن أحمد بن

---

(١) أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي بن حسن بن محمد الزينبي البغدادي القرشي الهاشمي العباسي ، مسند العراق ، ولد سنة ٣٩٨. قال السمعاني : ساد الدهر رتبة وعلواً وشهامة وكان يحضر مجلس إملائه جميع أهل العلــم ، وقد أملى بمــدن كثيرة ، وقال السلفي: كان حنفياً . من جلة الناس وكبرائهم، ثقة ثبتاً مات سنة ٤٩١ هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء ٩/١٢ .

(٢) أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي البغدادي المعمر الواعظ رئيس الحنابلة . قال السمعاني : عمر حتى قصد من كل جانب ، وكان جم الفوائد . ولد سنة ٤٠٠ وتوفي ٤٨٨ ودفن في داره ثم نقل بعد ذلك الى جانب الامام احمد بن حنبل . انظر طبقات الحنابلة ٤٠٢ ، وسير أعلام النبلاء ٢٨٧/١١ ، وغاية النهاية ٢٨٤/١ .

(٣) أبو بكر محمد بن أحمد بن يوسف بن وصيف الصياد : ولد في محرم سنة ٣٣٥ وسمع أبا بكر الشافعي والقطيعي وغيرهما ، وكان ثقــة صدوقاً خيراً ، وتوفي لخمس خلون من ربيع الأول سنة ٤١٣ . انظر : المنتظم ١١/٨ .

(٤) تقدمت ترجمته في المقدمة .

(٥) أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر بن أبي الأشعث السمرقندي الدمشقي المولد البغدادي الوطن ولد بدمشق سنة ٤٥٤ ، وسمع أبا بكر الخطيب وعبد العزيز الكتاني وعبد الدائم القطان وغيرهم . كان ثقة مكثراً صاحب نسخ وأصول . توفي في ذي القعدة سنة ٥٣٦ ودفن بمقبرة الشهداء من غربي بغداد . انظر : مشيخة ابن عساكر ٢٧/آ ، تاريخ ابن عساكر ٤١٠/٢ ب ، المنتظــم ٩٨/١٠ ، مرآة الجنان ٢٦٧/٣ ، تذكرة الحفاظ ١٢٦٣/٤ ، سير أعلام النبــلاء ١٥١/١٢ .

السمرقندي أيّده الله ، أخبركم أبو الفضل[1] محمد بن أحمد بن محمد بن المحاملي الفقيه قراءة عليه وأنت تسمع في محرم سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، أنا أبو علي[2] الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان ، أنا أبو بكر محمد[2] بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي البزاز قراءة عليه ، وأنا أسمع في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول من سنة خمسين وثلاثمائة ، قيل : حدثكم أبو بكر عمر[2] بن حفص السدوسي ، نامحمد[2] بن يزيد أبو عبد الله ، أنا عباد بن عباد المهلبي عن هشام بن حسان عن عكرمة عن ابن عباس قال :

أُوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة ، وأقام بالمدينة عشر سنين ، وتوفي صلى الله عليه وسلم وله ثلاث وستون سنة .

حدثنا محمد بن يزيد ، قال : وأخبرني الهيثم بن عدي عن مجالد عن الشعبي قال :

قُرن[3] إسرافيل برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل عليه

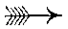
---

(١) ابو الفضل محمد بن احمد بن محمد المحاملي : ولد سنة ٤٠٦ وسمع أبا الحسين بن بشران وأبا علي بن شاذان وأبا الفرج بن المسلمة وغيرهم ، وتفقه على أبيه ، وكان فهماً فطناً ، مات سنة ٤٧٧ هـ . انظر : المنتظم ١٣/٩ ، وطبقات الشافعية للأسنوي ٣٨٢/٢ ، والوافي ٨٦/٢ .

(٢) تقدمت ترجمته في المقدمة .

(٣) في الطبري ٣٨٦/٢ : عن الشعبي قال : قُرن اسرافيلُ بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، يسمع حسه ولا يرى شخصه ، ثم كان بعد ذلك جبريل عليه السلام . قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن

جبريل عليه السلام وله ثلاث وأربعون سنة ، فأقام بمكة عشر سنين وبالمدينة عشر سنين ، وقبض صلوات الله عليه وله ثلاث وستون سنة ، وقبض أبو بكر وله ثلاث وستون سنة ، وقتل عمر رحمه الله وله ثلاث وستون سنة ، وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة في شهر رمضان في سنة ثمان في ذي القعدة وانصرف الى المدينة ، وأقام للناس الحج سنة تسع أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحج ، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر ، وهي حجة الوداع والبلاغ ، ثم انصرف الى المدينة ، ثم[1]



صالح بن دينار فقال : والله يا ابن أخي لقد سمعت عبد الله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة يحدثان في المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا فأنكراه جميعاً وقالا : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قرن به وكان يأتيه الوحي من يوم نبىء به الى أن توفي صلى الله عليه وسلم .

ثم يذكر الطبري رواية أخرى عن عامر قال : انزلت عليه النبوة وهو ابن اربعين سنة ، فقرن بنبوته إسرافيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشيء . ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر (الطبري) : فلعل الذين قالوا : كان مقامه بمكة عشراً عدّوا مقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي من الله عز وجل، واظهر الدعاء الى توحيد الله ، وعد الذين قالوا : كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبىء فيه ، وكان إسرافيل المقرون به وهي السنوات الثلاث التي لم يكن أمر فيها بإظهار الدعوة .

(١) في تاريخ خليفة ٩٢ والطبري ٣/١٠٠ : سنة تسع وفيها غزوة تبوك.

غـزا تبوك آخر ما غـزا ، ثم انصرف ، وتوفي عليه السلام في سـنة إحدى[1] عشرة في شهر ربيـع الأول في ليال خلون منـه . صلى الله عليه وسلم .

وهو[3] : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبدمناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار [بن معد بن عدنان] .

وأم[4] رسول الله صلى الله عليه وسلم : آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة .

فأول من صلى عليه أهل بيته ثم المهاجرون من قريش ثم الأنصار ثـم النـاس .

---

(١) في الطبري ٢/٣٩٢ : هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة لمضي اثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الاول . ثم يقول الطبري : وكـان ابتداء التأريخ بالهجرة قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم بشهرين وايام هي اثنا عشر وذلك ان اول السنة المحرم ، وكان قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد مضي ما ذكرت من السنة ، ولم يؤرخ التأريخ من وقت قدومه ، بل من اول تلك السنة .

(٢) أورد ابن عساكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم ونسب أمه في تاريخه ١/١٩٦ ب ــ ١٩٧ آ ، بالسند الى ابي عبد الله محمد بن يزيد .

(٣) سيرة ابن هشام ١/١ .

(٤) سيرة ابن هشام ١/١٦٩ .

خلافة[1] أبي بكر رحمة الله عليه

واستخلف أبو بكر في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة •

وتوفي يوم الاثنين في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة لثمان بقين من جمادى الآخرة •

وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر أو[2] نحو ذلك •

واسم أبي بكر[3] رحمه الله : عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي •

واسم أم أبي بكر : أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر ، وهي بنت عم أبيه ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما •

خلافة[4] عمر بن الخطاب رحمه الله

واستخلف عمر بن الخطاب سنة ثلاث عشرة في جمادى الآخرة لثمان بقين منه •

وطعنه أبو لؤلؤة قين المغيرة بن شعبة في سنة ثلاث وعشرين في ذي الحجة لست[5] بقين منه ، ثم مات ، وصلى عليه صهيب ، وطعن غداة الأربعاء •

---

(١) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ٣٨٣/٩ ب .
(٢) في تاريخ خليفة ص ١٢٢ والطبري ٤٢٠/٣ : كانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً ، ويقال : عشرة أيام .
(٣) الكنى لمسلم ل ١١ .
(٤) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٩٧/١٣ .
(٥) في تاريخ خليفة ١٥٢ والطبري ١٩٣/٤: لثلاث بقين من ذي الحجة .

وكانت ولايته عشر سنين وستة أشهر وخمسة أيام ونحواً[١] من ذلك .

وكنيته[٢] أبو حفص .

وهو: عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن قُرْط[٣] بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي .

وأمه : حَنْتَمَة بنت هشام[٤] بن المغيرة المخزومي .

خلافة[٥] عثمان رضي الله عنه :

ثم استخلف عثمان بن عفان أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين، ويقال : لأربع خلون من المحرم .

وقتل في ذي الحجة لثمان عشرة خلت منه سنة خمس وثلاثين يوم الجمعة .

وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأياماً[٦] .

---

(١) في تاريخ خليفة ١٥٣ والطبري ١٩٣/٤ : عشر سنين وستة أشهر إلا خمسة أيام أو تسعة .

(٢) الكنى لمسلم ل ٢١ .

(٣) فوقها في الأصل ضبة . وفي الطبري : ١٩٥/٤ : ابن عبد العزى بن رباح بن قرط بن رزاح .

(٤) في تاريخ خليفة ص ١٢٢ والطبري ١٩٥/٤ : هاشم .

(٥) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ٢١٣/١١ .

(٦) في تاريخ خليفة ١٧٧ والطبري ٤١٥/٤ : وثمانية عشر يوماً . ويزيد خليفة : ويقال : اربعة عشر يوماً .

وهو : عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي .

وأمه : أروى بنت كُريز بن حبيب بن عبد شمس .

وتوفي عثمان وله إحدى وثمانون[١] سنة . وصلى عليه جُبير[٢] ابن مطعم .

وكنيته : أبو عمرو[٣] . قال السدوسي : الكنيه من عندي .

خلافة(٤) علي رضي الله عنه :

واستخلف علي بن أبي طالب عليه السلام ــ وكنيته[٥] أبو حسن ــ لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة خمس[٦] وثلاثين .

---

(١) في تاريخ خليفة ١٧٧ والطبري ٤/٤١٥ ـ ٤١٦ : واختلف في سنه . فقيل عن قتادة قال : قتل وهو ابن ست وثمانين سنة ، وعن أبي المقدام : قتل وهو ابن اثنتين وثمانين ، ويقال : أربع وثمانون .

(٢) في تاريخ خليفة ١٧٧ والطبري ٤/٤١٣ : ويقال : حكيم بن حزام . وفي رواية عند خليفة : ويقال : المسور بن مخرمة . وفي رواية عند الطبري ٤/٤١٥ : وصلى عليه مروان بن الحكم .

(٣) الكنى لمسلم ل ٧٥ وفيه : ويقال : أبو عبد الله. وفي انساب الأشراف ٥/١ : وكان عثمان يدعى في الجاهلية أبا عمرو فلما ولدت له رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله اكتنى أبا عبد الله وكناه المسلمون بذلك .

(٤) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٢/٢١٤ ب .

(٥) الكنى لمسلم ل ٢٣ .

(٦) في تاريخ خليفة ١٨٠ : سنة ست وثلاثين فيها بويع علي بن أبي طالب .

وقتل في شهر رمضان سنة أربعين لست[1] بقين منه أو سبع .

فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً[2] .

قتله عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة .

وأسلم وهو ابن إحدى[3] عشرة سنة[4] ، ثم هاجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وله إحدى وعشرون سنة .

وقتل في يوم الجمعة في شهر رمضان سنة أربعين .

وله ثلاث[5] وستون سنة .

وهو : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم (٢٢٠ آ) .

وأمه : فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وهي بنت عم أبي طالب .

وصلى عليه الحسن بن علي .

فكان بين مقتل عثمان الى اصطلاح الحسن بن علي ومعاوية خمس[6] سنين وثلاثة أشهر وسبع ليال .

---

(١) في تاريخ خليفة ١٩٨ : لسبع بقين من رمضان ، وفي تاريخ الطبري ١٤٣/٥ : روايات متعددة في ذلك .

(٢) في تاريخ خليفة ١٩٩ : وستة أيام ، ويقال : ثلاثة أيام ، ويقال : أربعة عشر يوماً . وفي الطبري ١٥٢/٥ روايات متعددة في ذلك .

(٣) في الأصل :احدعشرسنة . وفي تاريخ ابن عساكر ٢١٥/١٢: إحدى.

(٤) في تاريخ خليفة ١٩٩ : عن قتادة عن الحسن : أن علياً أسلم وهو ابن خمس عشرة .

(٥) في تاريخ خليفة ١٩٩ : عن الشعبي: قتل علي وهو ابن ثمان وخمسين سنة . وفي الطبري ١٥١/٥ : واختلف في سنه يوم قتل ، ثم ذكر روايات متعددة .

(٦) في تاريخ خليفة ٢٣٠ : كانت ولاية الحسن بن علي سبعة أشهر وسبعة أيام .

وقتل[١] الحسين بن علي عليه السلام[٢] يوم عاشوراء في المحرم سنة إحدى وستين بكربلاء ، وهو ابن سبع وخمسين سنة .

ثم هاجت فتنة ابن الزبير[٢] .

واستخلف[٣] معاوية بن صخر بن حرب .

وكنيته أبو[٤] عبد الرحمن .

(وصلى عليه يزيد)[٥] .

وحين صالح الحسن بن علي سنة إحدى وأربعين في شهر ربيع .

---

(١) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ٥/٤٤ ب .

(٢-٢) يبدو أن المؤلف رغب في إيراد مقتل عثمان رضي الله عنه ومصالحة الحسن ومقتل الحسين وعبد الله بن الزبير متوالية ، مع أن مقتل الحسين في عهد يزيد ، وفتنة ابن الزبير بدأت في عهد يزيد وانتهت في عهد عبد الملك بن مروان .

(٣) أورد ابن عساكر ترجمته في تاريخه ١٦/ ٣٦٠ ب كالتالي: واستخلف معاوية بن صخر بن حرب ـ وكنيته أبو عبد الرحمن ـ حين صالح الحسن بن علي سنة إحدى وأربعين من شهر ربيع الأول سنةاحدى واربعين . وفي الورقة ٣٨٢ ب : وتوفي معاوية في رجب ..... الى نهاية الترجمة .

(٤) الكنى لمسلم ل ٦٧ ، الطبري ٥/٣٢٨ .

(٥) مابين القوسين يبدو انها جملة زائدة ، إذ سيوردها المؤلف في نهاية ترجمة معاوية . وقد أسقطها ابن عساكر في تاريخه عند نقله هذه الترجمة ، بينما اثبتها في نهاية الترجمة .

خلافة[1] معاوية رحمه الله

في شهر ربيع الأول أو الآخر[2] لخمس بقين منه •

وتوفي معاوية في رجب لثمان[3] بقين منه يوم الخميس سنة ستين•

فكانت خلافته تسع عشرة سنة وأشهراً[4] •

وقد كان أهل الشام بايعوا معاوية حين تفرّق الحكمان سنة سبع وثلاثين في ذي[5] الحجة •

وتوفي وله ثمان[6] وسبعون سنة •

وهو : معاوية بن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي •

وأمه : هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس •

وصلى عليه يزيد[7] •

---

(١) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٦/٣٦٠ ب .

(٢) في تاريخ خليفة ٢٠٣ : في شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى .

(٣) في تاريخ خليفة ٢٩٢ : في رجب لأربع ليال خلت منه .

(٤) في تاريخ خليفة ٢٢٦ : وكانت ولايته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوماً .

(٥) في تاريخ خليفة ١٩٢ : في ذي القعدة .

(٦) في تاريخ خليفة ٢٢٦ : مات معاوية وهو ابن اثنتين وثمانين سنة ، ويقال : ثمانين ، ويقال : ست وثمانين. وفي ص ٢٣٠ عن الواقدي: مات وهو ابن ثمان وسبعين .

(٧) في الطبري ٥/٣٢٧ : الضحاك بن قيس الفهري .

خلافة يزيد

واستخلف يزيد بن معاوية ــ وكنيته أبو خالد ــ لثمان[١] بقين من رجب سنة ستين .

ومات سنة أربع وستين في شهر ربيع الأول ليلة البدر .

فكانت ولايته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأياماً[٢] .

وتوفي وله ثلاث[٣] وثلاثون سنة .

وهو : يزيد بن معاوية بن صخر بن حرب .

وأمه : ميسون بنت بَحْدل الكلبي .

ومات بحوران[٤] من أرض دمشق .

خلافة[٥] معاوية بن يزيد بن معاوية

واستخلف معاوية بن يزيد بن معاوية ثلاثة أشهر ، ويقال : أربعين يوماً أو نحوها .

وكنيته أبو يزيد[٦] .

وأم معاوية : أم[٧] عبد الله بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة .

---

(١) في خليفة : ٢٢٩ : .... في رجب لأربع ليال خلت منه .
(٢) في خليفة ٢٥٥ : واثنين وعشرين يوماً .
(٣) في خليفة ٢٥٥ والطبري ٤٩٩/٥ : وهو ابن ثمان وثلاثين سنة . وقالوا : ابن بضع وأربعين سنة .
(٤) في الأصل فوقها ضبة . وفي خليفة ص ٢٥٥ والطبري ٤٩٩/٥ : بحوارين من بلاد حمص .
(٥) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ٣٩٦/١٦ ب .
(٦) في الطبري ٥٠٣/٥ : ويكنى أبا عبد الرحمن ، وهو أبو ليلى .
(٧) في الطبري ٥٠٣/٥ : أم هاشم .

قال أبو بكر [السدوسي] : وتوفي وله تسع[1] عشرة سنة ، ويقال : عشرون سنة .

وصلى عليه عثمان[2] بن عنبة بن أبي سفيان .

[خلافة[3] مروان بن الحكم]

ثم كانت الفتنة فبايع أهل الشام مروان بن الحكم في النصف[4] من ذي القعدة سنة أربع وستين، ومات في شهر رمضان سنة خمس وستين.

وقيل : مروان قتلته امرأته أم معاوية بن يزيد ، لثلاث خلون من رمضان فولي تسعة أشهر وثمانية[5] وعشرين يوماً ، وتوفي وله إحدى (٢٢٠ ب) وثمانون[6] سنة .

وهو : مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية .
وأمه : آمنة[7] بنت صفوان بن محرز الكناني .
وكنيته : أبو[8] عبد الملك ، وصلى عليه عبد الملك بن مروان .

---

(١) في خليفة ٢٥٥ : وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ويقال : عشرين سنة . وفي الطبري ٥/٥٠٣ ابن ثلاث عشرة سنة وثمانية عشر يوماً .
(٢) في تاريخ خليفة ٢٥٥ : وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان .
(٣) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٦/١٧٧ .
(٤) في الطبري ٥/٥٣٤ : لثلاث خلون من ذي القعدة .
(٥) في تاريخ خليفة ٢٦٢ : وثمانية عشر يوماً .
(٦) في تاريخ خليفة ٢٦٢ والطبري ٥/٦١١ : وهو ابن ثلاث وستين سنة، ويقال : مات آخر يوم من شعبان وهو ابن اربع وستين سنة. وقيل: إحدى وسبعين ، وقيل : إحدى وثمانين .
(٧) في تاريخ خليفة : آمنة بنت علقمة بن صفوان الكناني .
(٨) الكنى لمسلم ل ٨١ .

بيعة[١] عبد الله بن الزبير :

وبويع لعبد الله بن الزبير بمكة في رجب لسبع خلون منه سنة أربع وستين .

وقتل رحمه الله في جمادى الآخرة[٢] لثلاث عشرة بقيت منه يوم الثلاثاء سنة ثلاث وسبعين .

فكانت الفتنة منذ بويع إلى أن قتل تسع سنين وشهرين وأياماً ، قتله الحجاج بن يوسف ، وله ثلاث وسبعون .

وكنيته[٣] : أبو بكر .

وهو : عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب .

وأمه : أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

بيعة[٤] عبد الملك

وبايع أهل الشام عبد الملك بن مروان في شهر رمضان سنة خمس وستين ، واجتمع الناس على بيعته سنة ثلاث وسبعين في جمادى الآخرة لثلاث عشرة بقيت منه .

ومات عبد الملك للنصف من شوال سنة ست وثمانين .

وكانت ولايته حين أجمعوا عليه إلى أن توفي ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً[٥] بعد قتل ابن الزبير .

---

(١) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ٩/١٤٥ ـ ١٤٦

(٢) في تاريخ الطبري ٦/١٨٧ : جمادى الاولى .

(٣) الكنى لمسلم ل ١١ .

(٤) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٠/٢٥٦ ب ـ ٢٥٧

(٥) في تاريخ خليفة ص ٢٩٩ : وثمانية وعشرين يوماً .

وتوفي وله سبع [١] وخمسون سنة .

وهو : عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .

وأمه : عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية .

وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . مات بدمشق ليلة البدر .

خلافة[٢] الوليد بن عبد الملك

ثم ولي الوليد بن عبدالملك للنصف من شوال يوم توفي عبدالملك.
وكنيته : أبو العباس .

وتوفي سنة ست وتسعين في شهر ربيع[٣] الأول أو الآخر للنصف منه .

فكانت ولايته تسع سنين وخمسة[٤] أشهر أو ستة .

وتوفي وله تسع[٥] وأربعون سنة .
وأمه : ولادة وهي أم سليمان بنت العباس بن جَزْء العبسية .

ولاية سليمان بن عبد الملك :

ثم ولي سليمان بن عبد الملك للنصف من ربيع الأول أو الآخر سنة ست وتسعين .

---

(١) في تاريخ خليفة ٢٩٢ : وهو ابن ثلاث وستين سنة .
(٢) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ٤٢٦/١٦
(٣) في تاريخ الطبري ٤٩٥/٦ : جمادى الآخرة .
(٤) في تاريخ خليفة ٣٠٩ : وخمسة اشهر وأياماً .
(٥) في تاريخ الطبري ٤٩٥/٦ : ست وأربعون سنة واشهر ، وقيل : ابن خمس وأربعين سنة ، وقيل: ابن اثنتين واربعين سنة واشهر.

وتوفي في صفر يوم الجمعة[1] .

وكانت ولايته سنتين وعشرة أشهر أو تسعة أشهر وأياماً .

وتوفي وله خمس وأربعون سنة .

وصلى عليه عمر بن عبد العزيز .

خلافة[2] عمر بن عبد العزيز رحمه الله :

واستخلف[3] عمر بن عبدالعزيز ـ وكنيته أبو[4] حفص ـ وتوفي في سنة إحدى ومائة لخمس بقين من رجب يوم الجمعة .

فكانت ولايته سنتين وخمسة أشهر وخمسة وعشرين يوماً .

وتوفي وله تسع[5] وثلاثون سنة .

وهو : عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابـن أميـة .

وأمه : أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، واسمها ليلى بنت عاصم .

وتوفي في دير سمعان من حمص .

وصلى عليه مسلمة[6] بن عبد الملك ، ويقال عبد العزيز بن عمر .

---

(١) لعشر خلون من صفر سنة ٩٩ هـ . تاريخ خليفة ص ٣١٦ .

(٢) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٦٤/١٣ .

(٣) في تاريخ خليفة ص ٣١٦ : لعشر خلون من صفر سنة تسع وتسعين .

(٤) الكنى لمسلم ل ٢١ .

(٥) في تاريخ خليفة ٣٢١ : وستة أشهر . وفي الطبري ٥٦٥/٦ : وقال بعضهم : وخمسة أشهر .

(٦) في تاريخ خليفة ٣٢١ ـ ٣٢٢ : وصلى عليه مسلمة بن يزيد بـن عبد الملك .

خلافة[1] يزيد بن عبد الملك

ثم استخلف يزيد بن عبد الملك بن مروان حين توفي عمر .

وتوفي يزيد سنة خمس ومائة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه .

فكانت ولايته أربع سنين وشهراً .

وتوفي وله أربعون[2] سنة .

وأمه : عاتكة بنت يزيد بن معاوية .

وتوفي بإربد[3] من حوران من أرض دمشق .

وصلى عليه الوليد[4] بن عبد الملك .

خلافة هشام :

ثم استخلف هشام بن عبد الملك سنة خمس ومائة في شعبان .

وتوفي سنة خمس وعشرين ومائة، لست[5] خلون من ربيع الآخر .

وكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد[6] عشر يوماً .

---

(١) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٨/١٧٣ .

(٢) في تاريخ خليفة ٣٣١ : وهو ابن أربع أو ثلاث وثلاثين . وفي الطبري ٧/٢٢ : روايات متعددة في عمره .

(٣) في تاريخ خليفة ٣٣٠ : مات بإربد من بلاد البلقاء .

(٤) فوقها في الأصل ضبة وكذلك فوق : عبد . وفي تاريخ ابن عساكر ١٨/١٧٣ : وصلى عليه الوليد يعني ابن يزيد بن عبد الملك . وفي تاريخ خليفة ٣٣١ : صلى عليه أخوه هشام ين عبد الملك . وفي الطبري ٧/٢٢ : وصلى عليه ابنه الوليد .

(٥) في تاريخ خليفة ٣٥٧ : لثلاث خلون .

(٦) في تاريخ الطبري ٧/٢٠٠ : واحداً وعشرين يوماً .

وتوفي وله إحدى[1] وستون سنة .

وأمه : عائشة بنت هشام بن إسماعيل المخزومي .

وتوفي بالرصافة ، وصلى عليه مسلمة[2] بن عبد الملك .

خلافة[3] الوليد بن يزيد

ثم استخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة .

وقتل لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .
فكانت ولايته سنة وشهراً[4] واثنين وعشرين يوماً .
وكنيته : أبو العباس .
وتوفي بالخرامى[5] من أرض دمشق .
وتوفي وله خمس وأربعون سنة .
وأمه: أم الحجاج بنت محمد بن يوسف أخي الحجاج بن يوسف.

ولاية يزيد بن الوليد

ثم ولي يزيد بن الوليد (بن عبد الملك)[6] ــ وهو الناقص ــ في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة .

وتوفي لعشر بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين .

---

(١) في الأصل : أحد وستون . وفي الطبري ٢٠٠/٧ : روايات متعددة في عمره .
(٢) في تاريخ خليفة ٣٥٧ : صلى عليه الوليد بن يزيد .
(٣) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ٤٦٤/١٧ .
(٤) في تاريخ خليفة ٣٦٢ والطبري ٢٥٢/٧ : وشهرين .
(٥) في تاريخ خليفة ٣٦٢ والطبري ٢٥٠/٧ :بالبخراء من تدمر على أميال .
(٦) ما بين القوسين مستدرك في هامش الأصل .

فكانت ولايته خمسة أشهر واثني[1] عشر يوماً .

وله أربعون[2] . وكنيته أبو خالد .

وأمه أمة . (٢٢١ ب) .

بيعة إبراهيم[3] الخليع

وبويع[4] إبراهيم بن الوليد ، وهو أخو يزيد بن الوليد ، وهو الخليع ، قدّم[5] مروان بن محمد ، وهو أخوه لأمه .

وأمهما أمة ، وكنيته أبو إسحاق .

بيعة[6] مروان

ثم بويع مروان بن محمد بن مروان بن الحكم ـ وكنيته أبو عبد الملك ـ لأربع عشرة خلت من صفر سنة سبع وعشرين ومائة .

وقتل يوم الخميس لست بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة .

قال أبو بكر [السدوسي] : وقتل بأرض بوصير من مصر .

(١) في الطبري ٢٩٨/٧ : روايات متعددة في مدة خلافته .
(٢) في تاريخ خليفة ٣٦٩ : وهو ابن خمس أو ست وثلاثين ، وقال حاتم ابن مسلم : وهو ابن ست واربعين ، وقال عبد العزيز : بويع وهو ابن تسع وثلاثين ومات ولم يبلغ الأربعين . وفي الطبري ٢٩٨/٧ : روايات متعددة عن عمره .
(٣) أورد ابن عساكر هذه الترجمة في تاريخه ٢٨٠/٢ ب .
(٤) في ذي الحجة سنة ١٢٦ هـ ، فكانت ولايته شهرين وعشرة أيام . بلغة الظرفاء ٢٨ .
(٥) في تاريخ خليفة ٣٧٤ : اتى ابراهيم بن الوليد مروان بن محمد بالجزيرة فخلع نفسه وبايعه .
(٦) أورد ابن عساكر ترجمته هذه في تاريخه ١٩٣/١٦ .

فكانت ولايته إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وعشرة[1] أيام.

فكانت ولاية مروان بن محمد إلى أن بويع لأبي العباس بعد بني أمية خمس سنين وثمانية وعشرين يوماً.

وتوفي وله اثنتان[2] وستون سنة.

وأمه أم ولد.

ولدُ العباس رضي الله عنه

[خلافة[3] أبي العباس السفاح] :

واستخلف أبو العباس ــ وهو السفاح : عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ــ سنة اثنتين وثلاثين ومائة لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، ويقال : في جمادى.

وتوفي سنة ست وثلاثين ومائة، لثلاث[4] عشرة أو إحدى عشرة خلت من ذي الحجة يوم الأحد.

فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر.

وتوفي وله ثلاث وثلاثون سنة.

وأمه : رائطة[5] بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان بن الحارث بن كعب.

توفي بالأنبار، وصلى عليه عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس.

---

(١) في الطبري ٤٤٢/٧ : وستة عشر يوماً.
(٢) نقل الطبري ٤٤٢/٧ هذه الرواية وذكر روايات متعددة في ذلك.
(٣) أورد الخطيب البغدادي ترجمته هذه في تاريخه ٤٧/١٠.
(٤) في تاريخ الطبري ٤٧٠/٧ : لاثنتي عشرة.
(٥) في تاريخ خليفة ٤٠٩ والطبري ٤٧٠/٧ وتاريخ بغداد ٤٧/١٠ : ريطة

خلافة أبي جعفر وهو المنصور

واستخلف أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي .

وأمه أم ولد يقال لها : سلامة .

وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائة لتسع خلون من ذي الحجة .

فكانت خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا ستة أيام .

وتوفي بمكة يوم التروية[1] .

وصلى عليه عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس .

خلافة المهدي[2]

واستخلف المهدي محمد بن عبد الله .

قال أبو بكر [السدوسي] : توفي بماسبذان[3] .

وصلى عليه الرشيد .

وكنيته أبو عبد الله .

وتوفي سنة تسع وستين ومائة في المحرم لثمان بقين منه .

فكانت خلافته عشر[4] سنين وشهراً ونصف (كذا) .

وتوفي وله ثلاث وأربعون سنة .

---

(١) في تاريخ خليفة ٤٢٨ والطبري ٦٢/٨ : قبل يوم التروية بيوم .

(٢) أورد الخطيب البغدادي ترجمته هذه في تاريخه ٤٠١/٥ .

(٣) في الطبري ١٧١/٨ : توفي بقرية من قرى ماسبذان يقال لها : الرذ . وفي معجم البلدان ٣١٣/٤ ماسبذان : بفتح السين والباء الموحدة والذال معجمة وآخره نون : في فارس وبين ماسبذان والرذ عدة فراسخ .

(٤) في الطبري ١٧١/٨ : وشهراً .

وأمه : أم موسى[١] بنت منصور بن عبد الله بن شهر بن شرحبيل الحميرية (٢٢٢ آ) .

خلافة موسى[٢] [الهادي]

واستخلف موسى بن المهدي سنة تسع وستين ومائة ، وهو الهادي .

وتوفي في سنة سبعين ومائة لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول يوم الجمعة .

فكانت خلافته سنة وشهراً[٣] واثنين وعشرين يوماً .

وتوفي وله أربع وعشرون سنة .

وأمه أم ولد يقال لها : الخيزران .

خلافة هارون الرشيد[٤]

واستخلف هارون بن المهدي ، الرشيد ، سنة سبعين ومائة في ربيع الأول .

وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة لثلاث بقين[٥] من جمادى الأولى .

فكانت خلافته ثلاثاً[٦] وعشرين سنة وشهرين[٧] وثلاثة عشر يوماً . أو نحو هذا .

---

(١) في الطبري ١٠٩/٨ : أم موسى بنت منصور بن عبد الله بن يزيد ابن شمر ...

(٢) أورد الخطيب البغدادي ترجمته هذه في تاريخه ٢٢/٣ .

(٣) في الأصل : وشهر . وفي تاريخ خليفة ٤٤٦ : وشهرين .

(٤) أورد الخطيب البغدادي ترجمته هذه في تاريخه ١٣/١٤ .

(٥) في تاريخ خليفة ٤٦٠ : ليلة السبت غرة جمادى الآخرة . وفي الطبري ٣٤٥/٨ : لثلاث خلون من جمادى الآخرة .

(٦) في الأصل : ثلاث .

(٧) في تاريخ خليفة ٤٦٠ : وشهراً .

وذكرت وفاته ، ونعاه محمد بن هارون بمدينة السلام يوم الجمعة لست عشرة خلت من جمادى الآخرة .

وأمه : الخيزران .

قال : أبو بكر [السدوسي][١] : وكنيته : أبو جعفر .

ومات بطوس ، وصلى عليه صالح بن الرشيد .

وتوفي وله ست[٢] وأربعون سنة .

خلافة ابن زبيدة [محمد الأمين][٣]

واستخلف محمد بن هارون المخلوع ـ وقال أبو بكر [السدوسي] : وهو الأمين ـ في جمادى الآخرة يوم الجمعة لثلاث[٤] عشرة بقيت منه سنة ثلاث وتسعين ومائة .

وقتل[٥] في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة .

فكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر[٦] وأربعة وعشرين يوماً .

---

(١) الزيادة من تاريخ بغداد ١٣/١٤ .
(٢) في تاريخ خليفة ٤٦٠ : وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام . وفي الطبري ٣٤٦/٨ : ابن خمس واربعين سنة ، وقيل : كان سنه سبعا واربعين سنة وخمسة اشهر وأيام .
(٣) أورد الخطيب البغدادي ترجمته هذه في تاريخه ٣٣٧/٣ ، ٣٣٨ ، وكذلك ابن عساكر في تاريخه ١٧/٥٠ ب .
(٤) وفي الطبري ٤٩٨/٨ : يوم الخميس لاحدى عشرة بقيت من جمادى الاولى .
(٥) في الطبري ٤٩٩/٨ : قتل لخمس بقين من المحرم . وفي ص ٤٩٨ : قتل ليلة الأحد لست بقين من صفر سنة سبع وتسعين ومائة .
(٦) في خليفة ٤٦٨ : أربع سنين وثمانية اشهر . وفي الطبري ٤٩٨/٨ :

وقتل وله ثمان[1] وعشرون[2] سنة .

وأمه : أم جعفر بنت جعفر بن أبي جعفر .

قال أبو بكر[السدوسي][3] : وكنيته[4] : أبو عبد الله .

خلافة المأمون[5]

واستخلف عبد الله بن هارون المأمون في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة . وقد سلم عليه بالخلافة ـ وكنيته أبو العباس ـ قبل ذلك ببلاد خراسان نحو سنتين ، وخلع أهل خراسان وغيرهم محمد بن هارون .

فكانت خلافة المأمون من قتل محمد بن هارون عشرين سنة ونحو أربعة[6] أشهر .

وتوفي في ناحية طرسوس في رجب[7] سنة ثمان عشرة ومائتين .
وتوفي وله ثمان وأربعون سنة .
وأمه : مراجل الباذغيسية[8] أم ولد .
وصلى عليه المعتصم .

اربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام . وفي رواية اخرى أربع سنين وسبعة أشهر وثلاثة أيام .

(١) في الأصل : ثمانية .
(٢) في الأصل : وعشرين .
(٣) الزيادة من تاريخ بغداد ٣٣٨/٣ وتاريخ ابن عساكر ١٦/٥٠ ب .
(٤) في الطبري ٤٩٨/٨ : أبو موسى . وقد قيل: كانت كنيته أبا عبد الله.
(٥) أورد الخطيب البغدادي ترجمته هذه في تاريخه ١٠/١٨٣ ـ ١٨٤ .
(٦) في الطبري ٨/٦٥٠ :عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً .
(٧) في الطبري ٨/٦٥٠ : لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب .
(٨) نسبة الى باذغيس بفتح الذال وكسر الغين المعجمة وياء ساكنة وسين مهملة : ناحية تشتمل على قرى من اعمال هراة ومروالروذ. معجم البلدان ٤٦١/١ .

[خلافــة المعتصــم][1]

واستخلف أبو إسحاق محمد بن هارون المعتصم بالله في رجب[2] سنة ثمان عشرة ومائتين .

وتوفي في شهر ربيع الأول[3] سنة سبع وعشرين ومائتين .

فكانت خلافته ثمان سنين ونحواً من سبعة[4] أشهر .

وكانت أمه أم ولد يقال لها : ماردة .

وتوفي وله (٢٢٢ ب) تسع[5] وأربعون سنة .

وصلى عليه الواثق .

خلافــة الواثــق[6]

---

(١) أورد الخطيب البغدادي ترجمته هذه في تاريخه ٣٤٢/٣ .

(٢) في الطبري ٦٦٧/٨ : لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب .

(٣) في الطبري ١١٨/٩ : لثماني عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول .

(٤) في الطبري ١١٩/٩ ثماني سنين وثمانية أشهر ويومين .

(٥) في الطبري روايات متعددة عن عمره .

(٦) أورد الخطيب [illegible] ترجمته هذه في تاريخه [illegible] .

واستخلف هارون بن أبي إسحاق الواثق بالله في شهر ربيع الأول[١] سنة سبع وعشرين ومائتين .

وتوفي يوم الأربعاء في ذي الحجة لثلاث[٢] بقين منه سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

وكانت خلافته خمس سنين وثلاثة أشهر وخمسة عشر يوماً[٣] .

وكانت أمه أم ولد يقال لها : قراطيس .

وكنيته : أبو جعفر .

خلافة جعفر المتوكل

واستخلف جعفر المتوكل يوم الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين .

وقتل ليلة الأربعاء لأربع ليال خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

فكانت خلافته أربع عشرة سنة وتسعة[٤] أشهر ويوماً واحداً .

وأمه أم ولد يقال لها : شجاع[٥] .

وكنيته أبو الفضل .

وصلى عليه المنتصر .

(١) في الطبري ١٢٣/٩ : يوم الاربعاء لثمان خلون من شهر ربيع الأول .
وفي الكامل ٥٢٨/٦ : لثماني عشرة مضت من ربيع الأول .
(٢) في الطبري ١٥١/٩ والكامل ٢٩/٧ لست بقين من ذي الحجة .
(٣) في الطبري ٢٣٠/٩ والكامل ١٠٠/٧ : خمس سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام .
(٤) في الطبري ٢٣٠/٩ والكامل ١٠٠/٧ : وعشرة أشهر وثلاثة أيام .
(٥) الطبري ١٨٥/٩ .

قال أبو بكر السَدُوسي[١] : الى ها هنا سمعنا من الشيخ[٢] ، وما بقي فزيادة مني .

قال أبو بكر السدوسي : أخذت البيعة لولد جعفر المتوكل يوم السبت لثلاث بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ومائتين .

خلافة المنتصر

واستخلف محمد بن جعفر المتوكل ، وهو المنتصر ، يوم الأربعاء لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين .

وتوفي يوم الاثنين لأربع[٣] خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين .

فكانت خلافته ستة أشهر .

وأمه أم ولد ، يقال لها : حبشية ، وكنيته : أبو جعفر .

وصلى عليه المستعين .

خلافة المستعين [والمعتز[٤] والمهتدي بالله]

واستخلف أحمد بن محمد بن المعتصم المستعين بالله ، يوم الاثنين لأربع[٥] خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ، ومائتين وكنيته أبو عبد الله[٦] .

---

(١) عمر بن حفص السدوسي : تقدمت ترجمته في المقدمة .
(٢) اي محمد بن يزيد : تقدمت ترجمته في المقدمة .
(٣) في الكامل ١١٤/٧ : لخمس خلون من ربيع الآخر .
(٤) أورد الخطيب ترجمة المستعين هذه في تاريخه ٨٤/٥ ، وترجمة المعتز في ١٢٣/٢ ، وترجمة المهتدي في ٣٤٨/٣ ، ٣٥١ .
(٥) في الطبري ٢٥٦/٩ والكامل ١١٧/٧ : لست خلون من ربيع الآخر .
(٦) في الكامل ١١٧/٧ : ويكنى ابا العباس .

وقدم المستعين إلى بغداد يوم الأربعاء لست بقين[1] من المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين .

وبايع أهل سر من رأى المعتز يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من المحرم سنة إحدى وخمسين ومائتين . فكانت الحرب في صفر في آذار .

وأمه [أي أم المستعين] أم ولد اسمها مخارق .

فخلع المستعين ودعي للمعتز ببغداد يوم الجمعة لثلاث[2] ليال خلت من المحرم سنة اثنتين وخمسين ومائتين .

وأمه [أي أم المعتز] قبيحة . وكنيته : أبو عبد الله .

وخلع المعتز في آخر[3] رجب .

ودعي لمحمد بن الواثق بالله المهتدي [بالله] بسر من رأى يوم الأربعاء ليومين[4] بقيا من رجب ولثلاث عشرة (٢٢٣ آ) خلت من تموز سنة خمس وخمسين ومائتين ودعي له يوم الجمعة بسر من رأى أول يوم من شعبان ولم يدع له ببغداد .

ودعي للمعتز ببغداد .

وقتل المعتز يوم السبت ليومين[5] من شعبان .

---

(١) كلمة « بقين » ليست في تاريخ بغداد للخطيب . وفي الطبري ٢٨٣/٩ : يوم الأربعاء لأربعة أيام وقيل : لخمسة أيام خلون من المحرم .
(٢) في الطبري ٣٨٤/٩ والكامل ١٦٧/٧ : لأربع خلون من المحرم .
(٣) في الطبري ٣٨٩/٩ : لثلاث بقين .
(٤) في الطبري ٤٦٧/٩ والكامل ٢٢٨/٧ : لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين .
(٥) الطبري ٣٩٠/٩ .

ودعي لمحمد بن الواثق المهتدي بالله في الجمعة الثانية ببغدادلثمان خلون من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين ، ولسبع بقين من تموز .

وأمه أم ولد تسمى قرب .

ووقعت الفتنة بسر من رأى يوم الأحد مع الزوال لأربع عشرة من حزيران وخرج المهتدي فحاربهم ، فجرح وصار في يدي الأتراك ، فمكث بقية يومه ويوم الاثنين ، ثم قتل وصلي عليه يوم الثلاثاء لأربع[1] عشرة بقيت من رجب .

بيعة المعتمد[2]

وبويع أحمد بن المتوكل ، المعتمد على الله يوم الثلاثاء لأربععشرة بقيت من رجب سنة ست وخمسين ومائتين .

وأمه أم [ولد[3]] يقال لها : فتيان[4] .

ودعي لجعفر المفوض إلى الله بن المعتمد ، ولأبي أحمد بن المتوكل الموفق بالله بولاية العهد يوم الجمعة بسر من رأى لسبع عشرة خلت من ذي[5] الحجة سنة إحدى وستين ومائتين .

وقدم المعتمد بغداد يوم السبت ارتفاع النهار لعشر خلون من جمادى الآخرة، ونزل الشمّاسيّة[6] ، فأقام بها السبت والأحدوالاثنين

---

(١) في الكامل ١٩٨/٧ : لليلة بقيت من رجب .
(٢) أورد الخطيب البغدادي بعض هذه الترجمة في تاريخه ٤/٦١ .
(٣) فراغ في الأصل وفوقه ضبة . وأتممت الفراغ من تاريخ بغداد٤/٦١
(٤) في الأصل اهملت الحروف واثبت ما في الطبري ٩/٤٧٤ .
(٥) في الطبري ٩/٥١٤ : لاثنتي عشرة مضت من شوال .
(٦) الشماسية : بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم سين مهملة : محلة في اعلى مدينة بغداد معجم البلدان .

والثلاثاء، ودخل يوم الأربعاء [بغداد][١] فعبرها ماراً يريد الزعفرانية[٢] لحرب الصفار[٣] ، وكان يوم الأربعاء لأربع عشرة خلت من جمادى الآخرة ، ولأربع عشرة من آذار سنة اثنتين وستين ومائتين • فكانت الحرب بن أمير المؤمنين والصفار بسيب[٤] بني كوما يوم الأحد وهو يوم العاشر[٥] من رجب والتاسع من نيسان مع الظهر إلى الليل سنة اثنتين وستين ومائتين •

وقدم المعتمد بالله المرة الثانية بغداد، فنزل الشماسية يوم الخميس لثمان خلون من صفر ، ولسبع خلون من تشرين الأول سنة خمس وستين ومائتين ، فأقام بالشماسية الخميس والجمعة والسبت إلى وقت الزوال ، ثم عبر إلى قطيعة[٦] أم جعفر إلى بستان بشر[٧] بن هارون النصراني،

---

(١) الزيادة من تاريخ بغداد .

(٢) الزعفرانية : قرية قرب بغداد . معجم البلدان .

(٣) هو يعقوب بن الليث السجستاني الصفار : أحد الأمراء الدهاة المستولي على خراسان وفارس . مات سنة ٢٦٥هـ سير أعلام النبلاء ٢٦٤/٨ ، الأعلام ٢٦٥/٩ .

(٤) السِّيب : بكسر أوله وسكون ثانيه وأصله مجرى النهر . معجم البلدان .

(٥) في الكامل ٢٩٢/٧ : لاحدى عشرة خلت من رجب .

(٦) قطيعة أم جعفر : هي قطيعة زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، وكانت محلة ببغداد عند باب التبن ، وهو الموضع الذي فيه مشهد موسى ابن جعفر . وقال الخطيب (البغدادي) : قطيعة أم جعفر بنهر القلائين ، ولعلهما اثنتان . معجم البلدان .

(٧) بشر بن هارون : كاتب محمد بن عبد الله بن طاهر . الطبري ٢٦٢/٩ ، ٢٧١ .

فأقام إلى يوم الخميس ، وهو النصف من صفر ، فدخل بغداد ، ومر بالجانب الشرقي يريد الزعفرانيـة للقـاء الصفـار (٢٢٣ ب) فنزل بالفِرْك[١] ، وأقام . ثم رجع يريد سر من رأى . وذلك يوم الثلاثاء ارتفاع النهار ، فمر ببغداد في الماء حتى نزل الشّمّاسيّة ، وذلك لأربع بقين من ربيع الأول سنة خمس وستين ومائتين .

وقدم المعتمد بغداد يريد الشماسية يوم الاثنين يوم النيروز في نيسان لثلاث خلون من شوال ، ثم دخل بغداد ومر على الظهر[٢] حتى نزل دار الحسن[٣] بن سهل يوم الأربعاء لخمس خلون من شوال سنة تسع وستين ومائتين .

وقتل العلوي[٤] يوم السبت ليومين خليا من صفر[٥] ، وركب أبو العباس بن أبي أحمد الموفق بالله يوم الاثنين لأربع بقين من جمادى الآخرة ويومين من كانون الأول فمر من سوق الثلاثاء إلى باب الشماسية ورأس العلوي بين يديه على قناة سنة سبعين ومائتين .

وقدم المعتمد بغداد وهو يريد سر من رأى .

---

(١) الفِرك : بالكسر قرية ببغداد . تاج العروس .

(٢) الظهر : طريق البر وما غلظ من الأرض وارتفع . تاج العروس .

(٣) الحسن بن سهل : وزير المأمون العباسي ، وأحد كبار القادة والولاة في عصره توفي سنة ٢٣٦ الأعلام ٢٠٧/٢ .

(٤) هو صاحب الزنج الذي زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وقال الطبري : هو علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه في عبد القيس الطبري : ٤١٠/٩ .

(٥) سنة سبعين ومائتين . الكامل ٤٠٥/٧ .

وعقد لمحمد[١] بن عبد الله بن طاهر على بغداد وعلى خراسان ، ومر بين يديه بالحربة وذلك يوم الاثنين للنصف من شعبان ، ولسبعة عشر يوماً من شباط سنة سبعين ومائتين •

وقدم المعتمد بغداد في ذي القعدة سنة إحدى وسبعين ومائتين ، وصلى بالناس ببغداد في المصلى صلاة الأضحى ورآه الناس وعليه البردة وذلك يوم السبت في أيار سنة إحدى وسبعين ومائتين •

وقدم المعتمد بغداد يوم الاثنين وهو يوم الرابع من نيسان ولخمس بقين من شوال سنة اثنتين وسبعين ومائتين فنزل الزعفرانية ، ومحمد بن عبد الله بن طاهر بين يديه بالحربة، فأقام بها يومه ثم انحدر يريد واسطاً في الجانب الغربي يوم الاثنين لأربعة أيام مضت من ذي الحجة ، وعبر إلى الجانب الشرقي يوم السبت وهو يوم التروية ، وركب يوم الأضحى وذلك يوم الاثنين سنة ثلاث وسبعين ومائتين ولثمان مضت من أيار •

وتوفي[٢] أبو أحمد الموفق بالله يوم الأربعاء فدفن ليلة الخميس لثمان خلون من صفر أول يوم من حزيران ، ودعي لابنه أبي العباس بولاية العهد يوم الجمعة لست بقين من صفر[٣] وثلاثة أيام خلت من حزيران سنة ثمان وسبعين ومائتين •

---

(١) لعله محمد بن طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي:أمير خراسان وليها بعد أبيه توفي سنة ٢٩٨ هـ . تاريخ بغداد ٣٧٧/٥ ، أما محمد بن عبد الله بن طاهر فهو عمه المتوفى سنة ٢٢٦هـ .الكامل ٥١٧/٦ . وقد ورد ذكر لمحمد بن عبد الله بن طاهر في حوادث سنة ٢٥١ هـ تاريخ بغداد ١٢٣/٢ .

(٢) أورد الخطيب البغدادي وفاته في تاريخه ١٢٨/٢ .

(٣) في الطبري ٢٢/١٠ لسبع بقين من صفر .

وخلع أمير المؤمنين المعتمد بالله جعفراً المفوض يوم الاثنين لثمان بقين من المحرم سنة تسع وسبعين ومائتين وأشهد عليه (٢٢٤ آ) القضاة ومن حضر ، وقرأ القاضي الكتاب في مجلسه ، وأشهد من حضر من المعدلين على شهادته يوم الاربعاء .

ودعي لأمير المؤمنين المعتمد على الله ولأبي العباس المعتضد بالله .

وخلع جعفر يوم الجمعة على المنبر لأربع بقين من المحرم سنة تسع وسبعين ومائتين .

وتوفي المعتمد بالله أمير المؤمنين ليلة الاثنين لاثنتي[1] عشرة بقيت من رجب سنة تسع وسبعين ومائتين .

وولي المعتضد[2] [احمد[3] بن الموفق بن المتوكل]

وأمه أم ولد يقال لها : خفير[4] .

وأرجف الناس بموته يوم الاثنين[5] للنصف من شهر ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين ، وذكر خاصته وقواده أنه لم يمت ، وخطب له يوم الجمعة لعشر بقين من هذا الشهر .

وأخذت البيعة بولاية العهد لعلي بن المعتضد بالله ليلة الثلاثاء .

ودفن في دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، وذكروا أنه أوصى أن يدفن فيها .

---

(١) في الطبري ٢٩/١٠ والكامل ٤٥٥/٧ لاحدى عشرة ليلةبقيتمن رجب
(٢) هو أبو العباس . الكامل ٤٤٤/٧ .
(٣) أورد الخطيب البغدادي ترجمته في تاريخه ٤٠٦/٤ — ٤٠٧ .
(٤) في الكامل ٥١٤/٧ وبلغة الظرفاء ٥٩ : ضرار .
(٥) في الكامل ٥١٣/٧ : في ربيع الآخر توفي المعتضد ليلة الاثنين لثمان بقين منه .

فكانت ولايته تسع سنين وتسعة أشهر وخمسة أيام .

[المكتفي][1]

ودعي لأمير المؤمنين المكتفي بمدينة السلام يوم الجمعة لثلاث[2] بقين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين ومائتين ، وهو في الرقة ، جاء بغداد ، وذلك للنصف من نيسان ، وقدم المكتفي بغداد ومر في الماء حتى أتى داره يوم الاثنين لسبع[3] خلون من جمادى الأولى في هذه السنة .

وتحرك الجند وطلبوا الأرزاق يوم الخميس .

قال أبو بكر الشافعي : الى ههنا سمعت من أبي بكر السدوسي .

وتوفي أبو محمد المكتفي بالله يوم الـ ... [4] لثلاث[5] عشرة خلت من شهر ذي القعدة ، ودفن ليلة الأحد مع أبيه المعتضد بالله .

[المقتدر بالله][6]

وأقعد جعفر بن المعتضد وهو المقتدر بالله .. واسم أمه : شغب – يوم الأحد لأربع عشرة مضت من شهر ذي القعدة من سنة خمس وتسعين ومائتين .

---

(١) أورد الخطيب البغدادي ترجمته في تاريخه ٣١٧/١١ .

(٢) في الطبري ٨٧/١٠ : لسبع بقين من شهر ربيع الآخر .

(٣) في الطبري ٨٨/١٠ والكامل ٥١٦/٧ : لثمان خلون من جمادى الآخرة .

(٤) خرم في الأصل . (الارجح ان الكلمة المخرومة هي السبت) .

(٥) في الطبري ١٣٨/١٠ لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة ٢٩٥ هـ

(٦) أورد الخطيب جزءاً من ترجمته هذه في تاريخه ٢١٣/٧ .

وكان: الوزير عباس[1] ، وصاحب الشرطة ببغداد ابن عمرويه[2]، وقضاتها بنو أبي الشوارب[3] على مدينة أبي جعفر ، ومحمد[4] بن يوسف على الشرقية[5] ، ويوسف[6] بن يعقوب على الجانب الشرقي وابنه محمد يخلفه .

---

(١) العباس بن الحسن بن ايوب الجرجرائي او المادراني ، من وزراء الدولة العباسية ، كان أديباً بليغاً ، استوزره المكتفي ، قتله حسين ابن حمدان سنة ٢٩٦ هـ سير أعلام النبلاء ١٥٢/٩ .

(٢) محمد بن عمرويه : صاحب الشرطة في خلافة المقتدر ، بايع ابن المعتز وهرب واستتر ، فقلد المقتدر الشرطة مؤنساً مكان ابن عمورية . الكامل ١١/١٨ ، ١٦ ، ١٩ . وفي الطبري ١٤١/١٠ في حوادث سنة ٢٩٦ هـ : وفي يوم الاثنين لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول سلم محمد بن يوسف القاضي ، ومحمد بن عمرويه في جماعة غيرهم الى مؤنس الخازن .

(٣) بنو أبي الشوارب : أسرة تولت القضاء في عهود متعددة منهم : قاضي القضاة الحسن بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ولي قضاء المعتمد ، وقد ناب في قضاء سامراء سنة ٢٤٠ هـ ومات سنة ٢٦١ هـ . واخوه : علي بن محمد : بقي الى بضع وثمانين ومائتين. سير أعلام النبلاء ٢٦٥/٨ . الكامل ١٩٦/٧ ، ٥٤٩/٨ .

(٤) قاضي القضاة أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الأزدي : ولي القضاء بمدينة المنصور سنة ٢٨٤ ثم نقل الى الشرقية ، وصرف سنة ٢٩٦ ، راعيد سنة ٣١٧ . وتوفي سنة ٣٢٠ هـ تاريخ بغداد ٤٠١/٣ ، الكامل ٢٠١/٨ ــ ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٤٧ .

(٥) الشرقية : الكرخ .

(٦) أبو محمد يوسف بن يعقوب الأزدي : ولي قضاء البصرة وواسط سنة ٢٧٦ ، وضم إليه قضاء الجانب الشرقي من بغداد مات سنة ٢٩٧ هـ تاريخ بغداد ٣١٠/١٤ .

ثم قتل الوزير عباس في موكبه يوم السبت[١] قتله حسين[٢] بن حمدان مثل به ، وقتل فاتك[٣] مولى المعتضد معه في ذلك اليوم قتله ابن سوارتكين[٤] .

وأجمع الجند على خلع المقتدر .

[عبد الله بن المعتز]

وأقعدوا عبد الله بن المعتز خليفة في ليلة الأحد[٥] .

وأصبح الناس في أمر عظيم من ذلك ، لأن الجند والقاضي محمد ابن يوسف وأبو المثنى[٦] وجماعة الناس إلا قليلاً كان على ذلك . فنصر الله المقتدر بمنه ، وهرب عبد الله بن المعتز والجند ، ثم وجدوا ولم يفت منهم أحد .

---

(١) في الكامل ١٤/٨ : في العشرين من ربيع الأول سنة ٢٩٦ هـ .

(٢) حسين بن حمدان بن حمدون التغلبي : أحد الأمراء المقدمين ، وهو عم سيف الدولة الحمداني ، وكان الحسين من أنصار ابن المعتز ثم قتله المقتدر بعد أن حرج عن طاعته سنة ٣٠٦ هـ . الكامل ١٤/٨ – ١٨ .

(٣) فاتك المعتضدي : مولى المعتضد . الكامل ١٤/٨ .

(٤) هكذا في الأصل : وفي الكامل ١٧/٨ : ابن صوراتكين ، وهو وصيف بن صوراتكين ، قتله المقتدر سنة ٢٩٦ هـ .

(٥) في الكامل ١٤/٨ : في الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة٢٩٦هـ .

(٦) أبو المثنى : هو القاضي أحمد بن يعقوب . الطبري ١٤٠/١٠ الكامل ١٤/٨ .

ولي ابن [أبي] الشوارب موضع محمد بن يوسف، وولي أحمد[١] ابن إسحاق بن بهلول مدينة المنصور موضع ابن أبي الشوارب ، وولي الشرطة مؤنس[٢] مولى المعتضد ، ثم عزل[٣] ابن[٤] فرات من الوزارة وولي[٥] علي[٦] بن عيسى جيء به من مكة ، ورد أبو عمر على قضاء الشرقية وجانب الغربي ، وأقر[٧] ابن بهلول ، وتوفي مؤنس[٨] مولى

---

(١) أحمد بن إسحاق بن بهلول (أبو جعفر التنوخي) ولي قضاء بغداد عشرين سنة وتوفي سنة ٣١٧ تاريخ بغداد ٣٠/٤ ، نشوار المحاضرة ٤٧/١ ، ٢١٢/٥ .

(٢) مؤنس الخادم الملقب بالمظفر المعتضدي ، هو احد الخدام الذي بلغوا رتبة الملوك كان من خدم المعتضد . قتله القاهر بالله سنة ٣٢١ هـ الكامل ١٧/٨ ، سير اعلام النبلاء ١٣/٨ .

(٣) في ذي الحجة سنة ٢٩٩ . الكامل ٦٣/٨ .

(٤) علي بن محمد بن موسى (ابو الحسن) : وزير من الدهاة الفصحاء ، بلغ رتبة الوزارة في اوائل ايام المقتدر ، فتولاها ثلاث مرات . قتل سنة ٣١٢ هـ الأعلام ١٤١/٥ .

(٥) في الكامل ٦٣/٨ : في سنة ٢٩٩ ولما قبض على الوزير (ابن الفرات) قلد ابو علي محمد بن يحيى بن عبد الله بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان الوزارة. وفي الجزء ٦٨/٨ في حوادث سنة ٢٠٣ : أمر المقتدر بإحضار علي بن عيسى فوصل إلى بغداد أول سنة ٣٠١ .

(٦) علي بن عيسى بن داود بن الجراح (أبو الحسن البغدادي) وزير المقتدر والقاهر، واحد العلماء الرؤساء ولي مكة، واستقدمه المقتدر إلى بغداد سنة ٣٠٠ فولاه الوزارة، ثم عزله سنة ٣٠٤ وحبسه ونفاه إلى مكة ثم الى صنعاء ، ثم اذن له بالعودة الى مكة سنة ٣١٢ ، ثم أعاده المقتدر الى الوزارة سنة ٣١٤ ثم نقم عليه سنة ٣١٦، ثم جعل له النظر في الدواوين ، توفي سنة ٣٣٤، سير أعلام النبلاء ٧٢/١٠ ، تاريخ بغداد ١٤/١٢ .

(٧) في ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة . الكامل ١٤٠/٨ .

(٨) هو مؤنس الخازن . الكامل ١٧/٨ .

أمير المؤمنين وطلب حسين بن حمدان وأخرج إليه الجند في سنة ثلاث وثلاثمائة وأدخل في شهر رمضان وأخذه إخوته .

وأخرج علي بن الفرات في يوم الاثنين يوم التروية من سنة أربع وثلاثمائة . وولي الوزارة .

وعزل علي بن عيسى واستعفى فأعفي ، وقبض على ابن فرات الثانية في سنة ست وثلاثمائة .

وولي الوزارة حامد[1] بن العباس ، وجعل علي بن عيسى على الدواوين .

وفي هذه السنة توفي ابن جاخ[2] والي مكة، وأخرج إليها نزار[3] ابن محمد والياً على مكة عزل عن شرطة بغداد ووليها نجاح[4] الطولوني.

---

(١) حامد بن العباس : ابو محمد وزير المقتدر ، كان يلي نظر فارس والبصرة ، عزله المقتدر سنة ٣١١، وقبض عليه وارسل إلى واسط فمات فيها مسموماً . الأعلام ١٦٦/٢ .

(٢) هو نجح بن جاخ . الكامل ١١/٨ .

(٣) نزار بن محمد الضبي الخراساني ، قائد ولي شرطة بغداد سنة ٣١٢ ، وقاتل القرامطة سنة ٣١٢ ، وكان على القافلة الأولى مع حجاج العراق فاعترضه الجنابي القرمطي في فيد ، فثبت له نزار واصيب بجراح شديدة. توفي بعد ذلك سنة٣١٧ .الأعلام ٣٣١/٨.

(٤) في الكامل ١١٣/٨ : نجح الطولوني ، وذكر انه تولى شرطة بغداد ، وفي حوادث سنة ٣١٢ يذكر انه تولى أصبهان .

وأخرج مؤنس الخادم مولى أمير المؤمنين في سنة ثمان إلى مصر لحرب ابن عبيد[1] الله الخارجي بالمغرب في المرة الثانيــة بعد أخذه يوسف[2] بن أبي الساج •

ثم قبض[3] على حامــد بن العباس وعلى علــي بن عيسى وابن الحواري[4] وجماعة من الكتاب •

وأخرج ابن فرات فولي الوزارة ثالثة ، وجعل معه ابنه محسن ، ونفي علي بن عيسى إلى مكة ، وأمير مكة ابن ملاحظ[5] •

ووقعت بمكة تلك السنة فتنة ، وعزل ابن ملاحظ ، وولي ابــن بنت ابن جاخ ، وبقي بمكة ولم يقدر على الخروج من الأعراب •

وأصيب[6] الناس جميع قوافل السلطان بالهَبير[7] ، وكان الوالي

---

(١) عبيد الله بن محمد الفاطمي : جد العبيديين الفاطميين في مصــر ، توفي سنة ٣٢٢ هـ الأعلام ٣٥٣/٤ .

(٢) يوسف بن ابي الساج : احد الولاة ، تولى مكة ثم المشرق ، وحبسه المقتدر بعد أن خرج عليه ، ثم اطلقه بشفاعة مؤنس الخادم، ثم أمره بمحاربة القرامطة فقاتلهم فأسر ثم قتله ابو طاهر القرمطي سنة ٣١٥ . الكامل في عدة مواضع .

(٣) في ربيع الآخر سنة ٣٠١ هـ الكامل ١٤٠/٨ — ١٤١ .

(٤) ابو القاسم بن الحواري : كان خصيصاً بالمقتدر ، قبض عليه ابــن الفرات وسلمه الى ابنه المحسن فسيره إلى الأهواز ليستخرج منه الأموال التي له ، فضربه الموكل بــه حتى مــات سنة ٣١١ هـ ، الكامل ١٤٢/٨ .

(٥) لم اجد ترجمته .

(٦) هكذا في الأصل ولعلها : وأصاب اليأس جميع قوافل السلطان .

(٧) الهبير : بفتح أوله وكسر ثانيه : رمل زرود في طريق مكــة . معجم البلــدان .

على الطريق أبو الهيجاء[١] بن حمدان بن حمدون ، جاءهـم ابـن[٢] أبي سعيد الجنّابي من هَجَر[٣] في ألف ومائة فارس ، وأخذ القواد واستاق الحرم ، وعزل الناس في الهبير ، فمنهم من نجا (٢٢٥ آ) ومنهم من مات ، وقتـل المقاتلة ، وأُسر أبو الهيجاء ، والعم[٤] ، وفلفل[٥] وكان على جـواري السلطان ، وابـن كشمرد[٦] وخزرى ، ومضى بهم إلى هجر ، وبُعث خلفه مؤنس .

وقبض على ابن فرات وابنه محسن وسلما إلى أبي[٧] العباس ، فنبيء بعض الشر .

---

(١) أبو الهيجاء : عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي العدوي ، أمير من القادة ، قتله أحد رجال المقتدر سنة ٣١٧ . الكامل ٢٠٥/٨ وما قبلها . الأعلام ٢١٣/٤ .

(٢) سليمان بن الحسن بن بهرام الجنابي (أبو طاهـر القرمطي) زعيـم القرامطة، أغار على مكة يوم التروية سنة ٣١٧هـ مات سنة٣٣٢هـ . العبر ١٥٠/٢ ، الأعلام ١٨٤/٣ .

(٣) هجر : مدينة وهي قاعدة البحرين . معجم البلدان .

(٤) العم : أحمد بن بدر عم والدة المقتدر . الكامل ١٤٧/٨ .

(٥) لعله فلفل بن سعيد بن خزرون . الكامل ٦٨/٩ وما بعدها .

(٦) هو أحمد بن كشمرد . الكامل ١٤٧/٨ .

(٧) في الكامل ١٥٧/٨ ثم سلّم (ابن الفرات) إلى شفيع اللؤلؤي فحبس عنده ، وفي الكامل ١٥٧/٨ يذكر وفاة شفيع سنة ٣١٣ وأنه كان على البريد وغيره من الأعمال .

وولي الوزارة أبو القاسم[١] الخاقاني ، وذلك في صفر سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة .

وقتل علي بن الفرات وابنه محسن .

وخرج مؤنس الخادم في شهر جمادى الأولى — يريد حرب القرمطي إلى هجر — نحو البصرة ، وجاء ابن أبي الساج إلى واسط ، فأقام بها وجاء القرمطي[٢] إلى الكوفة الثانية في سلخ رمضان من سنة خمس عشرة ، وكانت وقعة ابن أبي الساج بظهر الكوفة ليومين من شوال ، وأسر ابن أبي الساج ، وجاء القرمطي حتى عبر الفرات بالأنبار وأصلح الجسر ، وقتل والي الأنبار وابن بلال وابن الحارثي[٣] ، وجاء الى تل عَقَرْقُوف[٤] وقطع نهر زبارا[٥] بين عسكر مؤنس وعسكر القرمطي ورجع القرمطي إلى هيت[٦] فلم يقدر عليها ، ومضى إلى الرحبة[٧] ، ودخلها في المحرم من سنة ست عشرة وثلاثمائة هـ .

---

(١) عبد الله بن محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (أبو القاسم) : وزير كان له علم بالأدب استوزره المقتدر واستمر نحو ١٨ شهراً ، وقبض عليه المقتدر وصادر أملاكه ثم أطلقه فاعتل ومات . الأعلام ٢٦٣/٤ .

(٢) أبو طاهر سليمان بن الحسن . تقدمت ترجمته .

(٣) لم أجد ترجمتهما .

(٤) عقرقوف : قرية بينها وبين بغداد اربعة فراسخ . معجم البلدان .

(٥) زبارا : في معجم البلدان : زبارا موضع اظنه من نواحي الكوفة ذكر في قتل القرامطة .

(٦) هيت : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . معجم البلدان .

(٧) الكامل ١٨١/٨ .

آخر كلام [أبي بكر] الشافعي[١] [البزاز] .

وقال أبو علي[٢] بن شاذان :

[القاهر بالله][٣]

ثم قام[٤] بعده أخوه القاهر أبو منصور محمد بن المعتضد بالله. وأمه مولدة المغرب ، يقال لها : قبول .

وخلع[٥] من الخلافة وسمل وحبس في دار السلطان .

فكانت خلافته سنة وستة أشهر وثمانية أيام ، ومات في داره المعروفة بدار ابن أبي طاهر .

ونقش على سكة العين[٦] والوَرِق : محمد رسول الله القاهر بالله المنتقم من أعداء الله لدين الله .

[الراضي بالله][٧] :

وتقلد[٨] بعده أبو العباس الراضي محمد بن المقتدر .

---

(١) في هامش الأصل: «إلى ههنا انتهى سماع ابن وصيف من الشافعي».

(٢) تقدمت ترجمته في المقدمة ص ١٥٢ .

(٣) أورد الخطيب البغدادي بعضاً من ترجمته هذه في تاريخه ١/٣٣٩ .

(٤) لليلتين بقيتا من شوال سنة ٣٢٠ هـ . الكامل ٨/٢٤٤ وبلغة الظرفاء ٦١ .

(٥) في جمادى الأولى سنة ٣٢٢ هـ الكامل ٨/٢٧٩ ، وفي بلغة الظرفاء ٦١ : لست خلون من جمادى الأولى .

(٦) العين . الذهب . القاموس .

(٧) أورد الخطيب البغدادي بعض هذه الترجمة ٢/١٤٣ .

(٨) لست خلون من جمادى الأولى سنة ٣٢٢هـ وتوفي ليلة السبت لست عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة ٣٢٩هـ . الكامل ٨/٣٦٦، بلغة الظرفاء ٦٢ .

[١] وأمه يقال لها : ظلوم[١] .

وكانت مدة خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام ومات بمدينة السلام .

[المتقي لله] :

وتقلد[٢] بعده أخوه أبو إسحاق إبراهيم بن المقتدر ، وهو المتقي .

وأمه يقال لها : خَلوب .

وقبض عليه بالسندية ، وخلع من الخلافة وسمل .

فكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً .

[المستكفي بالله]

وتقلد[٣] المستكفي بالله أبو القاسم عبد الله [بن المتقي] .

(١ـ١) ما بينهما مستدرك في الهامش وبعدها كلمة : صح .

(٢) في العشرين من ربيع الأول سنة ٣٢٩ هـ وخلع لعشر بقين من صفر سنة ٣٣٣ الكامل ٣٦٨/٨ ، ٤١٨ وبلغة الظرفاء ٦٢ .

(٣) بويع يوم خلع المتقي وخلع وسملت يداه في جمادى الآخرة سنة ٣٣٤ ، الكامل ٤٥٠/٨ ، بلغة الظرفاء ٦٣ .

المراجع والمصادر

الكتاب	المؤلف	مكان الطبع وتاريخه

الأعلام ١ ــ ١١ خير الدين الزركلي ، بيروت ١٣٧٣ ــ ١٣٩٠ هـ

البداية والنهاية عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي القاهرة ١٣٥١ هـ

بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء ــ علي بن محمد الروحي ، القاهرة ١٣٢٧ هـ

تاريخ بغداد ١ ــ ١٤ ــ ابو بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ، القاهرة ١٣٤٩ هـ

تاج العروس من جواهر القاموس ــ السيد مرتضى الزبيدي ، القاهرة ١٣٠٦ هـ

تاريخ خليفة بن خياط ــ تحقيق الدكتور أكرم العمري ، دمشق ١٩٧٧ م

تاريخ الرسل والملوك ١ ــ ١٠ ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، القاهرة ــ دار المعارف ١٩٦٠ م

تاريخ مدينة دمشق ، علي بن الحسن الشهير بابن عساكر ، مخطوطة في الظاهرية في ١٩ مجلدا رقمها ٣٣٦٦ ــ ٣٣٨٣ عام

تاريخ مدينة دمشق المجلدة الاولى تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد دمشق ١٩٥١ م

تاريخ مدينة دمشق القسم الأول من المجلدة الثانية تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٤ م

تاريخ مدينة دمشق المجلدة العاشرة ، تحقيق محمد احمد دهمان دمشق ١٩٥٤ م

تاريخ مدينة دمشق جزء عاصم ــ عايذ ، تحقيق الدكتور شكري فيصل دمشق ١٩٧٧ م

تذكرة الحفاظ ١ ـ ٥ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٣ هـ

تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حيدر آباد الدكن ١٣٢٧ هـ

الخطيب البغدادي ، الدكتور يوسف العش ، دمشق ١٩٤٥ م

سنن ابن ماجه ١ ـ ٢ ، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٥٢ م

سير أعلام النبلاء ١ ـ ١٣ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مصورة في مجمع اللغة العربية بدمشق

شذرات الذهب ١ ـ ٨ ، عبد الحي بن العماد الحنبلي ، القاهرة ١٣٥١هـ

طبقات الحنابلة ، القاضي أبو يعلى محمد بن الحسن بن الفراء اختصار محمد بن عبد القادر بن عثمان النابلسي تحقيق احمد عبيد ،دمشق.١٣٥٠

طبقات الشافعية ١ ـ ٢ ، جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي ، بغداد ١٣٩٠ هـ

الطبقات الكبرى ١ ـ ٩ ، محمد بن سعد بيروت ١٩٦٠ م
العبر في خبر من غبر ١ ـ ٥ ، الحافظ الذهبي . تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد الكويت ١٩٦٠ م

غاية النهاية في طبقات القراء ، شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري القاهرة ١٩٣٣ م
الكامل في التاريخ ١ ـ ١٣ ، عز الدين علي بن محمد الشيباني المعروف بابن الاثير بيروت ١٩٦٧ م

الكنى والأسماء ، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، مخطوطة في المكتبة الظاهرية مجموع رقم ١ الورقة ٤٣ ـ ١٠٤
لسان الميزان ١ ـ ٧ ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حيدر آباد الدكن ١٣٣٠ هـ

معجم البلدان ، ياقوت بن عبد الله الحموي ليبزغ ١٨٧٠ م
المنتخب من مخطوطات الحديث في الظاهرية ، محمد ناصر الدين الألباني دمشق ١٣٩٠ هـ

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ٥ ـ ١٠ ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ هـ

مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، عبد الله اليافعي اليمني حيدر آباد الدكن ١٣٢٩ هـ

معجم شيوخ ابن عساكر ، علي بن الحسن المعروف بابن عساكر ، مصورة في مجمع اللغة العربية بدمشق

معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية ١ ـ ١٤ ، عمر رضا كحالة دمشق ١٣٧٦ ـ ١٣٨١ هـ

موارد الخطيب البغدادي ، الدكتور أكرم ضياء العمري ،دمشق ١٣٩٥هـ

النجوم الزاهرة ١ ـ ١٤ ، جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي القاهرة

نشوار المحاضرة ١ ـ ٦ ، القاضي أبو علي المحسن التنوخي ، تحقيق عبود الشالجي بيروت ١٩٧١ ـ ١٩٧٣ م

الوافي بالوفيات ، مصورة في مجمع اللغة العربية بدمشق وما طبع في المعهد الالماني

وفيات الأعيان ١ ـ ٨ ، احمد بن محمد المعروف بابن خلكان ، تحقيق الدكتور احسان عباس بيروت ١٩٧٢ م

الدين الإلهي الأكبري

أو

أزمة الاسلام في شبه القارة خلال القرن السادس عشر الميلادي

الأستاذ محمود أحمد غازي

اجتازت الامبراطورية الاسلامية في شبه القارة عدة أزمات فكرية وثقافية وسياسية واجتماعية خلال تاريخها الطويل الذي يمتد على ألف عام من الحكم الاسلامي الزاهر ــ ولا شك أن دراسة هذه الأزمات وتحليل أسبابها من أهم موضوعات التاريخ الاسلامي الهندي ، فان الاسلام في شبه القارة لم يزل في صراع دائم مع الهندوكية ، فكلاهما نظام مستقل شامل لجميع نواحي الدين والثقافة والحضارة ، ومن طبيعة كل واحد منهما أن يمتص الآخر ويستحوذ عليه استحواذا كاملا فنرى ان الاسلام والثقافة الاسلامية والحضارة الاسلامية تجاوزت جميع الثقافات والحضارات التي اعترضت طريقها أو استحوذت عليها، وكذا الحال في الهند ، فإن الأمم الكبيرة الفاتحة التي زحفت الى الهند وغزتها لم تلبث بعد استقرارها في الهند أن استسلمت أمام تأثير الهندوكية ونفوذها[1] ، فكان هذا الصراع التاريخي الطويل بين هاتين الحضارتين الغازيتين من طبيعة الحال ، وشهد التاريخ عدة مرات أزمات حضارية أو ثقافية أو فكرية أو سياسية تتجت من هذا الصراع

---

(١) راجع للبسط في هذا الموضوع ، الباب الاول من كتابي غير المطبوع : تاريخ الحركة المجددية (باللغة العربية) ــ وهذه المقالة جزء من الباب الثالث من هذا الكتاب .

العنيف بين هاتين الثقافتين والحضارتين ، ونقدم في هذه المقالة لمحات عابرة على مظهر من مظاهر هذا الصراع الذي شهده التاريخ في أوائل القرن الحادي عشر الهجري ، وقد جاء الهجوم الهندوكي في هذه المرة في صورة بسيطة المظهر هائلة المحتوى خطرة النتيجة ، وهي نحلة جديدة ادّعت الجمع بين مزايا الاسلام والهندوكية بخاصة وجميع الاديان الأخرى بعامة والتخلي عن نقائصها كلها ، وسماها منتحلوها باسم الدين الالهي وتولى كِبْر هذا الأمر الامبراطور المغولي الشهير جلال الدين محمد الاكبر المتوفى عام ١٠١٤ هـ ١٦٠٥ م .

كانت فتنة الدين الالهي من أكبر الكوارث والنكبات التي واجهها الاسلام في القرن السادس عشر الميلادي ، وبما أنها كانت وليدة القريحة الاكبرية ونتيجة من نتائج نفسيته لا بد من إلقاء نظرة عابرة على شخصية الأكبر وعلى حياته الفكرية والثقافية ، ليسهل علينا تحليل الاسباب والدواعي التي أدت الى ظهور هذه النحلة الغريبة .

كان جلال الدين محمد الأكبر في بداية أمره شابا صالحا متدينا متحمسا لمذهب أهل السنة والجماعة شديد الغيرة على الاسلام وعلى تعاليمه الحنيفة ، وله في ذلك مواقف من الاعتزاز بالسنة وعلمائها أشار اليها الاستاذ محمد أسلم في كتابه[1] . كما كان يحترم الصوفية ويتجلى ذلك في اكثاره من زيارة قبورهم في سفراته ورحلاته .

ولما رزق بولده الذي خلفه في الحكم (وهو الأمير سليم الذي تولى الحكم باسم نور الدين محمد جهانكير) أبدى مشاعر سروره وابتهاجه بزيارة قبور جميع المشائخ والصوفية الكبار في دهلي وبلغ

(١) الدين الالهي الاكبري وخلفيته التاريخية (باللغة الاوردية) للبروفيسور محمد اسلم ، طبع لاهور ، ص ٣٠ .

حبه وإجلاله للصوفية ذروته وأوجه لما أمر ببناء عاصمة جديدة قرب فتح بور سكرى القرية التي فيها ضريح الشيخ الصوفي سليم الجشتي ، ولعل الشيخ سليم الجشتي هذا هو أكبر من تلقى احتراما وإجلالا من الامبراطور الشاب الذي كان يحبه حبا جما ، ولما حملت زوجته بابنه الامير سليم وقربت أيام وضع الحمل أمرها أن تذهب الى منزل الشيخ سليم وتضع الحمل هناك لتكون موقع بركته وتشريفه ، ولما جاءت بولد سماه أبوه الامبراطور سليماً باسم شيخه سليم الجشتي[1] . فمثل هذه العلاقات بالصوفية إن دلت على شيء فإنما تدل على حبه العميق للدين وأهل الدين .

والى جانب اعزازه وإجلاله للصوفية كان يحترم العلماء والفقهاء والمحدثين فنراه يقدم ابنه الامير سليم لما بلغ الخامسة من عمره الى المحدث الكبير مولانا ميركلان الهروي ليفتتح تعليمه وإقراءه كلمة بسم الله الرحمن الرحيم وفق التقاليد الاسلامية الهندية[2] ، ثم عهد الى العالم الجليل المحدث مولانا ميرك شاه ابن المحدث مير جمال الدين تعليم الأمير مبادىء الدين وتعاليم الاسلام وأن يربيه تربية دينية ، ولما أنهى الأمير سليم من تعليمه الابتدائي أمره أبوه أن يتّلمذ على كبير علماء البلاط الشيخ المحدث عبد النبي ، ويقرأ عليه كتب الحديث وكتب الفقه النهائية . ونشاهد مع الأمير سليم أباه الامبراطور

(١) تزك جهانكيري للامبراطور نور الدين جهانكير ، انظر ذكر ولادته في بداية الكتاب .

(٢) من تقاليد المسلمين في شبه القارة منذ قديم أن يبدؤوا بتعليم اولادهم وبناتهم في الرابعة او الخامسة من عمرهم ، ويتم ذلك في مأدبة يقيمونها ويدعون اليها أصدقاءهم وأقاربهم ، ويحضر فيها أحد كبار العلماء أو المشائخ او كبار العائلة فيقرىء الطفل كلمة بسم الله الرحمن الرحيم — وتسمى هذه المناسبة مناسبة بسم الله — غازي —

يزور الشيخ عبد النبي في حلقة درسه أحيانا ويشترك مع ابنه في دروس الحديث .

وكان من نتيجة هذه المصاحبة مع العلماء الصلحاء أن ازداد الامبراطور جلال الدين الأكبر في صلاحه وتقواه ، وكان يهتم بتنفيذ أحكام الشريعة الغراء والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان أحيانا يذهب الى المساجد ويؤذن فيها الأذان بنفسه ويؤم الناس في صلواتهم ، وأحيانا نشاهده يكنس في المساجد يبتغي بذلك وجه الله وثواب الآخرة[1] وكان يهتم بأداء الصلوات مع الجماعة اهتماما بالغا ، وعيّن لهذا الغرض سبعة أئمة لأيام الأسبوع السبعة ، يؤم كل واحد منهم يوما خاصا . وكان المؤرخ الشهير الملا عبد القادر البدايوني أحد هؤلاء الأئمة السبعة ، وكان يؤم الصلوات كل يوم أربعاء[2] .

وبلغ حب الرسول صلى الله عليه وسلم من نفس الامبراطور مبلغا بعيداً : فنراه يخرج في جمع حاشد من العلماء والحكام والأمراء عاري الرأس حافي القدمين لمسافة تبلغ عشرة أميال حين سمع أن أحد الحجاج أتى من مكة المكرمة بحجر عليه نقش قدمي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفتين[3] ، ومهما تكن منزلة هذا النقش التاريخي فان قيام الامبراطور الشاب بهذا الاستقبال الرائع لشيء نسبه بعض الحجاج الى شخص الرسول صلى الله عليه وسلم يدل على عواطفه الدينية العميقة وعلى تحمسه الشديد لشخص الرسول عليه السلام .

ومع هذا كله فالحقيقة أن جلال الدين محمد الأكبر كان أميا لم يتعلم شيئا من القراءة والكتابة في صباه ولا يعرف شيئا من الدين بَلْه أن يكون عالما بفلسفة الاسلام وشريعته . وذلك لأنه ولد يوم كان

(١) مآثر الامراء ــ شاهنوازخان ــ مجلد ثان ، ص ٥٦١ .
(٢) منتخب التواريخ ــ عبد القادر البدايوني ــ مجلد ثان ، ص٢٢٧
(٣) المصدر نفسه .

والده في منفاه يجول في صحارى السند في طلب معونات ومساعدات ليتمكن من القضاء على ندّه الأفغاني شيرشاه السوري الذي تربع على عرش الامبراطورية وأخرج العاهل المغولي نصير الدين همايون من شبه القارة[١] ، وتجول الصبي مع والده في السند وفي إيـران وأفغانستان ولم يتيسر له تحصيل العلم وإنما كان همه وهم والده وحاشيتهما أن يحتفظوا برؤوسهم على مناكبهم ، وما إن رجع نصير الدين همايون الى الهند وتيسر له التربع على عرش المملكة حتى توفي الى رحمة الله قبل أن يوطد دعائم مملكته وكان ابنه جلال الدين إذ ذاك صبيا لم يتجاوز عمره اثني عشر عاما ، فاعتلى العرش وهو ابن اثنتي عشرة سنة، ولكنه مع ذلك كان ذكيا فطينا يتمتع بعقل أخاذ وذكاء وقاد .

وقد سبق[٢] أن قيام الدولة المغولية تزامن مع ظهور الحركات الاحيائية الهندوكية التي كانت تهدف الى إقامة امبراطورية هندوكية موحدة في الهند ، ومع أن بابر وابنه همايون والاباطرة السوريين عملوا الكثير والكثير للقضاء على هذه الحركات التي كان هدفها الاول الواضح هو الاطاحة بالحكم الاسلامي ، بل بالكيان الاسلامي في شبه القارة، غير أنهم لم يقدروا على القضاء عليه قضاء باتا . فلما تولى جلال الدين أكبر الحكم ــ ولنذكر أنه كان إذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة ــ كان من الضرورات السياسية عنده أن يؤلف سكان البلاد ويوحد الشعوب لتتقوى بذلك دولته وترسخ أسس حكمه ، فبدأ في تقريب الهنادكة والشيعة إليه ، حتى أصهر الى كثير من الامراء الهندوكيين ، وأرسى

---

(١) ليرجع القارىء العربي الكريم للتفصيل في هذا الموضوع الى كتاب : تاريخ المسلمين في الهند ، للدكتور احمد محمد الساداتي ، طبع القاهرة ، الجزء الثاني ، ص ٧٢ ــ ١٠٢ والـى البابين الاول والثـاني من كتاب غير مطبوع للمؤلف : تاريخ الحركة المجددية .

(٢) محمد أحمد غازي ، المصدر نفسه ، الباب الثاني .

دعائم إمبراطوريته على مجاملة جميع الطبقات الشعبية من الهندوس والشيعة وغيرهم ، فقرب كل واحد من هذه الطبقات الى نفسه وأذن لهم أن يتدخلوا في شؤون الدولة والحكم تدخلا كاملا ، فكان من طبيعة الحال أن تؤثر هذه الطبقات في تكوين شخصية الامبراطور الشاب الأمي وتشكيل آرائه تأثيرا كبيرا وعميقا .

وأدى هذا الدافع الى التفكير في محاولة ابتداع مذهب جديد يجمع بين طياته جميع المذاهب والأديان والنحل الهندية وتذوب فيه جميع العقائد والنظريات ، ليمكن بذلك الحصول على وحدة حقيقية في بلد متحد تحت ملك واحد في ظل نظام واحد متماسك ، وليمكن القضاء نهائيا على جميع الامكانات لظهور أية حركة معادية للحكومة على أساس الدين أو النحلة .

والجدير بالذكر أن هذا التفكير في ابتداع مذهب جديد لم يكن في أول الأمر شيئا مخططا مرسوما ، وإنما كانت بادىء ذي بدء فكرة ترد الى ذهن الامبراطور أحيانا ، ولكن التطورات بعد ذلك رسخت هذه الفكرة في ذهن الامبراطور وبدأ يفكر جديّا في انتحال هذه النحلة ، وقبل أن نخوض في تفاصيل هذه النحلة يجب أن نلقي نظرة عابرة على التطورات والعوامل التي أدت الى ظهور هذه الديانة فعلا بعد أن كانت مجرد فكرة وخيال في ذهن جلال الدين محمد الاكبر .

جريا على سياسة تقريب الهنادكة تزوج الامبراطور الشاب بعدد غير قليل من النساء الهندوكيات من أميرات العائلات الراجبوتية[1] ،

(١) راجبوت كلمة هندوكية معناها ذرية الامراء ، أو أبناء الأمراء ، وهم يعتقدون أنهم من أولاد إلهة الشمس والهة القمر — ويقطن الراجبوت منطقة راجبوتانا في الهند ، وكانوا أصحاب إمارات كبيرة في الهند ، ويتمتعون بقوة عسكرية هائلة ونفوذ سياسي كبير .

وأثر هؤلاء الأميرات تأثيرا عميقا في الحياة العائلية في القصر الامبراطوري ، واستغل الشيعة الايرانيون هذه الفرصة وتغلغلوا في النظام السياسي والجهاز الاداري ، وكانوا قد انتهزوا أثمن فرصة لهذا التغلغل لما اعتلى نصير الدين همايون والد الامبراطور اكبر وسلفه عرش دهلي بمساعدة الصفويين الشيعيين من ايران ، فلما تربع همايون على العرش بمعاونتهم بدأت قوافل الشيعة من العلماء والشعراء والادباء والانتهازيين ترد الهند تترى ، فكانوا بطبيعة الحال بطانة للامبراطور المغولي من دون المسلمين من أهل السنة والجماعة .

وملأ هؤلاء الناس ذهنه وعقله الناشىء وفكره غير الناضج بالتنكر للصحابة رضوان الله عليهم ولأئمة الاسلام الصالحين رحمهم الله أجمعين ، وأدى به هذا إلى التنكر للاسلام نفسه[1] . وكان الى جانب هؤلاء كثير من علماء السوء الذين أفسدوا ذهنه وعقله لأغراضهم المادية وأهوائهم الفاسدة ، وكان بين هؤلاء العلماء الفاسدين المفسدين من تولى كِبْر التيار الالحادي ، وهو المُلاّ مبارك الناكوري الذي كان من علماء الفلسفة والعقليات في ذلك العصر ، وكان الملا مبارك هذا يحفظ كثيرا من المتون القديمة في العلوم الفلسفية والعقلية ، وكان قد تلمذ في شبابه لأحد علماء الشيعة من شيراز ، وهو أبو الفضل الكازروني ، وقرأ عليه بعض غوامض كتاب الشفاء للفيلسوف الكبير الشيخ الرئيس أبي علي بن سينا وغيره من الكتب الفلسفية ، ولعل أبا الفضل هذا أثر في نفسية تلميذه تأثيرا عميقا فنراه بعد رجوعه الى الهند يسمي أحد أبنائه أبا الفضل ، ويبدو أنه سماه باسم استاذه هذا ، ويظهر من هذا تقديره واحترامه لهذا الفيلسوف الشيرازي الايراني ، ثم بدأ الملا

(١) انظر منتخب التواريخ ، عبد القادر البدايوني ، مجلد ثان ، ص ٣٠٨ .

مبارك في مطالعة كتب الصوفية ومال الى طريقة الاشراق التي أشاعها بين المسلمين الصوفي الشهير شهاب الدين السهروردي الذي قتل في سنة ٥٨٧ هـ بعد أن أفتى العلماء بكفره وزندقته ووجوب قتله[١] .

ويمكن تقدير ما كان يكنه الملا مبارك من حقده على الاسلام وإهماله للدين أنه قال للامبراطور أكبر ووزيره الهندوكي «بيربر» ذات مرة : قد تسربت تحريفات كثيرة الى أديانكم وكتبكم المقدسة ، ولكن ديننا ــ دين الاسلام ــ هو أكثر تحريفا من جميع الأديان ، فلا يمكن الاعتماد عليه والوثوق به[٢] .

وكان للملا مبارك ابنان ذكيان متضلعان من العلوم العربية والاسلامية والعقلية ، وكانا يخطوان خطو أبيهما حذو النعل بالنعل ، ويمشيان تلوه في الشؤون النظرية والعقدية ، وقد بلغ أحدهما وهو «فيضي» من معرفة اللغة العربية أنه ألف تفسيرا للقرآن الكريم في اللغة العربية دون أن يستعمل فيه أي حرف منقوط ، فالكتاب من أوله الى آخره يحتوى على الحروف غير المنقوطة ، وسمى هذا التفسير

---

(١) راجع التفصيل عن حياة شهاب الدين السهروردي وآرائه وأفكاره ومؤلفاته وتأثيره في الفكر الاسلامي :

١ ــ تاريخ الفكر الاسلامي ، للدكتور عمر فروخ ، طبع بيروت ١٩٦٢ ص ٤١٧ ــ ٤١٨ وما قبلهما للوقوف على خلفيته العقلية .

٢ ــ أصول الفلسفة الاشراقية عند شهاب الدين السهروردي للدكتور محمد علي ابو ريان ، طبع القاهرة ، ١٩٥٩ م

٣ ــ هياكل النور ، للسهروردي نفسه ــ تحقيق الدكتور محمد علي أبو ريان ــ طبع القاهرة .

٤ ــ تاريخ الفلسفة العربية « حنا الفاخوري وخليل الجر » ، المجلد الاول طبع بيروت ، دار المعارف ١٩٥٧ م ص ٣٠٣ ــ ٣٠٧ .

(٢) البدايوني : مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ٣١٢ .

بسواطع الالهام[١] ، وثاني الأخوين وهو أبو الفضل كان من كبار الكاتبين والمؤرخين ، وكان هذان الأخوان في مقدمة المستشارين للامبراطور جلال الدين الأكبر ، ولهما حصة الأسد في افساده .

فبعد أن تيقنوا أن الامبراطور تأثر بهؤلاء المفسدين بدؤوا يحتقرون في حضرته علماء الاسلام ومجتهدي الأمة وخاصة أئمة أهل السنة والجماعة ويستهزئون بهم ويسخرون من علماء البلاط وخاصة المحدث المغولي الشيخ عبد النبي الكنكوهي ، وذلك لأنهم كانوا يعلمون أن احتقار علماء الاسلام والاستهزاء بالدين وأئمة الدين هو الذي يكون عادة أول مرحلة من مراحل الموجات الالحادية وطغيان الكفر والزندقة ، ثم تليها مراحل أخرى ، وكان أبو الفضل يفتخر بنبذ علماء الاسلام الموجودين في الهند في عصره بالألقاب ، فسمى أحدهم حذّاء والآخر إسكافا والثالث جزارا وهلم جرا[٢] .

قلنا إن الامبراطور جلال الدين الأكبر كان أميا لم ينل تعليما متناسقا ولم يدرس دراسة شاملة منظمة ، ولكنه كان يرغب في التزود بمزيد من العلوم والمعارف ، فأمر أن تقرأ عليه الكتب الفلسفية وكتب الديانات الأخرى ، وفاز بذلك في جمع معلومات متناثرة لا تجدي شيئا في العلم ومعالجة القضايا بطرق علمية ، ثم أمر ببناء مركز خاص لهذا الغرض وسماه عبادت خان أي « بيت العبادة » ينعقد فيه كل يوم مجلس للمناقشة والبحث في شؤون الدين وقضايا الفلسفة وأسرار التصوف ، وكان الامبراطور في بداية الأمر يكتفي بالاستماع الى

(١) ظهرت لهذا الكتاب طبعة وحيدة على حد المعلومات التي توفرت لدي ، وهي في لكناؤ عام ١٤٠٦ هـ الموافق ١٨٨٩ م — ولم أر أحداً يقرا هذا الكتاب أو يستفيد منه ، لأن القبول يأتي من عند الله حسب إخلاص المؤلف .

(٢) منتخب التواريخ للبدايوني ، مجلد ثان ، ص ٢٠٠ .

المناقشات والبحوث ، وكان يجتمع في ذلك المجلس أبناء جميع المذاهب والديانات من الهندوكية والبوذية والمجوسية والمسيحية والاسلام وغيرها . وكان المشتركون في هذه المناقشات يسمون أنفسهم متنورين ؛ فبدأ هؤلاء المتنورون في إثارة الشبهات حول مبادىء الاسلام ومعتقداته الأساسية مثل النبوة والتكاليف الشرعية ومصالح الأحكام الدينية ومقاصد الشريعة وحشر الأجساد وغيرها من أسس الدين ، وسموا العبادات الاسلامية من الصلاة والصوم وكل ما يتعلق بباب الوحي والنبوات تقاليد وأمورا غير معقولة ، وقالوا : إن مدار الدين عندنا على العقل لا على النقل ، وهذه الاشياء لا يقبلها عقل ولا فكر .

وكل ما هو ضد أحكام الاسلام وفلسفته وشريعته وفكره من نظام أو مبدأ أو حكم من أحكام الديانات الأخرى او فكرة فلسفية كان عندهم كنص قاطع بل أجل منه وأكثر أهمية ، وأما ما كان من دين الاسلام فكان مردودا عند هؤلاء المتنورين ، وكانوا يقولون ، ساخرين من الدين ومن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم : إن هذه التقاليد غير المعقولة وضعها صعاليك العرب . وأنكروا إمكان رؤية الباري جل وعلا التي تثبت بكثير من الروايات التي تبلغ حد التواتر[١] .

---

(١) منها قوله عليه السلام : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته . أو كما قال عليه السلام . وقد رواه باختلاف اللفظ واتحاد المعنى كثير من المحدثين ، منهم البخاري في صحيحه ومسلم في صحيحه وابو داود في سننه والترمذي في جامعه وابن ماجه في سننه وأحمد بن حنبل في مسنده ، ورؤية الباري تعالى وامكانها بعيون الرأس مسألة من أهم مسائل علم الكلام عند المسلمين ، والكتب الكلامية حافلة بالمباحث والمناقشات في هذا الموضوع .

وأدى طغيان هؤلاء المتنورين الى إضلاله الامبراطور الجاهل ضلالا كبيرا ، فبدأ ينكر مبادىء الدين ويسخر من تعاليم الاسلام ونصوص الكتاب والسنة ، وروى المؤرخ الشهير عبد القادر البدايوني الذي كان يؤذن له أحيانا بالمثول أمام الامبراطور والحضور في (عبادت خانه) ـ كان يستمع هناك الى المناقشات والبحوث ـ أن الامبراطور أنكر يوما وقعة المعراج وقصة الاسراء ، ثم قام على إحدى رجليه وقال لايمكن لأحد أن يقوم الا أن تكون احدى رجليه على الأقل على الأرض • فكيف يمكن أن يتمكن بشر (يعني به رسول الله صلى الله عليه وسلم) من الذهاب الى كذا وكذا من المكان ، يعني السموات ويبقى فراشه ساخنا وحارا ؟[1] •

ثم إن الامبراطور شكل لجنة خاصة لهذا الغرض تحتوى على أربعين رجلا من أرباب الديانات المختلفة ليقوموا بدراسة عقلية في جميع المذاهب والديانات العالمية ، ولكن هذه اللجنة لم تشتغل إلا في إثارة شبهات متنوعة حول الاسلام والمسلمين والقرآن الكريم والسنة النبوية ، ولو أراد أحد من أعضاء اللجنة أن يجيب عن اية شبهة وجهت ضد الاسلام أبوا ذلك عليه ولم يؤذن له بالرد على الاعتراضات ضد الاسلام ، وأما من أراد ان يعترض على الاسلام أو يوقع شبهات حوله فلم يكن في اللجنة من يعترض سبيله ويلجم فاه ، كأن أعضاء اللجنة كانوا يتمتعون بحرية تامة للقول والعمل ضد الاسلام ، ولكن لو أراد أحد الدفاع عن الاسلام قيدته الأغلال •

ولم ينته الأمر الى هذا الحد القبيح ، بل تعدى الى إيجاد دين

---

(١) البدايوني : المصدر نفسه ، ص ٣١٧ •

جديد ضد دين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمي هذا الدين الجديد بالدين الالهي الأكبري، وبدأ هذا الدين الجديد بإعداد منشور كبير على يدي الملا مبارك الناكوري الذي عرفناه في الصفحات السالفة، وساعده في ذلك ابناه أبو الفضل وفيضي ، وجاء في هذا المنشور ما ملخصه أن العلماء[١] الذين احتشدوا في بلاد الهند من ممالك العرب والعجم والذين يتمتعون بنصيب كبير من العلوم والمعارف الاسلامية قد أفتوا بأن الملك العادل أقرب منزلة الى الله من عالم مجتهد ، وبما أن الامبراطور جلال الدين محمد الأكبر أعدل الملوك وأعلمهم وأكثرهم عقلا وحكمةفرأيه فيالمسائلوالقضايا التي اختلفت فيها العلماءالمجتهدون يكون رأيا صائبا نافعا للخلق ، فيجب على كل واحد (ممن : من البشر كلهم أو من أهل الهند فقط ؟) أن يؤمن به ويعمل طبقه[٢] ، وأكرهت الطوائف الناكورية ومعها كل متملق ذليل في البلاط والحكومة جميع العلماء والقضاة والاساتذة أن يوقعوا على هذا المنشور الذليل ويصدقوا به، فكانالعلماء بين مصدق وبين منكر،ولكن الاغلبيةالساحقة للعلماءوالقضاة كانت من الذينأنكروا وأبوا أنيوقعوا عليه ولقوا بدل إنكارهم من الاضطهاد والظلم ما لقوا ؛ وسيأتي ذكره مجملا في الصفحات الآتية .

وتلا ذلك جمع من علماء السوء يرفعون عقيرتهم في مدح الامبراطور العادل العالم العاقل ، وجعلوا يضعون الأحاديث

---

(١) لا ندري هل المراد من « العلماء » هنا أعضاء لجنة التحقيق والبحث في شؤون الديانات أم أعضاء (عبادت خانه)، أم همعلماءآخرون تولى كبرهم الملا مبارك الناكوري .

(٢) البدايوني ، المصدر نفسه .

والرسائل والكتابات في تأييد دعاوى أكبر وأصحابه المتملقين ، وزعم آخرون أن أكبر صاحب الزمان وهو المهدي الموعود الذي أخبر بقدومه الرسول صلى الله عليه وسلم ، واشترك في هذه المهمة علماء من الشيعة والسنة وجعلوا بها الامبراطور الجاهل يزعم أن دين الاسلام الذي جاء به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهى أجله بعد مضي ألف عام على وفاته عليه السلام ، والآن قد أصبح الجو خاليا من وجود دين إلهي فيجب سد هذا الفراغ بدين إلهي جديد لئلا يختل نظام الكون ولايفسد أمر الناس ولايصبحوا فوضى لا سراة لهم ولا دين . فالناس في حاجة شديدة الى هذا الدين الجديد ، ولا يمكن ـ كما زعموا ـ إنشاء دين يهيء للناس حوائجهم ويكمل مقاصدهم ويتمشى مع روح العصر وتطور العلم والعقل إلا على يدي الامبراطور العادل العالم العاقل الحكيم جلال الدين محمد الأكبر ، واشتهرت هذه النظرية بالنظرية الألفية ، أي نظرية مرور ألف عام على نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وانتهاء نبوته وشريعته وضرورة دين جديد وشريعة جديدة .

حينئذ بدأ الألفيون يكرهون الناس على أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن أكبر خليفة الله ، وقام الباحثون ، بتقديم أدلّة باطلة[1] وحجج فاسدة وأقاويل زائفة تفيد أن الامبراطور أكبر هو الشخصية العبقرية الفذة التي بعثت في هذا العصر لترفع الخلاف بين الديانات المختلفة من الاسلام والهندوكية وغيرها ، وجعل البراهمة يصيغون أبياتا وقصائد سنسكريتية نسبوها الى آبائهم وقدمائهم ، وكانت

(١) لعل ظاهرة المجامع العلمية وجماعات أهل العلم التي من واجبها تأييد اولى الأمراء وأصحاب الحكم في كل باطل وزندقة على المستوى العلمي ظاهرة ليست بجديدة ، بل هي ظاهرة قديمة قدم القرون الوسطى على الاقل وهي تتكرر بين الحين والحين .

هذه الأبيات والقصائد تخبر أن امبراطورا كبيرا سوف يظهر في شبه القارة يحترم البراهمة ويحافظ على حرمة البقر ويحكم بين الناس بالعدل ، ثم كانوا يقدمون هـذه القصائد الى الامبراطور ليخادعوه وينالوا منه الأموال والوظائف ، وكان بين علماء السوء واحد يسمى الحاج إبراهيم الذي كان رئيس القضاةوالقائم بالشؤون الدينية في ولاية كجرات ، وكان هذا القاضي يقدم هدايا وتحفا مختلفة الى الامبراطور أو يبعث بها اليه من كجرات ، فذات مرة كانت بين هذه الهدايا كلمة ملفقة نسبها الى محيي الدين بن عربي وكتبها بنفسه بخط لا يؤنس ولا يقرأ ، وتفيد هذه الكلمة أن صاحب الزمان سوف يظهر عما قريب تكون لديه نسوة كثيرةويحلق لحيتهوتكون فيه كذا وكذا من الصفات، التي هي موجودة في أكبر ، وساهم في هذه الحملة التضليلية أحدالعلماء الذي جاء بشيء أغرب ، ذهب هذا الرجـل المسمى بمولانا خواجه شيرازي الى مكة المكرمة ورجع بكتاب ادّعى أنه حصل عليه مـن علماء بلدة الحرام وأشرافها ، وجاء في هذا الكتاب أن أجل الدنيـا سبعة آلاف سنة ، وقد انتهى ، وقد حان الآن وقت ظهور المهـدي الموعود ؛ وعلاوة على هذا فإنه ألف كتابا آخر بنفسه في هذا الموضوع وبسط فيه الأقاويل عن هذه الفكرة الغريبة وأتى لها بدلائل وحجج غريبة ، ونسب بعض علماء الشيعة بعض الروايات الموضوعة الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه[١] .

وبدأ الدين الالهي بادىء ذي بدء بإلغاء الصلاة والصوم والحج وفرائض الاسلام الأخرى ، وساعد في ذلك جميع علماء السوء الذين

---

(١) هذه المعلومات كلها موجودة في منتخب التواريخ للبدايوني ــ والتقطناها من مجلة الفرقان ، العدد الخاص عن مسيرة الامام المجدد ، طبع لكناؤ ، ١٩٦٠ ــ ومن كتاب الدين الالهي الأكبر وخلفيته التاريخية للدكتور محمد أسلم .

لهم دلائل وشواهد باطلــة تحيكها أيديهم الظالمة وتبدعها قرائحهم الفاسدة ، فقالوا إن العقلاء والحكماء موجودون في جميــع الأديان وكذلك أرباب الرياضات الروحيــة وأصحاب الكشف والكرامــات وحوارق العادات يوجدون في جميع طوائف الأنام، والحق يوجد عندهم جميعا ، فكيف يجب حصره في دين وملة حديثي عهد بالظهور بالنسبة الى الأديان والملل الأخرى ولم تمض عليهما أكثر من ألف سنة ، وقالوا إن إثبات الحق فيدين ونفيه عن آخر ترجيح بدون أي سبب مرجح[1].

ولم يكتف الامبراطور بهذا القدر من الضلال والطغيان ، بــل أراد أن يستن بسنة الفراعنة والنماردة ويجعل نفسه إلها من دون الله وربا للناس من دون رب العالمين ، وأمر أتباع دينه ــ ولم يجــاوز عدد المخلصين منهم ثلاثين عضوا على حــد قول المؤرخــين ــ أن يقول أحدهم للآخر إذا زاره : « الله أكبــر » بدل الشعار الاسلامي المسنون «السلام عليكم» وكان على الآخر أن يجيبه بقوله «جل جلاله» بدلقوله «وعليكم السلام» وكانتكلمة «الله أكبر» عندهم ذاتمعنيين فعامــة المسلمين كانوا إذ اسمعوهم يتبادلونها ، يفسرونهــا بظاهــر معناها ؛ أما هم فكانوا يعنون بها أن الامبراطور أكبر هو الله ــ وكذا الجواب: جل جلاله ــ وكان هؤلاءالاكبريون يكتبون في بداية رسائلهم وخطاباتهم « الله اكبــر » مكان بسم الله الرحمن الرحيم ، وأصــدر الامبراطور مرسوما يأمر الناس أن يقعوا له ساجدين كلما مثلوا أمامه ؛ وبدأ علماء السوء يثبتون جواز هــذه السجدة من الكتــاب والسنة بدليل سجدة التحية والتكريم ، وقالوا إن مثل هذه السجدة أمــام

(١) الدكتور محمد أسلم : المصدر نفسه .

الملوك وأولي الأمر ليست سجدة العبادة التي تكون خالصة لله الواحد الأحد الصمد ، وإنما هي سجدة تحية وتكريم لا تعني إلا الاحترام والإجلال ، وجاء بهذه الأقاويل أحد الصوفية المسمى بتاج العارفين في مؤلف له في هذا الموضوع خاصة ، وتاج العارفين هذا هو شارح كتاب نزهة الأرواح الذي هو كتاب مشهور في التصوف ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر منع الامبراطور منعا باتا أن يؤدي أحد الصلاة في القصر علنا ، ولو اجترأ أحد على ذلك منعه الامبراطور ، حتى حدث ذات مرة أنه أراد أحد المسلمين المخلصين أن يصلي في البلاط فمنعه الامبراطور وزجره على ذلك وحال دونه ودون الصلاة جسديا[1] .

ولتوطيد نظرية تساوي الأديان استوردوا بعض المبشرين المسيحيين الذين قاموا قبل كل شيء بنقل الكتاب المقدس الى اللغات المحلية تحت إشراف الطاغية الأكبري أبي الفضل ، وأدى ذلك الاستيراد والدعاية الحكومية ، بطبيعة الحال ، الى كثرة تقلب الفرنج في البلاد وقدومهم وايابهم في أعداد كبيرة ، واشتد تأثيرهم في عقول من لقيهم وتلمذ عليهم الامبراطور وتعلم منهم شيئا من العقائد العقلية ، حتى بدأ ضرب الناقوس في البلاد وبدأ إظهار صور الثالوث المسيحي المقدس وتماثيله في شبه القارة ، وأصبح من الوظيفة الامبراطورية أن يشتغل الناس باللهو واللعب ويترددوا الى دور الطرب ، أفلا يمكن لنا أن نقول إن بواكير عهد الاستعمار المسيحي الاوربي في شبه القارة ظهرت على يدي الامبراطور « العادل العالم العاقل الحكيم » جلال

(١) مجلة الفرقان ، العدد الخاص عن الامام المجدد ، طبع لكناؤ ، ١٩٦٠ ، مقالة العلامة الكيلاني .

الدين محمد الاكبر ؟[١]

وذلك الى جانب جمع من العلماء المجوسيين الذين جاؤوا من إيران وغيرها من البلاد ، وأدخلوا كثيرا من التقاليد المجوسية في القصر الامبراطوري ، ولارضاء علماء المجوس أمر أبو الفضل بإشعال نار في القصر وأن تبقى مشتعلة طول الليل والنهار ، وكان أبو الفضل يقول إن النار مظهر من مظاهر الله تعالى وآية كبرى من آياته ونور ساطع من أنواره ، ثم إنهم أبلغوا الامبراطور من تقديس النار وإجلالها منزلة التأليه والعبادة ، فكان كلما شعلت نار أو ضاء نور مصباح قام من مجلسه احتراما وتبجيلا لها ، وكان يعبد الشمس أربع مرات في النهار والليل ، في الصباح والمساء ووقت نصف النهار وبعد مضي نصف الليل ، وكان يتلو كل يوم واحدا وألف اسم من أسماء الشمس كل يوم في وقت الظهيرة متوجها الى الشمس مع حضور القلب ، وأمر أتباعه أن يقولوا : « جلت قدرتها » كلما ذكر اسم الشمس عليهم أو سميت أمامهم ، وكان يقول إن الشمس هي النير الأعظم وهي وهاب العطايا لجميع الكون ، ولا شك أن هذا كله لم يكن إلا من تأثير المجوس وعبدة الشمس من الفارسيين الذي اتخذهم (أكبر) بطانة مع أبي الفضل وأعوانه من دون المؤمنين .

وآمن اكبر واتباعه الألفيون إيمانا راسخا بعقيدة التناسخ ـ تناسخ الأرواح من جسد الى آخر ـ وكان يدعو الناس إليها ويأمر حكامه وولاة أمره وموظفيه للايمان بهذه العقيدة الفاسدة غير العقلية،

---

(٢) ليراجع القارىء الكريم للبسط في هذا الموضوع :
وتاريخ كمبردج للهند ، المجلد الخامس .

ولما زاره الأمير أعظم خان حاكم بنغال قال له الامبراطور : « انتهينا الى أدلة قاطعة تفيد بأن تناسخ الأرواح حق ، وإن كنت في شك من هذا الأمر فعليك بأبي الفضل فإنه سوف يقنعك ويطمئن قلبك على صدق هذه العقيدة وحقيقتها فاذهب أنت وتحدث مع أبي الفضل في هذه المسألة » .

وأحلت الخمر بحجة أنها تصلح البدن وتربيه تربية صالحة ، وأقيمت محلات خاصة للخمور والمسكرات تحت إشراف ومراقبة حكومية ، كما أحل الربا والميسر والقمار ، وأنشئت دار للمقامرة كما انشىء بنك رَبَوِيّ يقرض الناس قروضا ربوية[1] ، وأحل الزنا وعمرت تحت إشراف الحكومة حارة خاصة للعاهرات سموها «شيطان پوره » أي حارة الشياطين ، وقالوا إنه من الأحسن أن تنحصر هذه العهارة والدعارة في حارة واحدة .

وبلغ حقد الامبراطور على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى درجة أنه كان يثقل عليه أسماء أحمد ومحمد ومصطفى ، فلم يلبث أن بدل أسماء بعض ندمائه من محمد خان الى رحمت خان ، وبدأ المؤلفون والكتاب الذين تأثروا من الدين الالهي أو من نظرية تساوي الأديان أو الذين خافوا على أنفسهم وعلى أموالهم ــ بحذف اسم النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من بداية كتبهم ورسائلهم ، وكانوا يكتفون بذكر التوحيد وذكر الألقاب الامبراطورية ، حتى قال بعض أتباع الدين الالهي « إن الملة الاسلامية كلها أمر غير معقول وشيء فارغ

(١) مجلة الفرقان ، ص ٧٠

وضعه صعاليك العرب الذين كانوا من المفسدين وقطاع الطريق »[1] ، وبدؤوا يتمثلون بقول الشاعر الايراني الشهير أبي القاسم الفردوسي الذي يبين عن حقد الايرانيين ضد العرب بقوله :

زشـير شتر خوردن وسوسمار عـرب رابجائي رسيد است كار
كه تخت كيان را كننـد آرزو تفو بر تو اي چرخ كردان تفو[2]

بسبب أكلهم لحم الضبع وشربهم لبن الابل انتهى الأمر بالعرب الى حد أنهم يأملون بعرش الكيانيين ، تبا لك وويلا أيها الفلك الدوار.

والى جانب ذلك كله عهدوا الى علماء الديانات الأخرى نقـل كتبهم المقدسة الى اللغة الفارسية التي كانت لغة رسمية في البلاد والى اللغات المحلية الأخرى ، ومع أن نقل هذه الكتب الى لغة المسلمين ليس بأمر يقدح فيه بل يعتبر أمرا مستحسنا اذا كانت داعيته داعية علميـة بحتة ، ولكن الذي دعا أكبر وأنصاره الى نقل هذه الكتب الى الفارسية ثم نشرها بين المسلمين انما هو أملهم ببث جذور التشكيك والريبة في قلوب المسلمين وأذهانهم ، فقام أحدهم بترجمة الكتاب الهندوكي المقدس «مهابهارتا» وقام الآخر بترجمة أسفار العهدين القديم والجديد ، وأمر الامبراطور ابنه « مراد » أن يتلمذ على الآباء المسيحيين ويقرأ عليهم بعض دروس العهد المقدس لليمن والتبرك[3] ، وألف بعض الملاحدة ممن

(١) البدايوني : المصدر نفسه ، ص ٣٠٧

(٢) كتاب الشاهنامة للفردوسي مليء بمثل هذه الابيات الحاقدة على العرب .

(٣) البدايوني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٩

كان يسمى باسمٍ اسلاميٍّ بعض الرسائل والكتابات يقدح فيها ويسخر من العبادات الاسلامية فكانت هذه الرسائل والكتابات موضع قبول ورضا من الحضرة الامبراطورية وصارت سببا ووسيلة لرقي المؤلف وتقدمه في نعم العيش وترف الحياة[١] ، وكان من دأب هؤلاء الطغاة الملحدين أن يدخلوا في هذا الدين الباطل كل ما رضي به الملك أو أعجبه من الأديان ما عدا دين المسلمين ، وكانوا يحترزون عن كل ما يخالف رضا الملك ويلتزمون اجتنابه ، ولم يمض على هذا الدين الالهي أكثر من خمس أو ست سنوات حتى فاز في القضاء على الاسلام ومحو آثاره من البلاط الامبراطوري والقصر الامبراطوري بخاصة والاوساط الحكومية بعامة[٢] .

وكان على كل من أراد أن يدخل في الدين الالهي رسميا أن يؤمن أولا بكلمة لا إله الا الله ، أكبر خليفة الله ، ثم يقر بما يلي :

« من كه فلان ابن فلان باشم بطوع ورغبت وشوق قلبي از دين اسلام مجازى وتقليدى كه از آباء وپدران ديده وشنيده ام إبراء وتبرا نمودم ومراتب اخلاص چركا نه كه ترك مال وجان وناموس ودين باشد قبولى كردم » .

« أنا ، فلان بن فلان ، بكل طوع وتمام رغبة وعميق شوق أعلن براءتي من هذا الاسلام المجازي التقليدي الذي رأيته وسمعته من الآباء ، وها أنا ذا أدخل في الدين الالهي الامبراطوري الاكبري ، وقبلت المدارج الأربعة للاخلاص في هذا الدين التي هي عبارة عن ترك المال

(١) المصدر السابق ، ص ٢٥١
(٢) المصدر السابق ، ص ٢٥٥

وترك النفس وترك العرض وترك الدين »[١] .

وكان كل من يعتنق الدين الالهي يحصل على صورة للملك ، وتكون هذه الصورة علامة لاخلاصه للملك ومقدمة من أهم مقدمات الرشد والسعادة والرقي ، وكانوا يلفون هذه الصورة بغلاف مرصع بالجواهر واللآلىء ويضعونه فوق جباههم في عمائمهم ، وأباحوا الخمر إذا استعملت لتربية البدن وتقوية الجسد بشرط أن لا تكون فتنة وفسادا ، ولكن إذا أحدثت فتنة أو ضوضاء أو ضجة أو اسكرت سكرا فاحشا فلا تباح ، وفتح دكان للخمور تحت مراقبة الحكومة ، وكانت تشرف على هذا الدكان وتديرها امرأة كانت من عائلة الخمارين ، وعينت الأسعار من قبل الحكومة ، وكان الأمراء والوزراء والحكام حتى القضاة والمفتون يجتمعون في مهرجانات النوروز ويعاقرون الخمور أقداحا على أقداح ، وكان فيضى أخو أبي الفضل يقول : اشرب هذا الكأس باسم عمى الفقهاء وجهلهم .

وكان حلق اللحى من أهم ميزات الدين الالهي ، ويبدو أن فكرة حلق اللحى بدأت بادىء ذي بدء تحت تأثير أزواج الامبراطور الهندوكيات ، ومن المعلوم أن الهندوس يحلقون اللحى منذ زمن قديم، وحلق اللحية سنة دينية عند الهنادكة ، فلمّا مال الملك الى التأثر بهذه الفكرة جاء المتعاملون بالسوء بأدلة عقلية ونقلية مضحكة ، فادعى أحدهم أن اللحية تروى من ماء الخصيتين وتتربى بهما ، ولذلك نرى أن اللحية لا تنبت للخصيان ، فما لها وللدين ؟ هكذا تساءل الالفيون

---

(١) راجع للتفاصيل : المسلمون في شبه قارة الهند وباكستان
The Muslim commuity of the Indo - Pakistan
طبع هاك ــ هولندة ــ ١٩٦٢ ــ ص ١٤٥ للدكتور اشتياق حسين قريش

الاكبريون ، وجاء آخر بكتاب من كتب الفقة ، وقد جاء في هذا الكتاب أنه لا ينبغي حلق اللحية كما يفعله بعض عصاة العراق ، فغيروا العين بالقاف ووضعوا نقطة على الصاد وقرؤوه « كما يفعل بعض قضاة العراق »[١] ، ثم قالوا إذا جاز لقضاة العراق حلق اللحية بدون أي كراهية فلم لا يجوز لقضاة الهند وعلمائها أن يحلقوا لحاهم ، ووضع أحدهم حديثا ولم يخف ولم يتلكأ في نسبته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال فيه إن ابنا لصحابي مر برسول الله صلى الله عليه وسلم محلقا لحيته ، فقال عليه السلام ــ وفق هذا الاتهام القبيح ــ هكذا تكون صورة أهل الجنة[٢] .

هذه هي بعض التفاصيل عن الدين الباطل الذي اتخذته القوى الطاغية دينا لها وأرادت أن تجعله دينا للأمة الاسلامية في سائر شبه القارة ، والعلماء الذين رفعوا صوتهم ضد هذا الطغيان الالحادي عذبوا بأنواع مؤلمة من العذاب والعقاب ، وقتلوا وافنوا ونفوا في الأرض ، فكان بين من قتل رئيس القضاة وشيخ الاسلام مخدوم الملك الملا عبد الله الانصاري السلطانبوري[٣] والشيخ المحدث عبد النبي الكنكوهي[٤] والعالم الشيعي المتدين الملا محمد يزدى الذي كان قاضيا في جونفور

---

(١) من الجدير بالذكر أن المطابع لم تكن موجودة في شبه القارة في ذلك الحين وكانت الكتب كلها خطية ــ غ

(٢) البدايوني ، مصدر سابق

(٣) راجع ترجمته في نزهة الخواطر ، مجلد رابع ، ص ٢٠٦ـ٢٠٨

(٤) راجع ترجمته في نزهة الخواطر ، مجلد رابع ، ص ٢١٩ـ٢٢٢

المركز العلمي والثقافي الشهير في العصر المغولي ، وكان بين العلماء الذين ردوا على هذه الخرافات الشيخ بدر الدين بن الشيخ سليم جشتي الذي كان محترما عند الامبراطور في شبابه ، ولكنه لما رأى هذه المؤامرات على الاسلام قطع جميع علاقاته مع الامبراطور واعتكف في منزله . ولكن الحكومة لم تأذن له بذلك وبدأت اضطهاده وظلمه ، فلم ير الشيخ مفرا إلا الهجرة الى مركز الامن والسلام الذي كان مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا ، فلم يلبث الشيخ بدر الدين أن أخذ زورقا صغيرا وغادر الى مكة المكرمة وتشرف بأداء فريضة الحج ، وانتقل هناك الى رحمة الله أثناء طوافه بالكعبة المشرفة .

ولما وصل نبأ الالحاد الأكبري الى بنغال وجونبور أدى ذلك الى اتساع نطاق الفتن وبعثت هذه الأنباء في نفوس الشعب المسلم استنكارا عاما ، ولم يلبث قاضي جونبور الشيعي الملا محمد يزدى أن أفتى بوجوب الحرب ضد السلطان لما أحدثه من بدع وإلحاد يزعزع بناء الاسلام وكيانه في شبه القارة ، وأثارت فتواه ثورة شعبية عنيفة قتل فيها عديد من كبار الموظفين ومنهم العلماء في جونبور ، ودعا بعض الثائرين الميرزا حكيم خان حاكم كابل للالتحاق بهم والنهوض معهم للقضاء على التيار الالحادي الأكبري ، فاستجاب لهم حكيم خان وخرج الى بنجاب ، في عام ١٥٨٣ م / ٩٩٠ هـ ، ولم يسع الامبراطور إلا أن أسرع لمناهضة الثورة بجحافله الكبيرة .

قد مر بنا أنه كان ممن قتل خلال هذه الموجات الاضطهادية العالمان البارزان الشيخ عبد الله السلطانبوري الانصاري والشيخ عبد

النبي الكنكوهي ، وكان « أكبر » أجلاهما في أول الأمر الى مكة المكرمة في سنة ١٥٨٠ م أي حوالي بعد سنة من إعلان المنشور السالف الذكر ، فكانا يثيران الشعب المسلم ضد الحكومة الرامية الى القضاء على أهل السنة والجماعة قضاءاً باتاً فأصبحا خطرا يهدد كيان الحكومة ويهدد كل ما أراد اكبر وأعوانه من تأسيس الدين الالهي[١] ، ولما وصلا الى مكة المكرمة رحب بهما علماؤها وصلحاؤها ترحيبا حارا ، وجاء كثير من تلامذة العلامة ابن حجر المكي الهيتمي (المتوفى ٩٧٤ هـ)[٢] واصدقاؤه لاستقبال مخدوم الملك الشيخ عبد الله الأنصاري الذي كان بينه وبين العلامة الهيتمي صداقة متينة قديمة ، ولعل علماء مكة المكرمة لم يكونوا جاهلين لمؤلفات مخدوم الملك وجهوده العلمية ، وأحاط هذان العالمان علماء مكة المكرمة علما بالطغيان الالحادي الذي سيطر على الهند واستولى على شبه القارة بأسرها على يدي أكبر وأعوانه في صورة الدين الالهي الاكبري[٣] .

وبعد إجلاء هذين الزعيمين من جماعة كبار العلماء من شبه القارة بدأت الحكومة وعلى رأسها جلال الدين محمد الاكبر وأعوانه اضطهاد العلماء والفقهاء والقضاة خاصة اضطهاد أهل السنة والجماعة عامة ، فعطلت الحكومة رواتب العلماء والفقهاء وصادرت أراضيهم وإقطاعاتهم ، وقامت بما قامت وفعلت ما استطاعت أن تفعل من ظلم وجور واضطهاد ، ولكنها بكل هذا لم تستطع أن تكره جماهير علماء

---

(١) الدكتور اشتياق حسين قريش : العلماء في السياسة (Uelma in politics) طبع كراتشي ، ١٩٧٢ م ، ص ٦٥

(٢) راجع لترجمته الاعلام للزركلي ، المجلد الاول ، ص ٢٢٣

(٣) شاهنواز خان : مآثر الأمراء ، مجلد ثان ، ص ٥٦٣

المسلمين على موافقة الحركة الالحادية التي كانت تدبرها في الحقيقة القوى الهندوكية وتحيكها القرائح الهندوكية والالحادية ، ولما رأت الحكومة فشل جهودها في إكراه العلماء والضغط عليهم غضبت غضبا شديدا ، وعزل الامبراطور جميع القضاة المسلمين وبدلهم بمن كانوا يدينون بدينه، وقتل كثيرا من العلماء خفية بمجرد أنهم كانوا لايوافقون الامبراطور في معتقداته[١] .

ولما قامت في بنغال وكابل ثورة ضد الالحاد الاكبري في يناير ١٥٨١ م تحت زعامة الميرزا محمد حكيم وصلت أنباؤها الى مخدوم الملك وصدر الصدور الشيخ عبد النبي في مكة المكرمة ولعلها وصلت إليهما بصورة مبالغ فيها وبطريق غير موثوقة بها ، ولكنهما بادرا الى الرجوع الى الهند ليلعبا دورهما في إحياء نظام الاسلام في شبه القارة ، ولكنهما لما وصلا الى الهند كانت الأزمة متغيرة كل التغير وأصبحت الحال أسوأ مما كانت عليه وقت جلائهما ، فما لبث مخدوم الملك الشيخ عبد الله الأنصاري أن قتل مسموما ، وأما الشيخ عبد النبي فسجن أولا ثم قتل على أيدي جماعة من الهنادكة تحت قيادة الوزير الأكبري الهندوكي راجاتودرمل بتوجيه من الامبراطور نفسه ، وصودرت أموال كل واحد منهما ، وواجهت كلتا العائلتين أسوأ المظالم والاضطهاد والفتنة[٢] .

وجاء قتل هذين العالمين الكبيرين فاتحة سلسلة من الظلم والجور

---

(١) الدكتور اشتياق حسين ، المصدر نفسه ، ص ٦٧ — ٦٩
(٢) الدكتور اشتياق حسين قريش ، مصدر سابق ، ص ٦٨—٦٩

والاضطهاد التي واجهها العلماء المسلمون وتحملوها بكل صبر وثبات قدم واستقلال نفس، وكان من بين من قتل: الشيخ معز الملك والقاضي محمد يعقوب وغيرهم ، رحمهم الله كلهم أجمعين وشكر جهودهم وتقبل تضحياتهم •

ولنقف هنا لحظة ولنتساءل : ماذا كان الهدف الأصلي لهذه الجهود كلها ؟ وماذا كان المخططون يريدون نيله تحت ستار الدين الالهي ؟ والذي يراه كاتب هذه السطور هو أن الهدف الحقيقي من جميع هذه الجهود الهدامة والخرافات اللاغية لم يكن تأسيس دين جديٍّ ، بل كان الهدف هو الاستخفاف بالدين الاسلامي أولا ثم القضاء على الشريعة الاسلامية ومعالم الثقافة الاسلامية في شبه القارة وأخيرا محو العواطف الاسلامية من قلوب الجماهير المسلمة التي كانت لاتزال مؤمنة إيمانا كاملا بالدين الاسلامي والقرآن الكريم والسنة النبوية ، وكانوا يريدون أن تتسرب في قلوب الشعب المسلم أولا نظرية تساوي الأديان التي تقول إن جميع الأديان الموجودة في العالم من الهندوكية والبوذية والمسيحية واليهودية والاسلام وغير ذلك من الأديان تهدي الانسان الى هدف واحد ومقصد واحد ، ولا فرق في ذلك بين الأساليب والوسائل والسبل التي تختارها الأديان المختلفة للوصول الى هذا الهدف ، فكانت خطة المتآمرين نشر هذه الفكرة بين المسلمين أولا ثم مزج الدين الاسلامي مع الدين الهندوكي لينقرض الاسلام ويتلاشى من شبه القارة « لا قدر الله ذلك » ، فالدين الالهي الذي انشأوه على يدي الامبراطور المغولي الجاهل كان من أهم الخطوات في هذا الاتجاه •

وليس هذه المرة في صورة الدين الالهي فحسب ، بل قام الزعماء

الهندوكيون بمثل هذه الجهود اكثر من مرة خلال التاريخ الاسلامي الطويل في شبه القارة ، وحاولوا مرارا أن يدخلوا الفكر الهندوكي في الدين والثقافة الاسلامية ، ليذوب الاسلام والمسلمون في البوتقة الهندوكية ولا يبقى للمسلمين شخصية مستقلة وهوية متميزة في شبه القارة ، وأخيرا حاول الزعيم الهندوكي الشهير موهن داس كرم شند غاندي أن يستميل المسلمين في شبه القارة ويظفر بهم في حركته القومية الوطنية المتحدة التي كان يريدها غاندي وأعوانه أن تضم المسلمين والهنادكة معا وتنطلق بهم الى ذلك الهدف القديم ، حتى اقترح بعض زعماء الهنادكة في بداية هذا القرن قائلا إن الهنادكة مستعدون لإنهاء جميع خلافاتهم مع المسلمين لو قطعوا صلاتهم مع خارج الهند (مع العالم الاسلامي طبعا ومع الحرمين الشريفين خاصة) وسموا أنفسهم الهنادكة المحمديون ــ ولكن الله تعالى خيب آمالهم مثل السابق ــ •

وللمؤرخين آراء مختلفة حول الحقيقة الواقعة عن نفسية أكبر وعما قام به من انتحال هذه النحلة الهدامة ، وتنشأ هنا عدة أسئلة : هل ادعى اكبر النبوة لنفسه ؟ أم دعوى النبوة تهمة اتهمه بها معارضوه ؟ أكان يريد القضاء على الاسلام قضاء باتا بعد أن كان في صباه وفي بداية شبابه رجلا متدينا ؟ أم كان هدفه الحقيقي هو كسب معاونة الهنادكة فقط ؟ وهل كان انحرافه وطغيانه على الاسلام ناشئا عن جهل فقط أو كان بشعور وعلم ؟ وما هو مدى انحرافه عن الاسلام من حيث إرادته هو ؟

ولكن كل هذه الاسئلة لسنا نحن بصدد الجواب عنها ، فإنها بحوث علمية بحتة ينبغي أن تكون موضوعا لبحث خاص مستقل عن

الدين الالهي وعن تاريخ نفسية أكبر وتطور فكـر هذا الامبراطور المغولي وعقله ، وأما نحن فلا تهمنا هذه الأسئلة في البحث عن حركة الإمام المجدد وتاريخ جهاده[١] ، ولكن لا يسعنا إلا أن ننقل رأي عالم من علماء الغرب ، يقول المؤرخ الانكليزي « ونسنت سمث » في كتابه (أكبر ذلك المغولي الأعظـم) عن الدين الالهي : « وكانت المخططة بأجمعها نتيجة لخيلاء وغرور مضحك ونمو هائل لحكومة الفرد المفرطة والاوتقراطية المسرفة ، ولم يكن الدين الالهي إلا تذكارا لحماقة أكبر دون عقله وحكمته »[٢] .

محمود أحمد غازي
باكستان ــ اسلام آبـاد

---

(١) قد أشرنا في بداية المقالة أن هذا البحث ملتقط من البـاب الثالث من كتابي باللغة العربية : تاريخ الحركة المجددية ، وهذا الكتاب لم يطبع حتى الآن .

(٢) Vincent Smith : Akbar, the great Magul Znd ed . Delhi 1958

النقد والتعريف

تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر

تراجم حرف العين المتلوة بالألف

تحقيق الدكتور شكري فيصل

طبع مجمع اللغة العربية بدمشق تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر وفيه تراجم حرف العين المتلوة بالألف « عاصم ـ عايذ » .

قد يُستغنى في هذه الكلمة الوجيزة عن الكلام على ابن عساكر وفضله العظيم ، فحسبنا أن نعرف أنه نشأ في بيت علم وفقه وقضاء ، فبدأ بسماع الحديث ثم بالرحلات لطلب الحديث والفقه وكم كان فضل نور الدين بن زنكي عظيماً لاعجابه بابن عساكر وحثّه على انجاز تاريخه وانشائه له دار الحديث النورية القائمة الآن في سوق العصرونية بدمشق للتدريس فيها .

كل هذا نترك الخوض فيه لرجال التاريخ لبيان ما اشتمل عليه تاريخ ابن عساكر من فضائل الشام وفتوح الشام وخطط دمشق ومساجدها وكنائسها وأبوابها ودورها وأنهارها وأقنيتها وغير ذلك ، وفي تاريخ ابن عساكر ترجمة لبعض النساء .

واذا تركنا الخوض في هذا كله فلا يجوز لنا أن نترك الكلام على مقدمة الدكتور شكري فيصل الذي تولّى تحقيق هذا الجزء من تاريخ ابن عساكر ، ولكن ليس من السهل الاتيان على كل ما جاء في هذه المقدمة الشافية الوافية واذا كان لا بدّ من شيء من التلخيص فقد أشار المحقق الفاضل إلى أمنية المجمع القديمة

في إخراج هـــذا الكتاب والى عمله في هـــذا السبيل على قدر وسعه ، وقسم المقدمـــة قسمين ، تكلم في القسم الأول على الكتاب وتكلّم في القسم الثاني على عمـــله في التحقيق ، وينحصر هـذا العمل في الكلام على الأجزاء المخطوطـــة وعلى نهجـــه في التحقيق وعلى مكان هـــذا الجزء المطبوع من النسخ المخطوطـــة وعلى بعض الضوابط في إخراج الكتاب .

ثم ختم مقدمته البليغة بخاتمةٍ ذكر فيها مراحل العمل وأشار الى المصاعب في هذه المراحل ولم يغفل عن شكر مجمع اللغة العربية وكانت خاتمة هذه المقدمة دليلاً على ايمانه العميق :

« ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهّاب »

لنعد الآن الى بعض ما جـــاء في مقدمة الدكتور شكري فيصل فقد تكلم على مراحـــل العمل في طبع هـــذا الكتاب العظيم وانتقل الى الكلام على مكانة تاريخ ابن عساكر وعلى ما اشتمل عليه هـــذا التاريخ من وصف حضارة البلاد التي انتشر فيها الاسلام وسادت فيها العربية وبيّـن ما جـــاء في تاريخ ابن عساكر من تراجم رجالٍ من الجاهليين والمخضرمين ومن تاريخ السيرة النبوية بكل جوانبها ومن تراجم الخلفاء الراشدين وتاريـخ الأمويين واختصر هـــذا كله بسطر واحد بليغ :

« ان هذا التاريـخ هو تاريخ للعالم الاسلامي كله من خلال هذه العدسة الضوئية الصغيرة المكبّرة : دمشق » .

لقد أسهب الدكتور شكري فيصل أجمل الاسهاب في الكلام

على امتداد تاريخ ابن عساكر فكأنه تاريخ الوطن الاسلامي والثقافة الاسلامية ؛ ولم ينس في مقدمته الاشارة الى الذين اختصروا تاريخ ابن عساكر وسمّوا هذا الاختصار : تهذيب ابن عساكر ، واختصهم بالشكر .

ان الذي يطالع مقدمة الدكتور شكري فيصل ليشعر بالمصاعب التي واجهها في التحقيق وقد عبّر عن هذه المصاعب بهذه العبارة اللطيفة . « فأنت لاتنتظر أن تطأ أرضاً دمثة ليّنة مفروشة بالورد والريحان من حولها » . وقد يمتّد بي نفس الكلام اذا وصفت المصاعب التي تواجه تحقيق هذا التاريخ ، من هذه المصاعب النسخ الناقصة والأجزاء المتفرقة وغير ذلك .

لقد شغله بعد هذا كله التفكير في الذين يقومون بهذا التحقيق وذلك للمصاعب التي تعترض تحقيقهم ثم وصف نهجه في التحقيق وبيّن في سطور ما يجب اتباعه من القواعد في هذا السبيل ولاغنى لنا عن الرجوع الى النظر في هذه القواعد المفصّلة في المقدمة .

وانتقل بعد هذا كله الى الكلام على أصول هذا الجزء المطبوع المخطوطة وعلى بعض الضوابط في إخراج الكتاب وختم مقدمته بثلاث صفحات تبيّن في أول سطر منها نشوة فرحه بتقديم هذا الجزء ولم ينس في هذه النشوة فضل الذين أعانوه على مراحل العمل ...

لم يهمل الدكتور شكري فيصل الفهارس في آخر الكتاب ، مثل فهارس الأعلام وشيوخ ابن عساكر وشيوخ ابنه القاسم وفهارس الأسانيد والسماعات والآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والأمثال والشعر والأماكن والأقوام ومراجع التحقيق والاستدراكات والتصويبات .

واذا كنت قد أشرت الى هذا كله فقد قصدت في هذه الاشارة أن أُبيّن جهد الدكتور شكري فيصل في عمله وأمانته في التحقيق وفي هذا كله دليل قاطع على ولعه بعمله وعلى طول باعه في هـذا العمل الـذي تولاّه واذا تمنيت شيئاً فاني أتمنى أن يمدّ الله في حياته حتى يتمّ على يديه الكريمتين تحقيق ماله صلة بتاريخ الاسلام والعرب ، وفقه الله تعالى .

شفيق جبري

كتاب الاستشراق

الكتاب : اورينتاليسم (الاستشراق) ORIENTALISM
المؤلف : الدكتور ادورد سعيد استاذ الاداب Edward w. Said
الانجليزية والمقارنة في جامعة كولومبيا
Parr prof of Engish and comp. Literature, Columbia U
New york, N. Y.
في مدينة نيويورك الولايات ، المتحدة .
الناشر : شركة بانتيون في مدينة نيويورك
Pantheon Books, New York
رقم فهرسة مكتبة الكونغرس
Ds 12 S24 1978 (78 - 51803 / isbn O - 394 - 42814 - 5

★ ★ ★

« حدث العام الادبي . فتح في عالم النقد الرصين والمنهج العلمي الصحيح . كتاب وجبت قراءته على كل طالب وبحاثة واستاذ متخصص وأمريكي مثقف » .

هذا بعض ما نقرأ ونسمع عن كتاب الزميل الدكتور ادورد سعيد في الاستشراق والمستشرقين ومدارسهم ودراساتهم ، الغثّ منها والثمين .

انه كتاب ضخم ، يقسع في ثلاثمئة وثمان وستين صفحة من الحجم المتوسط ٦×١/٢ ٩ بوصات « ١٥×١/٢ ٢٣ سم » . وهو يحتوي على اربعة اقسام :

المقدمة ص ١٠ — ٣١

فالمقدمة هي في الواقع عرض منهجي مفصل ، اراد المؤلف ان يكون للقارىء تعريفا جغرافياً وحضارياً لموضوع الاستشراق ، ميّز فيه بين وجهتي نظر غربيتين ، اولاهما تعود الى الفكر والعمل الاوروبي ، والثانية الى الفكر والعمل الاميركي في حقل الدراسات المشرقية . فبينما ينظر الفرنسي إلى الشرق بوصفه المنطقة الجغرافية التي وصفها « شاتوبريان » و « نرفال » في رواياتها ، نجد ان الامريكي انما ينظر الى ذات المنطقة ولكن بوصفها المنطقة الجغرافية الواقعة شرقي شبه القارة الهندية . أما مؤلف الكتاب فإنه يعرّف موضوع كتابه بانه الحلقة الاكاديمية ، التي تدرّس فيها مواضيع شرقية ، يعمل ضمن نطاق تخصصها بحّاثة وكتّاب متخصصون ، يعتبرون الشرق موضوع تخصصهم الجامعي . ويتابع المؤلف فيؤكد بان الشرق هو في الحقيقة عالم يتألف من « حضارات وامم تقطن المناطق الشرقية (من الكرة الارضية) لهم من طرق المعيشة والعادات والتاريخ واقعٌ هو اعظم بكثير من كل ما يمكن ان يوصفوا به في الغرب (ص ٥) » . ثم يشير الكاتب الى ان الحضارة والتاريخ لا يمكن أن يفهما أو يُدرسا علمياً دون الرجوع الى القوى الكامنه فيها ، والتعرف على حدود هذه القوى . فالعلاقة القائمة بين الغرب والشرق كانت ولا تزال علاقات قوى ، أي علاقة تحكّم الغرب

بالشرق واستعماره ، على مستوى درجات مختلفة ، وصفها بكل دقة الكاتب ك . م . بانيكار في كتابه

K. M. Panikkar : Asia and western Dominance. London : George allen And Unwin, 1959.

هذا ولقداستشرق الشرق لا لكونه اكتشف « شرقياً » من جميع النواحي الممكن اعتبارها كصورة طبيعية صحيحة له ، لقد اكتشف الشرق من قبل الانسان الأوروبي في القرن التاسع عشر ، واستشرق لانه كان من الممكن تعريضه للكينونة وللتصنيع كعالم شرقي . مثل هذا يُستنتج من وصف الفرنسي « فلوبير » للسيدة « كوشوك هانم » ، الغانية المصرية التي لم تتكلم قط ولم تعبّر عن عواطفها أو وجودها أو تاريخها بل تكلم عنها ومثّلها « فلوبير » نفسه ، و « فلوبير » هذا كان اجنبياً ، غنياً « بدرجة نسبيّة ، وهذه المواصفات بالذات هي التي تشكل الواقع التاريخيّ الذي مكّن « فلوبير » من التحدث باسمها وشرح شرقيتها ... » (ص ٦) .

ويتابع الدكتور سعيد قائلاً انه لا يجب مطلقا افتراض أن هيكل الدراسات المشرقية هو مجرد اكاذيب واوهام يمكن ان تندحض وينعدم وجودها بمجرد بيان الحقائق عنها . فالمؤلف يعتقد ان الدراسات المشرقية لها اهمية كبرى كدليل للسيطرة الاوروبية ـ الاطلنطية على الشرق ، اهمية هي اكبر بكثير من اهميتها كحقل دراسيّ أكاديمي . ان ما يجب ان يعرفه الدارس ويتفهمه تفهماً صحيحاً هو تفاعل الدراسات المشرقية في المجتمع الغربي وعلاقتها الوثيقة جدا بمؤسساته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وايضاً قوة وجودها الرهيبة . فمن تحصيل الحاصل أن نقول إن أية مجموعة من الافكار التي يمكنها ان

تحافظ على وجودها دون تغيير ، لكونها غير قابلة للتطور والتحور كمجموعة أحكام ومبادىء - قابلة للتدريس في المعاهد والمناقشة في المؤتمرات العالمية ، وفي الكتب المستعملة في تهيئــــة الدبلوماسيين والسياسيين ، أيّ عمــــل فكري كهذا يبقى دون تغيير منذ عهد الفرنسي « رينان » (حوالي ١٨٤٠ م) الى يومنا هذا ، وفي بلاد كالولايات المتحدة الاميركية ، هو في الواقع عمل مخيف رهيب ، وأشدّ رهبة بكثير من مجموعة اكاذيب وخرافات تُستخدم كأداة تثقيف وتأهيل موظفين . وعليه فان الاستشراق ليس مجرد وهمٍ أوروبي عن الشرق . إنه مجموعــــة نظريات وأساليب ومبادىء وُضعت منذ اجيال كثيرة سَلَفت ، لقد كلّفت الكثير من المال وُوظفت ثروات كبيرة في استثمار الاستشراق لهدف استعمار الشرق .

هذا هو اذاً هيكل الاستشراق او دراسات الشرق او المشرق ، الذي يعالجــــه المؤلف شارحا نقائصه ومساوىء استعماله الأكاديمي في الغرب . وكما سبق وذكرت ، يستعمل الكاتب في بحثــــه وتحليله نظريات نقدية حديثــــة ، ومنهجا اجتماعيا - اقتصاديا - سياسياً - ادبياً - تاريخياً ، معتمدا كثيراً على نظريات غـــــرامسكي وسواه من بناة صرح النقد الحديث . ويختتم الكاتب مقدمته بتحديد موضوع بحثه تحديداً منطقياً لا يقبل الكثير من الجدل .

هذا الكتاب القيم حافل بوقائع تاريخيــة وأدبية حللها المؤلف مظهراً تزمت الغرب ومستشرقيه ، فألقى على اعمالهم أضواء تنير السبيل امام الدارس وتمكنه من معرفة الرخيص من اعمال الدعاية ، والظالم من ترهات اعداء الحضارات غير الاوروبية ، كمــا تمكنه من التعرف الى أساليب الاستشراق ومنطلقاتها . والحق يقــال ان عرضا نقديا

لكل ما جاء في هـذا الكتاب القيم من تحليل ونظريات واستنتاج لا يتسع له هذا المقام ، وانه لامناص للمثقف العربي من اقتناء هذا الكتاب ودراسته بكل تؤدة وتأنٍ . وقبل أن ابدأ بعرض موجز لخلفية هذا العمل النقدي العلمي اود ان اشير الى محاولتين اعتبرهما صرختين في واد ، اولاهمـا مقال قصير جدا نُشر في مجـلة « الآداب » البيروتية ، السنة ٢٢ ، العدد ٦ ، حزيران ١٩٧٤ ، بقلم الدكتور ابراهيم ابو لغد ، شكا فيه الكاتب من سيطرة الصهاينة الأمريكيين على الدراسات العربية (ص٥ – ٦) والآخرى بحث قيم قدمه الدكتور هارتموت فاهندريخ في مؤتمر الدراسات العربية في غوتنغن ، المانيا الغربية ، ونُشر في سلسلة دراسات المجمع العلمي في غوتنغن ،

Akten des VII, Kongresses Für arabistik und islamwiss-- enschaft, herausgegeben von Albert Dietrich.

Abhandlungen Der akademie der wissenschaften in Gottingen. Gottingen. Vandenhoeckund Ruprecht.1976-Hartmut Fähndrich, Historical perspective in noldeke's orientalische Skizzen (1892) ., pp. 146 - 154

اشار فيه الى تزمت شيخ المستشرقين الألمان في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ، « تيودور نولدكه ». وإنما أشير الى هذين العملين الادبيين لالكونهما مرجعين او مصدرين من مراجع البحث ولكن لما يقتضيه البحث العلمي من امانة تحقيق .

اما كتاب الدكتور ادورد سعيد فيمكـن القول ، وبكل اختصار ، بأنه عمل علمي يعرض آراء الاستشراق في الشرق محللاً ويفندها ناقدا ، ويستنتج منها خطأ تقسيم المجتمع الانساني وعاداته وتقاليده الى قسمين ، غربي وشرقي ، مشيراً الى ان هذا التقسيم

هو من انتاج الفكر الغربي وتخطيطه للحطّ من قيم الانسان الشرقي وفلسفة وجوده ، وذلك كمقدمة لاستعمار الشرق من قبل الغرب الطموح الطماع . فالغرب يتحدث منذ قرون عديدة عن الصوفية الشرقية ، والثراء الشرقي ، ودروشة الشرق ، وعقلية الشرق ، وانغماس الشرق في ملذاته المادية ، وما الى ذلك من ترهات كان لها الاثر الحاسم في تصوّر الغرب للشرق بأنه منطقة غريبة ساحرة ، غير متمدنة ، ولكن غنية ، لا بأس من الاستيلاء على ثرواتها « وتمدينها » فتصبح صورة مقزّمة عن الغرب « المتمدّن » . وطبيعي أن يكون للتزمت الديني الغربي أثر فعال في وضع الدين الاسلامي في وسط الدائرة ، وجعله موضوع تحليل ونقد عنيفين ، مما ادّى الى الاستنتاج الخاطىء بان الدين الاسلامي مسؤول عن العقلية الشرقية ، والدّروشة الشرقية الاسلامية الخ . وسبب هذا التشويش الفكري هو ان الدين الاسلامي والحضارة العربية شكلا في القرون الوسطى خطراً كبيراً على دين الغرب وحضارته . هذا الدين الحنيف لم يخضع في يوم من الايام لسيطرة الغرب وعنصريته ، ولذلك اصبح في نظر المستشرقين مصدر قوة الحضارة العربية – الشرقية وملهمها . من هذا المنطلق بدأ الغرب يدرس « الاسلام » دراسته التحليلية المعروفة بخصبها وسوء منهجها وغاياته . ومن هنا استنتج الاستشراق ان طريق التعرف على شعوب الشرق لا تتم إلاّ عن طريق التعرف « بالاسلام » . وكذلك أمر السيطرة على المشرق : فقد قرر المستشرقون انها هي أيضاً لايمكن ان تتم دون « الاستيلاء » على « الاسلام » .

ويفند الكاتب موقف الغرب المسيحي من الاسلام ونبيّه تفنيداً يظهر بوضوح جهل الاستشراق وظلمه وعجرفته . هذا الجهل هو الذي

أدّى بالاستشراق الى الاعتقاد بان على كاهله تقع مهمة « تمدين » الاسلام والشرق المسلم . ويقول الكاتب ان كارل ماركس نفسه لم يكن معصوماً عن الوقوع في خطأ نظريات الاستشراق هذه . كما يشير الكاتب الى أن الاستشراق ، وهو غير قابل للتطور والتحرر من تزمته وعنصريته ، ما زال حتى في ايامنا هذه مصدراً للمعلومات الخاطئة عن الشرق والشرقيين . فهو يشير الى تقرير كتبه عام١٩٦٧ الدكتور « مرو برجر » استاذ العلوم الاجتماعية في جامعة برنستون الاميركية ، ورئيس جمعية الدراسات الشرقية وشمال افريقيـة في امريكا وكندا يقول فيه بأن منطقة الشرق الاوسـط وشمال افريقيا ليست المنطقة التي تشكل مركزاً ثقافياً ذا قيمة أو أهمية ، وان ليس هنالك ما يدل على انها سوف تشكل مركزا ثقافيا في المستقبل القريب ولذا فان دراسة لغات هذه المنطقة لا يمكن ان تجدي نفعا على دارسيها بالنسبة للحضارة الانسانية الحديثة ... وتابع الدكتور « مرو برجر » يقول بأن منطقة الشرق الاوسط « لا تشـكل مركز قوة سياسية ، وأن ليس هنالك ما يشير الى انها ستصبح قوة سياسية ذات اهمية » (كذا) .. هذه المعلومات الخاطئة عن الشرق والشرقيين لهـا أثرها في جميع مرافق الفكر الغربي . إنهـا تنطلق من كتب التاريخ التي تدرّس في ثانويات امريكا حيث يتعلم الطـالب ان الاسلام « أسّسه تاجر عربي غنيّ اسمه محمد قال بأنه نبي فتبعه قوم من العرب وغـير العرب كان يقول لهـم انهم انتُخبوا من قبل السماء لحكم العـالم » (كذا)...وإذاً ، فإن الاستشراق ومهمته التعليمية يحملان قسطاً كبيراً من مسؤولية تخدير الخلق الغربي فـلا يتأثر بتشريد شعب فلسطين ولا

بمظالم شاه ايران لشعب ايران بل ينظر الى هذه المآسي وكانها نتيجة طبيعية لعملية تصنيع وتمدين « الشرق والشرقيين » .

على أن الكاتب لا يحكم على جميع المستشرقين بالظلم والجهل . هنالك من المستشرقين من حصل على معرفـــة صحيحة بالشرق فوصفه وصفاً موضوعياً لا بأس به بـل هنالك من المستشرقـــين من أدى خدمات معترفاً بها للعلم والمعرفة .

ويستخلص المؤلف من بحثه أن الدين الاسلامي المعروف في الغرب بالاسلام هو شيء والدول الشرقية شيء آخر . فكما أنه لا يجوز لنا كبحاثة منصفين القول بأن المسيحية مسؤولة عن مساوىء حكم الجنرالات التشيليين ، لا يجوز أن نقول بأن الاسلام هو مرآة مساوىء ومصـــدر مآسي الشرق والشرقيين .فا لاسلام ، وهو دين سماوي مقدس ، هو مصدر الغذاء الروحي للمسلمين . هؤلاء يعيشون في عالمنا هذا لا في « الاسلام » وعليه فإن معرفة الاسلام والمسلمين تفرض على العارف معرفة العـالم الذي يعيش ضمن نطاقه المسلم وغير المسلم ؛ فالمسلمون هم اعضاء في المجتمع الانساني كسواهم من المؤمنين بالأديان الأخرى ، انهم أعضاء صالحون منتجون في المجتمع الانساني الذي يشكل الاسلام جزءاً منه .

حيا الله الدكتور ادورد سعيد وأمثاله من سفراء الحضارة العربية في الغرب .

خليل ا . ح . سمعان
استاذ في قسم الدراسات الكلاسيكية والشرق أوسطية
في جامعة ولاية نيويورك في بنغمتن

شعر الراعي النميري وأخباره

جمعه وقدّم له وعلق عليه ناصر الحاني

راجعه عز الدين التنوخي

مطبوعات مجمع اللغة العربية ـ دمشق ١٩٦٤

ابراهيم صالح

إن ضياع ديوان الراعي فيما ضاع من تراثنا[١] جعل دارس شعره يقف حائراً أمام تلك الأبيات المفردة الكثيرة المتناثرة في بطون الكتب والدواوين ، ويستطيع الباحث بسهولة أن يجزم أن هذا البيت وذاك من قصيدة واحدة لاتفاق الوزن والقافية بل وربما الموضوع ، ولكنه لا يستطيع الجزم – بأي شكل – بترتيب الأبيات للتوصل الى قصيدة متكاملة مترابطة .

ولقد أراد الأستاذ الفاضل ناصر الحاني الوقوف على مجمل شعر فألفاه بين مقطعات وأبيات فرائد تؤلف غالب شعر الراعي ، وبين قصائد قليلة جداً أهمها ملحمته . فآثر أن يجمع أولاً قصائده ومقطعاته ريثما يتفرغ لتحقيق فرائد أبياته وينشرها مستقلة ، إلا أنه تلقّى كلمةً ممن لا يرُد له طلب وهو المغفور له الأستاذ عز الدين التنوخي الذي أشار عليه بضمّ بعض تلك المفردات في آخر الديوان ففعل ، ولكنها ليست كل فرائد الراعي المتناثرة في بطون المعاجم – بشكل خاص – والكتب والدواوين .

---

(١) ديوان الراعي دخل الاندلس رواه ابن خير الاشبيلي وذكره في فهرسته ص ٣٩٧ ط بغداد ١٩٦٣ وذكره ابن خلكان في الوفيات ٥/٣٨٣ تح إحسان عباس .. فقال : وعبيد الراعي ... هو الشاعر المشهور صاحب يوان الشعر .

ولقد جمعت فيما يلي طائفةً من شعر الراعي هي بمجموعها قصيدة واحدة وبضع مقطعات والباقي أبيات مفردة جلّها من أساس البلاغه [١] للإمام الزمخشري لتكون بين يدي المحقق الفاضل عندما يصح عزمه على نشر الديوان ثانية [٢] بكامل شعره الموجود ، ولتكون بين أيدي محبي التراث ودارسي شعر الراعي . وقد رتبت الابيات وفقاً لتسلسل قوافيها على حروف المعجم .

قافيـــة البـاء

قال الراعي [س ـ ش ر ف ـ ص ٢٣٤]

لم يُبق نَصّي من عريكتها شـــرفاً يجنُّ سناسنَ الصلب

وبعده : أسعيد إنك في بني مضر ..

وهو البيت الأَول من القطعة ٣ ص ٢٠ برواية أخرى .

ـ وقال : [س ـ م ل ل ـ ص ٤٣٧]

بويزل عامٍ لا قلوصٌ مملّةٌ ولا عَوزمٌ في السنّ فانٍ شبيبها

قافيـــة التـاء

ـ وقال : [س ـ ك ح ل ـ ص ٣٨٨]

إذا اكتحلت بعد اللقاح نحورها بنسءٍ حمتْ أغبارها وازمهّرتِ

قافيـــة الجيم

ـ وقال : [س ـ د م ج ـ ص ١٣٥]

---

(١) سأرمز له فيما يلي « لتكراره » بالحرف س وبعده الحروف الدالة على المادة . والطبعة التي اشير اليها هي طبعة ١٩٥٣ « مطبعة اولاد اورفاند - القاهره »

٢) استشهد المرحوم الدكتور ناصر الحاني في بغداد عام ١٩٦٤ وقد اغتاله خصومه السياسيون .

غداة تراءت لابن ستين حجةً سَقّيةُ غَيْل في الحجالِ رموجُ

ـ وقال : [س ـ ر خ د ـ ص ١٥٨]

كأدماء هضماء الشراسيف غالها من الوحش رِخَودُ العظامِ نتيجُ

ـ وقال : [س ـ هـ د ج ـ ص ٤٨١]

ثلاث صلين النار حولاً وأرزمت عليهن رجزاء القيام هَندوجُ

ـ وقال : [الخصائص ١١٥/٢]

ألاا سلمي اليوم ذات الطوق والعاج والدّل والنظر والمستأنس الساجي

ـ وقال : [س ـ ن ف س ـ ص ٤٦٧]

وشربةٍ من شرابٍ غير ذي نَفَسٍ في كوكبٍ من نجوم الصيف وهّاجِ

قافيـــة الحـــاء

ـ وقال : [س ـ ض غ ن ـ ص ٢٧٠]

وصدّ ذوات الضغن عني وقد أرى كلامي تهواه النساء الطوامحُ

ـ وقال : [س ـ م ر ض ـ ص ٤٢٦]

وطخياء من ليل التمام مريضة أجنّ الغمام نجمها فهو ماصحُ

ـ وقال : [في قصـــة طريفة أوردها المسعودي في مروج الذهب ٣٠٥/٢ ط الجامعة اللبنانية بتحقيق شارل بلا]

ألم تدرِ ما قال الظباءُ السوانحُ عطفنَ أمام الركب والركبُ رائحُ

فكثّر الذي لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي أنهـنّ نوائـــحُ

ـ وقال : [شروط سقط الزند ١٥٦٢/٤ واللسان ـ هرمت ـ]

ضبارمةٌ شدقٌ كأن عيونها بقايا نطافٍ من هراميت نُزّحِ

ـ وقال : [التنبيهات لعلي بن حمزة ص ١٧٨]

وحاربت الهَيف الشمال وآذنت مذانبُ منها اللدْنُ والمتصوحُ

ـ وقال : [الكامل للمبرد ١/٣٧٦] « ونسبته من زيادات الطبعة الأوربية » .

وأبت الى أن ينبت الظل بعدما تقاصر حتى كاد في الآل يمصحُ

ـ وقال : [س ـ ح د د ـ ص ٧٦]

أقامت به حدّ الربيع وجارها أخو سلوةٍ مسّى به الليل أملح

ـ وقال : [س ـ خ ط ر ـ ص ١١٥]

أتتنا خزامى ذات نشرٍ وحنوةٍ وراحٍ وخطّارٍ من المسك ينفحُ

ـ وقال : [س ـ ذ ك ي ـ ص ١٤٤]

وترعى القرار الحُوَّ حيث تجاوبت مذاكٍ وأبكارٌ من المزن دُلَّحُ

ـ وقال : [شروح سقط الزند ١/٢٤٦]

وجيف المطايا ثم قلت لصحبتي ولم ينزلوا : أبردتمْ فتروّحوا

ـ وقال : [شرح التصحيف والتحريف للعسكري ص ١٧٠]

بنات نحيض الزور يبرُق خدُّه عظامُ ملاَطيْهِ موائرُ جُنَّحُ

قافيـــة الدال

وقال : [س ـ خ د د ـ ص ١٠٤]

غدا ومن عالجٍ خدٌ يعارضه عن الشمالِ وعن شرقيّة كثدُ

ـ نقل الكلاعي في احكام صنعة الكلام ص ١٣١ فصـــلاً من من رسالة الاغريض للمعري يقول فيه : وأقول لك ماقال أخو نمير لفتاة بني عمير : [قلت لعله الراعي]

زكا لك صالحٌ وخـــلاك ذمٌ وصبّحـــك الأيامن والسعودُ

ـ وقال . [س ـ ر و ق ـ ص ١٨٥]

في ظـــل مرتجزٍ تجاو بوارقه للناظرين رواقاً تحتــه نَضَــدُ

ـ وقال : [س ـ س و ف ـ ص ٢٢٥]

يَثني مُساوفُها غرضوف أرنبـة شمّاء من رخصةٍ في جيدها غَيَدُ

ـ وقال [س ـ ع ن د ـ ص ٣١٤]

باتت بشرقي يؤودٍ مباشِرةً دِعصاً أرَدَّ عليه فُرَّقٌ عُنُدُ

ـ وقال [س ـ م ر ح ـ ص ٤٢٥]

بكـل ميثاء مراحٍ يبيتها من الذراعين رجّافٌ له نَضَدُ

ـ وقال [التعازي والمراثي للمبرد ص ٩٣ ط المجمع]

« وفي ديوان الهذليين ١٢٥/١ بيت لأبي ذؤيب عجزه يشبه هذا »

... غضاً كما نظر المستأخِذُ الرَّمِدُ

ـ وقال [ديوان ذي الرمة ٨٣/١ ط المجمع]

فبات في دفء أرطاةٍ أضرّبها بُعدُ النقا وزهاها منبتٌ جَرَدُ

ـ وقال : [ديوان المتنبي للعكبري ١٥٨/٤ وإصلاح المنطق ص ٤٨]

حتى غدت في بياض الصبح طيّبة ريح المباءة تخدي والثرى عَمِدُ

ـ وقال : [الكامل للمبرد ٥٢/٣]

كأن بيض نعامٍ في ملاحفها إذا اجتلاهن قيظٌ ليلهُ وَمِدُ

ـ وقال : [طبقات ابن سلام ٥٦١/٢ والاغاني ١١٤/١٦ والمخصص ١٧٣/١] باختلاف الرواية بين المصادر .

أناخا بأشوال طروقاً نجبـةٍ قليلاً وقد أعيى سهيلٌ فعرّدا

ـ وقال [س ـ أ د ى ـ ص٤]

غدت برِعَالٍ من قطاً في حلوقه أداوَى لطافُ الطيَّ موثَقةُ العَقْدِ

ـ وقال : [زهر الآداب ٤٧/١ البجاوي]

يامن توعدني جهلاً بكثرتـه متى تهددني بالعزّ والعِـدد

أنت امرؤٌ نال منعرضي وعزتُهُ كعزةِ العَيْرِ يرعى تلعةَ الأسد

« ثم يأتي بعدهما بيتان هما في ص ٦٤ من الديوان ، رقم ٣٨ »

ــ وقال : [شروح سقط الزند ٥٧١/٢]

رعينا الحمض حمض خناصرات بما في القُرع من ماء الغوادي

ــ وقال : [س ــ ر دف ــ ص ١٦٠

وخودٍ من اللائي يُسَمّعْنَ بالضحى قريض الردافى بالغناءِ المُهَوَّدِ

ــ وقال : [س ــ ن ب ذ ــ ص ٤٤٣]

فلما تداركنا نبذنا تحيةً ودافع أدنانا العوارضَ باليد

ــ وقال : [س ــ ن ز ع ــ ص ٤٥٣]

ينازعنا رخص البنانِ كأنما ينازعنا هدّاب ريطٍ معضَّدِ

ــ وقال : [س ــ ض ر ب ــ ص ٢٦٧،و ــ ش ك م ــ ص ٢٤٠]

ضوارب بالأذقان من ذي شكيمةٍ إذا ما هوى كالنيزك المتوقدِ

ــ وقال : [س ــ ر ب ع ــ ص ١٥٢]

مربَّعُ أعلى حاجب العين أمُّهُ شقيقةُ عبدٍ من قطينٍ مولَّد

ــ وقال : [س ــ خ د د ــ ص ١٠٤]

له ذَنَبٌ جوفٌ كأن خدودها خدودَ جيادٍ أشرفت فوق مربد

قافية الراء

ــ وقال [ادب الكاتب لابن قتيبة ص ١٥٦ مصورة الأوربية]

ولعله من القطعة ٤٤ ص ٧٢ :

فجالت على شقّ وحشيتها وقد ريع جانبها الأيسرُ

ــ وقال : [س ــ ص ح ف ــ ص ٢٤٩] ولعله من القطعة ٤٥ ص ٧٤

تقلّب خدين كالمصحفين خطها واضحٌ أزهرُ

ــ وقال [الملمع للنمَري ص١٠١ ط المجمع] والمنحنىُ وواسط :

موضعان بالصحراء . ولعله من القطعة ٤٧ ص ٧٦ :

أو الأثل أثل المنحنى فوق واسطٍ ... من العرضِ أودانٍ من الدوم ناضرُ

ـ وقال : [س ـ س ق ط ـ ص ٢١٤]

حتى إذا ما أضاء الصبح وانكشفت ... عنه نعامة ذي سقطين معتكر

ـ قال الراعي يمدح سعيد بن عبد الرحمن : [نسب قريش للمصعب الزبيري ص ١٩٥] [قلت : والعجب من جامع الديوان كيف غفل عن هذه القصيدة بعدما نقل ما قبلها وما بعدها !].

إني جعلت[1] يميناً غير كاذبة ... وقد حبا دونها ثهلانُ والنيرُ

لولا سعيدٌ أرجّي أن ألاقيَهُ ... ما ضمّني في سوادِ البصرة الدورُ

الواهبِ البختَ خضعاً في أزمّتها ... والبيضَ فوق تراقيها الدنانيرُ

سجعاءَ معجلةً تدمى مناسمها ... كأنها حرجٌ بالقدّ مأسورُ

ما عرّستْ ليلةً إلا على وجلٍ ... حتى تلوحَ من الصّبح التباشيرُ

حتى أنيخت على ما كان من وجلٍ ... في الدارِ حيثُ تلاقى المجدُ والخيرُ

إلى المكارم أحساباً ومأثرةً ... بني الأكارم يبري ظهرها الكورُ

كأنْ تخطّتْ اليكمْ من ذوي قرةٍ ... كأنّ أبصارهم تحوي مشاتيرُ

ما يدرأ اللهُ عني من عداوتهم ... فإن شرّهمُ في الصّدرِ محذورُ

إنْ يعرفوني فمعروفٌ بذي كرمٍ ... أو ينسبوني فعالي الذّكرِ مشهورُ

ياخيرَ مأتى أخي همٍّ وناقتهِ ... اذا التقى حقبٌ منها وتصديرُ

زورٌ ومغبٌ ومسؤولٌ أخي ثقةً ... وسائرٌ من ثناء الصّدق منشورُ

ـ وقال : [الأمثال لأبي عكرمة الضبيّ ص ٨٠ وفيه تخريجه]

وهابَ جنان مسجورٍ تروّى ... من الحلفاء واتزّر اتزارا

ـ وقال [س ـ ن ح ر ـ ص ٤٤٩] ـ انتحر السحاب : انبعق بالمطر ـ

(١) لعله حلفت

فمـــرَّ على منازلهـا فألقى بها الأَثقال وانتحر انتحاراً

ـ وقال [الكامل للمبرد ١/٣٧]

فصادف سهمُه أحجارَ قُفٍّ كسرْنَ العَيْرَ منه والغرارا

ـ وقال : [س ـ ر ج ز ـ ص ١٥٥]

ترَّجز من تهامة فاستطارا

ـ وقال : [الانصاف للانباري ٢/٤٣٧ واللسان ـ د ب ب ـ ش ع ر]

وقرّب جانب الغربيّ يأدو مَدبَّ السيل واجتنب الشعارا

ـ وقال : يصف فلاة [تاج العروس ـ ص د ر ـ ١٢/٢٩٨ كويت]

كأن العرمس الوجناء فيها عجول خرَّقت عنها الصدارا

ـ وقال : [طبقات ابن سلام ١/٤٣٥ والاغاني ٨/٢٠ الدار]

ياصاحيّ دنا الرَّواحُ فسيراً غلب الفرزدق في الهجاء جريرا

ـ وقال ـ [س ـ ط ر د ـ ص ٢٧٧]

ولولا الفرار كل يومٍ وقيعةٍ لنالتك زُرقٌ من مطاردنا الحمر

ـ وقال : [ديوان المتنبي للعكبري ٣/٣٦٧]

ونحن قتلنا من جلالك وائلاً ونحن بكينا بالسيوف على عمرو

ـ وقال : [س ـ ذ خ ر ـ ص ١٤١]

حتى إذا قتلت أدنى الغليل ولم تملأ مذاخرها للرّيّ والصَّدر

وقال يصف كرْماً : [س ـ و ر د ـ ص ٤٩٦]

تلقى نواطيره في كل مرقبةٍ يرمون عن وارد الأفنانِ منصهرِ

ـ وقال : [س ـ ح ض ر ـ ص ١١٢]

إذا الرمل لم يعرض له بخصوره تعسفن منه كل كبداء عاقرِ

ـ وقال : [س ـ ج ب ر ـ ص ٥١]

أعبدُ بن حارٍ للدموع البوادر وللجدّ أمسى عظمُه في الجبائرِ

ـ وقال : [س ـ ر ق ل ـ ص ١٧٤]

بِسمرٍ إذا هزّت الى الطعن أرقلت أنابيبها بين الكعوب الحوادرِ

ـ وقال [س ـ ص ف ق ـ ص ٢٥٥] لعله من القطعة ٥٦ ص ٨٦

إذا أتى جانباً منها يصرّفه تصفّقُ الريح تحت الديمة الدّوَرِ

ـ وقال : [س ـ ط ب ق ـ ص ٢٧٥ والبيان للجاحظ ١٠٨/١]

وطبّقنَ عرض القفّ لما علونه كما طبّقت في العظم مدية جازرِ

ـ وقال : [س ـ س و ي ـ ص ٢٢٦]

بجردٍ عليهنّ الأجلةُ سُوّيتَ بضيف الشتاء والبنين الأصاغر

ـ وقال [س ـ ك ب ر ـ ص ٣٨٥]

وبيضٍ رقاقٍ قد علتهنّ كبرةٌ يداوى بها الصاد الذي في النواظرِ

ـ قال الراعي في قتل ابن بعّاج : [الأغاني ١٩٩/١٩ ط الهيئة المصرية]

تجيء ابن بعاجٍ نسورٌ كأنها مجالس تبغي بيعــةً عند تاجر

تطيف بكلبيٍّ عليه جديّةٌ طويل القرا يقذفنهُ في الخناجر

يقولُ له من كان يعلم علمه كذاك انتقام الله من كل فاجر

ـ ومن هذه القصيدة قوله [س ـ ف خ ر ـ ص ٣٣٦]

كأن بقايا الجيش جيش ابن باعجٍ أطاف بركنٍ من عماية فاخرٍ

قال الامام الزمخشري : أراد ابن بعاج الكلبي قاتل بني نمير في أيام ابن الزبير .

ـ ومنها : [شـــرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٢/٣٥ ط المجمع . قال : ذكر الراعي هذا الشعر وخاطب فيه ابن نعـــاج (صوابه : بعاج بالباء الموحدة) الكلبي وكان قاتل بـني نمير في فتنة ابن الزبير :]

وجدتُ سوام الحيّ عرّض دونه فوارسُ ابطالٌ لطافُ المآزرِ
فلمـــا لحقنـــا والجياد عشية دعَوْا:يالكلبٍ ،واعتزينا لعامرِ

ـ وقال : [التنبيهات لعلي بن حمزة ص ٢٢٢]

وسلوا هوازن من يؤرث نارَها أو مَن يحلُّ بثغرها المحذورِ

قـــافية السين

ـ وقال : [س ـ ل ص ق ـ ص ٤٠٨]

فقلت له : ألصق بأيبس ساقها فإن يجبر العرقوبُ لايرقأ النّسا

ـ وقال [زهر الآداب ٢/٩٢٥ والوساطـة ص ١٩٨ وسرقات أبي نواس لمهلهل بن يموت ص ٣٦]

فتى يشتري حسن الثناء بماله إذا مااشترى المخزاة بالمجد بيهسُ

قافيـــة العين

ـ وقال : [الفاخر ص٢٠١ واللسان ـ ذ ر ع ـ]

والمنيّة أسباب تقربهـــا كما تقرّب للوحشيةِ الذُرُعُ

ـ وقال : [س ـ م ر ع ـ ص ٤٢٦]

وجاوزت عبشيات بمحنيـــةٍ ينأى بهـــن أخو دوّيةٍ مرعُ

ـ وقال [س ـ ر ف ع ـ ص ١٧٠] لعله من القطعة ٦٤ص٩٥

دعاهنّ داعٍ للخريف ولم تكن لهنّ بلاداً فانتجعن روافعا

ـ وقال : [س ـ م هـ د ـ ص ٤٣٨] كسابقه .

تمهّدت ديباجاً وعالَيْنَ عِقمَةً وأنزلنَ رقماً قد أجَنّ الأكارعا

ـ وقال : [سيبويه ٢٥٢/٣ هارون بلا نسبةٍ ، ونسبته في اللسان جدع ٣٩٣/٩ وجندع ٤١٣/٩ بولاق . عن حواشي سيبويه ومجلة المجمع ٣٢٨/٤٩]

بحيٍّ نميريٍ عليه مهابةٌ جميعٍ إذا كان اللئام جنادعا

ـ وقال : [الأغاني ٣٤/٢٤ ط الهيئة المصرية]

متى نفترش يوماً عُليماً بغارةٍ يكونوا كعَوصٍ أوأذَلّ وأضرعا

وحيَّ الجلاحِ قد تركنا بدارهم سواعدَ ملقاةً وهاماً مُصَرَّعاً

ونحنُ جدَعنا أنفَ كلبٍ ولم نَدع لبهراء في ذكرٍ من الناس مسمعا

قتلنا لو ان القتل يشفي صدورَنا بتدمرَ ألفاً من قضَاعةَ أقرعا

ـ وقال : [س ـ ج ز ع ـ س ٥٨]

ومن فارس لم يحرم السيف خطّهُ اذا رمحهُ في الدارعينَ تجزّعا

ـ وقال : [س ـ ض ر ب ـ ص ٢٦٧]

ضروباً بلحييهِ على عظم زَوْرِهِ إذا الناس هشوا للفعال تقنّعا

ـ وقال : [البرصان للجاحظ ص ٢١٧]

ترى وجهه قد شاب في غير لحية وذا لُبَدٍ تحت العصابة أنزعا

ترى كعبه قد كان كعبين مرةً وتحسبه قد عاش حولاً مكنّعاً

ـ وقال : [البيان للجاحظ ٨٥/٣]

فألقى عصا طلحٍ ونعلاً كأنها جناح السُماني رأسه قد تصوّعا

قافيـــة القاف

ـ وقال : [س ـ ب ر د ـ ص ١٩]

فبرّد متنَيْها وغمّضَ ساعةً وطافت قليلاً حوله وهو مطرقُ

– وقال : [شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٣٩٩/٢ ط المجمع وصدر الأول في سيبويه ٣٠١/٢ بولاق . وبتمامه في اللسان طـرق ٩١/١٢ بولاق – قال الدكتور رمضان عبد التواب في مجلة المجمع ٣٣٠/٤٩ : ولم يعرف تكملته ولا قائله أحدٌ من قبلي ! . قلت : قد عرفهما ابن السيرافي قبله بأكثر من ألف عام !]

ياعجباً للدهر شتّى طرائقه ولمرء يبلوه بما شاء خالقه
وللخلد يرجى والمنّية دونه ولأمل المبسوط والموت سابقهْ

– وقال : [س – ب ط ن – ص ٢٥]

فإن يودِ ربعيُّ الشبابِ فقد أرى بِبِطانِهِ قدام سِربِ أوانقه

– وقال الراعي : [مجلة المجمع ٤٨٦/٥١ نقلاً عن كتاب الدلائل لقاسم به ثابت – مخطوطة الرباط – وهما في المحكم ٢٥١/٢ – ٢٥٢ واللسان والتاج – ورع]

وقال الذي يرجو العلالة ورَعّوا عن الماء ، لايطرق وهنّ طوارقه
فما زلن حتى عاد طرقاً وشَيْنَهُ بأصفر تذريه سجالاً أيانقه

– وقال : [س – س ر ق – ص ٢٠٩]

رأزهر سخّى نفسَه عن تلاده حنايا حديدٍ مقفلٍ وسوارقه

قافيـة الـلام

– وقال : [س – ذ ب ح – ص ١٤١]

من كل أشمط مذبوحٍ بلحيته بادي الأذاةِ على مركوّه الطَحل

– وقال : [س – ع ث ن – ص ٢٩٣]

باتت ترامى عثانين القفاف بها كما ترامى بدلو الماتح الجولُ

– وقال : [س – ش ي ع – ص ٢٤٦]

إليك يقطع أجواز الفلاة بنا نص تشيّعه الصهب المراسيل

– وقال : [اصلاح المنطق ص ٢٥٣]

تريك بياض لبّتها ووجهـــاً كقرن الشمس أفتـــق ثم زالا

– وقال : [س – م د ر – ص ٤٢٣]

وقيّمٍ أمدر الجنبينِ منخرق عنه العباءة قوّام على الهمل

– وقال : [س – ق ذ ف – ص ٣٥٩]

تغتال كل تنوفةٍ عرضت لهـــا بتقاذفٍ يدع الجديل موصلا

– وقال : [س – ك ر ف – ص ٣٩١]

فترى أو ابيها بكل قـــرارةٍ يكرفْنَ شقشقةً وناباً أعصلا

– وقال : [الأشباه والنظائر للخالديين ١٩٤/١]

لاخير في طـــول الإقامة للفتى إلا إذا ما لم يجـــد متحوّلا

وقال : [شروح سقط الزند ٣٦/١]

تواكلها الأزمان حتى أجاءها الى جلدٍ منها قليل الأسافل

وقال : [التنبيهات لعلي به حمزة ص ٢٠٧]

دبّ العوافي حتى ما يطفن به جأب المفارق عن ذي بَنّةٍ ثَفِلِ

وقال : [الملمع للنمري ص١٠١ واللسان – بصر – والوسطة ٤٦٠ وشرح المفصل ١٤/٣]

إذا ما دعت شيباً بجنبي عنيزةٍ مشافرها في ماء مزنٍ وباقِل

وقال : [س – هـ ط ل – ص ٤٨٥]

فلما مضت عنها السنون هوت لها مقانب هطلى من غريم وسائلِ

وقال : [س – ث م ن – ص ٤٨]

سيكفيك المرّحلَ ذو ثمانٍ حصيفٌ بترمـــين له جفالا

قافية الميم

وقال : [اصلاح المنطق ص ٤٠٧]

ياليت أني وسبيعاً في الغـنم والخرج منها فوق كرّاز أجم

« يقال للكبش الذي يحمل خُرج الراعي : كرّاز »

– وقال [س – ط ب ق – ص ٢٧٥]

إذا أمســت تكالأ راعياها مخافـــة جارها طبق النجوم

– وقال : [س – ح ش و – ص ٨٥]

أتت دونها الأحلاف أحلاف مذحجٍ وأفناء كعب حشوها وصميمها

– وقال : [س – ن هـ م – ص ٤٧٥]

فبات شريكاً في رَكُودٍ مدامةٍ يميت المَحال أزّهـا ونهيمُها

– وقال : [شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ٣١٨/٢ والمخصص ٤٩/١٧ واللسان – كوف – ٢٢٢/١١]

أشاقتك آيات أبان قديمهـــا كما بُيِّنَت كافٌ تلوح وميمُها

– وقال : [س – ش ك م – ص ٢٤٠]

وكانت جديراً أن يقسّم لحمهـا إذا صلّ بين الملجمين شكيمُها

– وقال : [أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٢٧ كرنكو وابن سلام ١٨/١ والموشح ص ١٥٧] .

جزى الله مولانا غنياً ملامـــةً شرار موالي عامر في العزائم

قافية النون

– وقال يصف الأظعان : [س – م ي ل – ص ٤٤١]

وقد مال النهار وهنّ فيـــه يخدّرنَ الدّمَقسَ ويحتوينـا

– وقال : [شروح سقط الزند ٨٧٠/٢]

كأن بكل رابيـــةٍ وهجلٍ من الكتّان أبـــلاقاً بنينا

– وقال : [الابدال والمعاقبة والنظائر للزجاجي ص١٢ط المجمع]

فلم يشـعر بضوء الصبح حتى سمعنا في مساجدنا الأذنيـــا

– وقال الزجاجي : وهذا في شعر أوله :

أبت آيات حبى أن تُبينـــا لنـــا خبراً فأبكين الحزنيا

– وقال : [س – عَ ر ي – ص ٣٠٠]

وعارية المحاســـر أم وحش ترى قطع السماء بها عِزينا

[وفي – ح س ر–ص ٨٣ : غَرينا – بالغين المعجمة والراء المهملة . وفي شروح سقط الزند ١٨٣٩/٤ : .... السهام بها عزيبا]

– وقال : [س – ر ب و – ص ١٥٣]

كأنها ناشـــط لاح البروق له من نحو أرض تَـرَبَّتْهُ وأوطان

– وقال : [البيان للجاحظ ٣٥٨/٣]

بـــني أمية إن الله ملحقكم عمـــا قليل بعثمان بن عفانِ

– وقال : [س – سقط – ص ٢١٤]

أعبـــد الله للـــبرق اليماني يضيء حبيّ ذي سقطين واني

– وقال : [س – عذل – ص ٢٩٦]

ثم انصرفت وظلّ الحكم يعذُلني قد طال ما قادني جهلي وعنّاني

– وقال : [س – ن ه أ – ص ٤٧٤]

لا أُنهِىء الأمر إلاريث أُنضجه ولا أُكلّفُ عجر الأمر أعواني

قافية الهـــاء

– وقال : [يصف راعياً : كتاب العصا لأسامة بن منقذ ضمن نوادر المخطوطات ١٨٨/١]

صلب العصا بضـــربة دمّاها إذا أراد رشـــداً أغـــواها

وزاد ابن العديم في الانصاف والتحري ضمن تعريف القدماء بأبي العلاء ص ٥٦٤ :

يَوَدُّ أنّ الله قـد أفناها

قافية اليـــاء

— وقال : [س — ش ر ب — ص ٢٣٢]

إذا شرب الظمءُ الأَداوى ونَضَّبت ثمـــا ثلها حتى بلغْنَ العزاليا

— وقال : [س — ن ت ج — ص ٤٤٥]

أرَبَّت بها شهرَيْ ربيعٍ عليهم جنائب ينتجن الغمام المتـاليا

— وقال : [البيان للجاحظ ٢٨٧/٢]

أبا خالدٍ لاتنبذنّ نصاحـــةً كوحي الصفا خُطّت لكم في فؤاديا

— وقال : [سيبويه ٦١٩/٣ هارون]

لهـــا بحقيل فالثميرةِ موضعٌ ترى الوحش عوذات به ومتاليا

وقال : [س — ج ر ز — ص ٥٦]

وغبراء مجـــرازٍ يبيت دليلها مشيحاً عليهـــا للفراقد راعيا

وقال : [س — س م د — ص ٢١٩]

قليلاً ثم قـــام الى المطايا سمادعـــة يجرّون الثنـــايا

— وقال : [س — ش ك ر — ص ٢٣٩ و — ط و ي — ص٢٨٧ وديوان ذي الرمة ٣٩٣/١ ط المجمع]

أغنّ غضيض الطرف باتت تعلّه صرى ضرةٍ شكرى فأصبح طاويا

— وقال : [س — ن ج و — ص ٤٤٨ وشـطره الأول في شروح سقط الزند ١٥١٨/٤] وروايته فيه ؛ هيج الذراعين .

بأسحم من نَـوْء الذراعين أتأقت مسايلَـهُ حتى بلغنَ المناجيـــا

ــ وقال : [شروح سقط الزند ١٨١٧/٤] « ولم أعرفه أصدراً كان أم عجزاً » . . . إذا التمس الدلاءُ نطافه

تخريج ومعارضة :

لم أعنَ كثيراً بهذه الناحية إلا ما جاء عفواً أثناء بحثي عــن شعر الراعي ، وربما كان فيها بعض الفائدة .

ص١٩ ــ والبيت ٣ : هو في الأساس ــ عرف ــ ص ٢٩٨ برواية : متختـمينَ ...

ص ٢١ ــ البيتان ١ و ٣ في شروح سقـــط الزند ١٨٠٩/٤ وشرحها فيه

ص ٢٢ ــ البيت الثاني في البيان للجاحظ :/٥٥ برواية :

. . . . يُتـقى به ومنكبه إن كان للدهرِ منكبُ

ص ٣٢ ــ الهامش وقال المرزباني ... الخ . قلت : لم يذكره المرزباني في معجم الشعراء مطلقاً إنما هو الآمدي في المؤتلف والمختلف ص ١٧٧ فراج . وفي نقل المحقق تصّـِف مُخلّ .

ص ٣٥ الحاشية ٧ : قال : وفي اللسان هذا البيت السابـع فلعله من هذا الشعر : قلت : وهو في الأساس ــ قصب ــ ص٣٦٧ للراعي . ص ٣٦ البيت الثاني : رواية عيون الأخبار ٣١٩/١ : وهن موازح . بالميم بدل النون ولعله الصواب .

ص ٣٩ : هذه القطعة ثلاثـــة أبيات في الوحشيات ص ٢٤١ وفيه تخريجها .

ص ٥٢ البيت الثالث في الفاخر ص ٢٧٣ برواية : والأمرذو بدوات ما يزال له . وهو في فصل المقال ١٣٠ والبرصان للجاحظ ص١.

ص ٦٤ البيت الثاني في المستقصى للزمخشري ١٣٢/١ برواية :

تأبى قضاعة لا تعرف لـــكم نسباً وفي الخصائص ٧٤/١ و ٣٤١/٢ برواية : ... أن تعرف ...

ص ٦٥ البيت الثالث في الأساس – سرد – ص ٢٠٨ برواية :

بكت عين من أبكى دموعك إنما وشى بك واش من بني أم مسرد

ص ٦٨ البيت الخامس في الأساس – خلو – ص ١٢٠ برواية : حناجرها بدل : جوانبها .

ص ٧٢ البيتان في ديوان ذي الرمة ٤٨/١ – ٤٩ ط المجمع وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ١٢٠/٢ ط المجمع .

ص ٨١ البيتان ١٠ و ١٢ في وفيات الأعيان ٢٤٠/٥ وانباه الرواة ٢٨٤/٣ .

ص ٨٧ البيتان السادس والسابع في ديوان القتـــال الكلابي ص ٥٣ منسوبان له . وزد في تخريج القطعة ٥٦ ص ٨٦ : « وشرح أبيات مغني اللبيب للبغدادي ٣٦٩/٢ ط دمشق .

ص ٩٢ البيت الأول في الاساس – لغو – ص ٤١١ برواية : قوارب الماء لغواها مبيّنة .

ص ٩٩ البيت الأول في الفصول والغايات للمعري ص ٣٠٣ ط الهيئة المصرية والثاني في الأساس – متع – ص ٤٢٠ واصلاح المنطق ص ٢٧٩ برواية :

خليطين من شعبين شتى تجاورا قديمـــاً وكانا بالتفرق أمتعا

ص ١٠٧ البيت الخامس مكرور في ص ١٨٦ .

ص ١١١ البيت الثاني في الأساس – ريث – ص ١٨٦ برواية : فقلت ما أنا ممن لا يواصلني ...

ص ١١٧ البيت الثاني في الأساس ـ فلل ـ ص ٣٤٨ برواية : دسم الثياب ... زرعت ...

ص ١٢٨ البيت ١٣ : رواية فقه اللغة للثعالبي ط الحلبي ١٩٥٤ : فلقت ... فَلَنْقَ ...

ص ١٣٥ البيت ٣٩ : رواية اصلاح المنطق ص ٤٠١ : وما أتيت أبا خبيب طائعاً ...

ص ١٣٦ البيتان ٤٥ ـ ٤٦ في تحفة المودود لابن قيم الجوزية ص ٩٤ ـ ٩٥ ط الهند ١٩٦١

ص ١٤٠ البيت ٦١ : رواية الفاخر ص ٢٤٣ :

قوم على الاسلام لمّـا يمنعوا ماعونهم ويكذّبوا التنزيلا

ص ١٤١ البيت ٦٥ : وبرواية اللسان في كتاب النبات والشجر للأصمعي ضمن البلغة في شذور اللغة ص ٤٦

ص ١٤٢ البيت ٧٣ : روايته عند العكبري في ديوان المتنبي ٢٠٤/١ : أخذوا المخاض من القلاص غُلُبَّةً

منا وتُكتب للأمير أفيلا

ص ١٦٧ البيت الثاني : روايته في معجم البلدان ٢٥٠/٣ : بجرسَنين بدل : بوَهبَيْن

وهو في الوساطه ٣٦٩ وديوان المتنبي ٢٥٧/٢ ونسب قريش ١٦٤

ص ١٨٣ البيت العاشر : هو في الأساس ـ قبض ـ ص ٣٥٢ وقال الزمخشري بعد ايراده البيت :

وأحب اليّ أن يُروى : خابطةً وللقبيضِ رعـاةٌ ، أي رعاةُ غيرهم .

ص ١٧٦ البيت ٢٧ البيت في الفصول والغـايات للمعرّي ٩٧ وقال المعرى : العفاس وَبرْوَع ناقتان كانتا لعبيد الراعي .

ص ١٨٧ البيت ٣٤ روايته في ثمار القلوب للثعالبي ص ٣٢٩ ط ١٩٠٨ : تضوع مسك الفأر كل عشية ...

ص ١٨٧ البيت ٣٦ هـو في الفاخر ٢٦٧ والمخصص ١٠/١٦٩ والاشتقاق ٩٨ والاساس — رزم — ص ١٦١ والفصول والغايات ٤٧٨ .

دمشق **ابراهيم صالح**

آراء وأنباء

مخطوطات يتيمة في مكتبة شيستر بيتي بدبلن [1]

Unique Mss. at Chester Beatty Library
Dublin (Irish Republic)

- ٣ -

الدكتور صفاء خلوصي

● رقم المخطوط ٣١٢٠

« اجتماع الشمل في طريق الرّمل » لمحمد بن أحمد الحسني المكتّب (عاش حوالي ٨٨٣ هـ / ١٤٧٨ م)

عدّته ٢٠٣ ورقة ، مقاسه ٣٧٫٤ × ٢٨٫٣ سم بخط المؤلف ، وهو خطّ نسخي جميل . تأريخه ٨٨٣ هـ (١٤٧٨ م) والنسخة من مكتبة الملك الأشرف قايتباي [توفي في ٩٠٢ هـ / ١٤٩٥ م]

● ٣١٢١ « نزهة السلطان » لأحمد بن يوسف الشريف الحسينيّ الحنفيّ البروصاويّ المقدسيّ (عاش حوالي ٨٧٩ / ١٤٧٤) وهي رسالة في شروط الجهاد وفضائله وقد أُلّف الكتاب وخُطّ خصيصاً لمكتبة السلطان محمد الثاني (توفى في ٨٨٦ هـ/١٤٨١ م) عدّته ١٥٧ ورقة ، مقاسه ٢٢٫٦×١٣٫٤ سم بنسخ واضح بخطّ مؤلفه . تأريخه ٨٧٩ هـ (١٤٧٤ م) .

(١) انظر العدد ٤ من المجلد ، ٥١ والعدد ٢ من المجلد ٥٣

● ٣١٢٤ « منتخب الأحكام » لأبي جعفر أحمد بن خلف بن وَصْول الطليطلي . رسالة في المذهب المالكي . عدّتها ٦٢ ورقة . مقاسها : ٢١×١٤،٦سم بخط مغربي واضح ، غير مؤرّخ (من القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) .

● ٣١٣٣ « اللُباب » لنجم الدين عبد الغفّار بن عبد الكريم القزويني الشّافعي (ت ٦٦٥ هـ/ ١٢٦٦ م) [جزء من رسالة قصيرة في المذهب الشافعي] عدّتها ٧٧ ورقة ، مقاسها : ١٦،٨ × ١٢،٧ سم بخط نسخي واضح ، تأريخها ٢٥ رجب ٦٦٥ هـ/ ٢١ نيسان (أبريل) ١٢٦٧ م .

● ٣١٤٥ « الفتَاوَى التّاتارخانيّة » لعَالِم بن علاء الدين الحنفيّ (ت حوالي ٧٥٢ هـ/ ١٣٥١ م) [المجلد الرابع من مجموعة كبيرة في الفتاوى الحنفيّة] عدّته : ٣٢٨ ورقة . مقاسه : ٢٧،١×١٨،٤سم بخطّ رقعي ، غير مؤرّخ (لعله حوالي القرن التاسع الهجريّ / الخامس عشر الميلاديّ) .

● ٣١٤٦ « نزهة النظر في كشف حقيقة الانشاء والخبر » لعلاء الدين محمّد بن محمّد البخاريّ الحنفيّ (ت ٨٤١ هـ/ ١٤٣٧ م) أوراقه ١٣٠ ورقة . مقاسه ٢٧،٥×١٨،٥ سم بخط نسخ واضح ، غير مؤرّخ (القرن ٩ هـ/ ١٥ م) ويبدو أن هذه النّسخة منقولة من نسخة المؤلف مباشرة .

● ٣١٤٩ « الاقتراح في علوم الحديث لابن الصّلاح » لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن محمّد بن جماعة الكنانيّ المقدسيّ الشافعيّ (ولد سنة ٨٢٥ هـ/ ١٤٢٢ م) موجز « التقييد

والإيضاح » وهو شرح لزين الدين العراقيّ (ت ٨٠٦ هـ/ ١٤٠٤ م) على معرفة أنواع علوم الحديث ، لتقيّ الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرّحمن بن موسى ، ابن الصّلاح الشّهرزوريّ (ت ٦٤٣ هـ/ ١٢٤٣م) أورقه ٧٢ ورقة ، مقاسه : ١٨×١٣،٧ سم بخط نسخ للمؤلّف ذاته تأريخه ١٦ شعبان ٨٤٣ هـ/ ٢٢ كانون الثاني (يناير) ١٤٤٠ م .

● ٣١٥٥ « رقائق السّحر وحدائق الشّعر » لأحمد بن الباعونيّ (عاش حوالي القرن ١١ هـ/ ١٧ م) مجموعة أشعار . عدّتها ٢٥٧ ورقة ، مقاسها ١٩،٨×١٢ سم ، بخطّ نسخ للمؤلف ذاته ، غير مؤرّخ (حوالي القرن ١١ هـ/ ١٧ م) .

٣١٥٧ « شرح جمع الجوامع » لعلاء الدين علي بن يوسف بن عليّ بن أحمد البُصْرَوِيّ الدّمشقيّ العاتكيّ الشّافعيّ (ت ٩٠٥ هـ/ ١٥٠٠ م) وهو شرح على « جمع الجوامع » لتاج الدين السُّبكي (ت ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م) عدّته ١٧٤ ورقه ، مقاسه ٢٧،٣×١٨،٥ سم بخطّ نسخ للمؤلّف ذاته مؤرّخ في دمشق في ٢٥ شوّال ٨٩٦ هـ/ (ــ ٣١ آب (أغسطس) ١٤٩١م) .

٣١٥٨ « الإفادة لأهل السّعادة » لعليّ بن قاسم السّعدي الحلبيّ (عاش حوالي القرن التّاسع الهجريّ/ الخامس عشر الميلاديّ) . رسالة في الرّماية ألفت لجانم بن عبد الله الأشرفيّ السيفيّ جان بك الدّوادار (ت ٨٨٨ هـ/ ١٤٨٣ م) أوراقه : (٦٣ ـ ٧٩/ آ) .

وفي المجلد ذاته : « شرح نظم صالح الشّاغوري » لعبد الرحمن ابن أحمد الطّبري (عاش حوالى ق ٧ هـ/ ١٣ م) وهو شرح لأبيات في الرّمايه لصالح الشّاغوريّ . عدّته ٨٣ ورقة ، مقاسه ١٨×١٣ سم

بنسخ واضح ، غير مؤرَّخ (حوالي ق ١١ هـ/ ١٧ م) .

٣١٥٩ « شرح الأَربعين حديثاً » لأبي الحسن عليّ بن ميمون ابن أبي بكر الإدريسي المغربيّ الأندلسيّ (ت ٩١٧ هـ/ ١٥١١ م) وهو شرح لأربعين حديثاً منتخباً . أوراقه ١ ـ ٣٣/ آ .

وفي المجلد ذاته : « الأَمر المحتوم على حديث الأمة في حق الأَربعة الأَئمة للادريسي » أوراقه ٨٤/ ب ـ ٩٧/ آ

وكذلك « مواهب الرحمن في كشف عورة الشيطان » للإدريسي . الأوراق ٩٧/ ب ـ ١٠٣/ ب .

(للبحث صلات)

الدكتور صفاء خلوصي

الدكتور السيد محمد يوسف

١٩١٦ — ١٩٧٨

الاستاذ مختار الدين أحمد

توفي في لندن في ٢٣ يوليو سنة ١٩٧٨ م المحقق الكبير الدكتور السيد محمـــد يوسف استاذ اللغة العربية بجامعة كراتشي Karachi « باكستان » ورئيس قسمها سابقاً .

ولد السيد محمد يوسف في ١٩١٦/٥/٣١ في بهوبال وكانت إمارة إسلامية في الهند المتحدة أيام حكم الانكليز فيها وكانت مركز الثقافة الإسلامية والعربية ، نبـغ فيها عدد كبـير من العلماء والباحثين[١]

نشأ السيد محمد يوسف في هـــذه المدينة وترعرع وفيها درس الدراسة الابتدائية والمتوسطة في المدرسة الأحمدية والمدرسة الجهانكيرية، ودرس العلوم الدينية والاسلامية على عالم كبير من علماء بهوبال ونجح

---

(١) منهم العالم الكبير والمحقق الشهير السيد نواب صديق حسن خان المتوفى ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م الذي ترك آثاراً عربية واسلامية خالدة طبع أكثرها في البلاد العربية ونالت اعجاب العلماء في كافة أنحاء العالم .

في الامتحان الثانوي الذي تشرف عليه لجنة امتحان أجمير Ajmer في ولاية راجستهان Rajasthan «الهنـــد» وحصل على شهادة ليسانس كطالب منتسب من جامعة أكره Agra في ولاية أترَّبرديش Uttar pradesh وفي سنة ١٩٣٧ م جاء الى جامعة عليكرة Aligarh الإسلامية لإكمال دراسته العالية في اللغة العربية، فسجل في قسم اللغة العربية لنيـــل شهادة الماجستير . وكان رئيس قســـم اللغة العربية في تلك الأيام أستاذنا وشيخنا العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي[1] Rajakoti[2]

---

(١) المقال مكتوب قبل انتقال المرحوم الاستاذ الميمني . وهذا هو السبب في خلو الحديث عنه من الجمل الدعائية رحمه الله « لجنة المجلة » .

(٢) وكان من أساتذة القسم في تلك الأيام :

الدكتور السيد عابد أحمد وهو من أسرة السيد أحمد خان مؤسس جامعـــة عليكرة الاسلامية (ت ١٩١٦ م) ويحمل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية من جامعة اكسفورد، وموضوع رسالته تحقيق وتخريج كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت.

— ومولانا السيد بدر الدين العلوي تلميـــذ الشيخ العلامة لطف الله علي كراهي Ali grahi (ت ١٩١٦ م) وكان مغرماً بدراسة المراجع العربية القديمة، حقق عدداً كبيراً من الكتب العربية طبع أكثرها في البـــلاد العربية منها مختار المختار من شعر بشار للتجيبي القيرواني (ط القاهرة ١٩٣٥) كما حقق ديوان ابن دريد الأزدي . وديوان شعر بشار بن برد (ط بيروت ١٩٤٦).

— والدكتور منصور أحمد الذي كان يحمل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية من ألمانيا، ويتميز بتعمقه في دراسة تأريخ القصص العربية القديمة ونشأتها .

— والأستاذ عبد الحق البغدادي .

— والدكتور عبد العليم الأحراري الذي عاد من ألمانيا بعد حصوله على شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وموضوع رسالته إعجاز القرآن وقد طبعت اجزاء من هذه =

والسيد محمد يوسف درس على بعض أساتذة جامعة عليكرة واستفاد بهم ، ولكنه استفاد كثـــيراً في دراسة العلوم الإسلامية بالشيـخ سليمان أشرف البهاري (ت ١٣٥٢ هـ) الذي رباه تربيـــة إسلامية وخلق فيه الذوق لدراسة العلوم الدينية والاسلامية ، ويعود الفضل في تكوينه الأدبي واللغوي إلى المحقق الكبير العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي ؛ وقد وجد السيد محمد يوسف بغيته عنده فتقرب إليه ولازمه وكان ينهل من فيضه ويرى في خدمته سعادة له وشرفاً وكذلك كان العلامة الميمني يحبه حباً جماً ، وقد احتضنه وكان يغدق عليه من شآبيب علمه وعرفانه . ولم أر أستاذاً يحب تلميذه كما رأيت الأستاذ الميمني يحب الدكتور يوسف ، كما لم أر تلميذاً يحب استاذه ويحن إليه كالدكتور محمد يوسف فإنه كان يهتز لذكر الميمني ويتلهف إليه وبقي على حبه ووداده لأستاذه طول حياته .

قضى السيد محمد يوسف سنتين في جامعة عليكرة الاسلامية وحصل على شهادة الماجستير بدرجة ممتازة[١] ، وكان الدكتور محمد

= الرسالة في مجلة الثقافة الاسلامية Islamic Culture التي تصدر في حيدر آباد « الهند » باللغة الانكليزية وترجمت أيضاً إلى اللغة الاردية وطبعت في دهلي كما حقق الدكتور عبد العليم كتاب « النكت في إعجاز القرآن » للرماني (ط. دهلي ١٩٣٨ م) و« البيان في إعجاز القرآن للخطابي (ط. عليكرة ١٩٥٣ م) .

(١) أعرف ثلاثة من زملائه في الماجستير بجامعة عليكره الاسلامية لمعت أسماؤهم في دنيا العلم والادب في الهند وهم : الدكتور السيد أحمد والدكتور السيد=

يوسف من أحب الطلاب إلى الأستاذ الميمني كما ذكرت آنفاً قد حصل على درجات عالية في مادة الانشاء في امتحان الماجستير وقيل إنه حصل على درجة المائة وكان الأستاذ الميمني هو الممتحن لهذه المادة وقد سألت الأستاذ عن هذا الخبر فحدثني رحمه الله تعالى قائلاً : إن الدكتور محمد يوسف قد أجاد في الكتابة وكان أسلوبه قوياً ومتيناً ، ولغته سليمة وأنيقة ، وانني لم أجد شيئاً في الكتابة آخذه عليه ، اللهم إلا في موضعين : في موضع بدلت فيه لفظاً ووضعت

= صدر الدين فضا والدكتور السيد رفيع الدين ، فالدكتور السيد أحمد بعد أن حصل على شهادة الماجستير في اللغة العربية بجامعة عليكَرَة الاسلامية ، عين محاضراً للغة العربية في جامعة بتنه Patna في عاصمة بهار Bihar ، ثم سافر إلى مصر للدراسة العالية في اللغة العربية ، فسجل بقسم الدكتوراه في جامعة عين شمس ، القاهرة . وكان المشرف على رسالته الدكتور مهدي علاّم ، وقد ساعده في تحضير الرسالة الدكتور عبد القادر القط ، أستاذ الادب العربي بكلية الآداب في جامعة عين شمس . وكان موضوع رسالته : « علي محمود طه بين شعراء مصر المعاصرين » . وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه في سنة ١٩٥٤ عاد إلى الهند وبقي محاضراً للغة العربية ، ثم ترقى إلى أن صار استاذاً في اللغة العربية ورئيساً لقسمها . والاستاذ حقق كتباً عديدة في اللغة العربية . ومنها : كتاب الوصية للموفق أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدمي الدمشقي (المتوفى ٢٣٠ هـ) وقد طبع في بتنة ١٩٥٩ .

والدكتور صدر الدين فضا ، بعد تخرجه من جامعة عليكره عين محاضراً للغة العربية في جامعة بتنه ، ثم تحول إلى قسم الاردية إلى أن صار أستاذاً ورئيساً لقسم اللغة الاردية في الجامعة نفسها . =

آخر محله لأنني ما كنت أحب استعمال هذا اللفظ . وفي المكان الثاني كان السيد محمد يوسف استعمل كلمة دارجة ، وما كنت أحب استعمال الكلمة الدارجة ، كما أنني ماكنت أحب أن يستعملها أحد من طلابي وتلامذتي في الكتابات العلمية والأدبية .

والسيد محمد يوسف سجل في قسم الدكتوراه بعد أن تخرج في الجامعة . وكان المشرف على رسالته شيخنا العلامة عبد العزيز الميمني وقد اختار له موضوعاً من أحب موضوعاته إليه وهو : « أثر أسرة المهلب بن أبي صفرة في التاريخ الإسلامي » واشتغل السيد محمد يوسف في تحضير رسالته بجدّ واجتهاد . واستفاد من خبرة الأستاذ الميمني ومهارته اللغوية وسعة أفقه في التاريخ والطبقات . ولذلك جاءت هذه الرسالة من أحسن الرسائل الجامعية ، فيها معلومات جيدة

= وأما الدكتور السيد رفيع الدين ، وهو زميله الثالث فبعد أن تخرج من جامعة عليكره حصل على شهادة الدكتوراه بجامعة ناكبور ، وصار محاضراً في الجامعة ذاتها - ثم ترقى وتقدم إلى أن صار أستاذاً ورئيساً لاقسام اللغة العربية والفارسية والاردية ، وأحيل إلى المعاش في هذه الايام بعد أن خدم الجامعة مدة طويلة .

هؤلاء الزملاء الكرام للدكتور محمد يوسف ، كلهم يتميزون بمهارتهم في اللغة العربية ، وسعتهم في العلم ، وكلهم من تلامذة العلامة عبد العزيز الميمني ، ولكن الدكتور السيد محمد يوسف يفوقهم في معرفة اللغة والادب ، كما يفوقهم في سعة العلم وقوة الادراك ، وكان يفوقهم حين كانوا طلاباً في الجامعة ، وكان يفوقهم في ميدان العلم والتدريس فيما بعد .

ودراسة شيقة ، وكان الممتحن في هذه الرسالة الدكتور عظيم الدين أحمد[١]..

وقد أثنى الأستاذ عظيم الدين أحمد على رسالة السّيد محمد يوسف ثناء حاراً ، وأوصى بنشرها وطبعها . وقد نشرت أجزاء من هذه الرسالة القيمة العلمية في مجلة الثقافة الاسلامية « اسلاميك كلجز » بحيدر آباد الدكن . ولكن من سوء الحظ أنها لم تنشر كاملة إلى يومنا هذا . وكان السيد محمد يوسف أول طالب سجل في قسم اللغة العربية للحصول على شهادة الدكتوراه ولذلك كان أول طالب أشرف العلامة عبد العزيز الميمني على رسالتـــه وبعد أن نال شهادة الدكتوراه عيّن محاضراً في قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة في سنة ١٩٤٣ . وحين قدمت إلى جـامعة عليكرة في سنـة ١٩٤٣ ، كان الدكتور محمـد يوسف محاضراً في قسم اللغة العربية . فيه خلـّة قلما توجد في الآخرين ، وهي أنـه كان أحياناً حيـنما يدرّس في الصف أو يحاضر في قاعة المحاضرات قد يوجّه إليه طالب سؤالاً ، أوبما يقع هو نفسه في مشكلة علمية فيأتي مسرعاً إلى استاذه العلامة الميمني ليسأله عنها ثم يرجع الى غرفة الدرس ويجيب الطلبة ، والطلبة ينتظرونه ، هذه الخلة هي في الحقيقة خلة العلماء والباحثين .

قضى الدكتور محمد يوسف عدة سنوات كمحاضر في قسم اللغة العربية بجامعة عليكرة ثم ذهب الى مصر ليوسّع دراساته الأدبية

---

(١) رئيس قسم اللغة العربية بجامعة بتنه في ولاية بهار ، وهو معروف بقوته في اللغة العربية وسعة اطلاعه على الثقافة الاسلامية ومراجعها . وكان قد حصل على شهادة الدكتوراه من ألمانيا . وموضوع رسالته : تحقيق وتخريج كتاب « شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم » لنشوان بن سعيد الحميري (المتوفى سنة ٥٧٣ هـ) .

واللغوية ويقابـل علماءها ومحققيها ويزور المكتبات والمعاهد . كانت زيارته لمصر مفيدة وممتعة خاصـة زيارته دار الكتب المصرية ، اذ وجد فيها بغيته ، حيث قرأ المخطوطات العربية القديمة النادرة . وأثناء اقامته في مصر عين محاضراً للغة الأَردية في جامعة فؤاد الأَول (جامعة القاهرة حالياً) فكان في هذه الفترة أستاذاً وطالباً في نفس الوقت ، وهنا توسعت معلوماته ، وتهذبت لغته العربية ، واستقام أسلوبه ، وكتب ابحاثاً علمية وأدبية نشرت في مجلة كليـة الآداب بجامعة القاهرة . وبعد قضاء سبـع سنوات في مصر سافر الى سيلون Ceylon (لنـكا) Lanka حيث عين محاضراً في جامعة لنكا ثم ترقى حتى أصبح استاذاً ، بقي في سيلون خمس سنوات ورجع بعد ذلك الى كراتشي (باكستان) وعين أستاذاً للغة العربية في جامعة كراتشي ورئيس قسمها ، وبعد خدمة حوالي خمس سنوات أحيل الى المعاش . ونظراً الى مؤهلاته العلمية وحاجة الجامعة الى عمله وخدمته فقد مددت خدمته لمدة سنة واحدة . ثم سافر الى نيجريا Nigeria حيث عين أستاذاً في قسم دراسات المذاهب والأديان .

وكان الدكتور محمد يوسف يؤدّي خدمته العلمية والأَدبية في هذه الجامعة فذهب الى لندن ليعمل في أعمال الجامعة ، وهنا أصيب بسكتة قلبية ففارق الحياة في شارع أكسفورد ، بلندن رحمـه الله رحمة واسعة ونقل جثمانه الى كراتشي حيث دفن فيها .

تزوج الدكتور السيدة أنور بشير كريمة السيد بشير الذي كان موظفاً كبيراً في مدينة لكهنو Lucknow فيولايةاترېرديش Uttar pradesh (شمالي الهند) ، وأنجب خمس بنات ، فوزية وأميمة وسلوى ومنى وهالة ، وابناً واحداً هو هاني يوسف وقد كان رحمه الله يسمي ولاده

بأسماء عربية خالصة وهـــذا يدل على حبـه للغـــة العربية والثقافة الاسلامية . ولم يكن الوحيد بين أفراد أسرته في ذلـك وانما كان أفراد اسرته يشاركونه هذا الحب للثقافة الاسلامية ، فقـد تعلمت اختاه فحصلت الواحدة على شهادة الماجستير والدكتوراه في الآداب من جامعة عليكرة الاسلامية ، رهي الآن الأستاذ المساعد في قسم اللغة الفارسية في الجامعة نفسها ، وهي التي اكرمتني باعطاء هــذه المعلومات عن حياة أخيها الخاصة .

قضى الدكتور محمد يوسف حياته كلها معلماً ومتعلماً ، أستاذاً ومحققاً ، فقد كان ذا حركة ونشاط يحب طلابه ويعتز بهم ، ويشرف على الرسائل الجامعية ، الماجستير والدكتوراه . قدم الدكتور زكريا الكتابجي مقالة علمية قيّمة تحت اشرافه وكان موضوعها ، الترك في مؤلفات الجاحظ ومكانتهم في التاريخ الاسلامي الى اواسط القرن الثالث وقد نشرت أجزاء هذه المقالة العلمية في مجلة المجمع اللغوي بدمشق .

أما مؤلفات الدكتور فليست بكثيرة نظراً الى جهوده واستمراره في البحث والتحقيق ، ولكنها مـع ذلك هامة وقيمة فيها دقة النظر والبحث ومهارة النقد وهي :

١ — الأشباه والنظائر ج١ — ٣ طبع في القاهرة سنة ١٩٥٨-١٩٦٠ .

٢ — كتاب الأنوار ومحاسن الأشعار للشمشاطي ج ١ طبع في الكويت ١٩٧٧ .

٣ — من نسب الى أمه من الشعراء للميمني — مجلة المجمع اللغوي بدمشق

٤ — شرح مايقع فيه التصحيف والتحريف لأبي هلال العسكري وهو الآن بين عجلات المطبعة وقد أعاد فيه النظر الأديب والمحقق السوري الأستاذ أحمد راتب النفاخ حفظه الله تعالى .

٥ – المهب بن أبي صفرة طبعت بعض أجزاء هذا البحث في مجلة « اسلام كلتجر ، حيدر آباد الهند » .

وقد نشرت له مقالات في المجلات العربية منها .

١ – مكتوب الصابي مجلة المجمع العلمي دمشق (١٩٥٠) المجلد ٣٥ حـ٥٣ ، جـ ٥٤ .

٢ – من كتاب الأشباه والنظائر للخالديين مجلة المجمع العلمي (دمشق) المجلد ٣٦ الجزء ٤ و ٣٧ : الجزء ١ و ٣٨ الجزء ٣ .

٣ – نسخة فريدة من الجواهر المكللة في الأخبار المسلسلة للسخاوي مجلة المجمع العلمي . مج ٤٣ الجزء ٤ .

٤ – المرتضى كالمهند لا ينكر محدثه . مجلة المجمع العلمي مج٤٣ ، ج ٤

٥ – العلاقات التجارية مجلة كلية الأداب بجامعة فؤاد الأول القاهرة مايو ١٩٥٣ .

٦ – رسالة الغفران للمعري ، تحقيق الدكتورة بنت الشاطىء مجلة الكتاب يوليو ١٩٥١ .

وقد نقل الفقيد رحمه الله كتاب حي بن يقظان لابن طفيل الى اللغة الأردية (جيتا جاكتا) وهو من مطبوعات (نجمن ترقى اردو كراجي (باكستان) .

والى جانب هذه المؤلفات كانت له أبحاث علمية ومقالات أدبية أخرى نشرت في جملة من المجلات العربية العلمية .

وكذلك قضى الفقيد حياته كلها في خدمة اللغة العربية وآدابها وأحياء التراث العربي الاسلامي ، رحمه الله رحمة واسعة .

مختار الدين أحمد
استاذ ورئيس قسم اللغة العربية
بجامعة عليكره (الهند)

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

خلال الربع الأول من عام ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
أحيقار الحكيم	المطران غريغوريوس بولس بهنام	بغداد ١٩٧٦
إعراب القرآن الجزء الأول	أبو جعفر النحاس تح : د . زهير زاهد	= ١٩٧٧
تحفة الوزراء	أبو منصور الثعالبي تح : حبيب الراوي و د . ابتسام الصفار	= ١٩٧٧
جوامع حنين بن إسحاق في الآثار العلوية لأرسطو	تح . د . يوسف حبّي وحكمت نجيب	= ١٩٧٦
الشروط الصغير ١ ـ ٢	أبو جعفر الطحاوي تح : روحي اوزجان	= ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
فقه الملوك ومفتاح الرتاج المرصد على خزانة كتاب الخراج	عبد العزيز الرحبي	بغداد ١٩٧٣
فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف ١-٤	عبد الله الجبوري	= ١٩٧٣ ١٩٧٤
كتاب المولودين	حنين بن إسحاق تح : د يوسف حبي	= ١٩٧٨
اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية	البطريارك افرام الأول	= ١٩٧٦
المحيط في اللغة	اسماعيل بن عباد تح : محمد حسن آل ياسين	= ١٩٧٨
المصباح المضيء في خلافة المستضيء ١ - ٢	أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي تح . ناجية عبد الله ابراهيم	= ١٩٧٦
النتف ١ - ٢	أبو الحسن علي السغدي تح : د. صلاح الدين الناهي	= ١٩٧٥
شعر العامية في اليمن	د . عبد العزيز المقالح	بيروت ١٩٧٨
صفحات مجهولة في تاريخ اليمن لمؤلف مجهول	تح : القاضي حسين السياغي	= ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
تاريخ إفريقيا الشمالية	تعريب محمد مزالي والبشير ابن سلامة	تونس ١٩٦٩
فهرس المخطوطات ١ ــ ٤	دار الكتب الوطنية في تونس	= ١٩٧٧-١٩٧٨
تعلم لتكون	ايدجار فور وآخرون . ترجمة د . حنفي بن عيسى	الجزائر ١٩٧٦
الجواهر الحسان في نظم أولياء تلمسان	أبو مد ين شعيب تح : عبد الحميد حاجيات	= ١٩٧٤
حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا	أحمد توفيق المدني	=
محاضرات في علم النفس اللغوي	د حنفي بن عيسى	=
المرآة	حمدان بن عثمان خوجة . تقديم وتحقيق د . محمد العربي الزبيري	= ١٩٧٢
المقاومة الجزائرية في الشعر الملحون	جلول يلس ـ أمقران الحفناوي	= ١٩٧٤
الموشحات والأزجال ١ ــ ٢	جلول يلس ـ أمقران الحفناوي	= ١٩٧٢

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه	
أصول النحو العربي	د . محمد خير الحلواني	حلب	١٩٧٩
سر الخليقة وصنعة الطبيعة (كتاب العلل)	بليونس الحكيم . تح اورسولا وايسر	=	١٩٧٩
احتفالات	بندر عبد الحميد	دمشق	١٩٧٨
الأرنب قصير الأذن وقصص أخرى	كيريل ابو ستولوف . ترجمها عن البلغارية ميخائيل عيد	=	١٩٧٨
الأرنب المخملي وقصص أخرى	عدد من المؤلفين . ترجمة رباب هاشم	=	١٩٧٨
الأرنب والتمساح	اينيد بلايتون . ترجمة وجيه جبر	=	١٩٧٨
الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة (الجزء الثالث القسم الثاني)	ابن شداد . تح : يحيى عبارة	=	١٩٧٨
الامتيازات والتشريعات النفطية في البلاد العربية	د . عرفان سلوم	=	١٩٧٨
الانسان والحضارة والمجتمع	هاري ل . شابيرو . ترجمة عبد الكريم محفوض	=	١٩٧٨

اسم الكتب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
بحوث في المعلقات	يوسف اليوسف	الجزائر ١٩٧٨
بيانات السوريالية	أندريه بروتون . ترجمة صلاح برمدا	= ١٩٧٨
التنمية الاقتصادية والتخلف الثقافي ١ — ٢	اوزيريس سيكوني. ترجمة عيسى عصفور	= ١٩٧٨
التنمية صفر	ريموند ريشنباخ ـ سيلفس اورفر . ترجمة سهام الشريف	= ١٩٧٨
الثلج الأسود (مجموعة قصص)	رياض عصمت	= ١٩٧٨
الحلم والتاريخ أومئتا عام من تاريخ امريكا	كلود جوليان . ترجمة نخلة كلاس	دمشق ١٩٧٨
رأس المال نقد الاقتصاد السياسي (الكتاب الثالث الجزء الثالث)	كارل ماركس ترجمة انطون حمصي	= ١٩٧٨
الزواج (مسرحية)	غوغول . ترجمة محمد خير الوادي وحسين اجي	= ١٩٧٨
سبعة أصوات خشنة (مسرحيات قصيرة)	وليد اخلاصي	= ١٩٧٨

اسم الكتب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
السوسنة الصغيرة الوردية (قصص للأطفال)	عدد من المؤلفين ترجمة إليان ديراني	دمشق ١٩٧٨
الشاعر في المسرح	رونالد بيكوك ترجمة ممدوح عدوان	= ١٩٧٨
الشهداء لا يموتون (مجموعة قصص للأطفال)	مكرم الكيال	= ١٩٧٨
البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في العالم المعاصر	د محمد غلاب ـ د حسن صالح – محمود شاكر	الرياض ١٩٧٩
مصادر الفكر العربي الاسلامي في اليمن	عبد الله محمد الحبشي	صنعاء
معارك حاسمة من تاريخ اليمن	حمزة علي لقمان	= ١٩٧٨
الايضاح ١ ـ ٤	عامر بن علي الشماخي	طرابلس ١٩٧٠
شعر الوليد بن يزيد	د . حسين عطوان	عمان ١٩٧٩
مصطلحات التجارة والاقتصاد والمصارف	مجمع اللغة العربية الأردني	= ١٩٧٩
الأزمة اللبنانية	د . جمال قاسم	القاهرة ١٩٧٨
دراسات في تاريخ الخليج العربي المعاصر	د . مصطفى النجار	= ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
دراسات في تنسيق الخطط والتكامل الاقتصادي العربي	د . رياض الشيخ	القاهرة ١٩٧٨
في تاريخ اليمن : شرح وتعليق على نقوش لم تنشر من مجموعة القاضي علي الكهالي	مطهر علي الإرياني	= ١٦٧٣
مجلة الحكمة اليمانية وحركة الاصلاح في اليمن « دراسات ومقالات »	د . سيد مصطفى سالم وعلي أبو الرجال	= ١٩٧٦
نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر من مخطوطة : درر نحور الحور العين بسيرة الامام المنصور	لطف الله بن أحمد جحاف تح : سيد مصطفى سالم	= ١٩٧٥
طبقات المشائخ بالمغرب	أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني تح : ابراهيم طلاي	قسنطينة ١٩٧٤
الأنوار ومحاسن الأشعار (الجزء الثاني)	الشمشاطي تح : د . السيد محمد يوسف	الكويت ١٩٧٨
في الأمثال العربية	د . ابراهيم السامرائي	=
فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة الامام الحكيم العامة	محمد مهدي نجف	النجف ١٣٩٨

استدراك : سقطت الصفحة التالية من بداية مقال الاستاذ الدكتور حسني سبح ومكانها قبل الصفحة ٣٠٣ مباشرة

12193 Sécrétine — ١٢١٩٣ مُفرَزين وأرجح سُكَّرين

12203 Sédentaire — ١٢٢٠٢ جُلَسة ، قُعَدة وقليل الحركة ، خالد للسكون

12203 sédiment, culot — ١٢٢٠٣ ثُفل ، ثُفالة وُقرارة

12204 Sédiment uratiqne (composé d'urate de sodium et de pot-assium) sable rouge urinaire, en brique-pilée — ١٢٢٠٤ ثُفل بَوْلاتي (مؤلف من بولات الصوديوم والبوتاسيوم ، رَمْلٌ أحمر بولي،رُسوب آجُرّيّ صَخْري

وأفضل ثُفْلٌ بولاتي أو ثفالَةٌ بولاتيّة (مؤلف أو مؤلّفة من بولات أو يورات الصوديوم والبوتاسيوم) رَمْلٌ بَولي أحمَر ، رُسوبٌ أو رَاسِبٌ كالآجُر المسحوق

12206 Sédimentation — ١٢٢٠٦ تَثْفيلٌ وتَثفُّل . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : رُسُوب، والأفضل تخصيص لفظة رُسوب تَرْجمة لـ (précipitation)

12207 Segment, section — ١٢٢٠٧ قِطعة قَطْع وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة شُدْفة(١) وأرجح قطْعة شُدّفة ، قِسْم ، جُزء ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

12209 Segment atrio-ventriculaire système de commande du cœur — ١٢٢٠٩ قِطعة أذَينيّة بُطينيه جُملة آمرَة القلب

---

(١) في لسان العرب : الشدفة القطعة من الشيء .

(١) (Segnent, section, part)

فهرس الجزء الثاني من المجلد الرابع والخمسين

المقـــالات

التعريف والنقد

آراء وأنبـــاء



« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »





شـــــعبان من سنة ١٣٩٩ هـ
تمـوز (يوليو) من سنة ١٩٧٩ م



كثرة المصادر والأسماء

الأستاذ شفيق جبري

احتجت الى معرفة مصدرٍ من مصادر فعل : كذب ، وذلك من أجل ضبط قافية من القوافي ، وهذا المصدر هو : كذاب ، على وزن : كتاب ، فرجعت الى مادّة : كذب ، فهل عليّ من حرجٍ اذا أعربت في هذا المقام عن عجبي من كثرة مصادر هذه المادّة ، ولا بأس بذكرها كلّها • يقول الفيروزابادي في معجمه : كذب يكذب كَذِباً وكِذْباً وكِذْبة وكَذِبة وكِذاباً وكِذّاباً ككتاب وحنّاء ، على أن هذه المصادر ليست بكثيرة اذا قيست بالأسماء الدالّة على الكاذب، فالذي يكذب هو: كاذِب" وكَذّاب" وتِكِذّاب" وكَذُوب" وكَذوبَة" وكَذْبان وكَيْذَبان وكَيْذُبان وكُذُبْذُب وكُذَبة ومَكذُبان ومَكْذَبانة وكُذُبْذُبان ، وما يقال في كثرة الأسماء الدالّة يُقال في كثرة الأسماء الدالة على الكذب وهذه هي : الأُكذُبَةُ والكُذْبى والمكذوبُ والمَكذوبَةُ والمَكْذَبَةُ والكاذِبَةُ والكُذْبانُ والكُذابُ بضمهما ، الى آخر ما جاء في تعريف هذه المادّة •

اني آسف الأسف كلّه على أني لست من علماء اللغة حتى أعرف السبب في كثرة هذه المصادر وكثرة أسماء من يكذب وأسماء الكذب ،

واذا لم أكن من علماء اللغة فما يمنعني عن العجب من هذه الكثرة التي أشرت اليها ، ولست أدري هل تعرّض علماء اللغة في القديم والحديث لإيضاح هـذا الأمر ، وهل في جملة هـذا الايضاح كثرة قبائل العرب واختلاف بعض لغاتها ، فمن هذه القبائل من استعمل مصدراً أو اسماً ، ومنها من استعمل مصـدراً آخر أو اسماً آخر ، ولمّا جمع علماء اللغـة ما تشتّت من هذه اللغة في البوادي اضطروا الى تدوين كلّ ماسمعوه ، أقول إن كل هذه الأمور لا علم لي بها ، وليتني أعرف الأسباب التي أجهلها في هذه القضية ، على أن الذي أعرفه أن أحكام تنازع البقاء تجري على اللغة جريانها على عالم الأحياء ، على نحـو ما أشرت الى ذلك في بعض مقالات متقدمة ، فليس من الضروري أن تعيش المصادر كلّها والأسماء كلّها ، فمنها ما يموت ومنها ما يقلّ استعماله ومنها مايعيش على وجـه الدهر ، فمن المصادر التي عاشت ماجاء ذكره في القرآن الكريم أو ماجاء على لسان سيدنا محمد ﷺ أو ما استعمله بلغاء الكتّاب ، فهل استعمل في هذا كله كذُبْذُبان أو مَكِذِبّان أو غيرهما من اخواتهما بدلاً من استعمال الكاذب والكذّاب والكذوب ، فهذه الأسماء الثلاثة وأمثالها تعيش ويستفيض استعمالها . وأظن أن بعض مصادر كذب قد تستعمل ولا بأس باستعمالها ولا سيما في اقامة وزنٍ من أوزان الشعر كالكِذاب والذِذّاب على وزن الكتاب والحنّاء ، امّا الذي يكذب وبعض الأسماء الدالة على الكاذب فهل تستعمل كلها ؟ واذا استعملها أحد الكتّاب فهل يسلم من نقد الناقدين ؟ أفلا يرمونه بالتنطّع والتنطّس في لغته ؟

ومن المصادر القليلة السهلة ما يعيش في لغة الخاصّة والعامّة ، من ذلك مثلاً مصادر فعل : أكل ، يقـال : أكله أكلاً ومأكلاً ، فالأكل هو

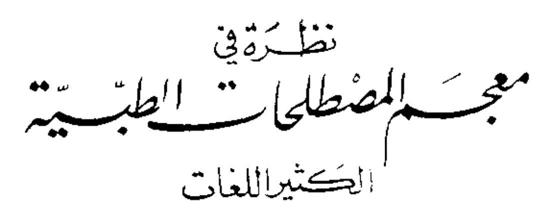
الغالب وهو أغلب من المأكل ، أمّا العامّة فانهـا تستعمل : المأكلة على سبيل المجاز ، وهي كلمـة خصبة المعنى ، فكثيراً ما نسمعهم يقولون في لغتهم : أموال كذا أو أموال فلان أصبحت مأكلة أي يأكلها من يضع يده عليها وقد وردت المأكلة في اللغة ولكن على غير ما تقصده العامّة ، يقال : المأكلة وتضم الكاف : الميرة وما أكل ، ويوصف به فيقال : شاة مأكلة •

ليس هذا كله ما يعنينا أمره في هذا الباب أي باب كثرة المصادر والأسماء ، انما الذي يهمنا أن نعرفه انما هي الأسباب في كثـرة بعض المصادر والأسماء ولست أدري هل في لغات العالم مثل هذا الأمر ، هل للفعل الواحـد مصادر كثيرة أو للاسم الواحـد أسماء كثيرة على نحو ما نشاهده في لغتنا • ولا ينبغي لنا ان نعتقد أن كثرة هذه المصادر أو هذه الأسماء دليل قاطع على غنى اللغة ، فالمعروف ان اللغة الغنيّة انما هي اللغة التي نجد في مفرداتها ما نستطيع ان نعبّر به عن معنى من المعاني التي تجول في الخاطر ، فاذا جال في خاطر أحدنا معنى ووجد في اللغة اللفظة الدالّة عليه فنستطيع أن نستنتج من ذلك ان اللغة غنية ، أما اذا لم نجد في اللغة ما نستطيع ان نعبّر به عن معنى من المعاني فاللغـة فقيرة ، والمفردات الكثيرة قلّما تكون برهاناً على غنى اللغة حتى ان المترادف فيها قد يختلف بعضه عن بعض فقلّما نجد في لفظتين مترادفتين تطابقاً في المعنى فلا بد من فرق بينهما ولو كان الفرق يسيراً •

على اني أشعر باني كدت أخرج عن موضوعي فجوهر الموضـوع معرفة السبب أو الأسباب في كثرة مصادر فعل واحد وكثرة الأسـماء المشتقة من هذا الفعل • فعسى أن يوضح لنا هذا الأمر علماء اللغة في عصرنا •

وهل من بأس اذا أفرِدت هذه المصادر وهذه الأسماء الغريبة التي يقلّ استعمالها على الرغم من صحّتها ، واذا استعملت قد ينبو عنها الذوق،أقول هل من بأس اذا أفردت كلها في معجم خاص وجمعت فيه كما تجمع الآثار القديمة في متحف .

دمشق **شفيق جبري**



للدكتور أ. ل. كليرفيل
نقله إلى العربية الأساتذة مرشد خاطر
وأحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكواكبي

- ٤١ -

الدكتور حسني سبح

12406 Sidérémie — حَدَد الدَّم ١٢٤٠٦

وارجح حَدِيد الدَّم (مقدار) او حديدية الدم ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

12407 Sidérose pulmonaire — حَدَد رِئوي او حَدَد الرِئة ١٢٤٠٧

واقر مجمع اللغة في القاهرة السددية ـ السُّحار الحديدي (تترب الرئة الحديدي) وجاء في التعريف : حالة مرضية مزمنة تحدث من استنشاق اتربة الحديد

---

(١) (content of the iron in the blood)

وأفضل تغبر الرئة الحديدي[١] .

12412 Sigmatisme — ١٢٤١٢ لُكْنَة سينيّة

وأفضل لُكْنَة بحرف السّين (او تأتأة بالسين أو حرف السين ، لكي لا يلتبس الامر باللفظة التالية)

12413 Sigmoïdal, ale, sigmoïde — ١٢٤١٣ سيني

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة تعريب اللفظة (سِجمي) فترجم (colon sigmoid) بالقُولون السِجمي في مصطلحات علم الجراحة ، وترجم (sigmoidal flexure) بالتعريجة السينية بين مصطلحات علم الأمراض ومتفرقاتها . وأفضل ترجمة اللفظة بالسّين الحرْقفي

12415 Signal-symptome

١٢٤١٥ إشْعَار ــ عَرَض ، عَرَض" مُشْعِر
وأفضل عَرَض مُشْعِر فقط

12416 Signe d'Argyll - Robertson

١٢٤١٦ عَلامة آرجيل ــ روبرتسن

عَرَض بُؤبؤ آرجيل ــ روبرتسن ، فَقْد مُنْعَكَس البؤبؤ نحو النُّور ، كما جاء في الترجمة

(١) الصفحة ٢٢٨ من المجلد الحادي والخمسين من هذه المجلة

الانكليزية من المعجم الأصلي[١]

12417 signe caractéristique, distinctif
marque

١٢٤١٧ عَلاَمة" وَصْفِيَّة ، عَلامة بَيانِيَّة ، مِيزَة

وأفضل عَلاَمَة وَصْفِيَّة عَلاَمَة مُمَيِّزة ،
عَلاَمة فَارِقة

12418 signe de la chaussette, érythrose
de la déclivité
(Vaquez et Bricou)

١٢٤١٨ عَلاَمة الجَوْرَب ، اِحْمِرار الانْحِدار (فاكيز
وبريكو) واحْمرار الأجْزاء المُتَدَلِّية (في القدمين)
كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٢]

12420 signe de coup d'ongle
ou du copeau (psoriasis)

١٢٤٢٠ عَلاَمة الخَدْش بالظّفر أو الخُداشَة (صُداف)
وأفضل عَلاَمة الخَمْش بالظِفر أو الحَك بالظّفر
أو الحُتات[٣]

12422 signe du lacet, signe
du garrot, phénomène
de Rumpel-Leede

---

(١) Argyll-Robertson's pupil symptom, loss of the pupil)
(reflex to light)

(٢) redness of the skin of dependent parts of the feet in)
(endarteritis obliterant

(٣) في لسان العرب : الحت في فركك الشيء اليابس عن الثوب ونحوه ، وحت الشيء عن الثوب وغيره يحته حتاً فركه وقشره فانحت وتحات واسم ماتحات من منه الحتات كالدقاق وهذا البناء من الغالب على مثل هذا وعامته الهاء وكل ما قشر فقد حت .

١٢٤٢٢ عَلامة البَنْد ، عَلامة الوِثاق (الـقِماط) ، حَادِثة رومبل ــ ليد

وأرجح عَلاَمةُ الشَّرِيط ، عَلاَمةُ الوِثاق (لا القِماط)[1] ، ظاهرة[2] رُمبل لِده ، كما يلفظ بالالمانية .

12423 signe de Lasègue

١٢٤٢٣ عَلاَمة لاسَاغ

وأفضل علامة لاسَيك

12427 signe d'Oliver - Cardarelli, signe de la trachée

١٢٤٢٧ عَلاَمة أو لِيڤيه كَرْدارلي ، عَلامة الرُّغامَى

وظاهرة اوليفه كردالي ، الجبذ الرُّغامي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3] وكما اقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة أيضا .

12428 signe prémonitoire ou préliminaire

١٢٤٢٨ علامة مُتَقَدِمة أو سَابِقة

وعَلاَمة طَلِيعيَّة

12429 signe (dit) probable

١٢٤٢٩ عَلاَمة (مُسمَّاة) مُحْتَمَلَة

وأفضل عَلاَمة مُحْتَمَلَة او مُمْكِنة (الظهور) (على مايقال)

12433 signe de tapotage (percussion d'une caverne

---

(١) الصفحة ٨٤٥ من المجلد الاربعين من هذه المجلة

(٢) الصفحة ٢٩١ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٣) (tracheal tug', Oliver Cardarelli phenomenon)

pulmonaire superficiélle provoquant la toux
et l'expectoration)

١٢٤٣٣ عَلاَمــة الهَيْج (قَــرْع كهف رِئَوي سَطْحي يُحدِث سُعالاً وقَشْعاً)

وأفضل عَلامة النَقْر وظَاهِرة اِرْني ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1]

12434 signe de tiroir (lésion des ligaments croisés)

١٢٤٣٤ عَلاَمةُ الجَارور (آفة الرُبُط المتصالِبة)

وأفضل عَلاَمة الدُرْج (وقد أقرها مجمع اللغةالعربية في القاهرة) (آفةً في الرُبُط المُتَصالِبة) وليس للفظة الجارور أن تعني ذلك[2]

12436 Silicatose

١٢٤٣٦ دَاءٌ صَوّاني

والصحيح تَغَبُّر الرئة السِّلِيكاتي ، وهو مايحدث من اِسْتنشاق غبار السيليكات (احد املاح حموض سيليسيوم او سيليكون)[3]

12437 Silice, oxyde de silicium, anhydride silicique

١٢٤٣٧ سِيلِيس ، اكسِيد السِيليسِيوم ، بلا ماء حَمْض السِّلِيس

سيليكا ، بلا ماء حمض سيليقون او سيليسيوم ثاني

(١) (Erni's phenomenon)

(٢) في لسان العرب : والجارور نهر يشقه السيل

(٣) لفظة (silicatosis) في معجم درلند الطبي (Dorland's Illustrated Medical Dictionary)

اكسيد سيليقون كما جـاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1]

12438 Silicium — ١٢٤٣٨ سيليسيوم

وأرجح سيليقون ، كما يسمى بالانكليزية

12439 silicium (fluorure de) — ١٢٤٣٩ السِيليسِيوم (فلُوؤرور)

وأفضل سِيلِيقون (فلور)

12440 Silicotique — ١٢٤٤٠ تَرَبِي ، مُتَعَلِّق بالتَرَب الرِئَوي

وأرجح سيليكي ، أو نسبة الى الداء الصواني • فقد أقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (silicosis) بالسُحار الصَوّاني (السيليكي) « السِليكية » وجاء في التعريف : حالة مَرَضية مُزمِنة في الرِئة سببها اسْتِنْشَاق غُبار الصَوّان (السيليكا) من الهواء بكميات كافية لتحدث بمرور الزمن تَليّفاً في نسيج الرِئة وهو من الأمراض المهنية •

12442 sillon auriculo-ventriculaire

١٢٤٤٢ تَلَمٌ أذَيْني بُطَيني

والاخدود التاجي كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[2] •

---

(١) (silica, silicic anhydride silicon dioxide)

(٢) (coronary sulcus)

12445 sillon interventriculaire antérieur et postrérieur du cœur

١٢٤٤٥ تَلَم القَلْب بيْن البُطَيْنين الأمامي والخلفي
والأخدود بَيْن البُطَيْنين ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(١)

12447 sillon du sarcopte de la gale

١٢٤٤٧ نَقْبُ قَارِمَة الجَرَب

وأرجح تَلَم حَمَكُ الجَرَب(٢) نفقها ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٣) وليس للفظة نَقْب ان تفي بالمَعْنى المطلوب(٤)

12448 sillon unguéal de Beau

١٢٤٤٨ تَلَم بو الظُّفْري

وخطوط بو ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي(٥)

12453 Sinapisation

١٢٤٥٣ خَرْدَلَة

وأفضل تَحْمير الجلد بِمُحَضَّر خَرْدلي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(٦) ولِخرْدلة معنى خاص(٧)

---

(١) (interventricular sulcus)
(٢) الصفحة ٥٨٢ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة
(٣) (cuniculus, furrow of itchmite)
(٤) في لسان العرب : النقب الثقب في اي شيء كان
(٥) Beau's lines (on the fingernails)
(٦) (reddening of the skin by a mustard preparation)
(٧) في لسان العرب : والخردل ضرب من الخزف معروف الواحدة خردلة

12454 Sinapisme ١٢٤٥٤ لَصْقَة خَرْدَلِيَّة ، لَصْقَةُ خَرْدَل
او لزقة مخردلة

12455 Sinciput ١٢٤٥٥ فَيْشَة ، قِمّة الرّأس
والصحيح الفَرْق أو المَفْرِق[1] لأن ماتعنيه اللفظة هو الجزء الأمامي والعلوي من الرأس[2] وليس للفظة فيشة أن تعني المعنى كما انها تدعو الى الالتباس[3]

12456 Sinistrocardie ١٢٤٥٦ مُيَاسَرة القَلْب (تَبدّله الى اليسار)
وأرجح الانْزِياح الأيْسر للقلب وانْزِياح القلب الى الأيسر ، وللفظة مُياسَرة معنى آخر[4]

12457 Sinueux, euse ١٢٤٥٧ مُتَعَوِّج ،
مُلْتَوٍ ، متعرّج ، مُتَمعّج ، وسبَق للجنة أن ترجمت (anfractueux) بِمُتَعوّج (اللفظة ٧٢٠)

12458 Sinuosité ١٢٤٥٨ اِعْوِجاج ، اِلْتِواء
وأرجح تَعَرُّج ، تَمَعُّج

12462 sinus coronaire du bord du placenta
١٢٤٦٢ جَيْب حافَّة السَّخْد الأكليلي
وأفضل جَيْب السَّخْد كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[5]

---

(١) في لسان العرب : الفرق موضع المفرق من الرأس ، وفرق الرأس مابين الجبين الى الدائرة .

(٢) لفظة (sinciput) في معجم درلند الطبي
(Dorland's Illustrated Medical Dictionary)

(٣) في لسان العرب ، الفيشة أعلى الهامة والفيشة أعلى الكمرة (راس الذكر)

(٤) في تاج العروس : اليسر بالفتح ويحرك اللين والانقياد يكون ذلك للانسان والفرس وقد يسر ييسر من حد ضرب وياسره لاينه

(٥) (placenta sinus)

12463 sinus de la dure-mère جُيَوبُ الأمُجافية ١٢٤٦٣

جيوب الأم الجافية[١]. هذا وقد اقر مجمع اللغة العربية ترجمة (sinuses) بِمَشْبر[٢] (ج مشابر) وجاء في التعريف : الأوعية الدّموية المتسعة التي توجد في الأم الجافية

12474 siphon à irrigation مِشْعَب للرَّحْض ١٢٤٧٤

وللنَضح ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣]

12478 Sitiomanie نَهْم ١٢٤٧٨

وأرجح هَوَسُ الطعام او الغذاء ، لِصلة الحالة بعلة نفسانية

12480 Skiascopie تَعيين اِنْكِسار النُور ١٢٤٨٠

بطل استعمال هذه اللفظة وكانت تدل على : (١) تنظير الطبقة الشبكية من العين ، (٢) مايعرف الآن بالتَنْظير الشعاعي[٤] وترجمت باخْتبار الظل في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٥]

12487 sodium (bicarbonate de) , carbonate acide de sodium

---

(١) الصفحة ٦٠٧ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة

(٢) في تاج العروس : والمشابر أنهار تنخفض فتأوي اليها الماء من مواضع مما يفيض عن الارضين جمع مشبر ومشبرة ، كلاهما بالفتح .

(٣) (siphon douche)

(٤) لفظة (skiascopy) في معجم ستيدمان (Stedman's Medical Dictionary)

(٥) (shadow test)

١٢٤٨٧ الصُّوديُوم (ثَانِي فَحْمات) ، فَحْمات الصُّوديوم الحَامِضة

وأفضل الصُّوديوم (ثَاني كَرْبونات) كربونات الصوديوم الحامضة[1]

12490 sodium (carbonate neutre de) soude

١٢٤٩٠ الصُّوديوم (فَحْمات) المعتدلة ، صُود

وأفضل الصُّوديوم (كربونات المعتدلة[2]) الصود

12491 sodium (chlorure de), sel de cuisine

١٢٤٩١ الصُّوديُوم (كلورور) ، مِلْح المَطْبخ

وأفضل الصُّودْيوم (كْلور) ، مِلْح الطَّعام أو المِلْح الشائع أو المعروف ومِلْح المائِدة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[3]

12492 sodium (hypophosphate de)

١٢٤٩٢ الصُّودْيُوم (تَحْت فُصْفَت)

وأفضل الصُّوديوم (تَحْت فُسْفات)

12497 sodium (phosphate acide de) , phosphate monosodique, phosphate biacide de sodium

١٢٤٩٧ الصُّوديُوم (فُصْفات) الحَامِضة ، فُصْفات وَحيدَة الصُّوديوم، فصفات الصُّوديوم المُضَاعَفَة الحَمْض

---

(١) الصفحة ٦٣٣ من المجلد الرابع والثلاثين من هذه المجلة

(٢) (sodium chloride, common salt, table salt)

12498 sodium (phosphate monoacide de) , phosphate disodique

١٢٤٩٨ الصُّوديوم (فُصْفَات) الوحيدة الحَمْض ، فُصْفات مُضاعَفَة الصُّوديوم

وأفضل : الصُّوديوم (فُسفات الحامضة) فُسفات آحاديَّة الصُّوديوم ، فُسْفات الصُّوديوم ثُنَائيَّة الحَمْض في اللفظة الاولى والصُّوديوم (فُسْفات آحاديَّة الحَمْض) وفُسْفَات ثُنَائيَّة الصُّوديوم في الثانيــة

12505 soins aux aveugles

١٢٥٠٥ عِنايَة بالعُميان

وأرجح رِعَايَة العُمْيان

12505 soins post-opératoires

١٢٥٠٥ عِناية بَعْد البَضْع

وأرجح عِناية بَعْد الجِراحَة والعِنَاية المؤخرة أو اللاحقة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[١]

12506 Soja (fève de)

١٢٥٠٦ الصُّوجة (فُول)

وأرجح الصَّويا (باقلاء أو فُول)

12507 Solaire

١٢٥٠٧ شَمْسي

شَمْسي نسبة الى الشمس وضَفَيري شَمْسي نسبة الى الضَّفيرة الشَّمسية[٢] أيضا

---

(١) (after care, post-operative)

(٢) لفظة (solar) في معجم درلند (Dorland's Medical Dictionary)

12508 Solarite — ١٢٥٠٨ ألَم الضَّفيرة الشَّمسيّة
والصحيح التهابُ الضَفيرَة الشَمْسية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي(١)

12509 Sole — ١٢٥٠٩ سَمَكُ مُوسى
والصحيح أخْمص القَدَم والنَعْل وهو المقصود ، اذ ليس لِسمك مُوسى اية صلة طبية(٢)

12511 Solide — ١٢٥١١ صُلْب ، جَامِد
وأرجح صُلْبَ فقط ، وسبق للجنة أن ترجمت (congélation) بِتَجمد (اللفظة ٣٠٥٢)

12512 Solitaire — ١٢٥١٢ وَحيد ، مُعْتَزِل
وأرجح وَحيد مُنْفَرِد

12514 Solubilité — ١٢٥١٤ ذَوَبانيَّة ، انْحِلاليّة
وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ذَوَبانِيَّة وذَائِبيَّة

12515 Soluble — ١٢٥١٥ ذَوَّاب ، مُنْحَل
وحَلول ايضاً

12516 soluté physiologique normal, soluté isotonique de chlorure de sodium, sérum artificiel, sérum

---

(١) (inflammation of the solar plexus)

(٢) وقع الخطأ نفسه في الترجمتين الانكليزية والالمانية من المعجم الاصلي . ففي الترجمة الانكليزية جاءت لفظة (sole) وتعني أخمص القدم والنعل كما أنها تدل على سمك موسى وكان الافضل ان تترجم بلفظة (planta) وأما الترجمة الالمانية seezunge فمعناها لسان البحر وهو المعروف بـ سمك موسى .

physiologique

١٢٥١٦ مَحْلول" غَرِيزي نِظَـامِي ، مَحْلـولُ كُلور الصّوديوم المُعَادِل التّوتر

وأقـر مجمـع اللغــة العربيــة في القاهـرة (soluté) بذُوابَـة و (isotonie) بمُتَسـاوي الأسموزيّة[١] و (normal solution) بمحلول كفـائي[٢] وأرجح : مَصْلُ فِزْيولوجي سَوي ، مَحْلول كُلور الصّوديوم المُتَكافِيء التوتر أو المتعادل التوتر والمَصْل الفِزْيولوجي (وقد اهملتها اللجنـة) بالاضافـة الى مَحْلول المِلْح ومَحْلول المِلْح السّوي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣] .

١٢٥١٧ مَحْلول" 12517 Solution, soluté, dissolution

وأقر مجمع اللغة العربيةفيالقاهرة ترجمة(solution) بذُوابة مَحلول ، وجاء في التعريف : المادة المتجانسة الناتجة من خِلْط مادةٍ بأخرى . وأرى أن تخصص لفظة محلول لِـ (solution) وذُوابَة لِـ (soluté) ومُنْحَل لـ (dissolution) (وقد اهملته اللجنة)

١٢٥١٨ مَحْلولعُشَيْرالنّظامي[٤] 12518 solution centinormale

وأرجح مَحْلول سوي مِئَوي

---

(١) وجاء في التعريف : المحلول الذي يساوي آخر في الاسموزية وتطلق في الطب عندما يكون الضغط الاسموزي لمحلول ما مساويا للضغط الاسموزي لمصل الدم .

(٢) وجاء في التعريف : المحلول الذي يحتوي اللتر منه على الوزن المكافيء الجـرامي (بالجرامات للمادة المذابة) .

(٣) salt solution, saline solution, physiological salt solution, physiologie saline, normal saline solution

(٤) وسبق للجنة أن ترجمت (réglementation) بتنظيم (اللفظة ١١٦٣٩)

12519 solution décinormale

١٢٥١٩ مَحْلول عُشر النّظامي

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة مَحْلول عُشَيري، وجاء في التعريف : هو المحلول الذي يحتوي اللتر منه عُشْر الوزن المكافىء بالجرامات للمادة المذابة كالحوامض والقلويات ويستخدم في معايرة سوائل اخرى

12520 solution étalon, solution normale

١٢٥٢٠ مَحْلول عِياري نَموذَجي

وأفضل مَحْلولٌ عِياري ، مَحْلولٌ سَوي

12521 solution faible de sulfate de zinc contenant de la teinture de lavande

١٢٥٢١ مَحلولٌ كِبريتَات التّوتياء الخفيف مُحْتَوياً صِبْغَة الخُزامى (اللاّوندة)

والغَول الأحمر ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[1]

12522 solution - mère

١٢٥٢٢ مَحْلول" أم ، مَحْلول أصْلي

أم المَحْلول تَرْجيحاً

12523 solution molaire

١٢٥٢٣ مَحْلولٌ ذَرّي

وأفضل مَحْلول مُولي أو جُزَيْئي غرامي[2]

12525 solution tampon

١٢٥٢٥ مَحْلول وَقاء

وأفضل مَحْلول دَارِىء

---

(١) (red wash)

(٢) الصفحة ٢٧ من المجلد السابع والاربعين من هذه المجلة .

12527 Somatologie

١٢٥٢٧ عِلْم الأبدان أو البَدَنيات

12530 Sommation, addition latente des secousses musculaires

١٢٥٣٠ جَمْعٌ ، ضَمٌّ الاهتزازات العضلية الخفي

وأفضل جُمَّاع الانضمام الخَفي للتَقَلُّصات العَصَبية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[1]

12531 sommation nerveuse

١٢٥٣١ جَمْعٌ أو تَضامٌ عَصَبي

وأفضل جُمّاع المُحرِّضات كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[2]

12532 sommeil crépusculaire, demi sommeil

١٢٥٣٢ تِهْجاع ، تَهْويم ، سِنَة

وأفضل الإغْفاء[2] وقد اقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (twilight sleep) بالتَخْدير الشَفَقي (الهَلْج)[3]

12533 sommeil secondaire

١٢٥٣٣ نَوْمٌ ثانَوي

---

(١) (summation of muscular contractions)

(٢) (summation of stimulation)

(٣) في فقه اللغة للثعالبي : الاغفاء النوم الخفيف ثم التهويم والفرار والتهجاع وهو النوم القليل أما سنة فهي النعاس .

(٤) الهلج مالم يوقن به من الاخبار هلج يهلج هلجا اذا أخبر بما لا يؤمن به والهلج شيء تراه في نومك مما ليس برؤية صادقة الهلج أخف النوم

وأفضل مابَعد النَّوم كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[١]

12533	sommeiller	رَقَدَ ، نَامَ	١٢٥٣٣

وأرجح غَفا ، رَكَد ، سَكَن

12535	sommet de la tête, vertex	ذُرْوَة الرأس	١٢٥٣٥

وأرجح قِمَّة الرأس ، الهَامَة

12538	Somnambulisme	سَيْرٌ في المَنام	١٢٥٣٨

وقد شاع اِسْتعمال السَّرنَمة ولعلها أفضل

12539	Somnolence	وَسَنٌ	١٢٥٣٩

وأفضل نُعاس ، وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (drowsiness) بالتَهْويم وجاء في الشرح : الشُعور بالحاجة الى النَّوم

12541	son, ton, tonalité	صَوْتٌ ، لَحْن ، نَغْمَة	١٢٥٤١

وأفضل صَوت ، لَهْجَة[٢] ، لَحنٌ ، حِدَّة الصوت

12542 son additionnel, son de combinaison

١٢٥٤٢ لَحْن اِنْضِمامي ، لَحْنُ التَّركيب

وأفضل لَحْن مُتَراكِب ، جُمَّاع اللَحْن، كماجاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[٣]

(للبحث صلة)

---

(١) (after-sleep)

(٢) في لسان العرب اللهنجة واللهجة جرس الكلام

(٣) (combination tone, summation tone)

محمد اقبال

فيلسوف الذات وشاعر العشق

الاستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

كما يأنس الساري ليلاً بتأمل مواكب النجوم كذلك يرتاح الساعي في مناكب الحياة للنظر في سِيَر العظماء .

وقد تسأل أيها القارىء الكريم ، حين تلمح عنوان المقال : ما لهذه المجلة المتخصصة باللغة والتراث العربيَّيْن تُعنى بشاعر هندي باكستاني ولو كان ذا مكانة عالية في الشعر والفكر ! والجواب أن إقبالاً دوحة مباركة في رياض ذلك التراث العربي الإسلامي الواسع نمت على أرضه وامتاحت من معينه وجرى في عروقها حبها له ولأهليه . ولا شك أنّ أبناء البلاد العربية انقطعت وشائجهم منذ حقبة بإخوانهم من بقيّة أبناء تلك الحضارة السمحة الشاملة واتصلت أسبابهم جميعاً بحضارة ضيقة الأعطان متعصبّة الأوطان فضيّقت عليهم مدى البصر ودفنت منهم عمق البصيرة . وقد آن أن نصل ما انقطع دون أن نقطع ما اتصل .

ثم إننا نظرنا إلى أجيال أدبائنا الحديثين فراعنا ضحل ثقافاتهم وتنكّبهم عن ينابيع التراث الثّرة وتقليدهم العَمِي لكل نأمة في الغرب

دون البحث عن أصالتهم الذاتية . فأردنا أن نضرب للأصالة الذاتية مثلاً عالياً وهو شاعر مفكر قلّ من يشبهه في سعة الاطلاع على ثقافات الغرب مع التعمق المتبحّر في التراث الشرقي . وقد حلّق في سماء الشهرة فترجم له كبار المستشرقين كما سيأتي في المقال وقدموه على معاصريه . وإني لاذكر حديثاً للمستشرق الفرنسي الشهير لويس ماسنيون جرى فيه الكلام على إقبال وطاغور ففضله على طاغور في العمق والموهبة . ونحن لا نحب الموازنة بين الشعراء والمفكرين ، فلكل طريقه الخاص وعبقريته الملهمة . ولكنا آثرنا أن نستشهد على مكانة إقبال بمستشرق مرموق لكي يهدأ بالك وتعلم أنا لا نتجاوز الاعتدال ولأنا نعرف أن فريقاً من الناس يزيد اطمئنانهم بأحكام أولئك الأجانب الذين لا تنكر جهودهم في ميادين الثقافة العربية الإسلامية .

إن إقبالاً نشأ في بلد « نامٍ » على حد التعبير الحديث كالبلاد العربية . ومع ذلك كان معتدّاً بشخصيته وعلمه وتراثه وقيم هذا التراث. ولم يَنْقصه اعتداده شيئاً بل زاده قيمة وعلاء .

ثم إننا في جميع مانكتب نرجع إلى خزائن اللغة العربية الواسعة الغنية ، فلا يخلو كل بحث لنا من نكتة لغوية نشير إليها أو رمز نشرحه أو سرٍّ نبوح به . فقد جرى حب اللغة في عروقنا منذ الطفولة مع دراساتنا المتنوعة المتعمقة . وإذا صادفك أيها القارىء الكريم تعبير أدبي أو إشارة فلسفية فلا تخش منا أن نتجاوز الأسلوب العلمي إذ كنا نستهين بالأساليب الجافة التي تحاول أن تتخذ لها من جفافها مظهراً علمياً وهي تبطن في تضاعيفها هرطقة وهذرا . إن العلم الحقيقي يعنى بالظاهر عنايته بالباطن . وقيمة الجمال متصلة في أعماق اصولها بقيمة الحقيقة .

ثم إن هذا البحث يثير مشكلة الترجمة • فهل تتيسّر ترجمة الأدب ولا سيما الشعر من لغة إلى لغة أخرى ؟ وهل ثمة شروط لنجاح الترجمة ؟ وماهِيَهْ ؟ وهل نجد أمثلة على نجاحها في مختلف اللغات المشهورة ؟ وإلى أي درجة يصحّ كلام الشاعر الألماني «غوتي» حين كتب في مؤلَّفه «الشعر والحقيقة» مامعناه : « أحترم الإيقاع وكذلك القافية • بهما يكون الشعر شعراً • بَيْدَ أن العمق نفسه والإبداع الأصيل والثقافة الحقيقية هي ما يبقى من الشاعر بعد أن يُتَرجَم شعره نثراً • عندئذ يمكث المضمون الصرف • فإن غاب هذا المضمون برز بهرج الشكل تجاه أبصارنا وإذا حضر أخفاه وطواه • » أم نقول على حدّ ادعائنا نحن : إن الفكرة الفنيّة كقطعة من الذهب أو الماس • والشاعر المبدع هو الذي يفطن لها فيصوغها صوغاً ممتازاً فائقاً متأثراً بثقافته ولغته • وعلى المترجم ، بعد أن يردها الى أصلها ، أن يصوغها صوغاً جديداً في اللغة المترجم إليها • وعندئذ يحصل سباق أو مباراة بين المؤلف والمترجم في الإبداع • فقد تفوق الترجمة الأصل في الجمال وقد تتخلف عنه •

ومهما يكن من أمر فإن إقبالاً لم يُتَحْ له من يحسن ترجمة أشعاره خلا الصاوي شعلان مشفوعاً بمحمد حسن الأعظمي • على أنه ربما عالجنا بحث الترجمة بشكل عام في موضوع مستقل مقبل •

والآن هيا بنا نتأمل في بعض ليالينا المظلمة تألق هذا الكوكب المنير في سماء التراث العربي الاسلامي بين بروجٍ لا تعد ولا تحصى من النجوم والكواكب •



في سنة ١٨٧٧ أي قبل نحو مائة عام استقبل الحياة مستهلاً مولود في سِيَلْكوت لأسرة كشميرية الأصل برهمية المحتد ، أسلمت قبل عدة قرون في زمن السلطان زين الدين إلياس بود شاه ، ثم هاجرت إلى البنجاب ذات الطبيعة الفاتنة . وقد جاوبت هذا الاستهلال فرحة أبويه الفاضلين التقيّيْن الشيخ نورمحمد والسيدةإمامبيبي . فرَجَوا أنيكونلهذا الوليد شأن أيُّ شأن . اختارا له اسم محمد إقبال ، ثم عكفا على تنشئته وتربيته كأفضل ماتكون التربية والتنشئة . وفي كل مرحلة من مراحل النمو كان الطفل الناشيء واليافع اللامع يتجاوز في الأصالة والتفكر والعمق والبيان كلَّ ماكان يُقْدَرُ له .

درس في كلية سيلكوت على عالم مشهور كان يشار إليه بالبنان في الأدبين الفارسي والعربي هو شمس العلماء مولانا مير حسن ، ثم انتقل بعدها إلى كلية الحكومة بمدينة لاهور حاضرة بنجاب ، فبرّز بين أقرانه ، وحاز جوائز متعددة . ولمح أستاذه المستشرق السر توماس أرنلد مخايل نبوغه . فلم يكد يتخرّج حتى عهد اليه بتدريس الفلسفة واللغة الانكليزية بالكلية نفسها . ثم هاهو ذا يسافر في تباشير القرن العشرين سنة ١٩٠٥ إلى أوربة شغفاً بالتحصيل العلمي العالي ورغبة في الاطلاع على مظاهر حضارة الغرب . فهو يجاز في الفلسفة من جامعة كمبردج . ثم ينتقل إلى ألمانية فتمنحه جامعة مونيخ شهادة الدكتوراة في الفلسفة . ثم يرجع الى إنكلترة فيحصل على شهادة المحاماة من جامعة لندن . وفي خلال ذلك كله يلقي محاضرات تتلامح فيها بوادر فلسفته العالية . ولم تكن تلك الشهادات كلها شيئاً بالنسبة إلى ينبوع العبقرية الثرّ الأصيل في قلب الفتى . فهو قد

قطف تلك الشهادات كما يقطف المتنزه في طريقه بعض الأزاهير التي تدل على مروره ببعض المعالم •

رجع إقبال من أوربة عام ١٩٠٨ فلقي استقبالاً حافلاً وعرضت عليه مناصب حكومية فأعرض عنها • إنه نزيه ، عفيف النفس ، يقنع بالكفاف ، ويرضى بالميسور ، كما عبر عن ذلك في بيت من ديوانه « رسالة المشرق »، قال :

« أنا لا أتحمّل دلال الملوك ، ولا جرح الإحسان ، يا من انخدعْتَ بالطمع ! انظر إلى همة هذا الفقير • »[1]

وإنما انصرف إلى الفكر والأدب فصنف ديوانين باللغة الفارسية هما « أسرار خودي » و « رموز بيخودي » فنالا إعجاباً عاما • وترجم الأول المستشرق الشهير نيكلسن إلى الانكليزية ، فذاع صيت المؤلف في أوربة وأمريكة • ثم يتوالى الانتاج الفكري وتتلاحق ترجماته • ولعل من أعظم أعماله ديوانه المعروف « بيام مشرق » أي « رسالة المشرق » كتبه مساجلة للشاعر الألماني الكبير « غوتي » الذي ألّف « الديوان الشرقي للمؤلّف الغربي • » وترجم المستشرق الانكليزي أربري ديوان إقبال هذا ترجمة جميلة إلى الانكليزية بعنوان « زنابق سيناء » •

وقد حمله أصدقاؤه على ترشيح نفسه لعضوية المجلس التشريعي في إقليم بنجاب سنة ١٩٢٦ فانتخب عضواً ، وسعى سعياً حثيثاً لتخفيف الضرائب عن كاهل الفلاح الهندي ولإجراء إصلاحات اجتماعية متعددة • ثم انتخب عام ١٩٣١ عضواً في مجلس المائدة المستديرة المنعقد بلندن لإصلاح دستور الهند • وفي رجوعه زار القدس وأوجس مطامع الصهيونية

الماكرة ، كما زار مصر • ثم زار أفغانستان ليشارك فكرياً في تأسيس جامعة كابل • وقام بوجوه من النشاط الاجتماعي والثقافي والسياسي متعددة • وفي غضون ذلك كله لم يفتأ ذلك الصوت العبقري الذي قد رنّ في صدور أبويه مستهلاً يعلو ويسمو ويقوى حتى تجاوب في الآفاق العالمية دانيها وقاصيها • ولكن صاحبه كان يريد أن يبلغه أيضاً مسامع العرب • ذلكم أن عناصر ذلك الصوت إن كانت في الأصل هندية فان جرسها الممتاز وروح نبراتها عربيّان • يقول في ختام قصيدة طويلة رائعة بعنوان شكوى:

أسْمِعْهُمُو يا ربّ ما ألهمتني وأعِدْ إليهمْ يقظة الإيمان
وأذقهم الخمر القديمة إنها عين اليقين وكوثر الرضوان
أنا أعجميّ الدنّ لكن خمرتي صنع الحجاز وكرمها الفينان
إن كان لي نغم الهنود ولحنهم لكنّ هذا الصوت من عدنان

لقد سكر إقبال بمحبة العرب ودينهم ولكنه كان متفتح النفس تجاه الأمم جميعها • فلقد كتب فيما كتب هذه الأبيات في ديوانه « أرمغان حجاز » ينوّه فيها بقدر إيطالية حين مر بها :

« انظروا إلى هذه الأمة تتشبث بأمواج البحر الأبيض المتوسط الزرقاء • إنها تغنّي الآن كالقيثارة وترتفع شامخة كشجرة السرو • »

وقد تُرجِم ديوانه « جاويد نامه » وهو من أنفس الدواوين الى الإيطالية بعنوان « أشعار سماوية » • وذلك أن إقبالاً بارى به شاعر إيطالية «دانتي » في ملهاته المشهورة • وفي عنوان الديوان تورية بابنه جاويد •

لقد قلّ أن يجتمع لإنسانٍ ما اجتمع لإقبال من مواهب فطرية

وعبقرية عالية وثقافة واسعة • كان عالماً ضرب بسهم وافر في ميدان الثقافة الإنسانية الزاخرة ، مطلعاً على تاريخ الفكر الفلسفي الشرقي ولا سيما الإسلامي وخاصة التصوف ، وكذلك على تاريخ الفكر الفلسفي الغربي ، واعياً لمكاسب الفكر الفلسفي الحديث حتى آخر المكاسب العلمية الفكرية • ونحن الذين نفخر بأنّا درّسنا ماراج في العصر الحاضر من عناصر نظرية المعرفة وفلسفة الفيزياء الحديثة وهي التي بدّلت وجه العالم ولا سيما في نهاية الربع الأول من هذا القرن نجد آثاراً لها وإشارات إليها في كتابات إقبال • ونحن نعلم أن إقبالاً قد توفي سنة ١٩٣٨ أي انه لم يغفل عن معالم الفكر الحديثة أيان نجمت وأين برزت •

وكان إلى ذلك شاعراً من أكبر شعراء عصره • بل كان أكبرهم وأوسعهم أفقاً وأعمقهم شعوراً وأشدهم سموّاً • وإذا كان الشعراء يكتبون أشعارهم بلغة واحدة فقد أتيح له أن يكتب أشعاره بالفارسية والأُردية وأن يكتب إلى ذلك بحوثاً فلسفية واجتماعية وسياسية بالانكليزية فضلاً عن معرفته لغات أخرى كالألمانية والفرنسية وإلمامه بالعربية والسنسكريتية •

وهكذا تضافرت الثقافة الواسعة والموهبة الشعرية النادرة والفلسفة المتأملة الواعية والإيمان العميق الدقيق في تكوين هذا المفكر الفيلسوف المصلح الشاعر العظيم •

لا شك أنه في الشعر والفلسفة الفارسيين يأتي متمّماً لأولئك الأفذاذ العالميين أمثال فريد الدين العطار وحافظ الشيرازي وجلال الدين الرومي الذي كان إقبال معجباً به ــ ومن منا لا يعجب بمولانا جلال الدين ؟! ــ وإن كان يختلف عنهم في الاتجاه باختلاف العصر وصروف المجتمع وفي

شؤون أخرى عدّة . كلٌ من أولئك الأعلام ذو شخصية بارزة ومكانة مرموقة في عوالم الشعر والفكر والفلسفة والإبداع ، وإن كان إقبال يبتعد منهم في إلحاحه على فكرة الذات وتفرّدها . وهو في هذا الشأن يقترب من الشيخ محيي الدين بن عربي كما يختلف عنهم جميعاً في الاستفادة من الفكر الحديث ومن مكاسبه .

عاش إقبال في عهد شهد المدّ الأعظم لطغيان القوى الاستعمارية ولا سيما الانكليز ، كما شهد أمام هذا الطغيان غفلة الشرق عامةً والمسلمين خاصةً والعرب بوجه أخص ، ورأى تفرّق هذه الأمم والشعوب جميعاً . لقد نهض عظماء في الشرق وبين المسلمين وفي أكناف العرب أهابوا بالنوّام أن يستيقظوا وبالغافلين أن يتنبّهوا وبالمتفرقين أن يتجمعوا وبالمتواكلين أن يجدّوا ويعملوا . ولكن هيهات لصيحاتٍ قوية مخلصة أن توقظ ملايين الرقود كالأموات من دون تهيئة أسس فكرية ومادّية مكينة ورصينة تجاه حديد الغرب ورصاصه ولؤمه ودخانه . لقد عرف العرب الإصلاح السلفي في محمد بن عبد الوهاب ، والثورة الواعية المتنقّلة في السيّد جمال الدين الأفغاني ، والعلم الديني المستنير المتين في الشيخ محمد عبده، والتنديد بالاستبداد والتفرق في عبد الرحمن الكواكبي ، والوطنية الشابّة المتأججة في مصطفى كامل ، والإخلاص الغيور المصلح في خير الدين التونسي وأمثالهم ؛ كما عرفت الهند بعض زعماء الإصلاح أمثال السيد أحمد خان والسيد أمير علي (كلمة السيد هنا لقب كما هو للافغاني) . فكان أمثال هذين المصلحين إرهاصاً من بعض وجوه النظر بالفيلسوف الشاعر العظيم محمد إقبال .

لقد راع إقبالاً تخلف الشرق المرير بالنسبة لتقدم الغرب المادي كما

راعه سيطرة هذا الغرب الذي رآه بلا قلب على مئات الشعوب وملايين الأفراد فنذر فكره وقلبه وقلمه للإصلاح وللنضال وللتنديد بالغزو وبالاستغلال •

وجد الغرب مفعماً بالنشاط زاخراً بالحركة ولكنه مجرد من المبادىء الخلقية الأصيلة فقير بالحب والايمان ، تكبله قيود المنطق بل تنهشه كالأفاعي • لقد سخّر الطبيعة لأغراضه ، ولكنه أخفق في محو البؤس الإنساني ، بل زاد هذا البؤس في آسية وإفريقيـة وبين شعوب أمريكة وأسترالية العريقة • أمامأساة الشرق فهي النزوع نحو المظهر الخارجي الخلاب الذي يظهر به الغرب لا نحو قدراته العلمية المبدعة • لقد عانى إقبال ما وجده في الشرق والغرب من انفصام فهو يقول :

« في الغرب العقل مصدر الحياة
وفي الشرق الحب قوام الحياة
إنما يدرك العقل الحقائق بالحب
فَيَتْثَبَّتُ مكاسب الحب
انهضوا وأقيموا دعائم عالم جديد
بالتوفيق بين العقل والحب »

وينظر إقبال حوله فلا يكاد يدع مشكلة إلاّ أولاها قبساً من فكره ، وأضاءها بسنا من بيانه •

لقد آذاه استغلال الإقطاعي للفلاح فسعى لتخفيف الضرائب عنه كما أشرنا قبلاً إلى ذلك ، وآذاه استغلال الرأسمالي للعامل أيان كان فناداه منبّهاً على مكانته في الإنتاج مقترنة بوهن حالته :

« أيها العامل الذي ابتلعه الرأسمالي المحتال ! لقد غَبَرَتْ حالتك قروناً على الغصون الواهية .

يدك هي الخالقة للثروة . ومع ذلك تمتد للحصول على الأجر ... لقد أطعمك ساحر الموت أوراق الحشيش ، فظننتها أيها الغافل سكّر النبات . لقد سيطر عليك الرأسمالي بالحيل الماكرة ، فغُلِبْتَ أيها العامل على أمرك بكل سذاجة .

تيقظ لأن أسلوب محفل العالم قد تبدد ، وابْتَدَأ شأنك الآن في الشرق وفي الغرب . »

كذلك آذاه وآده طغيان بعض الحكومات على رعاياها ، وهو الذي أشاد بالحرية وعرف مكانتها في تربية الشعوب فهو يقول :

« إلى اليوم ما يزال الإنسان شر فريسة لصيد الحكام . وإنها لقيامة كبرى أن يبقى الإنسان فريسة الإنسان . »

ويقول أيضاً : « لم يخلق هذا الهيكل الترابي في أول فطرته من تراب الجحيم ولا من تبر الرضوان . ولكن الحياة تخلق بالعمل جحيماً أو جنة . »

أحب إقبال العرب وفتن بلغتهم العظيمة ، ولا غرو فهي لغة القرآن ، لغة السماء زيادةً على كونها لغة العرب . وهو قد شحذ بأفكاره وأشعاره همم الهنود وأجّج بحماسته عزائم الفرس وأطرب بنغماته الكواكب والأفلاك حتى وصلت إلى السماء السابعة . ولكنه تمنّى لو تصل أصوات نايه الرخيم العذب القوي إلى مسامع العرب وتبلغ فحواها قلوبهم ، فيجمعوا شملهم ويعودوا أمّةً واحدة بعد أن صاروا أجزاءً متفرقة

وأباديد ، ويستأنفوا سبيل مجدهم الصاعد • لقد آلمه تفرقهم وتصدُّعُهم منذ ذلك الحين ، فهو يتلهف على جمع شملهم ويناشدهم :

كل شعبٍ قام يبغي نهضةً وأرى بنيانكم منقسما
في قديم الدهر كنتم أمّةً لهف نفسي كيف صرتم أمما

لقد تقطعت أوصال البلاد العربية بعيد الحرب العالمية الأولى وتوزَّعَها الغزاة • وقع بعضها تحت مخالب الانتداب وبعضها في براثن الاستعمار فأصابت إقبالاً صدمة عنيفة ولكنه أبى أن يتشاءم أو يستسلم :

« إن سقط جبل من المآسي على العرب فلا حاجة إلى العويل •
إن الفجر لا يطلّ إلا بعد فناء آلاف النجوم • »

وكل فيلسوفٍ حقٍّ ومصلح كَفِيٍّ لا بدّ من أن يفعم قلبه الأمل :

« أنا بشير زنابق الربيع
يتوقّد ضرام الحب في قلبي
لا تأنفْ مني اليوم إن وجدتني وحيداً
سوف تتوالى قوافل الورد تترى من بعدي • »

حتى في أنقاض الدمار كان إقبال يلمح شعاع أملٍ لحياةٍ جديدة أكثر حركةً وأبهى إشراقاً من الماضي •

لقد شهر عن إقبال أنه شاعر الإسلام وفيلسوفه الكبير الحديث • ولكنه عندنا شاعر العشق وفيلسوف الذات • إنه فيلسوف الانسان وشاعر المحبة الإنسانية • يتجه إلى الانسان ليجلو عن ذاته الصدأ ، ويبثّ فيه روح المحبة والعشق • ونحن يهمّنا أن تتبيّن ولو بإيجاز السبيل الفكري الذي يسلكه في الإصلاح •

إن هذا السبيل هو النفوذ إلى نفس المرء وشحذ مافيها من ذاتيــة مفردة ودفعها في ميدان العمل والرقيّ .

من المعلوم أن سقراط منذ القديم قد اتخذ في الفلسفة شعاراً له وهو « اعرف نفسك بنفسك » . ولما جاء الصوفية المسلمون تجاوز أحدهم وهو يحيى بن معاذ الرازي هذا القول فنوّه أن « من عرف نفسه فقد عرف ربّه . » ونحن نفهم من هذا القول أن سرّ النجاة وإكسير النجاح في غمار الحياة أن يسلك المرء السبيل الذي به يحقق مايحسن من قيمٍ رفيعــة ومجد مؤثّل ، فيستطيع أن يبني ولو حجراً ما في صرح الحضارة الانسانية بتعاضده هو وغيره من الناس حتى يتم الرقي ويطّرد التقدم. ذلكأن الطرق إلى الله بعدد نفوس بني آدم كما أشار الى ذلك صوفي آخر . فالطريق القويم الخاص بكل امرىء هو الذي يستطيع فيه أن يتقن عمله ويحقق جانباً من المعالي ، وإلا كان ضائعاً في ميدان الحياة مسلوباً ، وهو لا يعي أن هذا الميدان هو درب الخلود .

القضية عند إقبال ليست مجرد معرفة فاترة تكشف دون أن تَحْفِزَ ، وتجلو دون أن تدفع . ذلك أن النفس إنما هي في ذاتها نفس بقواهــا الدافعة الحافزة الخلاّقة . أنّيتها حركة دائبة وجهاد متصل وتوتّر ناشط وكفاح مستمر وشعلة متوثبة النور . كل مايحول دون توهجها سفساف قبيح مرذول . وكلّ مايقوّيها ويزيد في نمائها ويزكّيها فهو سامٍ مستحب. لا معنى للحياة إن خلت من العمل والاجتهاد والحركة . ولا خير في حياة تمضي في صمت وسكون واستخذاء . ان الذات لتقوى بتوليد المقاصد وايجاد الرغبات وتجديد الأماني . والغايات الرفيعــة الجميلة تستهوي أصحابها وتبعث فيهم مَعِينَ القوة ورسيس العشق . هنالك شأن اسمه

الخلود .. وهو يتهيأ في أحضان هذه الحياة التي نحياها . يقول إقبال : « غُصْ في البحر وحارب الأمواج فان خلود الحياة في الكفاح . السكون محال في الأرض . انصرام الليل مؤذن بانبلاج الصباح . وانتهاء عهد البراعم بداية لعمر الزهر . كل شيء هنا يتغير ويتبدل . »

ويقول أيضاً :

لقد دفنوا في التراب البذور   فلم تَغْنَ في لحدها الهامد

ولم تنطفىء نارها في الحياة   على طول مرقدها البارد

هذا التوقد الحافز هو العشق . فهو الذي يبعث الرغبات ، ويشعل في القلوب الجمرات . وهو الذي يغذّي الذات ، ويولد فيها سمو المقاصد وتحقيق الغايات . العشق هذا معناه طلبك الشيء لتجعله جزءاً من نفسك. وأسمى صور العشق إبداع القيم . العشق متصل بالذات وبفرديتها . إن العشق يجعل الطالب فريداً والمطلوب فريداً أيضاً . إنك إن طلبت أو عشقت مقصداً وتمنّيته فإن غيره لا يرضيك ولا يقنعك ولا ينقع غُلّتك. وهكذا يبدو ما تطلبه وتقصده فريداً في ذاته . إنه في إفراده مثلك تماماً ، لا يقوم غيره مقامه في إرضائك . والعشق هو الطاقة التي تحطم القيود ، وتتجاوز السدود ، وتتغلب على الحدود . والذات العاشقة تتجاوز الزمان والمكان . إنها قلم القضاء ومصداق القدر .

وهكذا يتصل في فكر إقبال العشق المتّقد بالعلم المنير . العلم يستدعي السؤالات ، ويدرك الصفات . والعشق يقتحم العقبات ، ويشهد الذات ، ويولّد المعجزات ، ويرفع الانسان فوق النجوم النيّرات .

ولا يتمّ هذا دون مراحل ولا بغير شروط . ففي البـدء تنشأ في الذات المقاصد ، وتتولد الرغبات ، وتبرعم الآمال . ثم تدخل الذات ميدان النضال ومضمار الجد والكفاح . وفي غمرة الكفاح والجد والنضال تتسلح بالمبادىء السامية ، وتهتدي بالإيمان العميق . فتضبط شهواتها ، وتشذب نزعاتها ، وتهذب طباعها ، وتوحّد اتجاهها . أوليس الرسول العظيم قـد قال لأصحابه حين قدم من غزاة : « رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر . قالوا : وما الجهاد الأكبر ؟ قال : جهاد النفس » .

وهنا لا بد من أن نقف فينة عند هذا الأثر وإن كان في تخريجه بعض العلل[٢] . نوضح فحواه إيضاحاً ينسجم مع ما أراده إقبـال . وعندئذ نوكد بالاستطراد المناسب مقصد الفيلسوف الشاعر دون أن نخرج من دائرة أفكاره .

يتضمن لفظ الجهاد اعتماد القوة في تغيير الواقع : واقع النفوس الباطن وواقع الحياة الخارجية . ولمـا كانت الأديان ثورة على الفسـاد وإحلالاً للنظام والوحدة لزم أن تتضمن تعاليمها اعتماد القوة في ذلك . لم تكن المسيحية كلها سلاماً . فلقد جاء في إنجيل متى قول السيد المسيح : « لا تظنوا أني جئت لألقي على الأرض سلاماً . لم آت لألقي سلاماً لكن سيفا »[٣] . وفي تاريخ المسيحية بالعصور الوسطى شـواهد على ذلك صارخة . وكذلك غيرها من الملل . ذلك أن الانسان قد يضطر إلى حمل السلاح دفعاً للظلم وتحقيقاً للعدل وحفاظاً على الكرامة الإنسانية . وقـد نشأ في العصر الحاضر التفريق بين الحرب العادلة والحـرب الغاشمة . فالحرب والعدة والسلاح أمور خارجية لقهر المعتدين والمفسدين وكذلك هي رمز لقهر الانسان العدوّ الكامن في نفسه وهو التشتت والهـوى

والنزعات الفاسدة حتى يحل بها النظام والعدالة والوحدة • فنهاية الحربين الخارجية والباطنة السلام • وانما اشتق الإسلام من السلام وهو غاية النفس والمجتمع • وهكذا يبدو حرب الأعداء أمراً يسيراً بالنسبة لحرب شتات النفوس وتوزعها • لأنه متى توحدت النفوس وساورها النظام والعدالة سهل التغلب على العدو الخارجي • ولهذا جاز استعمال لفظ الجهاد في الميدانين واعتبار جهاد النفس الجهاد الأكبر ، كما جاز اعتماد السلاح رمزاً للموعظة الحسنة والكلم الطيّب • وقد اشتق العرب من مادة فصل : الفيصل للسيف ، والمفصل بكسر الميم للسان • وقالوا : قول فصل ، وفصل الخطاب، وحكم فيصل• وجاء في أساس البلاغة « رب كلامٍ بالمِفصل أشد من كِلامٍ بالمِقصل » • وقالوا : سيف" مِقصل" أي قطاع ، ولسان مقصل أي حديد ذرب • وعندنا كذلك أن حمل الخطيب على منبر الجمعة أحياناً سيفاً من الخشب رمز لقوة الكلمة • وهذا قائم في طبيعة الأشياء • ويؤيّد صحة الرمز والاستعارة هذين عامة" ما جاء أيضاً في رؤيا القديس يوحنا « وفي يده اليمنى سبعة كواكب ومن فيه يخرج سيف صارم ذو حدين »(٤) ، وكذلك « ومن فيه يخرج سيف صارم ذو حدين ليضرب به الأمم • »(٥) فالسيف الخارج من الفم لا معنى له إلا الكلم • ووصفه ذا حدّين اشارة الى قوة البناء وقوة التدمير فيه •

وعندنا أن إقبالاً" وعى كل الوعي مكانة البيان فنذر نفسه للشعر والفلسفة يدمّر الفاسد ويبني الصحيح في نفس الإنسان متوجهاً إلى كيانه الذاتي ، منسجماً مع مبدإ جهاد النفس •

وإذا ظفر هذا الجهاد وجرى كل امرىءٍ على هذه الأصول تضافرت الجهود وتلاقت الأعمال وتحول التشتت إلى التناسق والتفرق إلى التوافق

وصار التجزؤ والانقسام إلى الوحدة والالتئام ، وسهل حلّ جميع العقد المنيعة المطلب والصعبة المرام • ذلك هو ملتقى الكمال للعلم والقوة وتلك نقطة الاتصال بين الفكر والعمل والعاطفة والعقل ، عندئذٍ تتهيأ للانسان خلافة الأرض • وهنا نجد فيلسوف الذات يرفع قدر الإنسان وينوه بعظمته الفكرية ونشأته الروحية ، ويوقع عليه المسؤولية الفردية والاجتماعية في تنظيم هذا العالم ، وذلك بالحرية الواعية الهادية والذاتية المتقدة والسمو المبدع :

أما أنا فلست أدري	ري أين يعلو نظري
أنا تراب غير أنّ	الشمس دون جوهري

الإنسان إذن مسؤول في الحياة • هو صانع ذاته بالعمل والبناء والنضال والإتقان • وهو مدمرها بالتواكل والتكاسل والإهمال • إنه يكافح إذا عرف ذاته وجوهره ليسمو فوق كل من العالم الذي صنعه الانسان والعالم الذي خلقه الله • إنه جلاء هذا العالم وإنسان عينه على حد تعبير الصوفي الكبير محيي الدين بن عربي • يتخيّل إقبال حواراً ممتعاً بين الله والانسان ليظهر سناً من السر الالهي في العالم • يخاطب الله الانسان : « أنا خلقت العالم من الماء والصلصال كما خلقتك • وأنت خلقت الحواجز الجغرافية لإيران وتركية والتتر وغيرها • جعلت أنا الفاكهة تنبت من التراب ، واخترعت أنت السيف والقوس والنشاب • أهْويت أنت على براعم الحديقة بالفأس • حبست أنت الطيور الصداحة في الأقفاص • »

ويجيب الانسان : رباه !

الليل أنت خلقته	وأنا الذي اخترع السراج
والطين أنت صنعته	فجعلت منه أنا الزجاج

والبيـد والغـابات صنـعك والجبال الشاهقات
منهـا جعلت أنا الحـدا ئق والجنـان الزاهرات
وأنا الـذي من صخرها صقل المـرايا اللامعات
وجعلت مـن سـم الأفا عي الرقش أنواع العلاج

فهل كان الإنسان مستحقاً للخلافة حين حمل الأمانة ؟

إن الأصالة ليست الانقطاع عن الأصل • يأبى ذلك اللفظ العربي كما يأباه جذر مقابله الأجنبي originalité , originality • وهي ليست تكراراً للأصل وإلا غدت نسخاً ، ولا تشويهاً له وإلا انقلبت مسخاً ، ولا انحداراً بصوره الرائعة إلى صور حائلة زائلة وإلا آلت فسخاً ، ولا جموداً ساكناً كالصخور الصم وإلا آلت رسخاً • بل هي نسغ يتخلق من الأصل ، ويندفع بالعشق في الذات ، ويعلو بالفكر ، ويسمو بالنضال • ولعل شخصية إقبال مثال حي على هذه الأصالة الرائعة العالية •

حسبنا في ختام هذا الحديث أن نوضح ما نقصد إليه عن طريق فنه العظيم • ذلك أنه لم يتخل عن مضامين التراث التي وعاها ، ولا رفض قيم الحضارة الحديثة التي اطلع عليها • وإنما كان وفياً لمطالب الحياة المستجدة ، أميناً على خزائن التراث الرفيعة • وإذا لهج بعض الفلسفات الفنية الحديثة بفكرة « الالتزام » فانا لنجد فنه من أوله إلى آخره ملتزماً بحب الانسان والسعي لإسعاده أيان كان • ينوه برفعته ، ويشيد بسموه ، ويوجهه إلى أنبل الغايات وأعلى المقاصد •

وهو في أساليب تعبيره عن ذلك لا يقطع الصلة بين تشوف الحاضر وصور الماضي • هل أذكر عنوانات كتبه : رسالة المشرق ، زبور العجم ،

تحفة الحجاز ، جناح جبريل ، الرسالة الخالدة ؟! أو أذكر بعض القطع الشعرية الوجدانية الرقيقة مثل صدر الشاعر ، الحكمة والشعر ، العالم بلا قلب ، ميلاد آدم ، خمرة الشوق ، النهر ، قيمة الخطر ، الوجود والعدم، مأدبة العشق ، كلمة الحب ؟

لأورد ترجمة هذه القطعة الصغيرة « كلمة الحب » ذات الصور المحسوسة المتسلسلة يروي بعضها الخبر عن بعض ، وكأنها لمعان البرق . يقول إقبال :

« عندي خبر هذه الكلمة . هي جذوة القلب . هي سرٌّ وليست بسر . أنا أنبئك بمن سمعها وأين سمعها . لقد سرقها الندى من السماء ، وأوحى بها إلى الوردة ، وسمعها البلبل من الوردة ، وحملها نسيم الصبا من البلبل . »

كل قصائد إقبال جديرة بالعرض السليم والشرح الدقيق . ولكني أتجاوزها لأنوّه بتعبير أصيل غدا متداولاً بين شعراء الشرق قديماً والغرب حديثاً ، وهو تشبيه النفس الإنسانية التي تَشَوَّقُها أنوار المعالي بالفراشة تطوف بالسراج المتقد المتلألىء . فكما أن الفراشة تطوف حول النور المتوهج ثم ترمي بنفسها فيه لتحترق وتضيء ، كذلك النفس في سعيها نحو المعالي تحترق مأخوذة بسنا المثل العليا .

ثمة أمثلة متعددة على ذلك عند سعدي الشيرازي وحافظ الشيرازي وفريد الدين العطار . وقد تناقل الباحثون التصوير البارع الذي صوّره قديماً أحمد الغزالي أخو أبي حامد الغزالي صاحب الإحياء . وهو أن الفراشة تطوف عاشقة للنور . ولكن لهيب الشمعة ينعطف نحوها فيصطلمها ويتغذّى بها .

وهكذا يصبح العاشق قوتاً لمعشوقه ، وليس المعشوق قوتاً لعاشقه .

وقد جاء الشاعر الألماني المشهور « غوتي » فاهتدى بأساليب شعراء العرب والفرس واطلع على اللغتين العربية والفارسية ، وسمّى إحدى مجموعاته الشعرية « الديوان الشرقي للمؤلّف الغربي » وقد سبقت الإشارة إليه . كتب في هذا الديوان قصيدة بعنوان « الشوق السعيد »(٦) اتخذ فيها الفراشة رمزاً للذي يعشق النور ويحترق به ليتحوّل إنساناً أيّ إنسان ، لا مجرد طيف يغمره الظلام .

ولما جاء إقبال نفخ مع « بهار » أمير الشعراء الفرس لعهده في الشعر الفارسي روحاً فكرية قوية جديدة ، وكذلك بثّ في الشعر الأردي أسراراً جديدة . وقد عبّر أوجز تعبير عن حكاية الفراشة المحترقة . فهو يصرّح بأنها تحترق لتصبح هي نفسها شعلة مضيئة كالشمعة نفسها . هذا هو الوصال الحقيقي . ولحظة الاحتراق أفضل من العيش أعواماً دونه :

أحب احتراقي بنار اشتياقي — ولا أرتضي عيشة الخاملين
فناء الفراشة في النار يعلو — حياة الجبان طوال السنين

ويقول أيضاً :

معنى احتراق القلب في الإخلاص أنّ القلب يصبح كله أنوارا
ولقد تحوّلت الفراشة شعلةً — لما أن احترقت فصارت نارا

هذا الاحتراق هو احتراق الحب ، الحب المسكر المصطلم ، حب

الإنسان لأخيه الإنسان حتى لا يكون في الأرض ظلم ولا استغلال ولا طغيان ٠

ينشد إقبال ثملاً بهذا الحب :

لم ألقَ في هذا الوجود سعادةً ... كمودّة الإنسان للإنسان
لما سكرت بخمرها القدسيّ لم ... أحتجْ إلى تلك التي في الحان

دمشق **عبد الكريم اليافي**

* * *

(١) كل مانستشهد به ههنا شعرا أو نثرا فهو مترجم وأفضل ترجمات اقبال الى العربية شعرا هي للصاوي علي شعلان ومحمد حسن الاعظمي كما سبق ذكره ٠ وهي أكثر ما اعتمدناه في المقال ، كما اعتمدنا بعض ما ترجم له نثرا بالعربية ٠

(٢) ورد في بعض الروايات جهاد القلب بدلا من جهاد النفس ، كما أغفل بعضها هذين اللفظين ٠ ذكر الحديث الغزالي في كتابه « احياء علوم الدين » في فصل « بيان أمثلة القلب مع جنوده الباطنة » من كتاب شرح عجائب القلب ٠ قال العراقي مخرج أحاديث الاحياء : « أخرجه البيهقي من حديث جابر ، وقال هذا اسناد فيه ضعف ٠ » انظر أيضا « كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الاحاديث على السنة الناس » للعجلوني الجراحي ، رقم الحديث فيه ١٣٦٢ ٠ والحديث الضعيف الاسناد قد يكون متنه حسنا ومعناه قريبا من معدن النبوة ؛ يستشهد به للفائدة والموعظة الحسنة ، ولكن لا يتعلق به حكم شرعي ٠ هذا ، وقد بلغ علم الحديث في الحضارة العربية الاسلامية درجة قصوى من الكمال والاتقان ٠

(٣) الفصل العاشر ٣٤

(٤) الفصل الاول ١٦

(٥) الفصل التاسع عشر ١٥

(٦) انظر القصيدة مترجمة نثرا في الديوان المذكور الذي نقله الى العربية الدكتور عبد الرحمن بدوي ، والقصيدة نفسها مترجمة شعرا في ذيل كتابنا « الشموع والقناديل في الشعر العربي » ٠

نظرة تحليلية

لمصادر العلاقات العربية الخزرية

الدكتور عبد المنعم مختار أمين

يجد الدارس في وقتنا هـذا صعوبات جمة عنـد محاولته دراسة المصادر الاصلية للعلاقات العربية الخزرية ، والسبب في ذلك يرجع الى طبيعة المصادر الفارسية والتركية المترجمـة من العربيـة ، وكذلك الى التضارب بينها وبين أصولها العربية. وتتركز تلك المصادر العربية والمعربة في الحوليات العربية وكتب الجغرافيين العرب ، وفي تلك الترجمات التي تمت بواسطة مترجمين لهم صلة وثيقة بحقل الاحداث العربية الخزرية ، ومن أهم تلك المصادر كتاب الفتوح لابي محمد بن احمد بن عَثْمة الكوفي الذي لا يزال مخطوطا حتى اليوم[١] . وقد وصلت أخباره الينا في القرن الماضي عندما جاء ذكره في كتاب « دربند نامه » الذي نشره ميرزا قاسم بك في روسيا عـام ١٨٥١ ، وكذلك عندما ذكره زكي وليـدي طوغـان[٢] ، كما وأن أكديس كورات التركي نشر دراسة عن أهمية كتاب الفتـوح لابن عثمة الكوفي في تاريخ آسيا الوسطى والخزر .[٣]

والى جانب هؤلاء قام المؤرخ الاثري الروسي أوتامونوف في عام ١٩٣٧ بنشر كتاب عن الخزر اعتمد فيه على المصادر المحلية الروسية التي تتناول تاريخ الخزر من وجهة نظر روسية بحتة • وقد جانبه الصواب في كثير من الاحيان لعدم تفهمه للروايات العربية[٤] • وفي عام ١٩٥٤ نشر دانلوب كتابا عن تاريخ الخزر اليهود[٥] ولكنه للاسف اعتمد بالاساس على كتاب أرتامونوف دون أن يحيل اليه إذ ذكره في هوامشه ثلاث مرات فقط[٦] • وكان استخدام هذين المؤرخين للمصادر العربية والتركية والفارسية عن طريق وسيط أي عن طريق تراجمها باللغات الاوربية •

وقد شارك الاستاذ المجري كارل سفليدي في مجال الدراسات هذه ، فأعاد نشر كتاب ابن فضلان من جديد معقبا على ما نشره زكي وليدي طوغان • ويرجع اليه الفضل في الدراسات التي حلّل فيها النصوص التاريخية القديمة وغير العربية عن التاريخ الخزري في عهوده المبكرة[٧] • وتشكل أبحاثه حجر الزاوية لأي دارس للموضوع وللاسف لا يعرفه الكثير من مؤرخي الغرب •

ومما لا شك فيه ان دراسة هذا الموضوع تستدعي الرجوع الى العديد من الروايات والمصادر ومحاولة تحليل كل منها على انفراد ثم القيام بمقابلات مقارنة بينها مع الاستعانة بتلك الترجمات بالنسبة لكل حدث أو واقعة تاريخية وبهذا يقترب الدارس رويداً رويداً نحو لب الحقيقة •

ومن الواضح أن المصادر الارمينية والجورجية والاذربيجانية والبيزنطية والعبرية ذات دور هام في جلاء بعض التفاصيل التي تبدو غامضة في الروايات العربية وتفسح الطريق أمام التحليلات اللغوية والتاريخية للاسماء والاعلام والمواقع الخ •[٨]

وهدف هذه الدراسة تعبيد الطريق وتمهيده بدارسة تحليلية للمصادر العربية والاسلامية المتوافرة لدينا بغزارة ، ولتوضيح الغموض الذي أحاط ببعض الأشخاص والأحداث • ويرجع هذا الغموض بالأساس الى اختلاف سبل تقديم الاحداث التي تناولت العلاقات العربية الخزرية • فقد اتجه المؤرخون المسلمون نحو مدرستين معروفتين في تسجيل الاحداث احداها مدرسة الحوليات رغم ما تتصف به من أخطاء بسبب تقطيع مجرى الحدث الواحد ونشره خلال عدة سنوات والثانية هي المدرسة الموضوعية التي تجمع الاحداث في وحدة موضوعية تاريخية كانت أو مكانية وتجيء فيها تفاصيل الحدث الواحد متتالية بنفس ترتيبها التاريخي دون ذكر تاريخ وقوعها • وأخيراً هناك مدرسة الجغرافيين المسلمين وهي فريدة من نوعها وتتركز أساسا على نهج موضوعي ولا تخضع لمنهج الحوليات السائد بين مؤرخي العرب •

أما دراستنا هذه فتقسم مصادرها الى ثلاث مجموعات طبقا لمنهجها :

١) ــ المدرسة الحولية : الطبري والمتوفى عام ٣١٠ هـ ــ ٩٢٣ م • وابن عَثمة الكوفي توفي عام ٩٢٩ م وابن الاثير وتوفي عام ٦٣٠ هـ ــ ١٢٣٤ م ، والذهبي توفي عام ٧٤٨ هـ ــ ١٣٤٧ م وأخيراً ابن تغري بردي المتوفي في عام ٨٧٤ هـ ــ ١٤٦٩ م •

٢) ــ المدرسة الموضوعية : اليعقوبي وتوفي بعد عام ٢٩٢ هـ أو عام ٨٩٧ م •

٣) ــ البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ــ ٨٩٢ م وهو جغرافي كتب في الفتوح •

وسنحاول التوفيق بين روايات المدرستين ــ فيما يخص أحداث

الحرب الخزرية العربية ـ وبين تلك التراجم التي قام بها البلعمي للطبري[٩] وغيره من المترجمين الفرس والاتراك الذين اتجهوا نحو مدرسة البلعمي في الترجمة[١٠] ، ثم نقارن ونقابل بين ابن الأثير وابن عثمة من جهة وبين ابن الأثير والبلعمي ودربند نامه من جهة اخرى ، ثم بين البلعمي وبين دربند نامه التي نشرها ميرزا قاسم بك ودورن • بيد ان التراجم التركية بلهجاتها والفارسية للطبري لا تنطابق أحداثها وتفاصيلها اذا قورنت بما جاء بالاصول العربية ، بل نجد ان تلك التراجم قد أصابها الاطناب والاضافات والتعليقات • ولو قابلنا بين ابن الاثير ـ وهو قد أتخذ الطبري اساسا لكتابه كما ذكر بنفسه ـ وبين البلعمي والتراجم التي تمت باللهجات التركية لكتابه والتي نشرها دورن وزوتنبرج ، وكذلك للاقتباسات التي أخذت عنه في دربند نامه نجد بينهم تقارباً يكاد يكون تاماً • وهذا ما يؤكد لنا الريبة في أنهما قد رجعا بالاساس الى نسخة ما من تاريخ الطبري كانت في وقتها أكمل نسخة وغير مخرومة أو ناقصة أو موجزة •[١١]

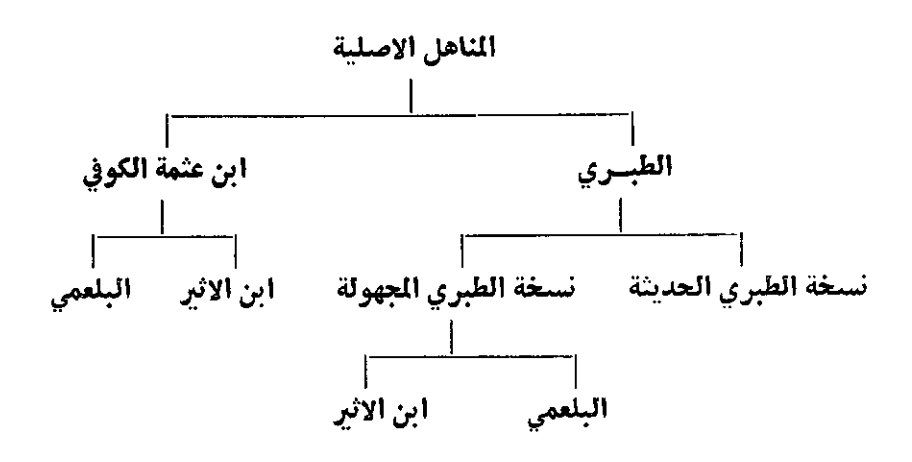
ولو قمنا بالمقارنة والمطابقة بين ابن الأثير والطبري المترجم للفارسية والذي نشره زوتنبرج ثم التراجم التركية لها في دربند نامه لوجدنا اتفاقا يكاد يكون تاما بين مجرى الاحداث بها وفي تفاصيلها •

وأخيراً لو أجرينا المقابلة بين تلك الروايات التي نشرت لمخطوطة ابن عثمة الكوفي وبين الاحداث التاريخية عامة ، لوجدنا ان هناك تقاربا بينها وبين كلٍّ من روايات ابن الاثير وروايات ترجمتي البلعمي التركية والفارسية ••[١٢]

ونخرج بأن ابن عثمة الكوفي والطبري اللذين كانا متعاصرين ، قد رجعا في مؤلفيهما الى مناهل وموارد وأصول واحدة لم يبقها الزمن وهذا

يقودنا الى الاعتقاد بأنه كان للطبري نسخة من كتابه وقد استعان بها البلعمي استعانة تامة ونقلها برمتها ومنها أخذ كذلك ابن الأثير • وكانت هذه النسخة معروفة خلال تلك الايام وحتى القرن السادس الهجري ، لاننا نجد الكثير من مؤرخي هذه الفترة وبالاخص ابن عساكر وابن حُبيش ، قد أخذا منها الكثير • ومن هذه النسخة أخذ كذلك الكثيرون من مؤرخي العصور المتأخرة • وللاسف فان هذه النسخة في شكلها الاصلي مجهولة لدينا • اما النسخة المخرومة الناقصة الموجزة فقد استعان بها محققو الطبري لاخراج مؤلفه مطبوعا في عصرنا الحديث[١٣] •

يبين الشكل التالي تسلسل الإسناد في هذه المصادر



ومن هذا التسلسل يمكننا التصور بأن نسخة كتاب الطبري المفقودة كانت الاصل الذي اعتمد عليه البلعمي في ترجمته الفارسية بالقرن العاشر، ويؤكد هذه الحقيقة اتفاق نسختي البلعمي (الفارسية والتركية) اتفاقا تاما[١٤] وكذلك مع دربند نامه بأشكالها ولهجاتها المختلفة •[١٥]

وانطلاقا من هذا فان مناهل روايات الطبري لدى ابن الأثير كانت تنصب بالاساس في النسخة المفقودة ولم تكن مأخوذة من الترجمة الفارسية للبلعمي وذلك لان كل الروايات (حتى المترجمة) عربية اللغة والتركيب اللغوي بها يتصل الى حد كبير باسلوبها[١٥] . ومما لا شك فيه ان نشر كتاب ابن عثمة الكوفي سيزيل الغموض وسيساعد على توضيح الكثير من الاحداث المتعلقة بتاريخ العلاقات الخزرية العربية ، اذ انه كان معاصراً للطبري ونهل من نفس مناهله وموارده . وكما هو واضح فقد استعمل كلاهما نفس المصادر الاساسية . وهذا ما سيبرز لنا حقيقة مصادر روايات البلعمي ، وهل هي حقا مستقاة من الطبري مباشرة ؟ هذا في الوقت الذي لا توجد فيه لدينا نسخة مخطوطة كاملة للطبري تحتوي على هذه الروايات والاحداث سوى ما ذكره لنا ابن الأثير في انه قد استعان بالطبري بشكل أساسي ، وسيوضح ذلك لنا ماهية أصول ومصادر ابن الأثير نفسه .

ومما يؤسف له حقاً أن المؤرخ دورن ، رغم معرفته بالاصل العربي لكتاب « فتوح البلدان » لابن عثمة الكوفي[١٦] وكذلك بترجمتها الفارسية التي تمت في القرن الثالث عشر في عهد السلطان محمد خوارزم شاه والتي ترجمها أحمد بن أبي بكر الكاتب المسمى رضي الدين الروسي ، فهو لم يستعن ، او يستفد ، بها استفادة كاملة فيما نشره عن ترجمات الطبري بالتركية والفارسية ، وكذلك في نقده وعرضه لدربند نامه[١٧] فهو لو استعان بها لوجد التقارب والتطابق بين الاحداث التي شارك فيها مروان بن محمد في القوقاز لدى ابن الأثير وبحوض نهر الفولغا

لدى البلعمي ودربند نامه ، ولاستطاع أن يكشف الغموض عن غزوات مروان بن محمد وتاريخها في حوض الفولغا •

ومؤرخو العلاقات الخزرية العربية اليوم ومنهم دانلوب وأرتامونوف ومن قبلهما دورن وكلابروث ، كانوا للاسف يستخدمون الروايات العربية والنصوص المترجمة من العربية دون اي نظرة فاحصة مدققة فيما يجمع بين هذه الروايات • وأدّى ذلك الى وقوع التناقضات فيما كتبوه عن بعض الاحداث التي لم يتم حتى اليوم جلاء غموضها • ويكمن السبب في ذلك أن التراجم الفارسية والتركية للروايات العربية قد جاء بها الكثير من التفاصيل الجغرافية وهي غير موجودة بالاصول العربية المترجم عنها • كما وترتب على استخدامهم لروايات أخذت من مصادر تتسم بالطابع الموضوعي ــ بصرف النظر عن عدم التدقيق في تلك الروايات وتحقيقها ــ ترتب عليه إخلالهم بالتسلسل التاريخي للاحداث(١٨) وذلك لعدم قيامهم بفرز تلك الروايات واخراج الاحداث كل منها في وقته وزمانه • هذا الى جانب مزاوجتهم بين بعض الروايات التي جاءت عرضاً في نصوص عامة لا تدور حول بعض الاشخاص ــ وانما جاءت عنهم عرضا ــ مع تلك الروايات الموضوعية ، ومحاولتهم عقب ذلك استقراء تفاصيل أحداث عامة والخروج بتأريخٍ لها ، وهذا ما جعلهم يُخِلّون باصول التسلسل والتتابع التاريخي •

وقد خبر هؤلاء ــ ومن بينهم دانلوب وارتامونوف ــ روايات ابن الاثير واستخدموها ، وللاسف لم يفهموا المنهج التاريخي الذي اتبعه ابن الاثير ، وهذا ما أدى الى حدوث العديد من المشاكل في تأريخهم الاحداث • والواضح ان ابن الأثير كان له منهج فريد ، فهو كان يقوم

بذكر العديد من الاحداث خلال عام ما ثم يعود من جديد فيذكر تفاصيل تلك الاحداث طبقا لموقعها التاريخي وعلى سنوات متتالية . والذي دفع ابن الأثير الى اتخاذ هذا المنهج اعتماده الكلي على حوليات الطبري التي كانت تجزيء الحدث الواحد وتذكره طبقا لوقوعه في سنين متعددة .

ولتفهم ابن الاثير لا بد من الرجوع الى قوله في هذا الصدد في مقدمة كتابه اذ يقول « فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الامام ابو جعفر الطبري ، اذ هو الكتاب المعول عند الكافة عليه ، والمرجوع عند الاختلاف اليه ، فأخذت ما فيه من جميع تراجمه لم أخل بترجمة واحدة منها . وقد ذكر هو في اكثر الحوادث روايات ذوات عدد ، كل رواية منها تزيد عن التي قبلها او أقل منها وربما زاد الشيء اليسير أو نقصه ، فقصدت أتمّ الروايات فنقلتها وأضفت اليها من غيرها ما ليس فيها وأودعت كل شيء في مكانه فجاء جميع ما في تلك الحادثة على اختلاف طرقها سياقاً واحداً على ما تراه ... »(١٩)

ونحن لو حاولنا المقارنة والمطابقة بين أحداث ثلاثين عاما من تأريخ الحروب العربية الخزرية الثانية لدى كل من الطبري وابن الاثير ، لخرجنا بنتيجة واضحة اذ نجد أن الاسلوب وتسلسل الاحداث بل وتركيب الكلمات بالجمل يكاد يكون واحدا في بعض الاحداث لدى الطبري وابن الاثير .(٢٠) غير أن ابن الاثير كان يطنب في كثير من الاحيان في تفاصيله ، ويرجع ذلك الى انه كان يأخذ روايات الطبري الكاملة ويحاول ان يرتق الفجوات ويكمل النواقص بها بما يأخذه من المصادر التي رجع اليها الطبري نفسه . وفي هذا يقول ابن الاثير :

« فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها واضفت منها الى ما نقلته من تاريخ الطبري ما ليس فيه ووضعت كل شيء منها موضعه ، الا ما يتعلق بما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ فاني لم أضف الى ما نقله أبو جعفر شيئا الا ما فيه زيادة بيان أو اسم انسان او ما لا يطعن على أحد منهم من نقله ••• »[٢١]

وبالطبع فان تلك المقارنات ستكون تامة اذا كانت بين ترجمات الطبري وابن الاثير • فلو قارنا بين روايات ابن الاثير وترجمات البلعمي للطبري ، نجد أن هناك خلافاً بسيطاً بينها وهو خلاف يمكن تبريره على أساسين اولهما : أن يكون البلعمي قد اعتمد على ابن الاثير اعتمادا كليا ؛ وهذا غير ممكن تاريخياً وثانيهما أن يكون قد اعتمد اعتمادا كليا على مخطوطة الطبري غير المعروفة لنا وهذا هو الارجح • ومما يؤكد ذلك أن محقق الطبعة الاوربية للطبري قدم العديد من التعليقات على نسخ مخطوطة الطبري التي لجأ اليها في تحقيق الكتاب ، وهذه التعليقات تؤيد هذا الرأي[٢٢] •

وبالرجوع الى تسلسل الأسناد حول الروايات التي وردت لدى المؤرخين ، تظهر أمامنا مجموعات من التسلسل ، توحي بأن هناك فعلا نسخة مفقودة للطبري سبق أن استعان بها البلعمي وابن الاثير وعنهما تمت جميع التراجم الفارسية والتركية كما هو واضح في كل ما نشره زوتنبرج ودورن وكلابروث وميرزا قاسم بك •

وقد اعتمد محقق الطبري ــ طبعة ليدن ــ اعتمادا أساسيا على ابن الاثير وذلك بسبب سوء نسخ المخطوطة لديه ، ونقل تراجم وأحداثاً كثيرة لانها كانت بالاساس منقولة عن الطبري نفسه وهي أدق من تراجم

وأحداث النسخ المخطوطة المتوفرة لديه كما اعتمد على تراجم ابن حبيش لأحداث فتوح الشام والعراق والجزيرة بل ونقل الجزء الثاني من مخطوطة ابن حبيش باخطائها الاملائية والتصحيف في الاسماء ـ بسبب سوء مخطوطة ليدن ـ على أساس أنها روايات للطبري[٢٣] • وكثيرا ما كان يكمل ـ عن طريقهما ـ ما يعتقد أنه خرم وسقط من روايات الطبري ، غير أنه اتبع منهج الطبري الحولي فقطّع كثيراً من روايات الطبري لدى ابن الاثير وابن حبيش وذكرها في سنّيها •

ويوضح لنا ابن الاثير بقية منهجه فيتابع قوله :

« ورأيتهم أيضا يذكرون الحادث الواحد في سنين ويذكرون فيه في كل شهر أشياء فتأتي الحادثة مقطعة لا يحصل منها على غرض ولا تفهم الا بعد امعان النظر ، فجمعت أنا الحادثة في موضع واحد وذكرت كل شيء فيها في أي شهر او سنة كانت فأتت متناسقة متتابعة قد أخذ بعضها برقاب بعض ، وذكرت في كل سنة وكل حادثة كبيرة مشهورة ترجمة تخصصها • أمّا الحوادث الصغار التي لا يحتمل منها كل شيء ترجمة فانني أفردت لجميعها ترجمة واحدة في آخر كل سنة ، فأقول : ذكر عدة حوادث »[٢٤] •

غير أننا لا يمكن أن نجري أية مطابقة ومقارنة دقيقة بين روايات الحوليات التي تدور حول الاحداث السابقة بدون الاستعانة بروايات اليعقوبي والبلاذري وياقوت ، اذ سنتناولهم بالتدقيق في موقع آخر • وكل الذي يهمنا في روايات هؤلاء هو تقطيع تفاصيل رواياتهم والمقابلة بينها وبين الروايات المختلفة لاحداث الحرب العربية الخزرية • وسنتناول بعض الاحداث الغامضة التي نتجت عن جهل بعض مؤرخي اليوم بالمنهج

الذي اتبع في تأريخ الروايات والاحداث التي استعانوا بها في كتابة مؤلفاتهم •

ومن أهم المشاكل الباقية بدون استجلاء مشكلة سعيد بن عمرو الحرشي والجراح بن عبد الله الحكمي ومروان بن محمد وتدور حول التاريخ الصحيح لتولي كل منهم منصبه وكذلك عدد مرات توليها وكذلك مشكلة تأريخ بعض الاحداث ومنها « غزوة الطين » • فقد اعتمد كلٌ من أرتامونوف ودانلوب على روايات موضوعية الطابع[٢٥] بصرف النظر عن عدم تدقيقهما في نظراتهما اليهـا ــ وهـذا أدى الى اخلالهما بتسلسل الاحداث • وذلك لانهما استخدما بعض الروايات الحولية لترقيع فجوات في روايات موضوعية غير مؤرخة بقصد ايضاحها[٢٦] • فقد اعتمدا على بعض جمل عرضية تحدثت عن سعيد بن عمرو الحرشي ومسلمة بن عبدالملك، وهي كانت جزءاً من نص لا يـدور عنهما بالاسـاس بل عن أحـداث أخرى ، ومحاولتهما الربط بينها وبين رواية اخرى حولية عنهما ، أي سعيد ومسلمة ، وكل ذلك بهدف الربط بين بقية النص الذي لا يتناول دور سعيد ابن عمرو الحرشي وبين هذه الرواية الحولية • وقد أدى ذلك الى تقديم بعض الاحداث التاريخية بصفة خاصة والى تأخير الاخرى بضع سنين • وكل هذا لكي تتفق تفاصيل الاحداث مع الجمل العرضية ومع الوقت الذي وضعاه لتولية سعيد بن عمرو الحرشي منصبه • اي انهما اعتمدا على تفاصيل عرضية لرواية موضوعية لا تاريخ واضحاً لأحداثها ، وحاولا إكسابها الصفة التأريخية بدمجها في رواية اخرى حولية واضحة التأريخ وذلك بهدف وضع سعيد بن عمرو الحرشي داخل اطار تاريخي معين[٢٧] • وقد نتج عن ذلك الاخلال بتأريخ تولية مسلمة بن عبد الملك ومروان بن

محمد لمنصبيهما كما أدى الى ازاحة بعض الحوادث عن مكانها والى تكرار تولية سعيد بن عمرو الحرشي •

وقد اعتمد دانلوب وأرتامونوف على روايات موضوعية وجغرافية في اثبات ما فرضاه عن سعيد بن عمرو الحرشي ، فقد لجآ الى رواية البلاذري التي تقول : « ثم ولى هشام بن عبد الملك سعيد الحرشي فأقام بالثغر سنتين ثم ولى الثغر مروان بن محمد • »[٢٨] وكانت هذه الرواية دون تأريخ وحاولا الربط بينها وبين رواية للبلعمي هي كذلك بدون تأريخ[٢٩] وتجاهلا الأسباب التي دفعت المؤرخين الى ذكر سعيد بن عمرو الحرشي وملابسات ذلك • فالبلاذري كان يتحدث حديثا عاما عن فتوح أرمينية ـ وقد لعبت الاحداث لديه الدور الرئيسي ـ ولم يكن للاشخاص ومواقفهم بتلك الاحداث أهمية لديه • ففي نفس الوقت الذي ذكر فيه البلاذري في مقدمة روايته قوله : « قالوا » • وهذا له معناه الخاص عند البلاذري المؤرخ المدقق • وكانت رواية البلاذري التي جاءت بها الجملة العارضة تتحدث عن مروان بن محمد عندما كان قائدا تابعا لمسلمة بن عبد الملك • وكان ذلك في عام ١١٠ هـ (٧٢٨ م) اي وقت غزوة الطين • « وكان مسلمة في ذلك الوقت يتولى امارة البلاد في الفترة قبل الاخيرة كأمير لأرمينية أي في الفترة الواقعة بين ١٠٧ ـ ١١٠ هـ[٣٠] وهذا مادعا البلاذري لتدارك الامر بقوله : « ثم ان هشام بن عبد الملك ولى مسلمة بن عبد الملك أرمينية ووجه على مقدمته سعيد بن عمرو الحرشي ومعه اسحاق بن مسلم العقيلي واخوته • »[٣١]

وقد ذكر البلاذري روايته السابقة عقب أحداث عام ١١٢ هـ والتي استشهد فيها الجراح بن عبد الله الحكمي وفي عقبها قام سعيد بن عمرو الحرشي بنشاطه الحربي كقائد تابع لمسلمة بن عبد الملك ، ذلك النشاط

الذي أغضب قائده العام لتعريضه المسلمين للخطر فعاقبه على ذلك وسجنه. غير أن رواية البلاذري هذه قد اختلطت أحداثها اختلاطا لا يتناسق مع السياق التأريخي للاحداث ، اذ أنها كانت تتناول الفترة التاريخية الواقعة بين فترتي ولاية مسلمة على ارمينية اي فيما بين عامي ١٠٧ ــ ١١٠ هـ وبين عام ١١٤ هـ عندما تولى مسلمة الامارة من جديد . وهذا ما يجعلنا لا نثق بتسلسل الاحداث فيها . وكان يمكنهما الاستفادة من تلك الرواية بعد اعادة تقطيعها وترتيبها بشكل جديد مع الاستعانة بالروايات الحولية المماثلة والتي تناولت تفاصيل مشابهة لما جاء برواية البلاذري ، ثم اعادة تركيبها داخل اطارها التاريخي المناسب .[٣٢]

وكان هدف أرتامونوف ودانلوب اثبات واقع لا يتمشى مع التسلسل التاريخي لذلك حاولا التوفيق بين رواية البلاذري هذه وبين رواية اخرى للبلعمي[٣٣] وقد جاء بها ذكر سعيد بن عمرو بصفة عرضية وبدون ذكر تاريخ ، وقد كان البلعمي يتحدث عن نشاط مسلمة بن عبد الملك بالاساس وتعرض لكل من سعيد بن عمرو ومروان بن محمد بصفتهما من أتباع مسلمة ويقول : « وفي الربيع قام هشام بعزل مروان من مكانه (طبعا كأحد قواد الجبهة وليس كأمير) وبعث محله سعيد بن عمرو الحرشي الذي اتخذ باب الابواب مقرا له ... فأخذ يجاهد ويباشر الغزوات دونما راحة فأصيب بالعمى ، فأبلغ الخليفة بما حدث له فاستدعاه هشام وبعث مروان ابن محمد .. »[٣٤]

ورواية البلعمي هذه عن سعيد بن عمرو رواية نادرة فريدة لم يتناولها بالذكر اي مؤرخ عربي ولا بنفس إفاضتها . وبمقارنة روايات ابن الاثير والبلعمي عن أحداث هذه الفترة نجد بأن الروايات تتفق اتفاقاً

تاماً في دقة تفاصيلها ، غير ان ابن الاثير يصمت عن ذكر موضوع سعيد بن عمرو هذا .. وقد جانب البلعمي الصواب عند قيامه بالترجمة واضافته الى روايات الطبري نصوصا لا توجد فيها مثل روايته السابقة عن سعيد بن عمرو وعن مروان بن محمد[٣٥] . بيد أن الروايات التي ربطت بين مسلمة وقواده سعيد بن عمرو ومروان بن محمد كانت روايات للبلاذري واليعقوبي[٣٦] اللذين ذكرا بالدقة انهما كانا تابعين لمسلمة .... واستعانة البلعمي بروايتي البلاذري واليعقوبي لاضافة تفاصيل على رواية الطبري كانت عملاً أخلّ بتسلسل الاحداث اذ يفهم منها بأن كليهما قد عُيِّن أميراً على البلاد وقد يكون عزل مروان بن محمد من منصبه وتعيين سعيد بن عمرو بصفتهما قواداً فقط .

غير ان دانلوب وأرتامونوف استعانا بدربند نامه لتأكيد الروايات التي اعتمدا عليها ، ولتأكيد تاريخ تولية هذين ، وبذلك قاما بتزييف الواقع إذ أن دربند نامه التي تعتمد اعتمادا كليا على ترجمة البلعمي للطبري قامت بتأخير الاحداث بها ما بين ٤ ــ ٥ سنوات ، ولهذا السبب وضعا تأريخاً لتعيين مروان بن محمد كأمير فعلي للبلاد في عام ١١٧ هـ[٣٧] . ونجد صدى لهذه الرواية في ترجمات الطبري لدى البلعمي وفي الترجمة الجغطائية التركية وكذلك في دربند نامه التي نشرها ميرزا قاسم بك[٣٨] .

غير ان جميع الروايات العربية الموثوق بها ومن بينها الطبري نفسه الذي اخذ عنه البلعمي ، تتفق في ان سعيد بن عمرو الحرشي قد عُيِّن عقب استشهاد الجراح عام ١١٢ هـ على مقدمة مسلمة بن عبد الملك وانه وصل الاقليم قبل وصول مسلمة نفسه للإعداد للعمليات الحربية .. كما ان هذه

المراجع ، التي اعتمدت بالاساس على الطبري ، لم تذكر اي شيء عن عزل مروان بن محمد وتولية سعيد الا لدى البلعمي ودربند نامه •

وقد ترتب على ذلك إخلالهما اخلالاً كبيراً بترتيب وتوالي الاحداث، فلو أنهما لم يهملا التدقيق والتحليل للروايات لظهر لهما جليا ان عدم الدقة يرجع الى استخدامهما الروايات الموضوعية كأساس لبنيان المادة التاريخية بعد تطعيمها بتفاصيل لا تتفق مع الواقع ولا تتفق مع معطيات المصادر العربية •

والواقع ان المصادر التركية والفارسية وترجمات البلعمي كلها قد قدمت لنا روايات متضاربة لم تجمع على كون سعيد بن عمرو والياً لأرمينية بل انها كذلك لم تجمع على أية تفاصيل عن لقاء سعيد بن عمرو مع قائده العام مسلمة بن عبد الملك ولكنها تتفق في موضوع عقاب مسلمة لسعيد • وكذلك تضاربت في المكان الذي تم فيه لقاؤهما وهل هو في شيروان او في باب الابواب (دربند)[٣٩] •

وقد أبرزت طبعات دربند نامه التي نشرها كل من ميرزا قاسم بك وكلابروث وأخيرا الطبعة المنقحة التي نشرها دورن ، ابرزت وصول مسلمة الى الثغر ومقابلته لسعيد • وقد تضاربت هذه الروايات فمنها ما تجاهل ذكر سعيد ومنها ما ذكر سعيداً ولو قابلنا ذلك مع رواية الطبري لدى البلعمي في طبعتي زوينتبرج ودورن[٤٠] لتبين لنا مدى اختلاف تلك الترجمات كلها رغم انها ترجع لرواية واحدة للطبري •

١) ــ لم تذكر رواية الطبري بدربند نامه بأن مسلمة دعا اليه سعيداً عندما وصل الى برذعة وانما تمت المقابلة في شيروان •

« بس مسلمة بيآمد وبزمين جون سعيد ... »[٤١]

٢) ــ ونجد نفس الرواية عند دورن في ما نشره لدربند نامه وهي اكثر افاضة :

« بس مسلمة كيلدي شروان بريدين اشخاص قيليب جرشي كيلدي » وهي اكمل الروايات[٤٢] .

٣) ــ وفي رواية اخرى عند دورن باللهجة الجاغطائية لا يأتي ذكر سعيد بن عمرو ، وهي :

« بس مسلمة جريك بيلان قرغان ايشيكيكا توشتي شروان يريكا » ..[٤٣]

٤) ــ بينما تتفق رواية البعلمي مع النص الاول بدربند نامه :
« بس مسلمة بيآمد بزمين شروان جون سعيد . »[٤٤]

٥) ــ وفي رواية اخرى باللغة الجغطائية للبلعمي لا يرد بها اي شيء عن سعيد ولكنها تبين بأن مسلمة دخل مع جيشه شيروان وأقام في حصنها .

« بس مسلمة لشكر بكشيد وبزمين شيروان بردر قلعة فرود آمد »[٤٥]

٦) ــ اما ميرزا قاسم بك فانه يقترح بأن يكون النص الاصلي للطبري الذي ترجم واستفيد منه في جميع الروايات :

« مسلمة شيروانده بر قلعية در شوب »[٤٦]

وعلى سبيل المثال أتينا بجملة واحدة في رواية أصلية للطبري وبينّا

كيف ترجمت بأشكال مختلفة لدى البلعمي ودربند نامه •• والعجيب اننا لو رجعنا لطبعات الطبري الحديثة لا نجد اي ذكر لأي شيء من هذا •

أمّا ما جاء في ابن الاثير عن الموضوع فهو :

« واستعمل (يقصد هشام) اخاه مسلمة بن عبد الملك على أرمينية وأذربيجان فوصل الى البلاد وسار الى الترك في شتاء شديد حتى جاز البلاد في آثارهم • »(٤٧)

بينما يذكر البلاذري الحادث على النحو التالي : « أتاه (أي سعيد) كتاب مسلمة بن عبد الملك يلومه على قتاله الخزر قبل قدومه ويعلمه انه قد ولى امر عسكره عبد الملك بن مسلم العقيلي ••• »(٤٨)

اما اليعقوبي فيذكر : « فأغضبه ذلك وكتب اليه يلومه وعزله وصير مكانه عبد الملك بن مسلم العقيلي •• وقدم مسلمة البلد واحضر الحرشي •• »(٤٩)

ومن هنا نرى بأن رواية الطبري الاصلية لا يوجد ذكر لها في طبعاته الحديثة ولا لدى ابن الاثير الذي تنقصه بعض التفاصيل وروايته هذه التي تتفق مع رواية الطبري باللغة الجاغطائية لدى دورن لم يأت فيها ذكر سعيد على الاطلاق(٥٠) •

ولو ان كلاً من ارتامونوف ودانلوب قابلا بين النصوص المترجمة للطبري لدى البلعمي فقط ومثيلاتها في دربند نامه والتراجم الاخرى وبين روايات الطبري وابن الاثير العربية لاتضحت لهما حقائق كثيرة منها ان تلك التفاصيل والايضاحات الجغرافية قد دُسَّت في المتن التركي والفارسي عن طريق المترجمين • ولاتضحت لهما أن تلك الاضافات نقلت عن طريق الطبري وأضيفت اليه بواسطة البلعمي نقلا عن اليعقوبي والبلاذري •

والغريب أنه في الوقت الذي استعان فيه أرتامونوف ودانلوب بابن الاثير في كتابه أحداث الحروب العربية الخزرية الثانية ، فانهما لم يتفهما منهجه الذي ينصب في تجميع أحداث سنوات متعددة لموضوع واحد • وقد نقلا عنه أحداثا كان قد أجملها تحت عام واحد في الوقت الذي تمت فيه الاحداث في عدة سنوات • فازداد اضطرابهما عندما وصلا بعد ذلك الى الاعوام التالية من الحولية ـ والتي أعاد فيها ابن الاثير ذكر بعض التفاصيل التي سبق وأوضحها من قبل ـ فأخذا بها فتكررت لديهما أحداث عديدة ومنها أمر سعيد بن عمرو • ولهذا عجزا عن حل الغموض الذي واجههما ، فهما لو تابعا قول ابن الاثير في منهجه لاتضح لهما خطأهما:

ويتابع ابن الاثير قوله :

« واذا ذكرت بعض من تبع وملك في قطر من البلاد ولم تطل أيامه فانني أذكر جميع حاله من أوله الى آخره عند ابتداء ذكره لانه اذا تفرق خبره لم يعرف للجهل به •• وذكرتُ في آخر كل سنة من توفي بها •• »(٥١)

وكما يبدو فان البلعمي قد اتبع نفس المنهج الذي سار عليه ابن الاثير فيما بعد ولكنه لم يصل الى الدقة المنهاجية التي بلغها ابن الاثير ، ويرجع السبب في ذلك ان كتاب البلعمي قد صيغ في شكل تراجم موضوعية يتناول فيها الحدث الواحد حتى نهايته •

وسنتناول الموضوع التالي بالتحليل ويعرف بـ « واقعة الطين » والتي أحلها كل من دانلوب وارتامونوف في عام ١١٤ هـ لجهلهما بمنهج مصادرهما(٥٢) • بينما اجمعت المراجع العربية على ان واقعة الطين كانت في عام ١١٠ هـ (٧٢٨ م) ولا نجد في اقدم المصادر العربية ، اي اليعقوبي والبلاذري ، ذكر اي تفاصيل ذات أهمية عن الواقعة غير ان ذلك لا يقلل

من اهمية رواياتهم ، فهما قد قدّما ــ في مواضع اخرى ــ تفاصيل لم تأت بها المراجع العربية الاخرى • وقد ذكر اربعة من المؤرخين عام ١١٠ هـ على انه العام الذي تمت فيه الواقعة وكان من بينهما اثنان فقط هما اللذان سميا الموقعة باسمها ، بينما ذكر الآخران أحداث هذه الواقعة بالتفصيل الذي يساعدنا على ترجيح انها موقعة الطين نفسها •

يجمل الطبري أحداث عام ١١٠ هـ بقوله : « فمّما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك الترك (الخزر) سار اليهم نحو باب اللان حتى لقي خاقان في جموعه ، فاقتتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد ، فهزم الله خاقان فانصرف ، فرجع مسلمة فسلك على مسجد ذي القرنين •• »(٥٣)

اما ابن الاثير فقد أتى برواية تتفق اتفاقا لفظيا يكاد يكون تاما مع رواية الطبري ويقول : « وفيها غزا مسلمة الترك من باب اللان فلقي خاقان في جموعه فاقتتلوا قريبا من شهر وأصابهم مطر شديد فانهزم خاقان وانصرف ، ورجع مسلمة فسلك على مسلك ذي القرنين •• »(٥٤)

اما الذهبي فقد اورد في احداث ١١٠ هـ رواية دقيقة تقول :

« وفيها كانت وقعة الطين التي التقى فيها مسلمة وطاغية الخزر بقرب باب الابواب فاقتتلوا اياما كثيرة ثم كان النصر لله الحمد وذلك في جمادى الاخرة • »(٥٥)

بينما ذكر ابن تغري بردي رواية مشابهة ولكنها ادق تفصيلا وهي : « فيها غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الخزر وتسمى هذه الغزوة « غزوة الطين » والتقى مسلمة مع ملك الخزر واقتتلوا اياما وكانت ملحمة عظيمة هزم الله فيها الكفار في سابع جمادى الاخرة » • اي ١٧ سبتمبر ٧٢٨م(٥٦)•

اما ميرزا قاسم بك في دربند نامه فانه يعلق على ما جاء بالاحـداث ـ والمعروف ان دربند نامه قد قدمت الاحداث ٤ ـ ٥ سنوات ـ ويستنكر رواية كاتب شلبي عن غزوة الطين عام ١١٠ والتي يقول فيها[٥٧] « وقعت طين درميان مسلمة وخزر در باب الابواب وهشام حكومت اذربيجـان وشيروان وشماخي راية مسلمة برا در خودار زاني داشـت ومسلمة باستقلال تام بآت ولايقانده از دربند .. »[٥٨] ويحاول ان يجعل تلك الغزوة في عام ١١٣ معتمدا على ترجمة تركية للطبري تذكر بأن غزوة الطين كانت بعد تولية عمرو بن سعيد للمرة الثانية في ١١٢ هـ[٥٩] غير ان تفاصيل سير أحداث غزوة ١١٠ هـ تتفق الى حد كبير لدى المؤرخين الخمسة ، ولكن هناك خلافاً بسيطاً يدور حول مكان المعركـة . فهي لدى كاتب شلبي والذهبي في باب الابواب بينما هي عند ابن الاثير في باب اللان في الوقت الذي لا يذكر فيه ابن تغري بردي مكانها على الاطلاق .

وقد رأى أرتامونوف ان يلزم الصمت ولا يتدخل في الجدل الذي دار حول هذه الغزوة فلم يذكر عنها شيئا ذا اهمية . ولما كان دانلوب يعتمد اعتمادا كليا على البلعمي ، فانه وقع في سلسلة اخطاء بسبب محاولته التوفيق بين روايات البلعمي والطبري وابن الاثير لاحداث ١١٠ هـ الا انه يتجاهل ان البلعمي هو مترجم للطبري الذي ينفي فيه هو نفسه ان تكون المعركة في ١١٠ هـ ، وحاول جعل موقعة الطين في ١١٤ هـ وبذلك تجاهل بقية الروايات التي تؤكد ذلك الواقع .

وقاده الى ذلك الزعم اعتماده على رواية البلعمي التي تناولت ذكر الواقعة : « وقد سميت هذه الغزوة التي كانت بالشتاء بغزوة الطين لسقوط المطر الشديد ، وقد عمد مروان في هذه الغزوة الى قطع ذيول الخيل لعلوق

الطين بها » .[٦١] وبما ان ذكر مروان جاء بهذه الرواية لذلك جعله قائدا للحملة وأميرا على البلاد . متجاهلا بذلك الروايات التي تذكر بأن مروان كان احد قواد مسلمة مثله مثل سعيد بن عمرو الحرشي . ولكي يؤكد هذا الزعم فانه رجع الى رواية للطبري وغيره تفيد بأن مروان بن محمد قد ولي أمر أرمينيا وأذربيجان في ١١٤ هـ[٦٢] . ومن هنا خرج الى القول بأن واقعة الطين لا بد وان تكون في عام ١١٤ وليس في عام ١١٠ هـ حين كان مروان احد قواد مسلمة . ورغم ان الرواية السابقة كانت للطبري ونقلها البلعمي وقد تناولت بالذكر عدة احداث وفيها ذكر عودة مسلمة الى الشام وتركه امارة الجيش وقيادته الى مروان الذي خاض موقعة الطين وعقبها عزل هشامُ بن عبد الملك مروانَ بن محمد وبعث محله سعيد بن عمرو . ورغم ان تلك الرواية لم تذكر اي تاريخ للاحداث السالفة الذكر ، نجد ان دانلوب يعتمد عليها كاطار تاريخي اساسيّ يرقّعه بتواريخ من مصادر اخرى ، يتفق سياقها مع رواية البلعمي .

وترجع هفوات البلعمي الى انه لم يكن واضحا امامه امر تعيين سعيد بن عمرو ومروان بن محمد كقائدين تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك. ويقول البلعمي في روايته التالية (ويعتقد دانلوب بانها كانت في عام ١١٢)[٦٣] « ان هشام بن عبد الملك ولى سعيد بن عمرو الحرشي امارة ارمينية وأرسل اليه فيما بعد بتوليته مسلمة بن عبد الملك على امارة ارمينية ، وان مسلمة قام بعقاب سعيد بن عمرو بعد وصوله للبلاد . (وفي عام ١١٤ كما يعتقد دانلوب) قام هشام بعزل مسلمة بن عبد الملك فقام مسلمة قبل مغادرته البلاد بتعيين حكام للمقاطعات وكلف مروان بن محمد بتولي القيادة . وعقب عودة مسلمة ، دخل مروان بن محمد في معارك مع

الخزر واثناء ارتداده الى قاعدته بباب الابواب واجه الخزر في معركة الطين ٠٠ »[٦٤]

وعند حلول الربيع استدعى هشام بن عبد الملك مروان وأرسل بدلا منه سعيد بن عمرو الحرشي ٠٠[٦٥] تلك هي الرواية التي اعتمد عليها دانلوب ثم يتابع الاحداث وينقل عن البلاذري رواية لا تتفق والاطار التاريخي للاحداث « ثم ولى هشام بعد مسلمة سعيداً الحرشي فأقام بالثغر سنتين ثم ولى الثغر مروان بن محمد ٠٠ »[٦٦] وعلى هذا الاساس فقد اكد دانلوب اعتقاده بأن مروان بن محمد قد عين في ١١٧ هـ[٦٧] ٠

غير ان المرجع العربية ــ ومنها الطبري الذي هو اساس ترجماته ــ لا تتفق مع تفسير دانلوب للبلعمي ذلك التفسير الذي استعمل فيه عملية ترقيع لا تتفق مع تاريخ الاحداث أو تفاصيلها ٠

فالواضح ان هشاماً بعث في عام ١١٢ هـ سعيد بن عمرو الى البلاد لينظم عملية الانتقام لاستشهاد الجراح ، في نفس الوقت عين أميرا جديدا بدلا من الشهيد فعين مسلمة بن عبد الملك اميرا على البلاد[٦٨] ٠ غير ان مسلمة قام بعقاب سعيد بن عمرو كما سبق وذكره ، الا ان هشاماً تدخل لاطلاق سراح سعيد وترضيته[٦٩] ٠ وفي تلك الاثناء كان مروان بن محمد في خدمة مسلمة كأحد قواده ومن المعتقد ان سعيداً قام بعد اطلاق سراحه ــ والمراجع العربية تؤكد ذلك ــ بالعمل لمدة عامين تحت قيادة مسلمة بن عبد الملك، مثله مثل مروان بن محمد٠ ورغم ان المصادر العربية قد ذكرت بأن مروان بن محمد قد صار أميرا على ارمينية في ١١٤ هـ ، الا انها صمتت عن ذكر اية رواية تتشابه ملابساتها مع احداث غزوة الطين في ١١٠ هـ[٧٠]

كما وان نفس المصادر عندما تحدثت عن واقعة الطين لم تأت بأي ذكر عن ان مروان بن محمد كان له فيها اي دور .

ورغم ان اليعقوبي والبلاذري قد صمتا عن ذكر موقعة الطين وتجاهلاها فانهما ذكرا ان مروان بن محمد وسعيد بن عمرو الحرشي كانا في عداد قواد مسلمة بن عبد الملك ، فيقولان : « ثم ان هشام بن عبد الملك ولّى مسلمة بن عبد الملك ارمينية ووجه على مقدمته سعيد بن عمرو بن اسود الحرشي وكان مروان بن محمد مع مسلمة وواقع معه الخزر فأبلى بلاءً حسناً وقاتل قتالا شديدا »(٧١) . « وولى هشام مسلمة بن عبد الملك ارمينية واذربيجان سنة ١٠٧ هـ فوجه سعيد بن عمرو الحرشي على مقدمته .. وكان مع مسلمة جماعة من ملوك البلدان التي فتحها فجعل مروان بن محمد على مقدمته ، فلقي القوم فأقام يقاتلهم اياما وربما فقد فيقال لمسلمة : قتل مروان ، فيقول اما والله دون ان يسلم عليه بالخلافة .. »(٧٢)

ورغم ان روايتهما لم تكن مؤرخة فانه بتحليل تفاصيل الاحداث لديهما نصل الى التاريخ الصحيح الذي وقعت فيه هذه الاحداث وانها كانت في عام ١١٠ هـ .

وبما ان الروايات العربية الاخرى قد ذكرت بأن غزوة الطين كانت في عام ١١٠ هـ وحيث ان البلعمي والمصادر الجورجية تذكر تلك الغزوة وان مروان بن محمد كان يقودها ، وبالاستناد الى سياق ما ذكره اليعقوبي عن دور مروان في ساقة مسلمة ، نخرج الى حقيقة ان مروان نفسه قد يكون قد قام بهذه الغزوة كقائد من قواد مسلمة في عام ١١٠ هـ وليس

بصفته أميراً على الاقاليم القوقازية سيما وان رواية اليعقوبي قد ذكرت تاريخ تولية مسلمة على البلاد[٧٣] •

وقد ذكر الطبري وابن الاثير عند ذكرهما احداث هذه الواقعة التي تمت في عام ١١٠ هـ بأن مسلمة بن عبد الملك قد عاد الى قاعدته عبر ما يسمى بمسجد ذي القرنين لدى الطبري[٧٤] ومسلك ذي القرنين عند ابن الاثير[٧٥] •

وللاسف فان دنلوب لم يحاول مناقشة وتحليل هذه الرواية والتدقيق في المكان الذي عاد مسلمة عن طريقه ، بل اخذ برواية ماركويه في ان مسجد ذي القرنين كان مركزا لاحد الامراء الجورجيين وطبقا لذلك كان مرور مروان به في عام ١١٤[٧٦] •

وبتحليل اصول روايات الطبري وبالرجوع الى ملاحظات ناشر ومحقق طبعة ليدن للطبري[٧٧] فاننا نتمسك بما جاء عند ابن الاثير : أي مسلك ذي القرنين • وقد ذكر محقق الطبري بانه قد حقق رواية الطبري هذه عن وقعة الطين من عدة مراجع متنوعة لان تلك الرواية لديه بمخطوطته الاساسية كانت مخرومة وناقصة وممزقة ، هذا الى جانب التحريف والاخطاء السائدة في بقية نسخ المخطوطة ولان « مسلك » قد تحورت الى صيغ عديدة جعلته يختار من بينها مسجد • ورغم انه رتق هذا النقص وسد الثغرات من ابن الاثير الا انه ابقى كلمة مسجد رغم ان مخطوطة الجزائر للطبري جاء بها ذكر مسلك[٧٨] • ونحن نتمسك بما جاء بابن الاثير اي : فسلك مسلك ذي القرنين لان هذه الجملة مركبة تركيبا لفظيا صحيحا بخلاف جملة الطبري « فسلك على مسجد ذي القرنين » لانها مضطربة

لغويا وكان أجدى به أن يحققها على الشكل الاتي « فمر على مسجد ذي القرنين » لان السلوك يعني المرور خلال ممر او طريق ٠

ومسلك ذي القرنين تدعمه الاساطير القديمة التي تتحدث عن سد ذي القرنين وهو ما يعرف باسم سد الاسكندر ، وهو غير سده الاصغر الذي يمتد من الجبال حتى مدينة باب الابواب ٠

وقد جاء في دربند نامه عن السد أنه اقيم في العصور القديمة بواسطة ذي القرنين ليصبح الحد الفاصل بين دولتي الفرس والخزر ٠ وانه قد بنى عليه مدينة ٠ « ٠٠ جواب (خاقان) يابازديلركه اسكندر ذو القرنين احداث ايدن سد ايكي دولتين اراسنده صنور اولوب شهر تعمير ايللسرنلر ٠٠ » ٠٠(٧٩)

وهناك رواية اخرى تقول : ذكر المؤرخون بأن خطاب الخاقان عندما وصل الى قباذشاه اصدر أوامره الى كبار دولته لكي يجمعوا رعاياه من جميع الانحاء ومنهم المعماريين المهرة والعمال الاشداء واموالا عظيمة يصاحبهم جيش كبير مكون من ١٠ الاف رجل وذلك لبناء ذلك الجانب من السد وسد الثغرات وبناء مدينة هناك : « راوي اخبار بيلة ديركه نامه خاقان قبادنك حضورينه وارد اولند نصكره اوزننك اعيان لرينه فرمان ايلدي كه جوخ خزينة آلوب مهندس بيشة لوا ولان معمارلر وصاحب وقوف اولان فعلة لر اطراف وجوانبده اولان رعايا لرون جمع ايدوب او من مين قشوان ايله كيدوب اسكندرنك سدى نك بوطر فندي سده متصل بر عظيم شهر تعمير ايدوب منه معلوم ايده سز ٠ »(٨٠)

اما دورن فقد ذكر بأن ملك الفرس قباذ اراد ان يرمم السور الذي

جاء ذكره بالتوراة والذي بناه الاسكندر ذو القرنين تحت ارشاد جبريل عليه السلام « قباذ باد شاه باروبا يماغة قصد ايتدي توريه ايجنده شمس (ينمش) ايدي كه نجه كره جبريل عليه السلام •• اشارتى برله بويرده اسكندر ذو القرنين سد جكوب ايدي ديوب بويرده قازديلر اسكي بارو ظاهر اوله كه • »[٨١]

وجاء برواية أخرى بدربند نامه بأن سد ذي القرنين يمتد من بحر الخزر الى البحر الاسود وهو يمتد من السور جنوبي مدينة دربند ويلتحم بالجبل حتى باب اللان وان هـذا الجزء الاول من السور يسمى بسد الاسكندر الاصغر[٨٢] •

ولما كان العرب يسمون اسكندر الاكبر بذي القرنين ، فان مسلك ذي القرنين لا بد وان يكون قد استعير من هذا الاسم ، وهذا ما يؤكد بأن السد الموجود هناك ـ طبقا للمعطيات التاريخية ـ قد بناه الاسكندر الاكبر • ومن الاكيد ان مسلك ذي القرنين انما هو احد ممرات جبال القوقاز الذي كان يتصل بالسد • وبمقارنة الروايات العربية والجورجية نخرج بأن هذا المسلك هو ممر كودور المعروف بممر داريل او باب اللان •

صنعاء ١٩٧٩

دكتور عبد المنعم مختار
شعبة الدراسات القوقازية ـ جامعة بودابست

المراجـــع :

١) ابن عثمة الكوفي : كتاب فتوح البلدان نسخة مخطوطة في مكتبة سراي باستامبول تحت رقم تاريخ ٢٩٥٦ . وصحة اسمه ابن عثمة نسبة الى عثمة باليمن .

2) MIRZA A. KAZEM BEG : DERBEND-NAMEH or The History of DERBEND. S. Petersburg 1961 .

اختصاره : دربند نامه .

3) ZAKI WALIDI ROGAN : IBN FADLAN'S REISEBERICHT in Abhandlungen fur die Kunde der Morgenlandes.; XXIV (1939) .

4) Akdes N. Kurat : Abu Muhammed Ahmed b. Acthma al-Küfi Kitab al-Futuh and its importance concerning the Arab Conquest in Centeral Asia and the Khazars; Ankara 1948 .

5) ARTAMONOV : Ocherki Drevneishi Istorii KHAZAR, Leningrad 1937 .

واختصاره : ارتامونوف

6) DUNLOP D.M : THE HISTORY OF THE JEWISH KHAZARS. New Jersy 1954 .

واختصاره : دانلوب

7) CZEGLEDY KAROLY : A Korai Kazar Tortenelmi Forrasainak Kritikajahoz , Budapest. Hung. Acadamy , vol. XV. t. 1—2 .

— Kaukazusi Hunok, Kaukazusi Avarok, Studia Antiqua, II Budapest 1955 .

— Khazar Raids in Transcaucasia in A.D : 762—764, Acta Orient. Hung. Tomus XI. Fasc. 1—3, Budapest 1960 .

— TERMATZOIS, Acta Antiqua Hung. Ac. Tom. X. fasc. 1 — 3 Budapest 1962 .

— Ibn Fadlan : Act. Orien. Hung .

8) LEVOND : Histoire Armeniens, ed. Sahnazarean, -? M. Brosset : Collection D' Historiens Armeniens,
S. Petersbourg, 1874 .

BROSSET M: Histoire de la Geogie, S. Petersbourg 1849—51
MOSES KALINKTAVSI ed. Teflis ?
TOUMANOF : Le Museon , LXV. 1952 .

9) ZOTENBERG H : Chronique De Tabari , traduite : par BALCAMI Paris 1858 .

واختصاره : زوتنبرج : بلعمي

10) DORN B : Nachrichen Uber Die Ghazaren, Chronicle BALC AMI, S. Petersburg 1944 .

واختصاره : دورن : بلعمي

11) DORN. B : Beitrage Zur Geschichte Der Kaukasischen Lander Und Volker Aus Morgenlandische Quellen; S. Petersburg 1840 .

واختصاره : دورن : دربند نامه

بخصوص مسلمة قارن دربند نامه : صفحات ١٨٥ ـ ١٨٨ وقارن دورن البلعمي : صفحات ٢٨٣ ـ ٢٨٦ .

وبخصوص مروان بن محمد : دربند نامه : صفحات ١٩٠ ـ ١٩٣ ودورن البلعمي : صفحات ٢٨٨ ـ ٢٩٢ ودورن دربند نامه ٥٥١ ـ ٥٧٤ وابن الاثير : جزء ٥ صفحات ٦١ ـ ٧٣ .

١٢) ابن عثمة الكوفي : المخطوطة لوحات ١٦٨ ب / ١٩٤ ب ، زوتنبرج البلعمي : ص ٢٨٨ ـ ٢٩١ ثم دورن دربندنامه : صفحات ٥٤٥ ـ ٥٤٦ و ٥٧٢ ـ ٥٧٤ ، بلاذري : صفحات ٢٠٩ ـ ٢١٠ وابن الاثير : جزء ٥ صفحة ١٢١

١٣) الطبري : طبعة ليدن المقدمة صفحة ٦٣ لاتيني

١٤) قارن بين زوتنبرج البلعمي ، ودورن البلعمي : احداث الجراح ومسلمة والحرشي ومروان بن محمد .

١٥) قارن دربند نامه لدى ميرزا قاسم وكلابروت ولدى دورن بصدد احداث واقعة الطين . ولدى الطبري : ١٥٠٦ جزء ٢ وابن الاثير : جزء ٥ صفحة ٦١

١٦) مقدمة دورن البلعمي وتعليقاته على نشاط مروان بن محمد .

١٧) دورن البلعمي : في الموضوع نفسه .

١٨) انظر دورن البلعمي : ص ٢٢٨ ، اليعقوبي : جزء ٢ صفحة ٣١٧ والبلاذري : صفحات ٢٠٨ ـ ٢٠٩ بالنسبة لمروان والحرشي . وانظر اليعقوبي : جزء ٢ ص ٢١٣ والبلاذري : ص ٢٠٨ زوتنبرج البلعمي : ص ٢٧٤ . ويمكن اجراء مقابلات لغوية مع معظم النصوص تقريبا حيث تتشابه في التركيب العربي .

١٩) ابن الاثير : مقدمة الجزء الاول ص ١ .

٢٠) ابن الاثير : جزء ٥ ص ٦١ ، طبري : جزء ٢ ص ١٥٠٦ وغيره من الموضوعات .

٢١) ابن الاثير : مقدمة الجزء الاول .

٢٢) انظر الطبري : جزء ٢ ص ١٥٠٦ وابن الاثير : جزء ٥ ص ٦١ .

٢٣) قارن مخطوطة ابن حبيش نسخة ليدن مع المجلد الثاني للطبري طبعة المعارف وكذلك هوامش الطبعة الاوربية . وقارنها مع ابن الاثير في الموضوعات ذاتها .

٢٤) ابن الاثير : مقدمة الجزء الاول ص ٢

٢٥) دانلوب : صفحات ٦٢ ـ ٨٧ وارتاموتوف : صفحات ٢٠٢ ـ ٢١٨ . زوتنبرج البلعمي: صفحات ٢٧٦ ـ ٢٨٨ والبلاذري : صفحة ٢٠٩ واليعقوبي : جزء ٢ صفحة ٣١٧ .

٢٦) الطبري : طبعة ليدن جزء ٢ صفحات ١٥٠٦و١٥٣١ ـ ١٥٣٢و١٥٦٨ . وابن الاثير : جزء ٥ صفحات ٥٥و٥٦ ، ٦١ ، ٦٢ ـ ٦٤ ، ٧٠ زوتنبرج البلعمي : ٢٨٨ والبلاذري : صفحات ٢٠٨ ـ ٢٠٩ .

٢٧ ـ دربند نامه : صفحات ٥٢و١٨٩ ، وزوتنبرج البلعمي : ص ٢٨٨ .

٢٨) البلاذري : صفحة ٢٠٩ .

٢٩) زوتنبرج البلعمي : صفحة ٢٨٨ .

٣٠) الطبري : جزء ٢ صفحة ١٥٣٢ وابن الاثير : جزء ٥ ص ٥٥ واليعقوبي : جزء ٢ ص ٣١٧ . الذهبي : كتاب العبر في خبر من غبر ، الكويت ١٩٦٠ ، الجزء الاول ص ١٣١ ـ ١٣٤ ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ القاهرة جزء ١ صفحة ٢٦١ .

٣١) البلاذري : صفحات ٢١٨ ـ ٢١٩ .

٣٢) البلاذري : صفحات ٢٠٩ ـ ٢١٠ والطبري : جزء ٢ صفحات ١٥٠٦و١٥٢٦و١٥٣١ ـ ١٥٣٢و١٥٦٠و١٥٦١ . وابن الاثير : جزء ٥ صفحات ٦١و٦٣ ـ ٦٤و٦٩و٧٠ـ٧١ .

٣٣) دانلوب : ص ٧١و٨٠ وارتاموتوف : ص ٢١٤ وزوتنبرج البلعمي : ص ٢٧١ ودورن البلعمي : ٧٠ـ٧١ .

٣٤) زوتنبرج البلعمي : ص ٢٨٨ .

٣٥) قارن بين زوتنبرج البلعمي : ص ٢٨٨ وبين دربند نامه : ص ٩٣ .

٣٦) البلاذري : صفحات ٢٠٨ ـ ٢٠٩ واليعقوبي : جزء ٢ صفحات ٣١٧ـ٣١٨ وابن الاثير : جزء ٥ صفحة ٧٠ عن مروان بن محمد .

٣٧) دربند نامه : صفحات ٥٠ و ٦٣ و ٨٩ و ١٠٦ و ١١٣ .

٣٨) دربند نامه : صفحات ٨٩ و ١٠٦ .

٣٩) قارن بين الروايات الواردة في البلعمي (زوتنبرج ودورن) وبين دورن دربند نامه .

٤٠) انظر الهوامش التالية :

٤١) دربند نامه : ص ١٨٥ ودورن دربند نامه : ٥٣١ ٠

٤٢) دورن دربند نامه : ص ٥٦٧ ٠

٤٣) دورن دربند نامه : ص ٥٦٨ ٠

٤٤) دربند نامه : ص ١٦٨ ٠

٤٥) دورن البلعمي ودربند نامه : ١٨٥ ٠

٤٦) دربند نامه : ص ١٨٦ ٠

٤٧) ابن الاثير : جزء ٥ ص ٦٤ ٠

٤٨) ابن الاثير : الموضع نفسه والبلاذري : ص ٢٠٨ ٠

٤٩) اليعقوبي : جزء ٢ ص ٣١٧ ٠

٥٠) دورن دربند نامه : ص ٥٦٨ ٠

٥١) ابن الاثير : مقدمة الجزء الاول ص ٣ ٠

٥٢) دانلوب : صفحات ٦٨ ـ ٨٠ والطبري : جزء ٢ ص ١٥٠٦و١٥٦٢ وارتامونوف : صفحات ٢١٠و٢١٤ ٠

٥٣) الطبري : جزء ٢ ص ١٥٠٦ ٠

٥٤) ابن الاثير : جزء ٥ ص ٦١ ٠

٥٥) الذهبي : ص ١٣٤ ٠

٥٦) ابن تغري بردي : ص ٢٦٧ ٠

٥٧) دربند نامه : ص ٥٥

٥٨) دربند نامه : ص ٧١ ٠

٥٩) دربند نامه : ص ١٨٩

٦٠) ارتامونوف : صفحات ٢١٠ ـ ٢١٤ ودانلوب ص ٨٠ ٠ الطبري : جزء ٢ ص١٥٠٦ و ١٥٦٢ ٠

٦١) زوتنبرج البلعمي : ص ٢٢٨ ٠

٦٢) الطبري : جزء ٢ صفحات ١٥٣٠و١٥٦١ وابن الاثير : جزء ٥ ص ٧٠ ٠

٦٣) زوتنبرج البلعمي : ص ٢٨٣ دانلوب : ص ٨٠ والبلاذري : ص ٢٠٩ ٠
بينما يتجاهل الطبري ذكر سعيد ، جزء ٢ صفحات ١٥٦٣و١٥٧٨ ٠

٦٤) زوتنبرج البلعمي : ص ٢٢٨ ودورن البلعمي : ص ٥٣٩ ٠

٦٥) زوتنبرج البلعمي : ص ٢٨٨ ٠

٦٦) البلاذري : ص ٢٠٩ ٠

٦٧) دانلوب : صفحة ٨٠ ٠

٦٨) البلاذري : ص ٢٠٨ والطبري : جزء ٢ صفحات ١٥٣١ ـ ١٥٣٢ وابن الاثير : جزء ٥ ص ٦٣ ٠

٦٩) البلاذري ص : ٢٠٩ والذهبي : ص ٦٣٤ واليعقوبي : ص ٣١٧ ٠

٧٠) انظر احداث عام ١١٤ هـ عند ابن الاثير والطبري ٠

٧١) البلاذري : ص ٢٠٩ ٠

٧٢) اليعقوبي : جزء ٢ صفحات ٣١٧ ـ ٣١٨ ٠

٧٣) انظـر ما قبله ٠

٧٤) الطبري : جزء ٢ ص ١٥٠٦ ٠

٧٥) ابن الاثير : جزء ٥ ص ٦١ ٠

٧٦) دانلوب ص ٦٨ نقلا عن
MARQUART : Streifzuge . Leipzig 1903 p. 173
MARQUART : Streifzuge : östeuropaische und ostasiatische St Streifzuge , Leipzig 1903, p. 173 .

٧٧) الطبري : جزء ٢ ص ١٥٠٦ ٠

٧٨) الطبري : جزء ٢ ص ١٥٠٦ ٠

٧٩) ANDERSON A. R : Alexander's Gate, Cambridge Mass 1932 pp. 16-17; Czegledy : Kaukazusi Hunok, ibid , pp. 135—137 .

دربند نامه : صفحة ٥

٨٠) دربند نامه : ص ٥

٨١) دورن دربند نامه : ص ١٩ ٠

٨٢) دربند نامه : ص ٨ ٠



القوقاز في القرنين الاول والثاني للهجرة.

الترجمة أو نقل الكلام
من لغة إلى أخرى

الدكتور عمر فروخ

الترجمة(*) كلمة أعرابية(1) وردت في اللغة الأكّديّة(2) وفي

(*) راجع هذه الكلمة واشتقاقها ومعانيها والاستشهاد عليه في مسودة المعجم الكبير (لمجمع اللغة العربية في القاهرة) المبلغة الى الاعضاء في ١٩٧٤/٨/١٤ (في النسخة الواصلة الي) وذلك للمناقشة في الدورة الاربعين . راجع « ت ر ج م » (ص ٦٥ - ٦٦) .

(١) ان اللغة العربية وأخواتها البابلية والآرامية والكنعانية والعبرية والحبشية وغيرهن يرجعن الى أم واحدة كان علماء اللغة الغربيون قد سموا تلك الأم اللغة السامية : يزعمون بذلك أن أولاد نوح الثلاثة : ساما وحاما ويافث تكلموا ثلاث أسر مختلفة من اللغات : لغات الأسرة السامية (في غربي آسية) ولغات الأسرة الحامية (في افريقية) ولغات الأسرة اليافثية (في أوروبة) . وقد اعتمد أولئك العلماء في ذلك ما ورد في التوراة الموجودة بأيدي الناس (سفر التكوين ١١ : ١ وما بعد). ان الأخذ بهذه النظرية بعيد عن العلم وعن الواقع ، فليس من المعقول في شيء أن يتكلم أبناء رجل واحد لغات ذات خصائص متباعدة . وكان صديقي الدكتور زكي النقاش (ولد في بيروت ١٨٩٦ م) قد اقترح أن يقول « اللغات الأعرابية » مكان « اللغات السامية » ، وهو على حق لان أصل هذه اللغات من شبه جزيرة العرب . والأعراب أو أهل البادية هم أهل اللغة الفصحى الصحيحة .

(٢) الأكدية (ويقولون أيضا : الاكادية) دولة أعرابية عادية (قديمة جدا) نشأت في جنوبي العراق . وربما لاح لي أن هذه الدولة يجب أن تسمى « العقدية بالعين والقاف » ، لما في « الجذر » « عقد » من أسماء القبائل والأماكن والاراضي الخصبة وبساتين النخيل مما يصلح أن يشتق منه اسم « بلد » أو دولة . ففي تاج العروس (طبعة الكويت) ، فالعقد (بفتح ففتح) قبيلة من بجيلة أو اليمن خرج منها رجال مشاهير . وبنو عقيدة (بالتصغير) قريش . والعقديون (بالضم) جماعة من طيء مشهورون . وعقد : لجأ . =

الآرامية وفَسيلتها السّريانية[1] وفي العِبرية والحبشية[2] ، ومعناها الأصلي : « تفسير الكلام »[3] • وفي القاموس المحيط (٤ : ٨٣) وفي المعجم الوسيط (ص ٨٣ أيضا) وفي تاج العروس (٨ : ٣١٠) ولسان العرب (مادّة : رجم) ترجم الكلام : فسّره ووضّحه • وللترجمة معنيان آخران : سيرة فرد من الناس أو تاريخ حياته ثمّ نقْل الكلام من لغة الى لغة •

والشواهد على المعنى الأول (التفسير للكلام والتوضيح) نمرّ به كثيرا في تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم ، في ذلك الدور الذي نقل العرب فيه العلوم والفلسفة من اللغات المختلفة • والمدرك الملموح في هذا المعنى هو أنّ كثيرين من النَقَلة لم يكونوا بارعين في اللغات التي نقلوا عنها خاصّة، فلم يكن نقلهم كاملاً دقيقاً ، بل كان عرْضا للآراء التي كانت في الكتاب

= والعقدة (بالضم) : الولاية على البلد ، والمكان الكثير الشجر أو الكثير العشب ، وهو الحائط (البستان المسور) الكثير النخيل أو القرية الكثيرة النخيل وكل أرض مخصبة • وعقدة : قرية قرب يزد في طرف المفازة (البادية) • والعقد (بضم ففتح) علم بين البصرة وضرية • وعقدة (بالضم) قرية في مصر • والأعقد البناء المعقود (المبني بناء مصمتا بقناطر متينة مملوءة بالحجارة المثبتة ، كما تبني القلاع) • وعكد بالكاف مثل عقد بالقاف (لجأ) والمعكد (بفتح الميم وكسر الكاف) : المجلس • (٨ : ٣٩٥ ـ ٤٠٥) • وأكد (أسم الدولة) مأخوذ من أجد (أو أجاد ، أجادة) بكاف فارسية : اسم عاصمة تلك الدولة بناها شروكين (عند المحدثين من المؤلفين : سرجون) عاصمة لدولته • ولعل معناها المدينة « الجديدة » أو « المتينة » (راجع جدة في الحجاز) • ـ وهذا التردد بين أن تكون أكد بالهمزة أو بالعين أن هذه الكلمة الأعرابية كانت تكتب بالخط المسماري أو الاسفيني الذي كتبت به اللغة السوميرية (السومرية أو الشومرية) واللغة الأشورية ، وقد غابت منهما العين ، فهل كانت العين موجودة في الأكدية ولكن لم يكن لها حرف ؟ يحسن أن يتولى علماء الأعرابيات الجواب على هذا السؤال •

(١) راجع اللباب للقرداحي (٢ : ٦٣١) وقد وردت صيغ كثيرة من جذر « ت ر ج م » •

(٢) راجع (في باب رجم ، وترجم)
Hebrw and English Lexicon of the Old Testament, by Gesenius (Boston 1844) p. 973 and 1128.

(٣) القاموس المحيط (في باب ترجم ، ٤ : ٨٣) وتاج العروس (٨ : ٣١٠) : وفي لسان العرب (في باب رجم)

الأصلي (أو ما نسمّيه أحيانا : نقلاً بتصرّف) • ودليلنا على ذلك أنّ كثيراً من الكتب المنقولة أصلحها فيما بعدُ نفرٌ أكثرُ علماً من نقلتها الأولين •

لنتأمل النص التالي :

يقول ابن خلدون[١] : « والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة (صناعة الهندسة) هو كتاب الأصول أو الأركان (لإقليدس) ، وقد كان أوّلَ ما تُرْجم من كتب اليونانيين في المِلّة (في الاسلام) أيّامَ أبي جعفرٍ المنصور • ونسخه مختلفة باختلاف المترجمين ، فمنها لحنينَ بن اسحاق ولثابت بن قُرّة وليوسف بن الحجّاج » •

وفي كتاب الفهرست[٢] أنّ الحجّاج بن يوسف بن مطر[٣] نقل كتاب أصول الهندسة لإقليدس نقلين (مرتين) النقل الأول يعرف بالهاروني (نسبة الى هرون الرشيد وفي أيامه) ثم نقلا ثانيا يعرف بالمأموني (نسبة الى المأمون بن هرون الرشيد وفي أيامه) ، وكان العلماء يعولون على النسخة المنقولة في أيام المأمون • وكذلك نقل اسحاق بن حنين[٤] هذا الكتاب كله ثم أصلح ثابت بن قرة[٥] نسخة اسحاق هذه •

فاذا نحن لم نرض أن نجزم بأن النقول المختلفة تقوم على أن ما تلا منها كان أقرب الى الصحة مما سبق منها ، لم يكن لنا مَعْدًى عن أن نجزم بأن النسخة التي عملها اسحاق بن حنين المتطبب (والذي عاش في

(١) مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٦١ ص ٩٠٢ •

(٢) طبعة ليبشك ٢٦٥ •

(٣) الحجاج بن يوسف بن مطر (المطران) الحاسب الوراق من قدماء الناقلين •

(٤) اسحاق بن حنين (ت ٢٩٨ هـ — ٩١٠ م) ناقل • وكان مثل ابيه حنين بن اسحاق عارفا باليونانية والسريانية والعربية • ويبدو أنه نقل أشياء كان أبوه قد نقلها ، وكان طبيبا •

(٥) ثابت بن قره الحراني (ت ٢٨٨ هـ — ٩٠١ م) ناقل بارع وعالم بالرياضيات والطب•

الحقيقة على شهرة أبيه حنين بن اسحاق) كانت تنوء بأخطاء كثيرة ممّا حمل ثابت بن قرّة الرياضي البارع على اصلاحها[١] .

وأمّا الترجمة بمعنى « سيرة رجل أو تاريخ حياته » فهي مُدْرَك مولّد متأخر النشأة (راجع المعجم الوسيط ٨٣) ، وهي لا تدخل في موضوع هذا المقال .

وأمّا « الترجمة » بمعنى نقل الكلام من لغة الى لغة فهو موضوع هذا البحث .

مرّت الاشارة الى أنّ كلمة « ترجمة » أصيلة في اللغات الأعرابية ، فهي (كما جاء في « مسوّدة المعجم الكبير » المذكورة آنفا : ترجمانو (بالجيم غير المعطّشة كما في جمل ، والواو علامة الرفع) ؛ وتأتي التاء فيها بالفتح أو بالضمّ) ؛ وكذلك تأتي الجيم فيها مفتوحة ومضمومة .. أمّا في الآرامية والسّريانية (اللهجة الغربية من الآرامية) والارامية اليهودية (التي انحرف اليها لسان اليهود حينما كان اليهود في الأسر البابلي) فهي ترجمانا (بفتح التاء في السّريانية ، وضمّ التاء في الآرامية اليهودية ثمّ بامالة الجيم فيهما) .

والراجح أن الكلمة انحدرت من الأكّدية الى عرب الجاهلية (أو أنها رحلت مع الأكّديين) ، وأنا أميل الى أن أسمّيهم العُقَديين[٢] ، من اليمن (جنوب بلاد العرب) الى جنوب العراق . إن « الترجمان » في العربية تأتي بفتح التاء وضمّها وبضمّ الجيم . وتأتي أيضا بفتح التاء

(١) راجع أيضا فيما تقدم مباشرة « تاريخ العلوم عند العرب » ل (لكاتب المقال) ، ص ١٢١ .

(٢)راجع الحاشية الطويلة في مطلع هذا المقال .

والجيم . ومن الأدلّة على أن كلمة « ترجمان » أصيلة في العربية أيضا أنّ العرب سمّوا بها . ففي القاموس المحيط (٤ : ٨٣) التَرجُمان (بفتح التاء وضمّ الجيم) ابن هريم (بالتصغير) بن أبي طَخْمة (بالفتح) م (أي معروف) . وهنالك علاء الدين محمد بن محمود الترجماني المكّي الخوارزمي (ت ٦٤٥ هـ ـ ١٢٥٧ م) ، له « يتيمة الدهر في فتاوى أهل العصر »[١] .

وكلمة « ترجمان » وردت في الشعر العربي مراراً ، في الشعر القديم وفي الشعر المُحْدَث . قال الراجز نُقادةُ الأسدي[٢] :

... فهنّ يَلْغِطْنَ به إلغاطا كالترجمان لَقِيَ الأنباطا[٣]

وكذلك قال ابن الرومي يصف مغنيةً تَعْزِف على العود (وهو يُشَبِّه العودَ بأنّه طِفل في حضن أمه)[٤] :

أمّه ، دهرَها ، « تترجمُ » عنه وهو بادي الغِنى عن« التَرجُمان»
غير أنْ ليس يَنْطِق الدهرَ إلاّ بالتزام من أمّه واحتضان .

ووردت كلمة « ترجمان » مفردة ومجموعة عند المتنبي[٥] :

* ملاعبُ جِنّةٍ لو سار فيها سُليمانٌ لسار بتَرجُمانٍ[٦]

(١) بروكلمان ١ : ٤٧٤ ، الملحق ١ : ٦٥٤ .

(٢) راجع مسودة المعجم الكبير ، ثم لسان العرب (مادة : رجم) وتاج العروس (القاهرة) ٨ : ٣١٠ .

(٣) اللغط الاصوات المختلطة المبهمة التي لا تفهم . الانباط والنبيط : أخلاط من الناس غير العرب (الصورة اللغوية : ترجمان ينقل الكلام بين متخاطبين من غير العرب لا يفهم السامع العربي ما يقول الترجمان ولا ما يقول الفريقان) .

(٤) ديوان ابن الرومي (اختيار كامل كيلاني ـ القاهرة) ٨٤ .

(٥) ديوان المتنبي (العرف الطيب لليازجي) ٥٩٠ ثم ٤٠٤ .

(٦) الجنة : الجن . ملاعب جنة (مناطق كثيرة يسكنها جماعات مختلفو اللغات كأنهم جن لا يفهم الانسان ما يقولون) . يقال في سليمان بن داوود انه كان يعرف لغات كثيرة ويعرف لغة الطيور .

* تجمّعَ فيه كلّ لِسْنٍ وأمّةٍ فما يُفهِم الحُدّاثَ إلا التراجمُ(١)

والترجمة أو النقل من لغة الى لغة ليست أمراً يسيرا : إنّها أصعب من التأليف ، ففي التأليف يستطيع المؤلّف أن يختار المعنى الذي يريده وأن يعبّر عنه باللفظ الذي يختاره • أمّا في النقل فان الناقل مقيد تقييداً شديداً بالنص الذي يكون أمامه •

وللنقل من لغة الى لغة أربعةُ شروط متلازمة :

- براعةٌ في اللغة المنقول منها ،
- براعةٌ في اللغة المنقول اليها ،
- معرفة بالموضوع المنقول ،
- ثقافة عامة في موضوعاتٍ مختلفة •

أما الشرطان الأولان (البراعة في اللغتين) فأمرُهما واضح لا يحتاج الى تفصيل ولا الى دفاع • وأمّا معرفة الموضوع فهو المِحَكّ الذي يظل الناقل أمامه متهيبا •

لمّا طُلب مني نقلُ مذكّراتِ أيوبَ خان (رئيس باكستان سابقا): « أصدقاء لا سادة » من الإنكليزية الى العربية واستعرضت تلك المذكرات داخلني شيء من الهيبة لأنّ تلك المذكرات تنطوي على أمور سياسية واقتصادية وعسكرية وقضائية واجتماعية وكلّها تتعلق بالهند وباكستان (والمصطلحات في هذه كلها مختلفة عمّا قد ألِفْناه نحن في البلاد العربية)• ولمّا حدث الاصرار على أن أتولى أنا هنا النقلَ قبلت بعد التفاهم على أن أرْجِعَ فيما لا أدْريه الى سفارة باكستان في بيروت • وكان رجوعي الى

(١) اللسن (بالكسر) : اللغة • الحدّاث : المتحدثون (ولا واحد له من لفظه) •

السفارة (من طريق التلفون أو مباشرة) كثيرا • وكثيرا ما كنت أقف أمام فكرة أو أمام مصطلح لم يكن في السفارة من يَعْرِفه فكانت السفارة تكتب الى باكستان في استجلاء ذلك • ومعَ هذا كله فقد استدركَ علي الصديق اللواء الركن محمود شيث خطاب تعبيرا عسكريا لم أعْرِفه (ولم يُقَلْ لي في الأغلب) هو « حظيرة » لعدد قليل من الجنود •

ولما نقلت محاضرة جورج سارطون « الثقافة الغربية في رعاية الشرق الاوسط » ثم كتاب « الطريق الى النجوم » (في الفلك) كنت أحياناً أكتب الى المؤلّفَيْنِ في استجلاء عدد من المشاكل في المعاني والمدارك وفي التعابير •

ومعَ هذا فان الناقل لا يسلم من المواقف الحرجة حينما يريد ألاّ يكتفيَ بنقل الألفاظ وحدَها ، ولكن يريد أن ينقل شعور المؤلّف (في الآثار الأدبية خاصة) الى القارىء في اللغة الثانية • لمّا نقلت كتاب « الاسلام على مفترق الطرق » (لمحمد أسد) مرّ بي تعبير يشّل الخلاف بين أمرين كان المؤلّف قد ضرب لهما مثلا بحصان الركوب وحصان الجرّ • انّ المثل المضروب بهذين النوعين من الخيل يفهمه القارىء الغربي (بالغين المعجمة) لأن هذين النوعين معروفان في أوروبة • أما نحن فنعلم الحصان للفروسية ، ولا نألف الحصان الضخم الذي يستخدم في غربي أوروبة خاصة للجر وللحمل • من أجل ذلك ضربت أنا المثل بالنجيب (الهجين من الابل المعروف بسرعته) ثم بالبعير (الجمل المستخدم عندنا في الحمل • ثم وضعت حاشية أشرح فيها ما فعلت) •

وللنقل من لغة الى لغة ــ منذ كان ــ طرائق عديدة أصلها طريقتان :

ــ الطريقة اللفظية ، وهي أن يجيء الناقل الى كل جملة من النص

الذي يريد نقله فيضع فوق كل كلمة في النص الأصلي ما يقابله في اللغة التي يريد أن ينقل ذلك النص اليها (وكثيرا ما يلجأ هذا الناقل اللفظي الى القاموس يستخرج منه معانيَ الكلمات المطلوبة • وربما اكتفى بالمعنى المألوف في بيئته • وكان يشترط في هذا النقل اللفظي أن يكون عدد الكلمات في النص الجديد من اللغة الثانية مثل عدد الكلمات في النص الأول) • وهذه الطريقة اللفظية يلجأ اليها واحد من ناقلين : ناقل غير ضليع من احدى اللغتين أو منهما كليهما فلا يثق بنفسه بل يلقي تَبِعَةَ ما يختار من الكلمات على القاموس • وأما ثاني ذينك الناقلين فهو الذي يُعهد اليه بنقل أثرٍ سامٍ كالكتب المقدسة والوثائق الرسمية •

ـ الطريقة المعنوية ، وهي أن يقرأ الناقل النص كله قبل أن يبدأ النقل حتى يستطيع أن يعرف منحى المؤلف الأصلي واتجاه تفكيره ونوع ألفاظه وصورة تراكيبه • فاذا عاد الناقل ليبدأ عمله قرأ كل جملة تامة ثم أدارها في ذهنه حتى يوقن أنه قد فهم معناها ومرماها • بعدئذ يختار لها الألفاظ التي تعبر عن مقصد الكاتب لا عن تراكيبه فقط ويسوق الجملة في اللباس العربي الموافق ، وليس عليه أن يكون عدد الكلمات في جملته مثل عددها في النص الأصلي أو أكثر أو أقل •

لما وضعت كتابي « عبقرية العرب في العلم والفلسفة » قال لي بعضهم: إن الفصل المتعلق بعلم الأنساب (المثلثات) في كتابي خير من الفصل الموجود في كتاب قدري طوقان • فقلت له : انني في فصل المثلثات الذي في كتابي قد اعتمدت على كتاب قدري طوقان • واين أنا في الرياضيات من قدري طوقان • هو رياضي عبقري ، وأنا عملي في التعليم كان قاصراً على الأدب والتاريخ والفلسفة • ولكني عملت جهدي في فهم الفصل الذي كان في

كتاب قدري طوقان ثم عبرت عنه تعبيرا واضحا (أقول : تعبيرا واضحا)•
ولقد خبرت أشياءَ كثاراً من مثل ذلك حينما وضعت كتابي « تاريخ العلوم عند العرب » • لقد بدا لي أن العلماء في معظمهم يعتقدون أن كل شيء يعرفونه هم يجب أن يعرفه كل أحد • فاذا عَرَضَ أحدهم لنظرية عَرَضَها بأقلّ ما يمكن من الشرح ، واذا هو أراد بسط مسألة أدار حلها في أقل الخطوات الممكنة • وربما أشار احدهم الى الفكرة أو الى المعنى الغامض أو الواضح كما يشير أحدنا الى الشيء المألوف عنده وعند الذي يحدثه •

كنت اذا وقفت أمام شيء من مثل ذلك أفضت في الشرح بحسب الحاجة أو زدت في خطوات حل المسائل بحسب الحاجة أيضا •

وفي الترجمة أو نقل النصوص من لغة الى ثانية طريقة أخرى فاسدة •

قد يقرأ رجل كتابا بلغة أجنبية فيعجبه فيحب أن يكون هذا الكتاب في اللغة العربية (مثلا) فيكون له في ذلك مجريان :

ــ يبدأ قراءة هذا الكتاب فيأخذ الجمل التي تعجبه (أو التي يظن أنها أعجبته أو أنه فهمها) فيضعها في لغة من عنده قد تكون معبرة عن النص الأصلي وربما لم تكن • وبعدئذ إما أن يذكر على غلاف الكتاب أنه قد نقله أو يهمل ذلك • وفي أكثر الأحيان يحذف ذلك الرجل الجمل التي تكون « صعبة » •

حينما كنت تلميذا في الجامعة الاميركية (في بيروت) درسنا عددا من روايات شكسبير • وكانت رواية « مكبث » أصعب تلك الروايات فكنت أقف أمام جمل كثيرة فيها موقفا لا مخرج منه • فخطر لي أن أشتري نسخة فرنسية من « مكبث » فأفهم منها تلك الجمل التي لم أفهمها في ثوبها الانكليزي • ولكن المفاجأة كانت أن جميع الجمل التي غمض علي معناها أو مرماها في النسخة الانكليزية كانت غائبة من النسخة الفرنسية •

ـ وأحيانا ينسى الناقل أنه ينقل عن لغة أجنبية لها حضارتها وعادات أهلها وطبيعة أرضها ومنحى التفكير فيها وخصائص تركيبها فيلجأ الى خياله هو فيخرج ما ادعى أنه منقول عن لغة أجنبية وكأنه قد كتب ابتداء بلغة الناقل نفسه •

لما نشر مصطفى لطفي المنفلوطي (ت ١٩٢٤ م) رواية « الشاعر أو سيرانو ده برجراك » (لمؤلفها أدمون روستان) بدا فيها سيرانو وهو يعاتب حبيبته روكسان وكأنه عنترة يخاطب عبلة• (ولقد كان عذر المنفلوطي أنه لم يعرف اللغة الفرنسية ولا لغة أخرى غير العربية • فكانت الروايات تسرد له سردا عاديا فيضعها هو في اللغة التي يراها مناسبة)•

ومن مثل هذا رواية « آلام الشاب فرتر » (للشاعر الألماني غوته)، وهي تمتاز بأنها من النثر السهل (وأذكر أنها أول ما طالعته من الكتب في الألمانية لسهولة تراكيبها وفصاحة ألفاظها) • وقد نقل هذه الرواية الى العربية أحمد حسن الزيات[١] بعنوان « آلام فرتر » بأسلوب متخم بالصناعة مثقل بالتعمل (وأظن أن عذره في أنه نقلها عن الفرنسية لا عن الألمانية) •

وفي الآثار المنقولة مشكلة واضحة :

اذا وقع خطأ في نقل كتب العلم فان إصلاح هذه الأخطاء يكون في

---

(١) أحمد حسن الزيات (١٨٨٥ ـ ١٩٦٨ م) اديب مصري تلقى علومه في الازهر وفي الجامعة المصرية ثم درس الحقوق وعرف اللغة الفرنسية • وهو صاحب مجلة الرسالة (١٩٣٢ ـ ١٩٥٢ ؟) له : تاريخ الادب العربي (وهو كتاب مدرسي موجز) ـ في أصول الأدب (مقالات في موضوعات تتعلق بالادب العربي خاصة) ـ دفاع عن البلاغة • وقيمة أحمد حسن الزيات في مقالاته في « الرسالة » وفي الاثر الذي تركته هذه المجلة في العالم العربي •

العادة سهلاً • أما إذا كان الخطأ في كتب التاريخ والدين والفلسفة فان إصلاح الخطأ الذي يقع فيها مستحيل •

* * *

وأحب ، فيما يلي ، أن آتيَ بنماذجَ من النقل ــ مما عانَيْتُه أنا ــ تفسيراً للملاحظات التي سبقت •

١ ــ في رواية « هملت » لشكسبير هذه الجملة التالية :

To be or not to be, that is the question.

ونَسَقها اللغوي : الكون أو لا الكون هذا هو السؤال • وربما تصرف بعضهم فيها فقال : « أن نكون أو أن لا نكون ، هذا هو السؤال » • حتى لقد أصبح هذا التعبير الأعرج الغامض واحدا من الشعارات التي ينادى بها : نكون أو لا نكون » •

وليس هذا ما قصده شكسبير • أما مقصد شكسبير فلا يُفهم إلاّ إذا نحن عرّفنا الموقف الذي اقتضى « الجهر » بهذه الجملة أو بهذا القول •

كان هملت الكبير ملكاً على الدنمارك ، وكان له ابن اسمه أيضاً هملت أرسله الى انكلترة ليتعلم فيها العلم أو عادات الملوك • في هذه الفترة أحبت امرأة الملك هملت أخا الملك هملت ثم قتلا الملك وجلس العشيق على العرش مكان الزوج • وأحب أنصار الملك هملت أن ينتقموا من الخائنين فأرسلوا الى هملت الصغير أن يرجع الى الدنمارك ثم حبكا مؤامرة لذلك • وكانت عادة أم هملت وعشيقها أن يتنزها في كل ليلة على سطح القصر فيصعدان اليه من سلم معين • واذا انتهت نزهتهما الليلية نزلا

من سُلَّمٍ آخرَ معين • وكان ترتيب المؤامرة أن يقف هملت الصغير عند السلم الذي ينزل منه العاشقان بعد انتهاء النزهة ، وأن يتوزع المتآمرون الباقون في الطرف الذي يصعد منه الملك الجديد وقشيقته أم هملت (إذ كانتِ الغاية أن يكون لهملت الصغير يد في المؤامرة ليصبح له حق في استعادة عرش أبيه) • ولكن في الليلة التي عينت لتنفيذ المؤامرة غير العاشقان خطة سيرهما فصعدا من السلم الذي كانا ينزلان منه ، حيث يقف هملت الصغير •

أصبح هملت الصغير الآن في موقف شديد الحَرَج : لا يستطيع أن يستنجد برفاقه المتآمرين ولا كان هو قادراً على مقاومة الملك الجديد والملكة إذا هما رأياه في موقفه هناك •••

حينئذ صرخ هملت الصغير قائلا :

To be or not to be, that is the question.

« القضية قضية حياة أو موت » •

ولا وجه للجملة الشوهاء : أكون أو لا أكون ، هذا هو السؤال •

٢ ــ في عام ١٩٣٨ نقل فيليكس فارس[1] كتاباً للفيلسوف الألماني نيتشه وأرسل نسخة « للنقد والتقريظ » في مجلة الأمالي[2] • قرأتُ الكتاب وعارضته بالأصل فوجدت عـددا من الأخطاء أولا في عنـوان الكتاب • عنوان الكتاب في الألمانية :

Also Sprach Zaratustra.

---

(١) فيلكس فارس (١٨٨٢ هـ ــ ١٩٣٩ م) أديب وخطيب لبناني عاش في مصر ، أكثـر آثاره نقول وقصص ، له رسالة المنبر الى الشرق العربي (محاضرات) ــ اعترافات فتى العصر (منقولة عن ألفريد دي موسيه) ــ هكذا تكلم زرادشت •

(٢) مجلة (١٩٣٨ ــ ١٩٤١ ، بيروت) كانت تبحث في الثقافة • أصدرتها بالتعاون مع نفر من الزمــلاء •

فجعل فيلكس فارس العنوان بالعربية : « هكذا تكلم زرادشت »• وبما أن الأخطاء كانت كثيرة ، فقد كتبت النقد ثم بعثت به الى فيلكس فارس وقلت له أن يرى رأيه في الأخطاء المذكورة • وله أن يختار بعد ذلك نشر هذا « النقد » كما هو أو أن يطلب اغفال نشره •

وكان فيلكس فارس نبيلاً فكتب الي يقول : لقد عرض الأمر على صديق له فرنسي يعرف اللغة الألمانية ، فتبين أن الأخطاء في النسخة العربية قد أتت من الترجمة الافرنسية • ونشرت النقد تاما[١] •

أما العنوان فيجب أن يكون : « كذلك قال زرادشت » (لا : هكذا تكلم زرادشت) • ومن الأخطاء أن فيلكس فارس استعاض عن الأسلوب السهل في كتاب نيتشه بأسلوب منمق (وقيمة نيتشه إنما هي في تفكيره البعيد في التعبير السهل ، لا في التعبير الفخم عن الافكار الغامضة) • وثالثة أن نيتشه يعارض[٢] شخصية المسيح في الانجيل بشخصية زرادشت إلاّ في واحدة هي أن زرادشت لا يعطف على الضعاف (بخلاف المسيح)• وهذه الخاصة مفقودة في النسخة العربية (لأنه يعز على فيلكس فارس أن يقرّ بصواب رأي نيتشه في رفض العطف على الضعاف ، وهو أساس من أسس الدعوة النصرانية في الانجيل — ولعل هذه الخاصة كانت مفقودة في النسخة الفرنسية) • ثم رابعة هي أن اعتقاد نيتشه في سواد الشعب كاعتقاد المتنبي : « وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم » • يرى نيتشه قوما بلغ من جهلهم الى أن يظنوا أنهم أسعد الناس لأنهم لم يعرفوا حالا خيرا من حالهم

---

(١) الامالي ، السنة الاولى ، العدد ٢٣ (١٩٣٩/٢/٣ م) ص ٢٩ • راجع أيضا نقدا لهذا الكتاب لخليل هنداوي (ت ١٩٧٨ م ؟) ، في الأمالي ، السنة الاولى ، العدد ٤٥ (٣٩/٧/٧)ص٦•

(٢) عارض الرجل الجبل : سار معه ، جعل الشيء موازيا لشيء آخر (أما المعارضة بمعنى المناقضة فتعبير سياسي متأخر) •

فتراه يعير هؤلاء بقوله إنهم في غبطة تستدر الرحمة • والنسخة العربية فيها « غرور يستحق الاشفاق » (ص ٦) •

* * *

ونقل كتب العلم على العلماء هين لأن العالم ينقل كتبا يعرف موضوعاتها ومصطلحاتها ولا يتكلف في النقل : انه يريد نقل المعاني في أبسط صورها • أما نقل الأدب فانه صعب ، لأن الأدب الجيد يقوم على متانة التعبير وعلى الصور البلاغية من تشابيه واستعارات وكنايات ، وهذه تختلف في اللغات المختلفة اختلافا كبيرا •

ان القمر عندنا أبيض جميل فرح ، وفي الانكليزية أصفر شاحب • ثم هو مؤنث في الانكليزية والفرنسية ومذكر في العربية والألمانية • والشمس بعكس ذلك مذكرة في الانكليزية والفرنسية ومؤنثة في العربية والألمانية • فاجراء التشابيه والاستعارات في الشمس والقمر لا يمكن أن يكون واحدا في هذه اللغات • والحمار والكلب من صفات المدح في اليونانية والانكليزية• والذم في الانكليزية انما هو في التشبيه بالكلبة وبالجحش (ولد الحمار : الحمار الصغير) • ونحن نتشاءم بالبومة • والألمان يعدون البومة من علامات الفأل فيضع أحدهم عند بابه صورة بومة كما يضع قوم من الناس عندنا حدوة حصان فوق أبوابهم •

فاذا قام أحد بنقل نصوص من الأدب من لغة إلى لغة فعلية أن يتفطن لكل ذلك والا ّ فقد عمله التأثير المطلوب من القارىء •

وأكثر ما يتبدى هذا في أمثال الأمم :

* هم يقولون مثلا : العامل المخطىء يلقي اللوم على أدواته • — وشاعرنا يقول « إذا أساء صنيعا عاتب القدرا » •

* وهم يقولون : العامل في كل الصناعات لا يتقن صناعة • ونحن نقول : كثير الكارات قليل البارات •

* هم يقولون : الشجرة تعرف من أثمارها، ونحن نقول : يقرأ الكتاب من عنوانه •

٣ — وليس كل الشعر يعير نفسه للنقل • ذلك لأن لكل لغة عبقرية وموسيقى • فنقل الكلمات أحيانا لا يؤدي الى نقل المعاني ولا الى نقل الأثر النفسي من القائل الى السامع •

في الشاهنامه للفردوسي شاعر الفرس الأكبر بيت هو :

زهر كونه أز مـرغ وأز جار باي خرد كرد ويك يك بياور بجـاي

وترجمته الحرفية : من كل نوع من الطيور ومن ذوات الاربع صَنَعَ أطعمة وكان يجلبها واحدا واحدا الى الخوان •

وهذا البيت الفارسي لا يستقيم في بيت عربي واحد ، بل نحتاج الى بيت ونصف بيت ، مع شيء من التصرف أيضا •

من كل طير وذوات الاربع
طها طعاما وغدا يأتي بـه
الى الخوان واحدا وواحدا

ولكن هذا الكلام منظوم على بحر الرجز ، ليس شعرا في اللغةالعربية• ان هذا البيت من الشعر في اللغة الفارسية لا يعير نفسه للنقل الى اللغة العربية ، ولكن لعله يعير نفسه للنقل الى لغة غير عربية •

ومثل ذلك قول شكسبير :

When icicles hang by the wall
And Dick the shepherd blows his nail,
And Tom bears logs into the hall,
And milk comes frozen home in pail;

حينما تتدلى المقرنصات بجانب الجدار
و « دِك » الراعي ينفخ ظفره
و « توم » يحمل الخشب الى القاعة
ويصل اللبن الحليب جامدا في عُلَبِه .....

فاننا اذا سمعنا هذا الكلام ظنناه رُقْية من السحر لا أشطراً من الشعر ولا نكاد نعلم منه أن شكسبير يريد أن يصف شدة البرد في بعض أيام الشتاء .

وكذلك إذا سمعنا ألفرد دي موسيه يقول (في الفرنسية)

Après avoir souffert, it faut souffrir encore
Il faut aimer sans cesse après avoir aimé.

وبعد أن تألمتَ يجب أن تتألم أيضا ،
يجب أن تحب بلا انقطاع بعد أن تكون قد أحببت
أو يقول :

Le mal dont j'ai souffert s'est enfui comme un rêve .
Je n'en puis comparerl de lointain souvenir
Qu'à ces brouillards légers que l'aurore soulève
Et qu'avec la rosée on voit s'evanouir.

ان الشر[1] الذي تألمت منه قد هرب كأنه حلم .

(١) ان كلمة mal تعني في اكثر الاحيان : المرض والاذى او الالم ، ولا اعتقد ان الشاعر قد قصد هنا بهذه الكلمة معنى الشر ، بدليل ما ورد في بقية القصيدة وعنوانها : ليلة تشرين .

ولا أستطيع أن أشبه الذكرى البعيدة
إلاّ بذلك الضباب الخفيف الذي يرفعه الفجر
وإلاّ بالندى (حينما) يُرى وهو يتلاشى •

فاننا ندرك أن الشطرين الأولين يصعب نظمهما شعرا عربيا لخلائهما من صورة شعرية ثم لاقتصارهما على موسيقى لفظية اتفق هنا أنها من طبيعة اللغة الفرنسية وليست في طبيعة اللغة العربية • أما الاشطر الاربعة التالية فانها تعير نفسها للشعر العربي لأن في كل شطر منها استعارةً نستطيع أن نُخرج منها صورة شعرية في اللغة العربية (وفي غير اللغة العربية أيضا) اذا اجتمعت فينا آلة النظم • وقد قال ابو العلاء المعري (قبل ألفريد دي موسيه) بنحو ألف عام :

هرب النوم عن عيوني فيها   هرب الأمن عن فؤاد الجبان

ان الكلمات ، بلا ريب ، مختلفة • ولكن الصورة الشعرية والأثر النفسي هنا يشبهان ذينك هناك •

وكذلك في أشعار الأمم كلها أبيات لا تعير نفسها للنظم الجميل في لغات أخرى بعامل الموسيقى اللفظية التي تتألف من كلمات كل لغة • أما اذا ضَمّنتِ الأشعار صوراً بلاغية واضحة فانها حينئذ تدخل في الوزن في كل لغة من تلقاء نفسها وتتبدى جميلة في كل لغة كما تبدو الفتاة الجميلة جميلة في كل ثوب • من هذا النوع الأخير مطلع قصيدة للشاعر الألماني فون أرنت :

Der Gott der Eisen wachsen liess
Der wollte keine Knechte .

اتفق يوما أن مررت به فتصور في ذهني سريعا :

والـــذي أنبت الحـــديد من الار ض أبي أن يكون في الارض عبـــد

ثم اتفق أن قرأت في « لزوميات المعري » بيتا (لم أكن قد قرأته من قبل) :

والله اذ خلق المعـــادن عـــالم أن الحـــداد البيض منهـــا تجعل

هنا أيضا تجد الصورة الشعرية التي تحمل منحى التفكير في الابيات الثلاثة واحدة ولكن الكلمات تختلف في الأبيات الثلاثة قليلا أو كثيرا . ان الشعر ليس في اللفظ وحده (كما يقول ابن خلدون) ولا هو في المعنى وحده (كما يقول ابن رشيق) ، ولكنه في الصورة البلاغية (الشعرية) كما يقول ضياء الدين بن الأثير .

والشعر الجيد هو الذي يتعاون فيه اللفظ والمعنى على ابراز الصورة البلاغية بروزا واضحا . وعند نقل مثل هذا الشعر من لغة الى لغة يجوز للشاعر الناقل أن يضع معنى جزئيا مكان معنى جزئي ، ولفظة معينة مكان لفظة معينة ، ولكن الصورة المقصودة يجب أن تبقى واحدة مع الهـــزة الشعرية التي يجيء بها الشعر الجيد .

للشاعرة الانكليزية أنّا لائيتيشيا باربولد (١٧٤٣ ـــ ١٨٢٥ م) أبيات هي :

Life! I know not what thou art,
But know that thou and I must part;
And when, or how, or where we met
I own to me's a secret yet.

Life! we've been long together,
Through pleasant and through cloudy weather;
'Tis hard to part when friends are dear- -
Perhaps 'twill cost a sigh a tear;

- -Then steal away, give little warning,
Choose thine own time;
Say not good-night - -but in some brithiter clime
Bid me good-morning.

نقلتها الى العربية فجاءت كما يلي ، ولكن بتصرف بدّل عدداً من كلماتها ، اذ عدلت في تلك الكلمات عن مؤدّاها الاجتماعي في اللغة الانكليزية الى مؤدّاها الاجتماعي في اللغة العربية . من ذلك مثلا مطلع هذه الابيات فقد قلت فيه : « يا نفس » في مكان « يا حياة » ، لأن العرب لا ينادون الحياة في الالتفات والتجريد (مخاطبة الانسان لذاته أو لشخص مجرد من ذاته) ، بل يخاطبون النفس . لقد قلت :

ايه يا نفس ، لست أعلم شيا
عنك إلاّ بأننا لافتراق
أين كنّا ؟ وأين كان التلاقي ؟
ذاك سرّ ما زال ، بعد ، خفيا
(ودهور اثر الدهور توالى)

*

نحن كنّا معَ الصبا أترابا
في نعيم من الحياة وضيق
قد يَضيم الصديقَ فقْدُ الصديق
يُذرِفُ الدمعُ لَوْعة واحتسابا
حينما تُزمع النفوس ارتحالا

*

فانسلي خِفية بلا انذار
حينما ترغبين ، يا نفس ، هجرا .

أنت ، يا نفس ، باختيارك أدرى
لا تَبِيني والليل في اكفهرار
ودّعيني اذا النهار تعالى

وربّما جاءت الابيات طويلة فيتصرف الناقل في اختصار معانيها ، ما دام المقصود من الشعر أن يُلقيَ أثراً في النفس لا أن يُحصي كلمات الابيـات :

من ذلك مثلا هذه الأبيات لشكسبير :

Come away, come away, death,
And in sad cypres let me be laid;

Fly away, fly away breath;
I am slain by a fair cruel maid.
My shroud of white, stuck all with yew,

O prepare it!

My part of death, no one so true

Did share it.

Not a flower, not a flower sweet
On my black coffin let there be strown;

Not a friend, not a friend greet
My poor corpse, where my bones shall be thrown:
A thousand thousand sighs to save,

Let me, oh, where
Sad true lover never find my grave
To weep there.

إن المقطع الاول يستحيل نقله الى العربية في شطره الثـاني وشطره الخامس وهما عمدة الصورة الشعرية في هذا المقطع فجمعت المقطع كله في بيت واحد .

أنـا ان أحمت الحمـام فؤادي | وخلعت الحيـاة عـن منكبيا
لا تـدع زهرة على النعش تلقى | قـد كساها الربيع زهوا وريّا
لا ولا صاحبـاً يحيي رفـاتي | حسبه ما بكى وقد كنّت حيّـا
ألقِني حيث لا يـراني محبٌ | عـاثر في الهوى فيبكي عليّـا

وحينما أقول انّ الشعر لا يعبر نفسه للنقل فأنا أعني شيئا واضحا معينا . حينما أنقل أنا قطعة من الشعر لشكسبير تبطُل هذه القطعة في ثوبها العربي الجديد أن تكون لشكسبير . انّ المعاني وحدَها تبقى لشكسبير، ولكن الشعر ـ اللباس اللفظي الذي يجعل من الكلام شعرا ـ يكون دائما شعر الناقل لا شعر المنقول عنه . انّ رباعيّات عمر الخيّام ، مثلا قد نقلت الى لغاتٍ كثيرةٍ نقولاً مختلفة . ولهذه الرباعيات في اللغة العربية نقول لأحمد حامد الصرّاف ولأحمد الصافي النجفي ولأحمد رامي ولوديع البستاني ولغيرهم . والفروق بين هذه النقول مختلفة باختلاف مقـدرة أصحابها . ولذلك فهي تمثلهم هم ولا تمثل عمر الخيام الاّ بما بقي فيها من المعاني الخاصة بعمر الخيام . ولو كانت تلك النقول تمثل عمر الخيام لكانت كلها تعبيراً واحدا على مستوًى واحدٍ من الصِحّة والدِقّـة والأثر في النفس . ومعَ أن الصراف والصافي قد نقلا رباعياتِ الخيام عن الفارسية بينما وديع البستاني قـد نقلها عن الانكليزية بعـد أن كان فيتزجيرالد قـد نقلها عن الفارسية فإننا نجدُ هـذا الفرقَ بين ترجمتي الصراف والصافي وترجمة البستاني . ان ترجمة الصافي والصراف أدق وأكثر صلة بالأصل ، ولكن القارىء العادي يَجِدُ ترجمةَ البستاني أهون وأعذب في القراءة . ولعل هذا القارىء العاديّ يُحس روح الخيام في عدد من الرباعيات من نقل الستاني أكثر مما يحس روح الخيام في عدد

آخر من نقلي الصراف والصافي[١] .

لنأخذ مثلا واحدا من رباعيات الخيام (والرباعية أربعة أشطر) :

لعمر الخيام رباعية نقلها أحمد الصافي النجفي نقلا حرفيا صحيحا كما يلي[٢] :

أتمنّى ديوانَ شعرٍ ونِصفاً
من رغيفٍ وكوزَ صهباءَ حانِ
وجلوساً معَ الحبيب بقَفْرٍ
ذاك خيرٌ من مُلكِ ذي سلطانِ

ونقلها أحمد رامي فجاءتْ عنده كما يلي[٣] :

زجاجةُ الخمرِ ونِصفُ الرغيفْ — وما حوى ديوانُ شعر طريفْ
أحبّ لي إنْ كنتَ لي مؤنساً — في بَلْقعٍ من كل مُلْك مُنيفْ

وقد نقلها محمد السباعي خُماسية[٤] :

واخْلُ بي نحسو شراباً عُتّقا — ثم نلهو بنشيدٍ نُمّقا
ورغيفٍ تحت ظلٍّ أورقا — واشدُ بالألحانِ يرتدّ الخلا
جنّةً راقَ بها الحُسن وراعْ

أمّا وديع البستاني فجعلها سُباعيّة[٥]

(١) لأحمد حامد الصراف ترجمة لرباعيات الخيام (١٩٣١ م) ليس بين يدي نسخة منها الآن .

(٢) بلا اسم لمكان الطبع ولا لتاريخه . ويبدو أن هذه الترجمة كانت قد انتهت في سنة ١٣٤٥ للهجرة (١٩٢٩ م) . راجع ص ١٢١ .

(٣) الناشر مكتبة غريب (القاهرة) ١٩٦٩ م ، ص ٩٤ .

(٤) المكتبة التجارية الكبرى (مصر) ، بلا تاريخ للطبع . ص ٤١ .

(٥) دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م ص ٥٣ .

ومُقامي غصن" ظليل" بقَفْرِ
ورغيفانِ معْ زجاجةِ خمرِ
كلّ زادي ؛ والأهلُ ديوانُ شعرِ
وحبيب" يهواه قلبي المُعنى
بشجيٍّ يُذيبني يتغنّى :
هكذا أسكُنُ القِفارَ نعيماً ،
وأرى هذه القصورَ خرابا .

في الأصل الفارسي للرباعية المنقولة هنا (نصف ناني (نصف رغيف)، وقد نقلها أحمد الصافي النجفي وقال أيضا « نصف رغيف » . ومثله فعل أحمد رامي . أما محمد السباعي فقال « ورغيف » . وأما بديع البستاني فقال : « ورغيفان » . وهذا كله يدل على أن اللفظة لا تصنع الشعر ولا التركيبُ النحوي يصنعه ، وانما يصنع الشعرَ الصورةُ البلاغيةُ . فأي هؤلاء النَقَلةِ الاربعةِ قد مثل الخيام ؟ أنا أرى أن كل واحد من هؤلاء قد مثل نفسه وأسلوبَ نفسِه وخيال نفسه . ولكن فضلَهم في أنهم نقلوا لنا « المعاني التي أراد الخيام أن يطرُقَها » .

غير أن هذا لا يمنع من أن يكون نفر من هؤلاء قد اقترب بنا من روح الخيام مرة بعد مرة تقليداً لا تمثيلا . والدليل البات الجازم في ذلك أن الثابتَ للخيام نحو مِئَةِ رُباعيةٍ . ثم جعل نفر من الشعراء الفرس يَنْظِمون رباعيات وينسبونها الى الخيام . وقد انجرف أحمدُ الصافي النجفي في تيار هؤلاء وطوى ترجمته على ثلاثمائة وواحدة وخمسين رباعية نسبها الى عمر الخيام ، فكيف يمكن أن نقول إن ترجمة أحمد الصافي النجفي لرباعية منسوبة الى عمر الخيام يمكن أن تمثل عمر الخيام ؟

ان قراءة الأدب لا تجوز الا في لغته الأصلية • ولا تحدث الهزة في العاطفة الا اذا قرأ الانسان النص الأدبي في لغته • أما النقول فتنقل الينا المعاني المفردة والاتجاه الفكري العام • واذا لم يكن الانسان عارفاً بلغة، فلا عليه أن يقرأ شيئا من أدب تلك اللغة بلغته هو •

في أيام دراستي في ألمانية زرت باريس زورتين طويلتين • وفي احدى الزورتين ضمني مع نفر من الطلاب أمثالي مجلس • ولكن اثنين من الطلاب دخلا في جدال في أي الشاعرين أحسنُ شعرا : فيكتور هيغو (شاعر فرنسة) أو غوته (شاعر ألمانية) • ثم بدا لأحدهما أن يدخلني فيما كانا فيه فقال لي : « وما رأيك في ذلك ؟ » فسألته : « هل تعرف الألمانية ؟ » فقال : « لا » • فقلت له حينئذ : « فيم تتجادلان ، اذن ؟ »

بيروت ٢٣/٤/١٩٧٩

عمر فروخ

أحكام ترجمة القرآن الكريم وتاريخها

الاستاذ عبد اللطيف الطيباوي

(١)

ترجم غير المسلمين القرآن الى لغاتهم بقصد الرد عليه ، وأول ترجمة من هذا النوع كانت الى اللغة اللاتينية في العصور الوسطى . ثم ترجمه آخرون من هؤلاء في العصور الحديثة الى لغات اوروبية اهمها الانكليزية والفرنسية . ولكن لم يترجمه أحد من المسلمين حتى العهد الأخير ، وجلّ هؤلاء لم يكن كلهم من غير العرب او ممن دخلوا في الاسلام حديثاً . فما هي اسباب ذلك ، مع ان كثرة المؤمنين برسالة محمد ﷺ هم من غير العرب ولا يتكلمون اللغة العربية ؟ السبب الأول بل أهم الاسباب كلها هو نص هذه الآيات الكريمة :

(١) إنّا أنزلناه قرآناً عربياً ... (سورة يوسف الآية الثانية)

(٢) وكذلك أنزلناه قرآناً عربياً ... (سورة طه ، الآية ١١٢)

(٣) قرآناً عربياً غير ذي عِوَج ... (سورة الزمر ، الآية ٢٧)

(٤) كتاب فُصّلت آياته قرآناً عربياً ... (سورة فصلت، الآية الثانية)

(٥) وكذلك أوحيناه اليك قرآناً عربياً ••• (سورة الشورى ، الآية ٦)
(٦) إنّا جعلناه قرآناً عربياً ••• (سورة الزخرف، الآية الثانية)
(٧) وهذا كتاب" مُصَدّق" لساناً عربياً ••• (سورة الأحقاف ، الآية ١١)

أمام هذه الآيات وغيرها سألوا هذا السؤال : لما كانت رسالة محمد للناس كافة ، وليس للعرب خاصة ، فكيف بلغت الى من كان لا يفقه العربية ؟ لا شك ان رسول الله بلّغ الرسالة الى العرب بلغتهم ، وبها للقليلين من غير العرب لأنهم كانوا يفهمونها ويتكلمونها • ولا شك انها بُلّغت بعده ، وبعد خروج العرب من الجزيرة ودخول امم من غير العرب في الاسلام ، بالتعليم الشفوي على طريقة العرب ، تَلْقيناً مع التفسير أو الترجمة • والغالب ان ذلك اقتصر في البدء على تعليم الشهادتين وسورة الفاتحة وبعض السور القصيرة ، مع شرح أحكام الحلال والحرام ، وتوضيح كيفية الصلاة ، وما شابه ذلك • وهذه الطريقة ظلت متبعة في نشر الاسلام على مر العصور حتى أيامنا هذه • فمثلا تعليم البربر في المغرب يبدأ بشرح المعنى لهم شفهياً بلهجتهم ، ولا يطلب استظهار غير ما شُرح معناه على هذه الطريقة • ولا شك ان هذه سنة انتقلت الى معلمي هذا الزمان من اسلافهم[1] •

والمشهور ان رسول الله كان يَميل الى اليُسْر في تلاوة القرآن • ورد ان عمر بن الخطاب اختلف مع هشام بن حكيم حول قراءة سورة الفُرقان فاحتكما الى رسول الله ، فقال لكل منهما بعد أن سمع قراءته « كذلك أنْزلت » • ثم قال لهما جميعاً : « إن هذا القرآن قد أنْزل على

(١) كما جاء في مقالة السيد محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، وزير معارف المملكة المغربية ، في « نور الاسلام » (مجلة الازهر فيما بعد) لسنة ١٣٥٥ هـ (السنة السابعة ، العدد الثالث) ، ص ١٩٢ •

سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسّر منه • »[٢] وأغلب المفسرين ان المقصود بالاحرف اللهجات العربية ، وعليه فالقراءة كانت حينئذ مباحة باللهجة التي يجدها القارىء أيسر على لسانه •

وروي ان بعض الصحابة ، وفيهم ابن مسعود ، كان احياناً ، وقياساً على ماسبق ، « يقرأ بالمرادف » • وفسّروا ذلك انه «أبيح للعرب أن يقرؤوه بلغاتهم (لهجاتهم) التي جرت عادتهم باستعمالها ، على اختلافهم في الألفاظ والإعراب ، ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته (لهجته) الى لغة اخرى للمشقة ، ولما فيهم من الحميّة ، ولطلب تسهيل المراد ، كل ذلك مع اتفاق المعنى • »[٣]

ينطبق هذا الشرح على ما شرعه رسول الله في حياته • اما بعد وفاته، وعدم وجود من يقوم مقامه حكماً عند الاختلاف في التلاوة ، فقد آل ذلك الى كتابة القرآن في المصاحف في خلافة عثمان بن عفان ، تثبيتاً للنص كما حفظه أشهر الرواة والقراء • فالاختلاف لم يكن إلا في التلاوة لا المعنى • ولم يثبت ان مسألة نقل المعاني من اللغة العربية الى غيرها قد أثيرت في حياة الرسول أو في عهد خلفائه الأولين • لكن كتب الفقه الحنفي ، وكلها كتبت في عهد متأخر ، تزعم ان رسول الله أجاز ترجمة سورة الفاتحة الى اللغة الفارسية وقراءة الترجمة في الصلاة • وجاء هذا الزعم في ثلاث روايات :

الأولى : « ان الفرس كتبوا الى سلمان الفارسي ان يكتب لهم

(٢) صحيح البخاري (بولاق ، ١٢٩٦) ج٦ ص ٩٧ ، وايضا ج٨ ص ٢٠١ ــ ٢٠٢ •

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر (القاهرة ، ١٣٤٨) ج٩ ص ٢١ــ٢٢ • انكر هذه الرواية ابن الجزري في كتاب « النشر في القرآت العشر » (دمشق ، ١٣٤٥) ج١ ص ٢١ ، ٣١ •

الفاتحة بالفارسية ، فكانوا يقرؤون ذلك في الصلاة حتى لانت ألسنتهم للعربية »[٤]

الثانية : « ان اهل فارس كتبوا الى سلمان الفارسي ان يكتب لهم الفاتحة بالفارسية فكتب ، فكانوا يقرؤون ماكتب في الصلاة حتى لانت ألسنتهم ، وقد عرض ذلك على النبي ﷺ فلم يُنْكره عليه »[٥]

الثالثة : « وعن سلمان ان قوماً من الفرس سألوه أن يكتب لهم شيئاً من القرآن ، فكتب لهم فاتحة الكتاب بالفارسية »[٦] .

لم يرد أي نص من هذه النصوص في صحيح البخاري او صحيح مسلم . ولم يذكر أياً منها أحد من الأئمة . ولكن لا صعوبة في تجريحها من الناحيتين التاريخية والدينية ، اذ لا يُثْبت التاريخ وجود مسلمين في بلاد فارس أقاموا الصلاة في حياة رسول الله وقبل الفتح الاسلامي ، واختلاف أئمة المسلمين في جواز ترجمة القرآن أو بعضه ، وجواز الصلاة بما هو مترجم ، برهان قاطع على عدم صحة القصة ، اذ لا يُعقل ان يخالفوا ما أقره رسول الله ولو بسكوته .

يُرجّح ان القصة لم تظهر قبل الامام ابي حنيفة الذي ولد من أصل فارسي حوالي سنة ٨١ للهجرة ، فهو أول من قال بجواز قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة . والمؤكد ان رأيه هذا لم يكن نتيجة أصله الفارسي ،

---

(٤) كتاب المبسوط (المحتوي على كتب الشيباني عن أبي حنيفة) للسرخسي (القاهرة ، ١٣٢٤) ج١ ص ٣٧ .

(٥) نقلا عن كتاب « النهاية والدراية » في مقالة الشيخ محمود أبو دقيقة في مجلة « نور الاسلام » (مجلة الازهر) ، العدد الاول من السنة الثانية ، ص ٣٢-٣٣ .

(٦) مجموع النووي (مطبعة التضامن بالقاهرة ، بلا تاريخ) ج٣ ص ٣٨٠ .(هذا الكتاب من كتب الفقه الشافعي) .

بل رغبة صادقة في إزالة صعوبة حقيقية ، وجدها الداخلون في الاسلام من غير العرب عندما أرادوا تأدية فريضة الصلاة ؛ فمقدرتهم على النطق بالعربية كانت ضعيفة ، ومعرفتهم بالقرآن ضئيلة ، فرأى ابو حنيفة من المصلحة تَيْسير أمر عسير عليهم .

وعلى رأيه بنى بعض أصحابه جواز قراءة القرآن في الصلاة بلغات اخرى كالتركية والهندية والسريانية والعبرانية . لكن المهم في هذا التجويز الحنفي اقتصاره على الصلاة ، ولم يكن إذناً بترجمة القرآن جملة . لكن رغماً عن هذا التحديد فقد أثار رأي ابي حنيفة جدلاً عنيفاً ، وخالفه فيه صاحباه ، ابو يوسف والشَيْباني ، اللذان أذنا بقراءة القرآن في الصلاة بالفارسية لمن كان عاجزاً عن القراءة بالعربية فقط . وذهب بعض من جاء بعدهما من اتباع ابي حنيفة انه رجع عن رأيه[7] .

واستمر الجدل بعد أبي حنيفة ، فالتمس بعض أصحابه لرأيه سنداً من القرآن والسنة . فقالوا إن رسول الله عندما ارسل كتاباً بالعربية الى هِرَقْل ملك الروم وفيه « قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلاّ الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله » (سورة آل عمران ، الآية ٦٣) ، عَلِمَ ان هذه الآية مع الكتاب ستترجم للملك ، وهذا يُعَد إذناً بترجمة غيرها . واشاروا الى قوله تعالى « وإنّه لَفي زُبُر الأوّلين » (سورة الشعراء ، الآية ١٩٥) فقيل لهم ان معنى القرآن لا لفظه كان في كُتُب الأولين ، والآيات السابقة لهذه

(٧) كتاب الهداية في الفروع لعلي المرغيناني (طبع لكنو بالهند ، ١٣٠٢) ج١ ص ٨٦ . من المتقدمين الذين قالوا برجوع ابي حنيفة عن رايه جلال الدين السيوطي في كتاب « الاتقان في علوم القرآن » (القاهرة ١٣٦٠/١٩٤١)ج١ ص ١٨٨ ، ومن المتأخرين الشيخ محمد رشيد رضا في « تفسير المنار » (القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨) ج٩ ص ٣١٣ ، ٣١٩ – ٣٢٠ .

الآية لا تترك مجالاً للشك ان القرآن نزل « بلسان عربي مبين » • واشاروا ايضاً الى قوله تعالى « إنّ هذا لَفي الصُّحُف الأُولى صُحُفِ ابراهيم وموسى » (سورة الأعلى ، الآيتان الاخيرتان) ، فكان الجواب شبيهاً بما سبق ، اي ان معاني القرآن لا الفاظه وجدت في صحف الانبياء السابقين[٨] •

ثم قال الحنفية ان التفسير والترجمة في اللغة معناهما واحد ، فاذا جاز تفسير القرآن جازت ترجمته • ولكن هذا القياس لم يقبله علماء المذاهب الأخرى • ومن اجوبتهم ان المفسر قد يُصيب وقد يخطىء في فهم مراد الله ، ولكن كلامه سبحانه وتعالى يظل المرجع الوحيد في المصحف (ولم يقل الحنفية بجواز قراءة التفسير في الصلاة) • اما المترجم فينقل كلام الله من العربية الى لغة اخرى ، فيوهم الناس ان ما نقله الى هذه اللغة هو القرآن لا معانيه • ولعل أقوى الردود على الحنفية ما بني على قوله تعالى « ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته » (سورة فصلت، الآية ٤٣) ، فهذا بحسب رأي المفسرين معناه انه لم يكن مراد الله إلا ان يجعل القرآن عربياً •

كل الحجج التي ذكرها الحنفية بناءاً على القرآن قائمة على القياس ، وضعفها ظاهر • وأقوى حُججهم العقلية المبنية ايضاً على القرآن أن التكليف يكون بحسب الوُسْع ، عملاً بقوله تعالى « لا يُكلف الله نفساً إلا وسعها » (سورة البقرة ، الآية ٢٨٥) ، وعليه يجوز للأعجمي العاجز في العربية أن يقرأ القرآن بلغته • وأبلغ فما رد على ذلك هو الامام الشافعي ، ولا عجب فهو العربي القرشي الهاشمي • قال لا تجوز القراءة

(٨) الكشاف (تفسير الزمخشري) طبعة كلكتا ١٨٥٦ ج٢ ص ١٠٠٨ ـ ١٠٠٩ • وانوار التنزيل (تفسير البيضاوي) طبعة ليبزك ١٨٤٨ • ج٢ ص ٦٠ ، ٣٩٩ •

إلا باللسان العربي ، لأن القرآن أنزل به ، ولا يكون قرآناً بلسان غيره ، والقرآن معجز باللسان العربي ، فاذا تُرجم الى غيره ذهبت عنه صفة الاعجاز . اما العاجز عن القراءة بالعربية فله بدلاً من ذلك أن يسبّح ويهلل في الصلاة[٩] .

(٢)

بحث إعجاز القرآن طويل ويتناول عدة مسائل . هل المقصود اعجاز العرب ام الناس كافة ، وهل اعجاز القرآن هو في نظمه الفريد في البلاغة والفصاحة ، او في اجتماع الجزالة مع الاسلوب المخالف لاساليب كلام العرب ، او في النظم واللفظ والمعنى جميعاً ، او في الإخبار عن غيوب المستقبل ؟[١٠]

أصل الاعجاز هو التحدي الموجود في القرآن : « وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مثله » (سورة البقرة ، الآية ٢٣) . واحتج النظام المعتزلي ان الله قد صَرَفَ العرب عن ان يأتوا بمثل القرآن في قوله تعالى « قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لا يأتكون بِمِثْله ولو كان بعضُهُمْ لِبعضٍ ظهيراً » (سورة الاسراء ، الآية ٨٨) وعلّق الباقلاني على ماسبق فقال إن الاعجمي لا يمكنه ان يعلم إعجاز القرآن إلاّ استدلالاً ، وكذلك من لم يكن بليغاً (من العرب)[١١] . ومثل ذلك ما ذهب اليه البغدادي بقوله « ان فصاحة القرآن

(٩) جاء كلام الشافعي في كتاب لمؤلف حنفي ، كتاب بدائع الصنائع للكاساني (القاهرة ، ١٣٢٧) ج١ ص ١١٢ .

(١٠) قابل رأي امام الحرمين الجويني في كتاب الارشاد (مطبوعة لوسياني ، باريس ١٩٢٨) ص ٢٠١ ـ ٢٠٢ برأي ابن تيمية في مجموع الفتاوى (مطبعة كردستان بالقاهرة ، ١٣٢٩) ج٥ ص ١٤٥ .

(١١) اعجاز القرآن (تحقيق السيد احمد صقر . القاهرة ١٩٥٤/١٣٣٤) ص ٣٩٣ .

لا يعرفها إلا العرب ... فاذا علمت العجم ان العرب أهل اللسان قد عجزوا عن معارضته علموا كونه معجزاً ... وانه لو كان من جنس كلام البشر لقدر على مثله أهل اللغة »[١٢] .

كل هذا يستدعي النظر باختصار الى بعض ما قيل في إعجاز اللغة العربية مجرداً عن إعجاز القرآن . فالجاحظ مثلاً يقول ان « فضيلة الشعر » مقصورة على العرب وعلى من تكلم بلسانهم ، والشعر (العربي) لا تستطاع ترجمته ، اذ لو حُوّلت حكمة العرب (شعرهم) الى غير العربية لبطل ذلك الاعجاز . ثم يقول ان ترجمة القرآن أعسر ومخاطرها أكبر[١٣] .

ولم يقتصر هذا الرأي على العرب ، بل قاله غيرهم من غير العرب الذين استعربوا . خذ مثلاً على ذلك جماعة اخوان الصفا التي تكونت من العرب والعجم ، وعرف اعضاؤها غير اللغة العربية لغات اخرى ذكروا منها الفارسية والسريانية والعبرانية واليونانية والرومية (اي اللاتينية ؟) . وهذا رأيهم في اللغة العربية :

« اللغة التامة هي لغة العرب ، والكلام الفصيح كلام العرب . فاللغة العربية في اللغات مثل صورة الانسان في الحيوانات . ولما كان خروج صورة الانسان آخر صور الحيوانية كذلك كانت اللغة العربية تمام اللغات الانسانية وختام صناعة الكتابة ، ولم يحدث شيء بَعْدُ ينسخها ... اما القرآن فانه لا يقدر أحد من الأمم على اختلافهم في لغاتهم ان يُحيله عما

(١٢) كتاب أصول الدين لابي منصور عبد القاهر البغدادي (استانبول ١٣٤٦/١٩٢٨) ص ١٨٤ .

(١٣) كتاب الحيوان (تحقيق عبدالسلام محمد هارون . القاهرة ١٣٥٣) ج١ ص٧٤-٧٧

هو به من اللغة العربية الى لغة غيرها ، لأنه لا يمكن أن يُنْقل البتة الى لغة أخرى • »[١٤]

ويشبه هذا ما قاله الشّهْرَسْتاني : « كما تميز نوع الانسان عن أنواع الحيوانات بالنطق المعبر عن الفكر كذلك تميز لسان العرب ولغتهم من سائر الالسن واللغات باسلوب آخر من عذوبة اللسان ورطوبة اللفظ وسهولة المخارج والتعبير عن متن المعنى الذي في الضمير بأوضح عبارة وأصح تفسير ••• »[١٥]

وهنا لا بد من سؤال • رأي الجاحظ ورأي المستعربين في تفوق اللغة العربية على سائر اللغات يُثير سؤالاً يصعب الجواب عليه • هل كان الجاحظ وهؤلاء الذين ذكروا سابقاً والذين سيذكرون فيما بعد يعرفون لغات الأمم في عهدهم معرفتهم باللغة العربية ؟ كيف أمكنهم ان يفاضلوا ويحكموا اذا كانوا لا يعرفون غير العربية ؟ اذا استثنينا اللغة الفارسية التي عرفها من كان أصله فارسياً ، واذا استثنينا معرفة اخوان الصفا باللغات التي ذكروها ، فالغالب ان العرب خاصةً والمستعربين عامة ، قد حكموا بتفوق اللغة العربية دون نظر طويل في غيرها من اللغات الاسلامية وغير الاسلامية • بل سحرتهم بلاغة القرآن وصرفتهم عن التفصيل في المقابلة • ولم يرد فيما نعلم أن احداً منهم حاول شيئاً من المقابلة • وما سنذكره فيما يلي عن الغزالي اقتصر على قوله المجمل ان بعض الالفاظ العربية لا مقابل لها بالفارسية بطابقها ، وان بعضها له ما يقابله لكن الفرس لا يستعملونه للمعاني التي يحتملها اللفظ العربي عند العرب • (اما قول

(١٤) رسائل اخوان الصفا (القاهرة ١٣٤٧/١٩٢٨) ج٣ ص ١٥٣ ، ١٧١ ، ٣٥٣ •
(١٥) كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام (مطبوعة غيوم ، اكسفورد ، ١٩٣٤) ص ٤٤٧ •

الجاحظ ان فضيلة الشعر مقصورة على العرب فيرفضه المتخصصون بشعر اللغة اليونانية مثلاً ، ولكنهم وكثير غيرهم ، حتى في هذه الايام ، يوافقونه على ان ترجمة الشعر العربي الى لغة اخرى عسيرة وترجمة القرآن أعسر).

والقول باعجاز اللغة العربية مجرداً عن إعجاز القرآن أو مقروناً به جعل غير واحد من علماء السلف ان يُنْكر وجود المُعرّب في القرآن . وهذا موضوع اهتم به بعض الباحثين من غير المسلمين في العهد الحديث . ولكن سبقهم الى ذلك علماء المسلمين عندما تجادلوا في اعجاز القرآن .. وهنا ايضاً لم يكن كل الذين انكروا وجود المعرّب في القرآن من العرب . فهذا ابو عُبَيْدة (مَعْمر بن محمد) كان من أصل فارسي يهودي ، ثم أصبح حجة في غريب الالفاظ العربية . وهو أحد الذين انكروا وجود المعرّب في القرآن بقوله « من زعم ان فيه غير العربية فقد أعظم القول . »[١٦] وعليه لا يستغرب ان ينكر ذلك الامام الشافعي بقوله ان الدلالة على عدم وجود غير العربية فيه بيّنة في غير موضع من كتاب الله فجميعه انزل بلسان العرب[١٧] وفسّر الطبري مارُوي بسند صحيح عن ابي ميْسرة التابعي قوله « في القرآن من كل لسان » ، ان ذلك مجرد اتفاق الالفاظ بين العربية وغيرها[١٨] . وتوسّع في ذلك السيوطي ، ناقلاً عن مصدر لم يسمه ، فقال كان للعرب العاربة التي نزل القرآن بلغتهم مخالطة مع غيرهم في اسفارهم للتجارة « فعَلِقَتْ من لغاتهم ألفاظاً غُيّر بعضها بالنقص من حروفها ، واستعملتها (العرب) في اشعارها ومحاوراتها حتى جرت مجرى العربي الفصيح ، ووقع بها البيان ، وعلى هذا الحد نزل

(١٦) كما ورد في كتاب الاتقان في علوم القرآن ، ج١ ص ٢٣٠ .
(١٧) الرسالة في أصول الفقه (بولاق ، ١٣٢١) ج١ ص ٨-٩ .
(١٨) تفسير الطبري : جامع البيان (بولاق ، ١٣٢٣) ج١ ص ٦-٧ .

بها القرآن » • بناءاً عليه فالكلمات اليسيرة بغير العربية لا تخرجه عن كونه عربياً » •

نشأ هذا التأكيد باعجاز العربية وربطه باعجاز القرآن في أول المئة الثانية للهجرة ، وازداد نمواً وشدة مع الزمن ، ورافقه إجماع أكثر أهل السنة على رفض رأي ابي حنيفة حتى ورفض رأي صاحبيه مع مخالفتهما له في اطلاق الحرية • وفي هذه المعركة كاد العلماء أن ينسوا تسامح رسول الله في تلاوة القرآن ، بالتزامهم العُسْر بدلاً من اليُسْر في المسألة • وقد أجملنا فيما سبق حجج الحنفية والرد عليها ، واتماماً للبحث نذكر فيما يلي تفصيل رأي الأكثرية •

كان أشد المخالفين للحنفية الامام الشافعي • وهذا تفصيل رأيه : « ان لسان العرب أوسع الالسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً ، ولا نعلمه يحيط علمه انسان غير نبي ••• وكما انه على أهل كل دين قبله (محمد) اتباع دينه ، هكذا على أهل كل لسان أن يتبعوا لسانه • وعلى كل مسلم ان يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده ، حتى يشهد به أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، ويتلو به كتاب الله تعالى ، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير ، وأمر به من التسبيح والتشهد ••• وكلما ازداد باللسان العربي الذي جعله الله لسان مَنْ ختم به نبوته وانزل به آخر كتبه ، كان خيراً له • كما عليه ان يتعلم الصلاة والذكر به ، ويأتي البيت وما أمر باتيانه ، ويتوجه لما وُجّه له ، ويكون تبعاً فيما افترض عليه، وندب اليه ، لا متبوعاً[19] •

وهذا قريب من رأي ابن قتيبة الفارسي الأصل ، فانتصاره للقرآن

(١٩) كتاب الرسالة في أصول الفقه ، ص ٩ •

انتصار مؤمن برسالة محمد وتفوق اللغة العربية على غيرها من اللغات • قال : « وللعرب الشعر الذي اقامه الله تعالى لها مقام الكتاب لغيرها ••• وحرسه بالوزن والقوافي وحسن النظم ••• فمن أراد أن يُحدث فيه شيئاً عَسُر ذلك عليه ••• وللعرب المجازات في الكلام ، ومعناها طرق القول ومآخذه ، ففيها التمثيل والاستعارة والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والإخفاء والإظهار والافصاح والكناية ••• وبكل هذه المذاهب نزل القرآن ، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله الى شيء من الألسنة ، كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور ، وسائر كتب الله تعالى بالعربية ، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب • »(٢٠)

وفيما يلي رأيان لعالمين أصلهما غير عربي • فالأول لحجة الاسلام ابي حامد الغزالي الذي قال : « التفسير وأعني به تبديل اللفظ بلغة أخرى يقوم مقامها في العربية أو معناها بالفارسية او التركية ، بل لا يجوز النطق إلا باللفظ الوارد ، لأن من الألفاظ العربية مالا يوجد لها فارسية يطابقها ، ومنها مايوجد لها فارسية يطابقها لكن ما جرت عادة الفرس باستعارتها للمعاني التي جرت عادة العرب باستعارتها منها ، ومنها ما يكون مشتركاً في العربية ولا يكون في العجمية كذلك • »(٢١)

يُفهم من كلام الغزالي هذا ان التفسير معناه الترجمة ، والكلام على اضطرابه واضح الدلالة من ان الترجمة من العربية الى الفارسية وغيرها غير ممكنة • اما الرأي الثاني فهو للزمَخْشري الذي توفي بعد الغزالي

(٢٠) تأويل مشكل القرآن (مطبوعة السيد احمد صقر • القاهرة ١٣٧٣/١٩٥٤) ص١٥-١٦
(٢١) الجام العوام عن علم الكلام (استانبول ، ١٢٨٧) ص ١٦ •

بنحو نصف قرن . قال في تفسير الآية « وما ارسلنا من دسول إلاّ بلسان قومه » (سورة ابراهيم ، الآية الرابعة) إن الحكمة في ذلك « ليفهموا عنه ما يدعوهم اليه ، فلا يكون لهم حجة على الله ، ولا يقولون لم نفهم ما خُوطِبْنا به ، فإن قلتَ لم يبعث رسول الله ﷺ للعرب وحدهم ، وانما بُعث للناس جميعاً ... وهم على ألسنة مختلفة ، فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة ... قلتُ لا يخلو إمّا ان ينزل (القرآن) بجميع الألسنة او بواحد منها ، ولا حاجة لنزوله بجميع الالسنة لأن الترجمة تنوبُ عن ذلك ... فبقي ان ينزل بلسان واحد ، وكان أَوْلى الالسنة لسان قوم الرسول ... فاذا فهموا عنه وتبيَّنُوه وتُنُوقِل عنهم وانتشر ، قامت التراجم ببيانه وتفهيمه ، كما ترى الحال ونشاهد من نيابة التراجم في كل أمة من أمم العجم ... مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والامم المختلفة على كتاب واحد ، واجتهادهم في تعلّم لفظه وتعلم معانيه... »(٢٢)

والمعنى الظاهر في هذه الفقرة لكلمتي « الترجمة » و « التراجم » هو التفسير مع المحافظة على الأصل العربي في كتاب واحد هو المصحف الشريف ، الذي اجتهد المسلمون ، في جميع الاقطار ومن جميع الأمم ، لتعلم لفظه وفهم معناه . وهذا التفسير كان في الغالب شفوياً في البدء ، كما هو معروف من التاريخ الاسلامي ، اذ انتشر الاسلام بين امم مختلفة الجنس واللسان دون أن يُترجم القرآن الى اي لغة من لغاتها . وكان واجب تبليغ الرسالة بعد وفاة رسول الله قد انتقل الى اصحابه وتابعيهم ، ثم الى الأمة الاسلامية العربية كلها . وكان تبليغ الرسالة وتعليم القرآن في هذه

(٢٢) الكشاف (تفسير الزمخشري) ج٢ ص ٦٩٦ .

الأدوار عن طريق التلقين والتفهيم والشرح والايضاح لغير العرب وللعامة من العرب على السواء •

ولكن الفقهاء ، الذين اعتادوا فيما بعد التعقيد حتى عندما حاولوا التبسيط ، فقد ربطوا تعليم القرآن على هذه الصورة بماهية الايمان التوحيد • وفي هذه المسألة ايضاً خالف ابو حنيفة واصحابه سائر أهل السنة والشيعة (حتى والمعتزلة والخوارج) • فجميع هؤلاء قالوا ان الايمان هو المعرفة بالقلب ، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح • اما الحنفية فقالوا بل هو المعرفة بالقلب والاقرار باللسان فقط ، لأن الاعمال لا تسمى ايماناً • وبنوا رأيهم هذا على القرآن ، فقالوا انه نزل بلغة العرب، والايمان في هذه اللغة هو التصديق فقط ، والعمل بالجوارح لا يُسمى فيها تصديقاً ، فليس هو ايماناً • والايمان هو التوحيد ، والاعمال لا تسمى توحيداً في لغة العرب ، فليست ايماناً[٢٣] •

والغريب في هذه المناقشة التناقض في موقف الحنفية : فهم يقولون ان الله جعل القرآن عربياً ، فكيف ارادوا هم أن يجعلوه أو بعضه فارسيا ؟

(٤)

عرّف العلماء القرآن تعريفات يمكن اجمالها بقولهم انه كلام الله المنزل على محمد ﷺ باللسان العربي ، للتبليغ والاعجاز ، نقل بالتواتر ، ثم حفظ بين دفتي المصحف • والجدل الذي أجملناه فيما سبق كان حول

(٢٣) كتاب اللمع لابي حسن الاشعري (مطبوعة حمودة غرابة • القاهرة ، ١٩٥٥) ص١٢٣، كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل لابن حزم (القاهرة ، ١٣١٧) ج٣ ص ١٨٩ •

جواز قراءة بعضه في الصلاة بلغة غير اللغة العربية • اما كتابة القرآن او بعضه بحروف غير عربية فلم يَبْحثها الأولون بالتطويل ، بل تجنبوها ما امكنهم ذلك ، لتعلقها بمسألة خَلْق القرآن التي شغلت الفقهاء في خلافهم مع المعتزلة • ومجمل رأي أهل السنة ان الحروف كالقرآن نفسه أزلية ، وجدت معه منذ الأزل في « لَوْحٍ مَحْفوظ » (سورة البروج ، الآيتان الأخيرتان) • اما الحنفية فقالوا نعم ان القرآن كلام الله وغير مخلوق ، ولكن الحروف والهجاء والصوت كلها مخلوقة ، اذ كلام الله لا صوت له ولا حروف ولا هجاء[٢٤] • ولهذا أجاز الحنفية كتابة ترجمة القرآن بغير الحروف العربية ، بشرط وضع الترجمة بين أسطر النص العربي• وهذا ما يُسمى اصطلاحاً « الترجمة المقابلة » ، كلمةً بكلمة • أما النطق فالغالب أن الحنفية لم يجدوا لأمره حلاً ، اذ لا يخفى ان بعض الحروف العربية لا مقابل لها بالفارسية او الهندية او التركية أو غيرها من اللغات الاسلامية • وهذا قد يسبب سوء النطق ، وهذا بدوره قد يُفْضي الى سوء فهم كلام الله •

والخلاصة ان آخر ما وصل اليه الجدل هو اتفاق الحنفية مع باقي أهل السنة على ان « ترجمة القرآن ليست قرآناً ••• ومحاولة الدليل لها تكلّف ، فليس أحد يُخالف في أن من تكلم بمعنى القرآن بالهندية (فكلامه) ليس قرآناً ، وليس ما لَفَظ به قرآناً • ومن خالف في هذا كان مُراغماً جاحداً »[٢٥] •

هذا ما استقر عليه الرأي حتى نهاية القرن الخامس للهجرة • ولم

(٢٤) كتاب شرح الفقه الاكبر المنسوب الى ابي حنيفة (والشرح المنسوب الى الماتريدي)• طبعة حيدر آباد ، سنة ١٣٢١ ، ص ٢٣ •

(٢٥) مجموع النووي (مطبعة التضامن بالقاهرة • بلا تاريخ) ج٣ ، ص ٣٨٠ •

يطرأ بعده على ما قرره العلماء شيء من التبديل أو التحوير . وكتب الشروح والحواشي العديدة تثبت ذلك ، فكلها تعيد النصوص بحروفها ولا تتوسّع إلا بدلالتها دون تغيير جوهرها . وهذه الشروح والحواشي كثيرة عند أهل المذاهب الأربعة ، لكن كتب الحنفية تحيّر القارىء في عناوينها المتقاربة . فهناك مثلاً ثلاثة شروح على كتاب « الهداية » لثلاثة من المؤلين هذه عناوينها : النهاية ، العناية ، الكفاية . ومثل ذلك كتاب « كنز الدقائق » له شروح منها : تبيين الحقائق ، رمز الحقائق ، البحر الرائق . ومعظم هذه الشروح والحواشي عند اصحاب جميع المذاهب كُتِبَ في عهد الركود الفكري وتعطيل الاجتهاد . ولم تتبدل الحال في جميع انحاء العالمين العربي والاسلامي حتى فجر النهضة الحديثة .

ونذكر من كتب عهد الركود هذا كتاباً واحداً في اصول الشريعة كتبه القاضي المالكي ابو اسحق اسماعيل الشاطبي الذي توفي في غرناطة سنة ٧٩٠ للهجرة . وسبب ذكره أن ما جاء فيه عن مسألة ترجمة القرآن ومزايا اللغة العربية قد استَهْوى علماء الأزهر في عهدنا عندما أعيد فتح باب الجدل بمناسبة الانقلاب السياسي في تركيا والغاء الخلافة وما جاء بعد ذلك من كتابة اللغة التركية والقرآن الكريم بحروف لاتينية بدلا من العربية . ومع ان الشاطبي لم يأت بشيء جديد ، بل سبقه الى كل ما قال الشافعي والجاحظ وابن قتيبة واخوان الصفا وغيرهم من المتقدمين ، فقد سحرت كلماته ثلاثة من الازهرين وهم الشيخ محمد الخضر حسين ، محرر مجلة نور الاسلام (مجلة الازهر فيما بعد) ، والشيخ محمود شلتوت والشيخ محمد مصطفى المراغي (وكل منهما أصبح شيخاً للأزهر فيما بعد) ، فهؤلاء الثلاثة كتبوا حول ترجمة القرآن ، وبدأ كل منهم ما كتب

باقتباس كلام الشاطبي ، دون اتباع التسلسل التاريخي في تطور الفكر الاسلامي حول هذه المسألة من عهد الرسول حتى القرن الخامس على الأقل[٢٦] .

وخلاصة ما قاله الشاطبي هي : الألفاظ العربية إما ان تكون دالّة على معان مطلقة ، أو ان تكون دالة على معان خادمة . أما الأولى فتشترك فيها جميع اللغات ، ولهذا يمكن الإخبار في لسان العرب عن الأولين ممن ليسوا من العرب وحكاية كلامهم في العربية ، كما يمكن العكس وهو حكاية أخبار العرب وأقوالهم بلسان أعجمي . واما الثانية فخاصة باللسان العربي ، وتختلف باختلاف الاسلوب من الايضاح والإخفاء ، والإيجاز والاطناب ، كما يلاحظ في اختلاف المساق في قصص القرآن ، فيأتي مساق القصة في سورة على وجه وفي اخرى على وجه آخر . وعليه لا يمكن لمن اعتبر هذا الوجه الثاني ان يترجم كلاماً من اللسان العربي الى لسان أعجمي على أي حال ، فضلاً عن ان يترجم القرآن . اما اذا اعتبر الوجه الأول فترجمة القرآن ممكنة ، ولهذا صَحّ تفسيره « وبيان معناه للعامة » باتفاق اهل الاسلام « فصار ذلك حجة في صحة الترجمة على المعنى الأصلي »[٢٧] .

كلام الشاطبي في القرن الثامن قريب من كلام الزمخشري في القرن السادس ، وكلاهما لا يختلفان عن رأي الجماعة او « اهل الاسلام » من القرن الخامس حتى العهد الحديث . جاء في النص الذي نقلناه اعلاه عن الزمخشري قوله « كما ترى الحال وتشاهد من نيابة التراجم في كل امة

---

(٢٦) نور الاسلام (مجلة الازهر) : العدد الثاني من السنة الثانية ص ١٢٢ ـ ١٣٢ والعدد الثاني من السنة السابعة ص ٧٧ ـ ١١١ ، ١٢٣ ـ ١٣٤ .

(٢٧) كتاب الموافقات (حققه الشيخ عبد الله دراز وطبع بمطبعة المكتبة التجارية الكبرى بمصر . بلا تاريخ) ج٢ ص ٦٦ ـ ٦٨ .

من امم العجم » ، فهذا يدل على ان الترجمة بمعنى التفسير كانت في القرن السادس واسطة رئيسية لتعلّم القرآن وتعليمه ، كما كانت في القرن الثامن واسطة « لبيان معناه للعامة » كما ذكر الشاطبي • ففي اي اللغات الاسلامية وجدت هذه التراجم ؟ لا شك ان أقدمها كان بالفارسية ثم بالتركية • اما التراجم الى غيرهما من لغات الأمم الاسلامية فجاءت بعد انتشار الاسلام شرقاً في الهند والملايو ، وجنوبا في افريقيا شرقيها وغربيها •

وقبل تفصيل ذلك لا بد من هذه الملاحظة ، وهي ان ماضي العالم الاسلامي يدل كما يدل حاضره على انه لم يُعْمل برأي أبي حنيفة حتى ولا برأي صاحبيه ، اي ان المسلمين ، ومنهم اتباع المذهب الحنفي ، لم يقرؤوا ولا يقرؤون الآن ، الفاتحة في الصلاة إلا باللغة العربية • فالإذن الحنفي بقراءتها في غير هذه اللغة ظلّ نظرياً لا عملياً (وأرجو من يعلم خلاف ذلك ان ينبّهني اليه) • اما الترجمة فقد اعتبرها الحنفية مع سائر أهل السنة نوعاً من التفسير ، فحرصوا جميعهم على وضع كل ترجمة تفسيرية بين اسطر النص العربي • وهذا واضح في المخطوطات الموجودة في المكاتب العامة في الشرق والغرب • فلما اقيم « مهرجان العالم الاسلامي » في لندن منذ ثلاث سنوات ، عُرِضت بعض هذه النسخ لإظهار فنون الخط والزخرفة • وقد لاحظت في عدد من النسخ وفي غيرها مما رأيت في المكاتب العامة ان النص العربي كُتب بخط اكبر من خط الترجمةالتفسيرية التي وضعت بين سطوره ، سطراً بسطر ، وكلمة بكلمة • وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه المسلمون الذين ترجموا القرآن الى لغاتهم او الى لغات أجنبية •

وظلت نسخ القرآن الكريم ونسخ تفسيره وترجمته مخطوطة عدة قرون • ولم يُطبع النص العربي حتى بعد ظهور الطباعة في البلاد الاسلامية،

وعلى رأسها الدولة العثمانية • فشيخ الاسلام فيها لم يسمح بطبع القرآن الكريم والحديث الشريف عندما سمح ، إلاّ بعد صدور فتوى شرعية وإرادة سلطانية ، بطبع الكتب الأخرى • فلما رُفع المنع وأسست مطبعة أميرية في استانبول اصبحت هذه العاصمة من اكثر بلدان العالم الاسلامي عناية بطبع الكتب الدينية • ثم حذت حذوها مصر بإنشاء مطبعة بولاق • واشتركت في ذلك بعض المطابع التي اعتنت باللغة العربية في اوروبا ، ففيها طبع القرآن الكريم بالعربية لأول مرة في مدينة هامبورغ سنة ١٦٩٤ م ، وبعد ذلك بنحو قرن ونصف القرن طبع في مدينة لَيْبْزِك طبعته بعناية المستشرق غُوسْتَاف فْلوغِل في سنة ١٨٤١ م •

وبانتشار فن الطباعة وتقدمه طُبع القرآن مراراً وتكراراً ، وطبع تفسيره بالعربية إما على حدة أو على هوامش صفحاته • ومن اقدم تراجمه المطبوعة ما صدر عن المطبعة الاميرية في استانبول سنة ١٢٤١ للهجرة (او ١٨٢٦ للميلاد) • وصاحب هذه الترجمة التركية هو اسماعيل فَرّوخ أفندي ، وقد سمّاها تفسيراً • وهي في الحقيقة ترجمة ترجمةٍ بالفارسية لصاحبها حسن الكاشفي • وطبعت ترجمة فروخ بعد ذلك ، ومن الطبعات التي رأيناها مسجلة واحدة تاريخها ١٢٨٣ هـ/١٨٦٥ م ••

ثم طُبعت بعد ذلك تراجم بلغات اسلامية وكلها سُميت تفسيراً • ولكن ظهور التراجم بغير الفارسية والتركية من اللغات الاسلامية كان تدريجياً ماشى انتشار الاسلام في الشرق الأقصى وفي افريقيا جنوبي الصحراء الكبرى • ونافست التراجم باللغات الاسلامية ما وُجد من تراجم باللغات الأوربية كالانكليزية والفرنسية والهولاندية في تلك البلاد الاسلامية التي استولت عليها انكلترا أو فرنسا أو هولاندا •

وفي مكتبة المتحف البريطاني في لندن تراجم القرآن بلغات اوربية مختلفة ، وفيها أيضاً نسخ" مطبوعة من القرآن مع ترجمته التفسيرية بالفارسية والتركية ، ومن لغات الهند بالأوردية والهندوستانية والبنغالية والبنجابية والسندية والكُجَراتية ، وكذلك بلغة تامل (سيلان) ولغة الملايو ولغة جاوه وغيرها . ومن الطرائف نسخة ترجمةٍ الى لغة مُقَصَّر، ومعها ترجمة الى الهولاندية طُبعتا معاً في مدينة أمستردام سنة ١٨٥٦ م . ومنها أيضاً نسخة مطبوعة على الحجر في دهلي سنة ١٢٨٣ للهجرة (١٨٦٦ للميلاد) ، وهي بالاضافة الى النص العربي تضم ترجمة فارسية بقلم شاه ولي الله دِهْلوي ، وترجمة هندستانية بقلم شاه رفيع الدين دهلوي . ومنها ايضا نسختان مطبوعتان على الحجر ، الأولى سنة ١٣١٢هـ (١٨٩٤ م) أثْبت فيها النص العربي وكُتبت بين سطوره ترجمة فارسية، والنسخة الثانية طبعت سنة ١٣١٣ هـ (١٨٩٥ م) أثبت فيها النص العربي وكتبت بين سطوره ترجمة أورْدية . ومن التراجم الأخرى واحدة الى لغة بورما طبعت في مَنْدَلاي سنة ١٩٣٨ م واخرى الى لغة الملايو طبعت في كَلِيكُوت سنة ١٩٣٥ م . نعم هذه وتلك حديثتا العهد ولكن مكان طبعهما له دلالته .

ومن التراجم المستعملة في بلاد افريقيا المغربية ماهو باللغة «الفلانِيَّة» ومكتوب بالحروف العربية ، وما هو بلغة « الهَوْسَا » ومكتوب بحروف لاتينية بجانب الأصل العربي ، وما هو بلغة « اليُورُوبا »[٢٨] ومكتوب

(٢٨) توجد في مكتبة المتحف البريطاني ترجمة الى هذه اللغة مكتوبة بحروف لاتينية وتاريخها « لاغوس ، ١٩٠٢ » ومكان طبعها « نتنغهام بانكلترا » . والمترجم قس اشتغل بالتبشير في نيجيريا وهو يقول في المقدمة انه غير متمكن من اللغة العربية ، ولكنه اعتمد على ترجمتين سابقتين بالانكليزية .

بحروف لاتينية • ومن التراجم في بلاد افريقيا الشرقية ماهو باللغة « السَّواحلية » ومكتوب بحروف لاتينية ، ومنها تراجم اخرى بالأمْهرية واليُوغَنْدية • (المعلومات في هذه الفقرة مأخوذة من مصري مسلم اشتغل بالتدريس في نيجيريا • والرجاء من أمثاله أن يُكْملوها أو يصلحوها) •

(٥)

تثبت التفاصيل السابقة وجود عدة تراجم الى لغات اسلامية واجنبية، وان وجودها كان مقبولاً ومألوفاً • فما سبب استهجان بعض علماء مصر، بل احتجاجهم على الترجمة في السنوات الست التي تلت انتهاء الحرب العالمية الأولى ؟ السبب الأول هو البَلْبلة وخيبة الأمل التي شملت البلاد الاسلامية عندما خرجت الدولة العثمانية ، دولة الخلافة ، من الحرب خاسرة تأتَمِرُ بأمر الدول الأوروبية المنتصرة • ولم يكن انتصار مصطفى كمال على اليونان واستعادة استقلال الاتراك في بلادهم تعويضاً عن الخسارة ، وخاصة لأنه خيّب آمال المسلمين بما أحدثته حكومته من انقلابات أولها إلغاء السلطنة واعلان الجمهورية بتجريد وحيد الدين من لقب السلطان • فلما هرب مُلْتجئاً الى سفينة حربية بريطانية عيَّن المجلس الوطني الكبير عبد المجيد مكانة للخلافة دون السلطنة ، ولكن المجلس عاد فألغى الخلافة وقرر إخراج آل عثمان في آذار سنة ١٩٢٤ •

وجاء مع هذه الانقلابات الدينية والسياسية انقلاب آخر ألَمَ العالم الاسلامي ايلاماً شديداً ، وهو اتخاذ الحروف اللاتينية بدلاً من العربية في كتابة اللغة التركية ، ثم ترجمة القرآن الى هذه اللغة وكتابته بالحروف

اللاتينية . فرأى المسلمون ان الأتراك ارادوا الاكتفاء بهذه الترجمة في الصلاة والتلاوة والتعليم ، والاستغناء عن الأصل العربي. فعَلَتْ اصوات الاحتجاج ، وكان اعلاها صوت مصر ، وأعلى الأصوات فيها كان في الجامع الأزهر ، حتى ان بعض العلماء ، ومنهم الشيخ محمد شاكر والسيد محمد الغنيمة التفتازاني ، قد كفّروا الاتراك الذين ارتَضَوْا ذلك .

وفي اثناء هذه البلبلة وجه بعضهم سؤالاً الى لجنة الفتوى في الأزهر هذا نصه : « ماقول سادتنا العلماء ، ايدهم الله ، في كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة ؟ » وهذا السؤال يُضْمِرُ اكثر مما يُعلن ، لأن الاعتراض لم يكن مقصوراً على استبدال الحروف العربية بأخرى لاتينية ، بل كان الاعتراض على نتيجة ذلك ، وهي الاستغناء عن كلام الله المنزل باللسان العربي . ولكن لما كانت الفتوى عادةً تتقيد بنص سؤال الاستفتاء جاء جواب اللجنة مقصوراً عليه ، وهذه صيغته : « الحروف اللاتينية خالية من عدة حروف توافق العربية ، فلا تؤدي جميع ما تؤدي الحروف العربية . فلو كتب القرآن بها على طريقة النظم العربي لوقع الاخلال والتحريف في لفظه ، وتبعها تغيير المعنى وفساده . وهذا ممنوع منعاً باتاً ، ومحرم تحريماً قاطعا . ومن هنا يتبينُ ان كتابة القرآن العظيم بالحروف اللاتينية المعروفة لا تجوز . والله أعلم »[٢٩] .

وهكذا أعيد فتح باب الجدل في جواز ترجمة القرآن ، على الأقل في مصر . ولكنه كان جدلاً بلا معنى ، فكل المسائل المتعلقة به قد أكمل المتقدمون بحثها ووضعوها على اسس ثابتة منذ قرون . اما خَوْض

---

(٢٩) مجلة الازهر : العدد الاول من السنة السابعة (١٣٥٦ هـ) ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

المحدثين فيها فلم يكن له ما يبرره سوى إقناع النفس ان الاستمرار في ترجمة القرآن كان جائزاً • لهذا لا فائدة من تفصيل ما قالوه ، باستثناء عالمين مشهورين في كلام كل منهما مايستدعي النظر ، وهما الشيخ محمد رشيد رضا والشيخ محمد مصطفى المراغي • اما الأول فقد اعتبر نفسه ، وان لم يعتبره كل العلماء ، خليفة محمد عبده بالدعوة للاصلاح والارشاد ، فألف تفسيراً جديداً للقرآن الكريم ، واما الثاني فكتب لما كان شيخ الجامع الأزهر مقالة عن احكام ترجمة القرآن ، على مذهب فقهاء الحنفية ، نُشرت في مجلة الأزهر ، ثم اعيد نشرها « بمناسبة شروع مشيخة الأزهر ، بالاشتراك مع وزارة المعارف ، في ترجمة معاني القرآن الكريم الى اشهر اللغات الأوروبية » • والناظر في احوال مصر السياسية حينئذٍ قد لا يرى في مقالة شيخ الأزهر سوى الدفاع عن المشروع أمام معارضيه الكثيرين •

اما كلام الشيخ رشيد رضا فهدفه ديني محض ولا علاقة له بسياسة مصر أو سياسة الأتراك • يَبْني كلامه على وجوب تبليغ دعوة الاسلام ورسالة محمد الى جميع البشر ، ولاهتداء المسلم الاعجمي عنده درجتان : دُنْيا خاصة بالعوام الذين لا يتيسر لهم طلب العلم ، فيحفظون الفاتحة وبعض السور القصيرة لقراءتها في الصلاة « ويُترجم لهم معناها بلغتهم »، وعُلْيا خاصة بالمشتغلين بالعلم ، وهؤلاء يجب ان يتقنوا لغة القرآن ويفهموه بها مستعينين بالتفاسير • وهذا الرأي شديد الشبه بما أوجبه الشافعي على كل مسلم ان يتعلم من العربية ما بلغه جهده • والشيخ رشيد رضا هو أحد المحدثين الذين يؤكدون استحالة ترجمة القرآن ترجمة حرفية، ولكنه يقول بجواز ، بل وجوب ، ترجمة معاني القرآن لأهل كل أمة

بلغتهم ترجمة تفسيرية[٣٠] •

وطريقة الشيخ مصطفى المراغي في البحث والاستنباط أنه يقتبس النصوص من مختلف كتب الأصول والفروع والشروح دون نظام تاريخي ثم يكتفي في معظم المسائل بقوله « هذه نصوص صريحة مطلقة لا تحتمل التأويل » ، وما هي كذلك ، بل بعضها غامض ، سقيم اللغة ، يحتمل اكثر من معنى واحد •• ومن الصعوبات الأخرى التي يجدها من يريد رؤية هذه النصوص في أصولها أن الكاتب قد يذكر المؤلف دون ذكر كتابه ، وقد يذكر الكتاب دون ذكر مؤلفه ، وقد يذكر هذا وذاك دون ذكر المجلد أو الصفحة في معظم الأحيان •

وتتناول المقالة مسألتين رئيسيتين ، الأولى جواز قراءة القرآن بغير العربية في الصلاة على رأي صاحبي ابي حنيفة ، وعلى فرض انه هو قد رجع عن رأيه ، والثانية جواز ترجمة القرآن اجمالاً •

ليس في المقالة عن هاتين المسألتين من جديد ، فاذا كان بحث الأولى للعلم فما قاله علماء السلف كافٍ ومعلوم ، واذا كان للعمل فلا حاجة له ايضاً لأن الكاتب لم يذكر ضرورته ، بوجود من يريد قراءة القرآن بغير العربية في صلاته حتى بين الحنفية • وقبول الاستاذ الاكبر كتابة تراجم القرآن مع النص العربي يُعد من باب الموافقة على الأمر الواقع ، وكذلك قوله بجواز الترجمة المعنوية لأنها بمنزلة التفسير ، فهذا ما اتفق عليه علماء كل المذاهب • لكنه يصعب فهم استنتاجه من الفقه الحنفي جواز الصلاة بالترجمة الحرفية وعدم جوازها بالترجمة المعنوية • فما هي الترجمة

---

(٣٠) تفسير القرآن الحكيم المعروف بتفسير المنار (القاهرة ، ١٣٤٦/١٩٢٣) ج١ ص ٣٠٧ ـ ٣٢٣ ، ٣٢٥ ـ ٣٣١ •

الحرفية ، وهل هي مستطاعة ؟ على كل حال هذا أمر نظري ، لا ينطبق على الواقع في العالم الاسلامي ، وختام المقالة يبرهن على ان غرضها الحقيقي هو الدفاع عن مشروع الترجمة المذكور والرد على معارضيه • قال الاستاذ الاكبر :

« قد غبرت قرون من لدن اختلف العلماء في جواز الصلاة بغير العربية• وترجم القرآن الكريم مرات الى شتى لغات العالم ، وما وجدنا معقل العربية قد اسلمه حماته • وخير أن يوجد للناس بالقدر الممكن ما تستقر عليه آراء أشياخ العربية والدين من فهم معاني كتاب الله ••• وحرام ان تبقى هذه المعاني محجوبة عن أعين الناس فراراً من أوهام الخائفين وحذاراً من إشفاق المُعَوِّقين • وسيجد المُخْلصون في الترجمة اكبر خدمة لدين الله الذي ارتضاه ••• »[٣١]

لا نعرف لماذا قدّم علماء الأزهر ترجمة القرآن الى لغات اوروبية على ترجمته الى لغات اسلامية ، مع قلة الحاجة الى الأولى وشدتها الى الثانية • لكن على كل حال لم يثمر مشروعهم كثيراً • اما الشيخ المراغي فكان له فضل في ارشاد مترجم مشهور • وكان هذا المترجم انكليزيا وابن قس انكليزي ، أسلم بعد درس وفكر وإقامة طويلة بين المسلمين في بلادهم ، واسمه بعد إسلامه محمد مَرْمَدْيُوك بِكْثَال • جاء مصر ومعه أصول ترجمته فاستفاد من الشيخ المراغي وغيره من العلماء ، ولكن الدكتور محمد أحمد الغَمْراوي هو الذي راجع الترجمة كلها وصحّحها مع صاحبها • ثم نُشرت في لندن سنة ١٩٣٠ تحت عنوان « معاني القرآن المجيد » •

---

(٣١) مجلة الازهر : العدد الثاني من السنة السابعة ، ص ٧٧ ومايليها •

وهذا العنوان واضح الدلالة ، يُعْلن للقارىء أن الترجمة ليست اكثر من تفسير معاني النص العربي • والمترجم هو أول مسلم قال ببطلان كل ترجمة لا يؤمن صاحبها برسالة محمد ، لأن عدم إيمانه يعوقه عن فهم المعنى وترجمته ترجمةً دقيقةً صادقةً • وهذا القول ثابت بالرجوع الى عدد من التراجم السابقة ، فمُعْظمهما كان للهدم لا للفهم ، وللتشنيع لا للتعريف • نعم تغير ذلك مع الزمن ، ولكن رأي بكثال مازال صحيحاً •

وفي الختام هذا سؤال ربما خطر على بال القارىء : لماذا أحجم العرب ، حيث أقدم غيرهم من المسلمين ، عن ترجمة القرآن ؟ أهمّ اسباب الاحجام الآيات الصريحة في القرآن ، فما جعله الله عربياً لم يَجْسُر عربي أن يجعله غير ذلك ، فللقرآن في روع كل عربي واقفٍ على اسرار بلاغته العربية منزلة من التعظيم والتكريم لا تعلو عليها منزلة ، فهو يُضْمِر في قلبه حِرْصاً على إبْقاء هذين التراثين ، القرآن الكريم ولغته الشريفة ، متكاملين على الوجه الذي أراده الله وارتضاه رسوله وألِفَهُ العرب •

عبد اللطيف الطيباوي

شيوخ أبي الوليد بن الأحمر

مؤرخ دولة بني الأحمر

الاستاذ عبد القادر زمامه

كان ابو الوليد بن الاحمر مؤرخ دولة بني مرين المتوفى بفاس سنة ٨٠٧ هـ يضع نفسه ويضعه معاصروه ومن بعدهم في مقام العلماء الرواة الذين تروى عنهم العلوم والكتب بأسانيدهم الى الشيوخ والمؤلفين ، ولقد ألف ابو الوليد فهرسة علي عادة العلماء المهتمين بالروايات والاسانيد ، ذكر فيها أشياخه في العلوم التي درسها والكتب التي قرأها وانتفع بها وربط نفسه بعدد من العلماء والمحدثين والمؤلفين بطريقة العنعنة المتصلة الحلقات وبذلك جرى على سنن أهل العلم والرواية ورفع شأن شخصيته وضمن لها الشهرة والشفوف كما ضمن لاسمه أن يذكر في فهارس أهل العلم المكتوبة بعد عصره لاسيما وأبو الوليد روى فعلا عن أعلام عصره واجازوه اجازات متعددة .... ذكرها في كتبه وافتخر بالحصول عليها .

فهو يروي الحديث عن الرحالة المحدث محمد بن سعيد الرعيني المعروف بالسراج المتوفى بفاس سنة ٧٧٨ هـ ـ ١٣٧٨ م[1] كما يروى

عن أبي القاسم بن رضوان المالقي المتوفى سنة ٧٨٣ هـ ـ ١٣٨٠ م بآزمور كما عند ابن خلدون[٢] أو بانفا كما عند ابن القاضي[٣] وكلاهما له روايات وأسانيد ارتبط كتاب الفهارس بها عن طريق ابن الاحمر وغيره وكان ابن الاحمر محظوظا في هذا الباب حيث أن تلميذه أبا زيد عبد الرحمن الجاديري كان مثله مغرما بالاسانيد والروايات وكان كثير التلاميذ فربط بين شيخه ابن الاحمر وبين عدد كبير من الفهارس التي كتبت في القرن التاسع الهجري وما بعده[٤] .

وعاصر ابو الوليد محدثاً شهيراً آخر هو أبو زكريا يحيى السراج وعرفه في فاس وروى عنه الحديث . والسراج من أعلام العصر له فهرسة حافلة وأسانيد متعددة وبواسطته اتصل سند ابن الاحمر بعدد من علماء المشرق والمغرب والاندلس[٥] .

على أن ابن الاحمر كان مقاربا للسراج في السن فلذلك اشترك معه في الاخذ عن عدد من شيوخ العصر كما يتجلى ذلك بمقارنة ما جاء في فهرسة السراج مع ما يعرف من أشياخ أبي الوليد .

وحيث أن فهرسة أبي الوليد ابن الاحمر ما تزال محجوبة عن أنظار البحث الي الان فان الوسيلة الوحيدة لمعرفة أشياخ ابن الاحمر أو على الاصح لمعرفة بعضهم هي استقراء المصادر وتتبع المظان وملاحظة كلام ابن الاحمر نفسه واشاراته في كتبه المعروفة .

ومن الجدير بالاشارة هنا هو أن فهرسة ابن الاحمر كانت معروفة في القرن الحادي عشر الهجري حيث أن أبا العباس السوداني عرفها واستفاد منها وجعلها من مصادر كتابه « نيل الابتهاج » ونقل عنها عدة نقول مفيدة[٦] وكذلك فعل ابن القاضي في الجذوة[٧] .

وينبغي عند البحث عن شيوخ شخصية علمية كتبت لنفسها فهرسة أن يكون مفهوما عند الباحث أن أصحاب الفهارس اعتادوا ـ في الغالب ـ الاهتمام بذكر أسماء الشخصيات اللامعة في عصرهم ليربطوا سندهم بها وان كان اخذهم عنها ربما تم بطريقة رمزية او شبيهة بالرمزية • وأفادت التجربة ان الفهرسة التي يكتبها أهل العلم لانفسهم لا تخلو من شيخ لازموه فعلا واستفادوا من علمه وتجربته وروايته وترك أثرا واضحا في تكوينهم الشخصي ومحصولهم العلمي كما لا تخلو من شيخ رمزي كان له في عصره شهرة بعلمٍ أو صلاح أو رواية واسعة •

ازاء هذا ، هناك ـ في الغالب ـ عدد من الاسماء والشخصيات المنسية أو المسكوت عنها والاسباب والمسوغات في هذا الميدان كثيرة • فالمعلمون الاولون الذين تؤخذ عنهم المبادىء الاولية في التعليم والتهذيب والتربية ، كثيراً ماتنسى أسماؤهم أو يسكت أصحاب الفهارس عنهم •

ومن أجل ذلك كانت الفهارس مفيدة لمعرفة شيوخ كتابها والعلوم التي درسوها والكتب التي أخذوها والعوامل التي أثرت في تكوينهم العلمي وسلوكهم الشخصي ونظرتهم الى الحياة والاحياء الا أنه ينبغي عدم اهمال الظاهرة التي وقعت الاشارة اليها هنا •

ولما كانت نشأة أبي الوليد الاولى غامضة فان جزءا من تكوينه على يد المعلمين والاساتذة في المراحل الاولى من حياته محجوب عنا •• ان لم نقل كله ••

ويلفت النظر فيما يرجع لابي الوليد ابن الاحمر انه يقول عن شخصية ذكرها في كتابه نثير فرائد الجمان وهي شخصية أحمد الدباغ الخزرجي « هو شيخي الذي به تعلمت »[٨] •

ولنبدأ بالبحث عن شيوخ ابن الاحمر الذين أشار اليهم في مؤلفاته على ترتيب ذكرهم عند ابن الاحمر في تلك المؤلفات مع الاشارة الى المكان الذي ذكرهم فيه ومصادر ترجمتهم الشهيرة ان كانت لهم ترجمة معروفة اما الذين لم نستطع أن نعرف لهم ترجمة فاننا نكتفي بما حصلنا عليه حسب الاستطاعة •

ففي كتاب « نثير الجمان في شعر من نظمني واياه والزمان » ـ وقد اعتمدنا على مخطوطة دار الكتب المصرية رقم ١٨٦٣ أدب(٩) ـ ذكر كثيرا من الاعلام المغربية والاندلسية الا أنه نعت بعضهم بقوله « شيخنا » وهؤلاء الذين نعتهم بذلك على سبيل الاستقراء هم :

١ ـ محمد بن سعيد الرعيني المعروف بالسراج المتوفي سنة ٧٧٨ هـ ـ ١٣٧٨ م ذكره أبو الوليد في مقدمة الكتاب • وروى عنه بسنده المتصل الى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حديث : « اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها • وبارك لنا في صاعها ومُدّها وانقل حُمّاها فاجعلها في الجحفة »(١٠)

وقد روى هذا الحديث عنه بمدينة فاس سنة ٧٧٤ هـ أي قبل وفاة الرعيني بأربع سنوات والرعيني شخصية علمية بارزة في عصرها لها مؤلفات وأسانيد وقد قام بعدة رحلات في المشرق والمغرق واتصل بعدة شخصيات علمية منهم أبو حيان النحوي وابن رشيد السبتي وابن سيد الناس وابن الشاط وأبو الحسن الصغير وغيرهم • ويقول ابن الاحمر عنه « وأجازني اجازة عامة »(١١) •

٢ ـ محمد بن احمد بن عبد الملك الفشتالي الذي يقول عنه ابن القاضي :

« انه صدر الصدور في الوثيقة والآداب » كما يقول عنه لسان الدين ابن الخطيب : « قاضي الجماعة ببيضة الاسلام : فاس » المتوفي سنة ٧٧٧هـ ــ ١٣٧٥ م ذكره أبو الوليد في المقدمة وروى عنه الحديث السابق • ثم ترجم له في الباب الحادي عشر من نثير الجمان وكان أثناء تأليف الكتاب ما يزال بقيد الحياة قاضيا بفاس لذلك ذكر وظائفه وأسرته العلمية وبعض ما نظمه من المقطعات الشعرية ومراسلاته مع لسان الدين ابن الخطيب الذي كان فيما يظهر يقدّر علمه وفضله • وترجم له في الاحاطة ترجمة حافلة بالتقدير[١٢] •

٣ ــ فرج بن قاسم بن احمد بن لب التغلبي الغرناطي المتوفى سنة ٧٨٣ هـ ــ ١٣٨١ م ذكره أبو الوليد في الباب التاسع من نثير الجمان • وكان ما يزال بقيد الحياة أثناء تأليف الكتاب ويظهر أن أبا الوليد لم يتصل بهذا الشيخ الاندلسي الغرناطي مباشرة ولا نملك لحد الان دليلا على الاتصال المباشر وانما يذكر أبو الوليد انه بعث اليه باجازته العلمية منغرناطة الى مقر أبي الوليد المعروف في فاس• وشخصية أبي سعيد فرج بن قاسم بن أحمد بن لب الغرناطي شخصية بارزة في عصرها علما وأدبا ومنصبا • وقد روى عنه بالاجازة تلميذه ابن الاحمر بعض قصائده في المدح النبوي[١٣] كما روى له لسان الدين ابن الخطيب مقطعات شعرية في «الكتيبة الكامنة»•

٤ ــ الحسن بن عثمان بن عطية الونشريسي المكناسي ذكره أبو الوليد في الباب الحادي عشر من نثير الجمان وذكر أسرته العلمية التي كانت تستوطن مدينة مكناس وقال فيه « شيخنا الفقيه المفتي المدرس القاضي الفرضي الاديب الحاج أبو علي بن الفقيه الصالح أبي سعيد عثمان التجاني المنعوت بالونشريسي أجازني اجازة عامة » • ويظهر أن أبا الوليد كان له

اتصال وثيق بشيخه هذا يلازم دروسه في الفقه ويستفتيه في بعض مسائله الشخصية • وكان الونشريسي يجلس في حوانيت سماط العدول بفاس لأنه كان من المبرزين في العدالة بعد أن تخلى عن منصب القضاء[١٤] • وهناك شخصية أخرى بنفس هذا الاسم « الحسن بن عطية الونشريسي » وهي أيضا من شيوخ ابن الاحمر وستأتي فيما بعد وصاحبها هو عم للحسن بن عثمان المذكور • وقد لقينا من أجل التفرقة بينهما عنتا من أجل أن المصادر التي ذكرتهما حصل في بعضها التباس وخلط[١٥] •

٥ ــ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن ابن رشد المعروف بابن الحفيد وهو سجلماسي الولادة • من ذرية الامام ابن رشد الحفيد وهو من أشياخ أبي زكرياء السراج أخذ عنه سنة ٧٦٤ هـ ثم سافر الى المشرق سنة ٧٦٧ هـ ذكره أبو الوليد في الباب الحادي عشر من نثير الجمان وذكر أنه أجازه في قصيدة البردة للبوصيري[١٦] •

٦ ــ عبد الغفار بن موسى البوخلفي • ذكره أبو الوليد في الباب الحادي عشر من نثير الجمان وقال إنه أجازه في الادب والتاريخ ثم ذكره في الباب الثاني عشر وذكر بيتين من نظمه في ذكر سيف الامام ادريس الذي بأعلى مئذنة القرويين[١٧] •

٧ ــ محمد بن محمد بن محمد بن داود ابن اجروم الصنهاجي المعروف بمنديل والمكنى بأبي المكارم • المتوفي سنة ٧٧٢ هـ ــ ١٣٧٠ م ذكره أبو الوليد في الباب الحادي عشر من نثير الجمان • وكذلك ذكر والده مؤلف « الاجرومية » وكان أبو المكارم نحويا لغويا شاعرا أديبا • وكان يدرس مقامات الحريري وغيرها وأبو الوليد يلازم دروسه • ويرافقه وقد استفاد كثيرا من لغته وأدبه[١٨] •

٨ ـ محمد بن احمد بن شاطر الجمحي المراكشي الصوفي تلميذ أبي زيد الهزميري وابن البناء • ذكره أبو الوليد في الباب الحادي عشر من كتابه • وكان ابن شاطر هذا قد رحل الى تلمسان ثم الى فاس واشتهر بخواطره الصوفية وقد ذكره المقري الجد في كتابه الحقائق والرقائق • وصحبه أبو الوليد ورأى فيه علامات الصلاح والخير وروى ما أنشده من الشعر(١٩) •

٩ ـ مسعود بن أبي القاسم • ذكره أبو الوليد في آخر الباب الثاني عشر من كتابه ونعته بالفقيه الكاتب وروى له ما قاله من نظم في السيف الذي بمئذنة القرويين(٢٠) •

هؤلاء هم الشيوخ التسعة الذين أشار اليهم ابن الاحمر في كتابه نثير الجمان • أو بعبارة أدق ، هؤلاء هم الذين كانوا على شرطه الذي اشترطه في ذكر شعر من نظمه واياه الزمان • فحيث أن لهم شعرا وجمعتهم به المعاصرة ، فلذلك ذكرهم في هذا الكتاب وروى بعضهم أخبارهم وأشعارهم وعند التأمل في تراجم هؤلاء الشيوخ يظهر أنهم عاشوا في المغرب • وأخذ عنهم ابن الاحمر في مدينة فاس قبل سنة ٧٧٦ هـ التي كان يؤلف فيها كتابه ما عدا واحدا منهم • وهو فرج بن قاسم ابن لب التغلبي الذي كان يعيش في غرناطة • ومنها أرسل اجازته الى أبي الوليد •••

كما أن هناك ملاحظة ينبغي عدم اغفالها فيما يرجع لابي القاسم ابن رضوان المالقي • فقد ذكره أبو الوليد في نثير الجمان ضمن كتاب بني مرين • وروى بعض أخباره وأشعاره ، الا أنه لم يعرج على ما يفيد انه شيخ من أشياخه • أو أنه أجازه او اتصل به اتصال أخذ واستفادة •

وسيذكر أبو الوليد شيخه أبا القاسم بن رضوان في كتاب مستودع العلامة وينعته هناك بشيخنا ٠ والسبب في ذلك هو أن أبا الوليد أثناء تأليف نثير الجمان كان الى حد ذلك التاريخ لم ينل من أبي القاسم اجازة علمية ثم نالها بعد ذلك ٠ وهذا شيء مألوف عند العلماء والرواة المتقدمين حيث أن بعض الاجازات العلمية كان لا ينالها بعض الاعلام الا في آخر طور من أطوار حياتهم العلمية وبعـد تأليف عدة كتب ٠ وكتاب مستودع العلامة تأخر في التأليف عن نثير الجمان بمدة طويلة كما سيأتي في الحديث عن مؤلفات أبي الوليد ٠

وفي كتاب نثير فرائد الجمان في نظم فحول الزمان لا يذكر أبو الوليد الا شيخا واحدا من شيوخه وهو :

١٠ ــ أحمد بن محمد الدباغ الخزرجي ذكره في آخر الكتاب وقال عنه هو شيخي الذي به تعلمت ٠ وكان أبو الوليد قد ذكره في نثير الجمان مرتين مرة في الباب الثالث في ترجمة ابن عمه الامير اسماعيل بن فرج ٠ وقال أنه كان شاعر ابن عمه المذكور ٠ وذكره مرة ثانية في آخر الباب الثاني عشر ونعته بقوله صاحبنا الفقيه الكاتب[٢١] ٠

وفي مستودع العلامة أشار أبو الوليد الى شيخين من شيوخه هما :

١١ ــ أبو القاسم ٠ عبد الله بن يوسف بن رضوان المالقي النجاري وهو من الشخصيات اللامعة في هذا العصر رواية ودراية وسياسة وجاها ونفوذا وشهرة ٠ وله اتصالات كثيرة مع أعلام العصر ٠ وترجمة واسعة في المصادر الاندلسية والمغربية وقد تسلسل العلم والجاه في أسرته بفاس مدة طويلة ٠ وما زال هناك درب شهير بفاس يعرف بهم الى الان ٠ يسمى درب الرضاونة[٢٢] ٠

١٢ ــ أبو القاسم محمد بن يحيى الغساني البرجي ويظهر أن أبا الوليد كان على اتصال وثيق بأبي القاسم البرجي وله معه مراسلة طريفة تدل على شيء أكثر من علاقة التلميذ مع الاستاذ بل تدل على صداقة وتقدير وانسجام بين أديبين تهزهما أريحية الادب وخفة الروح[٢٣] •

وفي مخطوطة شرح البردة لابي زيد عبد الرحمن الجاديري تلميذ ابن الاحمر نجده يذكر طائفة أخرى من الشيوخ الذين أخذ عنهم وانتفع بما عندهم من علوم ومعارف • وكلهم أخذ عنهم بفاس •

١٣ ــ الرحالة المغربي الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة • وقد كان وفد على فاس على عهد ابي عنان • وأملى رحلته على أبي عبد الله ابن جزي الذي كتبها واشتهر امرها شرقا وغربا ثم تولى القضاء في ناحية تامسنا وتوفي سنة ٧٧٩ هـ ــ ١٣٧٧ م وقد أحدث ابن بطوطة بالاخبار التي رواها في رحلته نوعا من الاعجاب من جهة والشك والاتهام من جهة أخرى • ولا يفيدنا أبو الوليد عن موقفه من أخبار شيخه هل كان مع المعجبين ، أم كان مع الشاكين المتهمين[٢٤] •••

١٤ ــ أبو علي عمر بن محمد البطوئي المعروف بابن البحر وهو من شيوخ ابن عباد وأبي زكرياء السراج[٢٥] •

١٥ ــ أبو عبد الله محمد المدعو بأبي خريص بن ياسين اليباني المريني[٢٦] •

١٦ ــ أبو العباس احمد بن أبي القاسم القباب الفقيه الشهير الذي ألف لسان الدين بن الخطيب رسالة مثلى الطريقة من أجله وقد توفي بفاس سنة ٧٧٨ هـ ــ ١٣٧٦ م[٢٧] •

١٧ ــ محمد بن حياتي الغافقي النحوي الغرناطي الاصل الفاسي الدار والإقبار[٢٨] .

١٨ ــ ابراهيم بن أبي زيد عبد الرحمن « ابن الامام » التلمساني نزيل فاس المتوفي بها سنة ٧٩٧ هـ ــ ١٣٩٤ م[٢٩] .

١٩ ــ القاضي عبد الله الاوربي . وهو من الفقهاء المشهورين بفاس وقد توفي سنة ٧٨٢ هـ ــ ١٣٨٠ م[٣٠] .

بعد هذا يأتي الحديث عن شيوخ آخرين وقعت الاشارة اليهم في مصادر أخرى ، غير كتب ابن الاحمر وتلميذه الجاديري .

ففي نيل الابتهاج لابي العباس السوداني التنبكتي المتوفى سنة ١٠٣٦ هـ ــ ١٦٢٧ م .

٢٠ ــ ابراهيم بن عبد الحق الحسناوي التونسي يقول ابن الاحمر انه توفي بفاس سنة ٧٩٥ هـ ــ ١٣٩٢ م[٣١] .

٢١ ــ الحسن بن عطية الونشريسي المكناسي . وهو عم الحسن بن عثمان بن عطيه الذي مر ذكره رقم ٤ في شيوخ ابن الاحمر وقد ذكره المؤرخون أيضا في جملة شيوخ ابن الاحمر[٣٢] .

٢٢ ــ أحمد بن محمد الخزرجي المعروف بابن الشماع المراكشي نزيل فاس له فهرسة وكان من أعلام العصر[٣٣] .

٢٣ ــ سعيد بن محمد ابن أبي العافية المكناسي المتوفى سنة ٧٨٨ هـ ــ ١٣٨٦ م[٣٤] .

٢٤ ــ عبد الواحد بن منديل الانصاري الفاسي المتوفي سنة ٧٧٨ هـ ــ ١٣٧٦ م[٣٥] .

٢٥ ـ محمد بن سعيد الصنهاجي الزمّوري الشهير بأنقشابو وهو من المؤلفين المحدثين الرحالين المدرسين القضاة وله تآليف معروفة ما تزال مخطوطة وقفنا على اثنين منها في خزانة القرويين هما « التحفة الطريفة في الاسرار الشريفة » رقم ١٣٤٣ و « كنز الاسرار ولواقح الافكار » رقم ٨٤٦ .

وتوجد من هذا الكتاب الاخير نسخة أخرى بخزانة جامع ابن يوسف بمراكش رقم ٤٥٦ .

ومن آثار « أنقشابو » هذا نعلم أنه كان رحالة موسوعيا يهتم بوصف الكرة الارضية وفن الغرائب والعجائب مع خلط الحقيقة بالاساطير[٣٦] .

٢٦ ـ محمد بن علي بن البقال الانصاري الفاسي يقول ابن الاحمر انه توفي بفاس سنة ٧٧٨ هـ وأنه أجازه اجازة عامة[٣٧] .

وفي جذوة الاقتباس بعض شيوخ ابن الاحمر نذكر منهم هنا من لم يسبق ذكره منهم .

٢٧ ـ محمد بن عبد الرحمن المومناني يكني أبا الحسين يقول ابن الاحمر « لقيته بفاس وأخذت عنه وأجاز لي اجازة عامة وكذلك أجاز ولدي يوسف » ويقول ابن القاضي في آخر هذه الترجمة من جذوة الاقتباس ان ابن الاحمر ذكره في الحديقة ولم يذكر وفاته[٣٨] .

ويذكر مؤلف كتاب بيوتات فاس شيخين آخرين من شيوخ ابن الاحمر هما :

٢٨ ـ عثمان بن رضوان الوزروالي . وتابعه في ذلك أبو زيد الفاسي في اختصاره لهذا الكتاب[٣٩] .

٢٩ ــ محمد بن أبي بكر الحميدي وتابعه في ذلك أبو زيد الفاسي في « الاختصار » أيضا[٤٠] .

وجاء في ترجمة أبي الوليد ابن الاحمر من كتاب « سلوة الانفاس » ذكر هاتين الشخصيتين على أنهما من شيوخ ابن الاحمر وهما :

٣٠ ــ أبو سعيد محمد بن عبد المهيمن الحضرمي[٤١] .

٣١ ــ عبد المهيمن بن أبي سعيد محمد بن عبد المهيمن الحضرمي وهو ابن الشيخ السابق[٤٢] .

كما جاء في كتاب السلوة أيضا أن أبا الوليد بن الاحمر روى شعر صفي الدين الحلي عن :

٣٢ ــ الحاج محمد الهادي بن أبي القاسم بن نفيس الشريف الكربلائي العراقي جد أسرة العراقيين الشهيرة بفاس الذي وفد من العراق على المغرب وحظي عند بني مرين[٤٣] .

وأكد ذلك ما عند ابن الاحمر في نثير فرائد الجمان ، حيث يذكر انه سمع شعر صفي الدين الحلي من الشيخ المذكور ومن شيخ آخر هو :

٣٣ ــ أبو الحسن ابن الامير ملك الموصل محمد المدعو بحيدرة نزيل فاس[٤٤] .

وجاء في مخطوطة « المنح البادية » التنصيص على أن ابن الاحمر أخذ عن :

٣٤ ــ يحيى السراج الرندي المحدث الرحالة الشهير مؤلف الفهرسة

وغيرها وهو من أعلام العصر وشيوخ الرواية والدراية بالمغرب وتوفي سنة ٨٠٥ هـ ــ ١٤٠٠ م[٤٥] •

هؤلاء هم الشيوخ الذين امكن الاطلاع على أن ابن الاحمر اخذ عنهم واستفاد منهم • ولا ريب أنهم مجموعة من أعلام القرن الثامن الهجري متنوعة المشارب والاتجاهات ، الا أنها تمثل تنوع الحياة العلمية من جهة• كما تمثل اهتمامات أبي الوليد وحرصه على أن يستفيد ويجمع من المعلومات ما يجعله في مستوى لائق بمكانته وسمعته وطموحه العلمي •

وهؤلاء الشيوخ متفاوتون في الشهرة وبعضهم لا تعرف له ترجمة • الا أن هذا لا يدل على خمول او ضعة فكثير من تراجم الاعلام وقع فيها مثل هذا • ولو كانت فهرسة أبي الوليد معروفة الان لأمكن ان تكشف النقاب عن كثير من الاشياء المحجوبة عنا لا من أخبار شيوخ أبي الوليد فقط ، ولكن من أخبـاره هو واتصالاته ومعـارفه التي جمعها من هذه الاتصالات •

واذا قارنا بين هؤلاء الشيوخ الذين أخذ عنهم ابن الاحمـر وبين الشيوخ الذين ذكرهم أبو زكريا السراج في فهرسته المخطوطة وجدنا أن السراج اشترك مع ابن الاحمر في عدد كبير من الشيوخ لتقاربهما في السن واشتراكهما في الاهتمامات •

أما تلاميذ ابن الاحمر فالذي اشتهر بالرواية عنه هو تلميذه أبو زيد عبد الرحمن الجاديري الذي يرتبط أصحاب الفهارس بواسطته بأبي الوليد وقد كتب الجاديري فهرسة اختصر فيها فهرسة شيخه ابن الاحمر ــ كما يقول المؤرخون ــ وقد اعتدنا في كتب الفهارس المغربية المتعددة هـذا

السند الشهير : ابن غازي عن أبي الحسن منون عن الجاديري عن أبي الوليد بن الاحمر[٤٦] .

ولا نودع هذا الفصل دون أن نشير الى شيئين أولهما :

أن ابن الاحمر يذكر في نثر الجمان في الباب الثاني عشر منه سعيد بن ابراهيم السدراتي الكاتب الاديب ويقول عنه « وامتدحني وأفدته في الطريقة الادبية وهو من أهل فاس ويعرف بشهبون الاديب » فعلى هذا يكون السدراتي من تلاميذ ابن الاحمر الا أننا لا نعرف عنه لحد الان شيئا زائدا على ما عند ابن الاحمر .

ثانيهما :

أنه وقع في السلوة ذكر أبي زيد الجاديري ضمن شيوخ ابن الاحمر وهو سبق قلم . لان الجاديري من تلاميذ ابن الاحمر لا من شيوخه كما هو معلوم ولان مؤلف السلوة نفسه ذكر في ترجمة الجاديري من كتابه انه أخذ عن ابن الاحمر[٤٧] .

فاس **عبد القادر زمامة**

الاحـالات والتعليقـات

١) انظر فهرس الفهارس ج١ ص ٣٢٧ ط فاس ١٣٤٦

٢) كتاب التعريف بابن خلدون ورحلته ط القاهرة ١٩٥١ ص ٤٤

٣) الجذوة ص ٤٣٥ ط الرباط

٤) انظر ترجمة الجاديري في سلوة الانفاس ج٢ ص ١٥٧ .

٥) مخطوطة فهرسة أبي زكرياء السراج . الخزانة العامة رقم ١٢٤٢ ك . وانظر ترجمة السراج في السلوة ج٢ ص ١٤٣ .

٦) نيل الابتهاج ص ٣٦١ .

٧) انظر جذوة الاقتباس ص ٩٧ ـ ٢٣٦ ـ ٤٢٤ ـ ٥١٩ .

٨) نثير فرائد الجمان ص ٣٧٦ ط بيروت ٠
٩) بعد اتمام هذه الدراسة ودفعها الى المطبعة صدر الكتاب بتحقيق وتقديم د٠ محمد رضوان الراية بيروت ١٣٩٦ ــ ١٩٧٦ ٠
١٠) انظر نص الحديث الشريف في كتاب الحج من صحيح الامام البخاري ٠
١١) انظر ترجمة الرعيني في الجذوة ص ٢٣٥ ونيل الابتهاج ص ٢٧١ والسلوة ج٣ ص ٢٧٧ وفهرس الفهارس ج١ ص ٣٢٦ ٠
١٢) انظر ترجمة الفشتالي في الاحاطة ج٢ ص ١٨٧ ط عنان ، والجذوة ص ٢٣٤ ط ٠ الرباط والمرقبة العليا للنباهي ص ١٧٠ ٠
١٣) انظر ترجمة فرج بن لب في درة الحجال ص ٤٥٣ ج٢ ٠ ونيل الابتهاج ص ٢١٩ والكتيبة الكامنة ص ٦٧ ط بيروت ، وانظر مخطوطة الاحاطة ترجمة فرج ٠ وبغية الوعاة ص ٣٧٢ ط القاهرة ١٣٢٦ ٠
١٤) السلوة ج٣ ٠ ص ٢٥٩ والجذوة ص ١٧٩ ط الرباط ٠
١٥) انظر مخطوطة نثير الجمان الباب الحادي عشر ترجمة الفقيه القاضي الحسن بن عثمان ابن عطية بن موسى بن يوسف بن عبد العالي التجاني المعروف بالونشريسي ونفاضة الجراب ص ٢٧٥ ونيل الابتهاج ص ١٠٧ ونفح الطيب ج٥ ص ٣٥٢ وراجع الروض الهتون ص ٣٥ ط الرباط ١٩٦٤ واتحاف أعلام الناس ج٣ ٠ ص ٢ وكتاب المنهج الفائق لابي العباس الونشريسي ٠ ط حجرية بفاس ٠ الملزمة ٢ ص ٣ ٠
١٦) نيل الابتهاج ص ١٦٨ والدرر الكامنة ج٢ ص ٤٥١ ط القاهرة سنة ١٩٦٦ تاريخ ابن قاضي شهبة ص ٢٣٠ ٠ ط دمشق ١٩٧٧ ٠
١٧) لا نعرف ترجمة لهذه الشخصية في المصادر التي بين أيدينا ٠
١٨) السلوة ج٢ ٠ ص ١٥٦ ٠
١٩) الاحاطة ج٣ ص ٢٦٩ ط عنان القاهرة سنة ١٩٧٥ النفح ج٥ ص ٢٤٨ وراجع «الاعلام» لعباس ابن ابراهيم المراكشي في ترجمته ٠
٢٠) لا نعرف لهذه الشخصية ترجمة في المصادر التي بين أيدينا الآن ٠
٢١) انظر كتاب نثير فرائد الجمان ص ٣٧٣ ٠
٢٢) الاحاطة ج٣ ٠ ص ٤٤٣ ط عنان ٠ وجذوة الاقتباس ص ٤٣٥ ط الرباط ٠ ومستودع العلامة ص ٥١ ط تطوان ٠ وانظر ماكتبه احسان عباس عن ابن رضوان وكتابه في السياسة في « كتاب العيد » ص ٩٩ ٠ الجامعة الامريكية بيروت ١٩٦٧ وانظر بيوتات فاس البيت رقم ٧٩ ٠
٢٣) الكتيبة الكامنة ص ٢٥٠ مستودع العلامة ص ٥٦ والجذوة ص ٣١١ ونيل الابتهاج ص ٢٦٦ ٠
٢٤) انظر مخطوطة شرح البردة في المجموع رقم ٦٤٣ خزانة القرويين وانظر الاحاطة ج٣ ص ٢٧٣ ٠ ط عنان سنة ١٩٧٥ ٠
٢٥) لا نعرف لهذه الشخصية ترجمة فيما بين ايدينا من المصادر الآن ٠
٢٦) لا نعرف عن هذه الشخصية شيئا فيما بين أيدينا الآن من المصادر ٠
٢٧) انظر السلوة ج٣ ٠ ص ٢٤٤ وانظر ما كتبه عنه ابن الخطيب في الجزء الاول من الاحاطة في ترجمته ص ١٨٧ ٠
٢٨) السلوة ج٣ ٠ ص ٢٧٨ ٠

٢٩) السلوة ج٢ ٠ ص ١٢٠ ٠
٣٠) نيل الابتهاج ص ١٤٩ والسلوة ج٣ ٠ ص ٣٠١ ٠
٣١) نيل الابتهاج ص ٤٦ والسلوة ج٣ ٠ ص ٢٥٤ ٠ والجذوة ص ٩٧ ٠
٣٢) نيل الابتهاج ص ١٠٧ والجذوة ص ١٧٩ وانظر التعليق رقم «١٥» من هذا الفصل ٠
٣٣) نيل الابتهاج ص ٧٤ ٠ وأعلام المراكشي ج٢ ٠ ص ١٠ ط فاس وفهرس الفهارس ج٢ ٠ ص ٤١٣ ٠
٣٤) نيل الابتهاج ص ١٢٥ ٠
٣٥) نيل الابتهاج ص ١٨٨ والسلوة ج٣ ص ٣٠٧ ٠
٣٦) نيل الابتهاج ص ٢٧١ والجذوة ص ٢٣٨ ٠
٣٧) نيل الابتهاج ص ٢٧١ والجذوة ص ٢٣٦ والسلوة ج٣ ص ٢٧٧ ٠
٣٨) الجذوة ص ٢٢٤ ٠
٣٩) بيوتات فاس رقم البيت ٧٩ وانظر الاختصار لابي زيد الفاسي ط حجرية بفاس وراجع السلوة ج٣ ٠ ص ٣٠٩ ٠
٤٠) البيت رقم ٨٢ من بيوتات فاس والسلوة ج٣ ٠ ص ٢٧٩ ٠
٤١) انظر لقط الفرائد لابي العباس بن القاضي المطبوع ضمن « ألف سنة من الوفيات » ص ١٣١ ط الرباط ١٩٧٦ وقد سقط اسمه في الطبعة الاولى من درة الحجال وذكر في الطبعة الثانية ج٣ ٠ ص ٢٠٤ مع خطأ في تاريخ الوفاة لانها وقعت كما في لقط الفرائد سنة ٧٨٧ هـ لا في سنة ٧٨٠ التي في الطبعة الثانية من درة الحجال ٠ وانظر نفح الطيب ج٥ ص ٤٧١ والسلوة ج٣ ٠ ص ٢٥٧ ٠

٤٢) الجذوة ص ٤٤٦ والنفح ج٥ ٠ ص ٤٧١ ٠

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن الاحمر ذكر في كتابه « مستودع العلامة » كلا من عبد المهيمن الحضرمي « الجد » وعبد المهيمن الحضرمي « الحفيد » ووصف الاول بقوله « صاحبنا » كما وصف الثاني بنفس الصفة « صاحبنا » ٠٠٠ انظر مستودع العلامة ص ٥٠ ـ ٥١ ٠

٤٣) انظر السلوة ج٣ ٠ ص ١٧ وانظر نثير فرائد الجمان ص ٢٢٢ ط ٠ بيروت ٠
٤٤) لا نعلم عن هذه الشخصية شيئا زائدا على ماذكره ابن الاحمر في نثير فرائد الجمان ٠
٤٥) هو يحيى السراج الاكبر صاحب الصوفي الشهير ابن عباد الرندي انظر عنه الجذوة ص ٥٣٩ والسلوة ج٢ ٠ ص ١٤٣ وفهرس الفهارس ج٢ ٠ ص ٣٣٨ وانظر فهرسته المخطوطة في الخزانة العامة بالرباط ٠

وانظر مخطوطة « المنح البادية » بالخزانة الملكية بالرباط رقم ٥١٦٤ ولا يفوتنا أن نشير الى أن ابن الاحمر عبر عن السراج بقوله « صاحبنا » كما في نيل الابتهاج ص ٣٥٦ ٠

٤٦) انظر نيل الابتهاج ص ٢٠٨ ٠ وفهرسة ابن غازي « مخطوطة خاصة » والسلوة ج ٣ ٠ ص ٢٥٧ وج٢ ص ١٥٧ ٠

٤٧) انظر السلوة ج٢ ٠ ص ١٥٧ ٠

أخبار يموت بن المزرع

منه

الاستاذ ابراهيم صالح

مقدمـــة :

المؤلف : هو أبو بكر يموت بن المزرّع بن يموت •••• وهو ابن اخت أبي عثمان الجاحظ • قـدم بغـداد وهو شيخ كبير ، **وحدث بها** عن أبي عثمان المازني ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي الفضل الرياشي ، ونصر بن علي الجهضمي ، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ، ومحمد بن يحي الأزدي ، وأبي إسحاق ابراهيم بن سفيان الزيادي وغيرهم •

روى عنه : أبو بكر الخرائطي ، وأبو الميمون بن راشد ، وأبو الفضل العباس بن محمد الرقي وأبو بكر بن مجاهد المقرىء ، وأبو بكر بن الانباري وغيرهم •

ـ **كان أديباً أخبارياً** ، وله ملح ونوادر • وكان لا يعود مريضاً خوفاً أن يتطيّر من اسمه •

ـ ولابن المزرع **أخبار وحكايات ونوادر** •

ـ وكان له ولد يدعى أبا نضلة مهلهل بن يموت بن المزرع وكان شاعراً مجيداً •

ـ وكان يموت قد قدم مصر مراراً وآخر قدومه اليها في سنة ٣٠٣هـ وخرج في سنة ٣٠٤ هـ •

ـ مات سنة ٣٠٤ هـ بدمشق وقيل : سنة ٣٠٣ بطبرية الشام •

[اهـ ملخصاً عن ابن خلكان ٧/٥٣ وما بعد بتحقيق الدكتور احسان عباس ، ومراجع ترجمته في حواشيه] •

وصف المخطوطة : المخطوطة من ذخائر دار الكتب الظاهرية بدمشق كتبت سنة ثلاث وثمانين وستمئة بالقاهرة عن نسخة كتبت سنة سبع عشرة وستمئة بدمشق •

وهي نسخة فريدة ضمن المجموع رقم ٧٢ من صفحة ١٠٢ ب الى صفحة ١٠٤ ا • كُتب في آخرها : « عورض فصحّ » ولكنها لا تخلو من اخطاء • كُتبت على ورق متين وبحبر بنّي ، وهي ملحقة بكتاب الفوائد والاخبار عن ابن دريد برواية ابي مسلم محمد بن أحمد بن علي البغدادي كاتب الوزير ابن حِنزابة• كتاب الأخبار ليموت برواية أبي محمدالحسن بن رشيق العسكري وعنه برواية علماء ثقات آخرهم ابن الأنماطي •

مما يزيد في قيمة النسخة كثرة السماعات فيها ، ولكن يتعذر قراءة بعضها لاحتراق الحبر •

وفيما يلي نص الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

« رب زدني علماً »

[١٠٢ ب]

أخبرنا الشيخ الأصيل أبو بكر محمد بن الإمام الحافظ أبي طاهر اسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن ابن الأنماطي الأنصاري أطال الله بقاءه، قراءةً عليه ، ونحن نسمع ، قيل له : أخبرك الشيخ الجليل أبو المحاسن محمد بن السيد بن فارس الأنصاري قراءةً عليه ، وأنت تسمع فأقرّ به ، أنبا القاضي المنتخب أبو المعالي محمد بن يحي بن علي بن عبد العزيز القرشي إجازة[١] ، أنبأ أبو الحسن محمد بن الحسين بن احمد بن السري النيسابوري البزاز المعروف بابن الطفال بمصر سنة تسع وثلاثين وأربعمئة، أنبا أبو محمد الحسن بن رشيق العسكري ؛ انشدنا يموت بن المزرّع :

* ١ أنشدنا أبو هِفّان لنفسه :[٢] **[من الطويل]**

فإن تسألي عنا فانّا حلَى العلى ... بنو مهزمٍ والأرض ذات المناكبِ
وليس لنا عيبٌ سوى أن جودَنا ... أضرّ بنا ، والناس في كل جانبِ
وأفنى الندى أموالَنا غيرَ ظالمٍ ... وأفنى الردى أعمارَنا غيرَ عائبِ
أبونا أبٌ لو كان للناسِ كلِّهم ... أبٌ مثلُه أغناهمُ بالمناقبِ

* ٢ أنشدنا يموت قال : أنشدنا أبو هفان لنفسه : **[من الطويل]**

---

(١) الى جانب هذه الكلمة في الهامش التعليقة التالية ، سقط رجل أظنه أبا الفرج جهله بشر الاسفراييني .

(٢) الابيات في ذيل الامالي للقالي ص ٩٦ ونضرة الاغريض للمظفر العلوي ص ١٣٠ والثاني والثالث في العمدة ٢/٤٨ .

يُعَيِّرني عُربي رجالٌ سفاهةً فعزَّيتُ نفسي مُصدراً ثم موردا(١)
فإني كمثل السيف أحسنُ ماترى وأهيبُ مايُلقى إذا هو جُرِّدا

* ٣ أنشدنا أبو هفان لنفسه : **[من الطويل]**

لعمري لئن بيّعت في دار غربةٍ ثيابيَ أن ضاقت عليَّ المآكلُ
[١١٠٣] فما أنا إلاّ السيفُ يأكل جفنَهُ له حليةٌ من نفسهِ وهو عاطلُ

* ٤ حدثنا يموت ، ثنا ابن الأبزاري ، ثنا جعفر بن أحمد ، حدثني أبي قال:

كان عبد الملك بن بجرة النمري ربيعياً شارياً(٢) ، فلما قَتَل يزيدُ بن مَزْيد الوليدَ بن طريف الشاري رثاه منصور بن بجرة فقال :(٣) **[من الطويل]**

أيا شجرَ الخابورِ مالكَ مُورقاً كأنّكَ لم تأسَ على ابن طريفِ(٤)
فتىً لا يحب الزادَ إلاّ من التُّقى ولا المالَ إلا من قناً وسيوفِ
عليكَ سلامُ اللهِ وقفاً فإنني أرى الموتَ وقّاعاً بكلِ شريفِ

* ٥ حدثنا يموت بن المزرّع ، ثنا برد بن حارثة ، أنبا مصعب الزبيري قال : أتى الدارميُّ الشاعرُ الأوقصَ قاضي مكة في شيءٍ فتحامل عليه ؛ فبينا الأوقصُ يوماً في المسجد الحرام ينادي ربَّهُ ويقولُ : ياربّ أعتق

(١) في الاصل : مصدراتي وموردا ، صوابه من مقدمة كتاب أخبار أبي نواس لابي هفان .

(٢) في الاصل : ربيعي شاري .

(٣) الابيات للفارعة أو ليلى بنت طريف أخت الوليد في الاغاني ٩٣/١٢ - ٩٦ ووفيات الاعيان ٣٢/٦ وحماسة البحتري ٢٧٦ والحماسة الشجرية ٣٢٨/١ وأمالي القالي ٢٧٤/٢ والوحشيات ١٥٠ وتاريخ الطبري ٢٦١/٨ والمختار من شعر بشار ٢٩ ونضرة الاغريض ٣٣٢ والاعلاق الخطيرة ج٣ ق١ ص ٢٢ - ٢٤ واعلام النساء ٢٠/٤ - ٢١ وديوان الخنساء ١٧٣ ط ١٨٨٨ .....

(٤) في الأصل : تاسا ، وفي المراجع : لم تجزع .

رقبتي من النار ، فقال له الدارمي : أوَلك رقبةٌ تُعتَق ؟ لا والله ماجعل الله لك ، وله الحمد ، من عتقٍ ولا رقبةٍ فقال له[١] الأوقصُ : مَن أنت ؟ قال : أنا الدارميُّ قتلتني وجُرتَ عليّ ، قال : لا تقل ذاك ، إنني أحكم لك[٢] .

* ٦ حدثنا يموت بن المزرّع ، ثنا محمد بن حميد ، حدثني عمي شيخ[٣] من الحي ، قال : لمّا كانت الفتنة بالبصرة ، أنشدني علي بن أبي أمية :[٤]

[من المتقارب]

دهتنا أمورٌ تشيبُ الوليدَ ويخذل فيها الصديقَ الصديقُ
قتالٌ مبيدٌ ، وسيفٌ عتيدٌ ، وجوعٌ شديدٌ، وخوفٌ، وضيقُ
وداعي الصباحِ يطيلُ الصياحَ : السلاحَ السلاحَ ، فما يستفيقُ
فباللهِ نبلغُ ما نرتجي وبالله نَدفعُ ما لا نُطيقُ

* ٧ حدثنا يموت بن المزرّع ، ثنا محمد بن الصباح عن محمد بن سلام عن ابن الماجشون قال : ذكر أبو عاصم محمد بن حمزة[٥] الأسلمي وهو مدني قال[٦] : بلغْ عنّي حسن بن زيد بن حسن بن علي بن أبي طالب

(١) في الأصل : لنا .

(٢) في الأصل : لا تقول ذاك ، انني أحلم لك . والخبر في الاغاني ٤٩/٣ باختلاف رواية .

(٣) لعله : حدثني عمي (عن) شيخ من الحي ...

(٤) الأبيات في تاريخ الطبري ٣١٦/٩ وقال الطبري : انه ينشد لعلي بن أمية في فتنة المخلوع والمأمون .

(٥) في الأصل : حزمه ، خطأ .

(٦) كلمة قال مكررة في الأصل .

أني قلت فيه :[١] **[من الوافر]**

لــــه حقٌّ وليس عليــــه حقٌّ ومهمـــا قال فالحسنُ الجميــلُ
وقــد كان الرسولُ يرى حُقوقاً عليــه لأهلهــا وهــو الرســولُ

فغضب عليٌّ الحسن بن زيد .

وقال ابن الصباح ، ثنا عبد العزيز عن موسى بن كبير قال : بلــغَ الحسنَ أنّ الأسلمي قد هجاه ، فلما ولي المدينة **[١٠٣ ب]** للمنصور أتاه ، في يوم قعد فيه للأعراب ، متنكراً فأنشده : **[من الوافر]**

ستأتي مدحتي حسنَ بن زيــدٍ وتشــهدُ لي بصفّينَ القبــورُ
قبــورٌ لو بأحمــدَ أو عليٍّ يلوذُ مجيرُهــا ، حُفظ المجيرُ
قبــورٌ لم تزل مذ غابَ عنها أبو حســنٍ تعاديهــا الدهــورُ
هما أبواكَ مَن وضعا فَضَعْهُ وأنتَ برفعِ مَن رفعــا جديرُ

فقالَ له الحسنُ : مَن أنت ؟ قال : أنا الأسلمي ، قال : أدنُ حيّاكَ اللهُ وبسطَ له رداءه فأجلسه عليه ، وأمر له بعشرةِ آلافِ درهم .

* ٨ حدثنا يموت بن المزرّع ، ثنا عبد الله بن زكريا عن أبيه قال : قــدم السيد الحميري الكوفةَ فنزلَ على أبي دُلامة ، وإنهما لعلى حالهما إذ أقبلت ابنةٌ لأبي دلامة صبية ، فقال أبو دلامة :[٢] **[من الوافر]**

فمــا ولدتكِ مــريمُ أمّ عيسى ولم يكفلْكِ لقمــانُ الحكيمُ

---

(١) الخبر والأبيات في « المحمدون » للقفطي ٣٠٦ ط مجمع اللغة العربية بدمشق وفيــه تخريج الأبيات .

(٢) كما هنا في الأغاني ١٠/٢٣٩ وفي ٢٤٠ أن المجيز هو أبو عطاء السندي . وهما في طبقات ابن المعتز ٦٢ لأبي دلامة في بُنَيّةٍ له .

أجِزْ يا أبا هاشم ، فقال السيد :

ولكن قد تَضَمَّكِ أمٌّ سوءٍ   إلى لَبّاتِها وأبٌ لئيمُ

* ٩ حدثنا يموت ، حدثنا عبد الله بن زكريا البصري قال : شهد السيّدُ الشاعرُ عند سوّار بن عبد الله القاضي بشهادةٍ فرده وقال : أنت رافضي ، فقال السيّد أبياتاً كتبَ بها إلى المنصور أولها[1] : **[من الرمل]**

قفْ بنا يا صاحِ وارْ   بعْ بالمغاني الموحشاتِ

يا أمين الله يا منـ   صور يا خير الولاةِ[2]

إن سوارَ بن عبد الـ   له من شرّ القضاةِ

والذي نادى رسولَ الـ   له خلفَ الحجراتِ :[3]

يا هناهُ اخرج الينا   إننا أهلُ هناتِ

فاكفينه لا كفاهُ الـ   لهُ شرَّ الطارقاتِ

فكتب اليه المنصورُ بإقطاعِهِ [أرضاً] من أرض الحجاجِ بن يوسف وكتب إلى سوار : لا يَدَ لَكَ عليه • فقيل له : لو اعتذرت الى الرجل فقد أسأتَ القولَ فيه ، ففعل ، فلم يقبل منه سوارٌ فأنشأ يقول :[4] **[من المتقارب]**

أتيت دعيَّ بني العنبرِ   أرومُ اعتذاراً فلم يَعذُرِ

(١) الأبيات في الاغاني ٧/٢٥٤ و ٢٦١ ـ ٢٦٢ وطبقات ابن المعتز ٣٤ .

(٢) في الأصل : الولات .

(٣) الأغاني : وابن من كان ينادي من وراء الحجرات .

(٤) الأبيات في الأغاني ٧/٢٦٢ ط الدار .

فقلتُ لنفسي وألزمتها الـ ـملامة : من لومنا أقصري
أيعتذرُ الحرُّ مما أتى إلى رجلٍ من بني العنبرِ
[١١٠٤] أبوكَ ابنُ سارقِ عنزِ النبيِّ وأمُّكَ بنتُ ابي جحدرِ

* ١٠ حدثنا يموت ، حدثني أبو زيد عمر بن شبة : أن احمد بن معاوية حدثه ، قال : حدثني مروان بن أبي حفصة قال : دخلت بيت الناطفي مولى عنان وقد ضربها فقلت(١) : **[من السريع]**

بكت عنانٌ فجرى دمعُها كالدرِّ قد توبعَ في خيطهِ

قال : فقالت والعبرة في حلقها :

أخَلُّ ، ومن يضربها ظالماً تيبسُ يمناهُ على سوطهِ

فقال مروان : هي [والله](٢) أشعر الإنس والجنّ(٣) •

آخر أخبار يموت بن المزرّع

والحمد لله حق حمده وصلواته وسلامه على سيدنا محمد نبيّه وعبده ، وعلى آله وصحبه من بعده •

دمشق **ابراهيم صالح**

---

(١) الخبر والابيات في : نساء الخلفاء ٤٨ والورقة ٤٣ـ٤٤ بسنده والاغاني ٨٦/٢٣ ـ ٨٧ بسنده • ط الهيئة المصرية •

(٢) الزيادة من الورقة •

(٣) بعده في الاصل : عورض فصح •

التعريف والنقد

حول رحلة ابن طوير الجنة

د. أبو القاسم سعد الله

قرأت في هذه المجلة[1] ماكتبه الدكتور صفاء خلوصي عن (كتاب حجة احمد بن طوير الجنة) الذي نشره الدكتور نوريس بالانكليزية . وقد لاحظت ان الدكتور خلوصي قد عرض الكتاب مكتفيا بما جاء على غلافه ، كما لاحظت ان الدكتور نوريس قد اقتصر في تحقيقه على نسخة واحدة . لذلك رأيت من المفيد للباحثين ان اضيف هنا بعض ما اعرفه عن الموضوع .

١ ـ في البحث عن الرحلة :

علمت بوجود شخصية الطالب احمد المصطفى بن طوير الجنة اوائل الستينات عند قراءتي لكتاب (المرآة) لحمدان بن عثمان خوجة الجزائري الذي كتبه سنة ١٨٣٣[2] . فقد شكا حمدان في كتابه من اجبار السلطات

(١) الجزء ٣ ، المجلد ٥٣ ، ص ٦٦٥ .

(٢) كتبه اصلا بالعربية وترجمه السيد حسونة دغيز الطرابلسي الى الفرنسية ونشر في باريس ، ١٨٣٣ . وقد ترجم الكتاب اخيرا الى العربية (لان اصله العربي مفقود) في ترجمتين احداهما لمحمد العربي الزبيري والاخرى لمحمد بن عبد الكريم .

الفرنسية للجزائريين على توفير وسائل الراحة للشيخ ابن طوير الجنـة وحاشيته عندما حلوا بالجزائر في طريق عودتهم من الحجاز الى شنقيط . وظللت ابحث عن آثار هذا المرابط الذي جعلته الاقدار رغم انه يعيش بين الفرنسيين فترة حتى اصبح غير محمود من اخوانه الجزائريين نظـراً لاهتمام الفرنسيين به . فقد كان هؤلاء يرجون من ورائه الحصول على معلومات هامة عن افريقية الغربية والمغرب الاقصى على الخصوص لانه قدم اليهم نفسه (او هكذا فهموه) على انه امير او ملك ودّان ونواحيها وليس مجرد مرابط درويش .

وحوالي سنة ١٩٦٩ وجدت في (المجلة الافريقية)[١] خلاصة عن رحلة ابن طوير الجنة قدمها بالعربية السيد ديستان الفرنسي مدير مدرسة الجزائر في وقته . وكان ديستان قد زار غرب افريقية وقضى في السنغال ثلاث سنوات (١٩٠٧ ــ ١٩١٠) وخالط الأهالي هناك واطلع عندهم على مخطوطات عربية هامة في شتى الفروع فنسخ بعضها وتصفح اخرى مليّاً واكتفى من بعضها بالتصفح السريع . ومن بين هذه المخطوطات رحـلة ابن طوير الجنة المسماة (رحلة المُنَى والمِنّة) . ولما كنت عندئذ أعـدّ مادة كتابي (تاريخ الجزائر الثقافي) فقد سجلت المعلومات التي اوردها ديستان عن رأي ابن طوير الجنة في الاحتلال الفرنسي للجزائر في انتظار العثور على نسخة كاملة من الرحلة . وترجع اهمية هذه الرحلة بالنسـبة لموضوعي ان صاحبها قد حل بالجزائر غداة الاحتلال الفرنسي ، سنة ١٨٣٢ ، وسجل انطباعه عن ذلك . ولعل ابن طوير الجنة هو اول عربي مسلم قد زارها في ذلك التاريخ المبكر للاحتلال .

---

(١) سنة ١٩١١ ، ص ٢١٦ ــ ٢٣١ .

ولكن المعلومات التي اوردها ديستان عن الرحلة لم تكن كافية رغم ان خلاصته عنها بلغت ست عشرة صفحة • وحوالي سنة ١٩٧٢ طلب مني الزميل الدكتور عبد القادر زبادية (الذي كان عندئذ في بريطانيا) تصوير ماكتبته جريدة المونيتور الجيريان Le Moniteur Algérien الفرنسية عن زيارة ابن طوير الجنة للجزائر لتقديم المصورة الى الدكتور نوريس • واطلعت من ذلك ومن مراسلات الدوق دي روفيقو ، الحاكم الفرنسي للجزائر ، على موقف الفرنسيين من ابن طوير الجنة وما كانوا يتوقعونه منه •

وكنت اعتقد ان نسخةً من (رحلة المنى والمنة) لا بد ان تكون في احدى خزائن المغرب • فرجعت الى (دليل مؤرخ المغرب) لابن سودة فلم اجده قد ذكرها في باب الرحلات • ومع ذلك لم افشل • فحين زرت الرباط سنة ١٩٧٣ بحثت عنها فلم اجدها ايضا • فسألت البحاثة الاستاذ محمد المنوني فاستغربها ثم قال انه يعرف من يحمل هذا الاسم (ابن طوير الجنة) من مراكش ولكنه لا يعرف عن الرحلة شيئا • غير ان ذاكرة الاستاذ المنوني احتفظت بالخبر وظل يبحث عنها • وفي لقائنا اثناء المؤتمر الاول لتاريخ الجزيرة العربية الذي انعقد بالرياض سنة ١٩٧٧ بادرني الاستاذ المنوني ، بعد السلام ، بانهم حصلوا (وهو يعني الخزانة العامة بالرباط) على نسخة مصورة من رحلة ابن طوير الجنة فشكرته على الخبر ورجوته ان يصور لي منها نسخة ، ولكن علاقات بلدينا لم تسمح لكلينا بانجاز الوعد •

ومن جهة اخرى قرأت رسالتين كتبهما دي لابورت ، قنصل فرنسا في طنجة عن ابن طوير الجنة ، وذلك سنة ١٨٣٣[1] • وكان ديلابورت قد

(١) Bull. de la Société de Géographie, Paris, 1833, p. 343-348

التقى عدة مرات به بعد عودته الى المغرب على الباخرة الفرنسية (لافليش) التي حملته (ابن طوير الجنة) من الجزائر الى طنجة عبر جبل طارق • وقد حاول ديلابورت التأثير عليه والاستفادة منه والتعرف على مكانته في قومه وعلاقته بسلطان المغرب •

كما قرأت في نفس المكان ماكتبه البارون روجيه الفرنسي الذي حذر قومه من الاغترار بالمعلومات التي يعطيها لهم ابن طوير الجنة وأمثاله لأن المرابطين يبالغون في اظهار نفوذهم وقوتهم طمعا في هدايا الاوروبيين واشادة بقوتهم وخيرات بلادهم •

وفي لقاء في جامعة ميشيغان بيني وبين الدكتور محمد دغيم الليبي وبلديّه الاستاذ احمد الفيتوري (ابريل سنة ١٩٧٨) جرنا الحديث الى رحلة ابن طوير الجنة • وقد طلبت منهما مساعدتي على الحصـــول على نسخة منها • فقال لي الدكتور دغيم إنه كان منذ سنوات عند الدكتـــور نوريس في بريطانية فأطلعه على نسخة من هذه الرحلة وطلب منه ان ينشرها اذا رغب • ولكن الدكتور دغيم (وهو متخصص في ادب الاندلس) لـــم يهمه نشر عمل ابن طوير الجنة • وقد وعدني بالاتصال بالدكتور نوريس والحصول منه لي على صورة من نسخته • غير انه لم يمض على هذا اللقاء شهر حتى وصلتني رسالة (وكنت عندئذ في جامعة منيسوتا) من الاستاذ احمد الفيتوري يخبرني فيها بأنه علم بأن رحلة ابن طوير الجنة قد نشرهـــا بالانكليزية الدكتور نوريس • وبقدر ما سررت بخروج الرحلة الى الضوء بقدر ما حزنت على عدم ظهورها بالعربية • ومع ذلك سعيت في الحصول على نسخة من طبعة الدكتور نوريس حتى نجحت •

٢ ـ تحقيق الدكتور نوريس :

والواقع ان الدكتور نوريس لم يحقق رحلة ابن طوير الجنة التحقيق العلمي المتعارف عليه وانما ترجم النص وقدم له وعلق عليه معتمداً في ذلك على نسخة واحدة . وقد سجل انه حذف بعض الفقرات كما اختصر بعضها. ورغم اهمية المدخل الذي كتبه فان معظمه يبدو بعيد الصلة بموضوع الرحلة . كما ان تعقيباته بعد كل فصل قد جعل موضوع الرحلة مفككا . ولو أنه صب افكاره الرئيسية في المدخل لحافظ على وحدة وتسلسل النص . والغريب ان الدكتور نوريس لم يصف شكل الرحلة فلا نعرف عدد صفحاتها[1] ولا ما اذا كانت مبوبة في الاصل بالطريقة التي اتبعها هو ، مكتفيا بقوله انها نسخة جيدة Fine copy . كما انه من الغريب ان لا يضع لطبعته ثبتا عاما في آخرها يضم الاعلام وغيرها .

ورغم ان الرحلة تعتبر في المصطلح رحلة حجازية فان الدكتور نوريس قد وضع عنوانها هكذا : The Pilgrimage of Ahmed

والملاحظ ان الدكتور خلوصي قد ترجم نفس التعبير الى العربية هكذا (كتاب حجة احمد بن طوير الجنة) بدل (رحلة ...) . وقد اعتاد المغاربة ان يطلقوا على سفرهم للحج من بلادهم الى الحرمين اسم رحلة . فهناك رحلة الورتلاني (نزهة الانظار) ورحلة العياشي (ماء الموائد) وغيرهما . والرحلة تعني عادة تسجيل الحاج للمشاعر والحوادث والمشاهدات التي تقع له منذ خروجه من بلدته الى عودته اليها . اما كلمة « حجة » فهي لا تعني تسجيل المشاعر والحوادث والمشاهدات ، وقد ذكر ابن طوير الجنة ان عنوان رحلته هو (رحلة المُنَى والمنَّة) وهو عنوان

(١) حسب نسخة ديستان تبلغ ورقات الرحلة ٧٦ ورقة ٢٢ × ١٦٫٥ .

جميل ومفيد ويتماشى مع تقاليد الرحلات المغربية[1] • وهو العنوان الذي حافظ عليه السيد ديستان في مقاله المذكور ، ولكن الدكتور نوريس اهمل هذا العنوان تماما ولم يذكره الا في ثنايا النص داخل الكتاب •

وقد يكون اهمال هذه المسائل غير هام اذا قيس باهمال الدكتور نوريس الرجوع الى نسخة اخرى على الاقل من الرحلة ، خصوصا وان نسخها قد تعددت • حقـا ان نسخته قد كتبت اثناء حيـاة المؤلف سنة ١٢٥٣ هـ ، بينما توفي ابن طوير الجنة سنة ١٢٥٦ ، وانه وصفها بالجودة كما سبق ، ولكن هذا لا يعفيه من مقارنتها بغيرها • وقد اشار نوريس نفسه الى النسخة التي لخصها ديستان ، فاذا ناسخ هذه هو لحبيب بن الحنبل بن المختار بن عمر اما ناسخ نسخة الدكتور نوريس فهو الحـاج عمر بن سيدنا بن الحاج عمر • كما ان تاريخ كتابتهما يختلف •

ولو اقتصر الأمر على هذه النواحي لهان ، ولكن اختلاف النسخ قد اظهر ان هناك اختلافا في المحتوى ايضا • ورغم انني لا املك الآن نسـخة كاملة من هذه الرحلة فان مقارنة بعض ما اورده ديستان منها بما جاء في نسخة نوريس يؤكد ذلك • وسأكتفي هنا بمثالين يتعلقان بالجزائر التي من اجلها اهتممت بهذه الرحلة •

المثال الأول : ان نسخة ديستان تثبت ان ابن طوير الجنة كان عازما على السفر الى الحج عن طريق البر عبر الجزائر ، ولكنه عندما وصل الى فاس سمع باحتلال الفرنسيين للجزائر فعدل عن خطته وكتب بذلك الى

(١) انظر بحثي عن « الرحلات الجزائرية الحجازية » في كتابي (أبحاث وآراء في تاريـخ الجزائر) . الجزائر ، ١٩٧٨ • وهو البحث الذي ساهمت به في المؤتمر الاول لتاريخ الجـزيرة العربية ، الرياض ، ١٩٧٧ •

السلطان عبد الرحمن الذي وجه الركب الى مدينة العرائش لركوب البحر. وهذا نص عبارة ابن طوير الجنة « فلما قدمنا فاسا وجدنا الجزائر اخذتها النصارى افرانسيس ، كتبنا الى مولاي عبد الرحمن ، وهو بمكناسة الزيتون ، ان البر لا يمكن السير فيه لأنه صار ارضا سائبة وانا نحب الركوب في البحر ، فبقينا في حيرة .... فكتب هو ، نصره الله ، الى قائده بالعرائش مكتوبا الخ . »[1]

ان هذه الفقرة الهامة محذوفة من نسخة نوريس رغم انها تتعلق بحادث غيّر مجرى الحياة في المغرب العربي عندئذ وجعل صاحب الرحلة نفسه يضطر لركوب البحر ذهابا كما اضطر اليه عودة . ذلك ان نسخة نوريس تجعل ابن طوير الجنة يتوجه من فاس الى العرائش بدون مبرر وكأنه كان قد خطط لذلك منذ خروجه من ودّان . ولو اتبعنا نسخة نوريس فقط لوجدنا ان صاحب الرحلة لا يذكر احتلال الفرنسيين للجزائر الا عندما وصل الى الاسكندرية .

اما المثال الثاني فهو ان عبد الرحمن المجذوب (ويكتبه نوريس سيدي الرحمن فقط !)[2] دفين مكناس قد تنبأ بأن الجزائر ستحتل لا محالة : إما من سلطان المغرب وإما من النصارى ، وأن الذي سيحتلها أولا هو الذي سيحتفظ بها الى الأبد . وبناء على نسخة ديستان يسوق ابن طوير الجنة هذا الخبر قبل وصوله الى الاسكندرية ، اما نسخة نوريس فتسوقه بعد وصوله اليها . ومن جهة اخرى اورد ابن طوير الجنة خبر اجتماع ديوان الأولياء واتفاقهم على اخذ الجزائر من ايدي المسلمين

(١) المجلة الافريقية ، ١٩١١ ، ص ٢١٩

(٢) صفحة ٢٦

لطغيانهم الخ • ففي نسخة ديستان يأتي الخبر بعد وصول ابن طوير الجنة الى مدينة الجزائر عائداً من الحج ، اما نسخة نوريس فتورده عندما كان صاحب الرحلة في بجاية ، وهناك امثلة اخرى على اختلاف النسختين • ولو كان لدينا نسخة اخرى كاملة من الرحلة لوجد المقارنون اختلافات اخرى قد تكون أهم موضوعا وفكرة •

٣ ـ التعليق على الرحلة :

قام نوريس بترجمة تكاد تكون حرفية للنسخة التي يملكها مـن الرحلة • وما دامت هذه الترجمة موجهة الى القارىء الغربي والمستشرق فاني اعتقد انه سيجدها ثقيلة • ذلك ان الرحلة مليئة بالخرافات وحكايات الدراويش التي قد لا تستسيغها عقلية الغربيين • وهي تذكر المرء ببعض ما جاء في رحلة الورتلاني في نفس الموضوع • ولعل الذي حدا بالدكتور نوريس الى ترجمتها ، رغم ذلك ، عاملان :

١ ـ تقديم نص في نطاق اختصاصه ، وهو افريقية الغربية ، الفه احد المرابطين البارزين في وقته ، وهو الطالب احمد المصطفى بن طوير الجنـة الذي امتد نفوذه الروحي اوائل القرن الثالث عشر (١٩ م) من المغـرب شمالا الى السنغال جنوبا ، وكانت له علائق مع سلاطين المغرب ورؤساء العشائر في شنقيط •

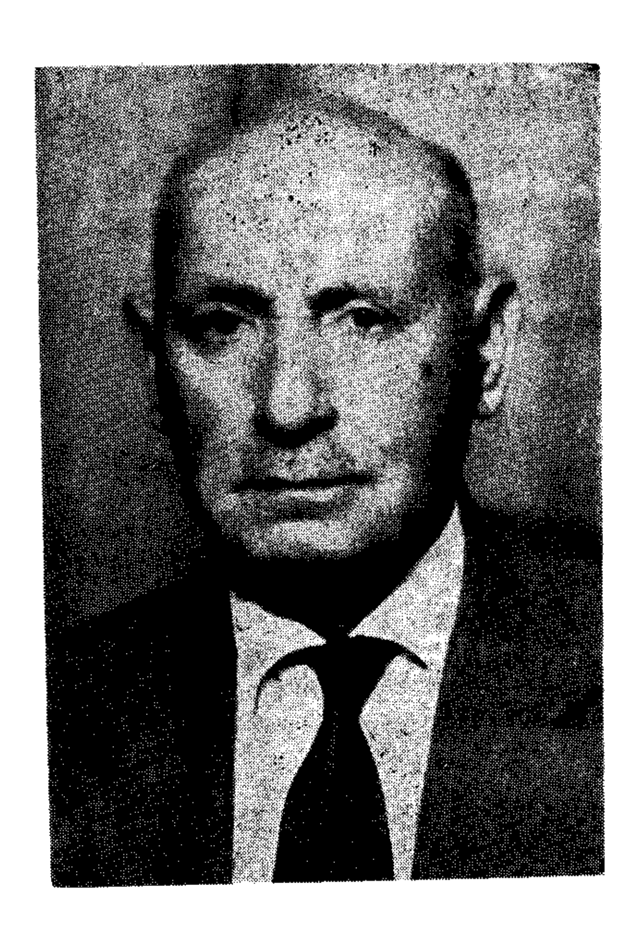
٢ ـ اظهار حكم ابن طوير الجنة على الفرنسيين والانكليز الـذين كانوا يتنافسون على تقسيم العالم • وتظهر الرحلة ، حسب نسخة الدكتور نوريس ، ميول ابن طوير الجنة نحو الانكليز ضـد الفرنسيين • فقـد استقبله ممثل فرنسا في الجزائر (وهو الدوق دي ريفيقو) وعامله معاملة

« الضيف الاسير » وحاول ، عن طريق التراجمة ، التعرف على ما في بلاده من تجارة وعلائق سياسية • اما ممثل الانكليز في جبل طارق (وهو القنصل ويليام هوستون) فقد احتفى به وعامله معاملة الملوك والأمراء واقام له التشريفات والحفلات ، ولا شك ان النصين الفرنسي والانكليزي اللذين اوردهما الدكتور نوريس يعطيان صورة واضحة عن نظرة وحكم ممثلي فرنسا وانكلترا على ابن طوير الجنة عندئذ (اول سنة ١٨٣٣) •

ونحن نتمنى ان يتقدم احد الباحثين العرب والمسلمين لتحقيق (رحلة المنّى والمنة) باللغة العربية رغم ما فيها من استطرادات وخرافات مملة • فهي قبل كل شيء جزء من التراث العربي الاسلامي لأهل شنقيط (موريطانيا) • ونعتقد ان كل عربي مسلم يتصدى لهذه الرحلة سيستفيد من تجربة الدكتور نوريس معها ، ولكنها لن تكون التجربة الوحيدة التي سيستفيد منها •

أبو القاسم سعد الله القماري
قسم التاريخ ـ جامعة الجزائر

مدينة آن آدبر ـ جامعة ميشيغان



فقيد العربية

الدكتور أسعد الحكيم

مجمعي افتقدناه

أسعد الحكيم

١٣٠٤ ـ ١٣٩٩ هـ
١٨٨٦ ـ ١٩٧٩ م

نعى مجمع دمشق صباح يوم الخميس في السادس والعشرين من صفر الخير سنة ١٣٩٩ للهجرة ، الموافق للخامس والعشرين من كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٧٩ للميـلاد ، الدكتور أسعد الحكيم ، عميـد أعضائه العاملين ، وبقية الرعيل الأول من رجاله العظام ، اولئك الذين هبّوا ، يوم جلاء الاتراك عن بلاد الشام ، متكاتفين متناصرين ، ينشرون الفصحى في المحافل والمجتمعات ، ويرفعون لواء العربية في مختلف الدوائر الحكومية والمؤسسات ، كانوا إخوان صدق ، صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وظلوا على العهد ، حتى استوفوا آجالهم واحداً إثر واحد .

أحب أسعد الحكيم دمشق ، درة بلاد العرب وقلب العروبة الخفاق ، إذ كانت مسقط رأسه ومرتع صباه ، فيها شبّ مأخوذا بطبيعتها الساحرة ، عاشقا المفاتن من غوطتيها ، يهوى الركون إلى الظلل على ضفاف بردى سرّ حياتهما ، ومبعث الجمال في رياضهما الزاهرة .

وفتنت أسعد الحكيم أخلاق تحلى بها أبناء المدينة التي أحب ، فعلق حبهم بقلبه ، فإذا به يضع نفسه وعلمه ومعارفه في مرضاتهم ، يدرّس ناشئتهم ويعلم طلابهم ، يعالج مرضاهم ويشتري الدواء لفقرائهم ، ولا يدخر وسعاً في قضاء حوائجهم ، وأعجب الناس بما فطر عليه هذا الدمشقي الأصيل ، يسارع إلى اغاثة الملهوف منهم ، ويمد يد العون إلى العاثر فيهم ، ويزين كل هذا تواضع جمّ ورحابة صدر بالغة ، فبادلوه حباً بحب ، وزادوا حبهم له تقديراً خالصاً واحتراما عميقاً .

وهبت دمشق يوم نعي إليها أسعد الحكيم ، باكية أخلاقه الرضية وشمائله الحلوة ، ثم تدفقت تسير وراء نعشه إلى جامع بني أمية الكبير ، حتى إذا ما انقضت الصلاة ، رافقت الجثمان الى مثواه الأخير في ثراها الطيب ، جنوبي مدافن آل بيت رسول الله ﷺ في مقابر الباب الصغير .

* * *

كانت دمشق دوماً ، مهوى أفئدة من حَبَوْا على أرضها أطفالاً ، ودرجوا على جنباتها صغاراً ، وملاذ من تمتعوا بمفاتنها وجمال مغانيها شبابا وكهولا ، فهي وقد ثبتت على كرّ الزمان ، وتتابع الحدثان ، وتحدت قوافل الغزاة ، وقاومت ظلم الأشرار ، أضحت قبلة أنظار الأباعد ، فضلا عن الطيبين من الأقارب وأهل الوداد .

وليس أحلى من دمشق في أفراحها ، تراها منتشرة والبشر يعلو وجوه أبنائها ، والعطر يعبق في أجوائها ، أما إذا حزبها أمر ، أو نزلت بها غاشية ، فأنت ترى ابناءها يُسَرّون عن أنفسهم بوسائل يختلفون فيها ، فمنهم من كان يزور المقابر ، يلقي سلامه على من عرف من سكانها ومن لم يعرف ، ومنهم من كان يلاحق سور المدينة ليشاهد بقاياه وليثيره

ما اندثر منه ، بينما كان فريق منهم يقف حيث يشاهد قبة النسر في المسجد الكبير وكأنه يستعيد منها قصة الوليد بن عبد الملك يوم عزم على بناء مسجدٍ في دمشق لا ينبغي لمسجد بعده أن يتيه عليه .

وبعض الدماشقة كان يزور تربة صلاح الدين ، البطل الذي أعاد إلى الإسلام كرامته ، وإلى الوطن الغالي بقعة من أقدس بقاعه ، مبتهلا الى الله ، أن يبعث في العرب من يجدد سيرة صلاح الدين .

وكان أهل دمشق ، إذا ما افتقدوا بطلا من أبطالهم ، أو عالماً من علمائهم ، حوقلوا واسترجعوا ثم رددوا بيتين من الشعر ، كانا منقوشين على قبة في باب ، غربي الجامع الكبير ، وهما :

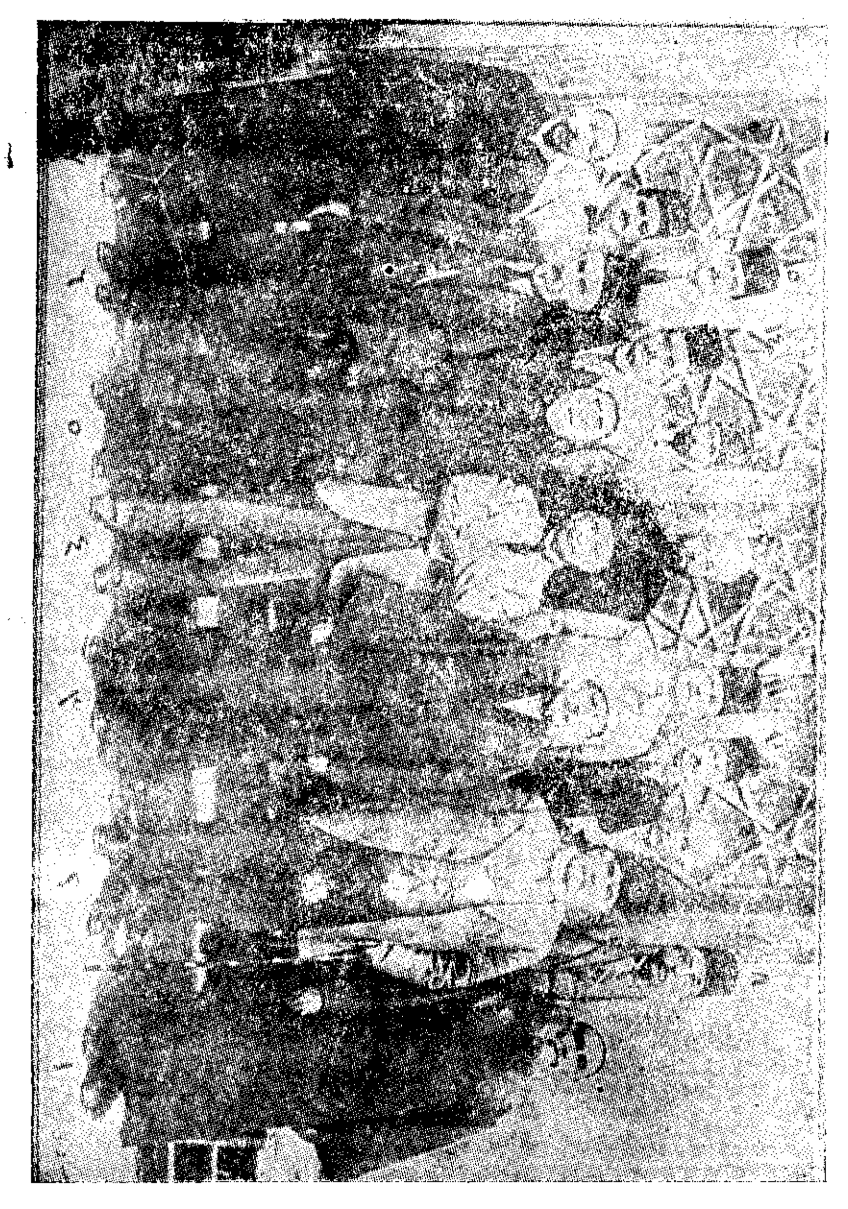
عرّج ركابك عن دمشق فإنها
بلد تذل لها الأسود وتخضع

ما بين جابيها وباب بريدها
قمر" يغيب وألف بدر يطلع

* * *

آه يا دمشق !.. أعقمت ؟.. أم بخل الدهر عليك بالرجال ؟.. وإلا فما بال أهلك أصبحوا لا يبكون الأصيل فيهم ، إذا مات فحسب ، بل يبكون الأصالة تنتقص أطرافها بينهم يوماً بعد يوم ، وإذا ما ساروا وراء نعش أحد علمائهم . رأيت الصفرة تعلو وجوههم ، وما هي من حزنهم على فراق من مات بمقدار ما هي من وجلٍ في قلوبهم وضعف في إيمانهم ، فهم سيودعون الثرى عظيماً ولا يدرون إن كان هناك من سيخلفه ؟

لقد كنت يا دمشق ، وأنت تمشين خلف نعش أسعد الحكيم ، حزينة



أعضاء المجمع سنة ١٩٢٤ م وقد ظهر الفقيد بينهم في أول الصف الثالث من يمن الرسم

خائفة كمن لفّه ظلام ليل طويل ، ولكن رحمة الله ادركتك ساعة جادت السماء بالغيث فروى الأرض وبلل الثرى الذي ضم رفات الفقيد وأعاد الأمل الى نفوس المشيعين ، رحم الله الفقيد وعوض دمشق خيراً ، إنه خير مسؤول .

* * *

عرفت الفقيد الغالي من زمن طويل تجاوزت سنواته الخمسين ببضعة أعوام ، كنت يومئذ في عداد الأطفال ، وكان الفقيد جاراً لنا في بساتين بردى قبل دخوله دمشق ، ولم يكن يفصل بين بستانينا إلا مجرى النهر الطيب المعطاء .

اعتاد الفقيد ، خلال أشهر الصيف ، أن يلجأ من حرارة القيظ ، إلى « التخت » الخشبي المنصوب فوق سطح الماء في ظلال أشجار الدلب المخلدة ، وكان لكل بستان على ضفاف بردى تخته .

كان مما يسعدني ، كلما شعرت بأن الفقيد يجالس ضيوفاً على التخت ، أن أقوم بما يؤدي عادة إلى تبادل التحيات بين جيرة انتشروا على ضفاف نهر يجري متدفقاً يتلوى كالثعبان بين أشجار الدلب والحور والصفصاف .

وما بادرت مرة بتحية الفقيد إلا وتلقيت منه خيراً من تحيتي ، بل كثيراً ما كان الفقيد ، إذا ما سمع صوتي أخاطب بعض الأصدقاء أو الفلاحين يسارع الى البدء بالتحية ، وقد ارتسمت على وجهه الابتسامة الصافية التي اشتهر بها ، ببشاشة الجار الطيب والمسلم العطوف .

كنت أسعد بابتسامته الحلوة وبحديثه الهادىء عن روعة البساتين

وفوائدها في القضاء على لهبّان المدينة . ولم يكن يسعدني شيء يومذاك مثل التقائي بأحد أصدقاء والدي ، يحييني ببشاشة ثم يسألني عن حالي وحال أبي ، وهو يحملني إليه تحيات طيبات .

وتسارع الزمن ، فإذا بي أزامل الفقيد العزيز في مجمع دمشق ، وكثيراً ما أسعدني الحظ بمقعد مجاور لمقعد الفقيد ، إذ كان يبادر إلى تحيتي بالاشراقة التي عرفتها في وجهه منذ خمسين سنة ونيف ، قائلاً : « كيف الحال ؟ » ثم يطرق لحظة يستحضر فيها صورة من صور الماضي البعيد ، ليردد مع ابن حمدان قوله :

سقى الله أرض الغوطتين وأهلها
فلي بجنوب الغوطتين شجون

وأحيانا كان يتم أبيات ابي المطاع بن حمدان على مسمع من الزملاء حيث يقول :

وما ذقت طعم الماء إلا استخفني
إلى بردى والنيربين حنين

وقد كان شكي في الفراق يروعني
فكيف أكون اليوم وهو يقين

فوالله مافارقتكم قالياً لكم
ولكنّ ما يقضى فسوف يكون

إن الصورة التي ارتسمت للفقيد في مخيلتي وأنا طفل صغير ، لم تتبدل حلاوتها فقد كانت نفسها وأنا أزوره حتى يوم كان على فراش

الموت ، إلا شيئاً واحداً تغير ، هو تحيات كان يحملنيها إلى أبي ، فاستبدل بها الرحمات يستمطرها عليه وعلى زمانه ، رحم الله الاثنين وأجزل ثوابهما .

* * *

موجز سيرة الفقيد

حياته وآثاره

مولده وأسرته

ولد الفقيد بدمشق في أوائل هذا القرن الهجري ، وفي ترجمة ذاتية ذكر أنه ولد سنة ١٣٠٤ للهجرة ، وهي سنة تبدأ بتاريخ الثالث من أيلول (سبتمبر) سنة ١٨٨٦ للميلاد ، أما تاريخ مولده في سجلات الدولة فهو سنة ١٨٩٢ م .

اسم والده السيد أحمد ، وهو من أسرة دمشقية عريقة تعرف بـ (آل العطار) ينتهي نسبها الى السيد حسين قضيب البان الموصلي من ابناء موسى الجون أحد أحفاد الحسين بن علي رضي الله عنهما .

و (آل العطار) بدمشق أسرة كبيرة متعددة الفروع ، أخذت شهرتها من تعاطي الكثير من أفرادها مهنة (العطارة) ، وكانت العطارة بدمشق في الأيام الخالية مهنة تعادل الصيدلة في هذه الأيام .

وفرع السيد أحمد والد الفقيد ، أحد فروع أسرة آل العطار ، اختص دون الفروع الأخرى بشهرة (الحكيم) لتصدي أكثر من واحد من أفراده لتطبيب المرضى الى جانب تعاطيه بيع المواد الصيدلانية ، وقد

انتحل هذا الفرع المذهب الجعفري في أواسط القرن الماضي ، كما ذكر الفقيد في ترجمته الذاتية .

ثقافته وأوائل خدماته

كان البيت الذي ولد الفقيد فيه ، بيتاً شامياً مسلماً محافظا على عادات أهل الشام وعلى أخلاق البيت المسلم ، فنشأ على تلك العادات والتقاليد ، وتردد في طفولته على (الشيخات) و (الكتاتيب) ، حتى إذا ما بلغ السن التي تمكنه من الالتحاق بالمدارس النظامية ، انتسب إلى (المدرسة الريحانية) ثم انتقل منها إلى (مدرسة الملك الظاهر) فتم له بذلك التعليم الابتدائي ، وهو يحفظ معظم آي الذكر الحكيم والكثير من أشعار العرب وأقوالهم في الجاهلية والإسلام .

وفي سنة ١٩٠٠ م انتسب الفقيد الى مدرسة (الآباء اللعازاريين) الفرنسية بدمشق ، وتابع تحصيله الثانوي فيها إلى أن نال شهادته سنة ١٩٠٦ م ، فلما كانت السنة الدراسية التالية انتسب الى المدرسة الطبية الفرنسية في بيروت ، حتى اذا ما انهى تحصيل العلوم الطبية سنة ١٩١١ م تخرج طبيباً بعد أن اجتاز الفحصين الجامعيين الفرنسي والعثماني .

والتحق الفقيد سنة ١٩١٢ م طبيباً بمؤسسة إنشاء خط (صمسون ـ سيراس) الحديدي ، وسافر الى مدينة صمسون على ساحل البحر الأسود شمالي بلاد الأناضول ، واستقر فيها حتى اندلاع نيران الحرب العالمية سنة ١٩١٤ م ، إذ دُعي الى الخدمة العسكرية وألحق بالجيش العثماني طبيباً برتبة « رئيس » بتاريخ ٥ ايلول (سبتمبر) سنة ١٣٣٠ رومية ، وكانت الفرقة التي التحق بها أول جيش عثماني يصل الى

جبهة القفقاس •

وما كادت المعارك تحتدم ، حتى سقط الفقيد مريضاً بالحمى ، مما أوجب اعادته الى دمشق ، فلما تماثل للشفاء ، ألحق بالجيش العثماني في الحجاز ، وفي الحجاز أقام مدة في حامية مدينة العلا ، ثم ألتحق بحامية المدينة المنورة ، وبقي فيها حتى سقوطها بيد جيش الثورة العربية الهاشمية ، فأقتيد مع أسرى الجيش العثماني الى القاهرة ومكث فيها ، إلى أن أعيد الى دمشق بطلب من الحكومة العربية التي قامت فيها إثر جلاء الاتراك عنها في ٢٩ من ايلول (سبتمبر) سنة ١٩١٨ م ، ويدل سجل خدمات الفقيد العسكرية على أن خدماته انتهت في الجيش العثماني في ٨ شباط (فبراير) سنة ١٣٣٥ رومية •

وفي دمشق أخذ الفقيد يشارك أخوانه الأطباء العرب الذين التحقوا بالحكومة العربية ، جهودهم في اقامة ادارة صحية حديثة في الدولة العربية الفتية ، كما أشرف على بناء مستشفيين كبيرين ، أحدهما للأمراض النفسية، أطلق عليه اسم (مستشفى ابن سينا) احياءً لذكرى الطبيب العربي الكبير الشيخ الرئيس ، وثانيهما لمرض الجذام اطلق عليه اسم (مستشفى الوليد) احياء لاسم الوليد بن عبد الملك صاحب جامع دمشق الكبير •

وفي سنة ١٩٢٤ م أوفد الفقيد الى فرنسة للتخصص في الأمراض النفسية ومتابعة فن إدارة المستشفيات •

سجله الحكومي وما دون فيه

يدل السجل الحكومي على تولي الفقيد المناصب التالية في وزارة الصحة السورية :

١ ــ طبيب السجون بتاريخ ٨ ــ ٢ ــ ١٩٢٠ م

٢ ــ طبيب منطقة العمارة مع طبابة السجون بتاريخ ١٥ــ٤ــ١٩٢١م

٣ ــ طبيب منطقة العمارة بتاريخ ١ ــ ٩ ــ ١٩٢٢ م

٤ ــ مستشفى ابن سينا بتاريخ ١ ــ ١ ــ ١٩٢٥ م

٥ ــ مفتش صحي أول بتاريخ ١ ــ ١ ــ ١٩٣٩ م

٦ ــ رئيس الادارة الصحية بتاريخ ١ ــ ١ ــ ١٩٤٠ م

٧ ــ استاذ في المعهد الصحي ورئيس مستشفى ابن سينا بتاريخ ١ ــ ١٢ ــ ١٩٤٣

٨ ــ مدير الشؤون الصحية القائم بالأمانة العامة لوزارة الصحة بتاريخ ١٩ ــ ٤ ــ ١٩٤٩ م

٩ ــ احيل على التقاعد بتاريخ ٣١ ــ ١٢ ــ ١٩٥١ لبلوغه السن القانونية ، ومنح وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الاولى .

١٠ــ سبق له تمثيل الحكومة السورية في بعض المؤتمرات الصحية الدولية والعربية .

١١ــ سبق تكليفه بالتدريس والقاء المحاضرات في كلية الطب بالجامعة السورية لسنوات كثيرة .

الفقيد في المجمع العلمي العربي

عقد أعضاء المجمع المؤسسون بتاريخ ١٣ من شهر نيسان (ابريل) سنة ١٩٢٣ م (رمضان ١٣٤١هـ) جلسة برئاسة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي عرض فيها اقتراح من الاستاذ سليم الجندي أحد أعضاء المجمع بانتخاب

الدكتور أسعد الحكيم الدمشقي عضواً مؤازراً في المجمع لما له من الخدم للعلم والأدب العربي ، فتقرر بالاتفاق انتخابه والكتابة إليه بذلك[١] .

وبعد اعتماد انتخاب الفقيد أسعد الحكيم من قبل الحكومة ، جرى الاحتفال بدخوله المجمع في جلسة علنية عقدت بتاريخ ٢٢ حزيران (يونيو) سنة ١٩٢٣ برئاسة الاستاذ الرئيس محمد كرد علي ، وكان أول من استقبل على الطريقة المجمعية التي أقرها مجمع دمشق بعد اقتراح تقدم به بعض الاعضاء يرون فيه اتباع التقاليد المجمعية الغربية[٢] .

وقدم عضو المجمع الاستاذ سليم الجندي الفقيد الى الحاضرين بخطاب تلى فيه صفحة من تاريخه وخدمته العلمية ، وكان مما قاله :

« عرفت صديقنا الطبيب اسعد الحكيم ، الذي نحتفل به اليوم ، منذ عشرين عاماً ، وقد سبرت في خلالها غوره وعجمت عوده ، فرأيت فيه من جميل الشمائل وجمال الدخائل ما يعز وجوده في كثير من أبناء هذا الجيل ، وعرفت فيه من الغيرة على أمته ولغته والحرص على اعلاء شأنهما ما يجب أن يكون في كل عربي خلص دمه من كل أشب وقشب ، وسلم جوهره من كل شوب وروب ...[٣] »

ورد الفقيد على مستقبله بخطاب بليغ عن (التفاني في الحرص على اللغة[٤]) .

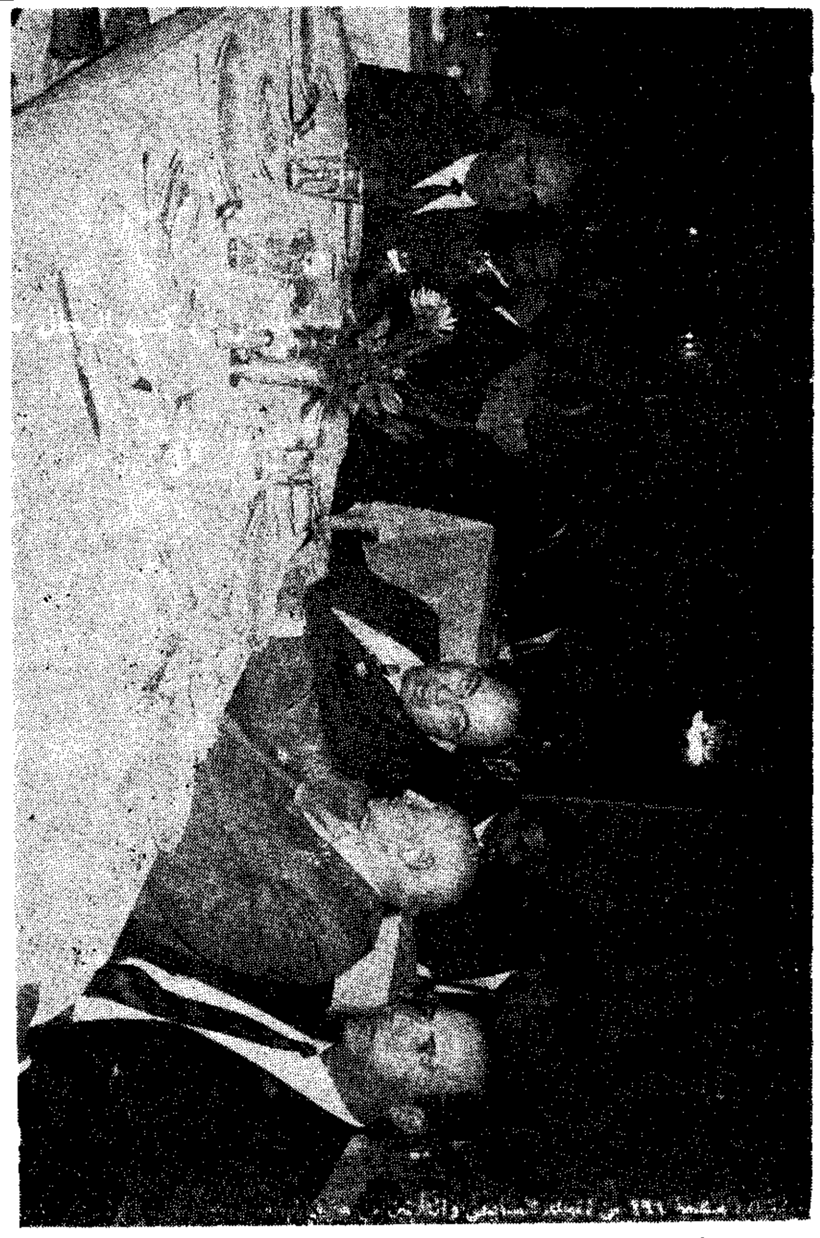
وساهم الفقيد في أعمال المجمع العلمية ، كما شارك في ادارته

(١) انظر ص ١٢٤ من الجزء الرابع من مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الثالث لسنة ١٩٢٣ .

(٢) انظر ص ١٩٢ من الجزء السادس من مجلة المجمع ـ المجلد الثالث لسنة ١٩٢٣ .

(٣) انظر ص ٤٢٠ من المجلد الثامن سنة ١٩٢٨ من مجلة المجمع .

(٤) انظر ص ٤٥٦ من المجلد الخامس من مجلة المجمع سنة ١٩٢٥ .



احدى حفلات أسبوع العلم العاشر بدمشق سنة ١٩٦٠
وقد تصدر الفقيد احدى الموائد

عضواً في اللجنة الادارية أمداً طويلا[١] ، واشترك في المؤتمرات اللغوية والمهرجانات الأدبية التي أقامها ، وفي إلقاء المحاضرات العامة في بهـوه ، كما شارك في تحرير مجلته وبالتعريف على صفحاتها بالكتب والمطبوعات التي تدخل موضوعاتها في اهتماماته الشخصية .

وبتاريخ الأول من كانون الأول (ديسمبر) سـنة ١٩٦٩ انتخب المجمع العلمي العراقي في بغداد ، الفقيد أسعد الحكيم عضواً مؤازراً فيه .

الفقيد على خطى رواد الحركة العربية

الحركة العربية التي تفتحت في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي ، بلغت أوجها في مطلع القرن العشرين فوعاها الفقيد ، وكان ما يزال على مقاعد التحصيل بدمشق ، وما كاد يقصد بيروت لدراسة العلوم الطبية ، حتى أخذت هزات عنيفة بخناق الدولة العثمانية ، وبلاد الشام جزء منها ، فشدت الفقيد إلى « السياسة في سبيل العروبة » .

كان الاتحاديون الأتراك قد أعلنوا الدستور سنة ١٩٠٨ ، ثم بادروا في السنة التالية الى خلع السلطان عبد الحميد الثاني من منصب الخلافة ، واستأثر المتعصبون منهم بالسلطة . وأخذ المتطرفون يدعون الى تتريك العنـاصر التي تتألف منهـا الدولة العثمانية ، لغـة الدين الذي يقدسه الأتراك الطيبون جميعاً .

وكان رد الفعل عند رجالات العرب ومفكريهم بالغاً ، مما أحيا في نفوسهم الفكرة القومية ، ودفعهم الى التعاهد على العمـل متناصرين لانهاض العرب والوقوف في وجه الاتحاديين دعاة القومية الطورانية .

---

(١) انتخب الفقيد عضوا اداريا بجلسة ١٠٥٦/١٠/١٨ وجـدد الانتخاب مرة ثانيـة بجلسة ١٩٦٠/١١/٣ .

وانساق الفقيد مع أترابه للانتساب الى الجمعيات العربية السرية وتأسيسها ، مع بذل الجهد في توعية الناشئة وبث روح العروبة فيهم •

واختار الفقيد حقل الاصلاح الاجتماعي وايقاظ الوعي القومي عن طريق تأليف الجمعيات والنوادي الأدبية ، واقامة الحفلات المدرسية ، ووضع مسرحيات قومية يقوم الطلاب بتمثيلها خلال حفلاتهم • وبادرت المدرسة العثمانية الكاملية بدمشق الى فتح صدرها لتحقيق فكرة الفقيد وكلفته بتدريب الفوج الأول من ناشئتها ، فلاقت جهوده كل استحسان وتقدير[1] •

وعندما قامت الحكومة العربية الأولى في دمشق بعدما وضعت الحرب العالمية اوزارها سنة ١٩١٨ م كان الفقيد من إخوان جمعية الفتاة العربية البارزين ، ومن أعضاء هيئتها المركزية • أما في عهد الانتداب الفرنسي فوقف الفقيد نشاطه على مقتضيات المناصب التي تولاها مع نشاطه في البحوث العلمية والمشاركة في تحقيق أهداف المجمع العلمي العربي •

مؤلفات الفقيد وآثاره

أولا :ــ المسرحيات المدرسية

١ ــ « دمنة الهندي » : مسرحية تدعو الى بعث الروح العربية في النفوس ، وتحث العرب على استرجاع ما اغتصب منهم ، وهي باكورة

(١) مع هذا انظر ما ذكره الاستاذ علي الطنطاوي في مقدمته لكتاب الاستاذ النقيب ظافر القاسمي عن « مكتب عنبر » ص ٢٣ بيروت ١٩٦٤ •

ما كتب الفقيد في سنة ١٩٠٨ م ، وكانت أول مسرحية شاهدتها دمشق تمثل على مسرح أولى مدارسها الأهلية المعروفة باسم « المدرسة العثمانية » ثم اشتهرت باسم « المدرسة الكاملية » نسبة الى مؤسسها الشيخ كامل القصاب رحمه الله •

٢ ـ « **زهير الأندلسي** » : مسرحية تعرض العوامل السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي أدت الى ضياع الاندلس وخروج العرب منها• وقد مثلت على مسرح المدرسة العثمانية سنة ١٩١٠ م •

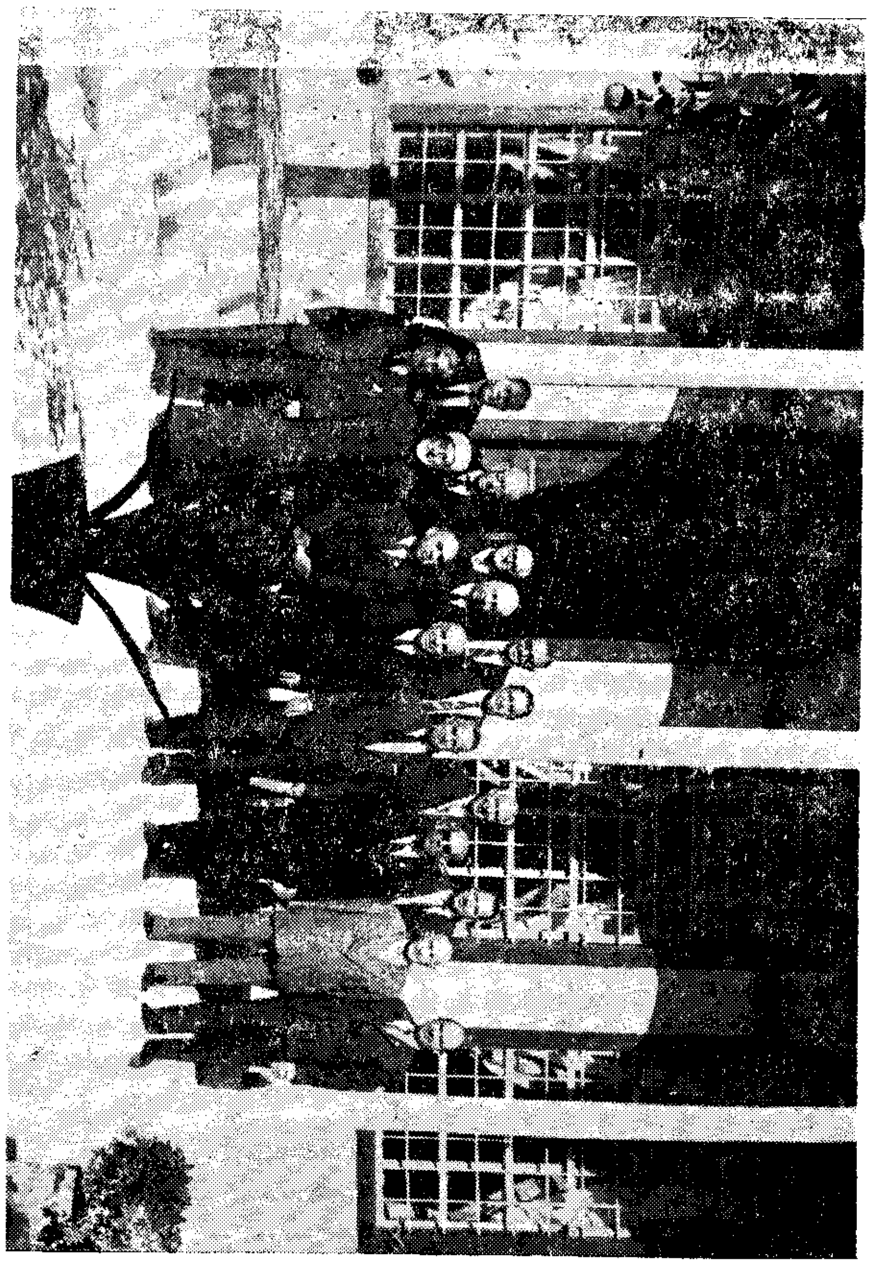
٣ ـ « **أسعد القيروان** » : مسرحية تدور الحوادث فيها حول فتوح العرب جزيرة صقلية وحروبهم في جنوبي ايطاليا أيام الدولة الأغلبية •

وقد قام بتمثيلها طلاب « المدرسة المحسنية » بدمشق سنة ١٩٢١ م•

٤ ـ « **أذينة التدمري** » : مسرحية تصور مملكة تدمر في عهد اسرة (آل أذينة) العربية ، وحروب الملك أذينة زوج الزبّاء في سبيل تحرير المملكة من التبعية للامبراطورية الرومانية •

إن هذه المسرحيات الأربع لم يسبق طبعها ، ويقول الفقيد عن أصولها : « من بواعث الأسف أن أصولها قد التهمتها النيران التي أشعلها الفرنسيون ، عند بدء الثورة السورية عام ١٩٢٥ م ، في محلة الدقاقين وفيها داري ومكتبتي وعيادتي •• » • ثم يردف قائلا : « لقد توفقت أخيرا الى جمع القسم الأكبر منها من بعض من قاموا بتمثيل بعض أدوارها ، وجلهم يشغل مناصب كبيرة ، ومن سجلات المدرسة العثمانية والمحسنية القديمة ، وأرجو ان اوفق الى طبعها قريبا[١] » •

(١) كتب الفقيد هذا بخطه على هامش ترجمة ذاتية مؤرخة في ١ـ٦ـ١٩٦١ •



مجمعيو البلاد العربية في دمشق سنة ١٩٧٣ م
ويرى الفقيد في الصف الاول من يمين الرسم

ثانيا : الكتب العلمية

١ ـ « الامراض النفسية » : مؤلف باللغة الفرنسية وضعه الفقيد بالاشتراك مع الأستاذ الجنرال جود رئيس الشؤون الصحية للجيش الفرنسي في سورية المنتدب لتدريس الامراض النفسية في كلية الطب بدمشق .

ويقول الفقيد : « الكتاب معد للطبع » ، ومنه نسخة تامة مضروبة على الآلة الكاتبة محفوظة في مكتبة وزارة المعارف بدمشق » .

٢ ـ « **الموجز في الامراض النفسية** » **وهو مجموع** المحاضرات التي القاها الفقيد على طلبة كلية الطب بدمشق « مخطوط » .

٣ ـ « **ملخص محاضرات في الامراض النفسية** » **وهو مجموع يحتوي** القسم الاكبر من التعابير والألفاظ والمصطلحات العلمية في الامراض النفسية ، وهي من وضع الفقيد ولم يسبق إليها « مخطوط » .

ثالثا : ـ المحاضرات العامة

١ ـ تاريخ الطب عند العرب (القسم الاول)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بدمشق بتاريخ ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩٢٣ .

ونشرت في مجلة المجمع في المجلد السادس ص ٤٤٥ ــ ٤٦١ .

٢ ــ تاريخ الطب عند العرب (القسم الثاني)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بدمشق ونشرت في مجلته : المجلد السادس ص ٥٠١ ــ ٥١٧ .

٣ ـ الاخلاق أو المبادىء العامة في تطور الأمم وتكوينها (القسم الاول)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بتاريخ ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٢٤ •

٤ ـ الاخلاق أو المبادىء العامة في تطور الامم وتكوينها (القسم الثاني)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بتاريخ ٣١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ •

ونشرت المحاضرتان في الجزء الثالث من مجموعة محاضرات المجمع العلمي العربي بدمشق ـ كما نشرتا في مجلة العرفان في صيدا ـ لبنان •

٥ ـ لمحة عن تاريخ الطب في الشام

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع في مفتتح العام التاسع ونشرت في مجلة العرفان المجلد ١٧ صيدا •

٦ ـ ماهية الجنون وتاريخه (القسم الاول)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٩٣١ ونشرت في المجلد ١٣ من مجلة المجمع •

٧ ـ ماهية الجنون وتاريخه (القسم الثاني)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع ونشرت في المجلد ١٣ من مجلة المجمع •

٨ ـ المسكرات الغولية ومضارها الصحية والاجتماعية (القسم الاول)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بتاريخ ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ ونشرت في المجلد العاشر من مجلة المجمع •

٩ ـ المسكرات الغولية ومضارها الصحية والاجتماعية (القسم الثاني)

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع ونشرت في المجلد العاشر من مجلة المجمع •

١٠ ـ الكوكائين

محاضرة ألقيت في ردهة المجمع بتاريخ ٤ حزيران سنة ١٩٣١ ونشرت في المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع .

رابعا : ثبت بما نشره في التعريف بالكتب

حفلت مجلة المجمع العلمي العربي بتعليقات للفقيد على بعض ما قرأه من الكتب تعريفاً بها أو نقداً لها ، وفيما يلي أهم مانشرته المجلة من تلك التعليقات :

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٢٣	٣/٣٨٣	كتاب « حظ الطب العربي في نشوء الطب الفرنسي » تأليف الدكتور يوسف حريز ، بالفرنسية : « La part de la médecine arabe dans l'évolution de la médecine francaise »
١٩٢٤	٤/٣٣٠	كتاب « بحث انتقادي في منشأ مذهب العناصر البشرية في القرن الثامن عشر وفي انتشاره في القرن التاسع عشر » بالفرنسية تأليف Théophile Simar
١٩٢٥	٥/٩٨	كتاب « صحة المرأة في ادوار حياتها » تأليف الدكتور أحمد عيسى
١٩٢٥	٥/٩٩	كتاب «أمراض النساء ومعالجتها وصفا وجراحة»

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
		تأليف الدكتور بوتسي ترجمة الدكتور أحمد عيسى
١٩٢٥	٥/١٩٩	كتاب « التنفسرة » في تحليل البول تأليف الدكتور أحمد عيسى
١٩٢٥	٥/٤٩٢	كتاب « الأمراض التناسلية وعلاجها وطرق الوقاية منها » تأليف الدكتور فخري •
١٩٢٥	٥/٥٣٧	كتاب « المرأة وفلسفة التناسليات » تأليف الدكتور فخري
١٩٢٧	٧/٩٣	كتاب « من مبادىء الفيزياء » تأليف فرنان ماير ترجمة عز الدين التنوخي •
١٩٢٧	٧/٥٢٧	١ ــ كتاب « الحب والزواج فلسفة وسنة » تأليف نقولا حداد • ٢ ــ كتاب « اسرار الحياة الزوجية » تأليف ماري ستوب ترجمة نقولا حداد
١٩٢٨	٨/٦٣٩	كتاب « ذكراً وأنثى خلقهم » أو « مرشد الشبيبة » تأليف نقولا حداد
١٩٢٨	٨/٦٩٤	كتاب « في فلسفة ابن سينا في ما وراء الطبيعة » بالفرنسية تأليف الدكتور جميل صليبا

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٢٩	٩/١٩٠	كتاب « أردشير وحياة النفوس » تأليف الدكتور احمد زكي أبو شادي .
١٩٢٩	٩/٢٥٢	كتاب « قائمة المخطوطات العربية في الاسكوريال » بالفرنسية تأليف ديرانبورغ وبروفنسال .
١٩٣١	١١/٦٣٦	كتاب « أسرار المراهقة في الفتى » تأليف الدكتور شخاشيري
١٩٣١	١١/٦٣٧	كتاب « أسرار المراهقة في الفتاة » تأليف الدكتور شخاشيري
١٩٣١	١١/٧٠٢	كتاب « البصريات الهندسية والطبيعية » تأليف الاستاذ مصطفى نظيف
١٩٣١	١١/٧٧٥	كتاب « الحياة البسيطة » تأليف شارل واغنار ترجمة الارشمندريت انطون بشير
١٩٣١	١١/٧٧٦	كتاب « تقويم مصر لسنة ١٩٣١ » نشر قلم مطبوعات الحكومة المصرية
١٩٣٢	١٢/٢٥٥	كتاب « طوق الحمامة » تأليف ابن حزم الاندلسي
١٩٣٢	١٢/٦٣٦	سبع قصص جديدة للأطفال بقلم كامل الكيلاني

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٣٢	١٢/٦٣٧	« القرآن » بالاحرف اللاتينية نشر مكتبة حلمي باستانبول وانقرة
١٩٣٢	١٢/٦٣٨	كتاب « الطب العربي وتأثيره في مدنية أوربا » تأليف الدكتور زكي علي •
١٩٣٣	١٣/١٠١	« شوقي والمسرح العربي » خطاب الفقيد أسعد الحكيم في الحفل الذي أقامه المجمع بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاة أمير الشعراء أحمد شوقي •
١٩٣٣	١٣/٣٤٦	رواية « قلب الخطيبة » ترجمة الاستاذ أدوار مرقص
١٩٣٦	١٤/١٦١	كتاب « علم الامراض الباطنة » الجزء الأول في أمراض الجملة العصبية تأليف الدكتور حسني سبح •
١٩٤١	١٦/٥٦٢	كتاب « تاريخ البيمارستانات في الاسلام » تأليف الدكتور أحمد عيسى
١٩٤٢	١٧/١٦٣	كتاب « علم الأمراض الباطنة » الأجزاء الثاني حتى الخامس تأليف الدكتور حسني سبح
١٩٤٣	١٨/٣٥٨	كتاب « فن الجراثيم » تأليف الدكتور احمد حمدي الخياط

السنة	المجلد والصفحة	الموضوع
١٩٤٨	٢٣/١٢٤	كتاب « الاشتقاق والتعريب » تأليف الشيخ عبد القادر المغربي
١٩٤٨	٢٣/١٢٦	كتاب « الوجيز في أمراض العين » تأليف الدكتور ممدوح الصباغ
١٩٤٨	٢٣/١٢٧	كتاب « موجز الامراض الجراحية » تأليف الدكتور مرشد خاطر والدكتور منير شورى
١٩٥٣	٢٨/٣٢٠	كلمة الفقيد اسعد الحكيم في حفل تكريم ممثلي الدولة العربية والاسلامية في حلقة الدراسات الاجتماعية المنعقدة في دمشق ١٩٥٢
١٩٥٥	٣٠/١٣٢	كتاب « حركات في لبنان الى عهد المتصرفية » رسالة عن حوادث سنة ١٨٦٠ بقلم حسين غضبان نشرها ابنه يوسف خطار ابو شقره
١٩٥٥	٣٠/٦٥٤	كتاب « موجز أمراض الجملة العصبية » تأليف الدكتور حسني سبح
١٩٥٦	٣١/٤٨٠	كتاب « طبقات الأطباء والحكماء » تأليف ابن جلجل تحقيق فؤاد سيد
١٩٥٧	٣٢/٣٦٥	كتاب « علم الأمراض الباطنة » الجزء السابع : أمراض الغدد الصم والتغذية والتسممات تأليف الدكتور حسني سبح

Dr
ASSAD HAKIM
Damas - Syria

الدكتور
أسعد الحكيم
دمشق

Damas Le / / 195

دمشق في ٥ / ١٠ / ١٩٦٤

إلى رئاسة المجمع العلمي العربي بدمشق الموقر

سلام الله عليكم. وبعد فإن حالتي الصحية لم تعد تساعدني على القيام بأعمال عضوية اللجنة الإدارية للمجمع وهي تستلزم مني الخلود للراحة التامة وترك العمل. ولهذا أرجو قبول استقالتي منها وعرضها على إخواني في جلسة السبت المقبل لانتخاب من يخلفني فيها مع قبول خالص شكري لكم ولإخواني أعضاء المجمع لما أوليتموني من كرم الزمالة وحسن الثقة والله يحفظكم

الدكتور

المجمع العلمي العربي
الرقم [illegible]
التاريخ ٧ / ١٠ / ٩٦٤

إلى المدير
يحفظ في اضبارته
١٢

خط الفقيد وتوقيعه

مصادر ترجمة الفقيـد

١ ـ الاضبارة المجمعية ذات الرقم ٩٢/١١ وفيها ترجمة ذاتيـة بقلم الفقيـد •

٢ ـ « من هو في سورية » اصدار الوكالة العربية للنشر والدعاية • دمشق ١٩٤٩ •

٣ ـ كتاب « من هم في العالم العربي » ج ١ اصدار مكتب الدراسات السورية والعربية • دمشق ١٩٥٧ •

٤ ـ كتاب « المجمعيون » القسم الثاني لعدنان الخطيب • الملف ذو الرقم ٢٣ •

٥ ـ السجل العـام لموظفي الدولة في سوريـة • رقم ٥٢٠/٨ داخليـة قـديم •

٦ ـ خطاب الاستقبال المجمعي لسليم الجندي • مجلة المجمع العلمي العربي المجلد الثامن سنة ١٩٢٨ •

٧ ـ رسائل شخصية محفوظة عند بعض أصدقاء أو أقرباء الفقيد ، اطلعت على بعضها ، وفيها بعض اخباره وشيء من شعره •

عدنان الخطيب

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثاني من عام ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ الانفعال	رضي الله الحسن الصغاني • تحقيق احمد خان	اسلام آباد ١٩٧٧
ـ آثار حنين بن إسحاق	عامر السامرائي وعبد الحميد العلوجي	بغداد ١٩٧٤
ـ الإكليل (الجزء الأول)	الحسن الهمداني • تحقيق محمد بن علي الأكوع	« ١٩٧٧
ـ التداخل وتبدل الأنواع في الشعر العربي : الجزء الأول : التداخل الطرفي	حكمت فرج البدري	« ١٩٧٨
ـ حنين بن إسحاق	د• يوسف حبي	« ١٩٧٤
ـ العربية بين أمسها وحاضرها	د• ابراهيم السامرائي	« ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ فهارس المخطوطات السريانية في العراق : الجزء الأول : مكتبات الموصل وأطرافها	مجمع اللغة السريانية	بغداد ١٩٧٧
ـ المؤتمر الثاني للاعداد الببليوغرافي للكتاب العربي	جامعة الدول العربية	« ١٩٧٩
ـ مهرجان أفرام وحنين	مجمع اللغة السريانية	« ١٩٧٤
ـ أبحاث ألمانية جديدة حول الشرق الأوسط	مؤسسة الأبحاث العلمية الألمانية	بون ١٩٧٨
ـ أركان حقوق الانسان	د. صبحي المحمصاني	بيروت ١٩٧٩
ـ انهيار عروش وتدحرج رؤوس	د. احسان حقي	« ١٩٧٩
ـ البنك اللاربوي في الاسلام	السيد محمد باقر الصدر	« ١٩٧٣
ـ تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية	د. احسان حقي	« ١٩٧٨
ـ السنة العالمية للكتاب (١٩٧٢) منهاج وعمل	اليونسكو	« ١٩٧١
ـ عبرة من تاريخ فلسطين	محمد عزة دروزة	« ١٩٧٨
ـ نفحات شامية	عدنان مردم بك	« ١٩٧٩

اســم الكتــاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه	
ـ الوثائق العربية (١٩٧٤) ـ (١٩٧٥)	الجامعة الأمريكية	بيروت	١٩٧٩
ـ أدب العلماء : الرازي ، ابن الهيثم ، ابن سينا	د. محمد سويسي	تونس	١٩٧٩
ـ الثورة الجزائرية : وقائع وابعاد	وزارة الاعلام والثقافة	الجزائر	
ـ متاحف الجزائر : الفن الجزائري الشعبي والمعاصر	وزارة الاعلام والثقافة	«	١٩٧٣
ـ الجامع بين العلم والعمل النافع في صناعة الحيل	أبو العزّ بن اسماعيل الجزري . تحقيق : د. احمد يوسف الحسن	حلب	١٩٧٩
ـ كتاب ما الفارق أو الفروق أو كلام في الفروق بين الأمراض	ابو بكر الرازي تح : د. سلمان قطاية	«	١٩٧٨
ـ من أعلام العرب في القومية والأدب	عبد الله يوركي حلاق	«	١٩٧٨
ـ مناجاة الشموع	عبد الوهاب الشيخ خليل	حماة	١٩٧٨
ـ الابانة عن معاني القراءات	مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق : د. محي الدين رمضان	دمشق	١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه	
ـ أبجد العلوم (الجزء الأول)	صديق القنّوجي تح : عبد الجبار زكار	دمشق	١٩٧٨
ـ أصول التربية الاسلامية وأساليبها	عبد الرحمن النحلاوي	«	١٩٧٩
ـ البحث عن الزمن المفقود في ظلال ربيع الفتيات (القسم الأول)	مارسيل بروست	«	١٩٧٩
ـ البلاد الجميلة	ليلى سالم	«	١٩٧٨
ـ تاريخ الحياة	ا. ل. ماك الستر ترجمة د. فؤادالعجل	«	١٩٧٨
ـ تاريخ المسرح : الجزء الأول	فيتو باندولفي . ترجمة الياس زحلاوي	«	١٩٧٩
ـ تاريخ اليمن أو المفيد في أخبار صنعاء وزبيد	عمارة اليمني. تحقيق محمد بن علي الأكوع	«	١٩٧٩
ـ تدمر والتدمريون	د. عدنان البني	«	١٩٧٨
ـ تشريح نزاع الشرق الأوسط	بريما كوف	«	١٩٧٩
ـ تفاقم المجاعة : الزراعة من منظور جديد	رينيه دومون ترجمة وجيه العمر	«	١٩٧٩
ـ دنيا الطفولة	بافول دوبشنسكي . ترجمة : خير الدين عبد الصمد	«	١٩٧٩

اسـم الكتـاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ الحمّامات الثلاثة (حكايات سلوفاكية)	باڤول دوبشنسكي	دمشق ١٩٧٩
ـ الرائد في الأدب العربي	نعيم الحمصي	» ١٩٧٩
ـ الرد على مالتوس	عدد من المؤلفين	» ١٩٧٨
ـ الشعلة الزرقاء (رسـائل جبران خليل جبران الى مي زيادة)	تحقيق : سلمى الحفار وسهيل بشروئي	» ١٩٧٩
ـ صندوق النقد الدولي	دومينيك كارو تحقيق : د. مصطفى السيوطي	» ١٩٧٨
ـ الصيف والطلائع	سليمان العيسى	» ١٩٧٨
ـ الضيف (قصص)	محمود عبد الواحد	» ١٩٧٨
ـ العبور من الباب الضيق (قصص)	دلال حاتم	» ١٩٧٩
ـ طبيعة قوانين الفيزياء	رتشارد فاينمان ترجمة : د. أدهـم السمان	» ١٩٧٩
ـ على درب التحرير (صور من بطولاتنا)	طه عمرين	» ١٩٧٨
ـ على طريق محـو الأمية في القطر العربي السوري	سميح عيسى	» ١٩٧٩

اســم الكتــاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ العمال المهاجرون والبنية الطبقية في أوربا الغربية	ستيفن كاسلز حود ولاكوساك ترجمة : محمود فلاحة	دمشق ١٩٧٩
ـ الغزل عند العرب (١ ـ ٢)	ج . ك . فاديه ترجمة : د. ابراهيم الكيلاني	» ١٩٧٩
ـ الفارس سيد العالم (حكايات سلوفاكية)	بافول دوبشنسكي ترجمة : خير الدين عبد الصمد	» ١٩٧٩
ـ فلسفة السريالية	فردينان آلكية ترجمة : وجيه العمر	» ١٩٧٨
ـ في القلب شيء آخر	د. ناديا خوست	» ١٩٧٩
ـ القصر المسحور (حكايات سلوفاكية)	باڤول دوبشنسكي	» ١٩٧٩
ـ قصص اسبانية	جماعة من المؤلفين ترجمة : علي جابر	» ١٩٧٨
ـ قمصان زرقاء للجثث الفاخرة (شعر)	عادل محمود	» ١٩٧٨
ـ كتاب التساؤلات (ثلاث مجموعات شعر)	بابلو نيرودا ترجمة : رفعت عطفة	» ١٩٧٨
ـ القيد البشري (شعر)	أحمد يوسف داود	» ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ المدرسة الواقعية في النقد الغربي الحديث	حنا عبود	دمشق ١٩٧٨
ـ مذكرات عصفور (مجموعة قصص)	جورج قس	» ١٩٧٨
ـ المسرحية تستمر (مسرحية في ثلاثة فصول)	فيصل خليل	» ١٩٧٨
ـ مغامرات الجرذ واليربوع	عدد من المؤلفين ترجمة : هاشم حمادي	» ١٩٧٨
ـ مغامرات في اليمن	ف . بلسان ترجمة : مهنا الجهيم	» ١٩٧٨
ـ من كتاب الامتاع والمؤانسة	أبو حيان التوحيدي اختيار وتقديم د. ابراهيم الكيلاني	» ١٩٧٨
ـ من كتاب الحيوان (السفر الأول)	الجاحظ تقديم نعيم الحمصي وعبد المعين ملوحي	» ١٩٧٩
ـ من كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية	بهاء الدين بن شداد اختار النصوص : محمد درويش	» ١٩٧٩
ـ نحو فهم جديد منصف لأدب الدول المتتابعة (١ ـ ٢)	نعيم الحمصي	» ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ ندوة السكان والقوى العاملة والتخطيط	اشراف محمد صفوح الأخرس	دمشق ١٩٧٨
ـ النقد الفني	اندريه ريشار ترجمة : صياح الجهيم	» ١٩٧٩
ـ ليس للنشر	مايكل آدامز ـ كريستو فرميهيو ترجمة : محمود فلاحة	» ١٩٧٨
ـ النسوية في الكتاب المدرسي السوري	نبيل سليمان	» ١٩٧٨
ـ وقف النمو	نادي روما ترجمة : عيسى عصفور	» ١٩٧٩
ـ دليل المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول	جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية	الرياض ١٩٧٩
ـ رؤوس الموضوعات العربية	ناصر السويدان	» ١٩٧٨
ـ الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز	جامعة الرياض	» ١٩٧٦
ـ تاريخ مدينة صنعاء	أحمد بن عبدالله الرازي تح : حسين العمري وعبد الجبار زكار	صنعاء ١٩٧٤

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ التقرير الاحصائي السنوي التربوي (١٩٧٧ ـ ١٩٧٨)	وزارة التربية والتعليم	عمان ـ ١٩٧٨
ـ تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها	مجمع اللغة العربية الاردني	» ١٩٧٩
ـ مجموعة القوانين والأنظمة والتعليمات المتعلقة بوزارة التربية والتعليم (١ ـ ٧)	وزارة التربية والتعليم	» ١٩٦٦ـ١٩٧٨
ـ من أعلام الفكر والأدب في فلسطين	يعقوب العودات (البدوي الملثم)	» ١٩٧٦
ـ جامعة الدول العربية (ميثاقها وانجازاتها)	د. مفيد شهاب	القاهرة ١٩٧٨
ـ الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	» ١٩٧٧
ـ دراسة في الشخصية الاسرائيلية (الاشكنازيم)	د. قدري حنفي	» ١٩٧٥
ـ سوسيولوجية الثقافة	د. الطاهر لبيب	» ١٩٧٨
ـ عاد في التاريخ	هادون العطاس	» ١٩٧٨
ـ النشرة العربية للمطبوعات لعام ١٩٧٦	المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم	» ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف والناشر	مكان الطبع وتاريخه
ـ الذكرى والتاريخ	جامعة الكويت باشراف د. شاكر مصطفى	الكويت ١٩٧٨
ـ المختار من مجلة الدراسات الفلسطينية (١ ـ ٢)	مراجعة واشراف د. شاكر مصطفى	» ١٩٧٤ــ١٩٧٧
ـ دون كيخوتي في القرن العشرين	ترجمة : د. محمود صبح وخوليو كورتيس	مدريد ١٩٦٨
ـ فرناند وبيالون	د. محمود صبح	» ١٩٧٦
ـ فرناندو دي روخاس	د. محمود صبح	» ١٩٧٧
ـ قاموس اسباني ـ عربي	ف. كورينطي	» ١٩٧٠
ـ قاموس عربي ـ اسباني	ف. كورينطي	» ١٩٧٧
ـ منتخبات من قصائد بيكر	خواكين دي لوكاس	» ١٩٧٦
ـ تاريخ الكوفة الحديث من عام ١٢٨٠ ـ ١٣٩٣ (١ ـ ٢)	كامل سليمان الجبوري	النجف ١٩٧٤
ـ ثورة العشرين	عبد الرسول تويج تح : كامل جبوري	» ١٩٧٥
ـ القاسم بن موسى بن جعفر	عبد الجبار الساعدي	» ١٩٧٥
ـ محاضرات الملتقى الخامس للتعرف على الفكر الاسلامي	وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية	وهران

فهرس الجزء الثالث من المجلد الرابع والخمسين

التعريف والنقـــد

آراء وأنبـــاء

مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق

« مجلة المجمع العلمي العربي سابقاً »



ذو القعدة ١٣٩٩ هـ

تشرين الأول « اكتوبر » ١٩٧٩ م



بقايا الفصاح

« شفيق جبري »

تستفيض في لغة العامّة ألفاظ وتراكيب لا يخطر ببال واحدٍ منّا أنها فصيحة وأنها استعملت في الحديث على نحو استعمالها في القديم ، من هذا القبيل قول العامّة : كأنه عَطَسَهُ ، أو ما يقرب من هذا القول ، أي كأنه جاء به شبيهاً له في كل شيء ، في خلقه وعادته ومزاجه ونحو ذلك ، وفي اللغة : فلان عطسة فلانٍ أي يشبهه خَلْقاً وخُلقاً فالقولان متشابهان ، الا أن العامّة عدّت فعل عطس وهو لازم : عطس يعطِس ويعطُس عطساً وعُطاساً أتته العطسة .

وقد يتفق في بعض الأحايين أن العامّة تستعمل لفظاً من الألفاظ فصيحاً ولكنه لم يرد على ألسنتها وروده في أصله وانما تجوّزت بعض التجوز : اذا وقع قتال بين الناس ونشأت عنه ضوضاء وغير ذلك عبرّت العامّة عن هذا الأمر بقولها : حميت الطوشة ، فالطوش في اللغة خفّة العقل أفلا نجد أن الطوشة العاميّة قريبة من لفظة الطوش الفصيحة فلا بدّ في القتال من شيء من خفّة العقل وما يشبهه ، وقد تفرح العامّة في بعض الأوقات بهذه الطوشة فتدعو ربّها أن : « تحمى الطوشة لتلعب بالبرطوشة » ، وماذكرت هذا الاصطلاح الاخير الا للاشارة الى البرطوشة ، فلم أجد في اللغة هذه اللفظة ، وانما وجدت ماهو قريب منها في تركيبه ، ففي

اللغة : المبرطش الدلاّل أو الساعي بين البائع والمشتري وكان عمر رضي الله تعالى عنه في الجاهلية مبرطشاً . أو بالسين المهملة ، فالذي يهمنا من هذا كله أن كلمة البرطوشة العامية وان لم يكن لها أصل فصيح الاّ أن تركيبها قريب من المبرطش الفصيحة .

والغريب في بقايا الفصاح أننّا نمرّ بألفاظ نظنها في فاتحة الأَمر أعجميةً ثم يتبيّن لنا بعد التدقيق أنها عربية فصيحة وان كنّا لانجد تقارباً بين المعنيين الفصيح والعامي : يجلس أحدنا في مقهى من المقاهي فيشرب القهوة أو الشاي فاذا فرغ من الشرب وضع الكأس الى جنبه ، فيسمع من صوتاً من صاحب المقهى أو من أحد الخدمة : خذ البوش أو ارفع البوش أي خذ الكأس الفارغة أو الفنجان الفارغ : ومن منّا يظن أن هذه اللفظة عربية فصيحة وان كان معناها العامي يختلف عن معناها الفصيح . فالبوش في اللغة لها معانٍ كثيرة ، من جملتها : الجماعة المختلطة أو الكثرة من الناس وغير ذلك ، ولكني لم أجد لأحد هذه المعانى صلة بكلمة البوش المستعملة في المقاهي ، وكل ما نستطيع أن نقوله إن البوش الفصيحة لاصلة لها بالبوش العامّية وقد توسّعت العامّة في معاني هذه اللفظة فاذا أَقدم فلان على مشروع ولم ينجح فيه أو اذا أَخفق في أمر من الأَمور عبّرت العامة عن هذا كله بقولها شُغْلُه بوش .

ومن مثل هذا التصرف في المعاني التي تطلقها العامّة على بعض الألفاظ الفصيحة فتحوّل المعنى العامي دون أن يكون صلة بين المعنيين قولها : فلان طفش ، وهي تريد بذلك أنه ذهب على وجهه إمّا

أنّ يكون منقبض الصدر وإمّا أن يكون قد أخفق في بعض الأمور أو اذا أزعجه شيء فلا تسعه الأرض فيطفش ، أي يذهب على وجهه . ولكن ماذا نجد في اللغة ، إنّا نجد من معاني الطفش : القذر والنكاح فما الذي يربط بين المعنيين ، المعنى الفصيح والمعنى العامي ؟ .

ولا يبعد عن مثل هذا التصرف استعمال العامّة لفعل حاص ولاص ، فاذا وقع رجل في حيرةٍ من أمره أو مال الى حيلةٍ وهو يفكر في شيء وأخذ يجيء ويذهب ولا يدري ماذا يفعل قالوا فيه : حاص ، لاص كأنه يريد أن يقدم على أمرٍ فلا يقدر عليه ، والعامة تستعمل الفعلين دون حرف العطف ، وقد يستعملون فعل : لاص وحده أو حاص وحده وهم يريدون بذلك أنه حيران فلا يعلم ماذا يفعل ، وفي اللغة : حاص عنه يحيص عدل وحاد ولاص يليص حاد ، فما هو التقارب في هذين الاستعمالين بين المعنى العامي والمعنى الفصيح ،

وكما تستعمل العامّة في بعض لغتها ألفاظاً فصيحة سواء أتقارب المعنيان الفصيح والعامي أم تباعدا ، فانها قد تستعمل تراكيب على سبيل المجاز ، فاذا أراد أحد الناس أن ينجو من رجل طويل اللسان يقع في الناس ويذمّهم قالوا له : اقطع لسانه أي أسكته بالإحسان اليه وفي اللغة : قطع لسانه أي أسكته باحسانه إليه ، فالقولان الفصيح والعامي متماثلان لا فرق بينهما ، فالعامّة كما استعملت هذا التركيب على حقيقته اقطع لسانه ، كذلك استعملته على وجه المجاز .

وقد تخترع العامّة في بعض الأحوال مجازاً فصيحاً لم يستعمل

في القديم ، من هذا الشكل قولها : فلان يلحقنا على الدَّعْسَة أي يتعقّبنا في كل أمرٍ من أمورنا ، يتعقّبنا في أخلاقنا وعاداتنا وطباعنا ليكشف عن كل عيب من عيوبنا اذا كان لنا عيب ، فالدعسة : شدّة الوطء والأثر والطعن ، أفلا نجـــد أن هذا المجاز العامي لا يخلو من طرافة .

ما أكثر ما نهتدى إليه من الطرائف في لغة العامة .

شفيق جبري

نظـرة في
معجـم المصطلحات الطبّيّة
الكثير اللغات

للدكتور أ . ل . كليرفيل
نقله الى العربية الاساتذة مرشد خاطر
واحمد حمدي الخياط ومحمد صلاح الدين الكراكبي

- ٤٢ -

الدكتور حسني سبح

12547 Son ou bruit entotique — ١٢٥٤٧ صَوتَ الأذن المُتَوسطة

وأرجح طَنين الأذن ، وسبقت الملاحظة على هذه اللفظة [١]

12548 son fondamental — ١٢٥٤٨ صَوتٌ أساسي

وأرجح لَحنٌ أصِيل

12556 son de sonorité pulmonaire mormale

١٢٥٥٦ صوْت رنّانِيَّة الرّئة النّظامِيَّة

وأفضل الصَّوْت السَّوي أو الطبيعي لوضوح الرئة أو وضاحتها ، وكذلك صَوت الرئة وصَوت التنفس الطبيعي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢]

12557 son tympanique, retentissant, son de boite, v. tympanisme

١٢٥٥٧ صَوْت طَبْلي ، رنّان ، صَوْت العُلْبة ، انظر طَبْلية

وأفضل صَوْت طَبْلي ، داوٍ ، صَوْت عُلبة المُقَوّى ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٣]

---

(١) الصفحة ٥٨٩ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٢) (pulmonary sound, respiratory normal sound)

(٣) (handbox sound)

12558 Sonde, cathetr
١٢٥٥٨ مِسْبار ، مِحْجاج ، قَـثَاتير
وأرجح مِسْبار ، قِثْطار

12561 sonde pour le cathétérisme de la trompe d' Eustache
١٢٥٦١ مِسْبار لِقَثْتَرَة بُوق أُستاكـيوس
وارجح قِثْطار الأذن وقِثْطار أُستاكِيوس ، كما جاء في الترجمة الانـكليزية من المعجم الأصلي (١)

12562 sonde à demeure
١٢٥٦٢ مِسْبار ثابت ، مُلتَزِم
والصحيح قِثْطار ثـابِت أو مُستَقر

12563 sonde duodénale
١٢٥٦٣ مِسْبار عَفَجي
وأفضل قِثْطار عَفَـجي أو أنبوب العَفَج، كما جاء في الترجمة الانـكليزية من المعجم الأصلي (٢)

12565 sonde explorative vésicale
١٢٥٦٥ مِسْبار لإستِقْصاء المَثَانة
وأفضل قِثْطار لتَحري حَصَى المثانة ، كما جاء في الترجمة الانـكليزية من المعجم الأصلي (٣)

12566 sonde en gomme à béquilles
١٢٥٦٦ مِسْبار صَمْغي مُعَكَّز
وأفضل قِثْطار صَمْغي مَعْقُوف (وهو المستعمل في ضخامة البروستاتة) وكذلك قِثْطار مرسيه ، كما جاء في الترجمة الانـكليزية من المعجم الأصلي (٤)

---

(١) (ear eatheter, eustachian catheter)

(٢) (duodenal tube)

(٣) (probe for detecting stone 'in the bladder, vesical probe)

(٤) (Mercier cathetcr)

12569 Sonore
١٢٥٦٩ طنّان ، رنّان
وأرجح رنّان ومُصيت ، مخصصاً الطنين ترجمة لـ (tintement) كما فعلته اللجنة (اللفظة ١٣٤٠٥)

12574 Souche microbienne
١٢٥٧٤ ذريّة جرثومية
وأرجح سُلالة جرثومية

12576 Soude (benzoate de)
١٢٥٧٦ الصُّود (جاوات)
وأفضل الصود (بنزوات)

12577 soude (oléate)
١٢٥٧٧ الصُّود (زيتات)
وأفضل الصود (أوليات)

12583 Souffle funiculaire
١٢٥٨٣ نفخة سررية
وسرّية وهي الفضلى

12590 Souffranee V. tourment
١٢٥٩٠ عذاب ؛ أنظر تألم ، غصّة
وأرجح تألم

12591 souffrance fœtal , état de souffranee du fœtus (pendant le travail)
١٢٥٩١ عذابٌ جنيني ، حالة عذاب الجنين أثناء (المخاض)
وأفضل تألم الجنين أو تأذيه

12593 Soufrage
١٢٥٩٣ كبرتة ، طلْي بالكبريت ، رشّ الكبريت
وأفضل كبرته ، التعفير بالكبريت

12598 Soufrer
١٢٥٩٨ كبرتَ ، رشّ بالكبريت
كبرت ، عفّر بالكبريت

12601 Soupape électrique
١٢٦٠١ دسام كهرباوي
وأفضل صمام كهربائي

12602 soupape à mercure
١٢٦٠٢ دسام زئبقي
وأفضل صمام زئبقي

12603 soupape de retenue, clapet de retenue
١٢٦٠٣ دِسَام الحفظ والوقاية، مِصْراع الوقاية

وأرجح صِمام الضَبْط ، دِسام الحجز أو الاحْتِجاز ، مُوقِّف الضغط ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي[1]

12604 Soupe au beurre , lait au roux
١٢٦٠٤ صُبَّة (حِساء) بالزُبدة ، وَلِيقَة ، لَبَنٌ بالسَمْن والدَّقِيق

والحِساء بالزُبْدة السَمْراء أو القَاتِمة ، كما جاء في الترجمة الانكليزية المعجم الأصلي[2]

12611 Sourd ,sourde (douleur)
١٢٦١١ عَمِيقٌ أو خَفِي (ألم) مَضَض

وأرجح غَامِض (ألم)

12613 sous - alimenté,ée
١٢٦١٣ قَلِيل التَّغذِيَة ، خَمِص

12614 sous - alimentation
١٢٦١٤ قِلَّة الغِذَاء ، نَقْص الغِذاء ،خَمَص

وأفضل نَاقِص التَغذِية في اللفظة الأولى ، ونَقْص الغِذاء او سُوء التَغْذية ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي[3] في الثانية . وليس للفظة خَمَص أن تفي بالمعنى [4]

12615 sous - arachnoïdien, dienne
١٢٦١٥ تَحْ – عَنْكَبَوتِية ، تَحْتَ العَنْكبوتية

---

(١) (check valve, back pressure, retaining valve)

(٢) (brown butter soup)

(٣) (subalimentation, underfeeding, malnutrition)

(٤) في لسان العرب : الخَمْصان والخُمْصان الجائع الضامر البطن

12616 sous - clavier, ière, sous claviculaire

١٢٦١٦ تَحْ ـ تَرْقَوي ، تَحْتُ التَرْقوة

تَحْتَ العَنْكَبُوتِية في اللفظة الاولى ، وتَحْت التَرقُوة في الثانية

12618 sous - cutiréaction, réaction sous - cutanée

١٢٦١٨ تَفاعُل تَحْ ـ جِلْدى ، اِرْتِكاس ما تَحْت الجِلْد

اِرتِكاس تَحْت الجلد

12619 Sous - dicrote

١٢٦١٩ نَبْضٌ مُزْدَوِج خَفيف

وأفضل دُون ثُنائِي التَثَلُّم (نَبْض)

12620 sous - épineux,euse infraspinal,ale

١٢٦٢٠ تحْـ شَوكي ، تَحتَ الشَّوك

12621 sous - muqueux.euse

١٢٦٢١ تحْـمُخاطي تَحَت الغِشاء المخاطي

وأفضل تَحَت الشَّوك ودُونَ الشَّوك في اللفظة الاولى ، وتَحْت المخاطي في الثانية

12623 sous - produits

١٢٦٢٣ مَحاصِيلٌ تَالِية

وأفضل مُنْتَجات ثَانَويَّة أو مُنْتَجات أخرى

12625 soustraire, priver

١٢٦٢٥ اِنْتَشل ، طَرَح ، حَرَمَ

وأفضل طَرحَ ، اِستَماد ، حرَم

1 626 sous - vêtement

١٢٦٢٦ شِعارٌ

وأرجح اللِّباس الدّاخِلي ، أو القميص ، خشية الالتباس بمعنى آخر

12628 sparadrap

١٢٦٢٨ مُشَمَّع

12629 sparadrap d' ichtyocolle

١٢٦٢٩ مُشَمَّع بِغِراء السَّمَك

والصحيح لَزْقة لاصِقة (adhesive plaster) في

اللفظـــة الاولى كما جـــاء في معجم بـلاكستون[١] ولزقة لاصقة بالأكَيْوقول أو غِراء السَّمك في اللفظة الثانية. وسبق للجنة أن ترجمت (toile cirée) بالقماش المُشمّع (اللفظة ١٣٤٥٨).ولا يشترط في اللزقة أن تكون من القماش المشمع فحسب [٢] واللفظة إيطالية الأصل

12629 spasme carpopédal, contraction des extrémités

١٢٦٢٩ تَشَنُّج رُسْغ القَدَم ، تقلصات النهايات

تَشَنُّج رُسْغ القَدم ، تقلص النهايات

12630 spasme fonctionnel ', crampes fonctionnelles ou professionnelles dyskinésie, dyscinésie professionnelle

١٢٦٣٠ تَشَنُّج وَظيفي، مُعُوص وَظِيفية أو مهنية، فقْد الحرَكات الاِخْتيارية فَقْد الحَرَكة المِهْني والصحيح ترجمة (dyskinésie) أو (dyscinésie) بعُسْر الحركة [٣] شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٤٥١٠) فيقال عُسْر الحركة وعُسْر الحركة المهني .

هذا وقد أقر مجمع اللغة العربيـة في القاهرة ترجمـة (convulsion) بتَشَنّج وجاء في التعريف : إنْقباض عَضَلي قَسْري شديد، كما أنه أقر ترجمة (spasme) بِتَقلُّص

---

(١) لفظة (sparadrap) في معجم (Blakiston's Medical Dictionary)

(٢) لفظة (sparadrap) في Manuila, Dictionnaire Français de Médecine et de Biologie

(٣) الصفحة ٦٠٧ من المجلد التاسع والثلاثين من هذه المجلة .

وجاء التعريف : إنقباض عضلي لا إرادي يحدث بغتة .

وأرى الصواب بأن تترجم (spasme) بتشنج و (convulsion) باختلاج [١]

12631 spasme intentionnel, convulsion (tonique) intentionnelle

١٢٦٣١ تَشَنُّج إختياري ، مَقصود ، إختلاج إختياري

وأفضل تَشَنُّج قَصدي، إختلاج (تَوتري) قَصدي

12634 spsme saltatoire, convulsion saltatoire réflexe

١٢٦٣٤ تَشَنُّج وثبي ، إختلاج وثبي انعكاسي

تَشَنُّج الوَثب أو القَفز ، منعكس الاختلاج القفزي أو الاختلاج القفزي الانعكاسي ، والتشنج الرَقصي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢]

12635 spasme de sanglot

١٢٦٣٥ تَشَنُّج شُهاقي

---

(١) في قاموس الأطبا وناموس الألبا تأليف مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري (من مصورات مجمعنا) : والشَنَج تَقبُّض بالجلد وغيره ، وقد شَنِج كَفرِج وتَشَنَّج تقبض ، قال الاطباء والتشنج تقبض يعرض للعصب يمنعه من الانبساط الى ان قال : وعلامته ان يعرض بغتة .

الاختلاج حَركة مَوضِع من البدن ليس من عادَتِه أن يَتَحرك حركة سريعة متواترة ثم تسكن سريعاً وربما أختلج ثم زال ثم عاد ، الى أن : قال وهو اذا دام انذر بالصَرْع واللقوة ونحوهما . وفي تقويم الأبدان في تدبير الانسان لابي علي يحيى بن عيسى بن جزلة المصري : (مطبوع في دمشق سنة ١٣٣٣ هـ) الرَعشة والاختلاج انحطاط العُضو وارتفاعه وهي حركة معروفة .

(٢) (palmus, saltatory rcflex spasm, dancing spasm

وأفضل تَشَنُّج النَّحيب [١] . وسبق للجنة أن ترجمت (coqueluche) بسُعال ديكي وشُهاق (اللفظة ٣١١٩)

12636 spasme de torsion, névrose de torsion, dystonie lordotique progressive

١٢٦٣٦ تَشَنُّج الانفِتال ، عُصاب الانفِتال ضعف قوة بزخي مترقٍ

والصحيح تَشَنُّج الانثِنــاء أو الانعطاف ، عُصابُ الانثِناء أو الانعطاف وسوء التَوتُّر القَعَسي المترقي . لأن ما يأتي به العليل من حَرَكة بجزعه هي انعطاف لا انفتال .

12641 Spasmophilie

١٢٦٤١ مَيْل للتَشَنُّج

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة المِزاج التَّقَلُّصي ، وجاء في التعريف : وفيه يحدث نزوع للنوبات التشنجية كانطباق الفكين وتَقَلُّص الحَنجَرة .

وأفضل اسْتِشْناج أو ميل الى التَشَنُّج أو نزوح إليه .

12642 Spatial. le

١٢٦٤٢ فَراغِي

وأفضل فَضَائي ، حَيِّزي ، لتخصيص فراغ ترجمة لـ (vacuum) شأنمافعلته اللجنة (اللفظة ١٤٠٤٢)

12647 Spécifité

١٢٦٤٧ نَوْعِيَّة

وَخصُوصيَّة ، ولا سيا فيما يختص بأحــد الأدوية فقد يعنى ناجعاً

12648 Spécifique

١٢٦٤٨ نَوْعي

---

(١) في لسان العرب : النحب والنحيب رفع الصوت بالبكاء ، النحيب البكاء بصوت طويل ومَدّ .

وخاص ، وناجع (للدواء)

١٢٦٤٩ نَوْعي (غير) — 12649 spécifique (non)

لانَوْعي وغيْر خاص

١٢٦٥١ خُصُوصِيات — 12651 Spécifiques

ونـاجِـعات

١٢٦٥٥ طَيْف الانْبِعاث — 12655 Spectre d'émission

وأرجح طَيْف البَثّ أو الإِرْسال

١٢٦٥٧ مِنْظاري ، في المِرْآة — 12657 Spéculaire, en miroir

وأفضل مِنْظاري ، بالمرآة (أي بواسطة المرآة)

١٢٦٦٣ نُطَيْفة ، حُجَيْرة مَنَوِية — 12663 Spermatide

وأرجح أرومة مَنَوِية . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سَلَف الحيوان المنوي وجاء في التعريف : خلية متولدة من خلية نطفية ثانوية بالانْشقاق وتنشأ منها النُّطَيفة ، كما أنه أقر نُطَيْفة ترجمة لـ (spermatogoid) كما سيأتي ، وجاء في التعريف : وهي الخلية المولدة لسَلَف النُّطَيْفة

١٢٦٦٥ خَلِيَّة مَنَوِيَّة — 12665 Spermatocyte

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة خَلِيَّة نُطْفية

١٢٦٦٦ تَكَوّن المَني — 12666 Spermatogénèse, spermatogénie

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الإنطاف ، وهي الفُضلى

١٢٦٦٧ خَلايا الحَيْوانات المَنَوية — 12667 Spermatogonies

وأرجح أرومة الحُيَيْ المَنَوي . وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة سَلَف خلايا النطفة ، وجاء في التعريف : وهي خلايا ذَكَرية لم تتميز بعد

12668 Spermatozoïdes, - spermatszoaires , gamètes mâles

١٢٦٦٨ حَيْمَنيّات ، حَيَوانات مَنَوية، أعراس ذُكور

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : نُطَيفة (حُيَي مَنَوي) ، وجاء في التعريف : خليةٌ ذَكرية نَسْلية نَضِجة من نِتاج الخِصْية

وأرجح حُيَيٌ مَنَوي

(2) corpuscule central proximal

(٢) جُسَيم مَركَزي مُجَاوِر

(3) eorpuscule distal

(٣) جُسَيم مُتَطرّف (بعيد عن الخط المتوسط)

وأفضل جُسَيم مَركزي دانٍ ، في اللفظة الاولى وجُسَيم قاصٍ في الثانية

12671 Spermicide

١٢٦٧١ قَاتِل الحَيْمَنيّات

وأفضل قَاتِل الحُيَيات المَنَوية ومُضاد الحَمْل المَوْضِعي

12672 Spermogénèse (périodes de la)

١٢٦٧٢ تَكوّن المَني (أدوار)

وأفضل الإنطَاف (أطوار)

(1) période d'accroissement

(١) دَوْر النُمّو

(2) période de maturation on réduction

(٢) دَوْر النَضُوج

(3) période de multiplication

(٣) دَوْر التَكاثُر

وأفضل طَوْر التّزايُد في اللفظة الاولى ،وطَور النُّضْج أو التّناقُص في اللفظة الثانية ، وطَوْر التكثّر في الثالثة .

12674 **Sphénoïde** ١٢٦٧٤ وَتَدِي .

وأفضل العَظْم الوَتَدي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [1]

12675 **Sphères attractives,centrosomes** ١٢٦٧٥ كُرات النُّجاذِبِيّة

جُسَيْمات مَرْكَزية

وأفضل كُرات الجَذْب أو الاجْتِذاب في اللفظة الاولى ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي [2]

12676 **Sphygmographe** ١٢٦٧٦ مُسَجِّل النَّبْض

وأرجح مِخْطاط النَّبْض

12677 **Sphincter** ١٢٦٧٧ صَارَّة

12678 **sphincter du pylore** ١٢٦٧٨ صَارَّة البَوّاب

12679 **sphincter de la vessie** ١٢٦٧٩ صَارَّة المَثَانة

وأفضل مُصِرَّة في اللفظة الأولى،ومُصِرَّة البَوّاب في الثانية، ومُصِرَّة المثانة في الثالثة . هذا وأقر مجمعُ اللغة العربية العاصرة

12681 **Spica** ١٢٦٨١ سُنْبُلَة

---

(١) (**sphenoid bone**)

(٢) (**attraction spheres**)

وأفضل رِباط سُنْبُلي أو متصالب، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

١٢٦٨٢ سُنَيْبِلَة 12682 Spicule

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة شويكة، وهي الفضلى اذ المقصود من اللفظة أي شيء مؤنف [١]

١٢٦٨٣ شَوْك مَشْقوق سِنْسِنَة مَشْقوقة 12983 Spina bifida

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الصُلْب المَفْلوح وجاء في التعريف : وفيه يَغيب الجزء الخَلْفي من الصُلْب.

وأرجح الشَوْك المَشْقوق

١٢٦٨٥ شَوْكي، نُخاعي، سِيسائي وصُلْبي [٣] 15685 Spinal, ale, épineux,euse médullaire, rachidien.

في ترجمة (spinal) كما أقرها مجمع اللغة العربية في القاهرة .

١٢٦٨٦ ذو خَلايا شَوْكِيَّة 12686 Spino – cellulaire

وخَلَوي شَوْكي، خلايا مِغْزَلية، وخَلَوي مِغْزَلي كما جاء

---

(١) (spica bandage)

(٢) لفظة (Spicula) في معجم درلند الطبي

Dorland 's Illustrated Medicsl Dictionary

(٣) في لسان العرب : الصُلْب والصالب عظم من لَدُن الكاهِل الى العَجْب، الى أن قال : والصُلْب من الظهر ، وكل شيء من الظهر فيه فقار فذلك الصُلب

في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [١]

12688 Spiralé, lée, serpentin, ine ١٢٦٨٨ حَلَزُني ، مُحَلْزَن

وأفضل حَلَزوني وثُعْباني ومُتَعوِّج ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢]

12689 Spirille ١٢٦٨٩ حَلَزُونيَّة

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة حُلَيْزِن (حليزينات)

12690 Spirochète ١٢٦٩٠ مُلْتَوِية

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة : لَوْلَبي (لَوْلبِيات)

وأفضل مُلتَوية (مُلْتويات)

12691 Spiroehète de la fièvre recurente (Obermeier) ١٢٦٩١ مُلْتَوِية الحمَّى الراجعة (أُوبرماير)

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة الحَلَزُونيَّة الرَّاجِعة وجاء في التعريف : وهي مِكْروب الحمَّى الرَّاجعة . والصحيح : مُلْتَوِية الحمَّى الراجعة ، وسَبَقَ للمجمع أن أقر حَلَزُونيَّة ترجمة لِ (spirille)

12693 Spirochétose ictéro-hémorragique, ictérogène, ictère ١٢٦٩٣ دَاءُ المُلْتَوِيات اليَرَقاني النَّزْفي المُوَلِّد لليَرَقان

---

(١) (spinocellular, spindle-cell,spindle)

(٢) (spiral, winding)

يرَقان نَمجي،داء وايل **infectieux, maladie de Weil**

وأفضل يَرَقان إنْتاني واليَرَقان النَزْلي الوافِد ،والحُمَّى الصَفْراء لِحَوْض البَحْر المُتَوَسِط ، وإاليَرَقان الحُمَّوي الحاد ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [(١)]

12696 Splanchnologie ١٢٦٩٦ مَبْحَث الأحشاء والأحشائِيَّات

12697 Splanchnopleure, feuillet fibro - intestinal

١٢٦٩٧ جِدارٌ مِعَوِيّ ، وُرَيْقَة لِيفيَّة مِعَوية

وأفضل الغِشاء المعوي ، الوُرَيقة اللِّيفِيَّة المِعَوية

12701 Spondylite ankyolopoiétique

١٢٧٠١ ألتِهابُ الفَقَرات الجَاسِيء ، المُشَوِّه

سبقت الملاحظة على هذه اللفظة [(٢)] ويضاف إلى ما ذكر الفِقار المِسْعَري ، كما جاء في الترجمه الانكليزية من المعجم الأصلي [(٣)]

12703 Spontané, ée ١٢٧٠٣ عَفْوي ، اِخْتِياري

وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ذاتي وأفضل عَفْوي ،تاركاً إخْتياري ترجمة لِـ (**faculetatif**) شأن ما فعلته اللجنة (اللفظة ٥٥٢٥)

---

(١) (**epidemic catarrhal jaundice, mediterranean**) (**yellow- fever, accute febrile jaundice**

(٢) الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٣) (**poker spine**)

١٢٧٠٤ مَرَضٌ فَرْدي ، لا وبائي — 12704 Sporadique

اللفظة صِفَة قد تتعلق بالمَرَض أو بغَيْره ، وأرجح تَرْجمتها بشَتِيت ، إفرادي . هذا وأقر مجمع اللغة العربية في القاهرة ترجمة (sproradic cases) بحالات منتشرة ولا أراها ملائمة

١٢٧٠٥ مَبْزَرَة — 12705 Sporange

وأرجح ذو أبواغ أو ذَاتُ أبواغ [١] ، والمحفظة حامِلة البُوغ ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي [٢] وكِيس البُوغ (معجم الألفاظ الزراعية)

١٢٧٠٧ مُولِّد البُزْرَات — 12707 Sporogène

وأفضل مُولِّد البُوغ أو مُبَوِّغ

١٢٧٠٨ تَكاثُر بُزْيري — 12708 Sporogonie

وأفضل التَكَثُّر البُوغي

١٢٧٠٩ داء الشَعْرِيّات المُبَرِّزة — 12709 Sporotrichose

دَاء الشَعْرِيّات البُوغية تفضيلاً

١٢٧١٢ تَبَزُّر — 12712 Sporulation

وأفضل تَبَوُّغ ، كما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة

١٢٧١٤ زَبَدي (مُزْبِد) — 12714 Spumeux

(١) الصفحة ٥٩٣ من المجلد السادس والثلاثين من هذه المجلة

(٢) (spore - bearing capsules)

وخَفيف وتافِه ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (١)

12715 Sputation — ١٢٧١٥ بصَق ، بَزَقَ

والتَقَشُّع كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الأصلي (٢)

12720 Squelette, charpente osseuse

١٢٧٢٠ صَمِم ، هَيْكل عَظْمي

12721 squelette axial — ١٢٧٢١ صَمِيم مِحْوَري

12722 squelette branchial — ١٢٧٢٢ صَمِيم غَلْصَمِي

وأرجح هَيْكل عظمي ، رَكِيزة عَظْمِيَّة في اللفظة الأولى ، وهَيْكل مِحْوَري في الثانية وهيكل غَلْصَمي في الثالثة وللفظة صَمِيم معْنى خاص (٣)

12723 squelette extérieur (chez les invertébrés)

١٢٧٢٣ صمَيمٌ خارجيّ (في اللاّفقريّات)

الهَيْكَل الخارِجْي والهَيْكلَ الجِلْدي ، كما جاء في الترجمة الانكليزية من المعجم الاصلي (٤)

2721 squelette viscéral — ١٢٧٢٤ صَمِيمٌ حَشَوِيّ

وأرجح الهَيْكل الحَشَوِيّ

للبحث صلة

---

(١) (spumous, frothy)

(٢) (expectoration, act of spitting out)

(٣) في لسان العرب : والصميم العظم الذي به قوام العضو كصميم الوظيف وصميم الرأس

(٤) (exoskeleton, dermoskeleton)

القدس الشريف في تاريخ العرب والإسلام ★

الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي

– ١ –

تقع مدينة القدس الشريف على هضبة حصينة محاطة بوديان ، وعلى هذه الهضبة أقامت منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد قبائل ساميّة من أشهرها الآموريون . وجاء في نصوص هِيرُوغْليفيّة وُجدت في مصر العليا أن « يُرُوشالم » كانت خاضعة للفراعنة في القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وهذا الاسم ساميّ معناه « مدينة السلام » أو مدينة شالم (وشالم هو اسم إله السلام عند الكنعانيين) . ووُجد هذا الاسم أيضاً في نقوش مصرية يَتبَيَّنُ منها أن أحد حُكّام المدينة كان يعبد أحد آلهة الحِثّيين . وعلاقة المدينة بالآموريين والكنعانيين والحثيين في هذه الشواهد لها هذا الصدى في التوراة : « هكذا قال السيد الرب لأورشليم : مَخْرجكِ ومولدك من أرض كنعان . أبوك أموري وأمك حثيّة . »[1]

وفي أواخر القرن الثالث عشر قبل الميلاد تَرَاخَى حكم الفراعنة على أرض كنعان ، فدخلت بعضَ أجزائها من الشرق قبائلُ من العبرانيين جاءت من الصحراء ، ونزلت من البحر في سواحلها الجنوبية أفواجٌ من الفلسطينيين عُرفت أرض كنعان فيما بعد باسمهم .

(★) كنا نتمنى أن ننشر هذا المقال في عدد واحد لولا أن طوله حال دون ذلك فجعلناه في عددين هذا العدد والعدد الذي يليه ان شاء الله .

(١) حزقيال : الاصحاح ١٦ ، العدد ٢ – ٣

ولكن مدينة أورشليم ظلّت بأيدي اليبوسيين حتى أخذها داود حوالي سنة ١٠١٠ قبل الميلاد ، وأسس فيها مملكة وراثية ، وفيها بنى ابنه سليمانُ الهيكل . لكن المملكة انقسمت بعده إلى مملكتين متحاربتين ، تعرّضتا لغزو البابليين والفلسطينيين والمصريين . وفي سنة ٥٨٦ قبل الميلاد خرّب نبوخَذنَصّر ملك بابل المدينة والهيكل وسبى خيرة السكان ، وبعد تغلُّب الفرس على البابليين سُمح لليهود بالعودة وبناء الهيكل في ظل حكمٍ فارسيّ دام حتى أزاله الاسكندر المقدوني .

وتعاقب خلفاء الاسكندر : البطالسة في مصر والسلوقيون في سورية ، على حكم اليهود ، وحاول السلوقيون فرْضَ المدنية اليونانية عليهم فثاروا وخلعوا النير اليوناني عن أعناقهم ، ولكن سرعان ما وقعوا تحت النير الروماني . وعُيّن هيرودتس ملكاً على اليهود تحت الحكم الروماني . وكان أدُومِيّاً (نصف عربي) لم يقبله كل اليهود ، لكنه أعاد بناء الهيكل لهم على طراز فخم ، وبعد موته أعاد الرومان الحكم المباشر ، وكان بِنْطُسْ بِلاَطُسْ حاكمَهم عندما ولد السيد المسيح ، وأهم حوادث القرن الأول بعد ميلاده : هَدْمُ مدينة أورشليم وحرق الهيكل في سنة ٧٠ على يد طِيطُسْ ، وسحق ثورة يهودية ، وحرث مكان المدينة وإقامة مستعمرة رومانية باسم إيلْيَاء على أنقاضها ، وبناء معبد لِجُوبِتِر على أنقاض الهيكل ، في سنة ١٣٤ على يد هَدْريان . وهو الذي حرّم دخول المدينة على اليهود ، فانسحبت بقاياهم للإقامة في منطقة الجليل ، وغلب اسم « فلسطين » على البلاد في العهد الروماني ، وعُرفت أورشليم بإيلياء .

ورأى الحواريّون في تلك الحوادث مصداقاً لنبوة السيد المسيح عن الهيكل والمدينة : « الحق أقول لكم إنه لا يُترك فيها حجر على حجر لا يُنقض »[٢] . « وستأتي أيّام يحيط بك أعداؤك بمتراسةٍ ، ويُحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ، ويهدمونك ونبيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر »[٣] . أما اليهود فلم يؤمنوا برسالة السيد المسيح ، واضطهدوا القليلين من بني جلدتهم الذين آمنوا به ، فصبر هؤلاء على الأذى ، وظلوا بعد سيّدهم يُحيون ذكراه في معالم المدينة ، وعملوا بما أمرهم من التبشير باسمه « لجميع الأمم مُبتَدأً من أورشليم »[٤] . فتفرقوا في أقطار الامبراطورية الرومانية ، وتحملوا الاضطهاد إلى أن اعترفت الامبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) بالنصرانية في سنة ٣١٣ ، وجاء الفرج عندما اعتنقها الامبراطور قسطنطين وجعلها الدين الرسمي .

وكان لهذا الانقلاب أثر عظيم في مدينة إيلياء ، إذ تحولت بسرعة من مدينة وثنية إلى مدينة نصرانية ، وسهّل ذلك زوال آثار اليهودية منها قبل مئتي سنة ، فقامت فيها وفي بيت لحم الكنائس العظيمة ، مثل كنيسة القيامة وكنيسة المهد ، بأمر قسطنطين وأمه هيلانة . وبأمرها أُزيلت جميع المعابد الوثنية التي أقيمت بعد خراب الهيكل ، واستمر هذا التحول إلى أن قرّر مؤتمر إفسُس الكنسي في سنة ٤٣١ إقامة بطريرك للكنيسة الارثوذكسية في المدينة .

(٢) انجيل لوقا : الاصحاح ١٩ ، العدد ٤٣ — ٤٤
(٣) انجيل متّى : الاصحاح ٢٤ ، العدد ٣
(٤) إنجيل لوقا : الاصحاح ٢٤ ، العدد ٤٧

ولكن هذا الكيان النصراني قد تزعزع في أوائل القرن السابع عندما غلب الفرسُ الرومَ البزنطيين ، واجتاحوا سورية وفلسطين ودخلوا إيلياء في سنة ٦١٤ . فرأى اليهود في منطقة الجليل بارقة أمل في استعادة ما فقدوا ، فتطوعوا لمساعدة الفرس ، واشتركوا معهم في ذبح النصارى وهدم الكنائس . ولما دارت الدائرة على الفرس بعد خمس عشرة سنة بانتصار هيرَاقْلِيُوس عليهم واستعادة إيلياء ، انتقم من اليهود انتقاماً قاسياً ، وجدّد ما فرضه هادريان من تحريم دخول المدينة عليهم ، وهذه الحرب بين الفرس والبزنطيين لها ذكر في القرآن الكريم :

« الم . غُلبت الرومُ في أدْنى الأَرض وهم مِنْ بعد غـَلـَبهم سيَـغْلبون في بضع سنين » [٥]

- ٢ -

عرف العرب قبل الاسلام أدْنى الأَرض « أي أقربها إلى الحجاز ، وهي جنوب سورية (فلسطين) ، فقد جاء أن بعض القبائل العربية حاربت مع « الفلسطينيين » الذين هاجموا أورشليم في سنة ٨٥٠ قبل الميلاد ، وجاء أن بعض العرب اشتركوا في الدفاع عن غزة أمام اسكندر المقدوني . وأهم ما في ذلك أن قبيلة عربية أقامت بقرب إيلياء بعد أن أصبحت مقر بطريرك ، واعتنقت النصرانية وعلا شأنها حتى أصبح شيخها مطراناً .

وصلة عرب الحجاز التجارية مع اليمن جنوباً والشام شمالاً وُصِفت

(٥) سورة الروم : الآيات ١ ـ ٣

في القرآن الكريم بـ« رحلة الشتاء والصيف »[٦] . فرحلة الصيف كانت محطتها الكبرى في البطراء عاصمة الأنباط ، فمنهـــا كانت القوافل التجارية تتجه إما إلى غزة أو إلى دمشق . والمشهور أن هاشماً من أجداد رسول الله ﷺ كان في قافـــلة تجارية عندما تُوفي في غزة فعرفت باسمه « غزة هاشم » . ورسول الله ﷺ نفسه رافق وهو صبي عمّه أبا طالب في رحلة تجارية إلى دمشق[٧] . وعمرو بن العاص ، أحد تجار مكة ، عرف جنوب فلسطين حتى بيت المقدس قبل أن يعرفها قائداً للجيش الإسلامي الذي حاصر تلك المدينة . بناءً على هذا كله يستنتج أن الفتح الاسلامي لم يكن بدءاً للوجود العربي في فلسطين بل تأكيداً له . وقبيل الفتح رفع الله شأن بيت المقدس بإسراء رسول الله ﷺ اليها ، كما جاء في الآية الاولى من سورة الاسراء :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لِنُرِيَهُ مِنْ آياتنا ... »

ومجمل قصة الإسراء ، قبل أن يُفصلّها العلماء تفصيلاً في غاية الجمال والروعة ، ان جبريل حمل رسول الله على دابّة تسمى « البراق » ليلاً من مكة الى بيت المقدس ، فوجد هناك ابراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء ، فصَلَّى بهم رسول الله ﷺ إماماً بقرب الصخرة المشرفة ، ثم عَرَجَ مع جبريل من فوقهـا الى السماء الدنيا فالثانية إلى أن وصل الى السماءالسابعة « وانتهى به (جبريل) الى مخاطبة ربه » .

---

(٦) سورة قريش : الآية الثانية .
(٧) السيرة النبوية لابن‌هشام (تحقيق مصطفى السقا وزميليه، القاهرة ١٩٥٥/١٣٧٥) ج ١ ص ١٨٠

وأخيراً نزل الى الأرض وعاد الى مكة قبل آخر الليل على ظهر البراق [٨] .

وقد زاد الله تعالى بيت المقدس شرفاً بأن أنزل على رسوله وهو فيها ليلة الاسراء ، وقبلها صلى إماماً بمن سبقه من الانبياء ، آيةً من سورة الزخرف وهي «واسْأَلْ مَنْ أرسلنا مِن قَبْلِكَ مِن رُسُلنا: أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعْبدون »[٩] وهي الآية الوحيدة التي لم تنزل في مكة أو المدينة ، ونزولها في بيت المقدس زاد قصة الإسراء والمعراج جلالاً ، فسواء كان ذلك بجسده (ﷺ) أم بروحه ، فرموزه عظيمة الاثر في تاريخ الاسلام والعرب ، جعلت من بيت المقدس المدينة الثالثة بعد مكة والمدينة في القداسة .

وبعد ذلك ساوى رسول الله ﷺ المسجد الاقصى بمسجدي مكة والمدينة ، فقد قال في حديث شريف رواه أبو هريرة بسند صحيح: « لا تُشَدُّ الرِّحال إلا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى » . وورد هذا الحديث الشريف بنصٍّ آخر جاء فيه ترتيب المساجد هكذا : المسجد الحرام في مكة ، فالمسجد الأقصى في بيت المقدس فمسجد الرسول ﷺ في المدينة [١٠] . ومعنى

(٨) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ص ٣٩٦ وما يليها . في اوائل هذا القرن اثبت استاذ اللغة العربية في جامعة مدريد ، وكان راهبا كاثوليكيا ، ان دانتي استمد كثيرا من الصور والافكار من قصة الاسراء والمعراج وغيرها من الاصول الاسلامية .

(٩) تفسير الطبري (المطبعة الاميرية ببولاق ، ١٣٢٩) ج ٢٥ ص ٤٦ — ٤٧ .

(١٠) صحيح البخاري (بولاق ، ١٢٩٦) ج ٢ ص ٥٢ — ٥٣ . ورد هذا الحديث ايضا في الترمذي (القاهرة ١٢٩٢) ج ١ ص ٦٧ ، وفي أبي داود (القاهرة ١٢٨٠) ج١ ص ٢٠٢ . زعم بعضهم أن هذا

المسجد في اللغة مكان السجود ، ومعنى الاقصى الأبعد ، أي بالنسبة الى المسجد الحرام . فالمسجد الاقصى في الآية الكريمة وفي الحديث الشريف هو مكان سجود رسول الله ﷺ بقرب الصخرة المشرفة في بيت المقدس عندما صلىّ إماماً بمن سبقه من الانبياء ليلة الإسراء ، وهذا ، لا ما خرَّص المستشرقون ، هو تفسير اتخاد بيت المقدس القِبْلة الاولى في الصلاة إلى أن نزل الوحي بتحويلها الى مكة .

- ٣ -

فاذاً عرف العرب « فلسطين » و « بيت المقدس » و « المسجد الاقصى » قبل الفتح الاسلامي ، وكُتب تاريخهم التي تفصّل هذا الفتح تذكر فلسطين ، وهو الاسم الذي اتخذه الرومان للقسم الجنوبي من سورية . وتذكر إيلياء عند الكلام عن الروم ، او بيت المقدس عند الكلام عن المسلمين . ومنزلة بيت المقدس في نفوس المسلمين الفاتحين ، ومنزلة المسجد الاقصى في تلك المدينة ، تجلتا ، بعد الذي نزل من القرآن وما جاء في الحديث ، في تحيّتهم للمدينة ، عندما رأوها لأول مرة من مشارفها الجنوبية ، بالتهليل والتكبير ، وهذا هو أصل اسم « جبل المكبرّ » .

ولما اشتد حصار المسلمين للمدينة ، ورغب البطريرك صُفْرونِيُوس

الحديث موضوع بحجة ان « المسجد الاقصى » لم يكن موجودا في عهد الرسول . وهذا إغراق في المغالطة والتجاهل ، فلا جدال ان المسجد الاقصى المعروف الآن بناه عبد الملك بن مروان بعد نحو ستين سنة من وفاة الرسول . ولكنه ليس المقصود ، لا في الآية الكريمة ولا في الحديث الشريف ، بل المقصود كما بيّنا هو مكان سجود رسول الله ليلة الاسراء .

في التسليم ، اشترط ان يكون ذلك على يد الخليفة نفسه ، فَقِبل عمر ذلك ، بعد مشاورة الصحابة وامراء الجيوش ، وقد يبدو هذا الطلب غريباً ان لم يكن فريداً ، في تاريخ الحرب ، لكن قبوله يُعَدُّ برهاناً آخر على عُلوّ منزلة المدينة عند الخليفة وعند المسلمين . وعهده الذي أعطاه لاهلها مثال في التسامح واللين في عصر اشتهر بالتعصب والقسوة . وفي العهد شرطٌ خاصّ بمنع إقامة اليهود مع النصارى في المدينة . ولاشك ان هذا الشرط كان بناءً على طلب البطريرك ، بعد الذي لاقاه انباعه أثناء الغزو الفارسي من شر اليهود . وهذا الشرط كان في الحقيقة تجديداً لما فرضه هادريان على اليهود ، وجدّد فَرْضه هراقليوس قبل بضع سنين من الفتح الاسلامي . وهذا نص العهد :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان . أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ... أنه لاتُسْكن كنائسهم ولاتُهْدم ولايُنْتَقَص منها .. ولا من شيء من اموالهم . ولايُكْرَهون على دينهم ، ولايُضَارُّ أحدٌ منهم . ولايسكن بايلياء معهم أحد من اليهود .

« وعلى اهل ايلياء إعطاء الجزية كما يُعطي أهل المدائن . وعليهم ان يُخرجوا منها الروم واللصوص . فمَنْ خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم . ومَنْ اقام فهو آمن ، وعليه ما على اهل ايلياء من الجزية . ومن أحبّ من أهل ايلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ... فانهم آمنون على انفسهم ... حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان فيها من اهل الارض ، فمَنْ شاء منهم قعد ، وعليه ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع

الروم . ومَنْ رجع الى اهله ، فإنه لايؤخذ منهم شيء [من الجزية] حتى يحصدوا حصادهم ...[١١] » .

هذه الوثيقة واضحة الدلالة لا تحتاج الى تفسير إلا عبارة « أهل الأرض » فمعناها « الفلاحون » الذين التجأوا الى المدينة قبل حصارها فكان لهم ان يبقوا أو ان يخرجوا مع الروم ، فاذا خرجوا ثم أرادوا الرجوع الى أهلهم كان لهم ذلك ، والباقون والراجعون سواء في دفع الجزية ، لكن لا تُجْبَى من الفلاحين إلا بعد الحصاد . وواضح ان الوثيقة تفرّق بين طائفتين من الناس : الروم واهل البلاد . فالأولون حكام غرباء غُلبوا على أمرهم فكان عليهم الخروج ، والآخرون ساميّون دانوا بالنصرانية ، وتكلموا في الغالب اللغة الآرامية ، فكان لهم البقاء مع ضمان الحرية الدينية وسلامة الارواح والاموال والكنائس . وأهمّ استنتاج من نص الوثيقة أن المدينة كانت خالية من اليهود . ومع ذلك اشتُرط عدم السماح لهم بسكناها مع النصاري . والمدقق في الوثيقة يرى نواة الاستقلال الطائفي الملّي الذي قُدّر له أن يكون أساس سياسة التسامح الاسلامي مع « أهل الكتاب » الذين صالحوا المسلمين على دفع الجزية .

وقد كتبت الوثيقة بخط معاوية بن ابي سفيان ، بحضور خالد ابن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص . وبعد إعطاء عهد الأمان هذا أخذ عمر ومَنْ معه يبحثون عن مكان سجود رسول الله ﷺ ، فلمّا وجدوه ، مكان الهيكل القديم الذي ازاله الرومان وعلى انقاض

---

(١١) تاريخ الطبري (مطبوعة دي غويه) ج ١ (القسم الخامس) ص ٢٤٠٥ — ٢٤٠٦ .

معبد جوبتر الذي ازاله النصاري ، نظّفوه والخليفة على رأسهم ، ثم أمر بلالاً ، مؤذن رسول الله ﷺ ، أن يؤذّن للصلاة ، فصلّى المؤمنون وراء أميرهم في ذلك المكان . وعندها أمر عمر أن يقام عليه مسجدُ تخليداً لذكرى إسراء رسول الله ﷺ . وقد ظل هذا المسجد قائماً الى ان تَمَّ بناء قبة الصخرة سنة ٧٢ للهجرة وبنـاء المسجد الاقصى بعد ذلك بسنتين في خلافة عبد الملك بن مروان . (وهذا يبيّن غلط الاروبين في تسمية مسجد قبة الصخرة بجامع عمر) .

ومن الصحابة وامراء الجيوش وقواء القرآن ورواة الحديث الذين صلّوا وراء عمر في ذلك اليوم التاريخي ، بالاضافة الى هؤلاء الذين شهدوا إعطاء عهد الامان ، ابو عبيدة بن الجراح ، وعبادة بن الصامت ، وعبد الله بن عباس ، وشداد بن أوْس ، وأبو ذَرّ الغفاري ، وأبو هريرة ، ومن النساء جُهَيْنة أمّ الدَّرْداء (التي خطبها معاوية فرفضته وظلت تجالس العلماء وتواسي الفقراء نصف السنة في بيت المقدس ونصفها في دمشق) . وقد عين الخليفةُ أحد هؤلاء وهو عُبادة بن الصامت « قاضياً ومعلماً » في المدينة ، أي حاكماً في الامور الدنيوية ومرشداً في الامور الدينية .

وهكذا تأكدت منزلة بيت المقدس في تاريخ الاسلام ، وزادها تأكيداً كثرة مَنْ أمّها حالاً بعد الفتح من قرّاء القرآن ورواة الحديث وأهل الزهد ، رغبة في الحج اليها او لإقامةٍ فيها . وأكّدها أيضاً معاوية بن أبي سفيان الذي آثر ان تُعلَن خلافته فيها لا في عاصمته دمشق . لكن أهم ما أكّد تلك المنزلة هو مساواتها عملياً بمكة والمدينة عندما أقام عبد الملك بن مروان فيها قبة الصخرة والمسجد الأقصى على ساحة الحرم الشريف . وقد خمّن بعضهم ان اقامة المسجدين

كان لسبب سياسي ، وهو صرْف أهل الشام عن الحج الى مكة والاكتفاء بالحج الى بيت المقدس ، اثناء ثورة عبد الله بن الزبير في الحجاز على حكم بني أمية في دمشق الشام . قد يكون هـذا سبباً ثانوياً ، اما السبب الأولي فديني لا سياسي : فذكر المسجد الأقصى في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وإسراء رسول الله ﷺ إليه ، وتأسيس خليفته أول مسجد على ساحته يوم فتْح المدينة ، كل ذلك يؤكّدُ السبب الديني ويقلّل من شأن السبب السياسي .

وآية ذلك انه نشأت حالاً بعد الفتح الاسلامي حركة قرّاء القرآن ورواة الحديث من الحجاز الى البلاد المفتوحة لأجل لِقَاء الثقات من الصحابـة الذين خرجوا مع الجيوش ، كما نشأت حركة الحجاج من الاقطار المفتوحة الى مكة والمدينة ، وسرعان ما شملت الحركتان بيت المقدس فجعلتاها مركزاً من مراكز العلم ومزاراً للحجاج ، وتحقق بذلك نَصُّ الحديث الشريف الذي جعل المسجد الأقصى أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدّ إليها الرحال . ولا يخفى ان الحج الى مكة فُرض على من كان قادراً على تحمل نفقته ومشقته ، لا على العاجز ، فهذا له ان يحج الى ما امكنه من المساجد الثلاثة أو ان يُمسك . ومن غرائب المؤرخين اهتمامهم بذكر حج الخلفاء والعلماء ، مع قلته إذا قيس عدده بحجّ عامة الناس . فهذا هو سبب ما في السطور التالية من ذكر الطائفة الأولى أكثر من الطائفة الثانية .

سبق أن معاوية بويع بالخلافـــة في بيت المقدس لا في عاصمته دمشق ، ومغزى تقديمه الأولى على الثانية واضح من الناحيتين الدينية والسياسية ، وسبق ايضاً بيان السبب الديني لا السياسي الذي جعل

عبد الملك بن مروان يُقيم قبة الصخرة والمسجد الاقصى . ويكفي بياناً لمكانة بيت المقدس عند غيرهما من بني أمية ذكر اثنين آخرين منهم . فسليمان بن عبد الملك بويع بالخلافة أيضاً في بيت المقدس ، وكاد ينقل العاصمة من دمشق إليها ، فاكتفى ببناء مدينة الرملة وجعلها عاصمة فلسطين ومقره معظم شهور السنة . أما عمر بن عبد العزيز فكان يذهب خاصة إلى بيت المقدس لمحاسبة عماله تحت قبة الصخرة المشرفة .

ولم يكن اهتمام بني العباس ببيت المقدس اقل من اهتمام بني أمية على بعدها من بغداد . فثلاثة من خلفائهم الأولين ذهبوا إليها خاصة للحج . جاء في حوادث سنة ١٤٠ للهجرة أن ابا جعفر المنصور خرج حاجّاً فأحرم من الحيرة ، وبعد ان زار مكة فالمدينة توجه الى بيت المقدس ، وبعد اربع عشرة سنة ذهب خاصة الى بيت المقدس للحج . وجاء في حوادث سنة ١٦٣ للهجرة ان المهدي سار الى بيت المقدس حاجاً ، وكان معه ابنه المشهور هارون الرشيد . اما المأمون فقد اشتهرت زيارته لبيت المقدس بما تمَّ في عهده من ترميم قبة الصخرة وضَرْب فلوس نُقش عليها اسم المدينة تخليداً لذلك(١٢).

ويُقال مثل ذلك عن غير هؤلاء من كثير من الخلفاء والسلاطين على مَرّ العصور .

– ٤ –

لم تفقد البلاد المقدسة ولا المدينة المقدسة مكانتها عند النصارى ،

---

(١٢) تاريخ الطبري ج٣ ص ١٢٩ ، ٣٧٢ و ج ٤ ص ٥٠٠ ، ١١٠٠ .

ولم ينقطع ذهاب حجاجهم اليها ، بزوال حكم الروم البزنطيين وقيام حكم العرب المسلمين ، بل سهلته سياسة التسامح التي اتبعها الخلفاء من عهد عمر بن الخطاب . ومن اشهر الحجّاج الذين ذهبوا من اوروبا لزيارة المدينة المقدسة بعد الفتح الاسلامي أُسقف من بــــلاد الغول (فرنسا) اسمه آرْكُلْـفُوس ، زارها حوالي سنه ٦٧٠ ميلادية في خلافة معاوية بن ابي سفيان ، واقام فيها تسعه أشهر . ومــع ان اهتمامه كان موجهاً الى الاماكن المقدسة عند النصارى فقط ، ففي مقدمة رحلته شيء مختصر عن سور المدينة وابراجه وابوابه ، وعن سوق تجارية كانت تقام فيها في الخريف ، ووصْفٌ لمسجد عمر بن الخطاب بأنه مربع الشكل بسيط البناء ويسع نحــــو ثلاثة آلاف شخص .[١٣]

وقد سبق هذا الاسقف وتبعه حجاج من عامة النصارى ومن خاصتهم ، واستمرت افواجهم في عهد بني أمية ثم في عهد بني العباس . فلما كانت خلافة هارون الرشيد تأصّلت بينه وبين شارلمان صداقة ، فتبادلا الهدايا والسفراء ، واذن الرشيد بإقامة بيوت للحجاج ودير للرهبان تحت رعاية شارلمان في المدينة المقدسة . ولكن قصة إهداء الرشيد مفاتيح كنيسة القيامة الى صديقه تفتقر إلى سند تاريخي معتبر ، فلا ذكر لها ابداً في كتب التاريخ الاسلامي .

وكذلك لا يوجد سندٌ تاريخي يُثْبت نَقْض ما جاء في العهد العمري لنصارى ايلياء بمنع إقامة اليهود فيها . كلا ولا بيّنةٌ تفسّر سبب إهمال العمل بهذا النص . والغالب ان الشرط لم يُلْغَ ، بل

(١٣) Palestine Pilgrim's Text Society, vol. III (London, 1897), P. 4 — 5.

قَلَّ الالتفات اليه تدريجياً في جو التسامح العام ، فربما بدأ بعض اليهود يقتربون من المدينة لرؤية مكان الهيكل من على جبل الزيتون ، كما كانوا يفعلون أثناء المنع الذي أمر به هادريان . او ربما احتال بعضهم فدخل المدينة خلسة وسكن فيها . ومهما كان الأمر فوجود بعضهم فيها قبل الاحتلال الصليبي وارد في بعض كتب المسلمين . ولكن هذه الكتب أخذت منذ القرن الثالث للهجرة تكثر من استعمال اسماء « فلسطين » و « بيت المقدس » و « القدس » ، وتُقَلل من استعمال ما أُطلِق على البلاد أو على المدينة من الاسماء فيما سبق من الزمن .

ولا شك أنّ لتغيير الأسماء دلالته ، لكنه يصعب تقدير عدد سكان بيت المقدس في أي عصر من العصور الاسلامية . وأصعب من ذلك تَخْمين عدد كلٍّ من المسلمين والنصارى واليهود ، كل طائفة على حدة . وكتب المؤرخين والجغرافيين والرّحالة التي تشير الى شيء من ذلك يناقض بعضها بعضاً ، وارقامها اشبه بالخيال او المجاز منها بالدقة والصدق ، كما سيظهر فيما يلي من هذا البحث . لكن لاشك ان كثرة سكان القدس كانت قبل الاحتلال الصليبي من المسلمين ثم النصارى مع عدد ضئيل جداً من اليهود ، وازدياد عدد المسلمين كان مطّرداً منذ الفتح . ومن اسبابه اولاً الجاذبية الدينية للمدينة وثانياً استمرار هجرة القبائل العربية الى سائر انحاء فلسطين. وخاصة مدينة القدس، الى ان ظهر العنصر العربي فيها على غيره . كتب ابن واضح اليعقوبي في اواخر القرن الثالث للهجرة (التاسع للميلاد) فقال : « أهل فلسطين أخلاط من العرب : من لَخْمْ وجُذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة »[١٤] .

---

(١٤) كتاب البلدان لابن واضح اليعقوبي (طبعة ليدن ، ١٨٦٠) ص ١١٧ .

وهناك سبب ثالث لازدياد عدد المسلمين في مدينة القدس وسائر فلسطين ، وهو كثرة من دخل في الاسلام من اهلها طوْعاً لاكرْهاً ، بالموعظة الحسنة والمثل الحسن . فالثابت ان اهل الكتاب فيسائر انحاء بلاد الشام قد رحبوا بالمسلمين والحكم العربي ، وفضلوهم على الروم والحكم البزنطي : « لَوِلايتكم أحبُّ الينـا ممَّا كنا فيـه من الظُلْم والغَشْم »[١٥] ورافق تفوق العنصر العربي وانتشار الاسلام تغلّب اللغة العربية على اليونانية والآرامية في التخاطب ودواوين الحكومة . ولكن هذه التطورات الخطيرة لم تغير سياسة التسامح والتعايش التي مَيزت الحكم الاسلامي العربي ، ووجود هذه الأقليات المهمة من النصارى واليهود في سائر البلاد الاسلامية حتى هذه الأيام شاهد عَدل على نجاح تلك السياسة .

وفيما يلي مقتبسات مختصرة من مؤلفات أربعة من الكتاب عَرفوا مدينتي القدس وخليل الرحمن في القرنين اللذين سبقا الاحتلال الصليبي . وأولهم ابن واضح الذي ذُكر اعلاه ، ففي كتابه المشهور وردت هذه الفقرة المهمة : « ومن أراد أن يسلك من (بلاد) الشام على فلسطين الى مكة سلك جبالاً خشنة حَزْنة حتى يصير الى مَدْين (على بحر القُلْزُم المعروف الآن بخليج العقبة ، مقابل تبوك تقريباً) ، ثم يستمر به الطريق مع أهل مصر والمغرب »[١٦] يتضح أن هذا الكلام يتعلق بالطريق الغربي للحج الشامي ، الذي

(١٥) كتاب فتوح البلدان للبلاذري (طبعة ليدن ، ١٨٦٦) ، ص ١٣٧ .

(١٦) كتاب البلدان لليعقوبي المذكور اعلاه ، ص ١١٧ .

كان يبدأ في الشمال ماراً بنابلس فالقدس الشريف فخليل الرحمن فالصحراء . أما الطريق الشرقي للحج الشامي الذي لم يذكره اليعقوبي لشهرته ، فكان أيضاً يبدأ في الشمال ماراً بدمشق فالبلاد الواقعة الى الشرق من نهر الاردن . ثم يلتقي الطريقان ، كما ذكر اليعقوبي مع طريق حجاج المغرب ومصر ، في تبوك قبل الاتجاه جنوباً الى الحجاز .

والاقتباس الثاني هو من كتاب لشمس الدين المقدسي ، الجغرافي الرحالة الفلسطيني الذي ولد في القدس ، وكتب في أواخر القرن الرابع للهجرة (العاشر للميلاد) . لكنه يميل الى المبالغة ويلتزم في كتابته السجع وتنميق الكلام ، ويُضمر كرهاً لحكم الفاطميين على مسقط رأسه ، مما دفعه الى ذمّها بعد أن كاد يفضّلها على مكة والمدينة . ذكر اولاً محاسنها فقال « منها المحشر واليها المنشر ، وانما فُضلت مكة والمدينة بالكعبة والنبي (ﷺ) ، ويوم القيامة يُزَفّان إليها فتحوي الفضل كله » . وبعد ان مدح اتقان ابنية المدينة ونظافة اسواقها وعفة أهلها قال « وفيها كل حاذق طبيب ، واليها (يميل) قلب كل لبيب ، ولا تخلو كل يوم من غريب » ، ثم ذكر « عيوبها » فقال : « قليلة العلماء ، كثيرة النصارى » الفقيه (فيها) مهجور ، والأديب غير مشهور ، لا مجلس نظر ولا تدريس ، قد غلب عليها النصارى واليهود ، وخلا المسجد من الجماعات والمجالس »[١٧] .

---

(١٧) كتاب احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدسي (طبعة ليدن ، ١٨٧٧) ، ص ١٦٥ — ١٦٧ . ذكر عن الخليل وجود ضيافة دائمة مع طباخ وخباز وخدام يقدمون العدس بالزيت لكل حاج أو زائر من وقف تميم الداري (ص ١٧٢) .

في هذا الكلام مبالغة ظاهرة ، ومعظمه لا يثبت بعد التحقيق ، ونصوصه تدل على كُره مؤلف سني لحكم خليفة شيعي . فعندما كتب المقدسي هذا الكلام كانت القدس تحت حكم العزيز بالله الفاطمي ، وكانت الخطبة في المسجد الأقصى تقرأ باسمه بعد إذ كانت باسم الخليفة العباسي . وزيادة على ذلك ُعرف العزيز بتقريب النصارى واليهود ، واستخدامهم في الوزارة والوظائف العليا ، فكره المسلمون ذلك ، واستهجنوا ان الخليفة تزوج من نصرانية وجعل أخاها بطريركاً في القدس . ومع ذلك حاول العزيز اكتساب ولاء المسلمين في القدس ، فانشأ فيها بقرب الحرم الشريف « دار العلم » في كنيسة سانت حنّه (والدة مريم العذراء) ، لنشر الدعوة الفاطمية بواسطة الدعاة كدأب « دار العلم » الأصلية التي قامت في القاهرة . ولعل هذا يفسر قول المقدسي عن خلو المسجد الاقصى من مجالس الدرس والتدريس ، فهذه كانت حتى ذلك الوقت على مذهب أهل السنة ، فأوقفها الخليفة الفاطمي ، وأقام مكانها مجالس الدرس والتدريس على مذهبه في « دار العلم » .

أما المؤلف الثالث المراد ذكره فهو ناصر ُخسْرو الرحالة الفارسي . وصل القدس في رمضان سنة ٤٣٨ للهجرة (آذار ١٠٤٧ للميلاد) وهذا ماكتبه عن الحج اليها : « وأهل الشام وما جاورها من البلاد ُيسمون بيت المقدس ، القدسَ . ويذهب اليها في موسم الحج من لا يستطيع الذهاب الى مكة من أهل تلك البلاد ، فيؤدون فرائض الحج ويضحُّون الأَضاحي في يوم العيد كما لو كانوا في مكة . وفي بعض السنين يبلغ عددهم في ذي الحجة نحو عشرين ألفاً كبارهم وصغارهم .

وكذلك يأتي إلى المدينة من بلاد الروم وغيرها كثير من النصارى واليهود لزيارة الكنيسة (كَلِيسَ بالأصل الفارسي) والكنيس « كُنِشْت بالأصل الفارسي » .

والمقصود بالكنيسة هو كنيسة القيامة ، وقد زارها خسرو ووصفها ، اما المقصود بالكنيس فغير معروف ، اذ لم يقل خسرو عنها شيئاً ، وهو أول مسلم يذكرها ، ولعله سمع بها دون أن يراها اذا كانت موجودة حقيقةً لا مجازاً ، فقد سبق انه لم يكن في القدس عند الفتح الاسلامي غير النصارى وكنائسهم ، ووجود اليهود فيها كان ممنوعاً قبل الفتح وأيضاً بعده بحسب العهد العمري . فاذا كان المسلمون قد تساهلوا بمرور الزمن فسمحوا لليهود بالاقامة في القدس ، فان الشريعة الاسلامية لا تجيز بناء كنيسة أو كنيس جديدة ، وتسمح فقط بتعمير الموجود أو توسيعه . والغالب ان اليهود استعملوا بيتاً من بيوت السكن كنيساً ، فلم يحتاجوا الى إذْنٍ خاص ، وهذه خطة اتبعوها اثناء حكم المماليك ثم حكم الأتراك .

لكن خسرو يفسّر ما في كلام المقدسي من غموض عندما قال « فيها كل حاذق طبيب » ، فخسرو يذكر انه وجد في المدينة مستشفى (بيمارستان) حُبست عليه أوقات غنية ، صُرف ريعها لدفع رواتب الأطباء وسدّ نفقات العلاج والدواء وصُرف ريع أوقافٍ أخرى في الخليل لإطعام الحجاج والزوار هناك كما المقدسي قبل نصف قرن . ويقول خسرو ان عدد سكان القدس كان عند زيارته لها عشرين

الفاً[١٨] ويلاحظ ان هذا العدد يساوي عدد الحجاج السنوي ، فهل كان هذا وذاك تخمينَ زائر أو رجماً بالغيب معناه الحقيقي في الحالتين كثرةٌ من الناس لايعلم عددهم الا الله .

ورابع المؤلفين ، أبو حامد الغزالي ، يمثلُ أوضح تمثيل ارتباط أداء فريضة الحج بطلب العلم ومكانة القدس والخليل في ذلك . كان الغزالي في سنة ٤٨٨ للهجرة (١٠٩٥ للميلاد) في أعلى منصب علمي ، وهو المدرّس الأول في أعلى معهد علمي وهو المدرسة النظامية في بغداد . وبعد أزْمة نفسية ترك المنصب زاهداً في الدنيا وسافر الحج : « فاظهرتُ عزم الخروج الى مكة ، وانا أدبر في نفسي سفر الشام ... (وفي دمشق اعتكف بالجامع الأموي مدة) ثم رحلتُ منها الى بيت المقدس ، (وكنت) أدخل كل يوم (مسجد قبة) الصخرة وأغلق الباب على نفسي . ثم تحركت فيَّ داعية الحج ، والاستمداد من بركات مكة والمدينة ، وزيارة رسول الله عليه السلام ، بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه ، فسرت الى الحجاز[١٩] » .

وهذا الذي أجمله الغزالي فصّله غيره من الكتّاب ، فقالوا إنه « جاور » في حرم بيت المقدس ، واقام في زاوية فوق باب الرحمة

---

(١٨) سفرنامه لناصر خسرو : طبعة الأصل الفارسي بعناية الدكتور نادر وزين بور (طهران ، ١٩٧١) ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٧ ، والترجمة العربية للدكتور يحيى الخشاب (بيروت ١٩٧٠) ص ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٧٣

(١٩) المنقذ من الضلال (مطبوعة الشيخ محمد جابر . القاهرة . بلا تاريخ) ص ٤٧ — ٤٩

من أبواب الحرم ، كان جاور فيها قبله قدوته في الزهد والعلم ، الشيخ نصر المقدسي النابلسي ، وذكروا ان الغزالي « درّس » في المسجد الأقصى ، وأنه كتب مادة دروسه وسمّاها « الرسالة القدسية » ، قال في مقدمتها إنها كتبت في المسجد الأقصى [٢٠] وقد حقّق كاتب هذه السطور الرسالة القدسية وشرح غامضها وعلّق عليها وترجمها إلى اللغة الانكليزية ، ثم نشرها مع مقدمة بهذه اللغة المركز الاسلامي الثقافي في لندن [٢١] .

يستنتج مما سبق وجود أوقاف في القدس والخليل كان يصرف ريعها على الحجاج وطلاب العلم والضيوف ، وكذلك وجود بيوت وزوايا لإيواء القادمين للمجاورة أو المارين في طريقهم الى مكة أو العائدين منها ، وأيضاً وجود مستشفى واحد على الأقل في القدس لمنفعة المقيمين والقادمين .

- ٥ -

« لم يُرَ في الاسلام مصيبة أعظم من ذلك » . هكذا وصف مؤرخ القدس وقاضيها سقوطها في أيدي الصليبيين في سنة ٤٩٢ للهجرة (١٠٩٩ للميلاد) ، عندما كانت كلمه المسلمين متفرقة أشد التفرق وقوتهم الحربية في غاية الضعف . وهذا ليس مكان بحث ما ارتكبه الصليبيون من الجرائم التي اتفق المؤرخون في الشرق والغرب على

---

(٢٠) فصّلنا ذلك وغيره في مقالة « الغزالي في دمشق والقدس » نشرت في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق : العدد الأول من المجلد ٤١ ، ص ٩٩ — ١١١

(٢١) Al-Ghazali's Tract on Dogmatic Theology (London, 1965).

وصفها بالوحشية . قيل انهم كتبوا الى البابا بعد دخول المدينة يفتخرون أن خيولهم خاضت في دماء المسلمين الى الركب . فقد قتلوا المسلمين رجالاً ونساءً واطفالاً بلارحمة أو تمييز بين المحارب وغير المحارب . قال ابن الأثير : « لبث الفرنج في البلدة أسبوعاً يقتلون المسلمين .. وقتلوا في المسجد الاقصى (غالباً يقصد الحرم الشريف مع المسجدين) ما يزيد على سبعين الفاً ، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبّادهم وزهّادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف [٢٢] . .» وأعاد مجير الدين العليمي ذلك وأضاف اليه قوله : « حصروا المسلمين في الحرم الشريف ، وأعطوهم ثلاثة أيام للخروج من المدينة ، والمتأخرون يُقتلون . . » [٢٣]

وهكذا بالقتل والإجلاء أخلى الصليبيون مدينة القدس من المسلمين وسكنوا في بيوتهم ، وحوّلوا مسجد قبه الصخرة الى كنيسة ، وجعلوا المسجد الأقصى ثكنة لفرسانهم وأسفله اصطبلاً لخيولهم . اما سكان المدينة من نصارى الشرق فقد ابقاهم الصليبيون لكن جرّدوهم من السيادة الدينية بالغاء البطريركية الأرثوذكسية وإقامة اخرى لاتينية مكانها . واما من كان في المدينة من اليهود فقد جمعهم الصليبيون « في الكنيس وأحرقوها عليهم » [٢٤] .

---

(٢٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير (طبعة ليدن ، ١٨٦٤) ج ١٠ ص ١٩٣ – ١٩٤ .

(٢٣) كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل مجير الدين العليمي (القاهرة ، ١٢٨٣) ص ٢٧٤ .

(٢٤) ذيل تاريخ دمشق لأبي يَعلَى حمزة القلانسي (بيروت ، ١٩٠٨) ، ص ١٣٧ : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (طبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٥٣ هـ) ، ج٥ ، ص ١٥٠ .

واسرع المستنفرون والمستنجدون من القدس الى كل ذي جاه من خليفة أوسطان ، فخطبوا في المساجد وبكوا وأبكوا ، لكن كما قال المؤرخ « وقع الخلاف بين السلاطين السلجوقية فتمكن الفرنج من البلاد »[٢٥] وقال الابيوردي في تخاذل المسلمين قصيدة طويلة اختار منها ابن الأثير اثنين وعشرين بيتاً ، وفيما يلي ما اخترناه مما جاء في ابن الأثير .

مَزَجْنا دماءً بالدموع السّواجِمِ ... فلم يبْقَ منّا عرْضَةٌ للمراحمِ
وشرُّ سلاحُ المرء دمعٌ يُفيضه ... اذا الحرب شُبّت نارُها بالصوارم
فَإيهاً بني الاسلام ان وراءكم ... وقائعَ يُلْحقن الذُّرا بالمناسم
أتَهْويمةً في ظلِّ أمنٍ وغِبْطة ... وعيش كنُوّار الخميلة ناعم ؟
وإخوانكُم بالشام يُضْحي مَقِيلُهم ... ظهورَ المَذاكي أو بطون القشاعم
تسومهمُ الرومُ الهوانَ وأنتمُ ... تجرو‌ُن ذيْل الخَفْض فِعْل المسالم
وتلك حروبٌ من يَغِبْ عن غِمارها ... لِيسْلَمَ يَقْرَعْ بعدهاسنَّ نادم
يكاد لهُنَّ المُسْتَجِنُّ بطَيْبَةٍ ... يُنادي بأعلى الصوت يا آل هاشم!
أترْضى صناديدُ الأعاريب بالأذى ... ويُغْفي على ذلٍّ كُماةُ الأعاجم[٢٦]

ومن نكد الدنيا على المسلمين من العرب والأعاجم أنهم تحملوا الأذى والذل نحو تسعين سنة الى أن خلّص صلاح الدين الأيوبي

(٢٥) تاريخ ابي الفـداء (استانبول ، ١٢٨٦) ج٢ ، ص ٢٢٢ .

(٢٦) تاريخ ابن الاثيـر ، ج١٠ ص ١٩٤ ــ ١٩٥ ، ومنها سبعة ابيات في النجوم الزاهرة ، ج٥ ص ١٥١ ــ ١٥٢ ، وثمانية ابيات في تاريخ ابي الفداء ، ج ٢ ص ٢٢٢ ، وستة عشر بيتا في الانس الجليل ص ٢٧٤ . وفيما يلي تفسير بعض الغريب :
الذُرى (او الذُرا) جمع ذَرْوة ، وهي الاعالي . =

القدسَ من أيدي الصليبيين في يوم الذكرى السنوية لإسراء رسول الله اليها ، أي يوم الجمعة في السابع والعشرين من شهر رجب سنة ٥٨٣ للهجرة (الثاني من تشرين الأول سنة ١١٨٧ للميلاد) ، فلم ينتقم صلاح الدين من الصليبيين لما ارتكبوه من الجرائم الوحشية ، بل عفا ورحم وأعطاهم الامان لانفسهم واموالهم حتى يبلغوا مأمنهم في الساحل ، وفرض على الاشخاص فِدْية خفيفة أعفى منها الأرامل واليتامى والفقراء .

وبينما كان الفرنج يخرجون من المدينة أخذ جنود صلاح الدين يعاونهم مَنْ عاد اليها من المسلمين وعلى رأسهم العلماء ، يزيلون آثار النجاسة من مسجدي الصخرة والأقصى ، فغسلوا وبخّروا ورشّوا بماء الورد . وفي أول يوم جمعة بعد الفتح صلّى المسلمون وصلاح الدين وجنده معهم في المسجد الاقصى ، وألقى ، بطلبٍ من صلاح الدين ، قاضي دمشق محيي الدين بن محمد القرشي خطبة خاصة قبل الخطبة المعتادة ، جاء فيها على ذكر الإسراء والمعراج والقبلة الاولى والمساجد التي تشد اليها الرحال الى ان قال :

« إياكم عبادَ الله أن يَستزلّكم الشيطان ... فيتخيلُ لكم أن هذا النصر (كان) بسيوفكم الحداد وخيولكم الجياد ... لا والله ، ما النصر إلا من عند الله ، فاحذروا عبادَ الله بعد ان شرّفكم الله بهذا الفتح الجليل ... أن تقترفوا كبيرة من مَنَاهيه ... والجهاد الجهاد! ... انصروا الله ينصركم ...

= المناسم جمع منسم (اي خف البعير) ، والمقصود بذلك العالي والواطي .
التهويم هزّ الراس من النعاس : المقيد موضع القيلولة او القوم في الظهيرة .
المذاكي (اي المذكيات مفردها المذكي وهي الخيول .
القشاعم (جمع قشعم ـ امّ قشعم هي العنع . والمقصود بذلك المصائب .

خُذُوا في حسْم الداء وقطع شأفة الأعداء ، وَطهّروا الأرض من هذه الأنجاس التي اغضبت الله ورسوله ... »[٢٧]

وكان صلاح الدين أول مَنْ لبّى نداء الجهاد . فدبّر شؤون المدينة قبل مغادرتها وأعاد لهـا صفتها الاسلامية العربية ، وامر بتسليم بيوت من قُتلوا أو أُخْرجوا لورثتهم ، وقوّاهم بإقطاع بعض أحْياء المدينة لقبائل عربية . فأنْزل بني حارث قرب القلعة ، وبني مُرَّة في سوق الفخر (عُرف بخان الزيت فيما بعد) ، وبني سعد في الحي الذي عُرف فيما بعد بالسعدية ، وبني زيد بقرب باب الساهرة ، وأمر بترميم المسجد الأقصى ، وجاء اليه بالمنبر الذي « لم يُعمل في الاسلام مثله» من حلب حيث صُنع على مدى سنين بأمر نور الدين زَنْكي خاصة باسم المسجد الأقصى (وهذا هو المنبر الذي حُرق في سنة ١٩٦٩ اثناء الاحتلال الاسرائيلي) .

وانشأ صلاح الدين في المدينة عـدداً من المعاهد منها رباط للصوفية ومستشفى (بيمارستان) للمرضى ، قـد يكون هو الذي رآه ناصر خسرو أو ماتركه الصليبيون ، وقد يكون إنشاءً جديداً . وأنشأ صلاح الدين ايضاً المدرسة التي عرفت فيما بعد باسمه وفوّض إدارتها الى القاضي بهـاء الدين بن شداد ، والغالب انها خلفت « دار العلم » الفاطمية التي أنشأها العزيز في كنيسة سانت حنّه (ام مريم العذراء) وقد أعاد الصليبيون بناءها[٢٨] . وأوقف صلاح الدين على هـذه

---

(٢٧) كتاب الأنس الجليل ص ٢٩٤ ــ ٢٩٨ (نص الخطبة كاملا) .
(٢٨) هذا ما يستنتج من رواية ابي الفداء في تاريخه (تحت سنة ٥٨٨ هـ) ، ج ٣ ص ٨٧ .

المعاهد وغيرها الأوقاف لضمان نفقة إدارتها . ثم أمر بتعمير سور المدينة وحفر خندق حوله . وشرع مقبرة للمجاهدين بقرب باب الساهرة ، بالإضافة الى مقبرة مأمن الله (مايلاّ) التي دنّسها الصليبيون ومقبرة باب الرحمة خارج سور الحرم الشريف من الشرق .

ولم يرحل نصارى الشرق من أهل القدس مع الصليبيين ، بل طلبوا من صلاح الدين ان يُبقيهم ففعل ، مع أن كثيراً منهم شايع الفرنج وساعدهم . ولما رحل بطريرك اللاتين مع الفرنج الذين رحلوا خلا الميدان لإعادة تأسيس البطريركية الارثوذكسية التي الغاها الصليبيون وقد تَمَّ ذلك برضى صلاح الدين ومساعدته .

وأما اليهود الذين لم يُبْق الصليبيون منهم حياً في المدينة ، فقد سمح صلاح الدين أن يقيم بعضهم في المدينة ، وفتح جميع بلاد مملكته للمضطهدين منهم ، فجاؤوا اليها يطلبون الأمن ويلاقون العدل ، كما شهد بذلك مؤرخهم الشهير (٢٩) . ولكن لايمكن معرفة عددهم في القدس أثناء حكم صلاح الدين أو بعده ، ويمكن تقديره على أساس ان الصليبيين بعد ان دخلوا القدس جمعوا كل اليهود في بناء واحد ثم حرقوه عليهم . فالعدد الممكن جمعه في بناء واحد من أبنية تلك الأيام بقدر بالعشرات وعلى الاكثر ببضع مئات . والغالب ان صلاح الدين لمْ يأذن بتجاوز هذا الحد ، حرصاً منه على إبقاء الأغلبية للمسلمين مع أقلية من نصارى الشرق وأقلية أصغر منها من اليهود .

---

(٢٩) Heinrich Graetz, History of the Jews (London, 1892), vol. III, P.475.

ويستحيل كما ذكر أعلاه تقدير عدد المسلمين او النصارى أو اليهود ، كل طائفة على حدة . فالرقم الذي ورد في رحلة ناصر خسرو قبل نصف قرن من الاحتلال الصليبي وهو عشرون الفاً كان لجميع السكان دون تقسيمه بين الطوائف المختلفة . وهذا الرقم لامعنى له إذا قيس بما قاله ابن الأثير من أن عدد قتلى المسلمين في الحرم الشريف وحده بلغ سبعين الفاً . فلا ناصر خسرو أحصى السكان ولا ابن الاثير أخذ عمن أحصى عدد القتلى ، وهما سيّان في اعتمادهما على التخمين ، وكل ما يمكن استنتاجه من كل منهما أن عدد السكان كان كثيراً وأن عدد القتلى كان عظيماً ، اما إحصاء هذا أو ذاك فعلمه عند الله .

- ٦ -

يؤخذ من رواية ابن الأثير ان الصليبيين قتلوا في الحرم الشريف عدداً من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد « ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف » . وهذه الرواية تبيّن ان هؤلاء كانوا من المجاورين بقرب الحرم الشريف للعبادة والدرس عملاً بسنة كانت متبعة منذ الفتح الاسلامي . وزادها مرور الزمن تأصيلاً وانتشاراً . ثم أكّدها وسهّلها ما أنشأه صلاح الدين وخلفاؤه من الزوايا والرُّبُط والمدارس بقرب الحرم الشريف ، وما حبَسوه عليها من اوقاف أمّن رَيْعها ما احتاجه المجاورون من مأوى وطعام وكسوة .

ومجاورة أهل العلم والتقوى عند حرم بيت المقدس ضاهت مجاورتهم عند الحرمين الشريفين في مكة والمدينة . وجرت عادة

المجاورين التنقّل من حرم الى حرم رغبةً في اكتساب المزيد من البركة والعلم . وأخذ كثيرون منهم يأتون جماعات مع عائلاتهم وأقربائهم ويقيمون بجوار الحرم الذي اختاروا الإقامه بجواره . ومن هذه الجماعات طائفة هاجرت من المغرب وجاورت عند الحرم الشريف في بيت المقدس . بقرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم ، وفي أقرب مكان للمسجد الأقصي ، فعُرفت هذه الناحية بحيّ (حارة) المغاربة .

وكان المغاربة في هذا الحي عند الاحتلال الصليبي ، فقُتل بعضهمُ وأُجلي البعض الآخر . ثمّ عاد أبناء هؤلاء وأحفادهم الى المجاورة بعد الفتح الصلاحي . وبعد خمس سنوات منه خلف الملك الأفضل والده صلاح الدين على مُلْك دمشق والقدس ، فأوقف في سنة ٥٨٩ للهجرة أرض حارة المغاربة عليهم ذكوراً وإناثاً « ليسكنوا في مساكنها وينتفعوا بمنافعها » ؛ وأنشأ لهم في الحارة نفسها مدرسة عرفت بالأفضلية . وحدود الحارة هذه كما وردت في الوقفية هي : من الجنوب سور المدينة ، ومن الشرق حائط الحرم الشريف ، ومن الشمال طريق باب السلسلة المؤدي الى الحرم االشريف ، ومن الغرب حارة الشرف حيث سكن الحكام والقضاة والوجهاء .

يظهر من نص الوقفية ان صحيفتها الأصلية قد ضاعت ، فأعيد تقييد شروط الوقف بأمر القاضي الشرعي « بكتاب متصل الثبوت بحكم الشريعة » . وقد تمّ ذلك مرتين الاولى في سنة ٦٦٦ للهجرة (١٢٦٧ للميلاد) بعد نحو أربعين سنة من وفاة الملك الأفضل ،

والثانية في سنة ١٠٠٤ للهجرة (١٥٩٥ م) بعـــد نحو ثمانين سنة من ابتداء الحكم العثماني [٣٠] .

وبعـــد موت الأفضل بنحو قرن أي في سنة ٧٠٣ للهجرة (١٣٠٣ للميلاد) أوقف عمر بن عبد الله بن عبد النبي المَصْمودي المجرّد ، أحد علماء المغاربة وأثريائهم ، زاوية في حيّهم لمنفعة مجاوري المغاربة [٣١] وفي سنة ٧٢٠ للهجرة (١٣١٦ للميلاد) أوْقف شُعَيْب ابن محمد بن شعيب المعروف بأبي مَدْيَن ، وكان ايضاً من علمـــاء المغاربة وأثريائهم ، زاوية أخرى في حيّ المغاربة ، وأوقف عليها وعلى القادمين من المغرب الى القدس الشريف رَيْع قرية عين كارم . وقد اشتهر أبو مدين شهرة طمست اسم الملك الافضل واسم المصمودي المجرّد ، فصارت أوقاف حيّ المغاربة كلها تُعرف بوقف أبي مدين [٣٢]

يُعرف الحد الشرقي لهذه الاوقاف بحائط البراق ، لان البراق الذي حمل رسول الله ﷺ من مكة الى بيت المقدس ليلة الإسراء ربطه جبريل هناك . وجزء صغير من هـذا الحائط له مكانة دينية عند اليهود الذين يعتقدون ان المداميك الستة السفلى منه هي بقية سور الهيكل

(٣٠) المحكمة الشرعية بالقدس الشريف : سجل رقم ٧٧ صفحـة ٥٨٨ . وقد نشرنا النص الكامل ملحقا ثانيا في كتابنا :
The Islamic Pious Foundations in Jerusalem: Origins, History and Usurpation by Israel (London, 1978), p. 59
والمرجو تصحيح خطأ مطبعي في السطر الرابع من النص العربي، فالتاريخ الصحيح هو « شعبان سنة الف واربع » — لا اربعمئة !

(٣١) الأنس الجليل ، ص ٣٩٧ ، ٥٨٠ (دفن المجـرد في مقبـرة مأمن الله) .

(٣٢) نشرنا نص وقفية ابي مَدْين في الملحق الاول ص ٥٥ — ٥٧ من كتابنا المذكور (هامش ٣٠ أعلاه) .

الذي دمّره الرومان سنة ٧٠ للميلاد . ولما أقاموا على أنقاض أورشليم مدينة رومانية جديدة باسم ايلياء منعوا اليهود من دخولها ، وجدّد أمر المنع الامبراطور هيراقليوس قبيل الفتح الاسلامي . وعليه لم يجد المسلمون الفاتحون في إيلياء أحداً من اليهود ، بل ورد في عهد الأمان الذي أعطاه عمر بن الخطاب لأهلها من النصارى منع اليهود من الإقامة فيها .

ولا ذكر لاهمية حائط البراق عند اليهود في كتب التاريخ الإسلامي . فاذا كان تسامح المسلمين قد مكّن بعض أتقياء اليهود رغم المنع الشرعي من الاقامة في المدينة ، فانه لا يستبعد إن هم زاروا الحائط خلسة للبكاء على أطلال مجدهم الغابر ، ولكن هذه الزيارة لم تذكرها المصادر العربية على مرّ العصور ، ولا شيء في هذه المصادر عن « مبكى اليهود » أو « حائط المبكى » أو « الحائط الغربي » ، فهذه أسماء ظهرت في القرن التاسع عشر في كتب الرحّالة الأوربيين ، إما نقلاً عن اليهود أو بناء على المشاهدة .

ونظرة أخرى الى البيّنات تبيّن ان ناصر خسرو ، الرحالة الفارسي الذي زار القدس قبل الاحتلال الصليبي بنحو خمسين سنة ، لم يذكر المبكى ولا بكاء اليهود عند حائطه . وكذلك الغزالي الذي أقام بزاوية داخل الحرم الشريف قبل الاحتلال الصليبي بنحو أربع سنوات لم يذكر من ذلك شيئاً . ولا علم لنا أن غيرهما من الرحالة غير المسلمين قد ذكر شيئاً من ذلك . فهذا الراهب الألماني فِلِكْس فابْري الذي زار القدس في سنة ١٤٨٤ في أواخر عهد المماليك

وكتب رحلة مفصلة في أربعة مجلدات لم يُشر فيها الى « الحائط الغربي » أو بكاء اليهود عنده . ومع أنه كان كاثوليكياً متعصباً كره نصارى الشرق كرهه لليهود والمسلمين ، فقد نسي تعصبه عندما زار بلدة الخليل ، فوجد فيها مستشفى للفقراء فأعاد ما قاله المقدسي وناصر خسرو من وجود مطبخ ومخبز لإطعام الفقراء والحجاج(٣٣).

لكن بعض الرحالة من يهود أوربا ذكروا « الحائط الغربي » ذكراً غامضاً . ومن أشهرهم الحاخام بنيامين ، أحد رعايا مملكة نافار الذي زار القدس حوالي سنة ١١٦٨ أثناء الحكم الصليبي . ولما كان دخول اليهود اليها حينئذ ممنوعاً ، فالغالب ان بنيامين دخلها متخفّياً ، فمعظم ماكتبه ، وهو قليل جداً ، يشبه الحكاية عن الغير أكثر من كلام مَنْ رأى رأي العين . جاء في المقدمة العبرية انه وصف « ما رأى وروى ما سمع . يقول إن سكان القدس كانوا من الفرنج ونصارى الشرق . وعدم ذكر المسلمين مفهوم ، فالصليبيون أفنوهم كما أفنوا اليهود ، لكن بنيامين يزعم انه وجد من اليهود فيها نحو مئتين بقرب القلعة عند مدبغة دفعوا عنها أجرة لملك الفرنج ، وخلافاً لعادته في ذكر أحوال منْ رأى من اليهود في المدن الأخرى وذكر أسماء وجهائهم ، فانه لم يقل إنه رأى احداً من يهود القدس أو كلّمه . وهذا يدعو الى الشك في صحة قوله . ويزيد هذا الشك قوة أن بنيامين كرر الخطأ بنسبة بناء قبة الصخرة الى عمر بن الخطاب ، والخطأ الثاني في الجملة نفسها هو قوله « ويوجد أمامها الحائط الغربي ، أحد حيطان الهيكل ، وهو يسمى باب الرحمة ،

(٣٣) (part 2), p. 417 Palestine Pilgrims ' Text Soiciety . vol . X

وكل اليهود يذهبون اليـــه للصلاة ، أمام حائط ساحة الهيكل » (أي ساحة الحرم الشريف) . أما موقـع باب الرحمة عند المسلمين فالى الشرق لا إلى الغرب من قبة الصخرة ، والادعاء بأن « كـل اليهود » يصلـّون عند الحائط مستحيل تحت حكم الصليبيين عندما كان مسجد قبة الصخرة كنيسة . والمهم ان بنيامين لم يقل إنه هو زار الحائط الغربي أو صَّلى عنده أو رأى غيره يُصلي هناك [٣٤] .

وبعد بنيامين بثلاثة قرون أي حوالي سنة ١٤٨٧ ، زار القدس أثناء حـكم المماليك حاخام آخـــر من ايطاليا اسمه عباديه جاري . ورحلته ايضاً تذكر « الحائط الغربي » ، ولكنه هـو أيضاً لم يقل إنه صّلى عنده او رأى غيره من اليهود يصلـّي هناك ، مع أنه يذكر بوضوح أنه صلىّ عند قبة راحيل في الطريق من بيت لحم الى القدس . ومما ذكره الحاخام جاري وجود كنيس لايدخلها النور الا من باب واحد ، ووجود جامع للمسلمين ملاصق لها ، ورَوَى ماقيل له من ان عدد سكان المدينة من جميـع الطوائف بلغ أربعة آلاف عائلة منها سبعون عائلة يهودية في غاية الفقر [٣٥] . ولانتردد في رفض هـذا التقدير للسبب الذي جعلنا نرفض تقدير ناصر خسرو وتقدير ابن الأثير فيما سبق .

(٣٤) رحلة بنيامين : للرحالة الرّبي بنيامين بن يونة التطَيلي النبّاري الاندلسي . ترجمها الى العربيـة عزرا حداد (بغداد ، ١٩٤٥) ص٩٩ ــ ١٠١ . عرّف هذا المترجم اليهودي الحائط الغربي بقوله « هو حائط البراق المعروف اليوم بحائط المبكى ، ويسميه اليهود الحائط الغربـي للهيكل الذي عمّره هيرودتس » . راجع كلام بنيامين في ترجمةانكليزية لرحلته في مجموعة عنوانها :
Early Travels in Palestine, edited by Thomas Wright (London, 1848), p. 83

(٣٥) راجع رحلة عبادية جاري في مجموعة عنوانها :
Jewish Travellers, edited by E.N. Adler (London, 1930), p. 234 → 235

بناء على هذا كله يمكن اعتبار كلام الحاخامين بنيامين وجاري عن « الحائط » الغربي وصلاة اليهود عنده من باب التمنّي لا من باب وصف الواقع . أما ماقاله الثاني من وجود كنيس ملاصق لجامعٍ فثابتٌ فيما كتبه مؤلف مسلم معاصر وهو مجير الدين العُلَيْمي مؤلف كتاب الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل . ففي هذا الكتاب يرد ذكر الكنيس والجامع الملاصق له ، وكذلك وجود « حارة اليهود » الى الغرب من حارة المغاربة وحارة الشرف[٣٦] .

(٧)

خلف سلاطينُ المماليك الأيوبيينَ على حكم مصر وسورية ، وبدأ حكمهم بتخليص العالم الاسلامي من شرّ المغول ، إذْ كسروهم في معركة عين جالوت في شمال فلسطين سنة ١٢٦٠ ، وبعدها بثلاثين سنة أخرجوا الصليبيين من آخر حصن لهم في عكا . وكان للمماليك فضل على القدس الشريف ، فازدهر العلم فيها أثناء حكمهم ، وجاءها العلماء وطلاب العلم من جميع انحاء العالم الاسلامي ، وسهّل ذلك ما أقامه السلاطين ونوابهم وعمالهم في المدينة من المدارس والرُبُط والزوايا والخانات (الفنادق) والسُبُل (لماء الشرب) والاسواق (التي اشتهر منها بصورة خاصة سوق القطّانين بقرب الحرم الشريف) والحمّامات ، وما أوقفوه على هذه المؤسسات من الاوقاف لينفق رِيْعها على مَنْ ينتفع بمنافعها .

واهتم سلاطين المماليك اهتماماً خاصاً بالقدس الشريف ، وصيانة مسجديه وحرمه وترميم قبتي الصخرة والأقصى ، وأضافوا إلى سور

(٣٦) الانس الجليل ص ٤٠٢ ، ٦٣٣ – ٦٣٦

ساحة الحرم من الداخل أروقة جميلة في جهتي الشمال والغرب ، وكذلك انشأوا مآذن باسقة في الجهتين . وكانوا يحجون الى القدس . فهذا الملك الظاهر بَيْبَرْس (بطل معركة عين جالوت) زارها مرة في سنة ٦٦٠ للهجرة ومرة أخرى بعد ثلاث سنوات وزيارة الملك الناصر قلاوُون وصف موكبها المؤرخ هكذا : « ثم بدا له زيارة القدس الشريف ، فنزل في يوم الخميس رابع جمادى الأولى من سنة سبع عشرة وسبعمائة وسار ومعه خمسون أميراً .. وكتب الى الامير تُنكز نائب الشام أن يلقاه بالإقامات (اي لوازم السفر كالخيام وغيرها) لزيارة القدس .. فتوجه الى القدس وزاره [٣٧] وزار المدينة حاجاً الملك الأشرف قايتباي سنة ٨٨٠ للهجرة ، وبنى في ساحة الحرم الشريف بقوب باب السلسلة من الداخل المدرسة الاشرفية التي فاقت الصلاحية في جمال البناء وضاهتها بما رُتب لها من المدرسين والفقهاء .

وكان لسلاطين المماليك في القدس ثلاثة من الممثلين الرئيسيين : نائب السلطنة وشيخ الصلاحية وناظر الحرمين . اما الأول فكان الحاكم العام ، وأما الثاني فكان قاضي القضاة يعين بمرسوم سلطاني ليدير المدرسة الصلاحية التي كان فيها من المدرسين قاضٍ لكل مذهب من المذاهب الأربعة ، وأما الثالث فقد استحدث المماليك وظيفته للاشراف على حرم القدس وحرم الخليل وخدمة المساجد فيها والاهتمام بالحجاج اليهما .

أما المدارس التي وجدت في القدس فقد أحصاها في سنة ٩٠٠

(٣٧) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٥

للهجرة قبيل انتهاء عهد المماليك ، مؤرخ المدينة وقاضيها مجير الدين العليمي ، فبلغ عددها مايزيد على الخمسين على رأسها المدرسة الصلاحية . واشتهر من المدارس التي أسسها المماليك من بين كل المدارس اثنتان : أولاهما التنكزية التي انشأها الأمير تنكز الناصري سنة ٧٢٩ للهجرة عند باب السلسلة من الخارج ، وظلت عامرة حتى العهد العثماني ، فصارت مقرّ المحكمة الشرعية ، وفي عهد الانتداب البريطاني صارت منزلاً لرئيس المجلس الاسلامي الأعلى ، وثانيتهما الأشرفية التي ذكرت أعلاه ، وقد وصفها مجير الدين بانها الجوهرة الثالثة في ساحة الحرم الشريف بعد قبة الصخرة وقبة الأقصى ، وربما كان آخر من رآها في عزّها وأقام فيها ، وقال قصيدة في مدحها ، المتصوف الرحّالة عبد الغني النابلسي في سنة ١١٠١ للهجرة (١٦٨٩ للميلاد) .

وقبل ختام هذا الفصل عن القدس في عهد المماليك نذكر ثلاث مسائل متعلقة بما سبق من البحث زيادة في الإحاطة والوضوح . وأولها الحج الى القدس مقروناً بالحج الى مكة أو بدلاً منه ، فقد انتشر ذلك وتأصل حتى صار زائر القدس يوصف « بالمُقَدّس » كما كان زائر مكة يوصف « بالحاج » . وزاد تعلق المسلمين بالقدس بعد الفتح الصلاحي ازدياداً مطرّداً ، وتردد صداه في عدد من الكتب الخاصة بالمدينة ومسجدها . ومن هذه الكتب « كتاب الأنس في فضائل القدس » لبهاء الدين ابن عساكر ، وقد القى المؤلف مادة كتابه دروساً في المسجد الأقصى ، والمؤلف هو ابن المؤرخ المشهور وتوفي سنة ٦٠٠ للهجرة (١٢٠٤ للميلاد) . ومنها كتاب « إتحاف الأخصّا في فضائل المسجد الأقصى » لكمال الدين السيوطي ، كتبه

في القدس وغالباً في المسجد الأقصى في سنة ٨٧٤ للهجرة (١٤٧٠ للميلاد)، والمؤلف هو غير جلال الدين السيوطي مؤلف كتاب الاتقان في علوم القرآن .

وثاني المسائل حقيقة عن مدينة القدس غير معروفة ، فالمشهور عند جميع المؤلفين انها ظلت كلها داخل الاسوار ، ولم يبدأ البناء خارجها إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . ولكن هذا ينقضُه ما جاء في كتاب لشاهد عيان وهو القاضي مجير الدين ، فقد قال إن أحسن الأماكن بظاهر القدس كانت أرضاً الى الجنوب الغربي عُرفت « بالبقعة »، أوقفها صلاح الدين على خانقاه الصوفية ، ووجدت في عهد المؤلف في تلك الناحية « قصور مبنية بالبناء المحكم ، ومُلاّكها في كل سنة يقيمون بها في زمن الصيف مدة اشهر إقامة استيطان » . ووجد الى جانب أرض البقعة هذه من جهة الشمال « قرية » أبي ثور ، نسبة الى المجاهد شهاب الدين أحمد القرشي الذي شهد فتح القدس في جند صلاح الدين راكباً ثوراً . وقد وقف القريةَ عليه وعلى ذريته الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين في سنة ٥٩٤ للهجرة . وكان بالقرية قبلاً ديرٌ للروم ، وهذا هو أصل الاسم الحديث « دير أبي ثور »، ويُلفظ بالعامية محرّفاً دير أبي « طور » [٣٨].

وثالث المسائل توضيح أمر الكنيس التي ذكرها الحاخام عباديه ، وأيده في ذلك مجير الدين . فالغالب أن البناء كان بيتاً استعمله اليهود للصلاة ، ولما كان البيت ملاصقاً لجامعٍ للمسلمين نقدم بعضهم الى القاضي

(٣٨) الأنس الجليل ، ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

الشافعي بشكوى ، فحكم ان لليهود أن يسكنوا البيت ، لكن لايجوز لهم استعماله كنيساً ، لأن إحداث الكنائس والكُنس في الاسلام غير جائز شرعاً . فبعدها هدم بعض المسلمين البناء ، فرفع اليهود الأمر الى السلطان قايتباي في القاهرة . ويقول مصدر يهودي إن أثرياءهم دفعوا مبلغاً الى خزينة السلطان [٣٩] والذي يؤخذ من تفاصيل القصة ان قاضياً حنفياً جوّز إصدار أمر سلطاني بإعادة البناء في سنة ٨١٩ للهجرة (١٤٧٤ للميلاد) . فكانت هذه أول كنيس استحدثت في القدس بموافقة سلطان المسلمين . وبعد تسع سنوات رأى الكنيس الحاخام عباديه ووصفها بانها مستطيلة لايدخلها النور إلا من بابها الوحيد . والغالب أن ذلك كان بأمر السلطان ، حتى لا يرى المسلمون ولا يسمعون صلاة اليهود بينما هم يصلون في الجامع الملاصق .

- ٨ -

ضمّت الدولة العثمانية سورية وفلسطين الى أملاكها في سنة ١٥١٦ بعدما انتصر السلطان سليم على جيش المماليك في صيف تلك السنة بقرب حلب . ثم زحف جيشه الى دمشق فساحل فلسطين متجها نحو مصر ،أمّا هو فعرّج على القدس مع ثُلّةٍ من الفرسان ، فاستقبله العلماء والوجهاء وأوْلموا له في ساحة الحرم الشريف ، وجاءه شيوخ صفد ونابلس والخليل لإعلان طاعتهم . ثم لحق السلطان بجيشه ، واشتبك مع بقية المماليك بقرب القاهرة ، وبتغلبه عليهم أصبح سيد مصر . ولَقي في القاهرة المتوكل على الله الخليفة العباسي ، فحذا السلطان

(٣٩) The Jewish Encyclopedia (London and New York, 1904 — 1916), vol. V I I , p. 133 column 2 (in an article on Ierusalem , by Peter Weirnik) .

سليم حذو المماليك وقرّبه للاستفادة من مقامه الديني . وجاء الى القاهرة وفد من شريف مكة يُعلن للسلطان قبول حكمه خلفاً للمماليك . وهكذا ورث عنهم لقب « خادم الحرمين الشريفين » في مكة والمدينة . ولعلّه ورث عنهم أيضاً إرسال « الصُّرّة » وهي هدية نقدية سنوية كان يرسلها السلاطين الى الاشراف والعلماء في مكة والمدينة والقدس : ولعل الدافع لإرسالها الى القدس ما كان بين السلطان سليم والعلماء الذين أولموا له في ساحة الحرم ، فعندما قدّم له الطعام في صحائف مصنوعة من الخشب ، فسألهم سبب ذلك ، فقالوا « نحن قوم فقراء ! ».

أما لقب خادم الحرمين في القدس والخليل فقد أُطلق على السلطان سليمان القانوني ابن السلطان سليم وخلفه ، بالإضافة الى لقب خادم الحرمين في مكة والمدينة ، وهذا واضح من نقش على الحجر فوق رأس المدخل الشرقي للقلعة في القدس ، فهذا النقش يصف السلطان سليمان هكذا :« خادم الحرمين والبقعة القدسية »[٤٠] واعمال السلطان سليمان في القدس عظيمة وكثيرة ، اهمها ترميم قبة الصخرة واعادة تبليط أرض مسجدها ، وتعمير جدران الحرم الشريف وأبوابه ، وانشاء عدد من السُّبُل في ساحة الحرم وبقربها وفي أماكن أخرى من المدينة . ومن أشهرها السبيل الواقع امام المدرسة التنكزية عند باب السلسلة ، والسبيل الواقع عند بركة السلطان خارج باب

---

(٤٠) تاريخ القدس لعارف العارف (القدس ، ١٩٦١) ص ٣٠٥ . قرأ المؤلف « البقعة الاقدسية » ، ولعله غلط مطبعي او جهل من الناقش ، فكثير من النقوش الموجودة في القدس لغتها سقيمة وتكاد تكون عامية .

الخليل وعلى طريق بيت لحم . ومن أعظم الأعمال تعمير أسوار اسوار المدينة وبناء جميع اجزائها العليا ، وقد استغرق ذلك خمس سنوات كما تدل عليه النقوش الموجودة عند باب الخليل وباب العمود وباب ستنا مريم وباب النبي داود . وانشأت السلطانة زوجة سليمان تكية اشتهرت باسم خَاصَكي سلطان ، ووقفت عليها أوقافاً مكنَّت المتولين مِنْ إطعام الفقراء كل يوم من ذلك الوقت حتى يومنا هذا . وانشأ بايرام جاويش ، الذي اشرف على تعمير الاسوار وبنائها ، رباطاً عرف باسمه ، تحوّل بعد ذلك الى مدرسة سُميت الرصاصية ، وظلت هذه المدرسة عامرة حتى نهاية الحكم التركي .

ويظهر من نقش على بلاطة موجودة فوق برج من أبراج القلعة بقرب باب الخليل ان السلطان سليمان كان يعتبر خليفة ففي هذا النقش وردت هذه العبارة : « تملّك سرير الخلافة بالاستحقاق ، السلطان ابن السلطان سليمان » . وقد امتد حكمه اكثر من اربعين سنة بلغت في اثنائها الدولة العثمانية أوج مجدها وقوتها ، وامتدت املاكها من بغداد الى بودابست ، وسليمان هو الذي بدأ إعطاء ما عُرف اصطلاحاً عند المؤرخين بالامتيازات الأجنبية ، اي إعفاء بعض الأجانب من طائلة القانون العثماني ، بقصد تسهيل التجارة ، اثناء وجودهم في بلاد الدولة العثمانية . ويمكن اعتبار هذا الإعفاء امتداداً لنظام الملة . اي الاستقلال الداخلي الذي تمتعت به كل ملة من اهل الكتاب تحت الحكم الاسلامي ، فكان رئيس كل ملة أو طائفة مسؤولاً عن تأدية ما عليها من الجزية ، ثم حراً في ادارة شؤونها الدينية والمدنية . فأعطي مثل هذا الاستقلال الملي أو الطائفي للتجار الأجانب الذين

أقاموا في الموانى العثمانية في أماكن منعزلة تحت ادارة رئيس منهم وبحسب قوانين بلادهم الأصلية .

وسهّل تشجيع التجارة هـذا حركة الحجاج من النصارى والمسلمين ، فمنذ الحروب الصليبية وسفن مدينة البندقية وغيرها من الموانى الايطالية تنقل الى الشرق الأدنى البضائع والحجاج ، وكذلك كان التجار مع بضائعهم يُرافقون قوافل الحج الى مكة . وكان نصيب القدس من هذا غير قليل ، وخاصة بعد الحروب الصليبية ، في عهد سلاطين المماليك وسلاطين آل عثمان . وقد أمّن السلطان سليمان الطريق من يافا إلى القدس ، فرتّب لها الحرس وجعل مشايخ القرى الموجودة على الطريق مسؤولين عن سلامة الحجاج والتجار . وفتح السلطان سليمان ومن خَلَفه من سلاطين آل عثمان بلادَ دولتهم الواسعة لقبول اللاجئين من الاضطهاد في اوربا ، وقد استفاد من ذلك اليهود وخاصة بعد طردهم من اسبانيا بعد انقراض آخر دولة عربية فيها . واتجاه اللاجئين شرقاً الى البلاد الاسلامية لا غرباً الى البلاد النصرانية له دلالته في اشتهار النظام الاسلامي بالتسامح والانسانية .

ولم يشتهر مَنْ خلف سليمان من السلاطين شهرته في الحرب والسلم ، فاعتاد الكتاب تأريخ بدء تدهور الدولة العثمانية من نهاية سلطنته ، مع انها ظلت عزيزة قوية مدة طويلة بعد ذلك ، ولم يظهر ضعفها إلا بعد إخفاق حصار فيينا الثاني في سنة ١٦٨٣ أي بعد اكثر من قرن من نهاية سلطنة سليمان . لكن مَنْ خلفه من السلاطين لم

يُحْدثوا شيئاً يقرب مما أحدث هــو في القدس . وسجلات المحكمة الشرعية ، التي تعكس تاريـخ المدينة في جميـع النواحي ، خالية من ذكر بناء معاهد جديدة ، وجُل ما تذكره هو عمارة بنائيْ المسجد الأقصى وقبة الصخرة وما حولهما في ساحة الحرم الشريف . لكن يوجد في هذه السجلات ما يستحق الانتباه ، وهو ان القاضي أحْصى عدد اليهود في المدينة وسجل أسماءهم عنده ، فبلغ عددهم مئـة وخمسة عشر (الذكور دون الإناث ؟) . وكان ذلك في ١٩ جمادى الأولى سنة ٩٨٠ للهجرة (١٥٧٢ للميلاد) [٤١] وهذا في رأينا هــو أول بيان يمكن الاعتماد عليه ، بخلاف ما جاء في كتب الرحالة والرواة من المسلمين والنصارى واليهود ، فما قالوه كان مَبنِيّاً على الحدْس والتخمين ، أما سجل القاضي فمبني على إحصاء حقيقي .

ويعد نحو قرن أحصى جميع السكان متصرف المدينة حينئذٍ ، جاويش زاده محمد باشا . ولا يعرف الغرض من هذا الاحصاء ، ولا مقدار نصيبه من الدقة ، بخلاف إحصاء القاضي لعدد اليهود الذي ذكر أعلاه . وبلغ مجموع عدد السكان بحسب هذا الاحصاء ستة وأربعين ألفاً معظمهم من المسلمين ، ومن هؤلاء نحو ألف من أصحاب الوظائف في الحرم الشريف ، صرفت رواتبهم من مال « الصُّرَّة » السـنوي . والذي ذكر ذلك هو الرحالة التركي أوْلِيَا جلبي الذي زار القدس والخليل في سنة ١٠٨١ للهجرة (١٦٧١ للميلاد) في عهد محمد باشا المذكور ، فوصف معالم المدينتين وصفاً دقيقاً مطولاً وخاصة الحرمين الشريفين فيهما .

---

(٤١) المحكمة الشرعية بالقدس : سجل ٥٥ صفحة ٢٠٧ ، راجـع تاريخ القدس لعارف العارف ، ص ٣١٤

ومعظم ما جاء في رحلة جلبي يطابق ما جاء في تاريخ مجير الدين الذي كتب قبل نحو قرنين . وهذان مثلان على ذلك : أولهما أن الأرض الواقعة بين باب الخليل ومنطقة البَقْعة كانت عند زيارة جلبي ملأى بالكروم والبساتين، وكان أصحابها من الاشراف والعلماء والتجار وأهل الحرف يقضون شهور الصيف فيها ؛ وثانيها أن جميع المعاهد والمباني العامة التي ذكرها مجير الدين وجدها جلبي قائمة عاملة : أربعون مدرسة وعشر دور للقرآن وسبع دور للحديث وثمانية عشر سبيلاً وستة حمامات وستة خانات وسبعة أسواق طرقها مرصوفة بالحجارة وسقوفها معقودة بالقناطر . ولكن جلبي وجد حالة الأمن على الطرق سيئة ، فعندما أراد زيارة الخليل أرسل معه أمير اللواء عشرين خيالاً مسلحاً [٤٢] .

كل هذا الذي ذكره أوليا جلبي يدل على أن المدارس والزوايا والربط وما أشبهها من المعاهد والمباني العامة التي ورثها العثمانيون عن الأيوبيين والمماليك في مدينة القدس كانت عامرة عاملة حوالي نهاية

---

(٤٢) ملخص عن « سياحتنامه سي » لأوليا جلبي كما جاء في تاريخ القدس لعارف العارف ، ص ٢٦٧ ــ ٢٦٩ . والتلخيص مأخوذ عن صورة فتوغرافية للأصل التركي المخطوط وُجدت في المتحف الفلسطيني بالقدس . والظاهر ان المتحف والمرحوم عارف العارف لم يعلما ان « سياحتنامه سي » بدأ طبعها في استانبول سنة ١٣١٤ عندما ظهرت منها الاجزاء الاربعة الاولى . ثم ظهر الجزء الخامس في سنة ١٣١٨ . ثم توقف النشر نحو ربع قرن واستؤنف في سنة ١٩٢٨ عندما ظهرت الاجزاء السادس والسابع والثامن . اما الجزء التاسع والأخير فنشر في سنة ١٩٣٥ . وهذا الجزء يحتوي على وصف الزيارة للقدس والخليل مفصلة على صفحاته ٤٦٠ ــ ٥١٦ ، وهو مطبوع بالحروف اللاتينية . اما الاجزاء الثمانية فكلها مطبوعة بالحروف العربية .

القرن الحادي عشر للهجرة (السابع عشر للميلاد) ، وان المعاهد والمباني العامة التي أضافها العثمانيون منذ عهد سليمان القانوني كانت قائمة يستفاد منها في الوجوه التي عينها المؤسسون أو الواقفون ، وإن الوقفيات التي شرعت منذ الحروب الصليبية حتى ذلك الوقت كانت متصلة الثبوت والتنفيذ بحسب أحكام الشريعة .

ولم يفصل ما أجمله أوليا جلبي أحدٌ بعده تفصيلاً يشبه ما جاء به مجير الدين قبله . فمن أراد مثلاً استقصاء تاريخ مدارس القدس التي عددها وذكر مؤسسيها وأوقافها لا يجد غير ما يمكن اقتطافه من كتب التراجم ، وهو ذكر عام لهذه المدرسة المشهورة أو تلك في ترجمة هذا العالم المشهور أو ذاك . لكن التراجم الخاصة بعلماء القدس تؤكد استمرار سُنّة الرحلة في طلب العلم ، فمعظمهم كانوا يذهبون إلى الأزهر في القاهرة أو الجامع الأموي في دمشق أو إلى مكة والمدينة ، وبعضهم ذهب إلى عاصمة السلطنة استانبول للتعليم في مدارسها ومساجدها ، وأحياناً للحصول على وظيفة القضاء أو الإفتاء أو التدريس في القدس .

والمصدران المهمان للتراجم هما « خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر » لمحمد المحبي ، وكتاب « سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر » لمحمد خليل المرادي . وما جاء في الكتاب الأول عن مدارس القدس أكثر مما جاء في الثاني . ومن أهم المدارس التي ذكرت في الكتابين : الصلاحية والأفضلية والتنكزية ودار القرآن ودار الحديث والمأمونية والفارسية ، والعثمانية ، والظافرية . ولم نعثر فيها

على ذكر الأشرفية ، ولعل غيرنا يدلنا عليه إذا وجد .

وهذا ما يستفاد من كتاب المحبي : جاء في ترجمة جمال الدين ابن محمد العجمي القُدْسي أنه صحب الزَّيْن المرصفي في القاهرة ، فلما عاد إلى القدس لازم شيخ الصلاحية عفيف الدين ابن جماعة ، واختص بقراءة قصّتَيْ المولد والمعراج في المسجد الأقصى ، ودرّس بدار الحديث ، وعمَّر جزءاً من المدرسة الظافرية التي كانت متهدمة واتخذه مسكناً ، وتوفي سنة ١٠٠١ للهجرة . وجاء في ترجمة ابنه محمد أنه تعلم في القدس ، ثم سافر إلى استانبول ولازم شيخ الإسلام محمد ابن سعد الدين ، ثم تولى القضاء في مصر ، ثم صار مُفْتياً في القدس ومدرساً في العثمانية « فلم يمتزج مع أهلها (أي القدس) لطول غَيْبته عنهم » ، فصار قاضياً في طرابلس الشام ، وتوفي سنة ١٠٥٥ للهجرة . وجاء في ترجمة طه بن صالح نجم الدين الدَّيري المقدسي أنه كان معيداً لدرس تفسير القرآن في الصخرة المشرفة ثم درس في الفارسية وسكنها ، وولي كتابة الصكوك ونيابة الحكم في القدس ثم في مكة . توفي سنة ١٠٧١ للهجرة ودفن بمقبرة مأمن الله . وجاء في ترجمة محمد بن حافظ السروري المقدسي أنه رحل إلى القاهرة ودمشق وأخذ عن علمائها ، ثم عاد إلى القدس وانقطع للتدريس في التَّنْكزية والمأمونية إلى أن توفي في سنة ١٠٨٩ للهجرة . وجاء في ترجمة مصطفى بن فخر الدين العلمي القدسي أنه أقام بالأزهر زماناً طويلاً ، ثم عاد إلى القدس وصار « كاتب الصكوك في محكمتها وولي النيابة كثيراً » . ومن آثاره وقفٌ على المؤذنين

بالمسجد الاقصى وقنديل عُلـّق على الصخرة المشرفة كان يُشعل ليلاً ونهاراً ، » وله خيرات على خدام الحرم الخليلي » توفي سنة ١٠٧١ للهجرة [٤٣] .

وفيما يلي بعض ما يستفاد من كتاب المرادي الذي هو أقل تفصيلاً ودقة من كتاب المحبي ، ويشوب تراجمه كثرة الاوصاف العامة التي قد تنطبق على معظم من ترجم لهم . ومن أهم هؤلاء أحمد الموقـّت الذي اختص كما يدل اسمه بالميقات في المسجد الاقصى . وهو من ذرية أبي العزم أحد أولياء المغاربة : « قرأ العلوم في بيت المقدس ، ولم يذق كربة الغُرْبة أوان تحصيله ... وانتهت إليه حقائق العلوم العقلية ، وألـْقت إليه مقاليدها العلوم النقلية » . كان مدرساً بالأفضلية والمسجد الاقصى وإماماً في الصخرة المشرفة . وتعاطى التجارة فاستَغْنى بذلك عن « التمتـّعات » ، وشمل بكرمه زوار القدس من الغرباء وخاصة العلماء . توفي سنة ١١٧١ للهجرة ودفن بمقبرة مأمن الله . وجاء في ترجمة صنع الله الديري الخالدي أن عائلته أصلها من قرية الدير من قرى نابلس ، وأنه تولـّى رئاسة الكتابة في محكمة القدس ، ووقف وقفاً فيها عيَّن رَيْعه لإطعام الفقراء ، وأصلح سبيل ماء (لا يذكر المؤلف اسمه) . توفي سنة ١١٣٩ ودفن عند باب الرحمة . وجاء في ترجمة السيد عبد الرحيم أبي اللطف القدسي أنه تعلـّم في القدس ثم جاور في الازهر وسافر إلى استانبول ودرس بجامع السليمانية .

---

(٤٣) كتاب خلاصة الأثر (القاهرة ، ١٢٨٤) ج١ ص ٤٨٩ (جمال الدين) ، ج ٣ ص ٤١٢ (محمد بن جمال الدين) ، ج ٢ ص ٢٦٠ (طه)، ج ٣ ص ٤١٤ (محمد بن حافظ) ج ٤ ص ٣٨٥ (مصطفى العلمي) .

ثم أعطي إفتاء بلدته مع المدرسة العثمانية ورئاسة علماء القدس . وعُيِّن قاضياً لصفد « على وجه المعيشة » . توفي سنة ١١٠٤ للهجرة في أدرنة [٤٤] . وترجم له الجبرتي تحت اسم « الشيخ عبد الرحيم بن أبي اللطف الحسيني المقدسي » [٤٥] .

يتضح من هذه التراجم وغيرها أنه غلب على علماء القدس التدريس في المسجد الأقصى والصخرة المشرفة ، وكان الواحد منهم يجمع أحياناً مع التدريس وظيفة أخرى في القضاء أوالإفتاء أو الإمامة أو الخطابة . ولكن بعضهم أعرض عن هذه الوظائف ، ومال الى الزهد والتصوف فقد عُرف عن احدهم أنه كان يلازم مغارة الصخرة المشرفة ولا سيما وقت السحر ، وعُرف عن آخر انه اختصَّ بجباية ريع أوقاف الحرم الشريف التي كانت بمصر (ماذا جرى لها ؟) ، وعرف عن ثالث انه كان مولعاً بنظم الشعر والفكاهة . وكَرَمُ أحمد الموقّت ذُكر اعلاه ، ويشبهه في ذلك نقيب علماء القدس وشيخ الحرم الشريف السيد عبد اللطيف بن عبد الله القدسي الذي توفي في سنة ١١٨٨ للهجرة وكان يهتم بزوار المدينة وحجاجها ويعطيهم من ماله .

هذه صورة منيرة قد يرى المدقق على حواشيها ظلمة تدل الشواهد والقرائن أنها أخذت تزداد شيئاً فشيئاً . فما دلالة وجود مدرسة متهدمة لا يهتم متولي وقفها بترميمها وإعادة التدريس فيها ؟ وما عِبْرة

---

(٤٤) كتاب سلك الدرر (بولاق ، ١٣٠١) ، ج ١ ص ١٧٥ ، ج ٢ ص ٢١٣ ، ج٣ ص ١ — ٥ .

(٤٥) كتاب عجائب الآثار في التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتي (بولاق ، ١٢٩٧) ج ١ ص ٦٦

ما حدث للسيد عبد الرحيم أبي اللطف القدسي الذي ذكر أعلاه عندما ذهب الى استانبول وحصل من شيخ الاسلام على وظيفتي الإفتاء والتدريس في القدس ، ثم عزل عنها ، ثم أعيد إليها ؟ وما معنى إعطائه قضاء صفد « لأجل المعيشة » أي لكي يعين هو نائباً عنه يعطيه ما يتفقان عليه من دخل المحكمة ؟ وماذا يستنتج من ذهاب عدد من علماء القدس للتدريس في مدارس استانبول وبروسة وقونية وأدرنة وتولي القضاء في أماكن بعيدة مثل صوفية وبوسنة Bosna؟

أصل البلاء أن كل الوظائف الادارية والقضائية والعلمية كانت تباع وتشترى في عاصمة السلطنة ، فالوالي أو القاضي كان يدفع ثمن وظيفته سلفاً لمن يسلمها له ، وهو بدوره يبتز أموال الناس لاسترداد ما أنفق ولإغناء نفسه . وهذا أفقر الشعب من الزراع والتجار وأرباب الحرف ، وزاد الحالة سوءاً اختلال الامن العام ، وصعوبة المواصلات ، وتعرض القوافل التجارية حتى وقوافل الحجاج للنهب ، واغتنام بعض الزعماء فرصة ضعف الدولة بالثورة عليها . وقد ظهر هذا الضعف واضحاً أثناء القرن الثامن عشر بانكسارها في ست حروب اضطرت إلى دخولها مع روسيا والنمسا .

وكان من نتائج هذه الحروب أن تقلصت حدود الدولة العثمانية في أوروبا ، وأرغمت على اعطاء امتيازات جديدة لروسيا ، بعد أن كان اعطاء الامتيازات منّة لفرنسا في زمن سليمان القانوني ، ولبريطانيا في زمن مراد الثالث . وأخذت الدول الاوروبية تستغل هذه الامتيازات استغلال القادر للعاجز ، فغلب ضررها على ما أريد

بها أصلاً من تسهيل التجارة ، فصار التاجر الأوروبي أحسن حالاً من التاجر العثماني ، لما كان للأول من حق الإعفاء من طائلة القانون العثماني ، ودفع تعريفة على بضائعه أقل بكثير مما يدفع التاجر العثماني .

وقد أصاب القدس من هذا الاضطراب والضعف ضرر كبير ، فكثرت هجرة العلماء منها إلى مراكز التعليم ومجال التوظُّف في استانبول وغيرها من المدن التركية ، وأدى تغير الولاة والقضاة السريع إلى اهمال مراقبة الاوقاف والعناية بالمباني العامة ، فأخذ بعض متولي الاوقاف يحولونها لمنفعة أنفسهم . وعانت القدس من الفقر وسوء الادارة وظلم الحكام ما عانته باقي المدن . لكن السلاطين لم ينسوا في محنتهم القدس ولا مكة ولا المدينة ، فثابروا على إرسال « الصُرّة » إلى كل منها واهتموا بترميم المساجد في حرم كل منها .

- ٩ -

يؤرخ بعض كتاب الغرب ، ويقلدهم في ذلك بعض كتاب العرب ، بدء النهضة العربية الحديثة من الحملة الفرنسية على مصر في سنة ١٧٩٨ وامتدادها في السنة التالية إلى سواحل فلسطين حتى مدينة عكا ، بل يرجع هؤلاء فضل نشوء تلك النهضة إلى هذه الحملة . وهذا وهم لا يثبت بعد النظر الدقيق ، فالحملة أعاقت نهضة أدبية علمية كانت بمصر قبلها ، وضرر الحملة واضح فيما أصاب علماء الازهر من القتل والتشريد الذي أدى الى إغلاق المعهد لاول مرة في تاريخه . أما احتلال سواحل فلسطين فلم يدم أكثر من أربعة أشهر انتهى باخفاق

نابليون أمام أسوار عكا ، ولم يترك وراءه إلا الدمار وشر الطائفية التي أثارتها الدعاية الفرنسية .

ولم يحاول نابليون أخذ القدس ، ولكن التاريخ يذكر اثنين من علمائها تعلما في الازهر ، قاومه أحدهما بعلمه ، وهجاه الآخر بشعره . أما الاول فهو السيد موسى الخالدي ، قاضي عسكر الاناضول ، فهو الذي كتب المنشور الذي اذاعته الحكومة العثمانية في جنوب سورية ، لإثارة الشعب ضد الفرنسيين . ولا يُعرف عن هذا الرجل العظيم أكثر من ذلك سوى أنه توفي سنة ١٢٤٧ للهجرة في انطاكية وأما العالم الثاني فهو الشيخ محمد بن بدير ، ذكره الجبرتي فقال « هو الآن فريد عصره في الديار القدسية ، يبدي ويعيد ، ويدرس ويفيد » [٤٦] . توفي سنة ١٢٢٠ للهجرة . وقصيدته تقع في ١٥٧ بيتاً اكتشفها بين أوراق آل البديري في القدس أحد أبنائها النابهين [٤٧] . وهي تهجو الفرنسيين وقائدهم وتمدح والي عكا أحمد باشا الجزار .

والتراجم الاخرى الواردة في تاريخ الجبرتي تكاد تكون مقصورة على مشاهير مصر ، وبينها عدد قليل من علماء القدس الذين تعلموا في مصر . ومن هؤلاء الشيخ محمد بن سيرين المقدسي . جاء في ترجمته أنه ذهب الى مصر مع والده وتعلم على شيوخ ذكرهم المؤلف ، كان أعظمهم أثراً على ابن سيرين الشيخ محمود الكردي ،

(٤٦) عجائب الآثار ، ج ٢ ص ٢٠٥ .

(٤٧) هو الاستاذ الدكتور اسحق موسى الحسيني . ذكر القصيدة في كلمة نشرت في كتاب قدّمه بعض الزملاء لعبد اللطيف الطيباوي بعنوان :

Arabic and Islamic Garland (London, 1977), p. 120

فهو الذي ألْبَس تلميذه « التاج » وجعله من خلفاء السادة الخَلوَتيّة ، ثم أمره بالعودة الى القدس لنشر الطريقة فيها ، « فسكن الحرم وصار يذاكر الطلبة بالعلوم ، ويعقد حلقة الذكر »[٤٨] وهذه القصة تشبه قصة عالم آخر من أهل القدس ذكره الجبرتي ، والقصتان تدلان على ازدياد الاهتمام بالطرق الصوفية . فهل قلّ ذلك من شأن التدريس في المدارس ؟ سبب هذا السؤال هو عدم ذكر مدارس القدس المشهورة وغير المشهورة ، الكبيرة كالصلاحية أو ذات المدرّس الواحد ، في نهاية القرن الثاني عشر وابتداء القرن الثالث عشر . وهذا السكوت بدأ بالجبرتي واستمر حتى يومنا هذا . وليت مَنْ تمكنه ظروفه من علماء العرب يراجع سجلات المحكمة الشرعية بالقدس للوقوف على مصير مدارسها وسبب اهمال التدريس فيها وكذلك مصير أوقافها .

ولا يمكن الاعتماد على كتب الرّحالة الأوربيين في هذا الأمر أو ما يشبهه ، فمعظمهم كانوا يكرهون الاسلام ولم يرَوا الا المساوىء في النظام العثماني . خذ مثلاً على ذلك الكونت فولْني الفرنسي الذي زار القدس قبل حملة نابليون بنحو خمس عشرة سنة ، فلا ذكر في كتاب رحلته للحرم الشريف حتى ولا لكنيسة القيامة ، فلا غرابة بعد ذلك إن هو أهمل ايضاً ما كان دونهما في الاهمية كالمدارس . لا يُعرف على أي اساس بنى هذا الرّحالة تقديره لسكان المدينة بنحو اثني عشر أو اربعة (كذا) عشر الفاً ، ولكن هذا التقدير لا يمكن قبوله ، كما لا يمكن قبول الغلط والمبالغة في وصف

(٤٨) : عجائب الآثار ج ٣ ، ص ٣٥٦ وما يليها .

المدينة الذي أجمله بسطرين هكذا : « أسوارها مهدمة ، والخنادق حولها مملوءة ، وكل (كذا) ابنيتها خربة »(٤٩) فكل مؤرخ يُعتد به يعرف ان الأسوار لم تتهدم منذ عهد سليمان القانوني حتى يومنا هذا ، وكان قارىء ينتبه للتفاصيل يعرف انه لا يمكن ان تكون كل الأبنية ، في مدينة مسكونة ، خربة .

فاذن لاتبرر قلة المصادر العربية الاعتماد على أمثال هذا الرّحالة . ويسر الباحثين ان يعلموا انه منذ نحو ثلاثين سنة اكتشف استاذ مقدسي كتاباً مخطوطاً عن أعيان القرن الثاني عشر ألّفه على نمط كتاب المرادي ، أحد سراة القدس وهو حسن بن عبد اللطيف الحسيني . وقد نشر الاستاذ المذكور رسالة في اربعين صفحة ، اعتمد في بعضها على هذا الكتاب المخطوط الذي لا يُعرف مصيره الآن . وفي المخطوط ذكر لاثنين من مدرّسي المدرسة الصلاحية من أهل القدس ومن خريجي الأزهر ، وهما السيد علي بن محمد جار الله الذي توفي سنة ١١٦٩ للهجرة (١٧٥٥ م) ، والسيد محمد بن علي جار الله (؟ ابن السابق) الذي تولىّ افتاء القدس ورئاسة العلماء فيها في سنة ١١٨١ للهجرة (١٧٧٨ للميلاد) . دعي الى استانبول وقابل السلطان ورافق الصدر الاعظم الى ساحة الحرب مع روسيا ، ولكن مخطوط الحسيني لا يذكر تاريخ وفاته .

---

(٤٩) Constantine-Francois Comte de Volney, Voyage en Egypte et en Syrie 1873 - 5 : English translation, (London, 1787), vol . II , p . 303 – 304

واستَدْعى شيخُ الاسلام ، عبد الله افندي دري زاده ، عالماً آخر من علماء القدس الى استانبول ، وهو الشيخ علي ابو السعود مفتي الشافعية . وكان طاعناً في السن فتوفي في العاصمة بعيد وصوله اليها سنة ١٢٢٨ للهجرة (١٨١٣)[٥٠] وكان وجود أبي السعود في العاصمة مع ابن بلدته موسى الخالدي من العوامل التي جعلت السلطان محمود الثاني يرسل بعثة برئاسة أحد وزرائه الى القدس للنظر فيما احتاجه المسجد الاقصى ومسجد قبه الصخرة من الترميم . ولكن لا يعرف اذا كان من وظيفة البعثة النظر ايضاً في ترميم المباني العامة كالمدارس والزوايا والربط وغيرها .

والسلطان محمود هو ثاني سلاطين آل عثمان المجدّدين ، سبقه في ذلك سليم الثالث ، منشىء ما عُرف بالنظام الجديد . فالتجديد أو التنظيم أو الاصلاح أو النهضة بدأ في اعظم دولة اسلامية قبل الحملة الفرنسية على مصر ، لابل قبل الثورة الفرنسية . وكان من أهم بواعث التجديد شعور بالنقص في ميدان الحرب امام الجيوش الأوروبية ، ولهذا بدأ بإنشاء مكاتب (ولم يسموها مدارس) لتدريب ضباط الجيش والاسطول ، وجيء لهذه المكاتب بمعلمين من اوروبا وخاصة من فرنسا . وأسكِتَتْ معارضة العلماء لهذه البدعة ، فجُعلت

---

(٥٠) اهل العلم بين مصر وفلسطين . لاحمد سامح الخالدي (القدس ، ١٩٤٦) ، ص ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ . تفصيل قصة استدعاء ابي السعود وردت في تاريخ احمد جودت باشا بالتركية تحت سنة ١٢٢٨هـ (الجزء العاشر صفحة ١١١ من الطبعة الثانية في استانبول سنة ١٣٠٩) .

المكاتب الجديدة منفصلة كل الانفصال عن المدارس الاسلامية الأصلية ، التي ظل منهجها على حاله . أما المكاتب الجديــدة فاختصت بتعليم العلوم الرياضية والطبيعية واللغة الفرنسية . وظلت هذه المكاتب لمدة طويلة منحصرة في العاصمة ، ولم يؤسس مايشبهها من المكاتب الجديدة في الولايات العربية إلا في النصف الثاني من القرن التــاسع عشر ، وعليه لايصح ارجاع سبب تأخـر المدارس الاسلامية في القدس إلى منافسة مكاتب النظام الجديد . لكن قد يكون من أسبابه إخضاع إدارة الأوقاف المحلية لوزارة الأوقاف الجديدة التي انشأها محمود الثاني في استانبول ، فأضعف ذلك استقلال القضاة وخفّف رقابتهـم على الأوقاف المحلية ومحاسبة متوليها ، فأخذ هؤلاء يحتالون لتحويل منافع الأوقاف لأنفسهم .

وكانت القدس حتى نهـاية القرن الثامن عشر مدينة مغلقــة للفرنج ، فلم يُقمْ فيها منهم الا بعض الرهبان ، ولم يزرها الا الحجاج وبعض المخاطرين من المسافرين ، ولم تكن فيها قنصلية واحــدة أو جالية تجارية أوروبية . وأخذ ذلك يتغيّر اثناء القرن التاسع عشر ، وكان من أسبابه بدء التنافس بين الدول الأوروبية العظمى في القدس ونشاط بعض الجمعيات التبشيرية الانكليزية والأمريكية ، وتحسن حالة الأمن العام ابتداء من الاحتـلال المصري ، ونمـو المصالح الأجنبية دينية كانت أو تجارية . ولعلّ أول رمز للتغيُّر هو دخول أمــير البحر سير سِدْني سْمِث" الى القدس بموكب عسكري بعد نجـاح دفاعه عن عكا من البحر ، فانكلترا حالفت تركيا ضد فرنسا بعد

هجوم نابليون على مصر وفلسطين . جاء في تقرير السفير البريطاني في استانبول ان سمِث ّ ركب من يافا مع حرس من البحّارة البريطانيين ومئة من الفرسان العثمانيين ، ووصل في المساء الى مشارفها فنام ليلته في دير في عين كارم ، وفي صباح اليوم التالي دخل القدس في نظام عسكري وزار كنيسة القيامة وغيرها من الأماكن المقدسة .(٥١)

وهكذا فُتح الباب . فبعد نحو عشرين سنة أَرسلت جمعية تنصير اليهود في لندن مبشّرَيْن للاقامة في القدس ، وفي الوقت نفسه تقريباً ارسلت الجمعية التبشيرية الامريكية في بوسطن مبشّريْن آخرين اليها . وكان هدف الجمعية الاولى مقصوراً على تنصير اليهود ، اما الثانية فأرادت إرْشاد أهل جميع الاديان ، وظلّ هؤلاء الطلائع يتخبّطُون مدة طويلة دون الوصول الى نتائج محسوسة . وفي أواخر سنة ١٨٣١ احتل محمد علي باشا والي مصر فلسطين في ثورته على السلطان محمود ، وكان من اهم نتائج ذلك في القدس تأسيس « مجلس شورى » دخله ممثلون عن النصارى واليهود لأول مرة . وأراد محمد علي اكتساب عطف الدول الاوروبية فأمّن طريق الحجاج الى القدس ، وفتح البلاد لمسافريهم وتجارهم . فاغتنمت الحكومة البريطانية الفرصة وأسّست في القدس أول قنصلية ، بعد الحصول على موافقة السلطان صاحب السيادة الشرعي وموافقة محمد علي الحاكم الفعلي . وضغط

---

(٥١) تقرير السفير البريطاني المؤرخ في ١١ كانون الثاني سنة ١٨٠٠ محفوظ في دار الوثائق العامة في لندن FO (Turkey) 78/28

المبشرون على وزير الخارجية فجعل من وظائف القنصل البريطاني في القدس « حماية اليهود »[٥٢].

لم يَزْدد عدد اليهود عن بضع مئات منذ عهد صلاح الدين إلا قليلاً . لكن إخراج العرب و(اليهود) من اسبانيا سبّب زيادة مهمة في ذلك العدد . فبعد ان التجأ اليهود الى البلاد العربية في شمال افريقيا وصل بعضهم مع الزمن الى القدس وعرفوا بطائفة سَفَارْديم (نسبة الى اسم اسبانيا بلغتهم) . وكان معظمهم يتكلمون اللغة العربية ولهم اسماء عربية ، فلم يجدوا صعوبة في الانسجام مع المحيط العربي والاشتغال بالتجارة والصناعة ، واكتساب ثقة الحكومة العثمانية . وهكذا اصبح افراد هذه الطائفة من الرعايا العثمانيين فاعترفت بهم الحكومة وأصبحوا « ملة » اليهود رسمياً ، وعيّنت من طائفتهم رئيس الحاخامين (حاخام باشي) .

اما طائفة اشكِنَازِيم (نسبة الى اسم اشكناز الوارد في العهد القديم والذي اطلقه أحبار القرون الوسطى على المانيا لسبب غير واضح) فقد جاءت بعد الطائفة السابقة من بولونيا عندما كانت هذه البلاد مقسمة بين روسيا والنمسا وبروسيا ، وعليه كان هؤلاء اليهود يتكلمون ، بالاضافة الى العبرية والروسية ، لهجة المانية عرفت

---

(٥٢) فصّلنا ذلك اعتمادا على الوثائق البريطانية في كتابنا :
British Intereste in Palestine, 1800 — 1901 (Oxford, 1961),
pp. 29 — 37

باليِدِش . واحتفظ هؤلاء بجنسياتهم الروسية والنمساوية والبروسية ، لكي يستفيدوا من الامتيازات الاجنبية ، ولم يمتزجوا مع المحيط العربي ولا مع طائفة السّفارديم ، بلْ كان بين الطائفتين خصام شديد . وكان الاشكنازيم من الغلاة المتعصبين ، كرسوا حياتهم للعبادة ودرس التلمود وتعليمه ، ولم يشتغلوا لكسب الرزق ، بل عاشوا معيشة فقر شديد ، في اماكن غير صحية شديدة الاكتظاظ ، واعتمدوا على إحسان ابناء جلدتهم في اوروبا الذي عُرف اصطلاحاً بالحَالُوكَاه . ومع هذا كان الصرّافون والمرابون في القدس من هذه الطائفة .

هذه حالة اليهود عندما تأسست فيها القنصلية البريطانية وجعلت إحدى وظائفها « حماية اليهود » . فاسرعت ووضعت عدداً من طائفة الاشكنازيم تحت حمايتها ، فتشجعوا وقدم أحدهم طلباً بواسطة القنصلية لشراء قطعة ارض بقرب القدس عندما كان القانون يُحرم ذلك على الأجانب ، فرفض الطلب . وقدم آخر ايضاً بواسطة القنصلية طلباً ليسمح له بتَبْليط « مبكى اليهود » على نفقته . وكان هذا المبكى زقاقاً غير نافذ امام حائط البراق (جزء من الحائط الغربي للحرم الشريف) ، وعلى أرضه كان اليهود يقفون للصلاة امام الحائط فنظر مجلس الشورى في الطلب وأوصى برفضه ، فأصدر محمد علي امراً بالسماح لليهود بزيارة المكان « على الوجه القديم » لكن منعهم من تبليطه « لأنه وجد انه غير جائز شرعاً ... فهو ملاصق الى حائط الحرم الشريف ومحل ربط البراق وداخل في وقفية ابي مَدْيَن ،

وما سبق لليهود تعميره . » [٥٣]

وكان ذلك قبل انتهاء الحكم المصري ببضعة أشهر ، وكان انتهاء ذلك الحكم بتدخل الدول الأوروبية . ويرجع السبب الرئيسي في نجاح ثورة محمد علي الى التدريب العسكري الحديث الذي أدخله في جيشه عن طريق المكاتب الحربية واستخدام المدرّبين الأوروبيين ، فسبق في هذا الباب السلطان محمود . فلما توفي هذا في سنة ١٨٣٩ خلفه ابنه عبد المجيد وكان حدثاً في سن السادسة عشرة ، فرأى الوزراء إصدار مرسوم سلطاني (خطي شريف) ، أُعلن من غُوْلخانه في استانبول ، واعتبره المؤرخون تدشيناً للاصلاحات التي عرفت بالتنظيمات . وأهم ما في المرسوم إقرار مبدأ المساواة بين الرعايا العثمانيين من مختلف الاديان ، واصلاح نظام جباية الضرائب ، ومنع معاقبة المتهم قبل إدانته في محكمة ، ومنع قبول الرشوة . وقد وجدت طبقة العلماء في مبدأ المساواة ما يُخالف العُرْف ان لم يخالف الشريعة ، ووجد بعض النصارى واليهود من جهة ، والدول ذات الامتيازات من جهة اخرى ، فرصة يمكن استغلالها . وقد كان أثر المرسوم في القدس سيئاً ، فالقاضي الشرعي الذي كان حتى الاحتلال المصري بمثابة حاكم المدينة ، لم يكن فيها ما لم يكن ضمن وظيفته أو تحت رقابته ، رأى ان وظائفه سيُنْتَقص منها أو تحول

(٥٣) صدر الامر الى السيد احمد آغا الدزدار متسلم القدس وتاريخه ٢٤ ربيع الأول سنة ١٢٥٦ (٢٨ أيار ١٨٤٠) . راجع مجموعة أسد رستم : الأصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا (بيروت ١٩٣٤) ، ج ٥ ص ٧٨ .

الى غيره ، والعلماء والاعيان الذين كان لهم النفوذ في مجلس الوالي او المتسلم أو المتصرف وجدوا انه سيشاركهم في ذلك نفر من غير المسلمين .

وازداد تنافس الدول ذات الامتيازات في القدس بعد انتهاء الاحتلال المصري ، فادعت روسيا حماية طائفة الروم الارثوذكس في المدينة بل في سائر انحاء السلطنة العثمانية ، وادعت فرنسا حماية طائفة الكاثوليك في المدينة وفي سائر البلاد العثمانية . اما بريطانيا فلم تدّعِ ظاهرا حماية طائفة معينة ، ولكنها فعلاً اهتمت بحماية مصالح اليهود ، ودافعت عن الذين اعتنقوا المذهب البروتستانتي من الارثوذكس او الكاثوليك او اليهود في القدس وفي جميع انحاء السلطنة العثمانية . وازداد نفوذها في استانبول زيادة مطردة ، فاغتنم المبشرون وانصارهم هذه الفرصة ، وأصرّوا على ضرورة انشاء كنيسة جديدة في القدس لطائفة البروتستانت التي كانت في دور التكوين ، وضرورة ارسال أُسقف (مطران) لهذه الطائفة يقيم في تلك المدينة . وأُكْرِهَ السلطان فوافق على إقامة الكنيسة في دار القنصلية (لكنها بنيت فعلاً خارجها في مكان بارز أمام القلعة) . وأرسلت الحكومة البريطانية يهودياً متنصّراً اختِير ليكون مطراناً ، ومعه القنصل البريطاني العام في بيروت ، على بارجة حربية الى يافا ، ومنها ركبا معاً حتى دخلا القدس في كانون الثاني سنة ١٨٤٢ ، دون موافقة الحكومة العثمانية ، بل رغماً عن احتجاجها .

ولم تكن الدول الأخرى ، وخاصة فرنسا وروسيا ، أقل

اجتهاداً من بريطانيا في إظهار نفوذها في القدس . ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر أسّست كل من فرنسا وروسيا قنصلية في القدس ، وسبقت الهيئات الفرنسية والروسية نظائرَها الانكليزية بكثرة ما انشأت في المدينة من المنازل للحجاج ، والأديرة للرهبان والراهبات ، والمدارس والمستشفيات للنصارى العرب . وبلغ تنافس فرنسا مع روسيا أشده في دفاع الأولى عن حقوق الكاثوليك ، والثانية عن حقوق الارثوذكس في الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم . وكانت الحكومة العثمانية تتأرْجح في ميلها نحو هؤلاء أو هؤلاء بحسب تغيّر علاقاتها مع كل من الدولتين . وفي سنة ١٨٠٨ دمرت النار معظم كنيسة القيامة ، وسمح السلطان للارثوذكس بتعميرها ، فأهملوا في ذلك بعض المعالم التي تركها الصليبيون في البناء ، فاغضب ذلك فرنسا ، وارادت الدولة العثمانية إرضاءها ، بل ارضاء روسيا أيضاً ، لكنها عجزت .

وتطـرّفت روسيا عندما حاولت بالتهديد الحصول على حق حماية الارثوذكس ومصالحهم في القدس وسائر أنحاء السلطنة العثمانية ، فلما رفضت تركيا ذلك بتشجيع بريطانيا ، بدأت روسيا الحرب التي تُسمى في التاريخ « حرب القرم » التي بدأت حقيقة كما قال مورخها ، في القدس بل في كنيسة القيامة وحول القبر المقدس . وبعد اعلان الحرب خِيفَ من هجوم الغوْغاء في القدس على الطائفة الارثوذكسية التي بسببها دخلت روسيا الحرب ، فأرسل السلطان أمراً ، قرأه المتصرف على الوجهاء من جميع الطوائف ونشره في المدينة ، يطلب من المسلمين الهدوء ويطمئن جميع النصارى . وقد خسرت

روسيا الحرب لأن كلاً من بريطانيا وفرنسا دخلتها في جانب تركيا . وقبيل انعقاد مؤتمر السلام في باريس في سنة ١٨٥٦ أُعلن في استانبول أمر سلطاني « خطي همايون » أعاد تأكيد مبدأ المساواة بين جميع الرعايا العثمانيين وغير ذلك من الضمانات التي وردت في الأمر السلطاني السابق « خطي شريف » . وقد أعلن الأمر الجديد في القدس ، وكان الذي أعلنه المتصرف كامل باشا الذي أصبح فيما بعد الصدر الأعظم . وبُلّغ الأمر الى الدول في باريس فرحّبت به ووعدت بعدم التعرض للشؤون الداخلية في الدولة العثمانية بحجة حماية هذه الطائفة الدينية او تلك .[٥٤]

- ١٠ -

يمكن اعتبار إصدار الخط الهمايوني في سنة ١٨٥٦ حداً فاصلاً بين عهد قديم وعهد جديد في تاريخ القدس ، اذ بعده امتدت المدينة من داخل الاسوار الى خارجها ، وكثرت فيها مصالح الأجانب وكثر المقيمون فيها منهم ، وحدث ما يشبه الانقلاب في نطاقها القضائي والاداري والتعليمي ، تطبيقاً لمرسومي التنظيمات . اما اتساع المدينة فبدأه أهلها عندما أخذ اغنياء المسلمين يبنون بيوتاً جديدة الى الغرب من باب الخليل باتجاه مأمن الله ، والى الشمال من باب

(٥٤) فصّلنا جميع المسائل المجملة في الفقرات السابقة في كتابنا :

A Modern History of Syria including Lebanon and Palestine (London, 1969), pp. 101 — 103, 106 — 109, 117 — 119

العامود باتجاه الشيخ جراح . وكذلك اخذ اغنياء النصارى يبنون بيوتاً جديدة الى الجنوب والى الغرب من أسوار المدينة على أملاك دير الروم ودير الأرمن . واشتركت الأديرة في ذلك : فدير الروم كان له مصيف في القَطَمُون الى الغرب من البَقْعة التي كان يصيّف فيها الناس منذ عهد المماليك ، ودير الأرمن بنى أبنية جديدة على أملاكه الواقعة على يسار الطريق الى يافا .

لعل أقدم بناء أقامه الأجانب خارج السور وبقربه هو بناء المدرسة التي انشأها غُوبات ، المطران الثاني لطائفة البروتستانت بقرب باب النبي داود . وبعدها اقيمت أبنية عديدة على قطع من الأرض أهدى بعضها السلطان لكل من بريطانيا وفرنسا وروسيا بعد مؤتمر الصلح في باريس : أهدى قطعتين الى الجنوب من باب الخليل بقرب بركة السلطان وعلى الطريق الى بيت لحم فبنى اليهودي البريطاني سيرمُوزِسْ مُنْتِفْيُوري على قطعة منها صفاً من البيوت البسيطة لفقراء اليهود ، وبنت فيما بعد جمعية القديس يوحنا البريطانية على القطعة الأخرى مستشفى العيون المشهور .

وأقام الروس مجموعة من الأبنية عرفت بالمسكوبية على قطعة واسعة من الأرض واقعة على يمين الطريق الى يافا ، بعضها هدية من السلطان الى قيصر روسيا . فأقام الروس عليها بيوتاً لحجاجهم وبيوتاً أخرى للقنصلية والاسقفية مع مستشفى وكنيسة . وأقام الفرنسيون بقرب المسكوبية منزلاً لحجاجهم عرف باسم نُوتْرْدَامْ ومستشفى عرف باسم القديس يوسف . ولكن هدية السلطان عبد المجيد

للامبراطور نابليون الثالث كانت أهم من كل ما ذكر أعلاه . جاء فيما سبق من البحث ان العزيز الفاطمي انشأ « دار العلم » في كنيسة سانت حنة التي قامت بحسب بعض الروايات فوق المكان الذي ولدت فيه مريم العذراء (خلافاً لروايات اخرى انها وُلدت في الناصرة) . وهذا المكان هو قبْو منحوت في الصخر قامت فوقه كنيسة بسيطة جاء ذكرها لاول مرة في القرن السادس للميلاد . وهي في الغالب المكان الذي فتح فيه العزيز دار العلم . فلما جاء الصليبيون أزالوا الكنيسة البسيطة وبنوا مكانها أخرى مع دير للراهبات سمّوه سانت حنة (ام مريم العذراء) ، وآل البناء الى صلاح الدين بعد جلاء الصليبيين ، فانشأ في الدير مدرسته ، وظلّ القبْو مفتوحاً لرهبان الفرنسكان في القدس ولحجاج النصارى من أوربا ولمن كان من طائفة اللاتين في المدينة . ولا يعرف متى بطَل استعمال البناء مدرسةً او لماذا بطلت عادة زيارة القبو . فالمشهور أن المكان كان مهملاً عندما أهداه السلطان الى الامبراطور ، فسلمّه هذا الى الآباء البيض فعمّروه وأعادوه الى ما كان عليه أيام الصليبيين ،(٥٥) وأضافوا اليه بناءاً جديداً لمدرسة لاهوتية وداراً لسكنهم .

هذه لمحة عن بعض ما أقامه الانكليز والروس والفرنسيس من المباني العامة في القدس ، ولم نذكر بعض ما أقامه غيرهم لا لعدم أهميته بل لان غرضنا هو المثل لا الإحاطة . لكن يمكن القول

(٥٥) Father B. Meistermann, Guide to the Holy Land (2nd ed. London, 1923), p. 125 — 26

إجمالاً ان « الهجوم » الاجنبي على القدس اشتركت فيه أُمم أخرى من أهل الغرب ، فأرسلت من اوربا وامريكا بعثات تبشيرية وخيرية لمنفعة النصارى واليهود ، وارسلت أيضاً بعثات علمية وأثرية لدرس تاريخ المدينة المقدسة . فدخل اليها بعد نشوء تلك المصالح كثير من الاجانب الذين استغلوا الامتيازات التي كانت لدولهم ، فوضعوا أنفسهم في مرتبة فوق مرتبة سكان المدينة ، فكان القنصل الاجنبي اذا اختار نصرانياً أو يهودياً من سكانه للعمل في مكتبه صار هذا النصراني او اليهودي ، العثماني الجنسية ، كالاجانب له ما لهم من الامتيازات وخرج من طائلة القانون العثماني .

نعم جلب وجود الاجانب في المدينة بعض المنافع المادية ، وافادت مدارسهم ومستشفياتهم كثيراً من النصارى واليهود من سكان المدينة . ولكن الاثر العام لدخول الاجانب كان سيئاً ، وخاصة في الناحية السياسية ، كما سيظهر عندما نبحث تشجيعهم هجرة اليهود تحت حماية أجنبية . واسوأ آثار الاجانب هو ما يصح تسميته « بالازدواج » الذي جاء بعد التنظيمات وتقليد الغرب . وأول مظاهره ادخال غير المسلمين في المجالس الاستشارية وانتقال كثير من صلاحيات القاضي الى المتصرف ومجلسه المختلط ، واخطرها سنّ القوانين المدنية المنقولة عن القوانين الاوربية وتطبيقها بجانب أحكام الشريعة ، ثم قيام المحاكم المدنية بجانب المحاكم الشرعية . كل هذا رفع يد القاضي الشرعي عن كثير من الاحكام وحصر صلاحيته بالمسائل الشرعية الصرفة ، مع انه ظل ينوب عن المتصرف اثناء غيابه أو قبل تعيين خلفه .

ثم جاء دور التعليم ، فصدر في سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) قانون المعارف ، وليس فيه مايتعلق بإعادة الحياة الى المدارس الاسلامية الأهلية ، لا في القدس ولا في غيرها ، بل نص على انشاء نظام جديد من المكاتب على الطراز الأوروبي مدرّجة هكذا : صبيانية (ابتدائية دُنيا) ، رُشْدية (ابتدائية علْيا) ، إعْدادية (ثانوية دنيا) ، سلطانية (ثانوية عليا) ، عالية (ملكية وعسكرية ودور المعلمين وغيرها) ، دار الفنون (الجامعة) ، ولم يؤسَّس من هذه المكاتب في القدس إلاَّ الصبيانية والرشدية والإعدادية . وكان الذين يكملون الأخيرة يذهبون الى المكتب السلطاني في بيروت ، وبعدها الى المكاتب العالية في استانبول ، وهذه كلها كانت في العاصمة [٥٦] .

والمشهور ان اللغة التركية لا العربية كانت لغة التعليم في هذه المكاتب الرسمية في القدس وغيرها من المدن العربية لكن الحقيقة خلاف ذلك ، اذ لم يكن بالامكان عملياً تعليم ابناء العرب باللغة التركية في المكاتب الصبيانية ، لعدم وجود عدد كافٍ من المعلمين الذين يعرفون تلك اللغة ، ولهذا السبب ايضاً لم يكن التعليم دائماً باللغة التركية في المكاتب الرشدية . اما المكاتب الإعدادية وما فوقها فكانت اللغة التركية لغة التعليم فيها . وهنا نذكر أحد المكاتب الاعدادية التي فتحت في القدس لعلاقته بالماضي . فقد فتح هذا المكتب في بناء

(٥٦) فصلنا ذلك في كتابنا
Arab Education in Mandatory Palestine (London, 1956),
p. 128 f.

المدرسة الميمونية التي كانت مهملة حينئذٍ . أسَّسها أبو سعيد مَيْمون ابن عبد الله القصري ، خَازِنْدار صلاح الدين ، في سـنة **٥٩٣ هـ** (١١٩٦م) ، وظلت عامرة حتى القرن الثاني عشر (الثامن عشر) ، ثم أهملت حتى سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) عندما فتح فيها المكتب الاعدادي العثماني ، ولكن الاسم حُرّف فصار المأمونية ، وبهذا الاسم قامت مدرسة للبنات في البناء نفسه في عهد الانتداب البريطاني .[٥٧]

وبعد نحو عشرين سنة من التنظيمات الجديدة في القدس وفَتْحِها للأجانب أصبحت مصالحهم فيها كثيرة وكلمتهم مسموعة . وكان ذلك من الاسباب التي جعلت الحكومة العثمانية تُرسل اليها خيرة الرجال لتوليّ وظيفة المتصرف . وبعد كامل باشا الذي ذُكر اعـلاه تولاها عدد من المشهورين منهم نظيف باشا ، فهو الذي اهتم بتعبيد الطريق من القدس الى يافا ووضع الحرس عليهـــا لتسهيل الحج والتجارة . وهو الذي أشرف على عمارة المسجد الأقصى ومسجد قبة الصخرة التي بدأت في عهد السلطان محمود واستمرت في عهد السلطان عبد العزيز . يذكر المؤرخون عبد العزيز بالبذخ والتبذير وقلَّما يذكرون له هذه الحسنة ، فقد بذل المال بسخاء لعمارة المسجدين التي كادت في بعض الأماكن تكون بناءً جديداً .

وجُعلت القدس متصرفيـة ممتازة متصلة رأساً باستانبول بعد صدور قانون الولايات في سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧١ م) ، وبعد اربـع

(٥٧) جاء ذكر وقفية المدرســة الميمونية في السجـل رقم ٢٢٨ صفحة ٢٥ (المحكمة الشرعية بالقـدس) ، عارف العارف ص ٢٣٩ .

سنين صدر قانون آخـــر خاص بانشاء مجالس بلدية في مراكز الولايات والمتصرفيات (٥٨) . لكن المجلس البلدي في القدس قبـــل ذلك ، كان تولّى منذ سنة ١٨٦٣ بعض مسؤوليات القاضي وبعض مسؤوليات المجلس الاستشاري في ادارة شؤون المدينة الداخلية كالنظافة والمياه والاسواق تحت رقابة المتصرف العامة . ويرد ذكر « بلدية » القدس في تقرير عن مشروع مياهها أرسله القنصل البريطاني الى السفارة في استانبول في سنة ١٨٧٤ .

وغيّر معظم ما سبق ذكره من حوادث وانقلابات معالمَ مدينة القدس ، وأضعف صفتها الاسلامية ، وقلّل العمل بنصوص الشريعة فيها ، خذ مثلاً على ذلك السماح ببناء الكنائس والكُنُس الجديدة وأولها كنيسة الانكليز البروتستانت ، وما بُني بعدها من الكنائس في المسكوبية والجسمانية وعلى جبل الزيتون ، بناها الروس وغيرهم من الأجانب ، ومن هيئاتهم الجمعية الكنسية التبشيرية (البريطانية) التي ساعدت البروتستانت من العرب لبناء كنيسة مار بولص في سنة ١٨٧٤ على الطريق الى نابلس .

امـا اليهود فكانت لطائفة السفارديم منهم كنيس منذ اواخر عهد المماليك ، وصفها القنصل البريطاني في اواسط القرن التاسع عشر بأنها مكونة من أربع كُنُس تحت سقف واحد . وأما اقلية اليهود أي طائفة الاشكنازيم فقـــد سُمح لهم ، بمساعي السفير البريطاني ،

---

(٥٨) خطط الشام لمحمد كرد علي (دمشق ، ١٩٢٧) ج ٥ ص ١٤١ وما يليها . وتقرير القنصل البريطاني المذكور موجود في دارالوثائق العامـــة بلنـــدن FO /195/1047 (21 February, 1874).

تعمير كنيس خرّبة ، ظل اسمها بعد تعميرها « خُرْبه » بالعبرية دليلاً على حالتها السابقة ، وقد حضر القنصل البريطاني صلاة تدشينها في سنة ١٨٥٨ [٥٩] . ولكن ممثل ملة اليهود في المجلس الاستشاري ثم في المجلس البلدي كان من السفارديم لا الاشكنازيم ، فالأولون كانوا عثمانيين اما الآخرون فكانوا اجانب وتحت حماية اجنبية .

ولأسباب مشابهة كان ممثل النصارى عادة من ملة الروم أو الأرمن لا من الكاثوليك (اللاتين) ، فهؤلاء كانوا اقل عدداً وأصلهم واسمهم كان فيه صدى للحروب الصليبية . ولم يتغيّر نظر الحكومة العثمانية لهم بعد سنة ١٨٤٧ عندما أعاد البابا تأسيس البطريركية اللاتينية في القدس ، فهذه كما سبق ذكره انشأها الصليبيون بعد تعطيلهم البطريركية الارثوذكسية . فلما أخرجهم صلاح الدين من القدس خرجت معهم البطريركية اللاتينية وعادت الارثوذكسية الى الظهور . وبمساعي السفير البريطاني اعترفت الحكومة العثمانية بالبروتستانت ملة جديدة رغماً عن قلة عددهم وحداثة تكوين طائفتهم .

ذُكر اعلاه ان افراد الطوائف غير الاسلامية من الرعايا العثمانيين اصبحوا متساوين مع المسلمين في الحقوق والواجبات بحسب نصوص المرسومين السلطانيين . ومن هذه الواجبات التي فرضها الخط الهمايوني على غير المسلمين لأول مرة هو الخدمة العسكرية في الجيش العثماني الذي كان دائماً مكوّناً من المسلمين فقط . وكان القصد من ادخال غير

---

(٥٩) James Finn, Stirrins Times (London, 1878), Vol. I , p. 103;

المسلمين فيه ايجاد حيلة لاعفائهم من دفع الجزية التي كرهوها . ولكن الحيلة لم تنجح ، فاشترى المكلّفون من غير المسلمين اعفاءهم من الخدمة العسكرية بمبلغ من المال عُرف اصطلاحاً « بالبَدَل » ، أي انهم ظلوا يدفعون الجزية تحت اسم آخر .

وذِكْرُ الطوائف المختلفة في القدس يستدعي العودة لمحاولة بيان عدد كل من المسلمين والنصارى واليهود فيها اثناء الرُبْع الثالث من القرن التاسع عشر ، وتوضيح ذلك ضروري لازدياد المبالغة والمناقضة في تخمين عدد اليهود مؤخراً ، واستغلال الدعاية الصهيونية لزَعْم من زَعَم انهم كانوا اكثرية السكان حينئذٍ وبعدئذٍ . وأول من وضّح سبب المناقضة هو قَسّ انكليزي كان رفيقاً في كلية الملك في جامعة كامبردج وجاء مع الاسقف البروتستانتي الاول الى القدس فألف كتاباً في مجلدين عنها قال فيه : « من المستحيل التوفيق بين الارقام المتضاربة عن سكان القدس ، فالحكومة (العثمانية) لا تُحْصي عددهم احصاءاً رسمياً » (٦٠) .

ولا جدال في صحة هذا التفسير مدة تقرب من ثمانين سنة ، من منتصف القرن التاسع عشر عندما كُتب الى سنة ١٩٢٢ عندما تَمّ اول احصاء في تاريخ فلسطين الحديث اثناء الانتداب البريطاني . اما أسباب المبالغة في عــدد اليهود فكثيرة ، منها رغبة مبشري البروتستانت الذين كانوا يحاولون تنصير اليهود في القدس اثبات النبوة الخاصة برجوعهم ، ومنها ان المبالغين كانوا من محبي اليهود كالقنصل

---

(٦٠) Ceorge Williams, The Holy City (London, 1849), vol. I I, p. 613 — 14.

البريطاني الثاني الذي قيل عنه انه « نصف يهودي » . ومنها ان المبالغين كانوا بعض اليهود الذين ارادوا ، حتى قبل ظهور الصهيونية تحسين الهجرة الى فلسطين عند يهود اوروبا . فما الذي زعمه هؤلاء ؟

قال القنصل البريطاني « نصفُ اليهودي » في سنة ١٨٥٨ إن عدد اليهود في القدس كان ٨,٠٠٠ أو نصف سكانها ، وان عدد المسلمين فيها لم يزد على الربع (اي حوالي ٤,٠٠٠) ، ولم يقل شيئاً عن النصارى ، لكنه يستنتج من قوله السابق أنهم شكّلوا الربع الباقي . ثم قال هذا القنصل نفسه في سنة ١٨٦٤ (قبيل انتهاء عمله في القدس) ان مجموع سكانها كان ١٥,٠٠٠ (٨,٠٠٠ من اليهود ؛ ٤,٥٠٠ من المسلمين والباقي من النصارى) [٦١] . معنى هذا الكلام ان مجموع سكان المدينة نقص الفاً في ست سنوات ، وان عدد اليهود ظلّ دون زيارة اثناء تلك السنوات ، وان عدد المسلمين زاد ٥٠٠ نسمة فقط اثناء تلك السنوات ، وان عدد النصارى نقص ٢,٥٠٠ نسمة . فمن الواضح انه لا يمكن قبول أرقام يلغي بعضها بعضاً على هذه الصورة !

ثم جاء قنصل بريطاني آخر اعتمد مثل سلفه على الحدس والتخمين ، مع انه لم يكن مثل سلفه أعمى البصيرة في محبة اليهود . قال في سنة ١٨٦٥ ان عدد سكان القدس بلغ ١٨,٠٠٠ فيهم ٨,٠٠٠ — ٩,٠٠٠ من اليهود ، ٥,٠٠٠ من المسلمين ؛ والباقي من

---

(٦١) دار الوثائق العامة في لنـدن :
FO/78/1383 : From Consul Finn to Clarendon (1st January, 1858), FO/195/808 : Consul Finn's Report (May, 1864). (٦١) vol. I I , p. 462 — 63 .

النصارى . ثم قال في سنة ١٨٧٤ ان عدد اليهود الأجانب كان حوالي ٣٠٠٠ نسمة .[٦٢] وكلام هذا القنصل ايضاً لا يمكن قبوله لأنه لا ينطبق على كلام من سبقه ولا على ما جاء في مصدر اشتهر بالدقة ، اذ في سنة ١٨٧٦ (اي بعد سنتين من آخر تقرير قنصلي) أصدر بَدِكَرْ اول دليل للمسافرين في فلسطين وسورية ، فقدّر عدد سكان القدس بنحو ٢٤٫٠٠٠ (منهم ١٢٫٠٠٠ من المسلمين و ٧٫٠٠٠ من النصارى و ٤٫٠٠٠ من اليهود .[٦٣] فاذا قُوبل هذا مع ارقام القنصل البريطاني عن سنة ١٧٧٤ تبين ان مجموع سكان المدينة زاد في سنتين من ١٨٫٠٠٠ الى ٢٤٫٠٠٠ ، وزاد عدد المسلمين في هاتين السنتين من خمسة آلاف الى ثلاثة عشر ألفاً ، وزاد عدد النصارى من اربعة آلاف الى ستة آلاف ، وانخسف عدد اليهود من تسعة آلاف الى اربعة آلاف . هذه الأرقام اقرب الى الحقيقة ولكنها مثل غيرها قائمة على التخمين والتقدير ، لا على احصاء رسمي دقيق ، وفهمها يحتاج الى النظر في المساحة التي عرفت بحارة اليهود .

من المحقق ان جميع اليهود أقاموا حتى حرب القرم في المدينة داخل الاسوار في تلك الحارة . وكلمة الحارة معناها في القدس الحي ، وكان معناها سابقاً الشارع ، وهذا كان معناه الخط . ووُجد اليهود

---

(٦٢) دار الوثائق العامة في لنــدن :

FO/195/808 : Consul Moore's Report (March, 1865) .

FO/195/1047 : Consul's Moores Report (21 February, 1874) .

(٦٣) Karl Baedeker, Handbook for Travellers (Palestine and Syria), 1876 edition p. 161 — 62 .

اولاً في خط او شارع واحد على المنحدر الواقع بين حارة الأرمن من الغرب وحارة الشرف الاسلامية من الشرق . وهذا الحيّز الضيق لم يتسع بعد نهاية القرن الخامس عشر لايواء اللاجئين من اسبانيا والمهاجرين من بولونيا ، فاستُؤجرت بيوت المسلمين في الشوارع المجاورة لهذا الغرض . وكان كثير من هذه البيوت على املاك الأوقاف الخيرية أو الذُرية وبعضها على الاملاك الخاصة ، وهذا مثل على ذلك يعود الى القرن السابع عشر مأخوذ من سجلات المحكمة الشرعية لسنة ١٠٢٨ هـ (١٦١٨ م) التي تَنُصُّ على ان احد علماء القدس وهو السيد عبد القادر الوفائي قد أجّر « لليهودية المدعوة عزيزة بنت اسحق جميع الدار العلوية والقاعة السفلية القائمة البناء بمحلة الشرف بالقدس الشريف ، سكناً وإسكاناً لمدة خمس سنوات بأجرة قدرها ستون غرشاً اجرة كل سنة اثنا عشر غرشاً » (٦٤)

كان شراء الاملاك غير المنقولة مباحاً لطائفة السفارديم لأنهم كانوا من الرعايا العثمانيين ، أما طائفة الاشكنازيم فلم يسمح لهم ذلك الى أن صدر القانون العثماني الخاص بتملك الأجانب في سنة ١٨٦٧ . وهذا يفسر ما جاء في تقرير من القنصل البريطاني ان طائفة السفارديم أجبرت القادمين من طائفة الاشكنازيم على دفع ضريبة حتى يسمح لهم بالاقامة في الحي اليهودي (٦٥) ، فضيقه سبب كثافة شديدة في سكان المنازل الموجودة وضرورة استئجار ما أمكن استئجاره

(٦٤) سجل رقم ١٠٢ صفحة ٧٣ .

(٦٥) ذكر ذلك القنصل البريطاني « فِنّ » في تقريره
FO/78/2068 (27 June, 1849) .

من املاك الوقف الاسلامي أو املاك المسلمين الخاصة . والغريب ان القنصل الذي ذكر مما سبق لم يدرك استحالة وضع اكثرية السكان (على زعمه) في أصغر مساحة من المدينة !

على كل حال كان اليهود الاشكنازيم رعايا دول اجنبية ، دخلوا المدينة واقاموا فيها اقامة موقته ولم يدفعوا شيئاً من الضرائب ، ولكن لم تكن لهم حقوق اليهود العثمانيين في انتخاب رئيس الحاخامين أو ممثل الملة في المجلس الاستشاري او المجلس البلدي . فالذي يستنتج مما سبق من البحث انه قُبَيْل الانتخابات البلدية التي سبقت الانتخابات النيابية في سنة ١٨٧٨ كانت اكثرية سكان القدس من المسلمين ، مع أقلية من النصارى (نحو نصف المسلمين ، على تقدير بَدِكَرْ) وأقلية أقَلّ منها من اليهود (اقل من ثلث المسلمين ونحو نصف النصارى ، بحسب تقدير بَدِكَرْ أيضاً) . أما عدد المسلمين او النصارى او اليهود بالضبط فلا يُعرف ولا يمكن قبول أي تقدير له للأسباب السابقة الذكر .

لكن الانتخابات دلّت على صحة النِّسَب السابقة على وجه الاجمال . فكان رئيس البلدية مسلماً ، ومَثّل النصارى في المجلس البلدي عضو واحد ، كما مَثّل اليهود (العثمانيين) فيه عضو آخر . وانتخب رئيس البلدية عُضْواً في المجلس النيابي (المبعوثان بالتركية) في استانبول . وهذا ما كانت عليه الحالة عندما بدأ التوازن بين سكان القدس يَخْتَلّ بهجرة اليهود من روسيا اليها بعد سنة ١٨٨٢ .

للبحث صلة

عبد اللطيف الطيباوي

نحو معجم جديد

الدكتور حسين نصار

في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، أي منذ اثني عشر قرناً من الزمان ، ابتكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أول معجم للغة العربية .

قد يقال إن العرب أصدروا كتباً لغوية كثيرة قبل أن يفكر الخليل في كتابه . وهذا حق . ولكن هذه الكتب ليست معاجم ، ولا نستطيع أن نعدها كذلك . لأنها تختلف عن المعاجم في الهدف ، والمنهج ، وان اتفقت معها في الاهتمام بألفاظ اللغة وجمعها وتدوينها .

رمى الخليل الى اجراء حصر للغة العربية ولكنه كان على يقين من عجزه عن حصر جميع الالفاظ العربية ، وما يدل عليه كل لفظ من معان حتى قال قولته المشهورة : لا يحصر اللغة العربية الا نبي ، يريد أن انساناً عادياً يعجز عن ذلك ، ويحتاج الامر الى فرد ملهم تمده القدرة الالهية بطاقة غير بشرية . ولذلك لجأ الى نوع ممكن من الحصر .

فكل ما في اللغة من ألفاظ يتكون من حروف تتآلف على هيئات وأبنية معروفة . فإذا حصرنا الحروف والهيئات حصرنا الصيغ

اللغوية أو الالفاظ . وذلك أمر يسير . فالعربية تضم – في رأي الخليل ٢٩ من حروف الهجاء . ويمكن أن يأتلف عدد من هذه الحروف معاً في الكلمة الواحدة ، وألا يأتلف . فإذا ما ائتلفت كان أصغر بناء لائتلافها يضم ثلاثة حروف ، وأكبر بناء يضم خمسة حروف .

وقد اعتمد الخليل على هذه الأسس في معجمه الذي سماه « العين » ، فوصل الى الهدف الذي رمى اليه .

ولكنه اشتمل على عدد من النقائص والمصاعب ، شأن كل عمل مبتكر على غير مثال سابق . وحذا بعض أصحاب المعاجم التالية حذوه ، فاشتملت معاجمهم على ما اشتمل عليه العين أو كادت . وفطن بعضهم الآخر الى بعض النقائص فخلصوا معاجمهم منها .

وكانت الصعوبة الأولى ترتيبه حروف الهجاء وفق مخارجها من جهاز النطق البشري[1] ، مبتدئاً بالحروف الحلقية ومنتهياً بالشفوية . فكان الحرف الأول عنده العين ، ومنه اكتسب المعجم اسمه ، والحرف الأخير الميم . ولما كان هذا الترتيب غير مألوف كان عسيراً على الباحثين .

وعلى الرغم من صعوبته التزمه أبو علي القالي في « بارعه » مع تغيير في ترتيب الحروف ، وأبو منصور الأزهري في « تهذيبه » ، وابن سيده في « محكمه » والصاحب بن عباد في « محيطه » . وإنما تجنبه ابن دريد (المتوفى في ٣٢١ هـ) في « جمهرته » عندما عدل عنه الى الترتيب الالفبائي المعتاد . ولكن أموراً متعددة راعاها في

المعجم ، وفي الملحقات الختامية أفسدت عليه ترتيبه الألفبائي ، وجعلت البحث في الكتاب عسيراً كل العسر .

وسار أحمد بن فارس على هدي ابن دريد في الترتيب الألفبائي ولكنه بدأ كل حرف – مهما كان موقعه من الالفباء – مؤتلفاً مع ما يليه في الترتيب الالفبائي ، متأثراً في ذلك بالخليل الذي كان مضطراً الى هذا الاجراء بسبب مراعاته لنظام التقاليب . فأفسد ترتيبه بعض الافساد وقلّل من أهميته .

وكان من الممكن أن تتخلص المعاجم من كل نقص في الترتيب في الخطوة التالية لولا سيادة الاتجاه الادبي الذي كان يحتفل كل الاحتفال بالحرف الاخير من الكلمة من أجل القافية والسجعة . فاتجهت انظار المعجميين – على يد البندنيجي (ت ٢٨٤ هـ) والفارابي (ت ٣٥٠ هـ) والجوهري (ت في حدود ٤٠٠ هـ) ومن قلدهم الى أواخر الكلمات أولاً ثم أوائلها ثانيا ثم حروفها المتوسطة أخيراً .

واستمر هذا النظام طويلا ، وأخرج أهم المعاجم العربية وأكبرها مثل صحاح الجوهري ، وعباب الصغاني ، والقاموس المحيط للفيروزابادي ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس لمرتضى الزبيدي .

ووصل الترتيب الى كماله عند الزمخشري في أساس البلاغة . فقد التزم الترتيب الالفبائي ، وأخضع له الكلمات مبتدئاً بحروفها الاولى فالثانية فالثالثة فالرابعة فالخامسة . وكان هذا أيسر ترتيب ابتكرته العربية . ولذلك التزمته المعاجم الحديثة .

وكانت الصعوبة الثانية نظام الأبنية . فقد قسم الخليل كل حرف

من حروف العربية الى أبواب حسب الأبنية التي تضمها . فكان الباب الأول لما نسميه اليوم الثلاثي المضاعف مثل شدّ ، والباب الثاني للثلاثي الصحيح مثل عمل ، والثالث للثلاثي المعتل مثل عرا ، والرابع للثلاثي اللفيف مثل وعى ، والخامس للرباعي مثل جعفر ، والسادس للخماسي مثل جحمرش .

والتزم هذا النظام التزاماً تاماً أو قريباً من التمام القالي والأزهري وابن سيده وابن عباد وابن دريد . ولم يتجنبه ابن فارس تجنباً تاماً وانما حصره في ثلاثة أبواب فقط ، هي الثلاثي المضاعف ، والثلاثي الصحيح ، وما زاد على ثلاثة حروف أصلية . فيسّر الأمر . وترك التغلب التام عليه للجوهري في « الصحاح » فانه لم يأبه للأبنية ، وأورد الألفاظ وفق ما تشتمل عليه من حروف سواء كانت ثلاثية أو رباعية أو خماسية . وعلى هذا المنوال سارت المعاجم التي قلدت الصحاح في الترتيب ، وكذلك أساس البلاغة والمدرسة الحديثة .

وكانت الصعوبة الثالثة نظام التقاليب . فمن أجل حصر المواد اللغوية ، التزم الخليل أن يأتي بكل الصور أو التقاليب الممكنة من ائتلاف عدد من الحروف متوالية في موضع واحد .

فكان يورد في أبواب الثلاثي المضاعف الصورتين الممكنتين متواليتين مثل شبّ وبشّ ، وفي أبواب الثلاثي الصحيح الصور أو التقاليب الستة مثل لعب ، لبع ، عبل ، بلع ، بعل ، مع التصريح بما استعملته العربية من الصور وبما اهملته . ولم يفعل ذلك في الرباعي والخماسي لكثرة التقاليب وغلبة المهمل .

وقد تخلصت المعاجم العربية سريعاً من هذا النظام . فقد تجنبه ابن دريد في أكثر الابواب والتزمه في أقلها . وتخلص ابن فارس منه نهائياً .

ونستطيع أن نقول ان المعاجم العربيــة تخلصت بذلك من مصاعب ترتيب الالفاظ في المعجم . ولم يبق غير مشكلة المجرد والمزيد . فالمعاجم العربية كلها تعتمد في الترتيب على المجرد أي الحروف الاصلية التي لا تسقط من أية صورة من صور المادة اللغوية لغير سبب صرفي ، وتهمل الحروف المزيدة التي ترد في بعض الصيغ وتختفي من بعضها الآخر . فالكاف والثاء والراء هي الحروف الأصلية من كثر ، وبقية الحروف التي تظهر في أكثر ومكثر وتكثر ومكاثر واستكثر ... الخ مزيدة . واذن فالواجب على الباحث في المعجم العربي أن يميز بين الأصلي والمزيد من الحروف ليعرف موضع الكلمة .

وقد اختلف اللغويون في الدعوة الى الاعتداد بالحروف المزيدة والاصلية والاعتماد على صورة الكلمة مهما كانت في الترتيب . والسبب أن ذلك يفرق الصيغ المأخوذة من مادة واحدة ، فيبعد المعنى الأصيل في بعض الأحيان .

ويكاد الامر يستقر بينهم الآن على الاعتداد بالحروف الأصلية وحدها في المعاجم اللغوية الخالصــة ، والاعتداد بالحروف الاصلية والمزيدة في معاجم المصطلحات والمعاجم التي تقتصر على موضوع واحد مثل النبات أو الحيوان أو ما الى ذلك .

واذا ما خلصنا من ترتيب المواد اللغوية برز أمامنا داخل المادة اللغوية الواحدة :

فالخليل لم يخضع داخل المادة اللغوية لأي نظام : لا في الصيغ ولا في المعاني . ولذلك تتناثر الصيغ المترابطة والمتقاربة بل الصيغة الواحدة في ارجاء المادة بحيث يجب عليك أن تقرأ المادة كلها لتعثر على ما تريد وتطمئن الى انك اطلعت على كل ما جاء بشأنه . وكذا الامر في المعاني ، والشواهد القرآنية والشعرية وغيرها وسارت على هذا المنوال المعاجم القديمة كلها غير بعض المحاولات القاصرة .

فقد عزل أبو بكر الزبيدي في « مختصر العين » الصيغ الرباعية المضاعفة ، والصيغ المضاعفة الطرفين مثل كعك ، والصيغ الثنائية المخففة مثل صه عن مجرى المادة المتدفق ، وأتى بها في ختامها . والتقط ابن سيده منه هذا الاجراء فطبقة في محكمة .

وفطن احمد بن فارس الى أن المادة اللغوية الواحدة قد تدل على معنيين اصليين أو اكثر تندرج تحتها صيغها . فالتزم في « مقاييسه » أن ينبه على هذه المعاني الاصلية ، وأن يفرق بين كل واحد منها ، ويأتي تحته بما يحتوي عليه من صيغ .

وعزل الزمخشري في « اساسه » المعاني الحقيقية عن المعاني المجازية وعن الاستعارة .

وعلى الرغم مما شاب هذه المحاولات من نقص ، وخاصة محاولة الزمخشري يحمد الباحث لأصحابها ما ابتكروه وتصوروه ، ويعذرلهم النقص في التطبيق .

ويصل الامر الى كماله في المعاجم الحديثة ، وخاصة ما اصدره بطرس البناني وسواه من اللبنانيين ومجمع اللغة العربية بالقاهرة .

فكل صيغة لها موضعها المحدد ، وتوضع معانيها جميعا في موضع واحد ، فلا يضل الباحث في متاهات المادة ، ولا تزحمة المكررات .

ولم يضبط الخليل في أكثر الاحيان المواد والصيغ التي تحدث عنها ، فتسرب اليها التحريف والخطأ في الشكل .

ولكن اللغويين تنبهوا الى ذلك الخطر سريعاً . نجد أمثلة ذلك في بارع القالي الذي يضبط مادته ضبطا محكما . ولكن الامر الذي يؤسف له أن من جاء بعده لم يلتزم نهجة في اصرار ، وانما ضبط احيانا . وأهم المعاجم القديمة في الضبط تاج العروس .

أما المعاجم الحديثة فالتزمت الضبط التام تصريحاً أو تلميحاً أو اشارة ، بحيث يمتنع الخطأ فيها ، على الرغم من الايجاز الذي التزمته في اشاراتها .

وفطن اللغويون القدامى الى ان الخليل لم يورد جميع المواد اللغوية ، ولا كل الصيغ ، ولا جميع المعاني . فتوالت الكتب التي تستدرك عليه ما فاته ، اضافة الى المعاجم نفسها التي حاولت ذلك في صمت مهـــذب أحياناً ، وفي اعلان معلم أحياناً ، وفي جهر متبجح أحياناً .

وعلى الرغم مما فعل اللغويون القدامى مشكورين ، ومن بذلهم الجهود السخية في الجمع ، لا نستطيع الادعاء بأنهم جمعوا فأوعوا ، ولم يتركوا شاردة ولا واردة . فما زال العلماء المحدثون يعثرون فيما كشفوا عنه من دواوين ومجاميع ومختارات شعرية على ما لم يدونه

اللغويون ، فيستدركونه عليهم . وقد صنع الأستاذ عبد السلام هارون قائمة من هذه المستدركات ، دونها في ختام المفضليات .

ونخلص من هذا بأن الصورة المثلى للمعجم عند العرب هي المعجم الذي يلتزم بالترتيب الالفبائي لحروف الهجاء الأصول ، يطبقها على الكلمات وفق صورتها الطبيعية من أوائلها إلى أواخرها تدريجيًا .

وهو المعجم الذي يفصل بين المعاني المختلفة لكل مادة ، ويورد الصيغ في مواضع محددة لاتعدوها ، وهو المعجم الذي يضبط فيسهل على الصغير القراءة كما يسهل على الكبير .

هذه هي الصورة المثلى : اقتربت منها معاجم وابتعدت عنها معاجم ، ولكنها الصورة المثلى عند القدماء . ويبقى عند المحدثين كلمات وكلمات تعطى صوراً أخرى تعتمد على تطورات مغايرة للتطور القديم .

يبقى المعجم العام ، أعني المعجم الشامل لجميع ما تحتوي عليه العربية . ولعل أول خطوة في سبيل تنفيذه جمع ما بقى عندنا من المعاجم القديمة والرسائل اللغوية ، واستخلاص ما تتضمنه من صيغ ومعان . ويكفي أن أشير الى أنني في أثناء تحقيقي لبعض أجزاء تاج العروس عثرت على أشياء في اللسان وليست في التاج على الرغم من رجوعه واحتوائه عليه بل عثرت على أشياء أتى بها صاحب التاج في مواضع متفرقة ولم يأت بها في موضعها الجدير بها . فما بالنا

ببقية الكتب التي ربما لم يرجع اليها أحد من أصحاب المعاجم الباقية . وهذة الخطوة على أهميتها أيسر الخطى .

والخطوة الثانية جمع ما بقي عندنا من التراث العربي كله دون استثناء ما ، لا أفرق بين كتاب كبير وآخر صغير ، أو كتاب عظيم وآخر حقير ، أو كتاب في الدين وآخر في العبث أو السحر ، وانما اريد كل شيء ، وفي كل علم وفن ومنحي .

وعند ذلك تصنف التراث حسب ما يحتوي عليه من موضوعات ، تصنيفا دقيقا على أنواع النشاط الفكري البشري المعروفة .

ونقسم كل واحد من هذه الاصناف تبعا للقطر الذي أصدره ، سواء كان قطرا عربيا أو قطرا أسلاميا أو قطرا يضم جاليات اسلامية ، ومهما كان موقعه من أرجاء العالم ، ولا يهمني منه الا ان يكون مكتوبا بلغة عربية ، مهما كان مستواها من الصحة أو الفصاحة ، قد نهمل في مبدأ الامر بعض الاقطار لضآلة ما أنتجته وبعده عن العربية الحقّة ، مثل بعض أقطار افريقيا والشرق الاقصى . ولكن هذه الضآلة نفسها تجعلني (أتساءل) : ولم نهمله ، وهو هيّن الانجاز ؟ .

ونخضع كل واحد من هذه الاصناف للتاريخ العربي ، فنقدّم ما كان تأليفة مبكرا ، ونؤخر ما كان متأخراً ، وأتدرج به الى يومنا هذا . وأعتقد أن أبناءنا سيصلون منه ان شاء الله ما انقطع بانقطاعنا .

ونغذي العقول الحاسبة أو الحاسبات الالكترونية بهذا التراث

كله ، كما يفعل الآن الأخ العالم الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح بالدواوين الجاهلية ، وعدد من عرب الولايات المتحدة الامريكية المهتمين بتراثهم القديم بجماعة من الكتاب العرب .

ثم نطلب الى هذه الحاسبات أن تعطينا كلمة كلمة ، فتعطينا الكلمة في استخداماتها كلها مصنفة على الاقطار ، ومرتبة على السنوات ، وما علينا الا أن نتتبع معانيها في هذه الاستعمالات ان تعددت ، ونتبين الاختلاف بينها ان تغايرت ، ونستنبط أسباب التباين . ان فعلنا ذلك أرخنا لهذه الكلمة . وان فعلنا ذلك في كل كلمة أرخنا للغة . وان أرخنا للغة أرخنا للفكر العربي .

ذلك هو المعجم الشامل الذي أتصوره . و تصور أن هيئة واحدة أو قطرا منفردا أو جيلاً معيناً يعجز عن انجازه وانما هذا عمل هيئات واجيال واقطار متضافرة . ترصد له المال المتصل ، وتقسم العمل المتكامل ، وتهيىء الوسائل لاطراد السعي ، فلا توانى ولا تقصير ولا اهمال . ان تحقق ذلك كان معجمنا أو موسوعتنا أو خزانة فكرنا . والا فهو أمل بعيد المنال .

ولقد عانت الأمم الأخرى أعظم مما علينا أن نعاني نحن لانجاز مثل هذا المعجم . فلم تكن الحاسبات الالكترونية قد اخترعت ولا عرفت طرق الافادة منها في المجالات اللغوية . فاضطرت هذه الأمم أن تعتمد على الجهد البشري وحده .

ويمكن أن نتخذ من معجم اكسفورد الكبير في اللغة الانجليزية مثالاً . فقد بدأ العمل فيه سنة ١٨٥٧ م ، وظهر الجزء الأول منه

سنة ١٨٨٨ م . والجزء العشرون (وهو الأخير) في سنة ١٩٢٨ م .

وقد أشرف على انجازه جماعة كبيرة من العلماء كانوا ينشرون من وقت الى آخر عناوين عدد من الكتب يلتمسون من القراء أن يطلعوا عليها ، ويلتقطوا منها كلمات عينوها لهم ، يوردونها في استعمالاتها . وقد لبى هذه الالتماسات نحو من ١٣٠٠ قارىء ، اختاروا نحو ثلاثة ملايين ونصف المليون من الشواهد التي التقطوها من نحو ٥٠٠ كتاب . وانكب العلماء الكبار والمساعدون على هذه المادة المجموعة ينظمونها ويمحصونها ويدرسونها ويدونونها في مواضعها المناسبة من المعجم الى أن تم . ولم يكن ليتم بدون هذا التنظيم ، والتطوع ، والدراسة ، وما تستلزمه .

ويبقى المعاجم الخاصة بالأدباء . فقد فطن اللغويون الغربيون الى أن كل أديب له نهجه الخاص في التعبير ، سواء أنظرنا الى معاني الكلمات التي يستخدمها أو الى الطريقة التي يجمع بينها وبين غيرها من الالفاظ في عبارات وجمل ، فالاديب الكبير خاصة يوسع من معاني الكلمة ويضيق ويجري شيئاً من التغيير ويزيد بعض الاضافة المجازية ، وتترابط ألفاظ معينة في ذهنه ، وتتصرف تصرفات قد تغاير تصرفاتها عند غيره . ولا شيء يبرز لنا كل هذا سوى المعجم الذي يقتصر على هذا الأديب ، ويحتوي على كل ما استعمله من الفاظ مفردة ومركبة .

وقد رأيت معجماً صنعه الانجليز لشاعرهم الكبير شيكسبير ولكنهم اقتصروا فيه على ايراد اللفظ ، والعبارات التي أورده الشاعر فيها ، ومواضعها من انتاجه الأدبي .

وحذا حذوهم اللغوي الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح فقد غذى الحاسب الآلي في مركز اللسانيات الجزائري الذي يشرف عليه بخمسة دواوين من الشعر الجاهلي . واستطاع أن يستخرج منه قدراً من الالفاظ التي أرادها .

وبدأ قسم اللغة العربية في كلية الآداب من جامعة القاهرة تنفيذ الفكرة الكاملة التي تحدثت عنها . فكلف عدداً من طلاب الدراسات العليا فيه بصنع هذه المعاجم . وقد أنجز منها معجم كعب بن زهير ، ويوشك أن ينجز ديوان عمرو بن قميئة .

ويسجل الباحث في هذا المعجم كل كلمة استخدمها الشاعر ، ويبين نوعها اسماً أو فعلاً أو حرفاً ، وصيغتها ، ومعانيها ، وتركيبها ان كان لها نمط خاص في التركيب . ويقابل الباحث كل خطوة من خطواته على اللسان والتاج خاصة ، ويسجل كل خلاف بين ما فيهما وما يصل اليه من عمله .

فاذا ما أنجزنا معاجم الشعراء الجاهليين مثلا استطعنا أن نعرف اللغة العربية في العصر الجاهلي معرفة دقيقة وشاملة . بل ربما استطعنا أن نصل الى معرفة كثير من خصائص اللهجات المختلفة .

وإذا فرغنا من سائر الدواوين والاثار الادبية ، استطعنا أن نتعرف على لغتنا الأدبية ، وأن نؤرخ لها من عصر فعصر . وكان ذلك خطوة طيبة نحو المعجم العام .

ويبقى المعجم الاشتقاقي . ويقسم الكلمات التي يعالجها الى ثلاثة أنواع :

— النوع الأول العربي الأصيل . ويحاول أن يستبين فيه معناه الأول الذي يدل عليه الاشتقاق ، وأن يستبين كيف نتجت عنه بقية المعاني ، ومتى ، فيميز بين المعاني الحسية والمجردة ، والمعاني الحقيقة والمجازية ، والمعاني العادية والادبية . ويطبق المنهج نفسه على الصيغ التي استخدمتها اللغة من كلّ مادة .

— والنوع الثاني المشترك بين العربية والساميات الاخرى : سواء عرفنا على وجه اليقين أن العربية لغته الأم أو أن العربية أخذته من واحدة من أخواتها الساميات أو بقي الامر أمامنا مترجحا لا سبيل الى اليقين فيه . ومثل هذه الكلمات يجب أن يبين المعجم هيئاتها ومعانيها في اللغات السامية التي استعملتها ، ويقابل بينها وبين العربية . ثم يخضعه للدراسة التي اخضعنا لها النوع السابق .

والنوع الثالث الدخيل الذي أخذته العربية من غير الساميات . ويحاول المعجم أن يبين اللغة الاصلية لها ، والصيغة التي استمدت العربية منها ما أخذته ، ومعناها ، والوسيلة التي تم بها الأخذ ، ومتى كان ذلك ، وما أجرته العربية على بنية هذه الكلمات من تغييرات وتعليلها . واذا كانت العربية قد عاملت هذه الكلمة معاملتها لبنائها من الاشتقاق والتغيير في المعنى كان علينا أن نرصد ذلك كله .

ويبقى المعاجم اللغوية المعتادة . وقد حققت معاجم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومعاجم مكتب تنسيق التعريب بالمغرب ، والمعاجم التي ألفها اللبنانيون المحدثون ، حققت كثيراً من الأماني .

وأتصور أن الواحد من هذه المعاجم لا بد أن يحص كل خطوة

من خطواتها قبل الاقدام عليها . لا بد أن يمحص الاسباب التي تدعو إلى تأليفه والغاية التي يرمي إليها . فاذا ما تعرف عليها تلمس الطرق إلى بلوغها . فلا تكون المعاجم متماثلة ، تبغي إرضاء جميع الباحثين على اختلاف ثقافاتهم وأعمالهم وحاجاتهم .

ولا بد أن يمحص المادة التي يتألف منها . فليس من المستطاع ولا من المستحب أن توضع المفردات اللغوية كلها في كل المعاجم ، ولا أن نستقصي جميع المعاني التي تعزى إلى كل كلمة ، ولا أن تتابع المعاني التي تعاقبت عليها في العصور المتباعدة . فمن المعاجم ما يجب ألّا يوضع فيه المهمل ولا الغريب ولا الأدبي من الألفاظ والمعاني . ومن الصيغ ما يجب حذفه لقياسيته .

ولا بد أن يوضع نظام صارم لترتيب المعجم وفق الألفباء . تخضع له المفردات ، وتخضع له الصيغ تحت كل مادة ، وتخضع له المعاني . فيفصل ما بين الأفعال والأسماء من الصيغ . وتعطي كل صيغة رقماً خاصاً بها لا يتغير ولو سقط بعضها من الاستعمال . ويخصص لها موضع ثابت لا يتغير .

وإذا كانت المادة اللغوية لها معنيان أساسيان أو أكثر قسمت وفقاً لمعانيها ، ووضعت الصيغ الموافقة لكل معنى تحته على نظامها . ويجب أن ترتب معاني كل صيغة ترتيباً واضحاً ، فتقدم المعاني الأكثر شيوعاً ثم الشائعة ثم الأقل شيوعاً وتؤخر المصطلحات .

ويجب أن نمحص طرق تفسير المعاني . فيعتمد على الصور فيما يمكن تصويره . ويعدل عن التفسير بالمترادفات أو بكلمة « معروف »

التي أكثر القدماء من استخدامها أو بعبـــارة القدماء المبهمة أحياناً والموهمة أحياناً . ويعتمد على العبارات الدقيقة الشاملة التي تبرز ما يراد تفسيره في ذهن القارىء وتجلوه . وكثيراً ما يحسن الاعتماد على الشاهد الذي وردت فيـــه الـكلمة ، وخاصة في المعاجم المتوسطة والكبيرة لأن التفسير المجرد لا يوضح الفروق الدقيقة بين معانيها توضيحاً كافياً .

ويجب في المعاجم الحديثة الاستفادة من التطورات الحديثة على ما كنّا نسميه قديماً فقه اللغة ، وما كان بعض المحدثين يستحب تسميته علم اللغة . فقد صار هذا العلم علوماً متعددة كلها مؤثر في صناعة المعاجم ، ونافع لها .

ولعل آخر ما يجب الحديث عنه طباعة المعاجم . فهي ذات أهمية كبيرة ، لأنها تقرب حاجة القارىء أو تبعدها ، وترغّبه أو تنفّره ، وتوضّح له أو تبهم . فيجب أن يمحص كل ما يتصل بها من ورق وحبر وحروف وصف وطبع وتصحيح .

فالمعجم كتاب خالد ، يلجأ إليه الكبير والصغير ، من نال حظّاً كبيراً أو صغيراً من الثقافة ، ويعتقد كل راجع إليه فيه الصدق والضّبط . ولذلك فهو عظيم الخطر .

حسين نصّار

النحو والنحاة

صلاح الدين الزعبلاوي

كان على الأئمة من النحاة حين عمدوا إلى اتخاذ قواعد اللغة وتقنين أصولها ، أن يعرفوا ما انتهى إليهم من كلام من يُحتجّ بهم من الفصحاء ، ويوثق بهم من الرواة ، ويأخذوا بتأمله وتدبره ، ويمضوا الى تقسيمه وتصنيفه ، ويجهدوا في تتبعه واستقرائه . ذلك ليستشفّوا النظم التي صيغت بها اللغة المحكيّة ، ويكشفوا عن سنن ما جرت به ألسنة الفصحاء على السليقة ، وما طاعت به قرائحهم على السجيّة والطبيعة .

فما اطّرد من كلام العرب على حال استنبطوا حكمه ، وحملوا غير المنقول على المنقول منه ، وجعلوه قياساً لنظائره . فإذا سمع شيء يأباه قياسهم هذا ، اتسعوا له وأخذوا به إذا اشتهر وشاع ، فإذا ندر أغفلوه ، وأوجبوا فيه القياس ، حملا له على أمثاله ، وتأصيلاً لما استنوا به من حدود وقوانين .

قال عبد اللطيف البغدادي فيما حكاه المزهر (٣٧/١) : (إعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعدّاه ، وأما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللغوي ويقيس عليه) .

ومن ثمّ كان اللغويون أعلق بالنص شأن الأصمعي ، والنحويون أحرص على القياس شأن الخليل . فالنحاة لم ينقلوا اللغة المحكية في

الأصل ، بل سبقهم إلى جمعها اللغويون أنفسهم . ولو أن منهم من شارك في نقلها وجمع مادتها وإعدادها ، كما فعل أبو عمرو بن العلاء .

هذا والأصل الذي جرى عليه النحاة في استنباط أحكامهم ، أخذهم بالأكثر والأغلب ، وترك ما عداه . ففي طبقات النحويين لأبي بكر الزبيدي أن ابن نوفل روى عن أبيه أنه سأل أبا عمرو ابن العلاء : « أخبرني عما وضعت مما سمّيته عربيةً ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ » فقال لا . فقلت كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب ، وهم حجة ؟ فقال : أحمل على الأكثر ، وأسمّي ما خالفني لغات » (المزهر ١/١١١) .

وأنت ترى ذلك واضحاً جليّاً فيما أثر عن عيسى بن عمر وسيبويه والكسائي والفراء والأخفش ، وعن أبي علي الفارسي وابن جني وابن الأنباري وسواهم . قال سيبويه في باب بناء الافعال المتعدّيه (٢/٢١٤) : « فانما هذا الاقلّ ، نوادر تحفظ عن العرب ولا يقاس عليها ، ولكن الاكثر يقاس عليه » . وقال (٢/٣٦٢) : « ولا يُنكر أن يجعلوها معتلّة ، في هذا الذي استثنينا ، لان الاعتلال هو الكثير المطرّد » . ونظير ذلك كثير في الكتاب .

فأئمة النحو قد أخذوا بما اطّرد سماعه عن العرب فجعلوه قياساً ، وعللوا هذا القياس وسبّبوه ، فاذا اتفق عن العرب مطرد في القياس والاستعمال فلا خلاف في إيثاره . قال ابن جني في الخصائص (١/١٣٢) : « وإذا فشا الشيء في الاستعمال وقوي في القياس فذلك مالا غاية وراءه » . لكن المسموع لم يجر على حدّ أو يستقم على وُجه ، على ما هو معروف . فما خرج منه عن سمت القياس وحاد عن جادّته ، واطرد استعماله اتبعوا السماع فيه ، ولم يتجاوزوا

ذلك إلى القياس عليه .. ولكن هل أجازوا ، في هذا ، الاخذ بالقياس إلى جانب السماع ؟ أقول شذّ (استحوَذ واستصوب) فاطردَ استعمالهما على التصحيح دون إعلال ، فهل استصوبوا (استحاذ واستصاب) على الإعلال ؟ الاصل أنه إذا عارض السماعُ القياس أخذوا بالسماع وآثروه ، لان غاية النحو معرفة ما نطق به العرب ، وقد عُرف بالسماع ، وليس ينبغي أن يُنكر الشذوذ في اللغة . وقد جاء في المزهر (١/١٣٧) حول المطرد في الاستعمال الشاذ في القياس : (أخبرنا أبو بكر أحمد بن يحيى ، قال يقال استصوبت الشيء ، ولا يقال استصبت ، ومنه استحوذ) . وفصل ابن جني ، فما استغنى عنه العربُ فاحلوا محله ما يغني عنه ، كما أحلوا (استحوذ واستصوب) محلّ (استحاذ واستصاب) فقد اعتدّ الاستغناء فيه أصلاً من أصول الحكم ، كما اعتدّهُ سيبويه في موضع آخر (٢/١٩١) ، فمنع استحاذ واستصاب لانه ترك للأصل . وما أغفلته العرب وتركته كـ (ودع) ماضي يدع ، تجوز فيه فأقر استعماله ولكن في الشعر لانه عودة إلى الاصل . قال ابن جني في الخصائص (١/٤٠٢) : (لان استعمال ودع مراجعة أصل ، وإعلال استحوذ .. ترك أصل ، وبين مراجعة الاصول إلى تركها ما لا خفاء به) .

ولكن ذهب جماعة إلى صحة (استحاذ واستصاب) لأن العرب لم تأت باستفعل مصححاً من فعل ثلاثي ، الاّ نطقت به معتلاً أيضاً ، أو لأنّ الأكثر كذلك ، فقد حكى الرضي في شرح الشافية : (وقال سيبويه سمعت جميع الشواذ المذكورة مُعَلّةً أيضاً على القياس إلاّ استحوذ واستروح ... ولا مَنْعَ من إعلالها وإن لم يسمع لأن

الإعلال هو الكثير المطّرد) . فأقر سيبويه القياس في هــذا إلى جانب السماع ، لأن الأكثر فيما شذّ مصححاً ، قد جاء مُعلّاً أيضاً . وقال سيبويه في الكتاب (٢٦٢/٢) : (ولا يُنكر أن يجعلوها مُعتلّة في هذا الذي استثنينا ، لأن الاعتلال هو الكثير المطّرد) . وقال الشيخ محمد الخضر حسين في (القياس) : (أما الالفاظ التي لم ترد إلاّ على الوجه المخالف للقياس ... فيقتصر فيها على ما ورد عن العرب ، إلاّ أن يبدو لك أن تتعلق بمذهب من يجيز إجراء الالفاظ على مقتضى القياس ، زيادة على الوجه الثابت من طريق السماع).

هذا وعندي أن ما جاء فيه التصحيح ها هنا قد أتوا به كذلك لأمرٍ انتوَوْه . ذلك ان كل ما صُحّح فقد أريد به الدلالة على اسم يتصل به . فقد جاء التصحيح مثلاً فيما بُني من استفعل على الامم خاصة كاستتيست الشاةُ واستنوقَ الجملُ واستفيَلَ . قال الرضي (وأبو زيد جوّز التصحيح في باب الإفعال والاستفعال مطلقاً قياساً ، إذا لم يكن لهما فعل ثلاثي) . كما جاء التصحيح في استفعل أو أفعل ، اذا أريد بها الاسم لتأكيد معناه ، كاستحوذ من الحوذ أو الإحواذ واستصوب من الصَوْب أو الصواب ، واستجوب من الجواب .. ونظير ذلك أغيَلَ من الغيل ، وأغيَمَ من الغيم ، وأعوَه من العاهة ، وأقولَ من القول ، وأخوَصَ وأشوَكَ .. وهكذا جاز التصحيح فيما جاء من (مفعلة) المعتل العين ، غير مبني على الفعل ، كمفعلة السبب ومَفْعلة الأعيان ، فمن الاول طعامٌ مطْيَبَةٌ للنفس من الطيب ، وشرابٌ مَبْوَلة من البَوْل ، وكثرةُ الاكل منْوَمةٌ من النوم ، والحرب مَأيَمةٌ من الأيّم : ومن الثاني : أرض مَثْوَرَة من الثور ، وقد ورد إلى ذلك أرض متانة بالإعلال من التين ، فاذا خيف اللبس

وجب التصحيح . والغريب أن المجمع القاهري ، اطلق جواز التصحيح في كلّ ما اعتلت عينه من مفعلة ، فكسر قاعدة انتظمت مالا يُعَدّ ولا يُحصَى من الالفاظ ، وأنّ الاستاذ عباس حسن عضو المجمع قد اطلق هذا الجواز في كل مفعلة إذا خيف اللبس ، بلاحدّ ولا ضابط . والصحيح ان الاصل هو الإعلال في كل مابُني من مفعلة على فِعْل ، كمصدر او اسم مكان او زمان ، وان جواز التصحيح مقصور على ما جاء خلافه مبنياً على الاسم ، وقد يوجب التصحيح في هذا وحده ، اذا خيف اللبس .

هذا وما انقاد للقياس وشذ استعماله تركوه ، ولم يتعدّوه في الترك ، إلى أمثاله . على أن منهم من لم يمنع المقيس فيه أيضاً ، حملاً له على نظيره . فقد أعمل الحجازيون (ما) عمل (ليس) ، فأخذ النحاة بالإعمال لشيوع استعماله . وجرت تميم على الإهمال فانكروه لقلته . على أن من النحاة من أجاز إهمال (ما) على وفق لغة تميم ، حين طابق الإهمال ما قدّروه وتصوروه من قياس . فتابع القائلون بجواز الإهمال قراءة عاصم (ما هنّ أمهاتهم ـ المجادلة / ٢) برفع أمهاتهم ، قال أبو حيان في البحر المحيط (٢٣٢/٨) : « وقرأ الجمهور أمهاتهم بالنصب على لغة الحجاز . والمفضل عن عاصم بالرفع على لغة تميم » . وقُرِىء (بشرٌ) بالرفع في قوله تعالى « ما هذا بشرٌ ـ يوسف / ٣١ » . وحكى أبو حيان عن الزمخشري ما يسدده (٣٠٤/٥) . قالوا في الاعتلال لقياس الإهمال إن العامل من الحروف هو ما اختصّ بالأسماء كحروف الجر ، أو الأفعال ، كأحرف الجزم . وما النافية تدخل على الأسماء والأفعال ، فلا تختص بتلك

دون هذه ، كهل الاستفهامية ، فالقياس إذاً أن تُهمل . ومن ثمّ كان إعمال (ما) الحجازية ، على غير قياس ، على شهرته ، وإهمال (ما) التميمية ، على قياس ، على قلته . ولم يعدم القائلون بالإعمال وجهاً لقياسه فقالوا : إنما عملت ما النافية عمل ليس لشبهها بها في نفي الحال والدخول على المعارف والنكرات ، وفي دخول الباء في خبرها (حاشية العطار ١٦٩) . ولكن قيل إن هذا الشبه معنوي والشبه المعنوي ضعيف ، وإن ـ ما ـ حرف ، و ـ ليس ـ : فِعْلٌ ، والحرف أضعف من الفعل . فقال ابن جني في الخصائص (١٣١/١) . « من ذلك اللغة التميمية في ـ ما ـ هي أقوى قياساً ، وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً » .

هذا وقد ذكر العلماء من الشاذ في السماع المطّرد في القياس (وَذَرَ ، وَوَدَعَ) فعلَيْنِ ماضيين ، فأهملوهما ، على قياسها ، فذهب الأستاذ سعيد الأفغاني في كتابه (أصول النحو / ٢٤) إلى صحة (وَدع) واستظهر بقراءة التخفيف (ما ودعك ربّك وما قلى ـ الضحى / ٣) وهي قراءة النبي ﷺ على ما أثبته ابن جني في المحتسب ، ثم أورد كلام صاحب المصباح في ردّ زعم القائلين بإماتة (ودَع) لروايته من أفصح العرب ، ونقله عن طريق القُرّاء .

والحق أن صاحب النهاية قد سبق إلى هذا كله . أما حجة الأستاذ في صحة (وَدَع) ، فقد قامت على السماع ، كما هو سبيل استدلال (المصباح والنهاية) . إذ أورد الأستاذ قول الشاعر :

وثم ودَعنا آل عمرو وعامر فرائس أطراف المثقفة السمر

ثم قال : « والعلماء يثبتون استعمال الكلمة بشاهد واحد ، إذا لم تخالف القياس » .

على أن ابن جني قد قال بشذوذ (وَدَع وَوَذر) أوندرتهما ، لكنه أقر استعمالها في الشعر بطريق القياس حين ذكر أنك إذا قلت بجوازهما فقد عدت الى الأصل ، كما مر . قال ابن جني (١٣٢/١) : « فإن صحّ عندك أن العرب لم تنطق بقياسك أنت ، كنت على ما اجمعوا عليه البتة ، واعددت ما كان قياسُك اداك إليه ، لشاعر مولّد او لساجع او لضرورة ، لأنه على قياس كلامهم ، بذلك وصى ابو الحسن » . وكذلك فعل ابن درستويه في شرح الفصيح ، بل اخذ بجواز قياسها مطلقا ، على إهمالها . فقد جاء في المزهر (٢/٣٠) : « وقال ابن درستويه في شرح الفصيح ، وإنما اهمل استعمال وَدَع وَوَذرَ ، واستعمال ما اهملوا من هذا جائز صواب وهو الاصل ، بل هو في القياس الوجه » . وقد عاب الاستاذ الافغاني ذكره ان العرب اهملتها ، وقد ثبت السماع بها بطريق صحيح ، وقرىء (ودعك) بالتخفيف . والرأي أنه متى ثبتت القراءة القرآنية بالرواية المقبولة ، فلا مناص ان تكون الحكم .

وقد جاء في (القياس) للشيخ محمد الخضر حسين أنه حكي عن علي بن عيسى الرماني قوله (لايقال من نفع اسم مفعول ، والقياس يقتضيه) . وقال أبو حيان (إن نفع كضرب ، فكما يقال في مفعول ضرب مضروب ، يقال في مفعول نفع منفوع) .

وقد عيب على المتنبي قوله (الجائد) ، فقال القاضي الجرجاني صاحب الوساطة (لم يُحك عن العرب الجائد ، وإنما المحكيّ الجواد ، ولسنا نحتاج في مثل هذا إلى التوقف واتباع المسموع ، وهذا أشبه بمذهب القياس ، والأصل الذي عليه أهل اللغة / ٣٥٤) . فكثيرون

إذاً على أنه إذا عارض القيـــاس السماع ، جاز القياس ، ولورجح السماع .

هذا وأما ماجاء شاذاً في القياس نادراً في الاستعمال ، فالكثيرون على إغفاله وعدم الاعتداد به ، لاخذهم بالكثير . قال أبو البركات بن الانباري في (لمُعَ الادلة في أصول النحو / ٨١) : « النقل هــو الكلام العربي الفصيح ، والمنقول بالنقل الصحيح ، الخارج عن حــدّ القلة إلى حدّ الكثرة » . وقال السيوطي في مزهره (١١٢/١) : (والمفهوم من كلام ثعلب أن مدار الفصاحة في الكلمة على كثرة استعمال العرب لها) .

★ ★ ★

ولا شك أن القياس الذي يُراد به الاستدلال الذهني لاستنباط القواعد وتعليلها ، هو مدار علم النحو عند الأئمة . قال ابن الأنباري في كتابه (لمع الأدلة /٩٥) في الردّ على من أنكر القياس : « إعلم أن إنــكار القياس في النحو لا يتحقق ، فانـ النحو كله قياس . ولهذا قيل في حدّه : النحو علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب . فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو . ولا نعلم أحداً من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة » . وقد حُكي عن الكسائي ، وقد كان أقرب إلى الأخذ بالوصف منه إلى العمل بالقياس ، قوله :

إنما النحو قياس يُتبــع وبه في كل أمر يُنتفع

على أن اعتقادنا ما كان للقياس من شأن في نشأة النحو واستنباط احكامه ورسم حدوده وتقعيد قواعده ، لا يمنع من التنبيه على أن النحو ليس كله قياساً ، وإنما هو قياس من جهة ، ورواية ونقل قد

يستعصيان على القياس وينكبّان عن نهجه من جهة أخرى. قال السيوطي في الاقتراح (٤٥): «النحو بعضه مسموع مأخوذ من كلام العرب، وبعضه مستنبط بالفكر والرويّة، وهو التعليلات، وبعضه يؤخذ من صناعات أخرى».

وكان من أقدم الأئمة عناية بالقياس عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي (المتوفى سنة ١١٧ هـ) فقد جاء في طبقات الزبيدي (٢٥) «قال ابن سلام، عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي كان أول من بعج النحو ومدّ القياس وشرح العلل». وقال ابن الأنباري في نزهة الألباء (٢٣): «إنه أول من علّل النحو». وفي المزهر (٢٤٧/٢): «وكان يقال عبد الله أعلم أهل البصرة وأنقلهم، ففرع النحو وقاسه». وقد خلف الحضرميّ أبو عمرو بن العلاء، وعيسى ابن عمر، ويونس بن حبيب، فوطؤوا لظهور الخليل وسيبويه، فقد ذكروا لعيسى بن عمر مثلاً، كتابي (الإكمال) و (الجامع)، وهما من مراجع كتاب سيبويه، قال الخليل

بطل النحو جميعاً كله غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع فهما للناس شمس وقمر [1]

وقال الزبيدي في الخليل (في مختصر كتاب العين): (فهو الذي بسط النحو ومدّ أطنابه وسبب علله وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه، حتى بلغ أقصى حدوده. ثم لم يرض أن يؤلّف فيه حرفاً أو يرسم فيه رسماً .. واكتفى في ذلك بما أوحى إلى سيبويه

(١) طبقات الزبيدي ١٥.

من علمه ، ولقّنه من دقائق نظره ونتائج فكره ، ولطائف حكمته . فحمل سيبويه ذلك عنه وتقلّده وألّف فيه الكتاب الذي أعجز من تقدّم ، كما امتنع على من تأخر بعده) . وقال ابن الأنباري في نزهة الألباء : (وهو الذي بلغ الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله) .

ومضى البصريون يُعنَون بالقياس ويفرعونه فيتطلبون دخلته ويختبرون كنهه ، فألف قطرب (العلل في النحو) والمازني (علل النحو) والمبرّد (الكامل والمقتضب) . وبلغ البصريون الغاية في إرساء أطنابه واستيعاب أصوله والإحاطة بفروعه ، على يد أبي عليّ الفارسي وابن جني . أما أبو علي فهو صاحب (الإيضاح النحوي) والقائل (أخطىء في خمسين مسألة في اللغة ، ولا أخطىء في واحدة من القياس ـ الخصائص ٢/٨٨) . وقال فيه ابن جني : (أحسب أن أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ما وقع لجميع أصحابنا ـ ٢/١١٥) . وقال أبو طالب العبدي : (لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه أحد أبصر بالنحو من أبي عليّ . .) .

وأما أبو الفتح عثمان بن جني فقد بلغ الذروة في الأصالة والسبق وأدرك الشأو في البراعة والعمق ، وذلك في كل ما ألّف من كتبه لا سيما سرّ صناعة الإعراب والخصائص والمحتسب . وكان إماماً مقدّماً في القياس ، يحث عليه ويرغب فيه ويرهف العزم على الأخذ به بالتلطف والحجة . قال المتنبي فيما حكاه ياقوت الحموي في معجم الأدباء (١٢/٨٩) : « إن ابن جني أعلم بشعري مني » . وقد خلف هؤلاء القياسيين ابن الشجري وأبو البركات بن الأنباري وأبو البقاء العكبري .

ولسنا نتعصب للبصريين على الكوفيين . فقد كان للكوفيين أصولهم وقياسهم وعللهم . وهم لم يقتصروا على الوصف دون الاستدلال والاعتلال . ولا ننسَ قول الكسائي : إنما النحو قياس يتبع ، بل لا ننسَ منزلة الفرّاء في التعليل والقياس ، ذلك أجلى ما في نحوه .

وقد اعتمد الكوفيون على السماع والقياس ، كما فعل البصريون . بل كان أوائلهم أدنى إلى السماع منهم إلى القياس ، وأحرص على الوصف منهم على التعليل ، كما كان أوائل البصريين .

فإذا استقرّ هذا فإن الكوفيين لم يبلغوا مبلغ البصريين في القياس والتعليل غالباً ، ولم يتوفرّ نصيبهم منهما كما جزل وفضل حظ البصريين بعامة والمتأخرين منهم بخاصّة . وإذا كان البصريون قد رجحوا الكوفيين في هذا وفضلوهم ، فليس مضيّهم في التعليل خيراً كله ، بل ليس استرسالهم فيه من طبيعة اللغة ونهجها وخصوصها . فقد كان الكوفيون في ذلك أدنى إلى الاعتدال وأنأى عن الإيغال . وقد رأيت الدكتور مهدياً المخزومي ، يدعو في مقدمة كتاب الشيخ يوسف كركوش (رأي في الإعراب) ، إلى العناية بنحو الكوفيين والنهل من معينه وإيثاره على نحو البصريين ، كلما أوغل هؤلاء في الجدل المنطقي فتنكبوا عن الجادّة ، وتكلّفوا ما لاتحتمل طبيعة النحو .

وليس صحيحاً أن الكوفيين عوّلوا على كل مسموع ، كما يُفهم من كتاب (الإنصاف في شرح مسائل الخلاف) ، وصاحبه أبو البركات بن الأنباري ، بصري . واذا بدا أن الكوفيين كذلك في شيء من المسائل التي اشتدّ الجدل فيها بينهم وبين البصريين ، فذلك أن المناظرة فيهـا كانت منافسة بل مغالبة ، بين عالمين متعصّبين ، لا

معارضة بين مذهبين وطريقتين . ولو صحّ أن الكوفيين يعملون بكل شاذ ويقيسون عليه ، لما استقام لهم أصل أو حكم أو قياس . وإلاّ فكيف يصدق عليهم أنهم غفلوا عن الاكثر والأغلب فيما قننوه وقعّدوه ؟

وغريب على هذا قول المرحوم الأستاذ أحمد أمين في كتاب ضحى الاسلام (٢/٢٩٥) : (أما الكوفيون فلم يروا هذا المسلك ، ورأوا أن يحترموا كل ما جاء عن العرب ، ويجيزوا للناس أن يستعملوا استعمالهم ، ولو كان الاستعمال لا ينطبق على القواعد العامة . بل يجعلون الشذوذ أساساً لوضع قاعدة عامة) .

وإني لأستسرف أن يؤخذ هذا القول على إطلاقه ، ولو بُني على قول السيوطي في بغية الوعاة (إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لا يجوز إلاّ في الضرورة فيجعله أصلاً ويقيس عليه) ، وقول الأندلسي : (الكوفيون لو سمعوا بيتاً واحداً في جواز شيء يخالف الأصول جعلوه أصلاً ، وبوّبوا عليه) . فهذا أبو بكر بن السرّاج وهو تلميذ المبرّد ، وإمام من أئمة المذهب البصري ، وقد ألّف (الأصول) فقال فيه على ما حكاه المزهر (١/١٣٩) : (وليس البيت الشاذ والكلام المحفوظ بأدنى إسنادٍ ، حجة على الأصل المجمع عليه في كلام ولا نحو ولا فقه ..) وقال : (ولو اعترض بالشاذ على القياس المطّرد لبطل أكثر الصناعات والعلوم ..) ثم اعتمد مع ذلك على مذهب الكوفيين في مسائل كثيرة . قال ابن الأنباري في

في نزهة الألباء (٣٠١) : (إن أبا بكر بن السراج وهو البصري الذي أخذ عن المبرّد ، وإليه آلت رياسة النحو بعده ، قد عوّل على مسائل الأخفش والكوفيين ، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة !) .

واذا كان ابن السرّاج قد قال ما قال في التعويل على القياس وترك الشاذ ، فهذا أبو بكر الأنباري ، تلميذ ثعلب ، وهو الكوفي المذهب ، يقول في شرح معاني الكذب على ما جـا في خزانة البغدادي (٣/٩) قولاً كقول ابن السرّاج : (قال أبو عبيد لم يُسمع النصب مع كذب في الإغراء إلاّ في هذا الحرف ، فقال أبو بكر : وهذ شاذ من القول خارج في النحو عن منهاج القياس ، ملحق بالشواذّ التي لا يعوّل عليها ، ولا يؤخذ بها ..) . وقد استظهر به الأستاذ محمد خير الحلواني في كتابه (الخلاف النحوي) فجاء في تأييد هذا الرأي بحجج ناهضة (٣٤٨) . وتفصيل المسألة أنه قد رُوي النصب بعد كذب في قول عنترة (كذب العتيق وماءَ شن بارداً إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي) فحمل الرضيّ هذا ، على أن كذب في الأصل فعلٌ قد صار اسم فعل بمعنى إلزم ، فيكون العتيق مفعولا به ، والفاعل مستتر وجوباً تقديره أنت . وذهب ابن الأثير في حديث عمر بن الخطاب (كذب عليكم الحج ، كذب عليكم العمرة ، كذب عليكم الجهاد) ـ بمعنى الزموا الحج والعمرة والجهاد ـ أن الوجه هو النصب على معنى الإغراء ، لكنه جاء مرفوعاً على الشذوذ . أما أبو بكر فقد استنكر النصب واعتدّه شاذاً . قال أبو حيان :

والصحيح جواز النصب بنقل العلماء أنه لغة مضر ، والرفع لغة اليمن .

واذا كان الكوفيون قد اعتمدوا على القليل النادر أحياناً ، كما جاء في شرح المفصل ، والاقتراح وهمع الهوامع للسيوطي ، وغيرها ، فقد فعل البصريون هذا أيضاً . قال اليازجي في نار القرى (ووافق الحجازيين على إعمال – لا – طائفة من البصريين . وأنكره بنو تميم وأكثر نحاة البلدين) . قال أبو حيان على ما رواه الهمع (١/١٢٥) (إعمال – لا – قليل جـداً ، بل لم يرد منه صريحاً إلا البيت :

تعزّ فلا شيء على الأرض باقيا : ولا وزر مما قضى الله واقيا ، والبيت والبيتان لا تبنى عليها القواعد) . وهكذا بنى جماعة من البصريين حكمهم على بيت واحد . وقد ورد البيت في أمهات كتب النحو كحاشية الأشموني ، وكتب ابن هشام وحاشية ابن عقيل ، وهمع السيوطي ، وشرحه لشواهد المغني ، ولم أر من نبّه على اسم قائله . و (لا) من الحروف غير المختصة . فقياسهم ألاّ تعمل ما لم يحتجّ لإعمالها بنقل يتجاوز حدّ الندرة أو القلّة . هـذا وقد ذكر الأستاذ محمد خير الحلواني في كتابه (الخلاف /٣٠٢) مثـالاً آخر . قال الأستاذ : (وأحياناً نجد نحاة البصرة يبحثون عن شاهد فلا يجدون غير مثل عربي واحد يقدمونه فيكتفون به . وفي ذلك اعتماد على القليل النادر .. وقد عيب هذا على الكوفيين . جاء في الإنصاف : وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا : إنما قلنا يجوز تقديم الحال على العامل فيها إذا كان العامل فعلا ، نحو : راكباً جاء زيد للنقل والقياس . وأما النقل فقولهم في المثل : شتى تؤوب الحلبة ، فشتى حال مقدمة على الفعل العامل في الاسم الظاهر ، فدل على جوازه) .

أقول لايؤخذ هذا علي البصريين . ذلك أن تقديم الحال على عامله الفعل ، لم يبن على نقل وحسب ، وإنما بني على نقل وقياس . فانظر إلى قول صاحب الإنصاف : (إنما قلنا إنه يجوز تقديم الحال : للنقل والقياس) . وقد ذكر النقل وهو المثل (شتى تؤوب الحلبة) . أما القياس لديهم فقد ذكره صاحب الهمع ، إذ قال (٢٤٢/٢) : « في تقديم الحال على عاملها مذاهب .. الثاني الجواز مطلقاً ، إلاّ ما يأتي استثناؤه وهو الأصحّ ، وعليه الجمهور ، قياساً على المفعول بـه والظرف ..) . ثم يفرقون بين الحال والظرف فيشيرون إلى تقديم الظرف ولو كان عامله معنوياً خلافاً للحال . قال الرضيّ : (يعني أن الحال وإن كان مشابهـاً للظرف من حيث المعنى ... إلاّ أن الظرف يقدم على عامله المعنوي ..) . وما دام تقديم الحال على عامله إذا كان فعلاً ، إنما جاء على قياس ، فيكفيه في النقل القليل النادر . ونظير هذا أنهم نسبوا إلى (فعولة) فقالوا (فَعَليّ) وقد ردّوه إلى قياس (فعولة) على (فعيلة) . فقالوا في رَكوبـة وحَلوبة : ركبي وحلبيّ ، كما قالوا في حنيفـة حنفي . قال ابن جني في الخصائص (١٢٠/١) : (وذلك أنهم أجروا فعولة مجـرى فعيلة لمشابهتها اياها) . فاذا اطمأن هذا فقد اكتفوا بقول العرب (شنوءة وشَنَئيّ) . قال ابن جني : (وتفسيره أن الذي جاء في فعولة هو هذا الحرف والقياس قابله ، ولم يأت فيه شيء ينقضه ، فاذا قاس الإنسان على جميع ما جاء وكان أيضاً صحيحاً في القيـاس مقبولاً ، فلا غرو ولاملام) .

وقد أنكر الكوفيون بعض القراءات القرآنية كما فعل الكسائي والفراء ، وكذلك فعل البصريون كالمازني والمبرد والزمخشري ..

هذا وقد تابع البصريون نهجهم في الاستدلال والتعليل واصطنعوا نهج الفقهاء والمتكلمين ، وما كان شائعاً من أساليب البحث والتفكير في الخضوع لسلطان العقل والمنطق ، فوطّأ ذلك كله ، لشيوع مذهبهم والإقبال عليه . كما مهّد له ضياع كثير مما ألّفه الكوفيون ، وتناثر آرائهم في كتب البصريين .

وقد جاء جماعة البغداديين فاتخذوا طريقتهم في اختيار الأجود من مسائل المذهبين ، على ما رأوْه كما فعل الزّجاج في كتابه (إعراب القرآن ومعانيه) ولايزال مخطوطاً ، والزجاجي في كتابه (الإيضاح) . ولم يستنوا نهجاً فرداً دون نهج البصريين أو الكوفيين .

وكذلك حال النحاة الأندلسيين الذين تفردوا بآراء كثيرة كأبي حيان وابن مالك ، وحال الأئمة المجتهدين كابن هشام الانصاري وابن عقيل والسيوطي . وهم لم يخرجوا عما كان قد أُرسخ واستكمل من قواعد النحو وأصوله غالبا . لولا أنهم كانوا في استنباطهم للحكم النحوي ، تصحيحاً أو إنكاراً ، أكثر عناية بالقراءات القرآنية والحديث النبوي .

قال أبو حيان في البحر المحيط (٣٦٣/٢) : (والقراءات لا تجيء على ما علمه البصريون ونقلوه) . وقال (٢٧١/٤) : (هؤلاء النحاة يسيئون الظنّ بالقراءة ، ولا يجوز لهم ذلك) .

وقد جاء في جامع البيان للحافظ أبي عمرو الداني : (وأئمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل . والرواية إذا ثَبَتَتْ لا يردُّها قياس عربية ولا فشوّ لغة) . وقال الأستاذ الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في التعليق على كلامه في كتابه مناهل العرفان (٤١٥) : (هــذا وكلامه وجيه ، فان علماء النحو إنما استمدّوا قواعده من كتاب الله تعالى ، وكلام رسوله ، وكلام العرب . فإذا ثبتت قرآنية القرآن بالرواية المقبولة ، كان القرآن هو الحكم على علماء النحو وما قعّدوا من قواعد ..) .

هذا وقد ذهب ابن مالك إلى جواز إسقاط النون في الأفعال الخمسة في حال الرفع ، اعتماداً على الحديث ، كما جاء في شواهد التوضيح .

وهكذا استنفد الأئمة الجهد في استنباط قواعد اللغة وضبط أحكامها واتخاذ حدودها واصطناع معالمها ، حتى قال العالم اللغوي (دي بور) : (إن علم النحو أثر رائع من آثار العقل العربي لما فيه من دقة في الملاحظة ونشاط في جمع ماتفرّق ، وهو لهذا يحمل المتأمل على تقديره ، ويحق للعرب أن يفخروا به) .

★ ★ ★

على أنه إذا أمكن عالم النحو ، المحيط به خبراً ، الواقف على جليله ودقيقه أن يتحامى الخطأ في بيانه وتعبيره ، ويتبين صحيح الكلام من فاسده ، فانه لابد له إذا أراد أن يُحكم الأداء ويُحسن التعبير ويجيد السبك ، ويميز جيد الكلام من سفسافه ، أن ينهج سبيل الفصحاء في تأليف الكلام نثراً ونظماً ، فيكون كثيرَ الحفظ لأقوالهم ، واسع الرواية لأمثالهم وأشعارهم ، ليعي نظام

صياغتهم ومتصرّف قولهم ، ويستشفّ طرائق نسجهم وحبكهم . فيتأتى له بذلك ملكة يتحرّك بها لسانه سليقة وطبعاً ويتفتق بها بيانه عفواً صفواً . يُحسّ بها ما يستملح من القول وما يستعذب سجية ، وما يمج ويسترذل طواعية . وما جاء على حكم الفطرة لاعسر فيه ولا مشقة ، كما يقول الشيخ عبد العزيز البشري ، وما جاء على جهة التكلّف والتصنع فذلك الذي يقتضيْ كثيراً أو قليلاً من الجهد والعناء . وأنت تعلم أن النحو قد انحرف عن غرضه في تعرّف روح العربية ونهجها في التأليف والتعبير وتصريف المعاني ، الى الافتتان بالتعليل ، والميل إلى التعقيد والاهتمام بأوجه الإعراب ، وما تفرّع عليها من تشعّب الآراء في المسائل . ويبدو ذلك جلياً في كتب المتأخرين كشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، وشرح ابن الناظم ، وشرح الأشموني ، وشرح ابن هشام في (أوضح المسالك) وشرح التسهيل لأبي حيان ، والهمع للسيوطي ، وسواها . وما أوقع قول ابن خلدون : (إن العلم بقواعد الإعراب ، إنما هو علم بكيفية العمل ، وليس هو نفس العمل . ولذلك نجد كثيراً من جها بذة النحاة والمهرة في صناعة العربية ، المحيطين بتلك القواعد إذا سئل في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودّة ، أو شكوى ظلامة ، أو قصدٍ قصدوه ، أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن ، ولم يُجد تأليف الكلام لذلك والعبارة عن المقصود ، على أساليب اللسان العربي) . ذلك أن النحوي لايتوسل إلى الكتابة بطبع أويجري فيها على عرق أو سجية .

ولاشك أن اكتساب الملكة اللغوية بالوقوف على أنماط التعبير وأساليب التأليف ، وابتغاءها بالمحاولة والممارسة والرياضة ، هو الوسيلة في إحسان الأداء وإحكام البيان . وإذا واتت الكاتب ملكة الكتابة أدّاها كما أدركها ، وجلاّها كما تمثلت له ، وخرجت على حظ من الإحسان والجمال ، فتأتت بها ديباجة مشرقة وصيغ مونقة . قال الجاحظ : (ليس في الأرض كلام هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آنق ولا ألذّ في الأسماع ، ولا أشدّ اتصالاً بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويماً للبيان ، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء) .

وقد عقد ابن جني في الخصائص باباً (في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض مانسبناه إليها وما حملناه عليها) ، فاوضح كيف يمكن الأعرابي أن يميز صحيح الكلام من فاسده بسليقته ، ويتخطى موراد التوهم في القياس بحسّه وطبعه . وقد استفسر ابن جني أبا عبد الله الشجري قائلاً : (وسألته يوماً فقلت له كيف تجمع دكانا ، فقال دكاكين . قلت فسرحانا ، قال سراحين . فقلت فعثمان ، قال عثمانون . فقلت له : هلاّ قلت عثامين . فقال : إيش عثامين . أرأيت إنساناً يتكلم ماليس من لغته ؟ والله لا أقولها أبداً) .

ويبقى الفارق بين من اكتسب ملكة اللغة واختزن حسّها في أيامنا هذه ، وبين هذا الأعرابي : في بيئة كل منهما ، وما أتاحته له ويسّرته وساقته من دواعي الخبر بسرّ اللغة والبصر بنظم تأليفها

واستنبطان أساليبها . ولاشك أن هذه الملكة التي اعتمدت على الاحاطة ببادي اللغة وخافيها ، خير ظهير على توليد الكلم والمصطلح للمعنى الجديد أيضاً ، جملاً على ما حفظ منها وما استودع ، بل تجديد أساليب التعبير قياساً على ما أثر منها وسمع .

وإذا تطرّقنا إلى علوم البلاغة ، فقد نجد فيها ما ألفيناه في علم النحو . قال الدكتور جمال الدين الرمادي في كتابه (عبد العزيز البشري /٤١) : « وفي علوم البلاغة دعا البشري إلى تليينها وتمرينها حتى تصبح أشبه بالأسلوب النقدي القائم على التفطين والتذويق بحيث تتطور مع الأفهام والأذواق ، وعلى أن يوصل تعليمها في المدارس والمعاهد بدرس الأدب نفسه . وقد اتهم البشري . . كتب البلاغة العربية بالغموض والإبهام وقال إن ملاك البحث فيها هو الجدل اللفظي والاعتساف في بحوث فلسفية لا غناء لها في صنعة البيان . بل لقد أعلن أن من يريد التخلّص من فصاحة اللسان ونصاعة البيان ، فليس عليه أكثر من أن يدرس هذه الكتب حق درسها وينعم النظر فيها ، ويقلب في عبارتها لسانه وفكره ليكون له ما يحب إن شاء الله » .

وقال الرمادي : (ويرى البشري أن أظهر ما نحسه من ضعف النقد الأدبي ، أو بعبارة أبين من قصور علوم البلاغة العربية في هذا العصر ، أن سلفنا وجهوا كل عنايتهم إلى النقد الجزئي ، أعني نقد الكلمة في الجملة ، أو نقد الجملة في العبارة . فإذا كان الكلام نظماً جرى النقد للبيت مستقلاً ، وأحياناً للبيت من حيث اتصاله بما بعد ... أما نقد الكلام مجتمع الشمل ، وتناوله من حيث استواء الصورة واتصال

المعاني واتساق الأفكار وتلاحم الأجزاء ، فذلك ما لم يكن له من نقد البلاغة حظ جليل) .

وقال : (ويرى البشري أنه بطول ترديد النظر وتقليب الذهن في المأثور من روائع الآداب تنفسح ملكة الكاتب أو الشاعر ، وترهف فطنته بترسّم مذاهب النقد الفني . فإن هناك بعض القطع الأدبية التي لا يمكن وضع قواعد رسمية لبلاغتها ، فمن علل الحسن في الفنون الجميلة ما يدقّ حتى تعيا الترجمة عنه على اللسان والقلم جميعاً وإن تعلقت به الفطن وأصابته الأذواق) .

* * *

هـذا والمستحب من القياس هو الذي اعتمد لوضع القاعدة واستنباط الحكم فأفاد في تهذيب اللغة وتشذيبها . والذي اتخذ لتعليل الظاهرة اللغوية فكان وسيلة إلى وعي نظم اللغة وتعليمها ، ويرتكز مثل هذا القياس على ما أسموه (العلة التعليمية) و (العلة القياسية) . أما العلّة التعليمية فقولك هذا مرفوع لأنه فاعل ، وذاك منصوب لأنه مفعول به . وأما القياسية فالتي تقوم على اشتراك المقيس والمقيس عليه فيما تصوروا أو ظنوا أنه علة موجبة للحكم فيهما ، كحملهم بناء اسم (لا) النافية للجنس على بناء (خمسة عشر) . قال اليازجي في (نار القرى) : (واختلف في علة هذا البناء فقيل إن الاسم المتصل بلا قد ركب معها تركيب خمسة عشر ، بدليل أنه إذا فصل بينهما امتنع البناء ، وقيل قد تضمن معنى من الاستغراقية ... وقيل لاجتماع الأمرين لأن التركيب وتضمن معنى الحرف ، مفرديْن ،

لا يوجبان البناء . والأول هو مذهب سيبويه ، وعليه الأكثرون) .
ويرد تشعب الآراء في تحديد العلة القياسية إلى اختلاف وجهات النظر والاعتبار . فقد تتجاذب الحكم الواحد علتان أو أكثر فيبنى على قياسين أو أكثر ، كما يتأتى حكمان متضادان في المسألة الواحدة ، فتقتضيهما علتان مختلفتان ، فيبنى كل منهما على قياس . قال ابن جني في الخصائص (١٧١/١) : (الكلام في هذا المعنى من موضعين ، أحدهما الحكم الواحد تجاذب كونه العلتان أو أكثر منهما ، والآخر الحكمان في الشيء الواحد ، المختلفان دعت إليهما علتان مختلفتان) .

وقد مثلوا للأول برفع المبتدأ . فقد يعتل لرفعه بالابتداء ، أو يعتل له بالخبر أو بما يعود عليه من ذكره ، ومثلوا للثاني بـ (ما) التميمية والحجازية . فقد اعتلوا لـ (ما) التميمية العاطلة بشبهها بـ (هل) في عدم اختصاصها بالدخول على الاسم أو الفعل ، وإفادة كل منهما معنى في الكلام ، هو النفي في (ما) والاستفهام في (هل) . فجرت (ما) في الإهمال مجرى (هل) . واعتلوا بـ (ما) الحجازية العامله بشبهها بـ (ليس) في نفي الحال والدخول على الجملة الاسمية ، فعملت عملها . ولكن كيف يعتل للإعمال والإهمال في المسألة فيكون كل منهما على قياس ؟

قال ابن جني (١٣١/١) : (اللغة التميمية في ـ ما ـ هي أقوى قياساً ، وإن كانت الحجازية أسير استعمالاً) وأكد ذلك (١٧٢/٢) فقال (ولذلك كانت عند سيبويه لغة التميميين أقوى قياساً من لغة الحجازيين) . قال الزجاجي في الايضاح يفسر هذا : (ذكر

بعض شيوخنا أن الخليل بن أحمد ، رحمه الله ، سئل عن العلل التي يعتل بها في النحو ، فقيل له : عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك ؟ فقال : إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها ، وعرفت مواقع كلامها ، وقام في عقولها علله ، وإن لم ينقل ذلك عنها . واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه . فإن أكن أصبت فهو الذي التمسته ..) ، ومن ثم ذهب كثير من المجددين في النحو إلى إنعام النظر في هذه العلل ، والعمل على الاهتداء إلى الأشمل منها في الحكم ، والأظهر في التعليل ، والألصق بالعربية . ومهما يكن من شيء فإن القياس الذي استند فيه إلى إحدى العلتين التعليمية أو القياسية ، إنما يجانس طبيعة اللغة وخصائصها ، دون القياس الذي اعتمد على العلة الجدلية النظرية ، فنحا نحو الفلسفة واتسم بسمتها وغدا صناعة بل رياضة عقلية ونشاطاً ذهنياً ، وجعل التعليل أصلاً وغاية ، لا وسيلة وحاجة ، وبين القياسين من التفاوت والتنافر ما لاخفاء به ولا لبس .

فقولك (إن واخواتها) أشبهت الفعل المتعدّي اذا تقدم مفعوله على فاعله ، فنصبت اسمها ورفعت خبرها ، كما نصب الفعل مفعوله ورفع فاعله ، قولك هذا ، تعليل قياسي . لكن ايغالك في البحث عن وجه هذا الشبه وقولك إن (إن) تشبه الفعل لفظاً لأنها ثلاثية ، ومعنى لأنها تفيد التأكيد ، فإذا ُخففتْ ذهب َشبَه اللفظ فقلّ عملها ، قولك هذا تعليل جدلي نظري .

وقد نبه أبو سعيد السيرافي على استبعاد المنطق وعلته النظرية ،

كما نبه على وجوب تعلق النحو باللفظ والمعنى جميعاً . وذلك فيما ثار بينه وبين متى يونس من نقاش حكاه أبو حيان التوحيدي في مقابساته ، كما أوضح أبو القاسم الزجاجي في كتابه (الايضاح في علل النحو) أنواع العلة النحوية فربط بين العلة وغرضها . قال الدكتور مازن المبارك في كتابه (النحو العربي) : « لقد جعل الزجاجي العلل تعليمية وقياسية وجدلية نظرية ، وما كان له أن يجعلها كذلك لولا أنه نظر إليها على أن منها ما هو ضروري لتحقيق غاية النحو التعليمية ، إذ بالعلل التعليمية يُتوصل إلى معرفة كلام العرب ، ومنها ما هو ضروري لتحقيق غاية العربية ، إذ بالعلل القياسية يمكن أن نجاري العرب فنقيس على كلامهم ونكفل للغة استمرار حياتها ونمائها .. ومن تلك العلل بعد ذلك علل ليس للنحو فيها نصيب ، ولا للغة منها نفع .. وهي العلل التي تدخل في باب النظر والجدل ، وتكون بين القوم وسيلة استعلاء وتفاخر ، وسلاح اختبار وتناظر ». وكلامه في هذا ظاهر الاستقامة .

وقد استدرج الزجاجي مع ذلك إلى الجدل النظري ، وأورد الدكتور المبارك على ذلك مثالاً فيما رد به الزجاجي نفسه على النحاة ، حول ما هو أولى بالتقدّم في المرتبة (الاسم أم الفعل أم الحرف) ؟ فقد ذهب النحاة في جدلهم إلى أن الحروف عوامل في الأسماء والأفعال ، فوجب أن تكون قبلها حقاً ، سابقة لها . فقال الزجاجي في ردّه (وهذه مغالطة .. إن الفاعل في جسمٍ فعلاً ما ، من حركة وغيرها سابق لفعله ذلك ، لا للجسم . . فكذلك مثال هذه الحروف سابقة

لعملها في هذه الأسماء والأفعال .. ولا يجب من ذلك أن تكون سابقة للأسماء والأفعال نفسها ، وهذا بين واضح) .

★ ★ ★

ولا شك أن المعول عليه من التعليل ، ما قرن فيه صحة الحكم النحوي بسلامة المعنى ، وتحقيق المراد منه ، دون التعلّق بما تقتاد إليه براعة الصناعة ، ويؤدّي إليه الافتتان بها من الإغراب في الجدل والتأويل . كذلك كان كثير من الأوائل . وقد أشار إلى هذا الزجاجي في إيضاحه فاعتدّ الإعراب دليلاً على المعنى فقال : (إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني ، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافاً إليها ، ولم يكن في صورها وأبنيتها أدلّة على هذه المعاني بل كانت مشتركة ، جعلت حركات الإعراب تنبىء عن هذه المعاني .. ليتسعوا في كلامهم ويقدموا الفاعل ، إن أرادوا ذلك ، أو المفعول عند الحاجة إلى تقديمه ، وتكون الحركات دالّة على المعاني)[١] . وقال ابن جني في باب مقاييس العربية ، حول تفسير ما اصطلح النحاة أن يسموه العامل اللفظي والعامل المعنوي ، وحقيقة ما وراء ذلك (وإنما قال النحوي عامل لفظي وعامل معنوي ، ليُروك أن بعض العمل يأتي مسبباً عن لفظ يصحبه كمررت بزيد ، وليت عمراً قائم . وبعضه يأتي عارياً من مصاحبة لفظ يتعلّق به ، كرفع المبتدأ بالابتداء ، ورفع الفعل لوقوعه موقع الاسم ، هذا ظاهر الأمر ،

(١) النحو العربي للدكتور مازن المبارك / ٩٩ .

وعليه صفحة القول . فأما الحقيقة ومحصول الحديث فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم ، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره)[١] .

ويتصل بهذا ما ذهب إليه عبد القاهر الجرجاني (٤٧١ هـ) في كتابه (دلائل الإعجاز) من أن النحو يتجاوز البحث في أواخر الكلم وعلامات الإعراب . وقد استصوبَهُ الأستاذ ابراهيم مصطفى واستجاده في كتابه (إحياء النحو / ١٦) ودعا الى تدبّره والأخذ به . فقد رأى الجرجاني أن للكلام (نظماً) ، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه ، هو السبيل إلى الإبانة والافهام . وأنه إذا عُدل بالكلام عن سنن هذا النظم ، لم يكن مُفْهِماً معناه ولا دالاً على ما يُراد منه .

فإذا عدنا إلى دلائل الإعجاز رأينا أن المؤلّف يؤمن بأن فضيلة الكلام في الأصل إنما ترجع إلى معناه دون ألفاظه . وأن نظم الحروف في الكلمة لا يتم بمراعاة معنى في النفس ، وإنما يجري بمجرد تواليها في النطق وضمّ بعضها إلى بعض . أمّا نظم الكلام في التعبير فإنه لا يتم بتواليه كيفما اتفق ، وإنما يتم باقتفاء آثار المعاني فيترتب على حسب ترتيبها في النفس . فالأصل إذاً أن تُعمل الفكر فتتوخى الترتيب في المعاني ، فإذا كان لك ذلك أتبعتها الألفاظ وقفوت بها آثارَها . ومتى فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف الفكرَ في ترتيب الألفاظ ، بل تجدها تترتب لك فتتساوق بحكم أنها خدم للمعاني وتبع لها .

هذا والعلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها

---

(١) الخصائص (١/١١٤ - ١١٥) .

في النطق . فليس النظم إذاً إلاّ أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينـــه وأصوله ، وتعرف مناهجه التي نُهجت . فلا تخلّ منها بشيء [١] .

قال الجرجاني : (فلست بواجد شيئاً يرجع صوابه إن كان صواباً ، وخطؤه إن كان خطأً إلى النظم ، إلاّ وهو معنى من معاني النحو قد أصيب به موضعه ، أو عومل بخلاف هذه المعاملة ، فأزيل عن موضعه ، واستعمل في غير ما ينبغي له . فلا ترى كلاماً قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية أو فضل منه ، إلاّ وأنت تجد مرجع تلك الصحة ، وذلك الفساد ، وتلك المزية ، وذلك الفضل ، إلى معاني النحو وأحكامه ، ووجدته يدخل في أصل من أصوله ، ويتصل بباب من أبوابه) .

يقول الأستاذ ابراهيم مصطفى (لقـــد آن لمذهب عبد القاهر الجرجاني أن يحيا وأن يكون هو البحث النحوي) . ولا شك أن مذهب الجرجاني هذا قويم . وقد كشف الدكتور أحمد أحمد بدوي [١] عما انتهى إليه الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) من أنّ أصل المعنى يمكن أن يعبر عنـــه بطرق مختلفة وأن لكل عبارة من ذلك معناها الذي تفترق به عن العبارة الأخرى ، لأن العبارتين لا يمكن أن تؤدّيا معنى واحداً ، إلا إذا اتفقنا من جميع الجهات . أقول هذا ما فات النحاة أن ينبهوا عليه ويفصحوا عنه في كثير من الأحيان . فأغفلوه وتجاوزوه حين أغرقوا في العناية بالصناعة اللفظيـــة وقصروا الاهتمام على ضبط أواخر الكلم .

---

(١) عبد القاهر الجرجاني للدكتور أحمد أحمد بدوي .

على أنه إذا كان قد عيب على النحاة أنهم اتخذوا منطق الفقهاء حيناً ونهج المتكلمين حينا آخـــر ، وأنهم يمموا سمت الفلاسفة في الجدل النظري ، فهل يصلح النحو ويبرّئه مما علق به ، أن يذهب به مذهب الجرجاني حسبُ ، فيتسع بحثه وتمتد أطرافه إلى الكشف عن نظم تأليف الكلام وتصرف معانيه ؟

أقول لاخفاء بأن الجرجاني قد وفق فيما ذهب إليه من تجاوز ظواهر الإعراب إلى تبيّن أسراره وأغراضه ودواعيه . وقد كان يرى النحو ، كما انتهى إليه ، ضرباً من التكلّف ولوناً من التعسّف . ولو كان النحاة قد أخذوا بعد بنهجه لمضوا في سنن قويم . لكنهم صدفوا عن خطته فلم يهتدوا بأمثلته ، وآثروا التقليد دون الابتداع ، والاقتداء دون الابتداء .

وقد أفرد بعضهم مذهب الجرجاني هذا ، ليجعلوا منه أصولاً لما أسموه (علم المعاني) ، فبخسوا النحو حقه ، بـــل أيبسوا نسغه وغاضوا ماءه وأذهبوا ندوّته .

على أنه لا مناص ، على كل حال ، أن يضم إلى مراعاة نهج الجرجاني في النحو ، تعريته مما انتابه من تعقيد نبابـــه عن روح اللغة ، واعتوره من تعليل باعد بينه وبين غرضه فيكون ذلك كله قاعدة تتخذ لتجديد النحو ، وأساساً يعتمدّ لتحريره وتشذيبه .

ذلك أن العلة النحوية قد اعتمدت على العلة الفقهية والكلامية . وبدا ذلك جلياً خلال القرن الرابع الهجري . بل ضربت على قالب العلة الفلسفية وطبعت على غرارها . وقـــد رأينا كيف استدرج

الزجاجي إلى الجدل النظري في ردّه على النحــاة ، على أنه لم يوغل فيه ولم يسترسل . فقد قال في إيضاحه : (وليس هذا من ألفاظ النحويين ولا أو ضاعهم . وإنما هو من كلام المنطقيين وان كانتعلّق به جماعة من النحويين) .

وانقاد أبو سعيد السيرافي (٣٦٨ هـ) للجدل النظري في شرحه الكتاب وبيان الرأي في مسائله .. ولو كان حريصاً على التمييز بين حجة المنطقيين وحجة النحويين فيما ثار بينه وبين أبي بشر متى بن يونس ، في مجلس الوزير ابن الفرات .

وجرى أبو علي الفارسي (٣٧٧ هـ) هــذا المجرى في تعليله ، وحرص على القيــاس في مختلف كتبه ك (الايضــــاح في النحو) و (مسائله) . ولاننسَ قول ابن جني . (أحسب ان أبا علي قد خطر له وانتزع من علل هذا العلم ثلث ماوقع لجميع أصحابنا ـ الخصائص ٢١٥/١) . وقـــد كان معنيّاً بالاعتزال من مذاهب علم الكلام . وسلك ابن جني مسلك استاذه وكان أعلق بأصول المنطق والفقه . لكنه عُرف بالأصالة والسبق ، فأدّاه النظر الثاقب والرأي النضيج إلى فرائد وطرائف في اللغة وفقهها . وقـــد ماز العلة النحوية من الفقهية والكلامية ، وجعل اتكاء النحوية على رهافة الحّس وبداهــة الطبع (الخصائص ١/٥٠ ــ ٥٢) ، ورأى أنها ليست في سمت الكلامية ، لكنها أقرب إليها من الفقهية . و ُفـّق ابن جني في إنكار العلل الثواني أو علة العلل ، فاعتدّمنها ما جاء تتميماً للعلة الأولى وشرحاًلهـــا ، لأنك إذا ابتغيت علة لكل علـّة فطلبت العلل الثوالت فما بعد ، أدّاك

هذا إلى مالا يُعد منهـا ولا يحصى . قال ابن جني (١|١٧٨) : (.. فإن تكلّف متكلّف جواباً عن هذا تصاعدت هذه العلل ، وأدى ذلك إلى هجنة القول ، وضعف القائل به) . وقد دافع ابن جنى عن علل النحويين وردّ على من اعتقد فسادها وادعى ضعفها . ولا ننسَ علي بن عيسى الرماني المعتزلي الذي عرف بطريقته الخاصة بمزج النحو بالمنطق ، كما أشار إليه أبو حيان التوحيدي .

هذا وقد دعا إيغـال النحاة في التعليل إلى اتخاذ حجج نحوية لا تثبت على نقد أو نظر . فعمد كثير من الأئمة إلى توهينها وتزييفها ، ونبهوا على سقمها ووهيها ، ودلّوا على تعارضها وتخاذلها ، وخروجها جملة عن غرض النحو وغايته . قال ابن سنان الخفاجي (٤٦٦ هـ) في سـر الفصاحة (فأما طريقة التعليل فإن النظر إذا سُلّط على ما يعلل النحويون به ، لم يثبت معه إلاّ الفذ الفرد ، بل لايثبت شيء البتة . ولذلك كان المصيب منهم المحصّل من يقول : هكذا قالت العرب ، من غير زيادة على ذلك) ، وأردف : (فربما اعتذر المعتذر لهم بأن عللهم إنما ذكروها وأوردوها لتصير صناعة ورياضة على قانون التعليل الصحيح ، والقياس المستقيم ، فذلك بعيد لايكاد يذهب إليه محصّل) على أن عيب العائبين لنهج النحو وعلله لم يمنع النحاة من المضي في طريقتهم ، كما تشهد بذلك علل الكشـاف والمفصّل للامام المعتزلي الزمخشري (٥٣٨ هـ) والإنصاف ولمع الأدلة والاغراب لابن الأنباري (٥٧٧ هـ) . فثار ابن مضاء القرطبي (٥٩٢ هـ) على النحاة وأنكر مذهبهم هذا وغلوّهم فيه في كتابه (الرّد على النحاة) بل حاول نقض كثير من أصولهم . فما القول فيما انتحاه وجاء به ؟ .

لا شك أن ابن مضاء قد سُبق إلى كثير مما ذهب إليه حين قال بإلغاء (العامل) وإنكار العلل الثواني والثوالث واستبعاد الجدل النظري والحجاج الفلسفي وكل ما ينأى باللغة عن طبيعتها ويلفت عن واقعها ، بل كل ما لا يفيد في ضبط أحكامها وتحقيق الغاية في الكشف عن أصولها . لكنه عول على (النصّ) وحده ، كما توخاه في مذهبه الفقهي الذي عُرف بـ (الظاهرية) وقال باغفال القياس . والمذهب الظاهري في الأصل مذهب فقهي دعا إليه في القرن الثالث الهجري أبو داود بن علي بن خلف البغدادي إمام أهل الظاهر في المشرق ، كما تولى بسطه والاحتجاج له والمنافحة عنه في غير هوادة في القرن الخامس الهجري الإمام علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ، في الأندلس ، معتقداً أن القرآن إنما يجب (أن يُحمل على ظاهره ولا يحال عن ظاهره البتة ، اللهم إلاّ أن يأتي نصّ أو إجماع أو ضرورة حسّ على أن شيئاً منه ليس على ظاهره ، وأنه قد نقل من ظاهره إلى معنى آخر ، فالانقياد عندئذ واجب لما يوحيه ذلك النصّ والإجماع والضرورة) . وقد جاء تفصيل ذلك في كتب ابن حزم (الفصل في الملل والأهواء والنحل) و (الإحكام في أصول الأحكام) و (إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل) .

وقد عاش ابن مضاء في القرن السادس الهجري الذي ثارت به الأندلس على المشرق في الفقه وفروعه . ودعت إلى هذه الثورة دولة الموحّدين فأحرقت كتب المذاهب الأربعة . فاستنّ ابن مضاء مذهبه

في النحو على مثال مذهب الظاهرية في الفقه فأنكر القياس كما أنكرته، وعوّل على النصّ كما عوّلت .

أقول أما إنكاره العلل الثواني والثوالث ، والمباعدة بين النحو والجدل النظري وكل ما يقلبه عن وجهته ويُحيله عن قصده فهو أمر يؤنسك بسداده ويقنعك بجدواه . وقد رأينا أن الزجاجي قد ماز العلة التعليمية عن القياسية ، وعزل هاتين عن الجدلية النظرية ، وأن ابن جني قد أنكر العلل الثواني والثوالث . أمّا تعويل ابن مضاء على (النصّ) وإغفاله (القياس) فإنا نستسرفه، إذ كيف يمكن أن تنهض لغة لا يعمل قياس على رسم ضوابطها وشرع حدودها . بل يسهل مدارجها ويوسّع موالجها ويمهّد إزاءها سبل التوليد والنماء ويرصد لها أسباب الاتساع والارتقاء . على أنه إذا كان ابن مضاء قد ألغى (علة العلّة) ، فمؤدّى ذلك أنه لم يأبَ العلّة ، وقبوله العلّة يعني أنه آخذ بنوع من القياس قال ابن مضاء (١٥٢) : (والفرق بين العلل الأول والعلل الثواني أن العلل الأوَل بمعرفتها تحصل لنا المعرفة بكلام العرب) . بل ارتضى شيئاً من العلل الثواني ، وأسماه المقطوع به (١٥٣) . وقد كان معوّلاً على الاستقراء فإن قيل (لِمَ رُفعَ الفاعل فالصواب أن يقال له كذا نطقت العرب ، ثبت ذلك بالاستقراء والتواتر) . وإلى مثل هذا أشار ابن سنان الخفاجي كما مرّ .

ولا شك أن ابن مضاء قد نقض أصول النحو وقوّض دعائمه ، فذهب المرحوم الدكتور طه حسين إلى أنه (لم يفكر بالاصلاح بمقدار

ما فكر في هدم النحو)[1] وخالفه الدكتور مازن المبارك في كتابه (النحو العربي) فقال (أما رأي الدكتور طه حسين فهو مجحف في حق ابن مضاء .. ثم هو قبل ذلك حكم غريب أو َلم يناد ِ ابن مضاء بما ينادي به - إحياء النحو - اليوم .. فكيف يكون هداماً أكثر منه مصلحاً في رأي من يرى محاولة الأستاذ ابراهيم مصطفى إحياءً للنحو ..) :

أقول لاخفاء أن الأستاذ ابراهيم مصطفى قد ذهب مذهب ابن مضاء ومن سبقه في أن الإعراب وسيلة للتعبير ، فحركاته إنما تدلّ على المعاني .. وقد أنكرا أن يكون الإعراب أثراً يجلبه (العامل) . وعزوا حركات الإعراب إلى ما في نفس المتكلم من وحي المعنى ، ولكن كيف يتأتى للمتكلم أن يُجري لسانه بحركات الإعراب هذه فيؤلّف الجملة على ما يقتضيه نظام الكلام ؟

ذكر الأستاذ ابراهيم مصطفى أن الضمة تدل على الإسناد فهي عَلَمَه وموضعُها المسند إليه المتحدث عنه ، وأن الكسرة تدل على الإضافة فهي عَلَمَه ايضاً وموضعُها فيما يضاف إليه ، أما الفتحة فليست علامة إعراب وإنما هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب ، يشكلون بها آخر الكلمة في الأصل ودرج الكلام . ومهما يكن الرأي فيما ذهب إليه الأستاذ فإنه قد جاء بما قدّر أنه يُغني مُغنى (العامل) ويسد مسده ، ويكون أقرب إلى تفسير نظام تأليف الكلم . أما ابن مضاء فقد عاب ما كان للنحاة من أصول ، ولم يُقم

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية القاهري (الجزء الرابع) .

أصولاً جديدة تحل محلها وتغني مُغناها .. والذي فعله أنه نهج السبيل لاتخاذ هذه الأصول ووجه الفكر لبلوغ القصد وتحقيق الغاية ، بل شرع في اعتماد هذه الأصول فقال (١٠٧) : « فإن قيل أنت قد أبطلت أن يكون في الكلام عامل ومعمول ، فأرنا كيف يتأتى ذلك مع الوصول إلى غاية النحو . قلت أورد هذا في أبواب تدل على ما سواها بالأحرى . وقد شرعت في كتاب يشتمل على أبواب النحو كلها فإن قضى الله باكماله .. وإلا فيستدل بهذه الأبواب على غيرها » .

وقد ذهب إلى هذا الدكتور محمد خير الحلواني في كتابه (أصول النحو العربي) فقال : « تلك هي زبدة أراء ابن مضاء في العامل النحوي ، وهي كما ترى تجنح للهدم ، ولا تسعى إلى إقامة أساس جديد ينهض عليه البناء النحوي » . على أن ابن مضاء قد شرع في هذا ، فأين كتابه الذي حاول به اعتماد هذه الأصول ؟

* * *

هذا وليس الإعراب أثراً لما في نفس المتكلم من وحي المعنى ، في كل حال . فقد يتفق أن يكون أثراً لعامل لفظي لا صلة له بالمعنى الذي يريد . فاذا قلت (ما أتاني رجلٌ) كان رفع (رجل) أثراً لما أردته به حين جعلته (مسنداً إليه) أو (متحدثاً عنه) . لكنك تقول (ما أتاني من رجل) فتعدل به عن حركة الرفع ، وأنت تريد بـ (رجل) أن يكون المسند إليه أيضاً . وهكذا يجر (رجل) استجابة لعامل لفظي هو الجار ، ولا يرفع استجابة لما أردت به من معنى . وقد يقال إن « الجار » ها هنا قد أضاف معنى الاستغراق ، كما أوضحه ابن هشام في المغني ، ودلّ عليه الزمخشري

في قوله تعالى « وما تسقط من ورقة إلا يعلمها .. » ، وأشار إليه النسفي في تفسيره حين قال « إن – من – في قوله تعالى : وما تسقط من ورقة – للاستغراق » .

أقول إن الجرّ ، على كل حال ، قد جاء أثراً للجار ، لا للاستغراق ، وقد يعبر عن الاستغراق ، بأسلوب آخر . هذا واذا قلت (إجلالك المعلمَ واجب عليك) كان نصب المعلم أثراً لما أردته به حين جعلته (مفعولاً به) ، لكنك تقول (إجلالك للمعلم واجب عليك) فتعدل به عن حركة النصب إلى الجر ، وأنت لا تعني غير ما عنيت أولاً . وتقول (ليس ينبغي أن يضرب الرجلُ أخاه) ، كما تقول (ليس ينبغي ضربُ الرجل أخاه) . قال ابن جني (١ / ٢٩٠) : (فانت إذا أضفت المصدر إلى الفاعل جررته في الفظ ، واعتقدت مع هذا ، انه في المعنى مرفوع) . وقد ذهب إلى نحو من هذا الدكتور محمد خير الحلواني ، فقال : (وعلى هذا يكون الإعراب في هذه اللغة استجابة لأحد مؤثرين : مؤثر معنوي تجد فيه الإعراب خاضعاً للمعنى خضوعاً مطلقاً .. ومؤثر لفظي تجد فيه الإعراب لا يجاري المعنى ، ولا يعبر عنه ، بل يخضع للعلاقات اللفظية في التركيب) . وقد أتى بشواهد تؤنس برأيه كما مثلنا .

لكن الجديد الطريف أن إمام الصناعة سيبويه ، قد عرض في كتابه (١٠٨/١) لحركة الاعراب حين لا تستجيب للمعنى المراد . فعقد لذلك باباً أسماه (استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى) .

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

صفحه در اصل مجله ناقص بوده اس

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

صفحه در اصل مجله ناقص بوده اس

فحه در اصل مجله ناقص بوده اس

وتوجيه ذلك أن (العامل) عند النحاة (ما به يتقوّم المعنى المقتضي للإعراب) كما يقول ابن الحاجب في كافيته . فالفعل حين يوجب النصب في الاسم مثلاً إنما يوجبه بما استقرّ في هذا الاسم من معنى المفعولية بسببه . قال الرضي في شرح الكافية (٢٥/١) : (فالموجد كما ذكرنا لهذه المعاني هو المتكلّم ، والآلة العامل ، وكذا الموجد لعلامات هذه المعاني هو المتكلم . لكن النحاة جعلوا الآلة كأنها هي الموجدة للمعاني ولعلاماتها) . وهكذا وصل الرضي بين ما ذهب إليه النحاة عامة ، وما جاء به ابن مضاء ومن سبقه حين قالوا العمل للمتكلم لا للعامل .

فاذا قلت (كلت لك الطعام) فالطعام هو المفعول به ، وقد وقع عليه فعل الفاعل ، فهو المكيل ، واستوجب حاله النصب لما تقوّم فيه من معنى المفعولية بسبب العامل ، وهو الفعل ، على ما يرى النحاة . لكن العرب قالت إلى ذلك (كلت خالداً الطعام) فنَصَبت (خالداً) ولم يتقوم فيه معنى المفعولية ، اذ لم يقع عليه فعل الفاعل ، فليس هو المكيل ، وإنما المكيل الطعام . فما القول فيه ؟ الفعل قد عمل هنا في « خالد » ، وفي « الطعام » . أما عمله في « خالد » فهو في اللفظ ، على ما قرره سيبويه في أمثاله ، وأما عمله في « الطعام » فعمل في المعنى .

فاذا كان النحاة قد ذهبوا إلى أن العامل هو الذي يقوّم المعنى فيوجب الحركة التي تجانسه ، أو أن ذلك إنما يجري بسبب العامل فهو أداة يتقوم به المعنى الذي يستدعي الحركة ، فظاهر كلام سيبويه

أن العامل هو الذي يحدث الإعراب ، وهو ما أنكره عليه ابن مضاء فقال « ٨٦ » : (وذلك بين الفساد) ، لكن سيبويه قد أوضح أن الأصل في العامل ، كالفعل مثلاً ، أن يعمل في المعنى ليعمل في اللفظ ، وقد يعمل في اللفظ دون المعنى ، فلا تكون الحركة في المعمول استجابة للمعنى . وقد مثل سيبويه لما يريد بقول « عامر بن الطفيل : لأبغينكم َقنا و ُعوارضا .. » فقال (١ / ٨٢) : (قنا وعوارض : مكانان ، وإنما يريد بقنا وعوارض) . أي أن الفعل في (أبغينكم) قد عمل في المعنى حين نصب الضمير المتصل ، فلاءمت الحركة المقدّرة المعنى ، لكنه عمل في اللفظ حين نصب (قنا) لأن الحركة المقدرة لم تجانس المعنى ، ذلك أن المعنى على نية الجر ، والحركة هي النصب .

وذكر سيبويه قول ساعدة (كما َعسَل الطريق الثعلبُ) وعسل الثعلبُ اذا سار في سرعة واضطراب ، فكثرة النحاة على أن نصب (الطريق) وهو من الظروف المختصّة إنما كان اتساعاً ، على نزع الخافض ، أما سيبويه فقد أشار أن (َعسَل) حين نصب (الطريق) قد عمل فيه لفظاً لا معنى . ذلك أن النصب لم يأت استجابة للمعنى ، لأن المعنى على الجرّ .

ولا بد هنا من الاشارة إلى أمرين : الأول أن المرحوم الدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العراقي قد عرض للأفعال التي نطق بها العرب لازمة معنى ومتعدية لفظاً ، فقال في كتابه (دراسات في فلسفة النحو والصرف) : (فالتعدي الحقيقي هو صدور الفعل من الفاعل .. ووقوعه على غيره .. فاذا قلنا أكلت الطعام .. فالطعام

مفعول به بتعدٍ حقيقي ، وقولهم سفه نفسه وغبن رأيه . . ورشد أمره . إنما هي متعدية تعديا لفظياً ، وذلك بدلالة جواز قولك سفهت نفسُه وغبنُ رأيُه .. ورشد أمرُه .. برفع هذه الأسماء على الفاعلية) . وقال : (تكلمنا سابقاً على التعدية اللفظية والتعدية الحقيقية ، والمفعول به اللفظي والمفعول به الحقيقي ... وذكرنا أن ذلك مما لم يعرفه علماء النحو لأنهم لم يفكروا فيه ، إنما كان وكدهم أن يعيّنوا المنصوب ويميزوه من غيره ..) .

أقول قد جاء في التنزيل (إلا من سفِه نفسَه ـ البقرة/١٣٠) فساق الأزهري صاحب التهذيب خمسة أوجه لتخريج (نفسَه) في الآية ، وأضاف أبو حيان في البحر المحيط وجهاً سادساً .. وبحث هذا كثيرون ، فهل ذكروا ذلك كله ليبينوا أن (نفسَه) قد جاء في الآية على النصب ، وقد رأيت أنه قرىء منصوبا ؟ أقول إنهم استقصوا هذا فحفلت به كتبهم ليكشفوا عن عامل النصب فيه والمعنى الذي اقتضاه ، ولو أنهم لم يقصروا همهم على تصرف المعنى ، بل غادروه إلى ما اتخذوا في هذه الوجوه من أساليب الصناعة .

على أنه إذا كان كثرة من النحاة قد ذهب إلى أن (نفسَه) منصوب على نية الجر ، للزوم الفعل ، كما ذكره صاحب التهذيب ، والرّضي ، وصاحب المصباح ... وكان سيبويه قد ذهب في أمثاله من الأفعال اللازمة التي نصبت الاسم وهو على معنى الجر ، أنها عملت في اللفظ لافي المعنى ، أفلا يعني هذا أن منصوب هذه الأفعال إذا صح أن يسمى مفعولاً ، فهو مفعول لفظاً لا معنى . .

وأنه متى نصب معنى كان المفعول على حقيقته وأصله ، فما الذي زاده الدكتور جواد هنا ليقول إنه أتى بما لم يأت به الأوائل ؟

والأمر الثاني الذي نود التنبيه عليه أن لكثير مما تصوره النحاة في (العوامل النحوية) واشترطوه ، دواعي وبواعث معقولة ، قد عمد الدكتور محمد خير الحلواني إلى بحثها وشرحها فيما أسماه (مسوغات نظرية العامل) ، ولسنا في معرض تدبرها والحديث عنها . لكنه إذا كان ابن مضاء قد سوّأ (العامل النحوي) ونقض بنيانه ، فذلك أن النحاة قد تجاوزا فيما انتحوه الغرض الذي أرادوا ، وركبوا فيه مركب وعراً ، فانتقض كثير من حججهم ، ودُفع مستفيض من عللهم ، وتخلف قصدهم الذي ابتغوه . بل ذهب ابن مضاء إلى ما ذهب إليه ، لما أفضت إليه خطة النحاة من تركيبٍ انحط عن كلام الفصحاء أحياناً ، وتأليفٍ لم يسمع من كلام العرب أو ينطق به . قال ابن مضاء ٢٨٠ : (وإني رأيت النحويين .. رحمة الله عليهم ، قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانته من التغيير ، فبلغوا من ذلك الى الغاية التي أمّوا ، وانتهوا الى المطلوب الذي ابتغوا ، إلا أنهم التزموا مالا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوه منها ، فتوعرت مسالكهم ، ووَهنَتْ مبانيها ، وانحطت عن رتبة الاقناع حججها) . وقال (٨٨) : (فإن قيل : إن ما قالوه من ذلك إنما هو على وجه التشبيه والتقريب ... قيل لو لم يُسقهم جعلها عواملَ الى تغيير كلام العرب وحطّه عن رتبة البلاغة الى هجنة العي ، وادعاء النقصان فيما هو

كامل ، وتحريف المعاني عن المقصود بها ، لسومحوا في ذلك . وأما مع إفضاء اعتقاد كون الالفاظ عواملَ الى ما افضت إليه ، فلا يجوز اتباعهم في ذلك) .

لذا كان على من يتصدى لتقويض دعائم البناء النحوي أن يجتهد في إقامة صرح يحل محلّه ويجزي مجزاه ، في تحقيق الغاية من النحو ؛ ويعرَى إلى ذلك ، مما أخذ على أصوله الشائعة .

قال ابن جني في النحو ، على ما جاء في (الخصائص ١٩٦/١) : (وإنما هو علم منتزع من استقراء هذه اللغة . فكل ما فُرق له من علّةٍ صحيحة ، وطريقٍ نهجةٍ ، كان خليلَ نفسه ، وابا عُمَر فكره . إلّا أننا مع هذا الذي رأيناه وسوغنا مرتكبه ، لانسمح له بالإقدام على مخالفة الجماعة التي طال بحثها . . . إلّا بعد أن يناهضه إتقانا ويثابته عرفاناً ، ولا يخلد إلى سانح خاطره ولا إلى نزوة من نزوات تفكره . . فاذا فعل ذلك سُدد رأيه وشيّع خاطره . . وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : ما على الناس شيء أضر من قولهم ماترك الأول للآخر شيئاً . .) .

وممن اجتهد في تجديد النحو حديثاً الأستاذ محمد الكسار في كتابه (المفتاح) ، وبحثه في التجديد جدير بالعناية والتدبر . لكنه قد مهّدله بأن عاب على النحاة أنهم أفسدوا النحو وشوهوه ، فاستبهمت عليهم معالم القصد ، وعميت وجوه الرشد ، فسفه رأيهم وطاش سهمهم . وقد عزا ذلك إلى أعجميتهم حيناً وشعوبيتهم حيناً آخر . بل ردّه إلى جهلهم . . وكنت أرجو وقد حاول ابتغاء

المنهج العلمي ، أن يقتاس بفعل ابن مضاء ويستن بسنته . فقد حمل هـذا على النحو حملته الشعواء ، لكنه قال : ٨٠) : (وإني رأيت النحويين ، رحمة الله عليهم ، قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانته عن التغيير ، فبلغوا من ذلك إلى الغاية التي أمّوا ، وانتهوا إلى المطلوب الذي ابتغوا . إلا أنهم التزموا ...) . وما أجدر أن يُعرف للنحاة فضلهم فيقدر حق قدره ، ويُحمد لهم جهدهم فيجزى بالبحث والتمحيص والتنويه ، حق جزائه . ثمّ يؤخذ عليهم ما حادوا به عن الجادة فباينوا به وجه الصواب ونأوا عن مرمى السداد . كذلك فعل الدكتور أحمد عبد الستار الجواري عضو المجمع العراقي في كتابه (نحو التيسير) ، فوفّى النحاة حقهم ونوه بكثير من أصولهم ، ثم أوضح مذهبه في تجريد النحو مما شابه وعلق به ، فحرفه عـن غرضه وأضلّه عن غايته . ثم أوصى بالعودة إلى القرآن الكريم والاستمساك بشواهد وجعلها أساساً للنحو الجديد ومحوراً لأصوله وأحكامه .

هذا وقد لفتني من كلام الأستاذ محمـد الكسّار ما ذكره عن مذهبه في (إنّ) واسمها وخبرها . وقد أجمل ذلك الأستاذ حسين محمد المصري فقال : (والجديد الذي جاء به مؤلّف المفتاح في موضوع الإسناد من جعل اسم ـ إن ـ المنصوب ، فضلة ، وخبرها المرفوع مسنداً إليه ، موضوع طريف ، جدير بالدراسة وإمعان النظر فيه .. فإذا قلت .. إن الله واحد ، فالتوكيد ينصرف إلى الوحدانيـة المستفادة من أحد ، وليس منصرفاً إلى لفظ الجلالة . ويجعل اسم

ـ إن ـ شبه فعل ، وهي المسند ، واسمها متمم له ، وخبرها هو المسند إليه) . وقال الأستاذ محمد الكسار للأستاذ عباس حسن ، عضو مجمع اللغة القاهري : (ماذا تقول يا أستاذ في جملة ـ إن الله واحد ـ هل التوكيد المستفاد من ـ إن ـ منصرف إلى لفظ الجلالة أم إلى الوحدانية المستفادة من ـ واحد) وأردف الأستاذ الكسار (فلم يسعه إلاّ التسليم والإقرار بوجهة نظري في الإسناد) .

وظاهر هذا الكلام أن النحاة لم يذكروا أن التوكيد في (إن) منصرف إلى خبرها ، فلم يدخل ذلك في علمهم أو يخطر لهم ببال .

والحقّ أن النحاة قد أوضحوا أن ـ إن ـ تفيد التوكيد ، وأن معناه يتجه الى المصدر المستفاد من الخبر ، وهو المسند في الأصل . فالمؤكد في قولك (ان الله واحد) ، على ما ذكر النحاة ، انما هو الوحدانية ، لا الله . ودخول ـ ان ـ يعني تأكيد (ثبوت المسند أصلاً وهو الوحدانية ، لله ، وهو المسند اليه) .

ففي شرح قطر الندى لابن هشام (١٠٧) : (إن وأن ومعناها التوكيد ، تقول زيد قائم ، ثم تدخل ـ إن ـ لتأكيد الخبر وتقريره ، فتقول : إن زيداً قائم) . وفي حاشية العطار على الأزهرية (قوله ان المكسورة وان المفتوحة لتوكيد النسبة .. أي تقوية وتثبيت النسبة الكائنة بين اسمها وخبرها ، وهي ثبوت المسند للمسند اليه . نحو ان الله غفور رحيم) وهكذا يصبح (الخبر) كالعمدة ، و (الاسم) كالفضلة . قال اليازجي في (نار القرى) : (وقيل ذلك لأنّ معانيها

في الأخبار ، فكان أخبارها كالعمد ، واسماؤها كالفضلات . أي أنك تسند التأكيد للخبر فيصبح كالعمدة . وقد جاء بهذا الأشموني فقال (لأن معانيها في الأخبار فكانت كالعمد ، والأسماء كالفضلات فأعطيا اعرابها) . وذكره صاحب الهمع (١٣٤/١) .

واذا استقر هذا فكيف تذهب المسألة على عالم كالأستاذ عباس حسن ، وهو الإمام في النحو ، فيرتاب في صحة دخول التأكيد على خبر (إن) ، في قولك (ان الله واحد) ، حتى يثبته له ويكشف عنه مؤلف المفتاح ؟

وقال الأستاذ محمد الكسار : (ان بحث الإسناد من وجهة نظري الجديدة التي أقرني عليها الكثيرون من شأنه أنه يساعد على توحيد بواب المرفوعات كافة تحت اسم العمدة ، بعد أن استعصى هذا التوحيد ، على الذين حاولوه من أمثال ابراهيم مصطفى بسبب سوء فهم الإسناد الذي استمر .. دون أن يلقى العناية اللازمة لتصحيح فهمه ، في ضوء فهم المعاني الدقيقة التي تؤديها - إن وأخواتها ، التي سماها النحاة حروفاً مشبهة بالفعل ، وأنا سميها أركاناً فعلية ناقصة ، تتم بالفضلة الاسمية التي تليها ، والتي اعتبرها النحاة كافة عمدة منصوبة ...) .

وحصيلة هذا الكلام أن النحاة لم يفكروا في توحيد أبواب المرفوعات حتى حاوله الأستاذ ابراهيم مصطفى فاستعصى عليه من حيث استيسر واتفق لصاحب المفتاح .

والحق أن النحاة حاولوا توحيد المرفوعات والمنصوبات. فذهب

جماعة إلى أن أصل المرفوعات : الفاعل ، فكل مرفوع عداه شبيه به ، وأن أصل المنصوبات المفعول به ، فكل منصوب سواه نظير له .

قال صاحب الهمع : (العمدة عبارة عما لا يسوغ حذفه من أجزاء الكلام إلا بدليل يقوم مقام اللفظ به . وجعل إعرابها الرفع كما تقدم في أنواع الإعراب . وألحق منها بالفضلات في النصب خبر كان وكاد ، واسم ان ولا ..) ، وقال : (اختلف في أصل المرفوعات ، فقيل المبتدأ ، والفاعل فرع عنه ، وعزي الى سيبويه ... وقيل الفاعل أصل ، والمبتدأ فرع عنه . وعزي للخليل ..) .

وفي شرح الكافية للرضي (٢٧٧/٢) :) الذي يطلبه الفعل من الاسمية المدخول عليها ، اما فاعل أو مفعول . فإن اقتضى فاعلاً ، وذلك في باب كان ، رفعنا المبتدأ تشبيهاً له بالفاعل ، ونصبنا الخبر تشبيهاً له بالمفعول) . وقال أيضاً (١٠٩/١) : (وأما من قال ، وهو الحق ، إن الرفع علامة العمد فاعلة كانت أو لا ، والنصب علامة الفضلات مفعولة كانت أو لا ، فلا يحتاج تشبيه هذه المرفوعات بالفاعل ، بل يحتاج في نصب بعض العمد ، وهو اسم ان وأخواتها .. وخبر كان وأخواتها .. الى تشبيهها بالفضلة) .

وهذا يعني أن النحاة جعلوا الرفع للعمد كيف جاءت ، والنصب للفضلات كيف اتفقت ، فإذا حدث لعمدة أن نصبت فذلك تشبيهاً لها بالفضلة ، فخبر كان في الأصل عمدة لكنه نصب لشبهه بالفضلة . ولكن لِم كانت أخبار الأفعال الناقصة كالفضلات تستحق النصب ؟

يقول ابن الحاجب في كافيته ان كان وأخواتها قد وضعت ، لتقرير الفاعل على صفته ، . فحين تقول (كان خالد) فإنك تدخل الفعل الناقص على ، خالد ، بغرض تقرير الفاعل ، أي تثبيته على صفة من الصفات ، أو حال من الأحوال . لذلك لا بد أن تتم كلامك فتقول (كان خالد كريماً . فتفصح عن هذه الصفة التي جعل (خالد) عليهـا ، وهي الكرم ، فتحقق الغرض من دخول الحرف الناقص على الاسم .

ويقول عبد الرحمن الجامي في شرح الكافية : (ولا شك أن هذه الصفة خارجة عن ذلك التقرير ، الذي هو العمدة في الموضوع) . أي أن دخول (كان) على ، خالد ، انما تم لتقرير (الفاعل) ، وليس في هذا التقرير ، وهو الأصل في الموضوع ، ما يشير الى الصفة التي جعل (خالد) عليها . فالصفة خارجة عن هذا التقرير ، أما (الفعل التام) في مثل قولك جرى خالد) ففيه تثبيت للفاعل من جهة ، ووصف له بـ . الجري) من جهة أخرى .

وليس يعنينا هنا أن نتبين صحة ما ذهبوا اليه ، لكن المهم أن ننبه على أن ما ذكروه في (كان وأخواتها) انما قصد به توجيه الرفع في اسمائها ، وتعليل النصب في أخبارها . كما فعلوه في (ان) وأخواتها . فما دامت الأفعال الناقصة انما وضعت لتقرير الفاعل أي لتثبيته ، فالاسم لا يزال على أصله عمدة ، يستحق الرفع . وما دام تقرير الفاعل قد كان بغرض جعله على صفة من الصفات ، فهذه الصفة الخارجة عن التقرير ، فضلة . ولا ننسَ أن الكوفية قد أسمت

خبر كان حالاً (الهمع ١١٠/٢) . وأيد ابن جني شبه خبر (كان) بالحال ، فقال في الخصائص (٤٦٢/٢) : « وأجاز أبو الحسن زيادة الواو في خبر كان ، نحو قولهم : كان ولا مال له ، أي كان لا مال له . ووجه جوازه عندي شَبَهُ خبر كان بالحال ، فجرى مجرى قولهم : جاءني ولا ثوب عليه ، أي جاءني عارياً » .

واذا ثبت هذا الذي قدمنا ، فقد كان من دواعي الإنصاف والإيضاح ، أن يشير اليه صاحب المفتاح . ثم ينتهي الى بسط رأيه وجلاء مذهبه موافقة أو مخالفة .

* * *

هذا وقد اطمأن بجملة ما أسلفنا أن الأئمة قد ذهبت في اتخاذ القاعدة النحوية الى الأعم والأغلب كما فعل عيسى بن عمر وسيبويه ، وجرى عليه الأخفش والفراء والكسائي ، حتى غدا التعويل على الأكثر أصلاً راسخاً استن بسنته النحاة من بعدهم ونهجوا سبيله في أحكامهم . ولذا كان القول ، قبل النظر ، بسائر الأوجه المدرجة في المسألة منعياً على صاحبه ، من حيث كان مجلبة للالتباس والاضطراب قبل كل شيء . ومن ثمّ كان الأصل في القول بالتلحين والتصويب أن يعوّل على ما نُصّ أنه مذهب الجمهور . وليس يمتنع الأخذ بسواه اذا اشتهر وشاع ، فهذا يكون الى جانب ذلك في الصحة والجواز ، ولو لم يماثله غالباً في الجودة والقوة . قال ابن جني في الخصائص (٤٨٨/٢) : (إعلم أن المذهب في هذا ونحوه أن يعتقد الأقوى منها مذهبا . ولا يمنع مع ذلك أن يكون الآخر مراداً) . ثم قال : (فإذا أنت أجزته هنا ، لم تجز الا جائزاً مثله ، ولم تأت إلاّ ما أتوا بنحوه) . وقد احتاط في موضع آخر فقال : (٢٥/٢ :

(فإن ورد عن بعضهم شيء يدفعه كلام العرب ويأباه القياس على كلامها ، فانه لا يقنع في قبوله أن تسمعه من الواحد ، ولا من العدّة القليلة ، الا أن يكثر من ينطق به منهم) .

وإذا كان ليس من الصحة أن تضع الجائز موضع الممتنع ، فليس من الصحة أيضاً أن تعدل بالشائع المشهور ، الشاذ النادر . قال صاحب الوساطة القاضي الجرجاني (٣٦٦ هـ) : « ولا تكاد تجد باباً في العربية يخلو من نوادر وشواذ . ولو جعلتْ اصولاً ، وأجريتْ على حكم القياس لبطلت الأصول ، واختلط الكلام » . ويعضد هذا ويسدده قول ابن السرّاج في الأصول (ولو اعترض بالشاذ على القياس المطّرد لبطل أكثر الصناعات والعلوم . ومتى سمعت حرفاً مخالفاً لا شك في خلافه لهذه الأصول ، فاعلم أنه شذ . فإن كان سمع ممن ترضى عربيته فلا بد أن يكون قد حاول به مذهباً ، أو نحا نحواً من الوجوه ، أو استهواه أمر غلطه) . وانظر الى ما حكاه السيوطي في الأشباه والنظائر (٤٩/٣) : « أخبرني أبو اسحاق بن السريّ الزجاج قال سمعت أبا العباس بن محمد بن يزيد المبرّد يقول : اذا جعلت النوادر والشواذ غرضك واعتمدت عليها في مقاييسك كثرت زلّاتك » .

ولا بد فيما ذهب النحاة فيه الى اقرار وجهين أو أكثر ، أن نتبين المعنى المراد بكل وجه فاختلاف الوجوه في الأصل يتبعه اختلاف في المعنى والمفهوم ، على ما قدمناه ، ونبه عليه صاحب الإحياء . وقد مثل لذلك بقولهم : كيف أنت وأخوك ، وكيف أنت وأخاك . قال صاحب الإحياء : (والحقيقة أن لكل من

التركيبين معنى لا يُغني عن الآخر . تقول كيف أنت وأخوك أي كيف أنت وكيف أخوك . فإذا قلت كيف أنت وأخاك ، فإنما تسأل عن صلة ما بينهما) . وقال ابن مضاء (١٤٧) : « وتقول لا تأكل السمك وتشربَ اللبن – أي لا تجمع بينهما ، ولو جزم لنهاه عن الجمع والتفرقة . ولو رفع لنهاه عن أكل السمك ووجب له شرب اللبن ، أي أنت ممن يشرب اللبن » . وقال صاحب الكليات (٤١٦) : (فرقٌ بين قولك لصاحبك : ألم تر أني أنعمت عليك فتشكرَ ، بالنصب والرفع . فإنك نافٍ للشكر بالنصب ، ومثبت له في الرفع) . وقد تجد من معاني هذه الوجوه ، في غير كتب النحو ، ما لا تلقاه في مظانه أحياناً كثيرة .

هذا ما رأينا أن نعرض له من أصول النحو ومذاهب النحاة ومسالك النقد . ولا بدَّ في كل ذلك من التبصر والتدبر . وإنما تراد الفكرة والروية في مثل هذه المواضع من البحث ، فلا ينفع فيها تعجل أو تصفح أو اعتناف .

صلاح الدين الزعبلاوي

اختلاف المؤرخين
حول انتساب بعض القبائل اليمانية

الأستاذ اسماعيل الأكوع

اشتهر العرب في تاريخهم الطويل بالحرص التام على حفظ أنسابهم والاهتمام بسلامتها ونقاوتها من شوائب الانتحال والاختلاط . وكان لهم عناية فائقة بمعرفتها حتى لقد كان الرجل منهم يتدرج في ذكر نسبه ، وسرد أسماء أسلافه الى ما شاء الله افتخاراً واعتزازاً بانتمائه الى أصل من الأصول العربية الشهيرة ، وبلغ الحرص بعلماء أنسابهم أن دونوا الأنساب العربية بعد انتشار الاسلام ، وتفرق القبائل العربية في الأقطار التي دانت بدين الاسلام خشية ضياعها ، فذكروا أصولها وفروعها وبطونها وأفخادها وعشائرها ومواطنها وأماكن انتجاعها وتاريخ أمجادها ومفاخرها وأيام حروبها وغزواتها وما يتعلق بشؤون حياتها .. حتى نسبوا الخيل لأنها أحب شيء الى نفوس العرب.

ومع هذا الحرص الشديد الذي لا أعرف له مثيلاً في تاريخ الأجناس البشرية فإن كثيراً من الأنساب العربية قد تداخلت وتشابكت فروعها ، واختفى بعضها وحمل بعضهم نسب غيره . كذلك فإن القبائل العربية لم تعد – بأكملها – مستقرة داخل حدودها التاريخية منذ أن نبت على أرض كل قبيلة جدها الأول محتفظة بأنسابها لم يخالطها أحد من أقوام آخرين .

والذي يعنينا من هذا الموضوع هو معرفة مكان القبائل اليمانية وما يتعلق بأنسابها ومساكنها ، ومَن منها انساح من مواطنها ، ومن عرف أنه انتحل نسب غيره .

من المعروف أن القبائل اليمانية تنتمي الى قحطان — كما يذكر علماء الانساب العربية — وقد تسمت تلك القبائل بأسماء أصولها التي تحدّرت من قحطان ، واختار كل قبيل منها مكانا نزل به فتسمى باسمه ، وانتسب اليه من تناسل منه الى اليوم . وكذلك فعلت بطون تلك القبائل من بعدها وتسمّت بأسماء أصولها . ولكن لا يعني هذا أن تلك القبائل ظلّت قارّة في مساكنها الاولى لم يتحول بعضها أو كلها الى مناطق غير مناطقها ، ولم يخالطها أحد من أعراق أخرى ، فمن المؤكد أنه لا توجد قبيلة من القبائل الى اليوم خالصة النسب ، فما من قبيلة الا وبها جماعات متفرقة من غيرها . ونحن نعرف أن القبائل التي تعاني من الجفاف وقسوة الحياة وقلة موارد الخير هي أكثر القبائل تحركا من مواطنها وهجراً لمساكنها لا سيما القبائل التي تعاقبت عليها السنون العجاف فإنها ترحل من ديارها جماعات وأفراداً طلباً للرزق وبحثاً عن الامن والاستقرار ، فاذا نزلت بأرض غير آهلة بالسكان فانها تحتفظ بأنسابها ، أو تلك القبائل التي كان لها من الكثرة ما يجعلها متميزة عن السكان الاولين فإنها تحرص على حفظ أنسابها ؛ وذلك كما فعلت الازد فإنها ، كما روت مصادر التاريخ العربي ، لما هجرت أرضها — بلاد سبأ — بعد خراب سد مأرب ، وانتقلت الى جهات متفرقة حملت معها اسمها فعرف من نزل منهم في عُمان بأزد عُمان ، وعرف من ذهب منهم الى ألمع وزهران وغامد وتبالة وبارق

والحجر بأزد السَّرَاة ، كما يطلق عليها أيضاً أزد شنوءه . وعرف من ذهب منهم الى الشام بأزد غسّان .

ومن القبائل التي اختفت من الوجود قبيلة جَنْب وهي من مَذْحِج ، وكانت مساكنها حول مدينة ذَمار في جبل هِرّان وجَبُوب المِلْحّة ، وكانت من القبائل العاتية واشتهر أمرها وعلا شأنها في المائة السادسة والسابعة حينما كانت تؤثر تأثيراً قويا في ميزان القوى المتصارعة على الحكم . ويقال : إن الجنبيين وهي عُزْلة في ناحية مغرب عَنْس ، هم بقية تلك القبيلة وربما أنَّ مِخلاف جَنْب من بلاد البُسْتان ولعل من جَنْب مخلاف جَنْب شمال صَعدة . فهم أيضاً من تلك القبيلة . ولا نعرف الاسباب التي أدّت الى اختفاء تلك القبيلة من الوجود .

وقد تكون الحروب المستمرة بين القبائل من أهم الأسباب التي تجعل المغلوب أحياناً يترك أرضه ويلحق بأرض قوم آخرين ، أو ينتفي من نسبه ويلتحق بنسب آخر ، كما حدث لعَكّ فبعض علماء الأنساب ألحقه بعدنان ، وأنه أخ لمعد بن عدنان . ومن القائلين بذلك من مؤرخي اليمن ونسابهم محمد بن علي المُدَهْجِن الزَّبيدي من أعيان المائة التاسعة في كتابه (جواهو التيجان في أنساب عدنان وقحطان) فقال : إن أولاده نزلوا في نواحي زَبيد [1] في حين ذكر نشوان بن سعيد الحميري مؤكداً أن عكاً من الأزد فقال : « عك قبيلة

---

(١) مساكنها ذؤال وقشال ولعسان (ناحية بيت الفقيه في تهامة) واللاّمية (الرامية) والقُحْرَى وسِهام ومُردُد ومَوْز والواعظات وصليل وغافق .

من العرب يقال هم ولد علكّ بن عدنان أخي مَعّد ويقال : هم ولد عك بن عدنان بن عبد الله بن الأزد وهو أصح القولين . وانما سبب انتسابهم في مَعّد أن غسان وقت خروج الأزد من مأرب نزلوا تهامة ، وبها علكّ ، فخيرتهم علكّ بين شرقي تهامة وغربيها فاختارت غسّان الشرقي ومكثت به زمانا حتى قيل لهم : إن عكاً أثخن منكم لبنا ، وأدسم منكم سمنا لأن أموالكم إذا سرحت استقبلت الشمس ، وإذا راحت استقبلت الشمس فأحرت الشمسُ رؤوسَها ، وأموال علك تستدبر الشمس عند الطلوع والغروب . فاستقالت غسانُ عكاً فلم تقلها ، فاقتتلوا ، فقتلت غسان عكاً قتلاً ذريعا وأجلتها عن كثير من أوطانها فمن ثمَّ انتفت عك من اليمن وانتسبت في معد ، وقال نشوان :

الم تر عكا هامة الأزد أصبحت	مذبذبة الأنساب بين القبائل
وعقت اباها الأزدَ واستبدلت به	ابًا لم يلدها في القرون الأوائل
صراخ دعتها أدعياء نفوسها	بجهل وأخطا رشده كل جاهل
كتابعة من جهلها غير امها	لترضع من درِّها غير طائل[١]

ومن القبائل التي وقع الاختلاف في نسبها قُضَاعة ، فبعض النسابين ذكر أنها عدنانية ، وبعضهم أكد أنها حميرية ، ومنهم الحسن ابن أحمد الهمداني واستدل بكلام كثير على حميرية قضاعة وقال : « وقد صنع أقوام ابياتا على ألسن قوم من قُضاعة ، ورووا احاديث أن قضاعة بن مَعد ، فإذا خافوا الفضيحة في ذلك قالوا :

(١) مختصر شمس العلوم ٧٤

وُلِد على فراشه ، « والولد للفراش » قالوا : وذلك أن مالك بن حمير طلق معاوية بنت جَوْشَن بن جلهمة بن عمرو الجُرهمي ، وخلف عليها معد ، وهي حامل من مالك ، فانتفى رجال من قضاعة وشعرائها من ذلك فقال حكيم بن عباس الكلبي :

برأنا الى الله من أن يكون أبونا نزار فنرضى نزارا
ولكننا نحن نجل الملوك يمانون اصلا يمانون دارا

وقال آخر منهم :

اني امرؤ حميري حين تنسبني لا من ربيعة آبائي ولامضر

وسمعت رجال بني نَهد تنشد في أشعارها وبين رفاق معد ، وفي ديار هوازن وتَزْدَمل في حروبها :

يا أيها الداعي ادعنا وأبْشِر وكن قُضاعيا ولاتَنَزَّر
نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حِمْيَرِ
النسب المعروف غير المنكر(١)

وقال عدي بن الرِّقاع العاملي وهو غلام حَدَثٌ لزهير العذري حينما انتقل طماع قضاعة من قحطان الى معد :

أزهيرُ إني إن أطعت كسَوْتَني في الناس ضاحيةً رداءَ صَغار
أضلال ليل ساقط أكنافه في الناس أعذر من ضلال نهار
قحطان والدنا الذي ندعى له وأبو خزيمة مدرك بن نزار
أتبيع والدنا الذي ندعى له بأبي معاشر غائب متواري

---

(١) الاكليل ١/١٥٤، ١٥٥

تلك التجارة لا ربحت بمثلها ذهب يباع بآنك وأبار
إني إذاً كالقدح يجعل مغزلا يكسو المعاشر وهو أجود عار[١]

ويقال بل قال ابن الرقاع هذا الشعر في أيّام يزيد بن معاوية وذكر أن رَوْحَ بن زِنْباع قام يوم الجمعة الى يزيد بن معاوية حين فصل بين الخطبتين فقال : يا أمير المؤمنين ألْحِقْنا بأخوتنا فانا قوم معَدّيون والله ، ما نحن من قصب الشام ولا من غاف اليمن ، فقال يزيد : إن أجمع على ذلك قومُك فنحن جاعلوك حيث شئت ، فبلغ ذلك ناتل بن قيس فجاء يركض حتى دخل المقصورة يوم الجُمُعة فقال : أين جلس الغادر الكاذب رَوْحُ بن زنباع ، فأشاروا الى مجلسه فانتظر يزيد بن معاوية حتى فصل من خطبته ثم قال : يا أمير المؤمنين بلغني أن روح بن زنباع قام إليك فزعم أنه من معد ، وذاك ما لا نعرفه ولا نُقِرُّ به ولكن من قحطان ، يسعنا ما وسع قحطان ، ويعجز عنا ما عجز عنهم ؛ فردَّ روح بن زنباع عن رأيه[٢] .

وقال نَشْوان بن سعيد الحميري : قضاعة حيٌّ من اليمن من حِمْير ، وهم ولد قُضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرَّة بن زيد بن مالك بن حمير الاكبر . قال شاعرهم جميل بن مَعْمَر العُذْري :

قُضاعةُ قومي إن قومي ذؤابة بفضل المساعي في الملمات تُعْرفُ

وقد نُسبت قضاعة أيام العصبية الى مُعدٍّ في وقت معاوية وابنه يزيد اللذين بذلا لرؤسائهم أموالاً جسيمة على الانتفاء من اليمن

---

(١) الاكليل ١٥٨/١

(٢) الاكليل ١٥٧/١ ، ١٦١

والانتساب في معدّ فساعدهما الى ذلك بعض رؤسائهم ، فلما بلغ ذلك قضاعة غضبوا غضباً شديداً وأنكروا ذلك أشد الإنكار فحشدوا واجتمعوا ثم دخلوا مسجد دِمشق يوم الجُمْعة على يزيد وهم يرتجزون ، ويقولون :

يا أيّها الداعي ادعنا وأبْشر وكن قضاعياً ولا تَنَزَّر
نحن بنو الشيخ الهجان الازهر قضاعة بن مالك بن حِمْيَر
النسب المعروف غير المنكر من قال قولاً غير ذا تنصّر

أي فهو من النصارى ، ثم قالوا ليزيد : انا قوم من اهل اليمن يسعنا ما يسعهم ويضيق عنا ما ضاق عنهم فألحقنا بهم . قال : قد فعلت [١] .

ووقع اختلاف في نسب المعافر (الحُجَرِيَّة) بن يَعفر فذكر الهمداني أنه المعافر الأكبر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مُرَّة بن أدَر [٢] (بن زيد بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ) .

بينما نسَّاب حمير تنسبه الى المعافر من يَعفر بن وائل بن سكسك ابن حمير [٣] .

وانتسبت خولان العالية (خولان الطيال) في الزمن الحاضر في بكيل ، أو هكذا اعتقد بعضهم جهلا ، مع أنها حميرية ، ولو كانت من بكيل لسُرَّ بذلك الحسن بن احمد الهمداني وذكرها في

---

(١) مختصر شمس العلوم ٨٧
(٢) الاكليل ١١٨/١ ، ١٠٠/٢
(٣) الاكليل تعليق القاضي محمد الأكوع ١٠٨/١

أنساب قبيلته هَمْدَان الكبرى (حاشد وبكيل) ولكنه قال مؤكداً في كتابه الاكليل في نسب خولان : « وهذا خلاف ما عليه خولان العالية فهم من أول الدهر الى آخره ينتسبون الى حمير ، ولا ينكرون اخوتهم من خولان بن عمرو بن الحاف بجَقْل صعدة ونواحيه .

وإنما قيل : خَوْلان العالية للفرق بين البلاد لا الفرق بين النسب كما يقال : في أزْد شَنوءة وأزد عُمان ولا إشكال في أن الجميع من الأزد [1] كما أورد نشوان بن سعيد الحميري قول شاعر خولان العالية :

أيُّها السائل عن أنسابنا نحن خولان بن عمرو بن قضاعة
نحن من حمير في ذِروتها ولنا المِرباع منها والرباعه [2]

ومن القبائل التي وقع الاختلاف في نسبها الأهْنُوم فأهلها يدعون أنهم من بكيل مع أنهم من حاشد . وكذلك وقع الاختلاف في وادِعة فقال هشام الكلبي وغيره : هم من الأزد [3] من ولد وادعة ابن عمرو الملطوم بن عامر بن ماء السماء الأزدي . وقال نُسّاب همدان هم من همدان من ولد وادعة بن عمرو بن عامر بن ناشج بن دافع بن مالك بن جُشَم بن حاشد وقال نساب حمير : هم من حمير من ولد

(١) الاكليل ١/٢٠٤

(٢) مختصر شمس العلوم ٤٠ .

(٣) والسبب في ذلك ان ام سعد بن عبد وُدّ بن وادعة وحرب بن عبد ودّ بن وادعة واسمها ام عشب بنة عدي بن ثعلبة بن كنانة من الأزد . وقال الهمداني في الجزء العاشر من الاكليل : « وهذه الولادة هي التي جرت غباوة وادعة الى قولهم : نحن من الأزد من ولد عمرو بن عامر بن ماء السماء » .

وادعـــة بن عمرو بن الفقاعة واحتجوا بقول أسعد تبع وقد عدّ قبائل حمير :

ووادعة الكرام فقد نأونا   وما َمتّوا إلينا بارتداد (١)

وبعض القبائل تعتقد أنها بكيلية . واستشهدوا بمَقُولة لا سند لها تاريخيـــاً . والصحيح أنها حاشدية . ويزعم جهلا بعض رؤساء قبيلة الحدا اليوم أنهم من بكيل ليكون لهم شأن : وأين الحدا من بكيل ؟ فالحدا وعَنْس ومراد وقَيْفَة . قائفة تُنسب الى مَذْحِج .

وهناك قبائـــل كثيرة غيّرت أنسابها بأنساب أخرى ذكرها الهمداني في مواضع متفرقة من صفة جزيرة العرب يمكن الرجوع اليها لمن يريد الاستزادة من معرفة مثل هذه الحالات .

صنعاء **اسماعيل الأكوع**

---

(١) الاكليل ١٠ / ٧٥ ، مختصر شمس العلوم ١٠١

تعزيز بيتي الحريري للصغاني

الدكتور احمد خان

مقدمة :

١ ـ جاء ابو محمد القاسم بن علي الحريري (م ٥١٦ هـ) بالقطع الادبية المحيرة في كتابة المقامات . وظلت هذه المقامات من عهد تاليفها حتى اليوم مواد للدرس والتدريس ولشحذ اذهان الطلاب وغرس حب اللغة العربية فيهم والتمتع بالأدب العربي . وهذا من الطبيعي لأن الحسن ابن محمد بن الحسن الصغاني (٥٧٧ ـ ٦٥٠ هـ) دَرَسَ هذه المقامات واخذ الناس عنه بالهند واليمن والعراق(١) .

وعنده مقامة ادبية يقال لها الحلبية . قال الحريري فيها البيتين من صناعة المعكوس اللذين اسكتا كل نافث ، وامِنَاان يعزّزا بثالث» .

وظلت هذه الفكرة دهراً لا تجد مثيلتها حتى جاء الصغاني ولبى دعوة الحريري ولم يعززهما بثالث فقط بل بثلاثين واوردها في هذه الرسالة ثم شرحها شرحا بسيطا وسماها « تعزيز بيتي الحريري » . وهي لا شك قطعة ادبية صعبة الانتاج ولا يتمكن من مثلها إلا الذي علم اللغة العربية ومارسها ومرن عليها دهراً .

٢ ـ كان صاحب هذه الرسالة لغويا كبيرا ومحدثا عظيما وشاعرا مجيداً . وتاليفاته نحو الثلاثين واكثرها لم ير النور حتى الآن(٢) . قال الصغاني شعرا كثيرا ضاع مع ما ضاع من التراث العربي . ونحن مدينون

---

(١) طبقات العلماء والملوك (مخطوط) للجندي . ورقة ٣٠٨ ،تاريخ ثغر عدن ، لابي مخرمة ، طبع ليدن سنة ١٩٣٦ م ، ج٢ ، ص ٢٣٦ .

(٢) انظر لترجمته البسيطة مقدمة كتابه : الانفعال ، الذي اخرجه مجمع البحوث الاسلامية (باسلام آباد) بتحقيقي سنة ١٩٧٧ م .

لمن حمى شيئا منها وحواها في كتبه . وبهذا مهد لنا الفرصة ان نتذوق بعض نواحي هذا الشعر كأبي مخرمة الذي صان قصيدته النونية الطويلة وقال فيها الصغاني ٦٩ بيتا . وهذه القصيدة نمط حسن للتجنيس اللفظي . ومن المعلوم أن الصغاني سمّط مقصورة ابن دريد وسماها : « القلادة السمطية في توشيح الدريدية » ، في نحو خمسمائة بيت . وشرح الصغاني نفسه هذا التسميط . وقد طبع ببغداد سنة ١٩٧٧ م .

٣ ــ وقد عرفنا لهذه الرسالة نسختين . واحدة في برلين كما أخبرنا بها بروكلمان ولكن تعسر علينا الظفر بها . واما الثانية فتوجد في ضمن مجموعة الرسائل للصغاني في خزانة مراد ملاّ بالمكتبة السليمانية باستنبول . ورقم هذه المجموعة ١٨٧٩ وتشتمل على رسائل أخرى للصغاني وهي : كتاب الانفعال (الذي أخرجناه) ويفعول (طبع بتحقيق الدكتور حسن حسني عبد الوهاب) والأضداد (طبع بتحقيق هفنر) وغيرها . وناسخ هذه المجموعة شيخ الاسلام احمد بن عبد الحق (؟) كما كتب على صفحاتها الأولى . وهي نسخة جيدة الضبط بخط اندلسي متقن جدا . اما تاريخ كتابة هذه المجموعة فيمكن تعيينه بتعيين عصر شيخ الاسلام الناسخ . ومن الواضح انها نسخت من نسخة المؤلف مباشرة إذ يقول الناسخ في آخر كل رسالة : هذا آخر ما في نسخة المؤلف . تحتوي هذه الرسالة على عشر صفحات وفي كل صفحة ٢٣ سطراً .

٤ ــ وقد اظهر الصغاني في هذه الرسالة الصغيرة قدرته اللغوية بل قدرته على صناعة المعكوس من الشعر وأورد فيها ، كدأبه ، بعض النصح للقراء . وآخر ابياتها نصيحة للحريري وكأنه يقول له فيها :لا بمالا تعرف . وهذه القصيدة ،بدون إطراء، طرفة ادبية جميلة نقدمها الى القراء ليتمتعوا بها ويعلموا أن الدهر لم يعقم بعد الحريري بل قادر على الإبداع كما فعل الصغاني .

بسم الله الرحمن الرحيم

تعزيز بيتي الحريري - للصغاني

٥٧٧ هـ ٦٥٠ هـ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلّم

الحمد لله رب العالمين حمداً يتضاءل عنه حمد الحامدين، والصلاة على سيد الانبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين وأصحابه أجمعين. هذا تعزيز بيتي أبي محمد القاسم بن علي الحريري رحمه الله، اللّذَين زعم أنّهما أسكتا كل نافث وأمنا أن يُعَزَّزا بثالث، وهما:

سِمْ سِمَةً تَحْسن آثارُها   واشكُرْ لمن أعطى ولو سِمْسِمَهْ

والمكر مَهْمَا اسْتطعْتَ لاتَأْته   لتقتني السُّؤْدُدَ والمَكْرُمَهْ[1]

عزّزهما، في شريف أيام خلافة سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الانام: أبي جعفر المنصور المستنصر بالله أمير المؤمنين[2]، لا زالت عروس الفضل بملابس الازديان ونفائس الازدياد بجلال جلالته متوشحة متنطقة، وألسن الحمد باشاعة عُرْف منائحه وإذاعة عَرف مدائحه متفصحة مطلقة، ما تعاقب الصباح والمساء، وتناوب الظلام والضياء، الملتجىءُ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، آواه اللهُ إلى صُقع عافيةٍ يؤوي إليه أشباله، ورقّاه إلى درجة من التّقى تجذب إليها أضرابه وأشكاله، وهو:

(١) المقامة السادسة والأربعون: الحلبية.

(٢) هو الخليفة العباسي، الذي سبق آخر الخلفاء العباسيين. ولي سنة ٦٣٢ ــ ٦٤٠ هـ، وجاء بعده المستعصم الذي قتله هولاكو سنة ٦٥٦

[١] وَالأمَه المُزري بأهلِ الحجَى تعافه حرّتُنا والأمَه

الأمَه بالتحريك : النسيان وقد أمِه بالكسر ، ومنه قراءة عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم وسالم ابنه وأبي رجاء العطاردي ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والجحدري : ﴿وَادَّكَرَ بَعْدَ أَمَه﴾ (٢) قال الشاعر :

أمِهت وكنت لا أنسَى حديثا كذاك الدهر يودِي بالعقول (٣)

والإزراء بالشيء التقصير . يقال أزرى به ، قال ذو الإصبع العَدواني واسمه حرثان (٤)

أزرَى بنا أنّنا شالت نعامتنا فخالَني دونَه بَل خِلتُه دُوني

يقال زرَى عليه وتزرى به وأزرى به وازدَراه واستزراه واستزرى به . والحجى : العقل .

[٢] والأمةَ الحسناءَ لاتَهْوَها واستَشعِراً نِسيانَها والأمَه

الشِعار ما ولي الجسد من الثياب. وأشعر الرجلُ همّاً أي لزق بكان الشعار من الثياب بالجسد. واستشعر فلانٌ خوفاً أي أضمرَه .وشاعره ناومَه في شعار واحد .

[٣] ومَهمَه الأهوَاءِ لاتسلُكا واكففْ عَن الإيغَال فِيها وَمَه

المهمه: المفازة البعيدة والجمع المَهَامِه . وكفَّ لازم ومتعدّ ،

---

(٢) سورة يوسف : ٤٥ .

(٣) والبيت في اللسان : أمه .

(٤) هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة (م نحو ٢٢ ق هـ) من عدوان ، شاعر حكيم جاهلي . انظر لترجمته : الأعلام ج٢ ص١٨٤ .

ويقال : كففتُه فكفَّ . والإيغال ، السير السريع والإمعانُ فيه ، قال الاعشى[(٥)] :

تَقطَعُ الأمعَزَ المُكَوْكَبَ وَخْداً بنَـواجٍ سَـريعةِ الإيغالِ

ومَهْ كلمةٌ بُنِيَتْ على السكون وهو اسم سُمّي به الفعلُ ومعناه : اكفُفْ لأنه زجرٌ فإن وصلتَ نَوَّنْتَ فقلت : مَهٍ مَهْ . يقال : مَهْمَهْتُ به أي زجرتُه .

[٤] ومَهْ إذا لامَكَ مَن يَنْضَوي
إلى اتّراكِ الصَّوْمِ يومَ الوَمَهْ

الانضواء : الانضمام ، يقال : ضوى إليه أي أوى وأضويْناه إليه فانضوى . والاتّراك : الترك . وقال ابن الاعرابي : وَمِهَ النهار ، بالكسر وَمَهاً ، بالتحريك : إذا اشتدَّ حـرُّه . والوَمْهَةُ الإذْوابة من كل شيء .

[٥] فَمَهْرُ طِيبِ الذكر ألاّ يُرَى
أخو النُّهَى يَفْغَرُ فيـه فَمَهْ

النُّهَى : جمعُ نُهيَةٍ وهي العَقْلُ . وفغر لازم ومتعدّ ، يقال : فغر فوه أي انفتح وفغر فاه أي فتحه .

[٦] والحَبْر مَهْجُوراً أضِفْه وزُمْ
لِطَعْمِـه العَنْبَرَ والخَيْرمَهْ

---

(٥) هو ميمون بن قيس الأعشى الكبير (م ٧ هـ) . انظر لهـذا البيت ديوانه المطبوع بتحقيق الدكتور محمد حسين (القاهرة، ١٩٥٠ م) ص ٧ .

الحَبْر العالِم وكذلك الحِبر بالكسر . وقال الاصمعي : لاأدري أهو الحَبْر أو الحِبْر ونصّ الفراء على الكسر وأبو عبيدة على الفتح . وحبر الأمّة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما . والعبْرب مثال ربْرب ، والعَتْرُب ، بالتاء المنقوطة باثنتين مثال قُطرب ، والعُنْزُب ، بالنون والزاي مثال عُنْصُل ، والعَربْرب براثين ، مثال صمحمح ، السُّمّاق ، وليس بعضها تصحيف بعض . والحَبْرمة : اتّخاذ الطبيخ بحبّ الرمان وهي لفظة مركبة كالحمدلة والحولقة والسبحلة والحسبلة والطلبقة والدمعزة والبسملة والهيللة والحيعلة .

[٧] والهينَ مهما رُمتَ واللّينَ في
أمرٍ فحزْ واستكتم الهَينَمهْ

الهيْن واللين مخففا هيّنٍ وليّنٍ . وفي حديث النبي ﷺ : المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنف ، ويروى : الآنف بالمد ، إن قِيْدَ انقادَ ، وإن نُيخَ على صخرة استنساخ [٦] . قال ابن الاعرابي : العرب تمدحُ بالهَيْن واللّيْن بالتخفيف وتذمّ بالهيّن واللّيّن بالتثقيل . الهيْنَمَة ، الكلام الخفيّ ، قال الكميت : [٧]

ولا أشهدُ الهُجْرَ والقائليهِ إذا هُمْ بهَيْنَمةٍ هَتْمَلوا

(٦) والحديث في النهاية في غريب الحديث ، لابن الجزري . الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية بالقاهرة . ج٤ ص ٢٧٩ .

(٧) هو الكميت بن زيد الأسدي (م ١٢٦ هـ) ولهذا البيت انظر شعر الكميت بن زيد الأسدي ، جمع وتقديم الدكتور داؤد سلوم (بغداد ، ١٩٦٩ م) ج٢ ص ٤٤٩ . واللسان : هتمل .

وهي مشتقة من الهَيْنُوم وهو الصوت الخفيّ . قال ذو الرمة : [٨]

هَنّا وهَنّا ومن هَنّا لهُنّ بها
ذات الشَمائلِ والأيمانِ هَيْنُومُ

[٨] والمَهْرَ مَهْرَ العِرسِ لاتَحْصُه
فَتَحْرَمَ التَعْميرَ والمَهْرَمَهْ

الحَصْو ، المَنع ، قال :

ألا تَخافُ اللهَ إذ حَصَوْتَني
حَقّي بلا ذَنْبٍ وإذ عَنَّيْتَني[٩]

والمَهْرَمةُ : الهَرَمُ ومنها قوله ﷺ : (تعشّوْا ولو بكَفٍ من حَشَفٍ فإنّ تركَ العشاء مَهْرَمةٌ) . هكذا ذكره القُضاعي وهو حديث موضوع [١٠] .

[٩] والصَّلْقَ مَهْرُومٌ الجَبَى فاترُكاً
وجانِبِ الإفْحاشَ والصَّلْقَمَهْ

الصلق . الصوتُ الشديد . قال لبيد : [١١]

---

(٨) هو غيلان بن عقبة العدوي (م ١١٧ هـ) وارجع للبيت الى ديوانه المطبوع بدمشق سنة ١٣٨٤ هـ . ص ٦٥٨ . والهينوم : صوت تسمعه ولا تفهمه .

(٩) والبيت في اللسان : (حصى) ، وقائله بشير الفريري .

(١٠) ذكر الصغاني هذا الحديث ايضا في كتابه : الدر الملتقط في تبيين الغلط ، في الأحاديث الموضوعة . وقد طبع بتحقيق الدكتور سامي مكي العاني في مجلة كلية الإمام الأعظم . المجلد الأول والعدد الاول سنة ١٩٧٦ م .

(١١) هو لبيد بن ربيعة العامري (م ٤١ هـ) . والبيت في اللسان: صلق .

فَصَلَقْنَا في مرادٍ صَلْقَةً وَصُداء ألحقتْهم بالثَّلَلْ

والسلقُ لغة فيه . قال الله تعالى : ﴿ سَلَقُوكُمْ بألسنةٍ حداد ﴾[12] . وفي حديث النبي ﷺ : (ليس منا من حلَق ولا صلَق ولا خرَق[13]) . والجَبَى ، نثيلة البئر وهي التراب الذي حولها تراه من بعيد . والصَلْقَمة ، تصادم الأنياب ، والميمُ زائدة .

[١٠] والحَلْقَ مَهْلَكةَ فَخِلْ إنّه
يُمسّكُ التَّسْحيطَ وَالحَلْقَمَهْ

والمَهلكةُ ، الهلاك وموضع الهلاك أيضاً . وخال ، حسِب خَيْلاً وخِيلَةً ومَخِيلَةً وَخَيلُولةً وتقول : في مستقبله إخال ، بكسر الهمزة ، وهو الأفصح ، وبنو أسد تقول : أخال ، بالفتح ، وهو القياس . والتسحيط : التذبيح . والسحط : الذَّبْحُ . والحلقمة ، قطع الحُلْقُوم .

[١١] والعَلْقَ مَهْدِرُ مُهْجَتِي خِلْتُه
يُذيقُني المَقْرَةَ وَالعَلْقَمَهْ

العَلْقُ : الأَكْل . وعلقتِ الإبلُ العِضَاه تعلُق ، بالضم ، عَلْقاً ، إذا تَسَنَّمَتْهَا وتناولتْها بأفواهها ، وهي إبلٌ عوالق . قال الكميت يصف ناقته :

وَالبَسْ لتِلك ثياب كُلّ دُجُنّةٍ سُوداءَ وأحبُ إلى الشَّمِيطِ الأَبْلَقِ

---

(١٢) سورة الأحزاب : ١٩ .
(١٣) والحديث في النهاية في غريب الحديث : ج٢ ص ٢٩٦ .

بالعَيْسَجُورِ كأنني وقُتُودُها بالسَّهْبِ فوق سَراةِ أزْعَرَ نِقْنِقَ
أوْ فوقَ طاويةِ الحشى رَمْلِيّة إنْ تَدْنُ مِنْ فَنَنِ الألاءةِ تَعْلَقِ (١٤)

وفي حديث النبي ﷺ : (إن أرواح الشهداء في أجواف طير خُضْرٍ تعلُقُ من شجر الجنّة) (١٥) . والمُهْجَةُ ، الدَّمُ ويقال : هي دم القلب خاصة . ويقال : خرجتْ مهجتُه أي روحُه . والمَقِرُ والمَقْرُ ، الصَّبِر ، قال :

أرْقَشَ ظمآن إذا عَضّ لَفَظْ
أمَرّ من صَبْرٍ ومَقْرٍ وحُظَظْ (١٦)

والعلقَم ، شجر مُرّ ويقال للحنظل ولكل شيء مرٍ علقَمٌ .

[١٢] وَالمَجْ لِمهْوَى دَعْدَما أصْحَبَتْ
أطائبَ المجزّ وَالمُجْلِمَهْ

اللَمْجُ : الأكل بأطراف الفم ، قال لبيد :

يلمَجُ البَارِضَ لَمْجاً في النَّدَى
مِن مَرابِيعِ رياضٍ وَرِجَل (١٧)

---

(١٤) لم أجد هذه الأبيات في شعر الكميت بن زيد الأسدي ، المشار إليه آنفاً ولا في هاشميات الكميت .

(١٥) والحديث في الفائق في غريب الحديث ، لجار الله الزمخشري (عيسى البابي ، ١٩٤٧ م) ج٢ ص ١٨٤ .

(١٦) والبيت في اللسان من أنشاد شمر : حضظ ،وفيه الرواية :
رقش ظمآن إذا عضر، لفظ أمرّ من صبر ومقر وحُضَظ
قال الأزهري : قال شمر وليس في كلام العرب ضاد مع ظاء غير الحضظ .

(١٧) والبيت في اللسان : (لمج ورجل) ، ومختار الشعر الجاهلي (مصطفى البابي ، ١٩٥٩ م) ج٢ ص ٥٠٨ .

وأصحب : انقاد ، قال امرؤ القيس :[١٨]

وَلَسْتُ بذِي رَثْيَةٍ إمَّرٍ إذا قِيدَ مُسْتَكْرَهاً أصحَبَا

ويقال : أطعِمْنَا من أُطائب الجزور : جمع أطيَب ولا تقل من مطايب الجزور . وأجزّت الغنم أي حان لها أن تُجزّ ، وأجزّ القومُ ، إذا أجزّتْ غنمُهم . وجَلَمتُ الجزور إذا أخذت ما على عظامها من اللحم . وفي المثل : أطيبُ اللَّحْمِ عُوَّذُه[١٩] أي ما عاذ بالعظم . وأجلمَتِ الجزورُ أي حان لها أن تُجلَم .

[١٣] وَالمُسْ لِمَهْدَد رايقَاتِ المُلاَ
وَأكْـرِمِ المُسْلِمِ وَالمُسْلِمَهْ

مَهْدَد من أسماء النساء لاينصرف للعَلَميّة والتانيث وهو فعلَل وليس بمفعَل وقال سيبويه : الميم من نفس الكلمة ولو كانت زائدةً لأدغِمَ الحرفُ مثل مَفَرّ ومَرَدّ فثبت أنّ الدال ملحقة والملحق لا يُدغم . وراقني الشيء يروقني أي أعجَبني . والمُلا أصله مُلآءٌ بالمد جمع ملاءَةٍ وهي الرَّيْطَةُ .

[١٤] وَالحيْرَ مَهدٌ فَسَراحِينَنَا
تَعدو عَلَى العِجَّوْلِ وَالحَيْرَمَهْ

(١٨) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي من بني آكل المرار (م ٨٠ ق هـ) ولهذا البيت انظر ديوانه المطبوع بتحقيق محمد ابي الفضل ابراهيم (دار المعارف ١٩٥٨) ص ١٢٩ .

(١٩) إن الصغاني يرى اولا بأنه مثل ولكنه انتبه فيما بعد وقال إنه قول . كما جاء به في معجمه الكبير : العباب الزخر واللباب الفاخر . تحت مادة : عوذ .

الحَيْرُ : شبهُ الحظيرة أو الحِمى ومنه الحَيْرُ بكربلاء . والسَراحِينُ جمعُ سِرحانٍ وهو الذئب . قال سيبويه : النونُ زائدة وهو فَعْلان . وقال الكسائي : الأنثى سِرحانة . وهذيل . تسمي الأسد سِرحاناً . وفي المثل : سقط العشاءُ به على سِرحان [٢٠] . وأصله أن رجلا استنبح مُستَطْعِماً فأحسّ به الذئب فافترسه . وقيل سرحان في هذا المثل اسم رجل وكان يحمى وادياً فادعى رجل أنه يرعى في ذلك الوادي إبلَه ولا يخافه فهجم به سرحان فقتله وأنشا يقول :

ابلغْ نَصيحَةَ أنّ راعي أهله
سقطَ العَشاء به على سِرحانِ

سقطَ العشاءُ به على مُتَقَمِّرٍ
طلْقِ اليَديْن مُعاودٍ لِطِعانِ

والعِجَّوْلُ : العِجْلُ ، والجمع ، العَجاجِيْل . والحَيْرَمة البقرةُ ويقال : ولد البقرة الوحشية ، والجمع حَيْرَم ، قال عمرو بن معْد يكرب [٢١] :

لِمَنْ طَلَلٌ بالعمْقِ أصبحَ دَارِسا
تَبَدّلَ أرْآماً وعيناً كَوانِسا

---

(٢٠) المثل والأبيات في المستقصى في أمثال العرب . لجار الله الزمخشري (الدكن ١٩٦٢ م) ج٢ ص ١١٩ .

(٢١) هو عمرو بن معد يكرب بن ربيعة بن عبد الله الزبيدي (م ٢١ هـ) ولم أجد هذين البيتين في المراجع التي نظرت فيها .

تبـدّلَ أُدمَانَ الظِبَاء وَحَيْرَماً
فاصبَحَتْ في أطلالِهَا اليوم حَابِسَا

[١٥] وَالنجَرْدَ مَهمَا نِلتَه فاقتَنِعْ
وَحاذِرِ الضِنَّةَ وَالجَرْدَمَهْ

الجَرْدُ : الثوب الخلَق ، ويقال : بُردة جردةٌ ، قال أبوذؤيب:[٢٢]

وَاشْعَثَ بَوْشِيّ شَفَيْنَا أُحَاحَه
غَدَاتَئِذٍ ذي جَرْدَةٍ مُتَماحِلِ

والضِنّةُ : البخل ، يقال : ضَنِنْتُ بالشيء أضَنُّ به ضِناً وضِنّةً وضَنانَةً إذا بخلت به وهو ضنين . وقال الفراء : ضنَنتُ بالفتح أضِنُّ به بالكسر لغة ، وقال قَعْنَبُ بن ضَمْرةَ وهو ابن أمّ صاحب : [٢٣]

مَهْلاً أعاذِل قد جَرَّبْتِ من خُلُقي
أنّي أجودُ لأقوامٍ وإن ضَنِنُوا

والجرْدَبةُ والجرْدَمَةُ أن يضع شماله على شيء يكون على الخِوان كيلا يتناوله غيره ، أنشد الفراء :

إذا مَا كُنتَ في قَوم شَهَاوَى
فَلا تَجْعَلْ شِمالَكَ جَرْدَبانَا[٢٤]

(٢٢) والبيت في شرح اشعار الهذليين . تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ج١ ص ١٦٠ . وهو في اللسان مشروحا « جرد » .

(٢٣) والبيت في اللسان : ضنن . وهذا قول قعنب بن ضمرة وامه ام صاحب فاشتهر بكنيته : ابن أم صاحب .

(٢٤) والبيت في نوادر أبي مسحل المطبوع بتحقيق الدكتور عزة حسن (دمشق ١٩٦١ م) ص ١٣٦ . وهو في اللسان « جرب » ٢٥٧/١ دون ان يسمي صاحبه . وفي الجمهرة ٣ : ٢٩٨ ، ٤١٤ . وانظر ما في المعرّب للجواليقي ص ١١٠ وما بعدها .

وهو فارسي معرّب وأصله كرْدَهْ بَانْ(★) أي حافظ الرغيف ، وقال أبو مِسْحَل عبد الوهاب بن حَرِيش في نوادره بعدما أنشد البيت : جردبانا وجُرْدَبِيلا ، هكذا يُنشد هذا البيت .

[١٦] وَالْمَخْرُ مَهْوَى الْمَوجِ فَاحذرْ فَمَا
فِيهِ سِوى الإتْلافِ وَالْمَخْرَمهْ

مَخَرَتِ السَفِينةُ تَمخَرُ وتَمخُر مخراً ومُخُوراً ، إذا جرت تَشقُّ الماءَ مع صوت ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ . يعني جواري . والمَهْوَى ، المَصعَد ، يقال : هوى ، إذا علا ، وهوى إذا سفل ، وهو من الأضداد . وقال ابن الأعرابي : الَهوِيُّ بالفتح ، السريع إلى أسفل والهُوِيُّ ، بالضم السريع إلى فوق . وحكى ابن نجْدَة عن أبي زيد مثله وأنشد :(٢٥)

● والدَّلْوُ في إصْعَادِهَا عجْلَى الهُوِيّ ●

والمخرمه ، المقطعة .

[١٧] وَالمَلْحَ مَهْتُوت الرَجَا لا تَدَعْ
فَيُورِثَ الهَيْجَاءَ وَالمَلْحَمَهْ

الملح . الإرضاع : يقال ملحنَا لفلان مَلْحاً أي أرضعناه . والمَلْحُ ، الرَّضَاعُ . وكانت لأبي الطمَحَان القَيْنِيّ إبل يسقِي قَوماً من ألبانها ثم أنهم أغاروا عليها فاستاقوها ، فقال :

(★) اللفظة بالكاف الفارسية .
(٢٥) والمشطور في اللسان : هوى .

أمالوا ذُرَاهـا واستحلّوا حرامَها
على كلّ حيّ منهمُ حبسُ أشهُرِ [٢٦]
وإنّي لأرجو مِلْحَها في بُطونِكم
وَمَا بسَطَتْ منجِلدِ أشْعثَ مُقْترِ [★]

والمهتوتُ : المهدُوم المكسر المفتّت . والرجا : الناحية وتثنيتُه : رَجَوان ، والجمع أرجاء .

قال الله تعالى : والمَلَكُ على أرْجَائِهـا . [٢٧] أي جوانبها . والهَيْجَى والهيجاءُ : الحربُ . والملحمَة : الوقعَة العظيمة في الفتنَةِ .

[١٨] وَالنَمَقس مَهْنَأةَ يخَالُ الفتَى وينقصُ الايمانَ وَالمَقْسَمَهْ

المَقْسُ والنّقْسُ واللّقْسُ : أن يعيب الرجلُ الإنسانَ ويسخر منه . والمَقْسمَةُ : موضع القَسَامةِ وهي اسم من الإقسام وُضِع مَوضعَ المصدر ولذلك فُتِحَتْ ميمُها ولو كانت بمعنى الإقسام لضُمَّتْ .

[١٩] وَالعَيْلَ مَهْدَرَةً أرى فَاحْتَفِر
لِصِرْمِكَ الأحسَاءَ وَالعَيْلَمَهْ

والعَيْلُ والعيلمةُ : الفَقْرُ . أراد أن الفقير لا يُراعى جانبُه

---

(٢٦) هو حنظلة بن شَرْقيّ أحد بني القين من قضاعة (ت نحو ٣٠هـ) والبيت الثاني في سمط اللآلي (ج١ ص ٤٠٥) وفي خزانة الأدب (طبع قديم ج٣ ص ٢٢٦) . غير أن فيه أغبر بمكان مقتر واما البيت الاول فلم اجده في المراجع التي نظرت فيها .

★ في اللسان « ملح » : المِلْح في قول ابي الطمحان : الحرمة والذمام . ويقال بين فلان وفلان مِلْحومِلْحة اذا كان بينهما حرمة فقال : ارجو ان يأخذكم الله بحرمة صاحبها وغدركم بها .

(٢٧) سورة الحاقة : ١٧ .

ولا تُبتَغى مراضيه . ومن فاخر الشعر قول الشاعر : [٢٨]

أفْلَحَ مَنْ كانَ لَه درهَمٌ فَصانَ منهُ الدِّرهَمُ العِرْضَا
يَمْلُكُ الخِلَّ إذا جئتَه تطلبُ منه القَرْضَ والفَرْضَا
يَنكُتُ في الأرضِ اعتِلالاً به يُظهِرُ مِنهُ النظرُ البُغْضَا
فكابِدِ الدَهْرَ لكَسْبِ الغِنَى فَحَاجَةُ المُعْدِمِ لا تُقْضَى

وفي القلادة السمطية في توشيح الدريدية :

وَالنّاسُ مِن طِبَاعِهِم أن يُدْفِعُوا
مَنْ صَفِرَتْ وِطَابُه ، ويرْفَعُوا
مَنْ شَكِرَتْ عِيَابُه ويَخضَعُوا
عَبيدُ ذِي المالِ وَإن لَمْ يطمعُوا
من غمره في جُرْعةٍ تَشْفِي الصَدَى

والصِرْم : أبيات من الناس مجتمعة والجمعُ أصرام وأصارِم . والأحساء جمع حِسْي وهو ما تَنَشَّفُه الأرضُ من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكَتْه فتحفِر عنه الرملَ فتستخرجه وهو الاحتِسَاء ، جمع الحِسي : الأحساء وهي الكرارُ . والعَيْلَمُ ، الركيّة الكثيرة الماء ، قال أبو نواس يرثي خلفاً الأحمر : [٢٩]

---

(٢٨) هذه الأبيات من صنعة الصغاني نفسه كما نعرف أن له دابا أن يقرض الشعر في الموعظة والحكم . وبعد هذا القول : وفي القلادة السمطية في توشيح الدريدية . أي هو قول نفس الشاعر . ومن المعلوم أن القلادة السمطية من تأليفات الصغاني . وانه لم يذكر اسمه في مكانهما، تواضعا ، لأنه كان لا يريد أن يفخر كما فعل الحريري .

(٢٩) هو الحسن بن هانيء (م قبل ١٩٨ هـ) ولهذه الأبيات انظر ديوانه المطبوع بتحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي (القاهرة ١٩٥٣ م) ، ص ٥٧٧ .

أودى جماع العلم مُذْ أودَى خلَفْ
مَنْ لا يُعَدُّ العلمُ إلاّ ما عَرَفْ
قَلَيْذَمٌ من العَيَالِيمِ الخُسُفْ

[٢٠] وَالقَمْ قُمَهْزِئَةَ الحِجَى وَاضِعاً بَيْنَ يدَيْكَ الطَّسْتَ وَالقُمْقُمَهْ

يقال لَقَمْتُ الطريقَ ، بالفتح ألْقَمه ، بالضم : إذا سددتَ فمَه . وقُمَهزِئة الحِجَى : قاصر العقل ،قصير الباع في الفضلِ . وأصل القمهزئة : القصير . ويقال للرجل إذا يئِس من خَيْرِه أو الصبي إذا يئس من رشده أو المريض إذا يئِس من بُرئه : اغسلْ يَدَيْكَ من فلان ، وانفضْ يَدَيْكَ عنه . والطَّسْتُ . الطِسُّ بلغة طيء ، أبدلوا من إحدَى السينين تاءً للاستثقال . فإذا جمعتَ أو صغّرتَ رددت السين لأنك فصلْتَ بينهما بألف أو ياء فقلتَ : طِسَاس وطُسَيْس . المراد بالقمقمة الإبريق من نحاس أو صُفْر . وقال الأصمعي هي لغة رومية .

وأما ظرف الماوَرْد الذي يسمونه القُمْقُمة فاصطِلاحٌ . وفي المثل : على هذا دار القمقم [٣٠] . والقمقُم والقمقمان الجمع الكثير . يضرب لمن يسأل عن الشيء فيخبر بمقدار علمه وخِبْرته .

[٢١] وَالْمَحْ كَمَهْمُومٍ بَرَاهُ الْهَوَى وحَاذِرِ الحُكّامَ وَالمَحْكَمَهْ

براه : أنحلَه بَرْيَ القَوسِ والسَّهْمِ .

[٢٢] وَالْحَنْ تَمَهَّدْ لكَ رَوضُ المُنَى واسْتَتْرِ بالدُّبَاء وَالحَنْتَمَهْ

الْحَنْ أي كن فَطِناً يقال : لحَن إذا فطَن . ومنه حديث

---

(٣٠) فرائد اللآل ، تأليف الشيخ إبراهيم اليازجي .طبع بيروت سنة ١٣١١ هـ . ج٢ ص ٢١ .

النبي ﷺ : (لعلّ أحدكم ألحنُ بحجّته [٣١]) . ولا حنتُ الناسَ فاطنتُهم . قال مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري [٣٢] :

وحديثٍ ألذّه هو مِمّا ... يَنعَتُ الناعِتون يُوزَنُ وَزْنا

منطِقٌ رائعٌ وتلحَنُ أحيا ... نا وخيرُ الحديثِ ما كان لحْنا

يريد أنها تتكلم وهي تُريد غيره وتعرّض في حديثها فتزيله عن جهته من فِطنَتِها وذكائها ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولتعرفنّهم في لَحْنِ القَوْلِ ﴾ [٣٣] أي في فحواه ومعناه . وتمهّد أي تتمهّد . وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن الدُّبّاء والحَنْتَم والنَقير والمزفّت [٣٤] أي عن الانتباذ في هذه الأوعية خِيفَةَ أن تَضْرى فتُسْكِر ، والحنتَم ، جرارٌ خُضْر يُنتبَذُ فيها وفي زماننا يسمّونها البَرانِيّ ، الواحدة برنِيّة . والنَقيرُ أن ينقر أصل النخلة فيجعل كهيئة القَصْعَة . والمُزَفّت ، المَطليّ بالزفْتِ وهو القِير .

[٢٣] والمَخْضَ مَهْوىً لا أرى مُثْمِراً ... فَقَضْمَكَ المُعْتادَ لا المَخْضَمَهْ

المَخْضُ مخض اللبن ، يقال : مَخَضَه يَمْخَضُه ويَمْخِضه ويمخُضُه بالحركات الثلاث . وأمْخَضَ : حان له أن يُمخَض . والمَهْوُ : اللبن الرقيق الكثير الماء يقال منه : مَهُوَ اللبنُ ، بالضم ، يَمهُو مُهاوة وأمْهَيْتُه أنا وناقة مِمْهاء : رقيقة اللبن . ويقال : لا فائدة في مخض

(٣١) والحديث في الفائق في غريب الحديث . ج٢ ص ٩٩ .
(٣٢) والبيتان في الصحاح واللسان : لحن .
(٣٣) سورة محمد : ٣٠ .
(٣٤) ولهذا الحديث انظر الفائق في غريب الحديث . ج١ ص ٣٨ .

الماء . والقضم : الأكْلُ بأطراف الاسنان . والخَضْمُ : الأكل بجميع الأسنان . وقدم أعرابي على ابن عم له بمكة حرسها الله تعالى فقال له : إنّ هــذه بلاد مَقْضَم وليست ببلاد مَخْضَم ، وقولهم يُبلغ الخَضْمُ بالقضْمِ أي أن الشبْعَة قد تُبلَغ بالأكل بأطراف الفم ومعناه أن الغاية البعيدة قد تُدرك بالرفق . قال الشاعر : (٣٥)

تَبَلَّغْ بأخلاق الثياب جديدَها وبالقَضْمِ حتى يُدركَ الخضمُ بالقَضْمِ

[٢٤] وَالسَّرْطَ مَهْزَلَةَ الْمَسَاعِي خَالَه

مَنْ جَانَبَ البِطْنَةَ وَالسَّرْطَمَهْ

السَّرْطُ : مصدر سَرِطتُ الشيء أسرطه سَرْطاً أي بلعته ، واسترطته : ابتلعته وفي المثل : الأخذُ سُرَّيْطٌ والقضاءُ ضُرَّيْطٌ . (٣٦) ويُروى سُرَّيْطَى وضُرَّيْطَى ، أي يسترِطُ ما يأخذه لدَيْنٍ فإذا تقاضاه صاحبه أضرط به . ومثله قولهم : الأكْلُ سَلْجانُ والقضاءُ ليّانُ . ومعنى قوله : والسرطَ مهزلة المساعي ، أي البِطنة تعقرُ الفِطنة . والبطنه : الكِظّةُ وهي أن تمتلىء من الطعام امتلاءً شديداً . يقال : ليس للبطنة خير من خَمْصَةٍ تتبعها . والسرطمةُ : الابتلاع ، والميم زايدة . قال الليث : السرطَمُ الواسع الحلق السريع الابتلاع .

[٢٥] قُولاَ لِمَهْيُومِ الفُؤاد اتزِعْ

فإنْ أبَى النُصْحَ فَقُولاَ لِمَهْ

مهيُوم الفؤاد : مستهامُه شوقاً إلى محبوبه وعطشاً إلى لقائه ،

(٣٥) والعبارة وشاهدها في اللسان : قضم .

(٣٦) هذا ليس بمثل عند ابن منظور بل هو قول ، كما جاء به في اللسان : سرط .

وبَعير مَهْيُوم : به هيام . والوَزْعُ الكَفّ عن الشيء . يقال : وَزَعْتُه فاتّزع . ولِمَ إذا وقف عليه وقف بالهاء .

[٢٦] فَمَهِّد أعذراً وَقبولاً لَه إن لَم تَكُنْ تقبَلُ نُصْحاً فَمَهْ

تمهيدُ العذر : بسطُه وقبولُه . وقوله : فَمَهْ معناه فماذا تصنع والهاءُ للوقف ، كما قال :

قد وَرَدَتْ من أمْكِنَهْ مِن هاهُنَا ومِن هُنَهْ [٣٧]
إنْ لم أُرَوّها فَمَهْ

[٢٧] وَاديكَ مَهْزُور فَخَفْ سَيْلَه فإنّمَا وَادِيكَ وَادِي كَمَهْ

مهزُور : وادي بني قُريظة بالحجاز : والكَمَهُ مصدر كَمِه . وقوله : وادي كَمَه : هو كما يقال للمفاوز التي لا يُهتَدَى فيها : المَعَامِي .

[٢٨] يَا تَرْجَ مَهْلَكَةٍ وَعِيصَ الهَوَى
عَجَزْت عَنْ حلّك يا تَرْجَمَهْ

تَرْجُ : مأسدة بالغَوْر ، قال أبو ذؤيب : [٣٨]

كأنّ مُحَرَّباً من أسدِ تَرْجٍ يُنازِلُهُمْ لِنَابَيْه قَبِيبُ

والعِيصُ : الشجر الملتف والجمع أعياص والمنبت مَعِيص . والترجمة : التفسير ، يقال : قد ترجم كلامه إذا فسره بلسان آخر ومنه الترجمان مثل زَعْفَرَان ، وتُرْجُمان مثل عُنْفُوَان ، وتَرجُمان

---

(٣٧) لم أجد هذه الأشطار في المراجع التي نظرت فيها .

(٣٨) والبيت في شرح اشعار الهذليين . ج١ ص ١١٠ . وفيه ترج : وادٍ .

بفتح التاء وضم الجيم . والجمع تراجم ، قال : (٣٩)

ومَنْهَلٍ وردتُه التقَاطَا   وردتُ لم ألق به فُرّاطا
إلاّ الحمامَ الوُرْقَ الغَطاطا   فهُنّ يُلْغِطْن به إلغاطَا
كترجُمان لَقِيَ الأنباطا

[٢٩] تَمَهَّدَ التعزيزُ ذَا رَوْنَقٍ   ولَمْ يَعْقْنِي تَهَمٌ أوْ تَمَهْ

رونق السيف : ماؤهُ وحسنه ومنه رونق الضُحَى وغيرها . وعاقه واعتاقه وعوّقه أي حبسه . والتّهَمُ : شدّة الحرّ ، ومنه اشتقاق تِهامة . والتَمَهُ قلب التهَمُ . قال شمر : يقال : تهِم الحرُ وتَمِهَ مثل جذب وجبذ .

[٣٠] قَدْ تَمّ مَهْرُوفاً أنيقاً رِضىً   وإنّما الرَحْمَانُ قَدْ تَمّمَهْ

المهرُوف ، المبالغ في مدحه المُطْنَب فيه . ومنه المثل : لا تَهْرِفْ قبل أن تَعْرِف (٤٠) . والأنيق : الحسن المُعْجِب ، وقد أنِق بالكسر يأنَقُ أنَقاً . والرّضَى ، المرضيّ . وهذا مما يوصف بالمصدر يقال : رجلٌ رِضىً وعَدْلٌ .

---

(٣٩) قائلها نقادة الأسدي كما في اللسان : رجم ، ورواية الشطر الثاني : لم ألق ، إذ وردته فرّاطا .

(٤٠) والمثل في مجمع الأمثال ، للميداني ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٩ م . ج٢ ص ٢١٩ .

النقد والتعريف

نشاط المسلمين البحري

الاستاذ محمد حميد الله

كتاب بالأوردية للدكتور أبي النصر محمد خالدي طبع
دهلي سنة ١٩٧٤ صفحاته ٤٥٦ من القطع المتوسط

إن العنوان الأصلي للكتاب بالعربية هو « نشاط المسلمين البحري » والعنوان الذيلي : « بعض المعلومات الأساسية وشرحها » ومؤلف الكتاب هو أحــد أساتذة التاريخ الاسلامي في الجامعة العثمانية ، بحيدر آباد الدكن (بالهند الجنوبية) دخل الاسلام في الهند ـ كما ذكر البلاذري (فتوح البلدان ، ص ٣٤٨ وما بعدها) ـ في خلافة سيدنا عمر ، فهو إذاً يعاصر إسلام الشام ومصر . ولم يزل ولا يزال الاسلام ينتشر في تلك النواحي . وشوق المسلمين الهنديين إلى العلوم الاسلامية والى تاريخ ثقافتهم لا يقل عما هو عند إخوانهم من بلدان أخرى . وبما أن الاسلام دخل في الهنــد بالبحر أولا ، ثم بالبر بعد ذلك (زمن الغزنويين) فإنهم يهتمّون بتاريخ علم الملاحة عند المسلمين القدماء كما يهتمون بتاريخ الأندلس مع بُعدها من الهند .

الأستاذ خالدي يشتغل بالموضوع منذ زمن طويل ويجمع المعلومات من كل ما يقرأ . ولكن بدل أن يدوّن كتابه لعامّة القرّاء ، فضّل أن يؤلف « دائرة معارف » ، ليرجع اليها العلماء كلما بَدَا لهم حاجة . وللناس فيما يعشقون مذاهب .

فقسّم الكتاب على أبواب : الأسماء (العربيـــة) للسفينة ،

ولأجزاء السفينة ، ولعمّال السفينة ، ولما يتعلق بسير السفينة . ثم باب جمع فيه أموراً متنوعة (مثل تاريخ الحروب البحرية عند المسلمين ، أزمان السفر للسفينة الشراعية ، حكايات وخرافات مأثورة عن المسافرين في البحر ، أدعية لهم مخافة الغرق ، نصب الراية على السفينة ، قصائد في توصيف السفر البحري ، الروايات البحرية عند قدامى المسلمين ، ذكر البحر في القرآن والحديث ، ضروب الأمثال مما يتعلق بالبحر) ولكن باختصار كثير . وفي الأخير : فهرست المصادر

الباب الأول هو تمهيد يتأسف فيه لقلـّة الكتب الاسلامية في الملاحة مع أن المسلمين حكموا بحار العالم طويلاً والقرآن مملوء بأذكار الأسفار البحرية . فالمؤلف يريد أن يساهم في تلافي ما فات . وهو يعرف الكتب التي صدرت : كتب ابن ماجد وسليمان المهري و « بيري رئيس » التركي وما صدر أخيراً من كتب اسماعيل سرهنك ، وعبد الفتاح ، وحبيب زيات ، ومحمد ياسين ، وعلي محمد فهمي (الاخير بالانكليزية) ، ويعرف أيضاً أكثر ما كتبه المستشرقون ، ولكنه يقول : كل هذا لا يشفي الغليل ، ويعترف أن ما كتب هو ليس الا كالقطرة . وهناك فهرس للمصادر أيضاً في آخر الكتاب ، ليته أدخل فيها الكتب والمقالات الافرنجية بالخط اللاتيني لأنه يصعب معرفة أسماء الافرنج بالخط العربي خاصة إذا كان الانسان لا يعرف اختلاف التلفظ باللغات المختلفة . ذكر مثلاً فاكنان[١] (ص ٣٤) وفاكاتان[١] (ص ٢٦) فكم منا يفهم منه Fagnan (فاين يان الفرنسي) ؟ . وحق للمؤلف أن يبجل كتاب « عربون كي جهاز راني » (بالاوردية) للسيّد

(١) اللفظتان بالكاف الفارسية .

سليمان ندوي ، ولكن ليته ذكر أيضاً أن هذا الكتاب ترجم إلى الانكليزية ونشر مجزّءاً في مجلة Islamic Culture سنة ١٩٤١ — ١٩٤٢ في حيدر آباد ، وطن مؤلفنا . اننا نعذره عندما كتب (بيري رائز) (ص ١٠) بدل « بيري رئيس » التركي . ونعذره أيضاً لأنه لم يعرف نه نشر عدة رسائل بحرية لابن ماجد أسد البحر ، وهذا في روسيا ، لأن استاذنا يسكن في بلاد تصعب فيها الحياة الاقتصادية وبالتالي يصعب استيراد الكتب من الخارج . ولكن لابد أنه يوجد في جامعة حيدر آباد كتاب Pearson: Index Islamicus وفيه ذكر المقالات المنشورة في المجلات . ففي أثناء « الرحلات » يذكر أيضاً « الملاحة » Navigation فليراجع اذن الباب VI/d . وأذكر أن هناك مخطوطة بالقاهرة : « الإعلام عن الحروب الواقعة في صدر الاسلام » ليوسف بن ابراهيم الاندلسي ، وفيها ذكر الحروب البحرية أيضاً . والمسلمون من الأندلس وغربي إفريقيا اكتشفوا أميركا قبل كولومبوس بقرون كما ذكره المسعودي والادريسي وابن فضل الله العمري . ويراجع هنا :

(Les Musulmans en Amérique d'avant Christophe Colomb, France - Islam, Paris, N 11 - 14, Janvier – avril 1968)

ولا بأس أن يشير مؤلفنا إلى هذا أيضاً . واستسمح أن ألفت نظره إلى الكتب والمقالات التالية أيضاً :

1. G. Jacob, Der Nordisch - baltische Handel der Araber in Mittelalter, 1871 .
2. Fr. Hirth & W. W. Rockhill, Chau - Ju - kua, his work on the Chinese and Arab Trade in the 12 th and 13 th centuries , entitled chu - fau - chi, St Petersburg , 1911 .

3. Pelliot, Deux intinéraires de Chine en inde, dans : Bulletin de L'Ecole Francais d'extrême - orient, I V.
4. Les Grandes Escales, série Sociéte Jean Bodin, Bruxelle, 3 vols. (Les escales arabes au début de L' Islam, etc.) 1974.
5. T. Lewicki, Les Premiers commerçants arabes en Chine, dans Rocznik Orijentalistyczny, Lvov pologne, XI, 173 - 186, 1936 .

منهج الكتاب ، كما ذكرنا ، يشبه أن يكون موسوعة . فالباب الاول أسماء السفينة بالعربية ويمتد على مائة وخمسين صفحة . وقد اشتغل به آخرون قبله ولكن هذا أجمع ، فيذكر ما يتجاوز المائتين وعشرين اسما من بينها اليخت Yacht والوابور Vapeur والفرقاطة Fregate والغوّاصة . ولكن لم أجد فيها « الجارية » مع أنها مذكورة في القرآن (حملناكم في الجارية — فالجاريات يسرا — ومن آياته الجوار في البحر — وله الجوار المنشآت في البحر كالاعلام) وفي غزوة تبوك ، صالحه صلى الله عليه وسلم أهل مقنا (على خليج العقبة ، في العربية السعودية) ونقل ابن سعد والبلاذري نص المعاهدة وذكر فيها « نصف ما صادت عروككم » ، فيجوز أن يكون معنى العروك السمّاكين ، ويجوز نوع من السفائن الصغار لصيد السمك . ومنهج المؤلف أنه يذكر فوائد صادفها في ذكر كل اسم من أسماء السفن . مثلا يذكر الحرّاقات (ص ٥٦ — ٥٧) لتحريق سفن العدو ، ومال الى أنها كانت موجودة في عصر الأمويين ولكن لم يجد الشواهد . وأذكّر بالشاهد التالي : عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه قال : « ركبنا البحر زمن معاوية رضي الله عنه ولقينا العدو فرميناهم بالحرّقات »

(شرح السير الكبير للسرخسى ، طبع حيدر آباد ، ١٣٣٦ ه ، ج ٣ ، ص ٢١٣ ، إن نشرة صلاح الدين المنجد لم تتم بعد) . وبحث في « دونيج » (ص ١٧) وتذبذب ولم يتذكر عندما كتب صفحة ٢٢٦ ، فان هذه الكلمة معربة من دونكي (دطونكي) الهندية . وبحث في كلمة بارجة (ص ٢٥٢) وهي أيضاً معربة من الهندية بيره (بيرطه) ، بمعنى الاسطول .

هو عرف قصة ملك البلغار من رحلة ابن فضلان ، ولكن لم يصب عندما ظن (ص ٨٨) أن المراد به البلغاريا في مقدونية ، بل هو قازان وما في جواره على نهر وولكا (والبلغار عرّبوه أحيانا أيضاً البرجان) . وذكر مالديب (ص ١٤٤) ورسمه أيضاً مالديو (ص ٣٥٠) كأنه تأثر باملائه الانكليزي Maldive بينما أهل تلك البلاد (وهي عضو في الامم المتحدة) يكتبون « محل ديب » ؛ وديب معناه الجزيرة (ونجده في لكاديب وسرنديب وغيرهما) . ولم يصحح تجارب الطبع (ص ١١٢ العدوليلة وصوابه : العدولية . وص ١٢٩ الفلكوكة ، وصوابه : الفلوكة) . وما اقبح ما جاء خطأً (ص ٢٨٠ « إعراب وثلاثة تين سورة » وأراد « إعراب ثلاثين سورة » . بحث في كلمة نوتى (ص ١٦٦) وعرف صلتها باليونانية ناوتا ، ثم بحث (ص ٢٨٣ – ٢٨٤) في « ناخدا » وقال إن كلمة « ناو » الهندية – دخلت في اليونانية . ولكن مادامت اليونانية واللاتينية من جهة والسنسكرتية من جهة أخرى ، كلها من نفس عائلة اللغات « الهندية – الاوروبية » فهل تحتاج اللاتينية أن تستعير هذه الكلمة من الهند ؟ ثم ان المعاجم الغربية الحديثة تذكر أن هذه الكلمة لاتينية **Navis** .

ثم جعل باباً جديداً لألقاب السفينة وأجزائها ، على حروف الهجاء ، ثم باباً آخر لعَمَلة السفينة ، وباباً آخر للأفعال المتعلقة بالملاحة وسير السفينة ، ثم باباً جديداً لمتعلقات البحارة وسير السفائن . وهذه الأبواب تمتد من ص ١٧٠ الى ٢٧٧ .

بحث في بيسر وبياسرة (ص ٢٥٢) ولكن لم يمر بباله أن هذه الكلمة معربة من الفارسية « بسر » ومعناه « الابن » والمراد به إذا كان الأب عربياً والأم عجمية . واستعمل العرب مصطلح « الأبناء » أيضاً ، وهما صنفان ، وكثر ذكرهما في تاريخ اليمن قبل الإسلام ومنذ الإسلام . وكذلك بحث في كلمة « أريس » واكتفى بما ذكره ياقوت الحموي بينما هذه الكلمة وردت في رسالة النبي عليه السلام الى هرقل يدعوه الى الاسلام ويزيد : فان أبيت فعليك إثم الأريسيين (أو : اليريسيين) . ونقل (ص ١١٤) « اعشا سفن البحر » ، ولا بد أنه يريد « اعشار سفن البحر » .

ثم بوب باباً وعنونه : « متفرقات » جمع فيه معلومات قليلة جداً عن كل من « الحروب البحرية الاسلامية » ، و « مواسم سفر السفن الشراعية » ، و « ثروة البحريين » ، و « حكايات وخرافات لمسافري البحر » ، و « أدعية وقت السفر البحري » و « المسائل الشرعية عن سفر البحر » ،و « رايات على السفينة » ، و « قصائد لوصف سفر البحر » ، و « اشتغال العرب بالبحارة » ، و « ذكر البحر في الحديث » و « ضروب الامثال عن السفينة » . ولكن لم يجد الا القليل من المعلومات . وسيأذن لنا أن نلفت نظره الى بعض الأمور :

– ذكر (ص ٢٩٨) النجار القبطي (واسمه باقوم) عند بناء قريش الكعبة قبيل البعثة ، وأكد أن عمل هذا النجار كان يتعلق بنجر باب الكعبة ، بينما يقول ابن هشام والازرقي أن قريشاً استعملوا خشب السفينة التي انكسرت قريب الشعيبة (جدة) لتسقيف الكعبة كلها . ولما نقص الخشب جعلوا الحطيم بدون سقف .

– يذكر كلمة الفرضة (ص ٣٥٤ – ٣٥٥) . وأضيف : أهم نص في هذا الموضوع : « أسواق العرب ... ثم يرتحلون منها إلى المشقر بَهَجَر فيقوم سوقها ... فتوافي بها فارس يقطعون البحر إليها ببياعاتهم ... ثم سوق دبا وهي إحدى فرضتي العرب يأتيها تجار السند والهند والصين وأهل المشرق والمغرب ... وكان الجلندي بن المستكبر يعشرهم فيها وفي صُحار ويفعل في ذلك فعل الملوك بغيرها » (كتاب المحبر لابن حبيب ، طبع حيدر آباد ، ص ٢٦٥ – ٢٦٦) . (يراجع أيضاً تاريخ اليعقوبي ٣١٣/١ – ٣١٥ ، ونهاية الارب للنويري ص ٤٦٤ ، وكتاب الأزمنة والأمكنة للمرزوقي طبع حيدر آباد ١٦١/٢ وما بعد ، وكتاب أسواق العرب للأستاذ سعيد الافغاني) .

– ذكر أدعية المسافرين على البحر . ولم يتذكر أجمل دعاء علمه القرآن : « قال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم » .

– ذكر مراجع كثيرة لكتب الحديث النبوي حيث وردت كلمة البحر ، كأنه نقل عن المعجم المفهرس لـ : فنسنك بدون ذكر اسمه . ولكن لا ندري لماذا أهمل نفس المصدر لكلمة سفينة ، وفلك ،

وجارية وغيرها . ثم في ذكر كلمة البحر لم يميز بين ما يتعلق بموضوعه وما لا يتعلق مثل « بحر البحيرة » و « اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه » . فبحر البحيرة يتعلق بالحيوان مثل الابل والشاة . وأهل البحيرة معناه أهل المدينة المنورة ، والبحيرة من الاضداد ، تدل على البر كما تدل على البحر . وذكر الحديث « فاعمل من وراء البحار » وهي الصحاري .

ـ وعندما قرأت القصيدتين بالفارسية والهندية عن وصف سفر البحر (ص ٤١٢ – ٤١٤) تذكّرت ما اقترحت قبل زمن طويل ، أن الاسفار البحرية ليوليسيس (من تصنيف هومر اليوناني) معروفة وكذلك أسفار السندباد البحري في ألف ليلة وليلة . ومن الغريب أن أحد الأسفار مشترك بينهما وهو في قصة الجني ذي العين الواحدة الذي يأكل لحم الانسان ويتخلص يوليسيس وسندباد منه بصعوبة . لم تُعرف ترجمة هومر إلى العربية فكيف تعلّم مؤلف هذا القسم من ألف ليلة وليلة قصة يوليسيس ؟ اقترحتُ أن السريانيين مثلا حكَوْا للعرب قصص هومر شفاها ، فبنَوْا عليها قصة أسفار السندباد البحري . والله أعلم .

ـ ذكر جران السعود (ص ٤٤٦) ، وهو يريد طبعاً جران العوْد الشاعر .

ـ ذكر المثل « ما بَلّ بحرٌ صوفة » (ص ٤٣٨) وظن أن الصوفة هي زبد أمواج البحر . أنا مـا أظنه كذلك . ذكر ابن البيطار « صوف البحر » (لعله هو) فيقول : كان بعض الناس فيما مضى يزعم أنه نوع من الطحلب البحري ينبت على حجارة أقاصير البحر . وليس الأمر كما ظن بل هو شيء يوجد في بحر المشرق وببلاد الروم

وبأقاصير اسفاقس أيضاً من بلاد القيروان . وأكثرها يكون بقربة من بلاد القيروان ، وأكثرها بقربة من قصر زياد ، وبقربة قيودية أيضاً يوجد في صدفة كبيرة على قدر يد الانسان أعلاها عريض وطرفها دقيق إلى الطول ما هو كأنه فم طائر ، ظاهرها خشن ، فيه زوايا طويلة ناتئة ، منها دقاق ومنها ما يكون في غلظ أقلام الكتاب ، فارغة الداخل . ولون الصدفة كلون اللؤلؤ . وداخلها لون أصفر مليح المنظر الى الحمرة ما هو . وفي داخل الصدفة حيوان مؤلف من أشياء تشبه الأعصاب والكبد الأبيض والاسود كنبات اللوبيا ، قائم غير معوج المصير . وفي الطرف من المصير مما يلي الحادّ من الصدفة يكون الصوف المعروف . خلقة عجيبة للخلاق العظيم سبحانه وتعالى ... »
وقال الاصطخري في المسالك والممالك (ص ٤٢) تفصيلا عن هذا الصوف : « وتقع بشنترين في وقت من السنة من البحر دابة تحتك بحجارة على شط البحر فيقع منها وَبَرٌ في لين الخز ، لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئاً . وهو عزيز قليل فيجمع وتنسج منه ثياب فتتلوّن في اليوم ألواناً . ويحجر عليها ملوك بني أمية ولا ينقل الاّ سرّاً . وتزيد قيمة الثوب على ألف دينار لعزته وحسنه . وقال المستشرق دي خويه في حاشية الاصطخري : « إن اسم هذا الحيوان البحري أبو قلمون » ومثل هذا الكلام يدل على قرب علائق أهل جزيرة العرب قبل الاسلام بالبحارة ودقة نظرهم فان صوف البحر لا يوجد إلاّ بعيدا من جزيرة العرب في غاية الندرة ومع ذلك دخلت الكلمة في أدبيات العرب فقالوا : ما بلّ بحرٌ صوفة .

ومن لطيف ماذكر وهو منقول من ابن تغري‌بردي (النجوم الزاهرة

١٢٨/٢) : عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه في خلافة معاوية رضي الله عنه : هو أول من نشر الرايات على السفن . ونقل أيضاً عن الطبري في أحوال سنة ٢٦٨ للهجرة نصب الأعلام على السفائن .

– لم يذكر مؤلفنا آيات القرآن مثل « ريح طيبة . . . ريح عاصف » وكذلك « تذهب ريحكم » وهذا الاخير لا بد أن يكون من كلام أهل البحر : اذا ذهبت الريح من الشراع ظلت السفينة راكدة معطلة . وكذلك لم يشر الى قصة تميم الداري المذكورة في صحيح الامام مسلم ، وكلمة « داري » معناها الملاّح .

– لم يصحّح في تجارب الطبع (ص ٤٣٣) « أسماء بنت عميس . قال عمر الحشيّة »(اقرأ : الحبشية) . هذاه البحرية (اقرأ : هذه ، البحرية) .

الكتاب معدن للمعلومات وننتظر الطبعة الثانية المنقحة والمزيد فيها .

باريس : **محمد حميد الله**

الاستعراب السوفياتي والسبعينات

و

كتب جديدة عن الأدب العربي الحديث

بقلم : جاكوب م لاندو

تقديم وترجمة : عبد النبي اصطيف

تقديم

صدر مؤخراً العدد التاسع من « مجلة الادب العربي »[١] السنوية التي يصدرها عدد من الدارسين العرب والمستعربين في جامعات المملكة المتحدة والولايات المتحدة الامريكية . وقد بدأ صدور هذه المجلة عام ١٩٧٠ ، وهي فيما أعلم المجلة الوحيدة المتخصصة بشؤون الادب العربي ، في ميدان الدوريات التي تصدر باللغة الانكليزية(*)

وقد ضم العدد الجديد باقة من المقالات الجيدة عن جملة من القضايا الهامة ، والتي مازالت مدار نقاش في دوائر المهتمين بالادب العربي من المستعربين الأجانب أو الدارسين العرب ، منها :

- الموشح والزجل والخرجة
- وظيفة البلاغة في الادب العربي الوسيط

(*) للمزيد من الاطلاع على المجلة انظر : عبد النبي اصطيف « مجلة الأدب العربي » ، المعرفة ، دمشق ، العدد ١٩٩ ، ايلول ، ١٩٧٨ ، ص ص ١٤٤ — ١٤٩ .

ـ الشعر المروي شفهياً في الجزيره العربية في العصر الجاهلي

وهي قضايا ذات حساسية شديدة ، يشكل إلقاء ضوء جديد عليها ، دفعاً في طريق تقدم البحث فيها . إضافة إلى عدد من المقالات الأخرى التي تتناول روائع الادب العربي الحديث كرواية الطيب صالح « موسم الهجرة إلى الشمال » وبعض نتاج الحكيم ونجيب محفوظ وآخرين .

وهذا كله إلى جانب عدد من المترجمات التي تشمل الشعر والمسرح ، والمراجعات ، مع ثبت بآخر ماصدر من مطبوعات جديدة عن الادب العربي ، وهو زاوية دورية يعدها بيير كاكيا .

ولست أريد في هذه المقالة أن أقف عند محتويات العدد فهذا ما آمل أن أتحدث عنه في مقالة قادمة هي قيد الإعداد ، ولكني أريد فقط الإشارة إلى مقالة جاكوب م ، لاندو(٢) والتي راجع فيها عدداً من الكتب السوفييتية التي صدرت مؤخراً عن الأدب العربي الحديث ، والتي تلقي بدورها ضوءاً جديداً على الاستعراب السوفييتي في السبعينيات . والحقيقة أن حركة الاستعراب في الاتحاد السوفييتي حركة نشيطة جداً ، إلا أننا لا نعرف عنها إلا القليل ، وذلك لان بعضها ـ أو أكثرها ـ لايصل إلى الاقطار العربية . كما أن اللغة الروسية ليست ـ فيما يبدو ـ من اللغات المتداولة بين المثقفين العرب ، والذين يعرفونها قلة ، وأغلبهم يعنى بنقل الأدب الروسي ، ولا يعير اهتماماً كبيراً لما ينشر من كتب بالروسية عن الأدب العربي ، أو الثقافة العربية وما يتصل بها من أمور وقضايا .

وقد رأيت أن أنقل هذه المقالة إلى العربية ، بغرض إعطاء القارىء العربي فكرة عن الاستعراب السوفييتي في السبعينيات ، خاصة وأن أغلب الكتب التي يناقشها صاحب المقالة يتناول فترة مبكرة من تاريخ الادب العربي الحديث هي سنوات النهضة ، والتي أظن أنها ما زالت تثير الكثير من النقاشات حول طبيعتها ، ودور المؤثرات الأجنبية فيها ، ناهيك عن المصطلح نفسه وما يثيره من إشكالات لا تقتصر على التسمية فقط ، وإنما تتجاوز ذلك إلى تضمنات المصطلح وحدوده التاريخية أيضاً(*)

★ ★ ★

كتب سوفييتية حديثة عن الأدب العربي الحديث :

ارتفع عدد الدراسات التي يقوم بها الباحثون السوفييت عن الادب العربي الحديث ، في السنين التي تلت نهاية الحرب العالمية الثانية ، تبعاً لزيادة اهتمامات بلدهم ، السياسية والاقتصادية ، بالشرق الاوسط وشمالي إفريقيا . وقد أظهر التقدم السوفييتي أن التركيز في حقل الدراسات الشرقية — بالروسية وبغيرها من اللغات[٣] كان على البحث في الدراسات العربية . على الرغم من أن الاهتمام بهذه الظاهرة

---

* انظر ما كتبه الدكتور حسام الخطيب حول ذلك في دراسته (من قضايا المنهج في عصر النهضة) المنشورة في كتابه : **ملامح في الأدب والثقافة واللغة** ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٠ ، ص (١٨٣ — ١٨٩) .

في الغرب كان قليلاً نسبياً ، وحتى عندما تظهر أية تعليقات ، خارج الاتحاد السوفييتي ، عن المنشورات السوفييتية الحديثة ، فإنها تهتم بشكل أساسي بالمنشورات التي تعنى بقضايا الشرق الأوسط(٤) ، ونادراً ما تهتم بتلك الدراسات التي تعنى بالأدب العربي(٥) .

ولما كان عرضنا هذا يتناول الأدب العربي الحديث فقط ، فإننا ينبغي أن نترك مناقشة البحث السوفييتي في الادب العربي الكلاسي لمقالة أخرى ، وحتى بالنسبة إلى الأدب العربي الحديث فإننا ينبغي أن نتناول بانتقاء – بسبب محدودية المجال – ونأخذ فقط عدة موضوعات ذات أهمية خاصة . وبالتالي فإننا لايمكن حتى أن نذكر الترجمات الروسية العديدة للشعر والنثر العربيين الحديثين والمعاصرين ، من الاقطار العربية كلها ، وهو موضوع جدير بدراسة منفردة .

« أدب الشرق في العصور الحديثة » ن . ك . عثمانوف

وإذا ما تجاهل المرء ، المقالات ودوريات البحث (٦) والمجلات الأدبية ، ومجلدات المقالات المجموعة(٧) وما شابه ذلك . وركز على الكتب فقط ، فإن نقطة الانطلاق المنطقية له هي كتاب « أدب الشرق في العصور الحديثة »(٨) . وهذا المجلد كتاب مدرسي ضخم لطلاب المدارس الثانوية الذين يتخصصون في دراسة اللغات الشرقية وآدابها ، وللدورات الجامعية حول تاريخ آداب شعوب آسيا وإفريقيا وقد أسهم فيه مختصون عديدون بأقسام عن الأقطار العربية ، وتركيا ، وإيران ، والهند ، والصين ، واليابان ، مركزين على الفترة ما بين

القرن السابع عشر والحرب العالمية الأولى على وجه التقريب . ويناقش القسم المتعلق بالأدب العربي (الصفحات ١٥ ـ ٦٧) ، والذي كتبه ن ، ك ، عثمانوف ، ما يسمى بحركة « التنوير » العربية ، وعقابيلها ويتناول بشكل خاص الطهطاوي وزيدان وفرح أنطون ، والبارودي والمنفلوطي . وعلى أي حال ، فإن عدداً آخر ، كمحمد عبده وأحمد شوقي ، قد ذكر ، كل في بضعة سطور . ولما كان القسم المتعلق بالأدب العربي أقصر من أي قسم آخر ، فإن المرء يتفهم جيداً لماذا لم يتمكن عثمانوف من ذكر جميع الكتاب الجديرين بالملاحظة . ولكنه يستطيع أن يتفهم بشكل أقل يسراً لماذا انتقى هؤلاء ـ وعملياً كل الكتابات من مصر ـ ولماذا أهمل جبران ونعيمة اللذين ذكرا عرضاً ، أو محمد حسين هيكل الذي حذف تماماً . إن القسم بجمله ـ على الرغم من هذه النواقص والأخطاء التي ربما كان من الصعب تجنبها ـ قد كتب بوضوح وتعاطف مع أولئك المؤلفين الذين كتبوا في ظل نظام متسلط ، وضمن أناس أميين بشكل عام . وهذا في حد ذاته يجعله مناسباً لكشف الطالب الأول لمسح تمهيدي للأدب العربي الحديث .

« الرابطة القلمية وميخائيل نعيمة » و إ . ن. إيمانغوليبيفا

وكتاب إ ، ن ، إيمانغوليبيفا ، « الرابطة القلمية وميخائيل نعيمة »[٩] كتاب آخر مختلف تماماً . ومن الواضح أن نعيمة موضوع جذاب للمستعربين السوفييت ، لأنه حتى الوقت الحاضر ، أحد المثقفين العرب القلائل المتمكنين من اللغة الروسية وأدبها . ومن ومن هنا فقد كرس ثلث الكتاب للرابطة ، وثلثيه لنعيمة . وتظهر

إيمانغوليفا معرفة معتبرة بآثار نعيمة ، وبالدراسات المبكرة عنه وعن الرابطة ، بالعربية وبالروسية ، ولكنها أقل اطمئناناً مع تلك الكتب التي كتبت باللغات الأخرى ، وتضم البيبلوغرافيا ١١٦ مادة بالعربية [١٠] و ٧٨ مادة بالروسية ، ولكن مجرد ١١ باللغات الأخرى (يبدو من ضمنها كتاب ج ، رايت J. Wright « ليبيا » في غير موضعه) . وإذ تدرس كل الأشياء ، فإن القارىء يأخذ فكرة عن حياة نعيمة وآثاره أفضل من الرابطة . وتمضي إيمانغوليفا في تفصيل كبير عن تعليم نعيمة وجولاته ونشاطاته ، وبعدها تحلل العديد من أعماله ، وتستند في تقديرها على تتبع دقيق لآثاره ، على الرغم من أن الملاحظات موجزة ، وهي بالأحرى ، غير شاملة ، وربما يجد القارىء أن الأمر أكثر جدوى ، إذا ما نقب في دراسة أخرى لنعيمة نشرت في استانبول في سنة نشر كتاب إيمانغوليفا هذا ، وكتبت من قبل س . نيجلاند [١١] .

ولكن مزية كتاب إيمانغوليفا الرئيسية هي تقويمها للتأثيرات الأدبية الروسية في نعيمة . صحيح أنها لا تكشف تقريباً أي شيء جديد ذي أهميـــة عن تعليم نعيمة الروسي في الناصرة وبولتافا ، معتمدة في ذلك على كتب نعيمة في السيرة الذاتية « أبعد من موسكو وواشنطن » و « سبعون » ، ولكنها تسبر بعمق أكبر من الآخرين تأثير الثقافة الروسية على كتاباته (الصفحات ٧٦ - ٨٦) ، فهي على سبيل المثال تتفحص ، ببعض تفصيل ، تأثير تورجينيف وأوستروفسكي على عقدة مسرحية « الآباء والبنون » وبنيتها وشخصياتها وربما كان

المرء أكثر امتناناً لو أن إيانغوليفا ، مضت أكثر في تتبع القضية وتفحصت التأثير الأمريكي والروسي النسبيين على تكوين نعيمة الأديب .

« الرواية المصرية : ولادة الجنس الأدبي وتكوينه » إ،إ، علي زادي

وهناك مؤلَّف ليس أقل أهمية هو كتاب ، إ ، إ ، علي زادي « الرواية المصرية : ولادة الجنس الأدبي وتكوينه »(١٢) . ويعتمد هذا الكتاب على قدر كبير من القراءة ، رغم أن بيبليوغرافيته - كما في حالة إيانغوليفا - تضم ٩٤ مادة بالعربية ، و ٥٩ بالروسية ، وثماني مواد فقط باللغات الأخرى . والحقيقة أن المرء يتساءل فيما إذا لم يكن لبعض المستعربين السوفييت أي مدخل للدراسات الغربية - باستثناء بعض الدراسات المعروفة - أو أنهم يتجاهلونها . وعلى أي حال ، فإن كتاب علي زادي أكثر من مجرد إعادة لما نعرفه عن الروايات والقصص المصرية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وأطروحته الرئيسية هي أنه على الرغم من أن ولادة الجنس الأولى كانت في نهاية القرن التاسع عشر ، فإن الرواية لم تبدأ تطورها في الحقيقة وبطريقة ذات مغزى ، إلا في السنين اللاحقة فقط ومع بداية حركات التحرر الوطني (الصفحة ٢٣) . ان علي زادي بهذا المدخل انما يتابع وجهة النظر المقبولة على مستوى واسع في النقد الأدبي السوفييتي في أن الأدب الواقعي هو الأدب الوحيد الجدير بالدراسة (ومعظم الأنواع الأخرى يُتخلص منها على أنها آداب منحطة) . وهو مهتم بشكل رئيسي بمحمد تيمور والمنفلوطي ، ويعجب بالأول لتوسيعه أفق موضوعات كتابة القصة في مصر . وفي

أثناء مناقشته للمنفلوطي يسلم بأنه أكثر من عاطفي ، رغم أنه يؤكد أن المنفلوطي في فترته قدّم الجنس الأدبي الخاص بكتابة القصة عن طريق جذب قراء جدد ، وهذا إطراء متواضع . ولكن المرء يميل الى موافقة علي زادي في هذا المجال .

« مقالات في تاريخ الأدب العربي في العصور الحديثة - مصر وسورية: رواية عصر التنوير ١٨٧٠ - ١٩١٤ إ . إ . دولينينا

أما كتاب إ ، إ ، دولينينا « مقالات في تاريخ الأدب العربي في العصور الحديثة — مصر وسورية : رواية عصر التنوير ١٨٧٠ — ١٩١٤ »[١٣] فهو دراسة أكثر شمولاً ، وتغطي جزئياً موضوع علي زادي نفسه .

لقد غدت السيدة دولينينا في السنوات الأخيرة ، السيدة الكبيرة في البحث السوفيتي الأكاديمي في الأدب العربي الحديث والذي أسهمت فيه بدراسات متعددة الجوانب . ففي كتابي إيمانغوليفا وعلي زادي المذكورين آنفاً ، يظهر اسم دولينينا « كمحرر مسؤول » (وهو أمر مقرر ينبغي ذكره في خاتم النشر في جميع الكتب السوفيتية)[١٤] وأكثر من هذا ، فإن المجلد الحالي هو في الحقيقة استمرار لعمل سابق لها تناول الموضوع نفسه ولكنه تركز حول الصحافة المصرية والسورية في السنوات مابين (١٨٧٠ - ١٩١٤)[١٥] . ولما كان المجلد الأول قد روجع في مكان آخر[١٦] ، فإننا سنتناول هنا المجلد المتعلق بالرواية فقط .

إن فترة التنوير موضوع مفضل لدى الدارسين السوفييت ، ربما لأنها تهيء الأرضية للفترتين الحديثة والمعاصرة . إضافة إلى إمكانياتها من أجل خميرة ثورية . فقد نشر مؤخراً ، ضمن مؤلفات أعمال أخرى عن هذا الموضوع ، مجلد خاص عن حركة التنوير في الآداب الشرقية [١٧] ، أسهم فيه عثمانوف المذكور آنفاً بفصل عن « تطور أفكار حركة التنوير في الشرق الأدنى في القرن التاسع عشر »

ويتناول كتاب دولينينا الجديد بشكل رئيسي حياة أربعة معروفين من أنصار رواية التنوير وآثارهم في سوريا ومصر هم :

سليم البستاني جميل المدور جرجي زيدان فرح أنطون

وكلهم جديرون بتحليل مفصل ، وخاصة الأخيرين . والحقيقة أن تقويم مسرحيات فرح أنطون (الصفحات ٢١٩ – ٢٤٤) هو من أكثر الدراسات التي واجهها المراجع حتى اليوم تبصراً . وربما كان من أكثر الاسهامات أهمية في هذا الكتاب قسم من الفصل المدخلي المعنون بـ « الأدب العربي في فترة التنوير » تناقش فيه المؤلفة « الاتجاهات الأساسية لحركة التنوير العربية » (الصفحات ٤ – ١٤) . وتلاحظ دولينينا أن مصطلح حركة التنوير العربية مرادف لمصطلح النهضة كما يستخدم من قبل المؤرخين العرب ، ولكنها تحذر من محاولة المماثلة بينه وبين مصطلح النهضة في أوربا ، فعلى الرغم من إمكانية تفسير أوسع للمصطلح فإنه في الأساس إحياء ثقافي . وربما كان هذا سبب مماثلة دولينينا بين مصطلح النهضة ومصطلح التنوير ، على اعتبار أن الحضارة الأوربية قد جُلبت إلى

الأقطار العربيـــة في ذلك الوقت . وفي هذا السياق تقوّم دولينينا الدور الذي قامت به الإرساليات المسـيحية . وهي ترى أن المرء ينبغي ألا يبالغ في تقدير دورها ، لأن أغراضها كانت بشكل أساسي سياسية واقتصادية ، مع أنه ينبغي ألا تهمل لأنها ملأت فجوة ثقافية وتعليمية هامة . وهكذا فإن حركة التنوير أتت إلى سوريا ـ كما تحاج دولينينا ـ عن غير قصد ، وقد أثرت أفكارها على أقلية صغيرة من المسيحيين . ولكنها عندما تسربت إلى مصر تحت قناع الحداثة المسلمة ، نمت أهميتها ، وخاصة في نطاق التعاون السوري المصري .

وتفضل دولينينا حركة التنوير السورية عندما تقوّمها بالمقارنة مع المصرية . لأنهـا تعتبر أنها أقل ارتباطاً بالدين ، وبالتالي فهي أكثر انفتاحاً على التفكير الحر . على الرغم من أن المصرية غدت أكثر وثاقة عندما ابتعدت بالتدريج عن الدين واقتربت من الوطنية . وتصف دولينينا بالإضافة إلى هذا ـ جماعات محلية مختلفة وتحللها عن طريق موشور مواقفها من التنوير . ورغم أن المرء قد يدخل في نقاش معها حول بعض النقاط ، إلا أن كتابها هام وحافز .

« كتاب مصر : القرن العشرون . مواد من أجل بيبليوغرافيا ن ، ك كوتسياريف و.س . إ ، شويسكي

أما الكتاب الأخير ، وأكثر الكتب المراجعة فائدة ، فهو عمل مرجعي ، عنوانه : « كتاب مصر ، القرن العشرون ، مواد من أجل بيبليوغرافيا » [١٨] . وقد جمع الكتاب من قبل ن ، ك ، كوتسياريف مع عدة ملاحق أضافها ، س ، إ ، شويسكي ، وهو كتاب ضروري

لأيّ دارس للأدب العربي الحديث في مصر ، ورغم أن هدف الكتاب هو القرن العشرون كله ، فإن التركيز هو ـ بالتأكيد ـ على الخمسينيات والستينيات ، أي على السنوات التي تتيسر فيها المعلومات السيرية ، البيبليوغرافية المطلوبة . وهناك ثبت هجائي مفصل وكامل بـ ٣٢٢ مؤلفاً ، وآخر مفصل جزئياً بـ ١٦٨ كاتباً آخر . ويتضمن الثبت الأول معلومات عن كل كاتب يصعب الحصول عليها : حياته ، أعماله في العربية مع تواريخ نشرها ، ترجماته إلى اللغات الأخرى ، ومعطيات ببيليوغرافية موسعة ، حتى عام ١٩٧٤ ، عن هذه الأعمال . وتشمل البيبليوغرافيا مواد بالعربية والروسية واللغات الأخرى .

ويختتم المجلد بعدد من الملاحق: قائمة بالمختصرات، ببيليوغرافيا ملحقة، خطوط عامة موجزة للأدب المصري في القرن العشرين ، مسح لتاريخ هذا الأدب ، مدخل لبيبليوغرافيته ، وعدد من الفهارس والإضافات . وعلى الرغم من ضخامة المعلومات ، فإن هناك بضعة أخطاء طباعية أو حقيقية فقط منها (صنوع من ص ٢٠١ ـ ٢٠٢) و (مجلة الدراسات اليهودية »[١٩] التي أصبحت « مجلة الدراسات السامية »)[٢٠] ، وتجب ترجمة هذا المرجع إلى العربية أو إلى إحدى اللغات الأوروبية الغربية حتى تمكن مراجعته من قبل أولئك الذين لايحسنون اللغة الروسية.

مراجع البحث

(١) انظر .

Journal of Arabic Literature, Vol. IX, Leiden, 1978.
Jacob M. Landau,

(٢) انظر .

« Recent Soviet Books on Modern Arabic Literature »

« مجلة الأدب العربي » العدد التاسع ، ١٩٧٨ ، الصفحات ١٥٢ — ١٥٦

(٣) من أجل النسخة الانكليزية من التقارير انظر في سلسلة .

G. Sh. Sharbatov, Arabic Studies, (Philology),
Fifty Years of Soviet Oriental Studies (Brief Reviews), 1917-1967,
The USSR Academy of Sciences'Institute of the People of Asia,
Nauka Press, Moscow, 1967.

وانظر أيضاً :

Asia in Soviet Studies, USSR A. S. I. P. A. , Nauka Press,
Moscow, 1969.
Oriental Studies in the USSR, Nauka Press, Moscow, 1975.

(٤) انظر على سبيل المثال ؛

Charles Issawi, « Through A Glass, Darkly: A Recent Soviet Study on the Middle East », The Middle East Journal, XIV (4),
Autumn 1960, PP. 470 - 5.

وانظر أيضاً :

Middle East Studies Association Bulletin,
IX (2), 1 May 1975, pp. 80 - 84 ; IX (3) I October 1975, pp. 85-9;X(1)
1 Feb. 1976, pp. 61-2; X (2), 1 May 1976, pp. 94-6; X (3), 1 Oct. 1976,
pp. 80-1.

(٥) انظر على سبيل المثال مقالتي :

« Some Soviet Works on Modern Arabic Literature »
« Middle Eastern Studies, VII (3), Oct. 1971, pp. 363-5.

ومراجعتي لكتاب كريمسكي

« في مجلة الأدب العربي » العدد الرابع ، ١٩٧٣ ، الصفحات (١٥٧—١٦٠)

History of Modern Arabic Literature, « Krimskiy »

(٦) انظر من أجلها :

Middle Eastern Studies, Vol. VII (2), May 1971, pp. 237-239.

(٧) منها سلسلة حديثة جديرة بانتباه خاص عنوانها ، « الاستشراق » وقد صدرت في أعداد خاصة من
Scientific Papers of Leningrad University
ولدينا منها الان مجلدان صدرا على التوالي في عامي ١٩٧٤ ، و ١٩٧٥ ، ومن ضمن الدراسات المتضمنة فيها (وجميعها بالروسية) :

« مشكلة اللغة في الكتابة المسرحية العربية الحديثة » ا : إ ، إ ، دوليننا

« دليل جديد عن سهير القلماوي » ا : إ ، ن ، سوكولوفا

« توليد الكلمات في شعر شعراء مصر الشعبيين » ا أ ، ب ، فرولوفا

« الرمزية والرومانتيه في مسرحية توفيق الحكيم، أهل الكهف » ك ، أ، يونوسوف

(٨) مطبعة جامعة موسكو ، ١٩٧٥ ، وعدد صفحاته (٧٠٧)

(٩) مطبعة ناوكا ، موسكو ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ، ١٩٧٥ ، وعدد صفحاته (١:٧) صفحة

(١٠) في الصفحة ١٣٥ ، ينبغي أن يكون كتاب د . شوقي ضيف : (الأدب العربي المعاصر) وليس (المعاصري) وعلى أي حال فأخطاء كهذه نادرة جداً

(١١) انظر :

C. Mijland,

Mikha'il Nu'aymah: Promoter of the Arabic Literary Revival, Istanbul, Nedrlands Historisch-Archaeologisch Institute, 1975; V, 131 pp.

(١٢) مطبعة ناوكا ، موسكو ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ، ١٩٧٤ ، وعدد صفحاته (١٥٢) صفحة

(١٣) مطبعة ناوكا ، موسكو ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ١٩٧٣ ، وعدد صفحاته (٢٧٢) صفحة

(١٤) من أجل مساهمات دوليننا في مقالات المجموعة انظر الهامش رقم (٧)

(١٥) موسكو ، مطبعة ناوكا ، ١٩٦٨ ، وصفاته (١٤٤) صفحة

(١٦) انظر :
Middle Eastern Studies. VII (3), Oct. 1971, p.364.

(١٧) موسكو ، مطبعة ناوكا ، معهد الدراسات الشرقية في أكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية للعلوم ، ١٩٧٣ ، وصفحاته (٣٢٠) صفحة .

(١٨) موسكو ، مطبعة ناوكا ، معهد الدراسات الشرقية في اكاديمية اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للعلوم ، ١٩٧٥ ، وصفحاته (٣٤٤) صفحة

(١٩)
Journal of Jewish Studies

(٢٠)
Journal of Semitic Studies

عبد النبي اصطيف

كلية سانت أنتوني
جامعة اكسفورد

آراء وأنباء

موجز

وقائع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة
في دورته الخامسة والأربعين (*)

الدكتور عدنان الخطيب

انعقد مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته الخامسة والأربعين ، في المدة الواقعة من تاريخ الحادي والعشرين من شباط حتى الثاني عشر من آذار سنة ١٩٧٩ م ؛ وعَقَد خلالها ، كعادته ، تسع جلسات علمية ، إضافة إلى جلستي الافتتاح والختام .

وفي ما يلي عرض موجز لأبحاث المؤتمر ومقرراته ، مع تسجيل كامل للتوصيات والقرارات التي اتخذها في جلسته الختامية .

أولاً : جلسة الافتتاح

عُقدت جلسة الافتتاح في قاعة الاحتفالات الكبرى بمبنى جامعة الدول العربية ، صباح يوم الاثنين السادس والعشرين من شباط ١٩٧٩ ، واستمع المؤتمرون والمدعوون من رجال الفكر والأدب إلى كل من :

١ – الدكتور حسن اسماعيل ، وزير التعليم والثقافة والبحث

(*) نشر الزميل الدكتور عدنان الخطيب وقائع هذه الدورة في زميلتنا مجلة مجمع اللغة العربية الأردني في عددها المزدوج برقم (٣ – ٤) ، وحرصاً منا على متابعة نشر وقائع المؤتمر في مختلف دوراته في مجلتنا طلبنا من الزميل إعداد موجز لما نشره في الزميلة فوافانا بهذا الموجز (لجنة المجلة) .

العلمي ، وقد أشاد في كلمته بالمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية ، وهو يتصدى لقضايا اللغة العربية ومشكلاتها في العصر الحديث . ثم خاطب المؤتمرين قائلا : « أنتم أطباء اللغة ، تفحصون أدواءها ، وتضعون دواءها ، فإذا باللغة تشفى على أيديكم مما قد يصيبها من علل أو يعتريها من ضعف ، وإذا بها تنهض وافرة الصحة والسلامة والعافية لتؤدي رسالتها الخالدة في كل مجالات الأدب والعلم والفن » .

٢ ـ الدكتور إبراهيم مدكور ، رئيس المجمع ورئيس المؤتمر ، الذي ضمّن كلمته عرضاً كاملاً لمشكلة تيسير تعليم اللغة العربية منذ عُنيت بها وزارة المعارف المصرية قبل خمسين سنة ، وكَوَّنت لجنة من كبار رجال اللغة العربية لمعالجة هذه المشكلة ، فوضعت اللجنة مقترحات ، ولكن مقترحاتها لم تَلْقَ ما تستحق من الاهتمام ، الا من لجنة الأصول في مجمع اللغة العربية حين أحيلت إليها ، وبآخرة من إتحاد المجامع العربية الذي عقد سنة ١٩٧٦ ندوة خاصة بالجزائر حول « تعليم النحو العربي » وقد انتهى فيها إلى ضرورة تيسير تعليم العربية ، كما انتهى في ندوة عمان سنة ١٩٧٨ ، إلى توصية المسؤولين عن التعليم بالتوسع في إعداد معلم اللغة العربية إعداداً علمياً وفنياً يمكّنه من تحقيق النهضة اللغوية المنشودة .

ثم عرض الأستاذ الرئيس للنحو العربي ، مشيداً بمزاياه ومعتبراً إياه من أهم آثار العقل العربي ، ومؤكدا على أنه يتفوق على أي نحو لأي أمة من الأمم . ثم قال : إن هذا النحو « في سعته وتعمقه ، إن لاءم الخاصة ، فإنه لا يلائم العامة بحال . . وقد انقضى زمن

أرستقراطية التعلم والتعليم ، واصبحنا نؤمن ونسعى جميعا إلى ديمقراطية التعليم وشعبيته » . ثم دعا مجدداً إلى العمل المتواصل في سبيل تيسير تعليم العربية ، لأن الجميع يريدون « للعربية السهلة السليمة أن تكون لغة أبناء العربية جميعا في البيت والمدرسة ، في الحقل والمصنع ، في الديوان والمكتب ؛ فلنيسِّرْها لهم ، ولنحبِّبْها الى قلوبهم » .

٣ – الدكتور محمد مهدي علام ، أمين المجمع ، وقد تلا عرضاً مسهباً لأعمال مجمع القاهرة ولجانه المتعددة ، وأتى على بيان نتيجة مسابقة المجمع الأدبية في موضوع « الدكتور محمد كامل حسين : مفكراً وأديباً » . ثم سرد ثبتاً بالمطبوعات التي تمكن المجمع من نشرها خلال السنة المجمعية الماضية .

٤ – الدكتور عمر فروخ ، عضو المجمع من لبنان ، ممثلا أعضاء المؤتمر الوافدين إليه من سائر الأقطار العربية ؛ وقد جعل موضوع كلمته يدور حول العامية وأنصارها وأساليبهم المتجددة ؛ منذ كانت لهم في مصر جولة ثم اضمحلت ، الى أن جعلوا من لبنان مسرحاً لنشاطاتهم ، وآخر نشاط كان لهم من أيام معدودات ، فقد تمكنوا من دفع جريدة « النهار » البيروتية الى تخصيص أحد أركانها لنشر مقال أو مقالين بالعامية في موضوع ما ، أو في تبرير[1] تقعيد العامية .

---

(١) في المعجم : بَرَّ حَجّه : قُبِل ، أما مضعّف الفعل فلم يرد ، ولكن مؤتمر مجمع اللغة العربية أقر في دورته الرابعة والثلاثين اجازة التبرير بمعنى التسويغ ، استنادا الى قياسية تضعيف الفعل للتكثير والمبالغة . وقد اثبت الكلمة المعجم الوسيط .

ثم عرض نتائج الدعوة الى العامية لدى بعض الدول الأوروبية ، وكيف أدت الى انقسام الأمة الواحدة والدولة الواحدة الى شعوب أو دول مستقلة مختلفة اللغات .

ثم حذّر العرب من التساهل مع دعاة العامية ، داعياً الى اعادة النظر في أسلوب تعليم اللغة ، والى العناية باختيار موظفي الإعلام ، لأن أسلوب التعليم الحالي ، إضافة الى لغة وسائل الاعلام الموجهة الى الجماهير العربية ، مسؤولان الى حد كبير عن ضعف العربية على ألسنة كثير من العرب وأقلامهم .

وختمت الجلسة على أن تُعقد جلسات المؤتمر العلمية في مبنى المجمع اللغوي .

ثانيا : المصطلحات العلمية

درس المؤتمر وناقش خلال جلساته اليومية ، المصطلحات العلمية والفنية التي رفعتها إليه اللجان المختصة ، عن طريق مجلس المجمع في القاهرة ؛ وأقرّ المؤتمرون غالبيتها بالاجماع حينا وبالأكثرية أحياناً أخرى ، كما جرى تعديل بعضها أو اعادته إلى اللجان المختصة لاستيفاء دراسته .

وبلغ عدد المصطلحات التي نظر فيها المؤتمرون ٨٣٦ ، موزعة بين مختلف العلوم والفنون .

ثالثا : البحوث والدراسات

استمع المؤتمرون ، خلال مـــدة انعقاد المؤتمر ، إلى عدد من البحوث والدراسات التي ألقاها الأعضاء ، مناقشين ما ورد فيها أو

معلقين عليه . وفي ما يلي عرض موجز لتلك البحوث والدراسات ، مع أهم ما دار حولها من مناقشات أو تعليقات :

١ - فجر الاعلام في اللغة العربية : بحث ألقاه الدكتور عمر فروخ ، عضو المجمع من لبنان ، تحدّث فيه عن المفهوم المعاصر للاعلام ، وعن الدور الذي يؤديه في توجيه الجماهير وتزويدهم بالمعلومات التي تخدم مجتمعاً أو دولة ما ، أو أي فكرة معينة تُسَخّر أجهزة اعلامية لبثّها بين الناس ، هذا دون تقيد ببسط الحقيقة المجردة ، أو التزام بالصدق الكامل عند عرض المعلومات .

ثم عرض الباحث لفكرة الاعلام عند العرب في الجاهلية ، واستخدامهم الشعر في سبيل ذلك ، ثم بيّن تطوّر فكرة الاعلام في صدر الإسلام ، والهدف الذي كان يرمي إليه ، وأتى على مجموعة الالفاظ التي وردت في القرآن الكريم والحديث تحمل معنى الإعلام ، مع تحديد معنى كل منها ، مقارنا ذلك بمفهوم الإعلام في العصر الحديث .

وأثار البحث تعليقات عديدة[١] ، حول صحة بعض الألفاظ التي وردت فيه لبيان أثرها في نفوس سامعيها ؛ فعلق الأستاذ عباس حسن على كلمتي « توافر » و « تواجد » ، مؤكداً صحتهما على أنهما مزيدتان من الثلاثي ، وإن لم تردا في المعاجم ؛ أما جملة « ما أخذ بالقوة لا يُسْتَردّ إلا بالقوة » التي غمز الباحث [illegible] الاعلامية ،

---

(١) أجاز المؤتمر في دورته الثالثة والأربعين كلمة « عديد وعديدة » بمعنى « كثير وكثيرة » وأقرّ استكمال المادة اللغوية في المعجم .

فقال عنها : « أنا اعتبرها حكمة بارعة جليلة الشأن في استثارة همم الناس لاسترداد ما أُخذ منهم » .

وعلق الأستاذ محمد شوقي أمين ، بعد شكر الباحث ، بقوله : « إنّ وَصْم بعض الألفاظ بالغربة عن العربية فيه نظر ، ومنها لفظة « تواجد » ، فأنا أرى أن استعمالها لجماعة من الناس ، مقبول لغة ، مثلها مثل « تكاثر وتناسل » ، أي إذا كان المقصود بها اشتراك جماعة في « الوجود » ، وأما قولهم : تواجد فلان ، وكان لوحده ، فلا أرى له وجهاً ، وكذلك كلمة توافر » .

٢ ـ محمد رسول الله : قصيدة ألقاها الدكتور حسن علي ابراهيم أستاذ الجراحة في كلية الطب وعضو المجمع من مصر ، أوجز فيها سيرة الرسول الاعظم (ﷺ) وكانت في ١٢٤ بيتا .

٣ ـ اللغة العربية ووسائل الاعلام : بحث ألقاه الأستاذ حسن عبد الله القرشي ، عضو المجمع المراسل من المملكة العربية السعودية ، وعرض فيه لمزايا اللغة العربية وسعتها ، ولوسائل الاعلام الحديثة وأثرها في الجماهير ، داعياً إلى العمل على جعلها في خدمة الفصحى وتوحيد اللهجات المتعددة ؛ وهذا لا يكون إلا اذا أحسن إعداد البرامج ، وتمّ اختيار المذيعين من ذوي الكفايات العالية ؛ مشيراً إلى المساوىء التي تنجم عن وسائل الاعلام كلما افتقد فيها أحد الشرطين الملمح إليهما ، فضلاً عن افتقادهما معاً .

٤ ـ قبل يكون .. ، وقبل أن يكون .. في النثر والشعر : بحث طريف ألقاه الاستاذ محمد عبد الغني حسن ، عضو المجمع في

مصر ، وعرض فيه لديوان الشاعر المصري تميم بن المعز الفاطمي ، وقد وجد فيه ظاهرة لغوية مستغربة : فالشاعر يحذف (أن) المصدرية بعد (قبل) في كثير من شعره ، مما دفعه إلى تتبع هذه الظاهرة عند غيره من الشعراء والكتاب ، فوجدها عند عدد منهم ؛ والشاعر فيهم قد يلجأ إليها مضطرا ، وقد يكررها في شعره دون ضرورة ؛ لذلك فهي جديرة بالدراسة والتتبع لمعرفة الدافع إليها .

واستشهد الباحث بما وجده عند بعض الشعراء ، أمثال : ابن حيوس ، من القدامى ، وايليا أبو ماضي وزكي قنصل من المعاصرين ، كما وجدها في كتاب « الرسالة » للإمام الشافعي . وأشار أخيراً إلى أن العامة في مصر ، يحذفون في كلامهم (أن) بعد (قبل) غير أنهم يضعون لفظ (ما) بدلا عنها ، فيقولون : « قبل ما روح وقبل ما نام » .

وجرت تعليقات كثيرة على البحث ، كان أهمها تعليق الأستاذ عباس حسن ، فقد قال : إن لفظة (قبل) في اللغة تضاف إلى مفرد ، أو جملة ، ثم تساءل عما إذا كانت (قبل) فيما استشهد به الباحث من المضاف الى مفرد أم جملة ، ليصح الحكم بصحة تلك الظاهرة أو بفسادها .

وعلق الدكتور عمر فروخ متسائلا عما إذا كان الباحث ، وهو شاعر معروف ، قد لجأ إلى حذف (أن) بعد (قبل) في بعض شعره أم لا ؟ وعلّق الدكتور اسحق موسى الحسيني قائلا : إن العوام في بلاد الشام والعراق يحذفون أيضاً (أن) بعد (قبل)

ويستخدمون لفـــظ (مـا) ، مما يستوجب دراسة معمقة لهذه الظاهرة ، وأردف يقول : إنـــه يرى أنها قـد تكون لهجة من لهجات العرب .

وختمت المناقشات بقول الباحث : إن الظاهرة كانت تصك أذنيه كلما سمعها ، لذلك فقد تجنّبها في شعره ، كما أفاد بأن بحثه كان مجرد عرض لهذه الظاهرة ، ولم يكن بحثا لغوياً يقرّر جوازها أو عدم صحتها .

٥ ـ كناشة[١] النوادر : بحث ألقاه الدكتور عبد السلام هارون ، عضو المجمع من مصر ، وجمـــع فيه طاقة من الطرائف المستظرفة والنوادر المستغربة ، اقتطفها خلال مطلعاته في مختلف كتب اللغـــة والأدب ، وكان من أهم ما ورد فيها نظرات نقدية في بعض المعجمات . وفي ما يلي بعض هذه النظرات :

أ ـ عرف المعجم الوسيط كلمة (صابون) في مادة (ص ب ن) العربية ، وقال إنها (دخيلة) بينما قال صاحب القاموس : الصابون : معروف ، ممـا يدل على قدم الكلمة ؛ فان لم تكن عربية النجار ، فهي على الأقل معرّبة ، كما قال عنها

(١) في المعجم الوسيط : « الكناشة : الأوراق تجعل كالدفتر ، تقيد فيها الفوائد والشوارد (مولّد) » بينما جاء في متن اللغة : الكناش : كلمة سريانية (معربة) ، ونقل البطريرك برصوم في كتابه « الالفاظ السريانية المعربة » قول الخفاجي في « الشفاء » انها معربة عن السريانية .

ابن دريد [١] .

ب – كلمة (شوربة) حشرها المعجم الوسيط في مادة (شرب) بصيغة (الشَّربة) وذكر عنها أنها (مولدة) ، بينما هي فارسية [٢] دخيلة على العربية ، وعربيتها : (الحساء أو المرق) . وأثار هذا البحث تعليقات طريفة ، من قبل كل من الأساتذة : محمد مهدي علام ، ومحمد عبد الغني حسن ، واسحق موسى الحسيني ، وشوقي ضيف ، ومحمد شوقي أمين .

٦ – لغةٌ تجمع القلوب على الحُبّ : قصيدة من عيون شعر

(١) في لسان العرب : الصابون الذي تُغسَل به الثياب معروف ، قال ابن دريد : ليس من كلام العرب . وعرف صاحب متن اللغة الصابون ونقل قولة ابن دريد ، ثمّ اردفها بقوله : وقال غيره : هو مما توافقت عليه الالسنة ، وفي « الالفاظ الفارسية المعربة » قال المطران أدي شير : الصابون في الفارسية والتركية والكردية واليونانية والرومية والجرمانية والانكليزية والايطالية والفرنسية والسريانية ، فلا بد أن لغة من هذه اللغات أعارت أخواتها هذه اللفظة ، فذهب قوم الى أنها فارسية ، وقيل إن أصلها لاتيني ، وقيل إنها منسوبة الى مدينة Savon التي صُنِع فيها أول مرة الصابون (كما ذكر القاموس الفرنسي Bescherelle) . ويحتمل أن يكون سرياني الاصل ، فان الصابون مصنوع لتنظيف كل ماوسخ من الثياب وغيرها . هذا وفي المعجمات العربية : صبن الشيء : صرفه ، واصطبن وانصبن الشيء : انصرف !

(٢) جاء في « الالفاظ الفارسية المعربة » : الشَّوْرَبة ؛ طعام مائع من الرز واللحم ، تعريب شوربا ومنه : شوربا أو جوربا في جميع اللغات الشرقية المعروفة – ويرادفه : Zuppa أو Soup في اللغات الأوروبية .

الأستاذ محمد الغني عبد حسن ، عضو المجمع من مصر ألقاها معددا فيها مزايا العربية وفضلها ، وبخاصة في جمع الأصدقاء والزملاء على حبها والتعلق بها .

٧ ـ من تصريف الضمير في القرآن الكريم : بحث قيم ألقاه الأستاذ علي النجدي ناصف ، عضو المجمع من مصر ، حول الضمير العائد الى (الأنعام) في كل الآيتين الكريمتين :

ا ـ (وإنَّ لَكُمْ في الأنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مما في بُطُونِهِ مِنْ بينِ فَرْثٍ ودمٍ لَبَناً خالِصاً سائِغاً للشَّارِبينَ) .

٦٦ من سورة النحل

ب ـ (وإنَّ لَكُمْ في الأنعامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا في بُطونِها ولَكُمْ فيها منافِعُ كَثيرةٌ ومِنْها تَأكُلونَ) .

٢١ من سورة المؤمنون

٨ ـ ما معنى يوم التغابن : بحث للدكتور أحمد الحوفي عضو المجمع من مصر ، عرض فيه مختلف أقوال العلماء في تفسير كلمة (التغابن) الواردة في قوله تعالى :

(يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الجَمْعِ ذلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللهِ ويَعْمَلْ صالحاً يُكَفِّرْ عنْهُ سَيِّآتِهِ ويُدْخِلْهُ جنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنْهارُ خالِدِينَ فِيها أبداً ذلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ)

٩ من سورة التغابن .

ونفى الباحث أن يكون التغابن من الغبن بمعنى الظلم ، ورجّح قول من قال بأن يوم التغابن هو يوم الذهول .

وأثار البحث عاصفة من التعليقات اشترك فيها الأساتذة : عبد الله ابن خميس ، ومحمد أحمد سليمان ، وشوقي ضيف . أما الأستاذ عباس حسن فقد استنكر بعض ما سمع من آراء لأن « صيغة تفاعل تجيء لرؤية الشيء على حاله كما هو ، فحين نقول (التغابن) فهو يعني رؤية المغبون على حاله في حالة الغبن والظلم الذي وقع عليه ، بدليل أنه محرّم عليه أن يغبن غيره ، وعلى هذا فكلمة التغابن يجب أن تفسّر بما يتفق مع الدين واللغة » .

وعقب الباحث على الجميع قائلاً : « رأيت المفسرين القدماء والمعاصرين ذهبوا إلى أن كلمة التغابن مشتقة من كلمة الغبن بمعنى الظلم ، وهذا غير صحيح ، ولم يسْلم من هذا الخطأ الا مجمع اللغة العربية ، فقد رأى بحصافة في كتابه « معجم ألفاظ القرآن الكريم » ، بعد أن عرض ملخص آراء السابقين ، أن كلمة التغابن ما زالت محتاجة الى مزيد من البيان ، ولعلني بهذا البحث قد قدمت البيان الذي كان المجمع يتوقعه » [1] .

---

(١) جاء في معجم الفاظ القرآن الكريم : « .. والتغابن تفاعل ، وسمي به اليوم الآخر ، لنزول سعداء الدنيا فيه منازل الاشقياء ، ونزول أشقياء الدنيا فيه منازل السعداء ، على أن الغبن هو الوكس والبخس في البياعات ، من معنى اللين والضعف في مدار المادة ، وأما على أن مدارها الخفاء ، فقيل : يوم التغابن تبدو الاشياء لهم بخلاف مقاديرهم في الدنيا ، وعلى الوجهين فان ما في التفاعل — التغابن — من معنى المشاركة لا يزال يحتاج الى فضل بيان ، ولعل هـذا التفاعل =

٩ ـ اللغة العربية في خدمة علوم الاحياء : بحث للدكتور محمود حافظ ، عضو المجمع من مصر ، عرض فيه للمعاجم الرائدة في علوم الأحياء ، وفضل أصحابها في احياء التراث وتنمية المصطلحات في هذه العلوم الهامة .

وكان مما علق به المؤتمرون على البحث قول الدكتور محمد أحمد سليمان : « أين أثر مثل هذا البحث الجامع عند العلماء الذين يقومون على التدريس في الجامعات العربية ، وعلوم الاحياء تدرس حتى اليوم في جامعاتنا باللغة الاجنبية ! » .

١٠ ـ آخر ساجع في الشام : بحث للأستاذ سعيد الأفغاني ، عضو المجمع المراسل من سورية ، عرض فيه قصة القضاء على السجع في بلاد الشام ، وكيف تولى أدباء كبار وكتاب معاصرون معركة التنديد بالسجع وبيان مساوئه ، إلى أن ساد المرسل في كتابات الأدباء والمتأدبين ، فضلاً عن العلماء والمؤرخين .

وأشار الباحث إلى ذلك الحوار الذي قام في الثلاثينيات [١] على صفحات مجلة « الرسالة » بين الأستاذ الرئيس محمد كرد علي وأمير البيان الأمير شكيب أرسلان في هذا الموضوع ، ثم تكلم عن

= والمشاركة تتضح من صنيع القرآن في غير موضع ، اذ يصف ما يكون بين طبقتي المجتمع من مستكبرين ومستضعفين يتبادلون الاتهام بالغبن الخادع أو المخفي للحقيقة ، حين يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا : « لولا أنتم لكنا مؤمنين » فيقول الذين استكبروا للذين استضعفوا : « أنحن صددناكم عن الهدى بعد أن جاءكم بل كنتم مجرمين » وهذا هو التغابن المتبادل بكل معانيه ، يوم الجمع » .

(١) أجاز مؤتمر مجمع اللغة العربية في دورته التاسعة والثلاثين جمع الفاظ العقود بالألف والتاء مشترطا الحاق ياء النسب بها قبل اداة الجمع .

ظاهرة للسجع فذّة تمثلت في أديب شامي كبير عاش في المهجر الأمريكي ثم عاد إلى مسقط رأسه ، كان السجع المطبوع يسيل عفواً على قلمه بغير تكلف ، وهو الأستاذ نظير زيتون .

١١ ــ ألفاظ عامية مغربية لها أصل في الفصحى : بحث للأستاذ محمد الفاسي ، عضو المجمع من المغرب ، عرض فيه قائمة من كلمات متداولة في عامية أهل المغرب ، كانت في أصلها من الفصيح ، ولكن العامة شَوَّهَت مخارج بعض حروفها أو أبدلت حركته ، مقارنا في عرضه بين عامية المغرب وعاميات أقطار عربية أخرى .

رابعاً : المعجم الكبير

عُرِضَت على المؤتمرين المواد التي انهى مجلس المجمع دراستها من المعجم الكبير ، وهي المواد المبتدئة من أول حرف الجيم والتاء وما يثلثها إلى نهاية حرف الجيم والذال وما يثلثها .

وتداول المؤتمرون في هــذه المواد ، وبعد أن استمعوا إلى ملاحظات الأعضاء عليها ، ولا سيما ملاحظات الأساتذة : عبد الله بن خميس ، وعبد السلام هارون ، وعدنان الخطيب ، ومحمد أحمد سليمان ، أقروا إعادتها الى اللجنة المختصة لاعادة النظر فيها في ضوء ما قُدّم من ملاحظات .

خامساً : أعمال لجنة الأصول

نظر المؤتمرون في أعمال لجنة الأصول التي وافق عليها مجلس مجمع القاهرة ، وكانت كلهــا مسائل في النحو بهدف تيسير تعليمه للناشئة . وقد انتهى المؤتمرون إلى الموافقة على أغلبيتها بالاجماع ،

وعلى البقية بالأكثرية ، بعد مناقشات حامية لم يخمد أوارها إلا ببيان أقرّه الجميع يؤكد أن الموافقة على المسائل المعروضة لا يقصد بهـــا تعديل القواعد النحوية ، وإنما هي بهدف تيسير تعليم النحو على الناشئة من الطلاب .

أما المسائل النحوية التي تمت الموافقة عليها : فهي ، كما أقرتها لجنة الأصول ، الآتية :

١ ـ كان وأخواتها

« ترى أغلبية اللجنة الابقاء على باب كان وأخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو . ورأت الأقلية : أن في ضم الباب إلى باب الفعل ، واعراب المنصوب حالا تيسيراً على الناشئة وتقليلاً للأبواب المقررة عليهم » .

٢ ـ كاد وأخواتها

« رأت أغلبية اللجنة الإبقاء على باب كاد وأخواتها على وضعه المقرر في كتب النحو . ورأت الأقلية أن ضم باب كاد وأخواتها إلى باب الفعل أيسر تناولا وأقرب إلى أذهان الناشئة من جعلها باباً مستقلا » .

٣ ـ ما ولا ولات العاملات عمل ليس

« رأت أغلبية اللجنـــة الابقاء على باب « ما » و « لا » و « لات » العاملات عمل ليس على وضعه المقرر في كتب النحو للناشئة » .

٤ ـ ظن وأخواتها وأعلم وأرى وأخواتها

« تقترح اللجنة وضع باب ظن وأعلم وأرى في باب الفعل المتعدي ، على أن يكون ذلك خاصاً بكتب الناشئة » .

٥ ـ التنازع

« بعد أن درست اللجنة المذكرات التي تقدّمت إليها في موضوع التنازع وصوره ، وبعد أن ناقشت الموضوع ، ترى اللجنة أنه تيسيراً لاكتساب الأحكام الخاصة بالباب يكتفى بالصور التي توارد بها الاستعمال في الفصحى ، وهي :

أ ـ في مثل : دخل وجلس محمد : (محمد) فاعل ، فاعل (جلس) وفاعل الفعل الأول متروك للعلم به كما يقول سيبويه .

ب ـ في مثل : محمد يحسن ويتقن عمله : (عمل) مفعول به ليتقن ، واستغنى الفعل الأول (يحسن) عن مفعوله لدلالة مفعول (يتقن) عليه .

ج ـ في مثل : ناقشني وناقشت محمدا : يعرب محمد مفعولاً به لـ (ناقشت) ، واستغني عن الفاعل في الفعل الأول لدلالة السياق عليه » .

٦ ـ الاشتغال

« ترى اللجنة جواز رفع الاسم المشغول عنه ونصبه ، ولا داعي لذكر حالات الوجوب أو الترجيح ، وتـُرَدّ أمثلته الواردة في المذكرة الى أبوابها من كتب النحو » .

٧ ــ التمييز

« ترى اللجنة أن الصيغ النحوية التي تعرب تمييزاً وتتفرق في أبواب كثيرة ، يمكن جمعها في باب واحد تيسيراً على الناشئة » .

٨ ــ التحذير والاغراء والترخيم والاستغاثة والندبة

« ترى اللجنة أنه لا مانع من ادخال باب التحذير والاغراء في باب المفعول به ، وباب الاستغاثة والندبة في باب النداء مع تعيين دلالة كل صيغة منها عند عرض أمثلتها ، وترى أيضاً حذف باب الترخيم من كتب النحو المدرسية » .

٩ ــ الاعراب التقديري والمحلي

« ترى اللجنة أن ما انتهى إليه اتحاد المجامع العربية من الإبقاء على الاعراب التقديري والمحلي دون تعليل (أي دون تكليف التلاميذ تعليل خفاء الاعراب) فيه تيسير في تعليم النحو العربي ، ففي نحو : جاء القاضي ، يقال : (القاضي) مرفوع بضمة مقدرة ، وفي نحو : جاء من سافر ، يقال : (من) فاعل محله الرفع ، وفي نحو : محمد يحضر ، يقال : (يحضر) جملة فعلية خبر » .

وألحق بهذا القرار قراران هما : الأول : « لا ضرورة لذكر متعلق عام للظرف أو الجار والمجرور » ، الثاني : « يُكْتَفى بأن يقال في اعراب الفعل المضارع المنصوب بأنْ المضمرة بأنه منصوب بعد الأدوات الظاهرة » .

١٠ - ألقاب الإعراب والبناء

« ترى اللجنة الأَخذ بقرار المجمع عام ١٩٤٦ في هذا الموضوع ، وهو أن يكون لكل حركة لقب واحد في الاعراب والبناء ، وأن يكتفى بألقاب الاعراب » .

١١ - العلامات الأصلية والعلامات الفرعية

« ترى اللجنة توحيد أسماء علامات الاعراب الأَصلية والفرعية ، بتسميتها : علامات إعراب » .

١٢ - الاستثناء

« انتهت اللجنة الى القرار الاتي :

أولاً : المستثنى التام الموجب وغير الموجب يجوز نصبه [١] نحو : نجح الطلاب إلا طالباً ، وما نجح الطلاب إلا طالباً .

ثانياً : في حالة الاستثناء بخلا وعدا وحاشا يكون المستثنى منصوباً دائماً على اعتبار أن هذه كلها أدوات استثناء مثل « إلاّ » .

ثالثاً : إذا كانت أداة الاستثناء « غير أو سوى » كانت الأداة منصوبة ومضافة ، وما بعدها مضاف إليه مثل : ما جاء أحـــد غيرَ علي .

---

(١) صوغ قرار اللجنة على هذا الشكل انما كان بتأثير مذكرة للدكتور شوقي ضيف ينقد فيها صيغة مجمعية تقترح قصر تدريس الاستثناء للناشئة على حالة النصب فقال فيها : « وكان رأي المجمع ان لاتعرض عليهم صيغة الاستثناء مـــع الكلام غير الموجب ، وانه يجوز في المستثنى حينئذ ان يكون منصوبا على الاستثناء ، او ان يكون مرفوعا على البدلية ، في مثل : ماتكلم احد الا محمدا ، فانه يجوز في محمد الرفع على البدلية ، ولعل المجمع راى ان يُقتصر في حالة الكلام غير الموجب على نصب المستثنى وان يهمل القول بأنه يجوز في المستثنى الرفع ... » .

أما نحو : « ما قام إلا محمد وما قام غير زيد » فهو قصر لا استثناء » .

١٣ ـ إعراب أدوات الشرط

« لا ترى اللجنة ضرورة أن يكلف الناشئة اعراب أسماء الشرط ، ويكتفى في هذا الباب بذكر ما يَجْزِم من هذه الأدوات وما لا يَجْزِم ؛ ويذكر أن هذه الأدوات تقتضي جملتين : جملة الشرط وجملة الجواب ، ويجزم فعل الشرط وفعل الجواب إذا كانا مضارعين » .

١٤ ـ كم الاستفهامية والخبرية

« ترى اللجنة الاكتفاء في باب كم (وهي من كنايات العدد) بأنهـا إذا كانت استفهامية تُمَيَّز بمفرد منصوب ، نحو : « كم كتاباً قرأت ؟ » .

وإذا سبقت بحرف جر يضاف المميز إليها ، نحو : « بكم قرش اشتريت الكتاب ؟ » .

وإذا كانت خبرية (للكثرة) فتميز مفرداً ، أو جمعا مجروراً بالاضافة نحو : كم بطل استشهد في المعركة ، أو كم أبطال استشهدوا في المعركة ؟ .

وقد يسبق تمييزها بحرف جر نحو قوله تعالى : « كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله » .

١٥ ـ لا سيّما

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

لا سيما أداة للمخالفة في الحكم بترجيح ما بعدها على ما قبلها في المعنى ، وإذا كان ما بعدها اسماً مفرداً جاز رفعه ونصبه وجرّه ، كقولك : أحِبُّ الفاكهة لا سيما التفاح » .

١٦ – تعريف المفعول المطلق

« انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

المفعول المطلق : اسم منصوب يؤكد عامله أو يصفه أو يدلّ عليه نوعاً ، كقولك : سار سيراً ، وصبر أجمل الصبر ، وضربته سوطا » .

١٧ – تعريف الحال

« انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

الحال : وصف مؤقت نكرة منصوب لبيان هيئة صاحبه » .

١٨ – تعريف المفعول معه

« انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

المفعول معه : اسم منصوب تالٍ لواوٍ بمعنى مع ، لا يشترك مع ما قبل الواو في معنى العامل » .

١٩ – جواز لحوق تاء الوحدة أو المرة بالمصدر الثلاثي على لفظه

« انتهت اللجنة الى القرار الآتي :

بناء على قول الزمخشري : « إن بناء المرة قد جاء على المصدر المستعمل « وقول ابن يعيش :» قد يزيدون التاء على المصدر المزيد » وقول سيبويه : « وقالوا أتيته إتيانة ، ولقيته لقاءة ،جاؤوا به على

المصدر المستعمل في الكلام ؛ ونحو إتيانة قليل « يجوز إلحاق تاء الوحدة أو المرة بالمصادر الثلاثية المزيدة » .

٢٠ ـ نحو تيسير النحو في احكام العدد

أ ـ حكم جمع التصحيح في تمييز العدد المضاف

« ترى اللجنة جواز اضافة أدنى العدد (من ثلاثة الى عشرة) الى جمع التصحيح (مذكراً أو مؤنثاً) أو جمع تكسير وصفاً أو غير وصف ، استناداً إلى اطلاق القول في ذلك عن ابن يعيش وابن مالك » .

ب ـ حكم لزوم العـــدد حالة التأنيث وجر المعدود بمن في أدنى العدد

« بعد مناقشة ما قدم إلى اللجنة من مذكرات في موضوع العدد ، لم تجد في أقوال النحاة ما يمنع من جواز تأنيث أدنى العدد (من ثلاثة إلى عشرة) وجواز جر العدد بمن » .

ج ـ اضافة المعدود المفرد إلى عدد غير مفرد

« ترى اللجنة أنه ليس هناك ما يمنع من قول الكتاب : سنة ثمان وسبعين ونحو ذلك من إضافة المعدود المفرد إلى عدد غير مفرد » .

د ـ حكم أبنية الكثرة في تمييز العدد المضاف

« ترى اللجنة قبول ما شاع استعماله جمع كثرة في تمييز أدنى العدد تيسيراً على الكتاب ، لمـــا صرح به النحاة من استعارة جمع الكثرة للقلة ، ودلالة جمع الكثرة على القليل والكثير ، ولما ورد من أمثلة في القرآن والحديث والشعر وكلام العرب » .

هـ – التعاقب بين جمع القلة وجمع الكثرة

« بعد مناقشة الموضوع انتهت اللجنة إلى القرار الآتي :

دلالة الجمع أيا كان نوعه (جمع تكسير أو جمع تصحيح)، صالحة للقليل والكثير ، إنما يتعين أحدهما بقرينة » .

سادساً : أعمال لجنة اللهجات

عرضت على المؤتمرين أعمال لجنة اللهجات متضمنة جملة من المسائل انتهت فيها إلى القرارات الآتية :

أ – القاف في العامية وغيرها

« بحثت اللجنة هذه المسألة على ضوء المذكرات المقدمة ، وانتهت إلى القرار التالي :

١ – القاف في أصل اللغات السامية : صوت لهوي شديد مهموس ، كما ينطق به الآن في الفصحى مجيدو القراءات القرآنية من القراء في الأمصار العربية .

٢ – وصف قدماء النحاة العرب القاف في الفصحى بأنها صوت مجهور (سيبويه ٣/٤٠٥) وهو نطق لا يزال حيّاً في كثير من البوادي العربية وغيرها ، وإنْ تقَدَّمَ فيه مَخرَجُ القاف إلى الأمام قليلاً ، فأصبحت كالكاف الفارسية .

٣ – تعاني القاف العربية من كثير من التغييرات ، وقد عدّ ابن خلدون لمعاصريه ثلاثة أنواع من القاف (المقدمة ٥٥٨) ، كما أنها في العصر الحاضر تنطق كالجيم الفصيحة في بعض بلاد الخليج كالبحرين ، كما تنطق غيناً في السودان وجنوبي العراق ، وكافاً

عنـــد بعض الفلسطينيين ، و (دز) في الرياض وما حولها في السعودية .

٤ - من تغييرات القاف : نطقها همزة في القاهرة وضواحيها ، ومحافظة القليوبية ، والوسطى ، وجزء من الفيوم . وكذلك في : دمشق وتلمسان ، وشمالي مراكش ، وفي اللغة المالطية وفي لغة اليهود في شمالي أفريقيا .

٥ - قلب القاف همزة : أمر حدث قديماً في بعض أعلام اللغـــة الفينيقية كما توجد منه أمثلة في العربية الفصحى ، فقد روت المعاجم : قشب وأشب ، والقفز والأفز ، وزهاق وزهاء ، وزنق وزنأ ، وقرم وأرم ، والقصر والأصر ، وتقبض وتأبض ، والوقبة والوأبة ، وقفخ وأفخ ، وغير ذلك .

٦ - يبدو أن قلب القاف همزة في بعض بلاد مصر وغيرها ، ليس وليد اليوم ، فقد وردت منه بعض الأمثلة في تاريخ ابن إياس (المتوفى سنة ٩٣٠ هـ) وديوان ابن سودون (من شعراء العامية في القرن التاسع الهجري) » .

ودارت حول تقرير لجنة اللهجات هـــذا ، تعليقات كثيرة ومناقشات حول مخارج حرف القاف في مختلف البيئات العربية ، وكان من أهم التعليقات ما ورد على لسان الأستاذ عباس حسن ، فقد قال : « هذا البحث قد نوقش في أحد الكتب . وخلاصة ما ورد فيه أن البحث في هذا الموضوع لا قيمة له ، فقد فرغ القدماء والمحدثون من تسجيل الحدّ النهائي للاستشهاد ، فما جاء بعده عاميّ لا يُلْتَفَت

إليه ، ولا قيمة له ؛ فالعامية بأنواعها مرفوضة حديثاً وقديماً ، ودراسة لهجاتها لا ينبغي أن يعنى بها المجمع » .

وقال الدكتور محمد أحمد سليمان : « إن من مهمة المجمع أن يقرّب الفصحى إلى هؤلاء الناس الذين يتكلمون العامية ، ومن وسائل هذا التقريب إيضاح المسافة بين العامية والفصحى ، وهي ليست ببعيدة . فهذه دراسة لها جدواها ، وهي نافعة مفيدة » .

وانتهت التعليقات باقرار المؤتمرين تقرير اللجنة .

ب - المصطلحات اللغوية

« انتهت اللجنة من المصطلحات التالية :

أولاً : المعاقبة

آ - المعاقبة في اللغة : احلال شيء محل آخر .

ب - وهي تطلق عند علماء اللغة على إحلال الحرف مكان حرف آخر (اللسان : عقب) وفي أمالي القالي (٢/٣٦ - ١٤٧) فصول كثيرة لتعاقب الفاء والثاء ، وتعاقب اللام والنون ، وتعاقب الميم والباء ، وغير ذلك . وللزجاجي كتاب عنوانه : « الإبدال والمعاقبة والنظائر » تناول فيه شيئاً كثيراً من ذلك . وقد مثل سيبويه للمعاقبة بمغتلم ومغيلم ومغيليم ، وزناديق وزنادقة .

جـ - تطلق المعاقبة اطلاقاً خاصاً على قلب الحجازيين الواو ياء في مثل : صوام وصيام ، وصواغ وصياغ ، وتسمى « المعاقبة الحجازية » (اللسان : خيص وصوغ) .

د ـ لعل هذه المعاقبة الحجازية مرتبطة باتجاه الحضر إلى إيثار الكسرة والياء ، في مقابل اتجاه البدو إلى إيثار الضمة والواو .

هـ ـ يبدو أن ما في اللهجة المصرية المعاصرة من قول العامة : « عاوز وعايز » من هذه المعاقبة الحجازية .

ثانياً : الغمغمة

الغمغمة في اللغة : الكلام الذي لا يبين (القاموس : غم) ولم تتبين اللجنة لهذه اللفظة مدلولاً محدداً ، لا بالوصف ولا بالتمثيل . فهي اذن ليست بمصطلح لغوي يُعتَدّ به . ولذلك رأى مجلس المجمع حين نظر في تقرير اللجنة أن يصرف النظر عنها .

ثالثاً : القطعة

١ ـ القُطعة : لقب يعزى الى قبيلة طيء ، وهي عبارة عن قطع اللفظ قبل تمامه ، كالذي روي عن طيء أنها كانت تقول : «يا أبا الحكا» بدلاً من : يا أبا الحكم (العين للخليل بن أحمد ١/١٥٦) .

ب ـ القطعة على هذا ، نوع من ترخيم اللفظ في غير النداء .

جـ ـ قبائل شمر التي تشغل الآن مواطن طيء القديمة في الجزيرة العربية ، تشيع فيها هذه الظاهرة .

د ـ يمكن أن يعد من القطعة ما في كثير من بلاد مصر في الوقت الحاضر من المحلة الكبرى ، وجزيرة بني نصر ، وأبيار ، ومعظم قرى محافظتي البحيرة وبني سويف ، من مثل قولهم :

« النهار طلا » في : النهار طلع ، و« النور ظها » ، في : النور ظهر ، وغير ذلك . (مميزات لغات العرب ٢٩) . ومما ينبز به في بني سويف قولهم : « العي والبي والبلا الأحمر » والمراد : العيش والبيض والبلح الأحمر » .

وجرت تعليقات قصيرة على موضوع هـذا التقرير ، ثم وافق المؤتمر عليه ، بعد أن طلب الدكتور عبد الكريم خليفة تسجيل ملاحظة يقول فيها : « ان دراسة الصوتيات والعلوم الصوتية والدراسات اللغوية يجب أن تُشَجَّع ، لتقود العامية إلى الفصحى ، وحتى لا يكون هناك التباس ، أرجو أن يتضح لنا أن اهتمامنا بالعامية ليس راجعاً إلى العامية ذاتها ، فنحن نهتم بالعامية لمعرفة مدى الاختلاف والاتفاق بينها وبين الفصحى ، وهذا بالطبع يؤدي إلى سد الهوة بين العامية والفصحى » .

سابعاً : أعمال لجنة الألفاظ والأساليب

نظر المؤتمرون في أعمال لجنـــة الألفاظ والأساليب المحالة إلى المؤتمر من قبل مجلس مجمع القاهرة ، فأقر المؤتمرون بعضها ، بينما دار نقاش شديد حول بعضها الآخر انتهى برفضه أو اعادته إلى اللجنة لدراسته مجدداً .

وفي ما يلي عرض موجز لما عرض على المؤتمر من مسائل :

أولا : الألفاظ

١ ــ الصدفة والمصادفة

« يشيع في الاستعمال العصري لفظ الصدفة والمصادفة لمعنى حدوث الشيء والوقوع عليه عرضاً واتفاقاً دون قصد أو عمد. وقد يؤخذ على هذا أن المعجمات لم تثبت صيغة الصدفة، وأن المعنى الذي ذكرته للمصادفة - وهو مطلق وجدان الشيء أو ملاقاته - يختلف عن دلالتها العصرية التي تُقَيِّد الاستعمال بالعرض والاتفاق.

غير أنه يمكن القول بصحة الاستعمال المعاصر للمصادفة، استناداً إلى أن كتب اللغة تفسر الموافقة بأنها: المصادفة. يقول الصاغاني: « يقال أوفــق لزيد لقاؤنا، أي كان فجأة ». ويزيد الزبيدي قوله: « ومصادفة » .. ومن قول العرب: وافقت فلانا بموضع كذا: أي صادفته .. هذا إلى أن كلاً من الموافقة والاتفاق قد استعمل منذ عصر أبي حيان ومسكويه بمعنى حدوث الشيء، أو وقوعه بغير قصد أو تدبير.

على أن القول بأن المصادفة « مطلق الوجود » لا يمنع استعمالها في معنى الوجود المقيد بنفي العمد أو القصد أو التدبير؛ واللغة تأنس بتخصيص العام وتقييد المطلق في بعض مقامات التعبير.

أما الصدفة فلا مانع من قبولها باعتبارها مصدراً مستحدثاً من الفعل « صَدِفَ » بوزن فَرِحَ، مثل قوي قوة، أو باعتبارها اسم مصدر من صادف، مثل الفرقة والخلطة، من المفارقة والمخالطة.

ولهذا ترى اللجنة: إجازة استعمال الصدفة والمصادفة في المعنى الذي يستعملها المعاصرون فيه ».

وأقر المؤتمرون هذا التقرير دون معارضة.

٢ – سعر التكلفة

« يشيع في اللغة التجارية المعاصرة قولهم : « هذا سعر التكلفة » ، يريدون به الثمن الذي أنفق في صنع السلعة ونقلها . وقد يرد على الاستعمال المعاصر أن الكلمة لم تأت بهذا المعنى في معجمات اللغة ، غير أن هذه المعجمات ذكرت أن التكليف هو الأمر بما يشقّ ، وكلفه الأمر فتكلفه أي تجشمه ، وحملته تكلفة إذا لم يطقه إلا تكلفاً .

وترى اللجنة أن سعر التكلفة مأخوذ من حَمّلْته تكلفة بالمعنى المتقدم ، على أساس أن السلعة كلّفت صاحبها جهداً ومالاً وعناية . وعلى هذا يكون استعماله صحيحاً في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه » .

وأقر المؤتمرون هذا التقرير دون معارضة .

٣ – مناورة

« يشيع في لغة الجيش وغيره مثل قولهم : « قام الجنود بمناورة حربية » ، ومثل ما يتردد في لغة السياسة من قولهم : « هذه مناورة سياسية » . وقد يُعْتَرَض على اللفظ واستعماله المعاصر بعدم وروده بالمعنى العسكري أو السياسي في معجمات العربية .

ودرست اللجنة هذا ، ثم انتهت إلى اجازة استعمال لفظ (المناورة)، بدلالتيه الحربية والسياسية على أحد وجهين :

الأول : أن اللفظ منقول من الكلمة الفرنسية **Manœuvre** ،

أو من الكلمة الانكليزية **Maneuver** . وقد أشار المعجم الوسيط في طبعته الثانية إلى أنه معرّب [١] .

الثاني : أن للمناورة معنى آخر هو الدهاء ، فهي من مادة (نور) التي تحمل معنى الخداع والحيلة . ومعلوم أن وزن المفاعلة شائع في العربية مثل : المداورة ، والمراوغة ، والمشاورة ، والمحاورة » .

وجرت مناقشات حادة أسفرت عن انقسام في الرأي حول ترجيح أحد الوجهين اللذين استندت اليهما اللجنة . وقد اشترك في المناقشة كل من الأساتذة : محمد الفاسي ، وعز الدين عبد الله ، ومحمد مهدي علام ، وأحمد الحوفي ، وابراهيم مدكور ، وعباس حسن ، وحامد جوهر ، ومحمد شوقي أمين ، وكان من أهم التعليقات اشارة الدكتور محمد أحمد سليمان إلى أن الكلمة ، وهي معربة عن الفرنسية ، ذات معنى حقيقي هو (العمل اليدوي) ثم انتقل هذا المعنى مجازاً إلى المعنى العسكري والسياسي . وانتهى النقاش بموافقة المؤتمرين على تقرير اللجنة ، تاركين ترجيح أحد الوجهين إلى جهد علمي مستقل .

٤ – عَمْرة

« يشيع على ألسنة المعاصرين قولهم [٢] : المنزل محتاج إلى

---

(١) اما في الطبعة الاولى فكان المعجم قد ذكر ان الكلمة (مولدة) .

(٢) تشيع هذه الكلمة في مصر ، ولا اعرف قطرا آخر تشيع فيه ، اما في سورية والعراق والبلاد الأخرى التي اقرت في جيوشها مصطلحات المعجم العسكري الموحّد ، فتشيع الكلمة اسما لغطاء الرأس عند الجنود والمنظمات شبه العسكرية .

عَمْرة ، ونحو ذلك مما يستعمل فيه لفظ العمرة مراداً به ما يحدث من أعمال الاصلاح والترميم .

وهذا خلاف ما أثبتته المعجمات من معاني عمرَ ، التي تدور حول المدة واطالة العمر .

درست اللجنة لفظ العَمْرة ، وانتهت إلى أنه تمكن اجازته على أنه اسم مرة من « عَمَرَ » بمعنى بنى ، كما أثبت الفيومي في المصباح ، إذ الإصلاح نوع من البناء .

ولهذا ترى اللجنة جواز استعمال لفظ العَمْرة في المعنى الذي يستعمله المعاصرون فيه » .

وأقر المؤتمرون تقرير اللجنة هذا .

٥ — جاهز وجاهزة

« يشيع على ألسنة المعاصرين قولهم : ملابس جاهزة أو مساكن جاهزة ؛ وقد يؤخذ على استعمال اللفظ أن معجمات اللغة لم تثبت في هذا المعنى إلا (جَهَّز) المضعّف ؛ فالملابس مجهَّزة .

درست اللجنة هذا وانتهت إلى أن قولهم : ملابس جاهزة ، يجاز بأحد وجهين :

أولهما : أنه يمكن اشتقاق فعل ثلاثي من الجهاز باعتباره اسم ذات ، ويكون (جاهز) حينئذ وصفاً من هذا الفعل .

والثاني : أن وجود المضعَّف يُشعر أن للمادة ثلاثياً مهملاً لم تثبته المعجمات ، ويكون (جاهز وجاهزة) وصفاً منه ، وهو كثير في اللغة .

لهذا ترى اللجنة إجازة قول المعاصرين : « ملابس جاهزة ، ومساكن جاهزة » .

وأقر المؤتمرون تقرير اللجنة بعد مناقشة دارت حول طلب الأستاذ عباس حسن الاكتفاء بالوجه الثاني من التعليل .

٦ — التطبيع

« يشيع في الاستعمال الحديث قولهم : تطبيع العلاقات أو الحدود بين بلدين ، بمعنى جعلها طبيعية تجري على العادة والعرف ؛ وقد يُعْتَرَض على هذا بأنه ليس في اللغة طبّع بالمعنى المتقدم ، حتى يكون التطبيع مصدراً له .

غير أن العربية تسمح بالاشتقاق من أسماء الأجناس ، وهو أمر أقَرّ المجمع قياسيته ، وعلى هذا يكون المراد بقولنا تطبيع العلاقات أو الحدود هو تصييرها إلى المعتاد المألوف بين الدول .

ولذلك ترى اللجنة أن مثل قول المعاصرين : تطبيع العلاقات أو الحدود ، قول جائز تبيحه الضوابط العربية » .

وأثار هذا التقرير مناقشات حامية حول معنى الكلمة الأجنبية التي ترجمت كلمة التطبيع عنها Normalise ، والخطأ في فهمها . واشترك في المناقشات الأساتذة : محمد أحمد سليمان ، ومحمد عبد الغني حسن ، ومحمد شوقي أمين ، وحامد جوهر ، وعز الدين عبد الله . وعند التصويت قررت الأكثرية رفض الموافقة على اجازة الكلمة .

٧ — التحديث

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ (التحديث) ، بمعنى

جعل الشيء حديثاً ، يقال : تحديث الأمة ، أو تحديث العقل العربي أو تحديث وسائل التعليم ، والمعنى : جعل كل منها حديثاً .

وقد يبدو أن هذا مخالف لما في المعجمات من معاني حَدَّثَ المضعّف ، الذي يدل على التكليم أو الإخبار ، ومنه حدّث فلان صاحبه في أمر ، أى كلّمه فيه أو أخبره به .

غير أن أصل المادة وهو حَدَثَ ، يدل على ما يناقض القدم ، يقال : حدث حدوثاً وحداثة . ولما كانت القاعدة الصرفية ، تجيز – كما أثبت الجوهري في الصحاح ، وكما أقرّ المجمع – أن تصوغ من الفعل الثلاثي فعل المضعّف ، الذي يدل في بعض معانيه على الجعل أو التصيير ، مثل : قوّاه جعله قوياً ، وحسّنه صيّره حسنا – لما كان الأمر كذلك ، فإن حَدَّثَ المضعّف مشتق بالمعنى المتقدم من حَدَثَ الثلاثي . وعليه يكون معنى قولنا : حَدَّث فلان أفكاره هو جعلها حديثة ، والمصدر منه التحديث .

لذلك كلــه ترى اللجنة أن الاستعمال العصري للفعل حدّث ومصدره التحديث استعمال جائز يجري على مقاييس العربية » .

وتبعاً للمناقشات التي دارت حول كلمة تطبيع ، احتدم النقاش مرة أخرى ، واشترك فيه الأساتذة : محمد الفاسي ، ومحمد عبد الغني حسن ، وعباس حسن ، ومحمد أحمد سليمان ، ومحمد شوقي أمين ، واسحق موسى الحسيني ، وعند التصويت قررت الأكثرية رفض الكلمة وردّ تقرير اللجنة اليها .

٨ ـ التَّسَيُّب

« يشيع في اللغة المعاصرة استعمال لفظ : التَّسيُّب ، في التعبير عن حالات الاهمال وانعدام الضوابط ، أو ضعف الالتزام بالقوانين ، على حين أن المعجمات لم تثبت الفعل تسيَّبَ ، ومصدره ، وانما اثبتت (ساب) الثلاثي و (سيَّب) المضعّف ، بمعنى أطلقه وتركه ؛ ولكن القاعدة الصرفية تقول : صيغة تَفَعَّل تأتي كثيراً مطاوعة لصيغة فعَّل ، مثل كَسَّرْتُه فتَكَسَّر ، وعلَّمْتُه فتَعلم .

وعلى ذلك يكون (تسيَّبَ) مطاوعا للفعل سيَّبَ والمصدر منه هو التسيُّب .

ولهذا ترى اللجنة اجازة لفظ التسيب في المعاني والمواقف التي يستعمله فيها المعاصرون » .

وأقرّ المؤتمرون هذه الإجازة .

ثانياً : الأساليب

١ ـ دخل خالد بينا كان علي يتكلم

« يخطىء بعض الباحثين مثل لهم قول «لا وصل:خالد بينا كان علي يتكلم ، على أساس أنه مخالف للمشهور من استعمال العرب ، ولما نص عليه النحاة من أن : (بينا) من كلمات الابتداء .

درست اللجنة هذا ثم انتهت ، إلى أن التعبير ـ كما شاع عند المعاصرين ـ يمكن أن يجاز على أساس أن تكون (بينا) فيه ظرف زمان للاقتران فقط ، ولهذا ساغ أن تكون مثل (بين) في جواز التوسط .

وقد يستأنس للأسلوب المعاصر بقول ابن منظور في كتابه (أخبار أبي نواس) ص ٢١٦ :

(... وبنى لنفسه في نهر طابق الدور التي لم يبنِ مثلها عظماء الناس ، بينما الأصمعي يستقرض من أصحابه حاجته من المال) .

وقام جدل عريض بين مخالفي الاجازة ، ومنهم الأستاذان : عبد السلام هارون ، وأحمد الحوفي ، ومؤيديها وفي طليعتهم الأستاذان : شوقي ضيف ، ومحمد شوقي أمين .

وتمت الاجازة عند جمع الأصوات بالأكثرية .

٢ - كلّفْتُ البناءَ مالاً كثيرا

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : كلّفت البناء كذا ، ويريدون به الإنفاق على البناء . وقد يُعترض على هذا التعبير بأن الصواب أن يقال : البناء كلّفني ، بدلاً من كلّفته ، لأن حقيقة الأمر تقتضي أن التكليف يكون من البناء لصاحبه .

وترى اللجنة أن التعبير العصري جائز ، على أنه من قبيل القلب المعنوي الذي يتحول فيه الإسناد من الشخص إلى الشيء ، ومن أمثلته الشائعة : نهاره صائم وليله قائم » .

وأقرّ المؤتمرون تقرير الإجازة .

٣ - جاء توّاً

« يشيع في اللغة المعاصرة مثل قولهم : « جاء توّاً » ، يريدون به جاء الآن . وقد يُعترض على هذا بأن الوجه فيه أن يقال : جاء التوّة ، أي الآن ، ففي اللغة : التوّة الساعة ، الا أن الاستعمال الشائع يمكن أخذه من قول العرب : جاء توّاً ، أي قاصداً

لم يتخلف في الطريق ؛ إذ القصد أمر اعتبـــاري يؤدي إلى الحضور الفوري .

ولهذا ترى اللجنة اجازة قول المعاصرين : جاء توأ في معناه الذي يستعملونه فيه » .

وأجيز هذا القرار بعدم الاعتراض عليه .

٤ ـ أكد الخبير على أن التوقيع مفتعل

« تتردد كثيراً أشباه هاتين العبارتين : أكدت المدرسةُ على المواظبة ، وأكّد الخبير على أن التوقيع مفتعل ؛ وقد درستها اللجنة فلاحظت :

أولاً : أن الفعل (أكّد) فيها لازم يتعدّى بعلى ، وهو في المعاجم متعدّ بنفسه .

ثانياً : أن الفعل في العبارة الأولى مسلط على المواظبة نفسها ، اذ كانت تالية للحرف (على) وهو الذي أوصل الفعل إليها ، وإذن تكون المواظبة في العبارة هي الأمر الذي تؤكده المدرسة ، وتعني أنه محقق ، والواقع أنها انما تريد أن تدعو إلى الاهتمام بها ، لأنها دون ما ينبغي أن تكون .

ويمكن تخريج هذه العبارة من وجهين :

أحدهما : أن يقدّر لأكّد مفعول محذوف هو مصدر يدل عليه المقام ، ويصلح متعلقاً لعلى ، مثل التنبيه والحث ، وحذف المفعول به سائغ في العربية . وإذن يكون تأويل العبارة هو :

أكدت المدرسة التنبيه أو الحث على المواظبة ، لتصل إلى غايتها المنشودة .

وأما العبارة الثانية فليس يؤخذ عليها إلاّ جعل « أكّد » لازماً يتعدى بعلى ؛ ولو حذف منها هذا الحرف لتصير : أكد الخبير أن التوقيع مفتعل ، ما كان لهذا المأخذ عليها من سبيل ، أما تخريجها مع الإبقاء على الحرف فبمثل ما تُخرَّج به الاولى .

الوجه الثاني من وجهي تخريج العبارتين : أن يُضمَّن الفعل (أكّد) معنى نبّه ؛ يقال : نبّهه على الأمر ، أي وقفه عليه وأعلمه به . و إذن يكون تأويل العبارتين : نبَّهت المدرسةُ على المواظبة ، والخبيرُ على أن التوقيع مفتعل .

ولهذا ترى اللجنة أن العبارتين صحيحتان ، ولا مانع لغة من استعمالهما » .

وجرت المناقشة حول العبارتين وتخريجها ببرود ، حتى قال الرئيس يظهر أن لا رفض للتعبير ولا قبول له ، فلنترك الزمن أن يقول كلمته فيه . واعتبر قرار الاجازة مقبولاً .

٥ ــ لعب دوراً [١]

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : لعب دوراً ، يريدون به أداء مهمة من المهمات في أي عمل من أعمال الحياة . وربما يسبق إلى الخاطر أن العبارة غير صحيحة على أساس أن الفعل (لعب) لازم ، ولكن لا مانع من استعماله ، ويمكن تخريج صحته من وجهين :

(١) كان الدكتور ميشيل الخوري زميلا في مجمع اللغة العربية بدمشق كتب =

أولهما : أن يجعل (دورا) مفعولاً مطلقاً مباشراً ، ومعلوم أن المفعول المطلق يصف الفعل من أي وجه كان ، وكلمة (دورا) في اللغة العربية المعاصرة تعني مهمة أو نصيباً ، وهي وصف للفعل ، فلعب دوراً أي نصيباً ، ولذلك تصبح كلمة دور مفعولاً مطلقاً .

الوجه الثاني : أن قائل هذه العبارة وما يشبهها لا يريد بالفعل (لعب) معناه الحقيقي الذي يدل لفظه عليـــه ، بل يريد معنى أدّى ونحوه ، أما لفظ (دور) فمصدر دار ، ويراد به في العبارة معنى المهمة أو القدر أو النصيب ، وإذا يكون الفعل (لعب) فيما يعنيه الاستعمال المعاصر في العبارة متضمناً معنى (أدّى) مثلا ، وهو متعدّ ، وإذاً يكون دوراً مفعولاً به للعب .

ان صيغة لعب دوراً صحيحة لغوياً ، إمّا على أن كلمة « دوراً »

= سنة ١٩٧٢ في مجلة المجمع (مج ٤٧ : ٤٦٧) مقالاً طولاً موضوعه العبارة « لعب دوراً » . وقد ذكر في مقاله ان هذه العبارة مترجمة عن اللغات الاجنبية ، وان الخطأ الرئيسي في استعمالها يكمن في ترجمة الفعل لعب : لانـــه في الأصل الاجنبي المنقول عنه لايعني القيام بالحركات الرياضية المألوفة فحسب ، بل يعني « مثّل » على اعتبار ان كلمة الدور تعني نصيب الممثل في اداء المسرحية أو التمثيلية (او الرواية كما كنا نقول سابقاً) ، وارتأى الزميل الكاتب في نهاية مقاله نبذ العبارة « لعب دوراً » لاستغناء اللغـــة العربية عن امثالها من العبارات المترجمة ، والاستعاضة عنها باحدى العبارات : « قام بدور » او « أدى دوراً » او « اضطلع بـــدور » وما الى ذلك . وقد رد عليه الدكتور ف . عبد الرحيم الاستاذ في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة في مجلة المجمع (مج ٤٨ : ٤٨١) فقال ان العبارة « لعب دوراً » لا غبار عليها من جهة النحو ولا من جهة اللغة ولا بأس في استعمالها . (لجنة المجلة)

مفعول مطلق ، وإما على أنهـــا مفعول به لفعل لعب المتضمّن معنى (أدّى) .

ولا محل للاعتراض على التخريج الأول ، لأن دلالة اللعب قد تطورت في العصر الحديث ، تصوّره المذكرة المرافقة للأستاذ علي النجدي ناصف ؛ لذلك ترى اللجنة ، اجازة هذا التعبير في نطاق ما يستسيغه الذوق العام » .

وبدأت مناقشات أعضاء المؤتمر تظهر أن أغلبيتهم غير راضية عن إجازة هـــذا التعبير المترجم ترجمة ، مما جعل الرئيس يقول : يبدو أن الرأي الغالب هو ايثار أن نقول : أدّى دوراً ، بدلاً من لعب دوراً . وأحجم عن طرح الاجازة على التصويت [١] .

٦ ـ سواء كذا أو كذا

« يشيع في اللغة المعاصرة قولهم : سواء كذا أو كذا ، وقولهم : سيان كذا أو كذا ، وقولهم : لا خلاف بين هذا أو ذاك . وقد يرى بعض نقاد اللغة أن استعمال (أو) في هذه العبارات على غير صواب ، إذ الصواب أن تستعمل (الواو) هنا مكان (أو) ، فالمقام مقام جمع يستدعي العطف بأداته وهي الواو .

وقد درست اللجنة هـــذه الاستعمالات العصرية ، وانتهت إلى إجازتها استناداً إلى أن جمهرة كبيرة من النحاة ينصّون على أن من معاني (أو) مطلق الجمع ، يضاف إلى ذلك المرويّ من الشواهد الدالة على ذلك شعراً ونثراً » .

---

(١) سبق أن عرضت المسألة نفسها على المؤتمر في دورته الرابعة والاربعين ، وبعد أن جرت مناقشات حامية ،قرر المؤتمر بالأكثرية رفضها

وأبدى بعض الاعضاء رفضهم لهذا التساهل مع كل ما يشيع من استعمالات ضعيفة أو ركيكة ، ولدى طرح المسألة على التصويت قُبِلت بالأكثرية .

ثامناً : أعمال لجنة وضع أسلوب اختيار المصطلحات العلمية

تليت على المؤتمرين التوصيات التي أقرّتها لجنة وضع أسلوب اختيار المصطلحات العلمية ، والتي وافق مجلس المجمع عليها ؛ وهي عبارة عن منهج متكامل لوضع المصطلحات العلمية وتعريفاتها ، وفاءً باغراض التعليم العالي ، ومطالب التأليف والترجمة ، ضمن النهج العلمي العالمي في اختيار المصطلحات مع الحفاظ على التراث العربي ، وخاصة ما استقرّ منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال في العصر الحديث .

وأبدى أعضاء المؤتمر موافقتهم التامة على التوصيات التي تضمنها التقرير .

تاسعاً : ختام المؤتمر وتوصياته

عقد المؤتمرون جلستهم الختامية صباح يوم الإثنين في الثاني عشر من آذار (مارس) سنة ١٩٧٩ م ، عرض فيها الدكتور محمد مهدي علام ، أمين المجمع ، ما أنجزه المؤتمرون خلال هذه الدورة ، ثم تليت اقتراحات الأعضاء وملاحظاتهم ، وبعد مناقشتها ، تمت الموافقة على التوصيات والمقررات التالية :

١ – أن تعريب التعليم الجامعي هدف يسعى إليه العالم العربي بأسره ، وسبيله الحقّ تزويد مكتباتنا بمؤلفات عربية حديثة وافية ، وقيام الأستاذ بواجبه قياماً حقاً نحو لغته ، وتمكين الطالب من لغته

القومية ، ومن لغة أخرى أجنبية ، تربطه بموكب العلم وتقدّمه .

٢ – إن توحيد المصطلح العلمي والأدبي والفني هدف منشود لعالمنا العربي ، ولكن بعض الهيئات والأفراد يعمد إلى اصدار معاجم اصطلاحية مختلفة ، ينشأ عنها بلبلة في استعمال المصطلحات العربية ، لدى المشتغلين بالعلوم والآداب والفنون . والمؤتمر يوصي بأن يترك أمر المصطلحات للمجامع العربية ، على أن يُنسَّق هذا في إطار اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية .

٣ – يوصي المؤتمر وزارات التربية والتعليم في الوطن العربي بأن تعنى عناية كاملة بتيسير تعليم اللغة العربية للنشء ، مستهدية في ذلك بما قرره اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية في ندوة الجزائر ، وكان موضوعها (تيسير تعليم اللغة العربية) وندوه عمّان ، وكان موضوعها (تعليم اللغة العربية في ربع القرن الأخير) .

٤ – يوصي المؤتمر بإعداد العاملين بالاذاعة المسموعة والمرئية ، إعداداً صوتياً ولغوياً ، لعلاج ما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف على ألسنتهم ، ومن أخطاء في ضبط بعض الكلمات . فعلى وزارات الإعلام وهيئات الإذاعة المسموعة والمرئية ، أن تستعين في علاج ذلك بالأساتذة المختصين في صوتيات اللغة وقواعدها النحوية .

٥ – يأسف المؤتمر لتقديم أكثر المسرحيات والتمثيليات الإذاعية (المسموعة والمرئية) باللهجات العامية ، ويوصي في تقديم عدد أكبر من التمثيليات باستخدام لغة فصحى ، يسهل فهمها على العربي من مختلف المستويات ، وفي جميع البلاد العربية .

٦ ـ تبلغ توصيات المؤتمر وقراراته للمجامع اللغوية والعلمية ، وإتحاد المجامع والجامعات ، وجامعة الدول العربية ، والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ووزارات التربية والتعليم والثقافة والاعلام في الوطن العربي .

٧ ـ يوصي المؤتمر الصحافة العربية بمزيد من العناية بسلامة لغتها ، ويقدر للصحافة ما أخذت به من تخصيص جانب من صفحاتها للثقافة العربية بعامة ، وفنون الأدب بخاصة ، ويوصي كذلك بفسح مجال أوسع لذلك الزاد الثقافي والأدبي .

ثم أعلن الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المؤتمر ، ختام الدورة الخامسة والأربعين ، متمنياً للأعضاء الوافدين عودا حميدا ، آملاً لقاء الجميع في المؤتمر القادم الذي سيعقد في الأسبوع الأخير من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٨٠ إن شاء الله .

عدنان الخطيب **دمشق**

تحقيق معنى « التصويب »

الأستاذ محمد شوقي أمين

١ – طالعنا الجزء الأول من المجلد الرابع والخمسين من مجلة « مجمع اللغة العربية » بدمشق بمقال فياض للأستاذ « صبحي البصام » من « درم – انكلترا » يأخذ فيه على « المعجم الوسيط » الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة قوله : « صَوَّب الخطأ : صححه » .

وقصارى ما أفاض فيه الأستاذ الباحث ، ما يلي :

أ – تخطئة « المعجم الوسيط » فيما ذكره من أن تصويب الخطأ : تصحيحه ، بمعنى الإصلاح والتقويم .

ب – جريان المؤلفين على استعمال كلمة « التصحيح » أو « الإصلاح » بكثرة ، وكلمة « التصويب » بقلة ، وهذا الاستعمال الأخير خطأ في الدلالة على معنى الإصلاح .

جـ – ما سجلته المعجمات وما جرت به النصوص ، هو أن معنى التصويب : الحكم للشيء بأنه صواب . فيقال : صوَّب رأيه وعزمه واعتقاده وكلامه : عدّه صوابا .

د – لاوجود في مأثور اللغة للتصويب بمعنى إصلاح الشيء ، وردّه إلى الصواب .

هـ ـ لا يقال : « تصويب الخطأ » إلا على معنى أن ما ظننته خطأ محكوم له بالصواب .

وفي هذا الذي استخلصه الباحث نظر :

٢ ـ أما أن في مسموع اللغة التصويب بمعنى الحكم للشيء بأنه صواب ، فذلك معنى لامشاحة فيــه ، ولا سبيل إلى إنكاره ، إذ هو منصوص عليه ، وفي الأسانيد الوثيقة قول العرب : صوَّبه : قال له : أصبت . وقولهـم : أصابه ، واستصابه ، واستصوبه : رآه صوابا .

ولقد تواردت النصوص في هذا توارداً لامجال فيه لمعقّب ، وما كان « للمعجم الوسيط » أن يغفل هذا المعنى الذي جاء به السماع ، وقد أثبتــه في موضعين ، فقال : « صوَّب قوله أو فعله : عــدَّه صوابا » . وقال : « صوَّب فلانا : قال له : أصبت . ومنــه : إن أخطأت فخطئني ، وإن أصبت فصوّبني . » .

وأحسب أن الباحث كان في غنية بهذا عما أجهد فيه نفسه ، وأنفق وقته ، بالترصّد والتتبع لهذا الاستعمال في عبارات الكتاب والمؤلفين على اختلاف عصور العربية ، فإن هذا جهاد في غير عدوّ ، وكيف يسوق للاثبات شواهد لاحقة للأسانيد اللغوية التي هـــي مناط الاثبات ؟

وما أحسب أن الباحث يريد بتأكيد معنى صيغة من الصيغ أن ينفي بهذا دلالة الصيغة على معنى آخـــر قريب من ذلك المعنى أو بعيد ، فإن الصيغ تتعدد معانيها ، ويتنوع مقام استعمالها ، تأسيساً

على أن اللغة فيها مايتفق لفظا ويختلف معنى ، والاشتراك اللغوي باب في العربية رحيب .

٣ – والباحث حين ينكر التصويب بمعنى الإصلاح ، والتقويم ، يضع « التصحيح » مكان التصويب لهذا المعنى ، فهل غاب عنه أن التصحيح نفسه لايقتصر معناه على الإصلاح ، بل يؤدي أيضا معنى النسبة إلى الصحة والحكم بها ؟ أولم يقع له هذا المعنى في فصيح الكلام ؟ حسبي أن أذكّره بما يتردد في كتب أهل « الحديث » من قولهم : « صححه الترمذي » أو « صححه الحاكم » فهل يظن الباحث أن المقصود بهذا هو الإصلاح والتقويم : أو ليس المعنى أن الحديث معدود في الصحيح أو منسوب إلى الصحة ، أو محكوم له بها ؟ أخشى ما أخشاه أن يعمد الباحث بهذا إلى إنكار التصحيح بذلك المعنى الذي يجري في تعبير رجال الحديث ، ويصرّ على أن للتصحيح معنى واحداً هو الإصلاح والتقويم ، أسوة بما يصرّ عليه في شأن « التصويب » من أن له معنى واحداً هو الحكم للشيء بأنه صواب .

٤ — وبادىء بدء ، أسوق للباحث أفعالاً من وادى « صوّب » تدل على أن « فعّل » لا يقتصر معناها على الحكم للشيء بأصل الفعل ، ولا مجرد نسبة الفعل إلى الشيء ، بل تدل كذلك على أن أصل الفعل قد انتقل إلى الشيء بممارسة وعلاج وصيرورة . فاللغة تقول : أمّره : صيّره أميراً ، وأنّقه : صيّره أنيقاً ، وأهّل فلانا : صيّره أهلا . وفي القرآن الكريم : « خلقك فسوّاك فعَدَلك » وقد قرأ نافع وأهل الحجاز « عَدّلك » بالتشديد ، وكانت هذه

القراءة أعجب الوجهين إلى « الفرَّاء » وأجودهما في العربية عنده ، والمعنى : قَوَّمك وجعلك معتدلا . فأنت ترى أن « فَعَّل » هنا للجعل والصيرورة .

ونحن نقول في عهدنا الحاضر : « حَقَّق الكتاب » ، ولا نعني نسبته إلى الحق ولا الحكم له به ، وإنما نعني معالجته بحيث يكون ما فيه صحيحاً . ونحن كذلك نقول حَسَّن الكاتب عبارته ، ولا نعنى أنه قضى لها بالحسن ، بل نعنى أنه أدخل عليها ما يجعلها حسنة .

ولو مضينا في سرد الأمثلة ، والشواهد عليها ، من مأثور اللغة ، ومن مستجاد البيان القديم والحديث ، لطال بنا نَفَس القول ، ولما عَدِمْنا من يعيد علينا قولنا السالف : إن هذا جهاد في غير عدو !

٥ — وفي حسباني أن الباحث أعجله الوقت عن مراجعة ما خاض فيه فقهاء التصريف حين ساقوا معاني صيغ الزوائد ، وحين شرحوا معاني التعدية في الأفعال ، ولو أنه عُنِيَ بهذه المراجعة لاهتدى إلى صواب استخدام التفعيل لمعنى الجعل والصيرورة أو التصيير :

أ — يقول « سيبويه » في كتابه : « تقول دخل وخرج ، فإذا أخبرت أن غيرك صيَّره إلى شيء من هذا قلت : أخرجه وأدخله ، وقد يجيء الشيء على : فَعَّلت ، فيشرك أفعلت » .

ب — يقول « الرضيّ » : « الغالب في « أفعل » أن يجعل الشيء ذا أصله ، نحو : أفحى قِدْره : جعلها ذات فحا ، وأجداه :

جعله ذا جدوى ، وأذهبه : جعله ذا ذهب » . ويقول : « وفَعّل للتعدية ، والأَوْلى أن يقال : هو بمعنى جعل الشيء ذا أصله ، نحو : فحّى القِدْر » ويقول : « الأغلب ألاّ تنحصر الزيادة في معنى ، كالهمزة في « أفعل » ، تفيد النقل والتعريض وصيرورة الشيء ذا كذا . وكذا فَعّل » . أي بالتضعيف .

ج – يقول « الرضي » : « معنى التعدية في هـــذا الباب – يعني باب « فَعّل » المضعف – كما هو في باب أفعل » . ويقول : « المعنى الغالب في أفعل »: التعدية ، وهي جعل ما كان فاعلاً للازم مفعولاً لمعنى الجعل ، فمعنى : أذهبت زيداً : جعلت زيدا ذاهباً ، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة . »

وأقول : يستبين لك من هذا أن التعدية لمعنى الجَعْل هي في باب « فَعّل » المضعّف ، كما هي في باب « أفعل » المعدّى بالهمز ، سواء بسواء .

وفيما أوردناه من النصوص الصرفية غنية عن التكرار ، فليست هذه النصوص من قبيل الآراء التي يستقل بها أصحابها ، ووراءها ما يعارضها ، وإنما هي إجمال لما يتردد في أمهات كتب التصريف ، منسوباً إلى أئمة الفقه اللغوي .

٦ – لعل الباحث – أو لعل القارىء – يسأل : هل التصويب بمعنى جعل الشــيء صواباً بالمعالجة والتغيير والإصلاح ، مصدر من الصواب أصلاً ، أو هو تحميله هذا المعنى ، مع أنه مسموع متواتر في المعنى الآخر ، وهو الحكم للشيء بأنه صواب ؟

أما على الوجه الأول ، فلا بأس به . وقد قرر علماء التصريف أن أبواب الزيادة تجيء بكثرة مما جاء منه فعل ثلاثي ، وتجيء بقلة مما لم يأت منه ذلك ، وهم يضربون لهذا القليل أمثالاً ، ويعقبون بأن قلتها إنما هي قلة نسبية ، لا قلة عددية .

وأما على الوجه الآخر ، فقد أسلفنا قول العرب : صَوَّبه ، لمعنى الحكم له بالصواب . ومُفَادُ ذلك أن صيغة الفعل مضعَّفة متعدية حاصلة في الكف ، واستخدامها لمعنى الجعل والصيرورة مساير لمعنى التعدية ، كما فَسَّرها فقهاء التصريف .

٧ ــ بقي أن أقول إن دلالة « النسبة » التي يرجع إليها قول العرب : « صوَّب رأيه : أي رآه صواباً ، أو عَدَّه صواباً ، أي نسبه إلى الصواب ، صالحةٌ أيضاً في توجيه قولنا : صَوَّبت الكلمة الخطأ ، لمعنى : أصلحتها ورَدَدْتها إلى الصواب ، وبذلك تنتسب إلى الصواب بالمعالجة والإصلاح .

ويؤازر هذا التوجيه أن « ابن الحاجب » قال في تعليل : « فَسَّقْتُه » إنه يرجع في معناه إلى التعدية ، أي جعلته فاسقاً ، بأن نسبته إلى الفسق » .

٨ ــ وأخيراً ، أرجو أن يكون الباحث قد رضي عن « تصويب » ماذهب إليه في إنكار التصويب لمعنى الإصلاح والتقويم .

محمد شوقي أمين

عضو مجمع اللغة العربية ـ بالقاهرة

قطعة من تاريخ أصبهان

بين يدي وريقات من كتاب في تاريخ الرجال ، تتداخل بدايتها مع كتاب آخر وكذلك نهايتها عدتها قرابة ثماني ورقات في المخطوط ذي الرقم ٢٣٣ / حديث ـ في مكتبتنا الظاهرية ، تبدأ في الورقة ٢٢٨ وتنتهي في الورقة ٢٣٧ .

يقول الشيخ ناصر الدين الألباني في المنتخب (ص ١١٩) إن هذه الورقات من تاريخ أصبهان ليحيى بن أبي عمرو عبد الوهاب ابن محمد بن إسحاق بن منده (ت ٥١١) ، ويذكر أن الذي ساعده على معرفة اسم الكتاب ترجمة « الكُنْدُلاني » التي نقلها السمعاني عنه في الأنساب .

وأضيف إلى ما قاله الشيخ ناصر الدين الألباني تعقيباً وتوضيحاً :

أ ـ قال السمعاني في الأنساب : (الكُنْدُلاني ـ بضم الكاف وسكون النون وضم الدال المهملة وفي آخرها النون ـ هذه النسبة إلى كندلان من قرى أصبهان ذكره أبو زكريا يحيى بن أبي عمرو بن منده الحافظ في كتاب أصفهان فقال : أبو طالب الكندلاني ، حدث عن أبي بكر بن أبي علي وأبي عبد الله الجمال وغلام محسن وأبي علي الصيدلاني . وروى عن أبي بكر بن مردويه ولم يسمع منه ، ولم يكن الحديث والرواية من صنعته ؛ إن أخطأ لا يعلم ، لا يعتمد على روايته إلا ما كتب عنه أهل الرواية والمعرفة . ومات في التاسع عشر من المحرم سنة ٤٩٣) .

وفي الورقة ٢٣١ من الكتاب الذي نفترض أنه من تاريخ أصبهان :
(أبو طالب الكندلاني روى عن أبي بكر بن مردويه ولم يسمع منه ، وسمعت أنه روى عن شيوخ لم يسمع منهم إلا أن الحديث والرواية لم تكن من صنعته ، إن أخطأ لم يعلم ، لا يعتمد على روايته إلا ما كتب عنه أهل الرواية والمعرفة والعلم ، مات في سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة في تاسع عشر من محرم ، وحدث عن أبي بكر ابن أبي علي وأبي عبد الله الجمال وغلام محسن وأبي علي الصيدلاني وغيرهم)

لا نشك إذا أن السمعاني أخذ من تاريخ أصبهان ولكنه قدم في العبارات وأخر وكأنه أعاد تنظيمها على النحو الذي يروق له كما يفعل ابن عساكر في النصوص التي ينقلها من الكتب أحياناً .

ولكن هذا التطابق بين النصين وحده لا يسمح لنا بأن نقول ونحن مطمئنون بأن هذه القطعة التي بين أيدينا هي من تاريخ أصبهان ، وما زلنا بحاجة إلى أدلة شبه قاطعة تثبت نسبة الكتاب ليحيى بن منده .

لنستنطق أولاً المصادر بغية التعرف على هذا الرجل والوصول إلى أسماء الكتب التي ألفها . وخير من يحدثنا عن ابن منده تلميذه السمعاني في مشيخته [1] وما اقتبسه عنه الذهبي في العبر [2] ؛ إنه أبو زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن الحافظ محمد بن إسحاق بن منده العبدي الأصبهاني الحافظ ، قال السمعاني : جليل القدر ، وافر الفضل واسع الرواية ، حافظ ثقة ، فاضل مكثر صدوق كثير التصانيف ، صنف تاريخ أصبهان) . ويسرد السمعاني أسماء مسموعاته

(١) انظر مشيخة السمعاني ٢/٣٧٨ — ٢) انظر العبر الذهبي ٤/٢٥

من الكتب التي أجازه بروايتها فيستغرق هذا السرد أكثر من صفحة . لم يسمع منه السمعاني ولكنه كتب إليه إجازة بجميع مسموعاته ، وكذلك كتب إجازة لأبي القاسم بن عساكر ولم يحصل له منه سماع وحدثه عنه أبو بكر اللفتواني بكتاب تاريخ المصريين لأبي سعيد بن يونس [١] . وهو من بيت علم ورواية وسيلقي بعض رجال هذا البيت ضوءاً على صحة نسبة هذه الوريقات إليه .

ذكرت له المصادر إذا كتاباً باسم (تاريخ أصبهان) فهل ستساعدنا هذه القطعة التي نفترض أنها منه على معرفة مؤلفها .

في الورقة ٢٣١ ، وفي ترجمة أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن ابن داود المعروف بالخياط يقول المؤلف : (.. ويلزم مجالس الإمام أبي القاسم عمي رحمه الله . وسمع من أبي بكر الأعرج بافادة عمي الإمام ... توفي سنة ٤٧٨) وأبو القاسم هذا هو عبد الرحمن بن محمد ابن اسحاق بن منده (ت ٤٧٠) عم أبي زكريا يحيى بن عبد الوهاب من محمد بن اسحاق بن منده .

ويبدأ اليقين يتسرب إلى نفوسنا ليحل محل الشك في صحة نسبة هذه القطعة من الكتاب إليه حين نلمس من طبيعة أخبار المترجمين ما يوحي لنا بهوية المؤلف ؛ فقد حدد سنوات وفياتهم وذكر لقاءات تمت بينه وبينهم . يقول في الورقة ٢٣٠ في ترجمة أحمد بن محمد بن عبد الرحمن أبي العباس : (سمع من أبي بكر بن ريذَة ، ومن بعده كان يختلف معنا إلى أن مات ...) ، فهو معاصر له وسمع من أبي

---

(١) انظر تاريخ دمشق المطبوع (عاصم - عايد) ص ٣٩ ، ١٤٨

بكر بن ريذة ، وأبو بكر هذا شيخ يحيى بن منده ذكر ذلك السمعاني والذهبي .

ويقول أيضاً في ترجمة أحمد بن محمد بن الحسين الحبال : (سمع من أبي بكر بن ريذة ... من أصدقائنا مات سنة ٤٩٩ .

كذلك لا شك لدينا أن الكتاب تاريخ لرجال عاشوا في أصبهان أو وفدوا إليها ؛ فهو لا ينسى أن يذكر في ترجمة كل منهم عبارات تحدد مسكنهم في هذه المدينة . يقول في ترجمة أبي منصور المزني ق ٢٢٩ : (مسكنه في درب بجرستان قرب جامع الضيق) ، ويقول في ترجمة ابن شرويه الفقيه ق ٢٣٠ : (سكن درب الجصاصين في سكة الخلالين) ، وفي ترجمة أحمد بن محمد بن عمر بن عبد الله المهندس : (سكن سكة الخوز) وفي ترجمة الذي يليه : (سكن باب النصر في سكة هيالاباذ ..) وهكذا ... هذا إذا كان المترجمون من أهل أصبهان أما إذا كانوا من الواردين عليها فإنه يقول : (قدم أصبهان[1]) ، أو (قدم علينا أصبهان[2]) ويذكر سبب قدومه أحياناً ، وإذا لم يذكر شيئاً عن مسكنه أو قدومه ، نعرف من طبيعة الأخبار ومن روايته أنه من هذه المدينة .

نستطيع أن نقول الآن وبشيء من الثقة إن هذه الوريقات من كتاب يؤرخ لعلماء أصبهان وإن مؤلفه أبو زكريا بن منده الرجل الذي امتدت حياته (من ٤٤٣ – ٥٥١) لقد عرفناه من شيوخه وأقرانه ومعاصريه ، وأي كتاب سيكون هذا الكتاب غير تاريخ أصبهان الذي ذكرته له المصادر ؟

---

(١) انظر و ٢٣٢ أ ، ٢٣٢ ب (٢) انظر و ٢٣٣

نحن إذاً أمام قطعة من تاريخ أصبهان لابن منده ، تبدأ بأحمد بن محمد بن جعفر وتنتهي بأحمد بن إبراهيم بن أبان .

ولكن ما يلفت الانتباه حقاً أن هذه التراجم لرجال عاصروا المؤلف ، أو كانوا بمرتبة شيوخه أو شيوخ شيوخه أو قبلهم بقليل ولا يوجد فيهم من تجاوز القرن الرابع إلى ما قبله . فهل كان ذلك عن طريق المصادفة ؟

ولا يسعني إلا أن أقدم وافر امتناني إلى الأستاذ الشيخ ناصر الدين الألباني الذي هداني إلى معرفة هذه القطعة من تاريخ أصبهان ، وأرجو أن نعثر قريباً على مخطوطة هذا الكتاب كاملة .

سكينة الشهابي

جواب عن سؤال

الاستاذ عبد الاله نبهان

وجّه الأستاذ عبد القادر زمامة سؤالاً إلى قراء مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق « المجلد ٤٦/ج ٤ ص ٨٣٠ » يسأل فيه عن قائل هذين البيتين :

رأتْ قمرَ السماء فأذْكَرتني ليالي وَصْلها بالرقمتين
كلانا ناظرٌ قمراً ولكن رأيتُ بعينها ورأتْ بعيني

وقد علِق هذا السؤال في خاطري إلى أن وقعت على ما أظنّه جواباً عنه ، وقد مر بي عرضاً أثناء تقلبي وتصفحي كتاب « طراز المجالس » لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المعروف بالشّهاب الخفاجي (٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ/ ١٥٦٩ - ١٦٥٩ م) . والكتاب مطبوع بالمطبعة العامرة الشرفية بلا تاريخ .

قال الشهاب (ص ٢١٢) :

قرأت في ديوان الرئيس شرف الدين مُسْتَوْفي إربل قال : قلت بديهة في سنة أربع وستمائة :

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمراً ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني

قال الشهاب :

اعتنى الناس بهذه القطعة حتى رأيت بعض الأدباء صنّف في شرحها تأليفاً لطيفاً أتى فيها بما لم يخطر ببال قائلها فتدبر .

قلت : والشاعر المذكور هو المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي الإربلي المعروف بابن المستوفي وهو مؤرخ أديب ناقد شاعر كان رئيساً جليلاً ولد بإربل سنة ٥٦٤ هـ/ - ١١٦٩ م ، وولي فيها استيفاء الديوان ثم الوزارة . ولما استولى عليها الصليبيون انتقل إلى الموصل وتوفي بها سنة ٦٣٧ هـ / ١٢٣٩ م . له كتاب تاريخ إربل وكتاب النظام في شرح شعر المتنبي وأبي تمام ، وديوان شعر .

وانظر : الأعلام ١٤٩/٦ . معجم المؤلفين ١٧٠/٨ . بغية الوعاة : ٢٧٢/٢ . مرآة الجنان ٩٥/٤

حمص **عبد الاله نبهان**

انتخاب زميل جديد : الدكتور احسان النص

عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية

كان مجلس مجمع اللغة العربية في جلسته الثانية عشرة من دورته المجمعية ١٩٧٨ - ١٩٧٩ (١٥ آذار ١٩٧٩) قد انتخب الأستاذ الدكتور احسان النص عضواً عاملاً في المجمع .

وقد صدر بذلك المرسوم الجمهوري التالي ذو الرقم ٨٥٤ والتاريخ ٤ / ٤ / ١٩٧٩

رئيس الجمهورية ...

يرسم ما يلي

مادة ١ - يعين الأستاذ الدكتور احسان النص عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بدمشق .

مادة ٢ - ينشر هذا المرسوم ويبلغ من يلزم لتنفيذه

التوقيع : رئيس الجمهورية

حافظ الأسد

استدراكات وتصويبات

نورد فيما يلي جملة من الاستدراكات والتصويبات والملاحظات على ما جاء في هذا المجلد والذي قبله :

(١)

بعث الينا الأستاذ عبد اللطيف الطيباوي بالاستدراكات التالية :

أولاً :

كتب الأستاذ الأديب « م خ » ، من أعضاء لجنة هذه المجلة ، هامشاً في صفحة ٨٥٧ من مقالتي « معروف الرصافي والاستقلال العربي » في الجزء الرابع من المجلد الثالث والخمسين . فأستأذنه لكتابة ما يلي على سبيل الايضاح :

(١) قول الأستاذ المعلق ان نشيد « نحن خوّاضو غمار الموت » كان معروفاً قبل سنة ١٩١٨ صحيح ، وهو مطابق لما قلتُه انا في المقالة . اما دور النشيد الثاني الذي ذكره السيد المعلق ولم اذكره أنا ، فغير وارد في ديوان الرصافي (طبعة القاهرة سنة ١٩٥٩) ، والوارد هو فقط الدور الأول (ص ٥٥٣) تحت عنوان « النشيد الوطني » دون تحديد والرصافي أعزف مني ومن السيد المعلق بسبب اثبات الدور الأول واسقاط الدور الثاني .

(٢) قلتُ إن نشيدَ « نحن خواضو غمار الموت » هو ترجمة الرصافي لقصيدة للشاعر التركي توفيق فكرت . والذي قال ان النشيد هو ترجمة للنشيد الوطني التركي هو قاسم الخطاط في كتابه عن الرصافي ،

لا أنا . لهذا فقول المعلق الفاضل إن (نحن خواضو غمار الحرب) يختلف في المعاني عن النشيد الوطني التركي لا يُعدُّ رداً على ما قلتُهُ أو تصحيحاً له .

(٣) نُشِر النشيد (نحن خواضو غمار الموت) مع لحنه بالرموز الموسيقية في مجموعة (الأناشيد المدرسية) في سنة ١٩٢٠ في حديقة القدس باسم خليل طوطح مدير دار المعلمين ومعروف الرصافي معلم اللغة العربية فيها . والغالب أن الألحان مع رموزها الموسيقية في هذه المجموعة كانت من وضع أو اصطناع زوجة خليل طوطح الامريكيه ، فقد كانت موسيقية ماهرة . ولكن المجموعة ليست بين أيدينا ، فلا يمكن التحقق من اللحن الموسيقي الذي نُشر فيها مع (نحن خواضو غمار الموت) ، فلهذا لا يمكن قبول قول الأستاذ المعلق إن اللحن الذي نُشر في تلك المجموعة يختلف عن لحن النشيد الوطني الفرنسي (المارسليبز) .

(٤) ولهذا السبب لا تَصِحُّ تخطئة الأستاذ المعلق للمرحوم الأستاذ درويش المقدادي الذي انتقد لحن نشيد (نحن خواضو غمار الموت) بأنه مطابق أو مشابه لِلَحْنِ النشيد الوطني الفرنسي . كنتُ أحد طلاب الأستاذ المقدادي عندما تحدّى السلطات البريطانية بإنشاء فرقة كشافة عربية مستقلة عن الكشافة الانكليزية بشاراتها وأناشيدها . واذكر أنه رفض اتخاذ نشيد (نحن خواضو الموت) لسبب واحد ، وهو ان اليهود قد يعدُّون مُنْشِديه من الفرنسيين . وكان الأستاذ المقدادي يعرف الفرنسية والانكليزية فلا شك أنه كان يعرف النشيد الوطني الفرنسي ولحنة . فإذا لم يَثْبُت خلاف ذلك بظهور نسخة من (الاناشيد المدرسية) فانه يصحّ الاستنتاج ان اللحن الذي نُشر في سنة ١٩٢٠ في القدس مع نشيد (نحن خواضو غمار

الموت . كان على الأقل شبيهاً بلحن النشيد الوطني الفرنسي .

ثانياً :

حاشيتان

الأولى : في سنة ١٩٤٤ سمع كامل الجادرجي من الرصافي حديثاً شرح فيه كيفية ذهابه إلى القدس ليكون معلماً في دار المعلمين فيها . ونشر هذا الحديث في سنة ١٩٥٤ في العدد الأول من مجلة الثقافة الجديدة (بغداد) . وكان الحديث يثبت أن الرصافي اعتمد على ما تذكره من حوادث جرت في ١٩١٩ – ١٩٢١ أي بعدما لا يقل عن ٤٥ سنة لا على شيء مكتوب .

الثانية : اشترك الرصافي وهو في القدس مع خليل طوطح مدير دار المعلمين في نشر كتيّب عنوانه « الأناشيد المدرسية » مع الألحان الموسيقية بالرموز ، طبع في القدس في سنة ١٩٢٠ . ولم استطع الحصول على نسخة منه ، لكني أحفظ عن السيد جمال العلمي وعن السيد محمود العابدي (من طلاب دار المعلمين في سنة ١٩٢٢ – ١٩٢٣) بعض أبيات من نشيدها الذي نظمه الرصافي ولم يرد في ديوانه . والأبيات المروية دون التحقيق في نصّها أو وزنها ، هي :

دار المعلمين لا زلت مقراً للعلى
فان داء الجهلا يشفيه مَنْ تخرجين

نحن نعز الوطنا ومن بـه قطنا
بالعلم ما دامت لنا دار المعلمين] اللازمة

داراً إذا فيها ثدى مَنْ كان ظمآن ارتوى
وعاد ريان القوى مِنْ منبع العلم المبين

ثالثاً :

إصلاح الخطأ في مقالة « معروف الرصافي والاستقلال العربي »

ص ٨٤٤ س ٩ ضع نقطتين على تاء الولاية

ص ٨٤٦ س ١٦ احذف الفاصلة بعد كلمة سكوته

ص ٤٤٨ س ٢٢ احذف الكلمتين بعد « بالتركية » وضع (يِيلْدِيرِمْ)

ص ٤٥١ س ١٢ كلمة السِيْر غلط وصوابها السر وهو لقب انكليزي sir

ص ٤٥١ س ٢١ الهامش رقم (٢) الكلمة الانكليزية الأخيرة تحتاج إلى حرف في آخرها لتصبح

ص ٨٥٣ س ١١ تكرّمني خطأ وصوابها تكرّهني

ص ٨٥٨ س ١٠ إبراهام صوابها أبراهام

ص ٨٥٩ س ١١ الى هربرت صموئيل المعظم خطأ وصوابها : « الى هربر صموئيل المعظم » مع حذف التاء ووضع الاقتباس

ص ٨٦٣ س ٥ ضع كلمة « ملأ » في أول السطر قبل كلمة « رَدّ »

ص ٨٦٣ س ٩ تحذف التاء من « هربرت »

ص ٨٦٧ س ٧ يُصحّح الاسم هكذا : غَرْتَرُوْلْ بِيلْ

(٢)

تصويبات في مقال الأستاذ محمد يحيى زين الدين « حول ديوان عروة بن الورد » المنشور في الجزء (٤) المجلد (٥٣) الصفحات (٨٨٠ — ٨٩٩)

ص	س	الصواب
٨٨٠	٣	١٨٦٣
٨٨٤	١١،١٣،١٦،١٩	كراء
٨٨٤	١٢	كرا
٨٨٨	١٠	بليلة
٨٩٠	١٧	أجدهما
٨٩١	٩	يبقي

٨٩٢	٣	جاءه
٨٩٢	٦	مثقفٌ
٨٩٢	١٣	تدِبُّ
٨٩٣	٣	وبالحلس
٨٩٤	١١	بات تسري
٨٩٤	٢٢	مذلةٌ
٨٩٥	٧	الأدنين

(٣)

استدراك بعض الأسماء في قائمة أعضاء مجمع اللغة العربية المنشورة في المجلد (٥٤) الجزء (١) الصفحات (٢٨٧ - ٢٩٥)

تأسف لجنة المجلة للخطأ الذي وقع في قائمة أسماء الأعضاء ؛ فقد تجاوزت المطبعة اسم الزميلين الأستاذين : « الأستاذ محمود محمد شاكر » في قائمة أسماء الأعضاء المراسلين من القاهرة . « والأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح » في قائمة أسماء الأعضاء المراسلين من الجزائر .

وسنستدرك ذلك في قائمة العدد المقبل إن شاء الله .

(٤)

أخطاء مطبعية في هذا المجلد

ص	س	الخطأ	الصواب
٦٥٠	٦	المؤلين	المؤلفين
٦٥١	٥	خادمة	خاصة
٦٥٥	١٩	ألم	آلم
٦٦٤	١٩	الشاط	الشاطر
٦٦٤	٢١	الفشتالي	القشتالي
٩٠٨	١٠	استطعت	اسطعت

الكتب المهداة لمكتبة مجمع اللغة العربية

في الربع الثالث من عام ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ الآثار الكاملة لأدب ذي النون أيوب (المجلد الثالث)	وزارة الثقافة العراقية	بغداد ١٩٧٨
ـ ابراهيم صالح شكر (حياته وآثاره)	عبد الحميد الرشودي خالد اسماعيل جميل الجبوري	= ١٩٧٨
ـ ادمون صبري	فوزي كريم	= ١٩٧٩
ـ الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية في العراق	د. طارق شكر محمود	= ١٩٧٨
ـ الأيام الطويلة (١-٢)	عبد الأمير معله	= ١٩٧٨
ـ تاريخ المن بالامامة على المستضعفين	ابن أبي صاحب الصلاة تح : عبد الهادي التازي	= ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ جبال الثلاثاء (شعر)	مالك المطّلبي	بغداد ١٩٧٨
ـ الحصار (مجموعة قصص)	محمود جنداري	= ١٩٧٨
ـ حضارة العرب في الأندلس (الجزء الثالث)	خير الله طلفاح	= ١٩٧٧
ـ ديوان جاسم الجبوري	جمعه وحققه منذر الجبوري	= ١٩٧٤
ـ ديوان عبد المحسن الكاظمي (المجموعة الثالثة والرابعة)	جمع رباب الكاظم	= ١٩٧٨
ـ سلاماً أيها الفقراء (شعر)	جواد الحطّاب	= ١٩٧٨
ـ شرح الصولي لديوان أبي تمام (الجزء الثاني)	تح د. خلف رشيد نعمان	= ١٩٧٨
ـ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر	ابراهيم الوائلي	= ١٩٧٨
ـ شعر عمر بن لجأ التيمي	تح د. يحيى الجبوري	= ١٩٧٦
ـ الصفعة (قصص)	الياس فركوح	= ١٩٧٨
ـ الصقريات في العراق والوطن العربي	شفيق مهدي	= ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ عبد المحسن السعدوني	لطفي جعفر فرج	بغداد ١٩٧٨
ـ عروبة العلماء المنسوبين في بلاد الروم والجزيرة وشهرزور وأذربيجان الى البلاد الاعجمية (الجزء الثالث)	د. ناجي معروف	= ١٩٧٨
ـ العمل العلمي ومؤسساته في البلاد المبتدئة	شيث نعمان	= ١٩٧٨
ـ الغناء في أقبية عميقة (شعر)	محمد الأسعد	= ١٩٧٤
ـ الفكر الاقتصادي في القرن العشرين	كلاوديو نابوليوني تعريب نعمان كنفاني	= ١٩٧٩
ـ القيم السائدة في صحافة الأطفال العراقية	خلف الهيتي	= ١٩٧٨
ـ كتاب الشعر	ياسين حافظ طراد الكبيسي	= ١٩٧٨
ـ لاعب الجودو والأحزمة الخمسة	علي بجمان	= ١٩٧٧
ـ ما يحتاج اليه الصانع من علم الهندسة	أبو الوفاء محمد البوزجاني تح د. صالح العلي	= ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ مرايا الاسئلة (شعر)	رعد عبد القادر	بغداد ١٩٧٨
ـ من الأدب البلغاري	يوردان يوفكوف ترجمة كمال بطي	= ١٩٧٣
ـ من تاريخ الصحافة العراقية	خالد الراوي	= ١٩٧٨
ـ نحن (مجموعة شعرية)	صلاح نيازي	= ١٩٧٨
ـ نقد الشعر العربي الحديث في العراق من (١٩٢٠ ـ ١٩٥٨)	عباس توفيق	= ١٩٧٨
ـ يوميات السيد علي سعيد (رواية)	د. عدنان رؤوف	= ١٩٧٩
ـ يونس السبعاوي	خيري العمري	= ١٩٧٨
ـ الابهاج في قصتي الاسراء والمعراج	عبد الله العلمي	بيروت ١٣٢٤ هـ
ـ تصنيف نهج البلاغة	لبيب وجيه بيضون	= ١٩٧٩
ـ العرب من هم وما قيل عنهم	عمر رضا كحالة	= ١٩٧٩
ـ المرأة في عالمي العرب والاسلام (الجزء الثاني)	عمر رضا كحالة	= ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ المرأة في القديم والحديث (١ ـ ٢)	عمر رضا كحالة	بيروت ١٩٧٩
ـ الوثائق العربية لعام (١٩٧٦)	الجامعة الأميركية	= ١٩٧٩
ـ أدب العلماء في القرن الرابع وبداية القرن الخامس (البيروني والخيام)	د. محمد سويسي	تونس ١٩٧٧
ـ كتاب أفعل	أبو علي القالي تح محمد الفاضل بن عاشور	= ١٩٧٢
ـ التراث ودوره في البناء الحضاري المعاصر	ملتقى يحيى بن عمر	= ١٩٧٨
ـ الحضارة الاسلامية بين أمسها الزاهر وغدها المأمول	البشير العريبي	= ١٩٦٩
ـ خطك رديء	عبد المجيد عطية	= ١٩٧٨
ـ ديوان خزنه دار (١ ـ ٢)	خزنه دار	= ١٩٧٢
ـ الصراع العقائدي في الفلسفة الاسلامية	ملتقى الامام المازري	= ١٩٧٨
ـ العرب أمام قضية فلسطين	الشاذلي القليبي	= ١٩٧٨

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
– المختار من قطب السرور في أوصاف الأنبذة والخمور	ابراهيم الرقيق القيرواني اختيار علي المسعودي تح عبد الحفيظ منصور	تونس ١٩٧٦
– كتاب النمر والثعلب	سهل بن هرون تح عبد القادر المهيري	= ١٩٧٣
– تراجم الرجال	محمد الخضر حسين	دمشق ١٩٧٢
– البلاغة العربية في فنونها	د. محمد علي سلطاني	= ١٩٧٩
– بيان عن أهم المنجزات الاقتصادية والاجتماعية في الجمهورية العربية السورية خلال عام ١٩٧٨	وزارة التخطيط	= ١٩٧٩
– تراجم الأعيان في أنباء أبناء الشيباني الموصلي من أهل الزمان في القدس الشريف ودمشق الشام	صلاح الدين الموصلي	= ١٩٧٩
– محاضرات في طرق تدريس اللغة العربية في المرحلتين الاعدادية والثانوية	نعيم الحمصي	= ١٩٧٩
– مع البلاغة العربية في تاريخها (القسم الأول)	د. محمد علي سلطاني	= ١٩٧٩

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
ـ المورد الندي في المولد المحمدي	عبد الله العلمي الحسني	دمشق ١٣٥٠هـ
ـ الدليل على موضوعات نهج البلاغة	علي انصاريات	طهران ١٩٧٨
ـ التجديدات التربوية في الأردن من (١٩٧٦ ـ ١٩٧٩)	محمد علي الشامي د. حلمي فوده	عمان ١٩٧٩
ـ تطور التربية والتعليم في الأردن	وزارة التربية والتعلم	= ١٩٧٧
ـ رسائل أبي العلاء المعري (١ ـ ٣)	تح : د. عبد الكريم خليفة	= ١٩٧٨
ـ الإلماع على بيتي الرضاع	عبد الله العلمي الحسني	القاهرة ١٣١٧هـ
ـ البرق الوامض في شرح متن الفرائض	عبد الله العلمي	= ١٣١٨
ـ البصيرة على بيتي الجبيرة	عبد الله العلمي	= ١٣١٣هـ
ـ الحديقة في مولد خير الخليقة	عبد الله العلمي	= ١٣٢٣هـ
اربع منظومات	عبد الله العلمي	= ١٣١٧هـ

اسم الكتاب	اسم المؤلف	مكان الطبع وتاريخه
صبح الدجى في كتاب صور المحاسن الشبيهة بحروف الهجا	عبد الله العلمي	القاهرة ١٣٢٣هـ
مصادر الحديث عند الامامية	محمد حسين الجلالي	= ١٣٩٥هـ
ـ النفاق (صفة المنافق)	الفريابي تح : زهير برقاوي	= ١٩٧٩
ـ النوردجة في قصة المولد الأرجة	عبد الله العلمي	= ١٣٢٥هـ
ـ البيبلوجرافيا المختارة عن الكويت والخليج العربي	ثريا محمد قابيل	الكويت ١٩٧٠
ـ قاموس اسباني ـ عربي	ف كورينطي	مدريد ١٩٧٠
ـ قاموس عربي ـ اسباني	ف كورينطي	مدريد ١٩٧٠
ـ شعر عمرو بن شأس الأسدي	د. يحيى الجبوري	النجف ١٩٧٦
ـ فهرس المخطوطات المصورة في مكتبة الامام الحكيم العامة (الجزء الثاني)	محمد مهدي نجف	= ١٣٩٩هـ
ـ قلائد الغيد	علي الحسيني الجزائري	١٣٩٩

الفهارس العامة للمجلد الرابع والخمسين

آ ـ فهرس المواد

منسوقة على حروف المعجم

ب — فهرس الأعلام : كتاب المقالات

منسوقة على حروف المعجم

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والخمسين